مُختصَر

سيرة الرسول ﷺ

تأليف

الإمام العلامة الشيخ

عبد الله بن الإمام محمد بن عبد الوهاب

رحمهم الله تعالى

حقق نصوصه وخرج أحاديثه وآثاره وعلق عليه

أحمد بن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن الطويان

دار الحضارة للنشر والتوزيع

مُختصر

سيرة الرسول ﷺ

ح دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٣٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عبدالوهاب، عبدالله محمد

مختصر سيرة الرسول ﷺ./ عبدالله محمد عبدالوهاب، أحمد صالح الطويان-ط٤ -الرياض ١٤٣٦هـ

ص ؛ ٠٠×٠٠ سم.

ردمك: ٦ -٣٢٩ -٥٠٦ -٦٠٣ -٩٧٨

١ -السيرة النبوية أ -الطويان، أحمد صالح (مؤلف مشارك) ب -العنوان

ديوي ٢٣٩ ١٤٣٦/٣٧٥٢

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٣٧٥٢

ردمك: ٦ -٣٢٩ -٥٠٦ -٦٠٣ -٩٧٨

الطبعة الرابعة

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

دار الحضارة للنشر والتوزيع

ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥

هاتف: ٢٤٩٦٥٥٥ - ٢٧٨٧٣٣٣ فاكس: ٢٤٨٣٠٠٤

المستودع تلفون: ٢٤١٦١٣٩ فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨

الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨

مختصر

سيرة الرسول ﷺ

تأليف

الإمام العلامة الشيخ

عبد الله بن الإمام محمد بن عبد الوهاب

رحمهم الله تعالى

حققه نصوصه وخرج أحاديثه وآثاره وعلق عليه

أحمد بن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن الطويان

دار الحضارة للنشر والتوزيع



المقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، بعثه الله بالهدى ودين الحق، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة وجاهد في الله حق جهاده، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أعظم ما صرفت فيه الأوقات الاشتغال بالعلوم الشرعية المتلقاة عن خير البرية، وهذا لا يتأتى إلا بدراسة حياة المصطفى ﷺ ليكمل الاقتداء والاهتداء بسنته والتأسي بفعله.

ولقد اهتم علماء الإسلام برواية سيرته ﷺ سواء من كان منهم من أهل السير والخبر أو علماء الحديث والأثر، فلقد زخرت كتبهم بالتفصيل في حياة المصطفى وذكر أحواله وسننه وأفعاله وأقواله.

فكثرت الكتب المؤلفة في هذا الجانب المهم، وتنوعت الطرق في عرض السيرة، منها كتب السنة وكتب الشمائل وكتب السيرة، وكان لكلٍّ طريقة يعرض فيها سيرة المصطفى ﷺ، فالمحدثون بالأسانيد، وأهل السير والخبر والتاريخ برواية الأخبار دون الاهتمام بالأسانيد والصحة في النقل، وكانت أخبارهم معتمد من كتب في السيرة. وغفلوا عما في كتب الحديث من الروايات الصحيحة، وقد أشار الحافظ

ابن كثير رحمه الله في كتابه قصص الأنبياء إلى ذلك فقال رحمه الله (ما ثبت في الصحيح أولى وأقوى بل لا يلتفت إلى ما عداه).

ولذا اهتم العلماء قديماً وحديثاً بتحرير أحداث السيرة والتعليق عليها كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذيه ابن القيم وابن كثير رحمهم الله والإمام الذهبي وابن رجب وابن الجوزي والحافظ ابن حجر وابن عبد البر وابن حزم وغيرهم.

ومن المعاصرين العلامّة المحدث محمد ناصر الدين الألباني حفظه الله[1] في تعليقه على فقه السيرة للغزالي وكتابه دفاع عن الحديث النبوي والسيرة والرد على جهالات الدكتور البوطي وكتبه الأخرى كالسلسلة الصحيحة والضعيفة وصحيح الجامع وضعيفه وصحيح السنن الأربعة وضعيفها وغيرها من كتبه القيّمة.

ومن الكتب في هذا المجال كتاب السيرة الصحيحة (الذهبية) لطرهوني وصحيح السيرة لإبراهيم العلي وكتاب السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق لسليمان العودة (العهد المكي) وكتاب السيرة النبوية الصحيحة لأكرم العمري وكتبه الأخرى وكتاب السيرة النبوية في ضوء مصادرها لمهدي رزق الله أحمد وكتاب السيرة الصحيحة قراءة جديدة لمحمد الصوياني، وكتاب (محمد رسول الله ﷺ) لمحمد الصادق عرجون، والسرايا والبعوث لبريك العمري وغيرها مما ألف في الغزوات وأغلبها بحوث ورسائل جامعية من الجامعة الإسلامية...

وهذه الكتب هي بحق خطوة في تصحيح السيرة ولا يستغني عنها أي باحث يريد التحقيق والتحرير لموضع من مواضع السيرة يجد فيها الجهد المشكور والعمل المتقن والتحري والتثبت في الأخبار.

وكتاب مختصر السيرة النبوية للشيخ العلامة المحدث عبد الله بن الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هو واحد من هذه الكتب التي ربطت أحداث السيرة بكتب الحديث في الصحيحين والسنن والمسانيد، فلا يخلو حدث من الأحداث في

---

(١) في أثناء صف هذا الكتاب توفي العلامة المحدث شيخ الشام ومحدث العصر ناصر الدين الألباني رحمه الله وخلف على الأمة خيرا.

الغالب إلا ويذكر الشيخ فيه حديثاً يكون أصلاً وتوثيقاً لهذا الحدث. فجاء هذا الكتاب فريداً في نوعه لأنه جمع بين ترابط أحداث السيرة وتسلسلها وبين التوثيق والتصحيح بخلاف ما سبق ذكره من الكتب فإنها خلت من هذا الجانب المهم الذي يميّز السيرة عن غيرها، والذي يظهر فيه التشويق للقارىء وحسن العرض وجودة الأسلوب.

ولقد كانت بداية قراءتي للكتاب عام ١٣٩٨ هـ وكان من ممتلكات مكتبة الوالد حفظه الله فمنّ الله عليَّ بقراءته عدة مرات، مما جعلني أتعلق بهذا الكتاب وأعجب بأسلوبه الفريد وكان لي شرف حضور دروس شيخنا العلامة صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله وكان من ضمن دروسه شرح هذا الكتاب والتعليق عليه، فكان تعليق الشيخ على مواضع من الكتاب دافعاً لي إلى خدمة هذا الكتاب مستفيداً من نقده لبعض المواضع واستنباطه لكثير من الفوائد. ومما امتاز به الكتاب عن غيره من الكتب المؤلفة في السيرة شموله لأحداث السيرة النبوية، وعهد الخلافة الراشدة باختصار وشمول، اعتماداً على كتب السنة من الصحيحين والسنن ومسند الإمام أحمد وغيرها وكتب السيرة المعتمدة وما سطّره علماء الإسلام في كتبهم من أحوال المصطفى ﷺ من كتب الشمائل والهدي النبوي، فجاء هذا الكتاب موثقاً بربط كتب السيرة بكتب الحديث، وتحرير العلماء على كثير من مواضع السيرة.

كما تميز بالتركيز على موضوع العقيدة وربط أحداث السيرة بها، واستنباط الدروس والفوائد من وقائع السيرة.

ويلحظ القارىء لهذا الكتاب ظهور شخصية المؤلف رحمه الله وسعة علمه واطلاعه الواسع على مؤلفات أهل العلم، وحسن صياغته للأحداث وربطه بينها، وترتيبه لكل حدث من أحداث السيرة النبوية، إلا أنه يؤخذ على الكتاب تداخل الأحداث والوقائع في مواضع من الكتاب، وعدم وضع عناوين لبعض أحداث السيرة، والسكوت عن التعليق على بعض الأحداث والوقائع..

وقد طبع الكتاب في طبعته الأولى في المكتبة السلفية في مصر وهي طبعة

لا تخلو من الأخطاء المطبعية كما أنها خلت من التحقيق، وعليها بعض التعليقات القليلة، ثم طبع الكتاب في دار العربية بإشراف وتكليف من فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ عام ١٣٨٧ هـ وهي طبعة عليها بعض التعليقات والتصويبات ولا تخلو من أخطاء وقد رمزت لتعليقاتها برمز (ق).

ثم صدر على هذه النسخة طبعة في الهند عام ١٣٩٩ هـ على نفقة إبراهيم بن علي الناصر، وعلى هذه النسخة صورت طبعة دار السلام. وقد رأيت ضمن فهرس مطبوعات مكتبة النهضة بمكة مختصر السيرة للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بتعليق الشيخ عبد الله البسام ولم أجد نسخة من هذا الكتاب. وكل هذه الطبعات التي اطلعت عليها لم يستدرك فيها السقط ولم يظهر فيها خدمة الكتاب، ولم تخرج الأحاديث والأخبار والوقائع، فاستعنت بالله على القيام بذلك.

وقد كان عملي في الكتاب:

١ ـ تحديد مصادر المؤلف ليسهل الرجوع إليها.

٢ ـ تصحيح الأخطاء المطبعية قدر الإمكان.

٣ ـ استدراك السقط في مواضع من الكتاب من مراجع المؤلف.

٤ ـ توثيق النقول التي استفادها المؤلف من كتب السيرة والتأريخ وغيرها.

٥ ـ تخريج الأحاديث والآثار والأخبار والتعليق عليها قدر الإمكان.

٦ ـ التعليق على بعض أحداث السيرة.

٧ ـ توضيح بعض الأماكن والمسميات.

٨ ـ وضع عناوين للأحداث المهمة.

وقد اجتهدت في التصويب والتعليق والاستدراك فما كان من توفيق فمن الله وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، وقد استغرقت خدمة الكتاب مدة طويلة نظراً لوجود الاشغال فكان العمل متقطعاً وقد يكون في فترات متباعدة ولهذا قد تختلف طبعات المراجع التي رجعت إليها من فترة لأخرى.

ولكن أحمد الله على التمام وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي خالصاً

لوجهه الكريم وأن ينفع بهذا الكتاب وأن يجزي مؤلفه عن الإسلام خير الجزاء وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتبه
أحمد بن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن الطويان
في ٢٧/ ١٢/ ١٤١٩ هـ في مدينة الرياض

ترجمة المؤلف

هو الإمام الحبر الهمام بدر الأعلام مفتي الأنام حجة الإسلام قمر الدجى وشمس الضحى الثقة الثبت العلم الحجة البارع التقي النقي الورع الفارس في العلوم والسيد الصارم المسلول على المبتدعين، والحبر القائم بأمور الدين. ذو الهمة والشجاعة والإقدام، فائق علماء زمانه ومجتهد أوانه عبد الله بن الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب.

نسبه:

هو عبد الله بن الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبه بن سنيع بن نهشل بن شداد بن زهير بن شهاب بن ربيعة بن أبي سود بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم بن مر بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[1].

ولادته:

ولد الشيخ في مدينة الدرعية عام ١١٦٥ هـ في وقت الدعوة والجهاد ولد الشيخ رحمه الله.

---

(١) انظر إلى علماء نجد خلال ثمانية قرون ١/ ١٢٥ وعلماء الدعوة (مشاهير علماء نجد) للشيخ عبد الرحمن آل الشيخ ص ٨.

نشأته:

نشأ في كنف والده نشأة صالحة وفي جو علمي ووسط كريم قاده ذلك للرغبة في العلم والحرص على التحصيل، فنشأ على ذلك منذ نعومة أظفاره فقرأ القرآن الكريم ثم حفظه عن ظهر قلب، بتشجيع من والده الإمام ووالدته وهي الجوهرة بنت محمد بن حمد بن عبد الله بن حمد بن محمد بن حسن بن طوق بن معمر وهي عمة الأمير عثمان بن حمد بن عبد الله بن محمد بن معمر أخت أبيه[1].

طلبه للعلم:

شرع في القراءة على والده الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وطلب العلم بهمة عالية ونشاط ومثابرة فقرأ على علماء الدرعية والوافدين إليها وقرأ على العلامة حمد بن معمر ولازمه في الأصول والفروع والحديث، ولازم جلسات والده العلمية مدة حياته كلها...

رحلته في طلب العلم:

ثم سمت همته فرحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج فجاور بها وقرأ على علماء المسجد الحرام ولازمهم خصوصاً في الحديث والمصطلح وعلوم العربية وحصلت له الإجازة برواية متصلة السند. ثم زار المدينة النبوية وجاور بها وقرأ على علماء الحديث بها زمناً ثم رجع منها إلى الدرعية وقد نهل من العلم..

بحثه واطلاعه:

لقد رزق الشيخ عبد الله فهماً جيداً وحافظة قوية وذهناً سيالاً وقريحة وقّادة فدعاه ذلك كله إلى البحث والإطلاع في أمهات الكتب التي تزخر فيها مكتبة والده رحمه الله.

فاشتغل بالبحث واستنباط المسائل واختيار الأقوال الراجحة وكان والده معجباً

---

(١) انظر عنوان المجد ١/ ٢٢ تحقيق عبد الرحمن آل الشيخ.

بذكائه وقوة حفظه فشجعه على البحث والإطلاع حتى صار مرجعاً علمياً لأقرانه ومصدراً للفتاوى والتحريرات ووالده رحمه الله على قيد الحياة، وكان يتوسم فيه أن يكون خليفته من بعده في مهام المسلمين ولذلك كان يخلفه وينيبه في بعض أعماله، وفي آخر حياته كان ينيبه للصلاة بالناس.

جلوسه للتعليم:

جمع بين الطلب للعلم على يد والده والتعليم، فجلس للطلاب يعلمهم ويرشدهم، وكان حسن التعليم واسع الإطلاع في فنون عديدة مبرزاً في التفسير والعقائد وأصول الدين عارفاً بالحديث ومعانيه وبالفقه وأصوله وعلم النحو واللغة وله اليد الطولى في جميع العلوم والفنون، التف الطلاب حوله في حلقات التعليم وتخرج على يديه ثلة من الطلبة من أئمة الدعوة.

مكانته العلمية:

احتل الشيخ رحمه الله مكانة علمية عالية في حياة والده رحمه الله، وورث والده في العلم والدعوة والقضاء والإفتاء والزعامة الشرعية، والمكانة المرموقة وصار إمام الدعوة بعد وفاة والده رحمه الله. وانتهى إليه ما كان لأبيه من الفضل وقصده الطلبة من كل مكان، وأرسلت إليه الرسائل للإفتاء والاستشارة والبيان. وكان مستشاراً للولاة من آل سعود رحمهم الله كالإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود رحمهما الله والإمام سعود والإمام عبد الله رحمهم الله جميعاً وكان يصحبهم في الأسفار وفي الغزو.

تلاميذه:

له تلاميذ كثيرون ومن أشهرهم أبناؤه الثلاثة:

١ ـ الشيخ سليمان بن عبد الله وهو العلامة الفقيه الشهير الشهيد الصابر المولود في الدرعية عام ١٢٠٠ هـ طلب العلم على أبيه وعلى العلامة حمد بن ناصر والعلامة عبد الله الغريب وعبد الله بن فاضل وعبد الرحمن بن خميس

وحسين بن غنام، وهو مؤلف تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد قتل شهيداً في حرب الدرعية عام ١٢٣٣ هـ.

٢ ـ عبد الرحمن بن عبد الله وهو العلامة المولود بالدرعية عام ١٢١٩ هـ طلب العلم على والده وعلى أخيه سليمان ولما سقطت الدرعية كان عمره أربعاً وعشرين سنة فنقله إبراهيم باشا مع والده وأسرته إلى مصر فدرس على علماء الأزهر ودرَّس في رواق الحنابلة بالأزهر توفي في مصر عام ١٢٧٤ هـ وله ذرية وتلاميذ.

٣ ـ علي بن عبد الله وهو ممن قتله إبراهيم باشا في الطريق بعد خروجه من الدرعية على يد الآغا حسين جو خدار عام ١٢٣٤ وله ابن واحد هو عبد الرحمن بن علي وله ذرية.

٤ ـ الشيخ علي بن محمد بن عبد الوهاب من إخوة الشيخ طلب العلم على أبيه وعلى يد أخيه الشيخ عبد الله والشيخ حمد بن معمر وحسين بن غنام. رشح للقضاء فامتنع وهو ممن نقل مع أخيه عبد الله إلى مصر توفي في مصر عام ١٢٤٤ هـ. وله أبناء.

٥ ـ الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب وهو العلامة الشهير المولود سنة ١١٩٣ هـ طلب العلم على يد جده الإمام محمد بن عبد الوهاب وتوفي جده وعمره ثلاث عشرة سنة فلازّم الشيخ عبد الله بن محمد والشيخ حمد بن معمر والشيخ عبد الله بن فاضل والشيخ عبد الرحمن بن خميس والشيخ حسين بن غنام وولي القضاء في زمن الإمام سعود بن عبد العزيز وعبد الله بن سعود بن عبد العزيز وكان ممن ارتحل من آل الشيخ إلى مصر فدرس في الأزهر وحصّل علماً كثيراً، عاد إلى نجد زمن الإمام تركي بن عبد الله عام ١٢٤٠ هـ فكان إمام الدعوة ومرجع العلماء وانتهت إليه رئاسة العلم بنجد فتخرج على يديه الكثير من العلماء توفي رحمه الله ١١/ ١١/ ١٢٨٥ هـ.

٦ ـ الشيخ علي بن حسين بن محمد بن عبد الوهاب.

٧ ـ الشيخ محمد بن سلطان العوسجي.

٨ ـ الشيخ عثمان بن عبد الجبار بن شبانه.

٩ ـ الشيخ عبد العزيز بن حمد بن معمر.
١٠ ـ الشيخ إبراهيم بن سيف.
١١ ـ الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن.
١٢ ـ الشيخ سعيد بن حجي.
١٣ ـ الشيخ محمد بن مقرن.
١٤ ـ الشيخ عبد العزيز بن حمد بن إبراهيم.
١٥ ـ الشيخ أحمد الوهيبي.
١٦ ـ الشيخ عبد العزيز بن أحمد المشرف.

وغيرهم ممن لا حصر لهم..

جهاده وشجاعته:

لقد أبلى الشيخ رحمه الله بلاءً حسناً في الجهاد في سبيل الله وكان من المشاركين للولاة من آل سعود رحمهم الله في نشر الدعوة والتوحيد، ومن ذلك مشاركته في فتح الرياض فكان على رأس الجيش الذي فتح الرياض واختط مسجداً بها وهو المشهور بمسجد الشيخ عبد الله في دخنه في وسط الرياض.

ومشاركته في فتح مكة فقد كان مع الإمام سعود بن محمد حين دخوله مكة المكرمة عام ١٢١٨ هـ وكتب حال دخوله مكة رسالة إلى العلماء وعامة الناس يبين فيها معاني دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ودحض كذب أعداء الإسلام ودعاة الأباطيل من أنصار الشرك وأعداء التوحيد.

ومن ذلك مشاركته في الدفاع عن المسلمين في الدرعية أمام جيوش إبراهيم باشا.

قال ابن بشر رحمه الله: (فشمر وشهر سيفه عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وانتدب واجتمع عليه رجال من كل جانب كأنهم الأسود وقاتلوا قتالاً يشيب من هوله المولود فأظلمت الهجيرة كأنها الليل وصريخ السيوف في الرؤوس كأنه صهيل الخيول فأخرجوا الروم صاغرين وقتلوا منهم مائتين).

وكان رحمه الله يشهر سيفه ويقف في باب الدرعية ويقول محمساً الجنود: (بطن الأرض على عز خير من ظاهرها على ذل) حتى نحى العساكر وزحزحهم.

صبره واحتسابه:

مرت عليه مصائب فصبر محتسباً ومن ذلك صدمته باستشهاد ابنه الشيخ سليمان صبراً فقد رمي بالرصاص ثم اسُتدعي الشيخ ولما حضر قال إبراهيم باشا بلسان المتهكم: قتلنا ابنك يا عجوز، فقال مقالته الشهيرة (لو لم تقتله لمات) في صبر وتجلد محتسباً رجاء إثابة الصابرين.

ثم قتل ابنه علي في الطريق بعد رحليهم من الدرعية فصبر واحتسب ورحل وترك بلده وعاش غريباً محتسباً ثواب الصابرين.

رحيله إلى مصر:

لما هدم إبراهيم باشا الدرعية وشرد أهلها أخذ البقية الباقية من آل الشيخ وآل سعود رحمهم الله ومضى بهم إلى مصر حيث الإقامة الجبرية، والذين نقلهم إبراهيم باشا من آل الشيخ هم الشيخ عبد الله بن محمد وزوجته وابنه الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله والشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب وزوجته وابنه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن وكان عمره ثماني سنوات، وكذلك الشيخ علي بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والشيخ إبراهيم بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فأما الشيخ عبد الرحمن بن حسن فمكث في مصر ثماني سنوات ثم رجع إلى الرياض بعدما تولى الإمام تركي بن عبد الله، وابنه الشيخ عبد اللطيف مكث في مصر واحداً وثلاثين عاماً ثم رجع إلى الرياض في ولاية الإمام فيصل بن تركي عام ١٢٦٤ هـ.

وأما الشيخ عبد الله فبقي في مصر إلى أن توفي وكذلك ابنه عبد الرحمن وكذلك الشيخ علي وإبراهيم من أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب[1].

---

(١) انظر عنوان المجد لابن بشر ٢٨٧ (الحاشية).

أخلاقه وصفاته:

كان الشيخ عبد الله على جانب كبير من الأخلاق العالية والصفات الحميدة كثير الخوف من الله يصدع بكلمة الحق لا يخاف في الله لومة لائم وعنده غيرة على دين الله آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر فيه نخوة وشجاعة، يعطف على الفقراء والمساكين والمحاويج، يسعى على الأرملة والمسكين، وصولاً للرحم، محباً للإصلاح بين الناس والإحسان إلى الخلق، كان كريماً سخياً بماله في وجوه الخير.

دعوته:

لقد حمل الشيخ عبد الله لواء الدعوة بعد والده رحمه الله.

فقد سعى رحمه الله إلى نشر الدعوة والرد على المخالفين، وقد تغير أسلوب الدعوة في عصر الشيخ عبد الله عن عصر الشيخ محمد فقد كانت الدعوة بياناً للتوحيد وإيضاحاً لمسائل الشرك والتحذير منها.

أما في زمن الشيخ عبد الله بن محمد فالدعوة السلفية ألصق بها ما ليس منها وقد شوهت من أعدائها بآراء ومعتقدات هي بعيدة عنها، كما أن رقعة الدعوة اتسعت وصار حكام الدعوة مالكين أو مجاورين لبعض الطوائف التي لا تدين بمذهب أهل السنة والجماعة كالرافضة والزيدية.

فكان موضوع الدعوة مجابهة هذه الطوائف وإيضاح الحق لهم وبيان الدعوة الصحيحة والمنهج النبوي[1]، وقام بجهود كبيرة في إخماد الفتن وإزالة البدع التي كانت في الحجاز.

مكانته عند ولاة الأمر:

لقد كان للشيخ عبد الله من المكانة المرموقة عند ولاة الأمر، فكان الإمام سعود يحضر دروسه في المسجد ويأخذه في أسفاره للاستفادة من علمه وأخذ رأيه

---

(١) انظر علماء نجد خلال ثمانية قرون ١/ ١٧٢.

فلقد كان الإمام والخطيب والمرشد والمعلم وكذا في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد والإمام عبد الله بن سعود بن محمد، فكان المستشار في حل المعضلات والمفتي لكثير من التساؤلات والمدافع عن الحق والدعوة إلى التوحيد.

مؤلفاته:

لقد قضى الإمام عبد الله بن الشيخ محمد وقته في الدعوة والجهاد والتعليم والتدريس ولذلك لم تكثر مؤلفاته، وله ردود وفتاوى عديدة ذُكر طرفٌ منها في الدرر السنية ومجموع الرسائل والمسائل النجدية ولو جمعت ورتبت لكانت مرجعاً علمياً[1] ومن تأمل فتاويه ورأى إجاباته وتحريراته علم مبلغ علمه وسعة إطلاعه وحسن اختياره.

ومن مؤلفاته:

١ ـ جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية وهو كتاب حافل بين فيه معتقد أهل السنة والجماعة في الأصول وأقوال الصحابة وآرائهم في المسائل الفرعية ونقض كلام خصمه وأوضح مسائل الرافضة والزيدية.

٢ ـ مختصر السيرة النبوية وهو كتابنا هذا.

٣ ـ التوضيح عن توحيد الخلّاق.

٤ ـ الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة.

٥ ـ منسك في الحج.

٦ ـ رسالة كتبها عن دخوله مكة وهي قيمة في بيان دعوة الشيخ ورد كثير من الاتهامات الباطلة.

ذرية الشيخ عبد الله:

للشيخ عبد الله ثلاثة أبناء هم العلامة سليمان والشيخ علي والشيخ عبد الرحمن

---

(١) يسّر الله اتمامها وإخراجها.

وله بنتاً زوجها العلامة عبد الرحمن بن حسن وهي والدة العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن.

١ ـ وأما الشيخ سليمان فقتل في الدرعية وليس له ذرية.

٢ ـ وأما الشيخ علي فقتل بالقرب من الدرعية وله ابن واحد هو عبد الرحمن بن علي، وعبد الرحمن هذا له ابن واحد هو عبد الله بن عبد الرحمن بن علي ولعبد الله خمسة أبناء:

١ ـ محمد ٢ ـ عبد الرحمن ٣ ـ عبد المجيد ٤ ـ عبد الوهاب ٥ ـ وعبد المحسن، ولم يكن لهم ذرية إلا لعبد الوهاب ابن واحد وهو محمد بن عبد الوهاب ساكن بلدة أبها وله عدة أبناء.

وكذلك عبد المحسن له عبد العزيز بن عبد المحسن، معتمد المعارف بأبها وعبد الله فيكون نسب الأخير عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن علي بن الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب.

٣ ـ وأما الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن الإمام محمد بن عبد الوهاب فهو ممن رحل مع والده إلى مصر تعلم بها وتوفي فيها.

وخلف بمصر أبناء ثلاثة هم:

١ ـ أحمد الأزجي (أي الصيدلي). ٢ ـ عبد الله ٣ ـ محمد.

فأما أحمد له ذرية وهم:

١ ـ عبد الرحمن حقي ٢ ـ لطيفه.

وأما عبد الرحمن فله ابن اسمه محمد هو رئيس إسعاف العياط بمصر في زمن فاروق وتوفي بمصر في ١٣٧٨/١/٢٣ هـ وله أخت اسمها حنيفة. ومحمد له ابن اسمه أحمد مهندس بمصر.

وأما ذرية الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب فقد عاشوا في مصر كذلك.

وأما محمد بن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، فخرج من مصر إلى الرياض بعد وفاة الإمام فيصل تركي عام ١٢٨٨ هـ

وتزوج بالرياض وله ابنان هما عبد الحميد وعبد اللطيف، فأما عبد الحميد فمات سنة ١٣٣٧ هـ وله ابن هو صالح بن عبد الحميد تولى قضاء الأفلاج ثم أعفي منه وسكن الرياض وكان ينوب عن سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز[١] في إمامة الجامع الكبير. وله ذرية.

وأما عبد اللطيف فله ذرية كذلك[٢].

وفاته رحمه الله:

توفي رحمه الله بمصر سنة ١٢٤٢ هـ[٣] في دار الغربة، فحزن الناس لفقده وصلى عليه صلاة الغائب في جوامع نجد ورثاه علماء نجد.

رحم الله الشيخ عبد الله رحمة واسعة.

---

(١) في أثناء صف هذا الكتاب توفي سماحة شيخنا العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله وخلف على الأمة خيراً.

(٢) انظر علماء الدعوة للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ١٠٠ ـ ١٠١.

(٣) انظر روضة الناظرين وعلماء الدعوة وقد ذكر الشيخ ابن بسام أن وفاته سنة ١٢٤٤ هـ.



الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهد الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد فأنا أذكر لك شيئاً من نسب رسول الله محمد سيد البشر، وشيئاً من أحواله وآياته وأخباره وآدابه إلى أن توفي بالاختصار. وأذكر فيه خلافة الخلفاء الأربعة رضي الله تعالى عنهم.

أما نسبه فهو: أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مَناف ابن قُصَيّ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فِهر بن مالك بن النّضْر بن كنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن الياس بن مُضَر بن نِزار بن معدّ بن عدنان. هذا متفق على صحته[1]، وما فوق عدنان مختلف فيه. ولا خلاف أن عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم. وإسماعيل هو الذبيح، على القول الصحيح، والقول بأنه إسحاق باطل[2].

نسبه ﷺ

ولا خلاف أنه ﷺ ولد بمكة عام الفيل، وكانت وقعة الفيل تقدمة قدمها الله ولادته ﷺ

---

(١) ذكره البخاري في باب مبعث النبي ﷺ ٧/ ١٩٩ فتح الباري وقال البغوي رحمه (ولا يصح النسب فوق عدنان) شرح السنة ١٣/ ١٩٣.

(٢) انظر كلام العلامة ابن القيم رحمه الله ١/ ٧١.

لنبيه وبيته، وإلا فأهل الفيل نصارى أهل كتاب، دينهم خير من دين أهل مكة لأنهم عباد أوثان، فنصرهم الله نصراً لا صنع للبشر فيه، تقدمة للنبي الذي خرج من مكة، وتعظيماً للبلد الحرام.

وولد عليه السلام يوم الإثنين لثمان خلون من ربيع الأول، اختاره [الحميدي وشيخه ابن حزم وهو اختيار أكثر أهل الحديث ونقل عن ابن عباس وجبير بن مطعم][1]. وقيل لعشر منه، وقيل لاثنتي عشرة خلت منه. ونُبِّىء يوم الإثنين لأيام خلت من ربيع الأول ومات لثمان خلون من ربيع الأول.

وفي عبد المطلب يجتمع معه بنو علي وبنو جعفر وبنو عقيل وبنو أبي طالب، وبنو العباس وبنو الحارث وبنو أبي لهب.

وفي عبد مناف يجتمع معه بنو أمية وسائر بني عبد شمس، وبنو المطلب وبنو نوفل.

وفي قُصَيّ يجتمع معه عليه السلام بنو عبد العزَّى وبنو عبد الدار، منهم حَجَبَة الكعبة، ومنهم النضر بن الحارث، ومن بني عبد العزَّى الزُّبير بن العوام وخديجة وورقة بن نوفل.

وفي كلاب يجتمع معه عليه السلام بنو زهرة بن كلاب، وأمه منهم، ومنهم سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف.

وفي مرَّة يجتمع معه عليه السلام بنوتَيم بن مرة وبنو مخزوم بن يَقَظة بن مرة. فمن بني تيم بن مرة أبو بكر الصديق وطلحة بن عبيد الله. ومن بني مخزوم خالد بن الوليد وأبو جهل بن هشام.

وفي كعب يجتمع معه عليه السلام بنو عدّي بن كعب، ومنهم عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد، وبنو جُمَح ومشاهيرهم أمية بن خلف عدوّ رسول الله، وأخوه أبيّ بن خلف مثله في العداوة لرسول الله، وبنو سَهم ومنهم عمرو بن العاص.

وفي لُؤي يجتمع معه عليه السلام بنو عامر بن لؤي، ومنهم عمرو بن عبد ودّ

---

(١) ما بين المعكوفتين بياض في الأصل ونقل عن المواهب اللدنية ١/ ١٤٠ ـ ١٤١.

فارس العرب الذي قتله علي بن أبي طالب، ومنهم سهيل بن عمرو.

وفي غالب يجتمع بنو تيم الأدْرَم، والأدرم الناقص. وفي فهر يجتمع معه بنو محارب وبنوالحارث ابني فهر، ومن بني الحارث بنو الخلج ومنهم أبو عبيدة بن الجراح[1]. وفهر هذا هو أبو قريش كلها، فكل من كان من ولده فهو قرشي، ومن لم يكن من ولده فليس قرشياً.

وفي كنانة يجتمع معه عليه السلام كل من ينتمي إلى كنانة من بني عبد مناة ومَلْكان ومَلْك وعمرو وعامر أولاد كِنانة، فصار من بني عبد مناة بنو بكر ومن بني بكر بنو الدِّيل رهط أبي الأسود الدؤلي، وبنو مدلج وبنو ليث وبنو ضَمْرة. ومن بني الحارث الأحابيش.

وقد قيل: إن النضر بن كنانة هو قريش، والصحيح أنه فهْر بن مالك.

وفي خُزيمة يجتمع معه عليه السلام بنو أسد والقارة، وهم الهون بن خزيمة، فمن الهون عَضل وهي قبيلة أبوهم عضل بن الهون، ومنهم الدَّيش أخو عضل، ويقال لهاتين القبيلتين القارة.

وفي مُدْركة يجتمع معه عليه السلام بنو هُذَيل بن مدركة. ومنهم عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ.

وفي الياس يجتمع معه بنو تميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن الياس، وبنو ضَبة بن أُدّ، والرّباب ومُزَينة، وهم بنو عمرو بن أد، ويقال لهم مزينة نسبة إلى أمهم مزينة ابنة كلب بن وَبَره.

وفي مُضَر يجتمع معه عليه السلام بنو قيس عَيْلان بن مُضَر، وهو بالعين المهملة، قيل إن عيلان فرسه وقيل كلبه، وقد جعل الله لقيس من الكثرة أمراً عظيماً، فمن ولده جميع قبائل غَطَفان بن سعد بن قيس عيلان، وجميع قبائل هَوزان، وسُلَيم ومازن ابنا منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس عيلان، ومن هوازن بنو سعد بن بكر، وبنو كلاب، وبنو كعب، وبنو جُشم بن معاوية بن بكر بن هوازن، ومن جشم

---

(١) أبو عبيدة من بني ضبة بن الحارث، والخلج ينتسبون إلى أخوتهم بني قيس بن الحارث (ق).

دُرَيد بن الصِّمة بن غَزِية بن جشم بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، منهم بنو كعب بن ربيعة وبنو هلال وبنو نمير وبنو جَعْدة وبنو قُشير، وبنو عقيل بن كعب بن ربيعة منهم بنو المُنْتفق بن عامر بن عقيل، ومنهم بنو خفاجة بن عمرو بن عقيل، ومن هوازن بنو سلول وبنو ثقيف بن منبّه بن بكر بن هوازن، ومن قيس عيلان بنو عبس وذبيان، ومن ذبيان بنو فَزارة بن ذبيان بن بغيض، ومنهم عدوان وباهلة، ومن بني سُليم بن منصور رَعْل وذكوان وعصيّة بن خُفاف بن امرىء القيس بن بهثة بن سليم، وزعب بن مالك بن خفاف بن امرىء القيس. وقد قيل إن ثقيفاً من إياد، وقيل من بقايا ثمود. ومن بني ذُبيان النابغة الشاعر المشهور.

وفي نزار يجتمع معه ﷺ بنو ربيعة بن نزار، منهم بنو أسد وضبيعة ابني ربيعة، ومن بني أسد بكر وتغلب وعنز أبناء وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعمى بن جدَيلة بن أسد بن ربيعة، ومنهم بنو عبد القيس بن أفصى والنمر بن قاسط، ومنهم بنو حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، ومنهم بنو عجل بن لجيم، ومن رجال بكر مرة وأبناء همام وجسّاس قاتل كليب، وطَرَفة بن العبد الشاعر. ومن بني تغلب كليب بن ربيعة ملك بني وائل الذي قتله جساس فهاجت بسببه تلك الحرب المعروفة بحرب البسوس بين بني بكر وبني تغلب، ومن ربيعة عنزة بن أسد بن ربيعة فمنهم بنو عنزة وهم أهل خيبر، ومن بني عنزة القارضان، ومن ربيعة سدوس واللهازم.

ويجتمع معه ﷺ أيضاً في نزار بنو إياد بن نزار وبنو أنمار بن نزار، فمن بني إياد كعب بن أمامة الذي يضرب بجوده المثل. وقس بن ساعدة وكان يضرب بفصاحته المثل. والله أعلم[1].

اصطفاء النبي ﷺ

وفي صحيح البخاري[2] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «بُعثتُ من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً، حتى كنت من القرن الذي كنت معه». وفي صحيح مسلم[3] عن

---

(١) انظر في ذلك جوامع السيرة لابن حزم ٧ ـ ٨ ـ ٩.

(٢) رواه البخاري برقم ٣٥٥٧.

(٣) رواه مسلم برقم ٢٢٧٦ والترمذي برقم ١٦٨٤.

واثلة بن الأسقع قال رسول الله ﷺ «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم».

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله خلق الخلق فجعلني في خير فرقتهم وخير الفريقين، ثم تخير القبائل فجعلني في خير القبيلة، ثم تخير البيوت فجعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً» رواه الترمذي[1] وقال: حديث حسن.

وفي حديث رواه الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ﷺ: «إن الله اختار خلقه فاختار منهم بني آدم، ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب، ثم اختارني من العرب، فلم أزل من خيار من خيار، ألا من أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم[2][3].

والد النبي ﷺ

وأما عبد الله أبو رسول الله ﷺ فهو ابن عبد المطلب المذكور. وكان عبد الله أحسن أولاد عبد المطلب وأعفّهم. وكان أبوه يحبه، والأكثر يقولون إنه توفي وهو حمل، وقيل إنه مات ولرسول الله ﷺ شهران، وجميع ما خلفه عبد الله خمسة أجمال وجارية حبشية اسمها بركة وكنيتها أم أيمن، وهي حاضنته.

وأمه عليها السلام آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب.

ولادته مختوناً

ولد عليه السلام لثمان خلون من ربيع الأول، وقيل لعشر، وقيل لاثنتي عشرة، يوم الإثنين وروى البيهقي[4] أنه ﷺ ولد مختوناً[5] مسروراً. قال العباس:

---

(١) رواه الترمذي برقم ٣٦٨٥ والإمام أحمد ١/ ٢١٠ وصححه العلامة أحمد شاكر.

(٢) رواه الطبراني في الكبير رقم ٢٦٧٤ ـ ١٢٦٠٤، وقال الهيثمي: [رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه حماد بن واقد وهو ضعيف لا يعتبر به وبقية رجاله وثقوا].

(٣) فرسول الله ﷺ أكرم الناس وهو سيد ولد آدم وأفضل خلق الله على الإطلاق، وأفضل قدم وطئت الثرى هي قدم المصطفى ﷺ.

(٤) انظر دلائل النبوة جـ ١ ص ١٢٦ وهو خبر لا يصح.

(٥) ذكره ابن سعد في الطبقات ١/ ١٠٣ وأبو نعيم في الدلائل ١/ ١٥٤ ولكنه ضعيف لا يثبت، إن الأصح أن جده هو الذي ختنه كعادة العرب وانظر كلام ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد جـ ١ =

فأعجب عبد المطلب جده وحظي عنده، وقال: ليكونن لهذا شأن. وذكر البيهقي أيضاً أنه لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ ارتجَّ إيوان كسرى وسقط منه أربع عشر شرفة. وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك من ألف عام، وغاضت بحيرة ساوة، وفي سقوط الأربع عشرة شرفة إشارة إلى أنه يملك منهم ملوك وملكات بعدد الشرفات، وقد ملك منهم في أربع سنين عشرة وملك الباقون إلى خلافة عثمان. وروى أحمد وغيره عن العرباض بن سارية عن النبي ﷺ قال «إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته وسوف أنبئكم بتأويل ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وكذلك أمهات النبيين يرين»[1]، وعن ميسرة الضبي قال: قلت يا رسول الله متى كنت نبياً؟ وفي رواية متى كتبت نبياً؟ قال «وآدم بين الروح والجسد» وروى ابن سعد أن أم رسول الله ﷺ قالت: لما ولدته خرج من فرجي نور أضاءت له قصور الشام، وولدته نظيفاً ما به قذر[2]، وإلى هذا أشار العباس بن عبد المطلب في شعره حيث قال:

ما رأته أمه عند ولادته

وأنـتَ لمـا ولـدت أشـرقـت	الأرض وضـاءت بنـورك الأفـق
ونحـن فـي ذلـك الضيـاء وفـي	النـور فسُبْـل الـرشـاد تختـرق

قال في اللطائف[3]: وخروج هذا النور عند وضعه إشارة إلى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الأرض، وزالت به ظلمة الشرك، كما قال تعالى ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ

= ص ٨٢ وانظر صحيح السيرة جـ ١ حاشية رقم ١٤١.

(١) رواه أحمد في المسند ٤/ ١٢٧ وابن حبان ٢٠٩٣ والبغوي في شرح السنة ١٣/ ٢٠٧ والحاكم في المستدرك ٢/ ٤١٨ وصححه ووافقه الذهبي. وانظر السلسلة الصحيحة رقم (١٥٤٦).

(٢) طبقات ابن سعد جـ ١ ص ٩٨.

(٣) لطائف المعارف ص ١٧٣ لابن رجب رحمه الله.

رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ الآية. وأما إضاءة بُصرى بالنور الذي خرج منه فهو إشارة إلى ما خص الشام من نور نبوته، فإنها دار ملكه كما ذكر كعب: إن في الكتب السالفة «محمد رسول الله، مولده بمكة، ومهاجره يثرب، وملكه الشام» ولهذا أسري به إلى الشام إلى بيت المقدس، كما هاجر إبراهيم عليه السلام إلى الشام وبها ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، وهي أرض المحشر والمنشر[1].

رضاع ثويبة

وأرضعته ﷺ ثويبة عتيقة أبي لهب، أعتقها حين بشرته بولادته ﷺ، وقد رؤي أبو لهب بعد موته في النوم فقيل له: ما حالك؟ فقال: في النار، إلا أنه خفف عني كل اثنين، وأمص من بين إصبعيَّ هاتين ماء ـ وأشار برأس إصبعه ـ وإن ذلك بإعتاقي ثويبة عندما بشرتني بولادة النبي ﷺ وبإرضاعها له[2]. قال ابن الجوزي: فإذا كان هذا أبو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمه جوزي بفرحه ليلة مولد النبي ﷺ به فما حال المسلم الموحد من أمته ﷺ يسر بمولده[3]؟ وثويبة مولاة أبي لهب أول من أرضعه بعد أمه بلبن ابنها مسروح، وأرضعت أيضاً مع رسول الله بلبن ابنها مسروح حمزة عمَّ رسول الله، وأبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي. ثم أرضعته ﷺ حليمةُ السعدية.

شق الصدر

وفي السنة الرابعة من مولده ذكر أن الملكين شقا بطنه واستخرجا قلبه وشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء ثم غسلا قلبه وبطنه بالثلج، وقال أحدهما: زنه بعشرة من أمته، فوزنه. ثم ما زال يزيد حتى بلغ الألف، فقال: والله لو وزنته بأمته لوزنها[4].
وروي أنه وقع شق صدره الشريف مرة أخرى عند مجيء جبرائيل له بالوحي في غار

---

(١) فنور الرسالة المحمدية أضاء الله به قلوب العباد وأشرقت به الأرض.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح (٥١٠١).
(٣) يُسَرّ المسلم دون احتفالات بمولده عليه الصلاة والسلام لا كما يفعله أهل البدع اليوم من الاحتفال بمولده وهذا من البدع المحدثة في الدين.
(٤) روى قصة شق صدره ﷺ مختصرة، مسلم في الصحيح ١/ ١٤٧ وذكرها ابن كثير في البداية ٢/ ٢٩٩ وذكر الذهبي صحة ثبوتها في سيرته ص ٤٨ ورواها البيهقي في الدلائل جـ ١ ص ١٣٦.

حراء ومرة أخرى عند الإسراء[١]، وروي الشق أيضاً وهو ابن عشر[٢]. وقد روي أنه ختم بخاتم النبوة بين كتفيه، وأنه يشم منه مسكاً، وأنه مثل زر الحجَلة، ذكره البخاري[٣]، وفي مسلم[٤]: جُمْعٌ عليه خِيلان كأنها الثآليل السود عند نُغض كتفه، وروى: عند غُضروف كتفه اليسرى، وروي الأيمن. وفي مسلم أيضاً[٥]: كبيضة الحمامة، وفي الشمائل[٦]: بضعة ناشزة، وفي الترمذي ودلائل البيهقي[٧]: كالتفاحة، وقوله مثل زر الحجلة بالزاي والراء، والحجلة بالحاء المهملة والجيم، قال النووي[٨]، هي واحد الحجال، وهي بيت كالقبة لها أزرار كبار وعرى، هذا هو الصواب، وقوله «جُمع» بضم الجيم وإسكان الميم أي جمع الكف، وهو صورته بعد أن تجمع الأصابع وتضمها، وقوله خيلان بكسر الخاء وإسكان التحتية، جمع خال، وهو الشامة على الجسد، والنُّغض والناغض أعلى الكتف وفي حديث عتبة بن عبد السلمي عند أحمد والطبراني[٩]: إن الملكين لما شقا صدره قال أحدهما للآخر: خطه، فخاطه، وختم عليه بخاتم النبوة[١٠][١١].

---

(١) لما رواه البخاري (٣٢٠٧) ومسلم ١/ ١٤٧ وأحمد ٣/ ١٢١ والحاكم ٢/ ٦١٦.
(٢) كما روى ذلك أحمد في المسند وابن عساكر.
(٣) رواه البخاري برقم ١٩٠، ٣٥٤٠، ومسلم برقم ٢٣٤٥.
(٤) أخرجه مسلم برقم ٢٣٤٦ وأحمد ٥/ ٨٢.
(٥) رواه مسلم برقم ٢٣٤٤ والترمذي برقم ٣٦٤٧ والطبراني في الكبير ١٩٠٨.
(٦) مختصر الشمائل للألباني برقم ١٩ وقال سنده جيد.
(٧) دلائل النبوة ١/ ٢٥٩.
(٨) شرح مسلم ١٥/ ١٤٣.
(٩) المسند ٤/ ١٨٤ والحاكم في المستدرك ٢/ ٦١٦ والطبراني في الكبير ١٣١ جـ ١٧ وهو حديث صحيح.
(١٠) انظر جميع ما ورد في وصف الخاتم من الروايات في المواهب اللدنية للقسطلاني جـ ١ ص ١٦٠.
(١١) شق صدره عليه الصلاة والسلام وزُكى قلبه حساً وشرح الله صدره معنوياً كذلك قال تعالى ﴿ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك...﴾.

موت أمه عليه الصلاة والسلام

وماتت أمه عليه السلام ولم يستكمل إذ ذاك سبع سنين[١]، حين انصرفت من زيارة أخواله بني النجار، وكانت خرجت به معها ومعه دايته أم أيمن، وقدمت به أم أيمن إلى مكة بعد موتها[٢]، فكفله جده عبد المطلب، ورقَّ عليه رقة لم يرقها على أحد من أولاده، فكان لا يفارقه، وما كان يجلس على فراشه إجلالاً له إلا رسول الله ﷺ، وقدم مكة قوم من بني مدلج من القافة، فلما نظروا إليه قالوا لجده: احتفظ به، فلم نجد قَدَماً أشبه بالقدم الذي في المقام من قدمه[٣]، فقال لأبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء واحتفظ به.

وفاة جده عبد المطلب

وتوفي عبد المطلب في السنة الثامنة[٤] من مولده، وأوصى به إلى أبي طالب. قال ابن إسحاق: وكان عبد المطلب من سادات قريش، محافظاً على العهود، يتخلق بمكارم الأخلاق، يحب المساكين، ويقوم بالحجيج، ويطعم حتى الوحوش والطير في رؤوس الجبال، ويطعم في الأزمان، ويقمع الظالمين[٥].

وأم عبد المطلب سلمى بنت زيد من بني النجار. تزوجها أبو هاشم بن عبد مناف، فخرج إلى الشام وهي عند أهلها وقد حملت بعبد المطلب، فمات بغزة، فولدت عبد المطلب وسمته «شيبة». فلما ترعرع خرج إليه المطلب ليأتي به إلى مكة، فأبت أمه فقال: إنه يلي ملك أبيه، فأذنت له فقدم به مكة، فقال الناس

---

(١) كما رواه ابن سعد في الطبقات جـ ١ ص ١١٦ ورواه ابن إسحاق بسند صحيح كما في سيرة ابن هشام ١/ ٦٨ وهو ابن ست سنين.

(٢) فتجرع عليه الصلاة والسلام مرارة اليتم مرتين بفقد أباه ثم بفقد أمه.

(٣) يقصدون قدم إبراهيم عليه الصلاة والسلام ولما وصف رسول الله ﷺ الأنبياء للصحابة الذين رآهم في المعراج فلما جاء لذكر إبراهيم عليه السلام قال أنه شبيه بصاحبكم يقصد نفسه عليه الصلاة والسلام.

(٤) رواه ابن إسحاق بإسناد مرسل ورواه الأزرقي في تاريخ مكة بسند حسن ١/ ٣١٤، وله شاهد عند البيهقي في الدلائل وسنده صحيح ٢/ ٢٢.

(٥) لكنه على ملة الشرك كما قال أبو طالب: أنا على ملة عبد المطلب، يقصد الشرك فلم يمتثل لقول لا إله إلا الله.

هذاعبد المطلب، فقال: ويحكم إنما هو ابن أخي هاشم، فولي عبد المطلب ما كان يلي أبوه، وأقام لقومه ما أقام آباؤه، وشرف فيهم شرفاً لم يبلغه أحد من آبائه، وأحبوه، وعظم خطره فيهم. وكان له أولاد عشرة، أكبرهم الحارث توفي في حياة أبيه، وأسلم من أولاد الحارث يوم بدر ربيعة وأبو سفيان وهو عبد الله. ومنهم الزبير بن عبد المطلب شقيق عبد الله، ولم يدرك الإسلام، وأسلم من أولاده عبد الله وضباعة، ومنهم أبو طالب واسمه عبد مناف وقيل إنه شقيق عبد الله وحضر الإسلام ولم يسلم وله من الولد طالب وعقيل وجعفر وعلي، وبين كل واحد (وأخيه) عشر سنين، أكبرهم طالب ثم عقيل ثم جعفر ثم علي. ومنهم أبو لهب مات عقيب بدر، وله من الولد عتيبة الذي دعا عليه النبي ﷺ فقتله السبع، وله عتبة ومعتب أسلما يوم الفتح ومنهم حمزة والعباس.. أسلما رضي الله عنهما. ومن أولاد عبد المطلب عبد الله أبو النبي ﷺ، ولم يولد لأبيه وأمه غيره ﷺ فيما ذكر. وله من البنات ست: البيضاء أم حكيم تزوجها كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس فولدت له عامراً أبا عبد الله بن عامر الجواد المشهور، وبنات منهن أروّى تزوجها عفان بن أبي أمية فولدت له عثمان بن عفان، ثم خلفه عليها عقبة بن أبي مُعيط فولدت له الوليد، وعاشت إلى خلافة ابنها عثمان، ومنهن بَرّة أم أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، ومنهن عاتكة أم عبد الله بن أبي أمية واختلف في إسلامها، ومنهن صفية أم الزبير أسلمت وهاجرت، وأروى أم آل حبيش عبد الله وأبي أحمد وعبيد الله وزينب وحمنة.

أولاد عبد المطلب

كفالة عمه أبو طالب

ومات جده عبد المطلب وله ثمان سنين ـ وقيل أكثر ـ وله من العمر عشر ومائة سنة، وكفله عمه أبو طالب، وكان عبد المطلب قد أوصاه بذلك لكونه شقيق عبد الله. قال الواقدي: أقام أبو طالب من سنة ثمان من مولد رسول الله ﷺ إلى السنة العاشرة من النبوة ثلاثاً وأربعين سنة يحوطه ويقوم بأمره ويذبُّ عنه ويلطف به[1]،

(١) وهذا من لطف الله به عليه الصلاة والسلام فسخر له عمه وهو على غير دينه يحوطه وينصره وصدق رسول الله ﷺ عندما قال إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر) رواه البخاري برقم ٣٠٦٢.

وقد أَخرج ابن عساكر[1] عن جُلهمة بن عرفطة قال: قدمتُ مكة وهم في قحط، فقالت قريش: يا أبا طالب أقحط الوادي وأجدب العيال، فهلم فاستسق. فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتماء حوله أغيلمة، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ بإصبعه الغلام وما في السماء قُزَعة، فأقبل السحاب من ههنا وههنا وأغدق وأغدودق، وانفجر الوادي وأخصب النادي والبادي، وفي ذلك يقول أبو طالب:

وأبيض يُستسقى الغمامُ بوجه ... ثِمال اليتامى عصمة للأرامل[2]

والثمال بكسر المثلثة: الملجأ والغياث، وقيل المطعم في الشدة، وعصمة للأرامل أي يمنعهم من الضياع والحاجة. والأرامل المساكين من رجال ونساء[3].

خروجه إلى الشام وقصة بحيرا

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة ومع جده عبد المطلب في كلاءة الله وحفظه، وينبته الله نباتاً حسناً لما يريد به من الكرامة. ولما بلغ رسول الله ﷺ اثنتي عشرة سنة خرج مع عمه أبي طالب حتى بلغ بُصرى فرآه بحيرا الراهب - واسمه جرجيس - فعرفه بصفته، فقال وهو آخذ بيده: هذا سيد العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين. فقال: وما علمك بذلك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا وخر ساجداً، ولا تسجد إلا لنبي. وإني أعرفه بخاتم النبوة في أسفل غضروف كتفه مثل التفاحة، وإنا نجده في كتبنا. وسأل أبا طالب أن يردَّه خوفاً عليه من اليهود. الحديث رواه ابن أبي شيبة[4]، وفيه أنه أقبل عليه الصلاة والسلام وعليه غمامة تظلله، ثم خرج ﷺ مرة أخرى، ومعه ميسرة غلام خديجة في تجارة لها، حتى بلغ سوق بصرى وله إذ ذاك خمس وعشرون سنة، فنزل تحت ظل شجرة، فقال نسطور الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي، وكان ميسرة يرى في

---

(١) انظر مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر لابن منظور جـ ٢ ص ١٦١.

(٢) القصيدة هي اللامية وستأتي وقد علق البخاري هذا البيت في صحيحه برقم ١٠٠٩.

(٣) وهذا من بركته عليه الصلاة والسلام.

(٤) أخرجه الترمذي برقم ٥/ ٣٦٢٤ والحاكم ٢/ ٦١٦ وابن أبي شيبه في المصنف ١٨٣٩ وصححه الألباني انظر صحيح الترمذي وحاشيته على فقه السيرة.

الهاجرة ملكين يظلانه من الشمس، فلما رجعوا إلى مكة ساعة الظهيرة وخديجة في علية لها رأت رسول الله ﷺ وهو على بعيره وملكان يظلانه. ذكره أبو نُعيم[1].

زواجه بخديجة رضي الله عنها

وتزوج رسول الله ﷺ خديجة بعد ذلك، وكانت تحت أبي إهالة بن زرارة التميمي ثم تزوجها عتيق بن عائذ المخزومي فولدت له هنداً[2]، وكانت لها حين تزويجها برسول الله ﷺ من العمر أربعون سنة، فولدت لرسول الله ﷺ بنين وبنات، وكل أولاده من خديجة. حاشا إبراهيم فإنه من مارية القبطية، فالذكور من ولده: القاسم ـ وبه كان يكنى ـ وهو أكبر ولده عاش أياماً يسيرة، ولد قبل النبوة. وولدان آخران اختلف في اسمهما، وعبد الله والطيب والطاهر، وأما إبراهيم فولد له بالمدينة وعاش عامين غير شهرين ومات قبل موته عليه السلام بثلاثة أشهر يوم كسوف. وبناته عليه السلام أربع: زينب تزوجها أبو العاص بن الربيع، وكانت خديجة خالته، ومات أبو العاص في خلافة عمر وولدت له علياً مات مراهقاً، وأمامة تزوجها علي رضي الله عنه بعد فاطمة ولم تلد له، ومات عنها فتزوجها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب فماتت عنده ولم تلد له، وماتت زينب في حياة أبيها ﷺ. ولرسول الله ﷺ أيضاً رقَيّة وتزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه ولم يكن لها زوج غيره، فولدت له ابناً مات وله أربع سنين، ثم ماتت رقية بعد بدر بنحو ثلاث أيام، وكان له عليه السلام فاطمة وتزوجها علي بن أبي طالب، فولدت الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم وابناً مات صغيراً اسمه المحسن رضي الله عنه، فتزوج زينب عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فولدت له علي بن عبد الله له عقب، وتزوج أم كلثوم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وماتت فاطمة بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر. وكان لرسول الله ﷺ أيضاً أم كلثوم وهي أصغر بناته كانت مملكة بعتبة بن أبي لهب فلم يدخل بها وطلقها، فتزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه فماتت عنده في حياة رسول الله ولم تلد له.

---

(١) روى ذلك بأسانيد ولكنها لا تثبت انظر دلائل النبوة ١/ ١٧٢ وفي سنده الواقدي.

(٢) ذكره ابن سعد في الطبقات ٨/ ١٤ وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله أن الأول هو عتيق بن عائذ في فتح الباري جـ ٦ ص ١٦٧.

فضل خديجة رضي الله عنها

وخديجة أول امرأة تزوجها، وأول امرأة ماتت من نسائه ولم ينكح عليها غيرها، وأمره جبريل أن يقرأ عليها السلام من ربها[1]، ثم حبب إليه الخلوة والتعبد لربه فكان يخلو بغار حراء يتعبد فيه، وبُغضت إليه الأوثان ودين قومه فلم يكن شيء أبغض إليه من ذلك، وأنبته الله نباتاً حسناً حتى كان أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقاً وأعزهم جواراً وأعظمهم حلماً وأصدقهم حديثاً حتى سماه قومه «الأمين» لما جمع الله فيه من الأحوال الصالحة والخصال المرضية. ولما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وثلاثين سنة قامت قريش في بناء الكعبة[2].

قصي بن كلاب

قال أهل السيرة: كان أمر البيت وولايته بعد إسماعيل عليه السلام إلى ولده، ثم غلبهم أخوالهم من جُرهم، فلم يزل في أيديهم حتى استحلوا حرمته وأكلوا ما يهدى إليه وظلموا من دخل مكة فرقّ أمرهم، فلما رأت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وغبشان من خزاعة ذلك أجمعوا لحربهم وإخراجهم من مكة، فآذنوهم بالحرب فاقتتلوا وغلبتهم بنو بكر وغبشان فنفوهم من مكة، وكانت مكة في الجاهلية لا يقر فيها ظلم ولا بغي، ولا يبغي فيها أحد إلا أخرجهم الله منها، ولا يريدها ملك يستحل حرمتها إلا هلك مكانه، فيقال ما سميت بكة إلا أنها تبك أعناق الجبابرة إذا أحدثوا فيها. ثم إن غبشان من خزاعة وليت دون بني بكر، وكان الذي يليه منهم عمرو بن الحارث الغبشاني وقريش إذ ذاك حلول وصرم وبيوتات متفرقون في قومهم من بني كنانة، فوليت خزاعة البيت يتوارثونه كابراً عن كابر حتى كان آخرهم حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة (وهو لحيّ الخُزاعي).

ثم إن قُصَيّ بن كلاب خطب إلى حليل ابنته، فرغب فيه فزوجه، فولدت عبد الدار وعبد مناف وعبد العُزَّى وعبداً. فلما انتشر ولد قصي وكثر ماله وعظم

---

(١) كما ثبت في البخاري (٣٨٢٠) عن أبي هريرة قال أتى جبريل النبي ﷺ فقال يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه أدم أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فأقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب».

(٢) كما في المصنف لعبد الرزاق ٥/ ١٠٢ ولفظه «وكان بين بنيان الكعبة وبين ما أنزل الله خمس سنين» انظر البداية والنهاية ٢/ ٣٢٤.

شرفه هلك حليل، فرأى قصي أنه أولى بالكعبة وبأمر البيت من خزاعة وبني بكر، وأن قريشاً صريح آل إسماعيل، فكلم رجالاً من قريش وبني كنانة ودعاهم إلى إخراج خُزاعة وبني بكر من مكة فأجابوه، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، ثم تداعوا إلى الصلح فحكموا عمرو بن عوف أحد بني بكر، فقضى بينهم أن قصياً أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة وكل دم أصابه منهم قصي موضوع تحت شدخه، وما أصابت خزاعة وبنو بكر ففيه الدية، وأن يخلى بين قصي وبين الكعبة ومكة. فوليها قصي، وجمع قومه من منازلهم إلى مكة، وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه، إلا أنه أقر للعرب ما كانوا عليه، وذلك أنه كان يراه ديناً في نفسه: فأقر آل صفوان على الإجازة بالناس، قال ابن إسحاق: فكان صفوان هو الذي يجيز للحج من عرفة ثم بنوه من بعده، حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام كرب بن صفوان، وأقر عدوان وكانت فيهم الإفاضة من مزدلفة يتوارثون ذلك كابراً عن كابر حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام أبو سيارة، وأقر النسأة ومرة بن عوف على ما كانوا عليه، حتى جاء الإسلام فهدم ذلك كله فكان قصي أول بني كعب بن لؤي أصاب ملكاً أطاع له به قومه، فكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء، وقطع مكة رباعاً بين قومه فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة. وقيل إن قريشاً هابوا قطع شجر الحرم في منازلهم فقطعها قصي بيده وأعوانه، فسمته قريش «مجمعاً» لما جمع من أمرها، وتيمنت بأمره فما تنكح امرأة ولا يزوج رجل من قريش ولا يتشاورون في أمر نزل بهم ولا يعقدون لواء لحرب غيرهم إلا في داره يعقده لهم بعض ولده، وما تدرع جارية إذا بلغت أن تدرع إلا في داره يشق عليها فيها مدرعها ثم تدرعه ثم ينطلق بها إلى أهلها، فكان أمره في قومه في حياته وبعد موته كالدين المتبع.

اتخاذ دار الندوة

واتخذ لنفسه (دار الندوة) وجعل بابها إلى مسجد الكعبة، ففيها كانت قريش تقضي أمورها. قال السهيلي: ولفظها مأخوذ من لفظ الندى، والنادي والمنتدى هو مجلس القوم الذين يندون حوله أي يذهبون قريباً منه ثم يرجعون، وهذه الدار تصيّرت من بني عبد الدار إلى حكيم بن حزام بن خُويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصي، فباعها في الإسلام بمائة ألف درهم وذلك في زمن معاوية، فلامه معاوية على ذلك وقال: بعت مكرمة آبائك وشرفهم. فقال حكيم: ذهبت المكارم إلا التقوى،

والله لقد اشتريتها في الجاهلية بزق خمر وبعتها بمائة ألف درهم وأشهدكم أن ثمنها في سبيل الله، فأينا المغبون[1]؟ ذكر هذا الخبر الدارقطني في أسماء رجال الموطأ له، انتهى[2].

فلما كبر قصي، وكان عبد الدار بكره، وكان عبد مناف قد شرف في زمان أبيه وعبد العزى وعبد، قال قصي لعبد الدار: أما والله يا بني ولألحقنك بالقوم وإن شرفوا عليك، لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها له، ولا يُعقد لقريش لواء لحربها إلا بيدك، ولا يشرب رجل من مكة إلا من سقايتك، ولا يأكل أحد من أهل الموسم إلا من طعامك، ولا تقطع قريش أمراً من أمورها إلا في دارك. فأعطاه الحجابة واللواء والسقاية والرفادة. وكانت الرفادة خرجاً تخرجه قريش في كل موسم من أموالها إلى قصي بن كلاب فيصنع به طعاماً للحجاج فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد، وذلك أن قصياً فرض على قريش فقال لهم: يا معشر قريش، إنكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم، وإن الحجاج ضيف الله وزوار بيته، وهم أحق الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيام الحج حتى يصدروا عنكم، ففعلوا[3]. فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجاً فيدفعونه إليه، فيصنع به طعاماً للناس أيام منى، فجرى ذلك من أمره في الجاهلية حتى قام الإسلام، ثم جرى في الإسلام، فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينقضي الحج.

وكان قصي لا يخالَف ولا يُردّ عليه شيء صنعه، فلما هلك أقام بنوه أمره لا نزاع بينهم. ثم إن بني عبد مناف أرادوا أخذ ما بيد بني عبد الدار وأنهم أولى بذلك، فتفرقت قريش بعضهم مع بني عبد مناف وبعضهم مع عبد الدار، فعقد كل قوم حلفاً

---

(١) المسلم لا يفتخر بالتراب والطين وبما كان عليه الآباء والأجداد ويحتفظ به، بل فخره وعزه وكرمه بتقوى الله.

(٢) انظر الروض الأنف جـ ٢ ص ٥٥ والخبر رواه الطبراني في الكبير برقم ٣٠٧٣ قال في المجمع (٣٨٤١٩) رواه الطبراني بإسنادين أحدهما حسن.

(٣) وهذا مما كان في الجاهلية من كريم الأخلاق والخصال.

مؤكداً على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً ما بلَّ بحرٌ صوفة. فأخرج بنو عبد مناف حفنة مملوءة طيباً، أخرجتها لهم بعض نسائهم، فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة، فسموا المطيّبين. ثم تداعوا للصلح على أن يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار. ورضي كل واحد من الفريقين بذلك، وثبت كل قوم مع من حالفوا، حتى جاء الله بالإسلام فقال رسول الله ﷺ «ما كان من حلف في الجاهلية فإن الإسلام لم يزده إلا شدة»[1].

حلف الفضول

وأما (حلف الفضول) فقال ابن إسحاق: اجتمعوا له في دار عبد الله بن جُدْعان، وكان أكرم حلف سمع به في العرب وأشرفه. وكان أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب، وكان سببه أن رجلاً من زبيد قدم مكة ببضاعة، واشتراها منه العاص بن وائل ـ وكان ذا قدر بمكة وشرف ـ فحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الزبيديُّ الأحلاف: عبدَ الدار ومخزوماً وجُمْحاً وسهماً وعدياً، فأبوا أن يعينوه على العاص بن وائل، فعلا جبل أبي قبيس ـ وقريش في أنديتهم حول الكعبة ـ فنادى بشعر يصف فيه ظلامته رافعاً صوته، فمشى في ذلك (الزبير بن عبد المطلب) وقال: ما لهذا مترك. فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار ابن جُدعان، فصنع لهم طعاماً وتحالفوا في ذي القعدة في شهر حرام قياماً، فتعاهدوا وتعاقدوا بالله ليكوننَّ يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى إليه حقه ما بلَّ بحرٌ صوفة. فسمت قريش ذلك الحلف «الفضول» وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر. ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه. وقال الزبير بن عبد المطلب:

إن الفضول تحالفوا وتعاقدوا ... ألا يقيم ببطن مكة ظالم
أمر عليه توافقوا وتعاقدوا ... فالجار والمغترُّ فيهم سالم[2]

---

(١) رواه مسلم برقم ١٩٦١ وأحمد ٤/ ٨٣ من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه ورواه أحمد والدرامي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه ابن سعد مختصراً عن الواقدي ١/ ١٢٨ وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٢/ ٣١٥ بدون سند.

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمي أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف يقول: قال رسول الله ﷺ «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت»[1][2]. وعبد الله بن جدعان هذا تيمي يكنى أبا زهير، ابن عم عائشة، ولذلك قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله ابن جدعان كان يطعم الطعام، ويقري الضيف، فهل ينفعه ذلك يوم (الدين)؟ فقال «لا، لأنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين» أخرجه مسلم[3]، وفي غريب الحديث[4] لابن قتيبة أن رسول الله ﷺ قال: «كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان في صَكّة عُمَى[5] يعني في الهاجرة»[6].

ولاية هاشم بن عبد مناف

قال ابن إسحاق[7] فولى السقاية والرفادة هاشم بن عبد مناف، وذلك أن عبد شمس كان سفاراً قلما يقيم بمكة، وكان مُقِلاً ذا ولد، وكان هاشم موسراً، وكان هاشم أول من سن الرحلتين لقريش: رحلة الشتاء والصيف. وأول من أطعم الثريد بمكة، وكان اسمه عمرو فما سمي هاشماً إلا لهشم الخبز بمكة لقومه. قال الشاعر[8]:

عمرو العلا هشم الثريد لقومه　　　قـومٍ بمكـة مسنتيـن عجـافِ

---

(١) رواه الحميدي كما ذكره ابن كثير عنه في البداية والنهاية ٢/ ٣١٥ ورواه أحمد ١/ ١٩٠ والبخاري في الأدب المفرد ٥٦٧ والحاكم ٢/ ٢١٩ والبيهقي في السنن الكبرى ٦/ ٣٦٦ وفي دلائل النبوة ١/ ٣٨ وانظر كلام الألباني على صحة الحديث وثبوته في السلسلة الصحيحة برقم (١٩٠٠).

(٢) نصر المظلوم ودفع الظلم عنه وردع الظالم مما جاءت به الشريعة (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) وقال عليه الصلاة والسلام (لا قدست أمة لا يؤخذ فيها حق الضعيف غير متتعتع).

(٣) رواه مسلم برقم ٣٦٥ وأحمد في المسند ١/ ٤١٧، ٥/ ٢٧.

(٤) انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣/ ٤٣.

(٥) الصكة من الاصطكاك، أي الازدحام إجابة لدعوة ابن جدعان. وعمى اسم رجل من عدوان كان يفيض بالناس عند الهاجرة (ق) وقيل أن الصكة شدة الحر.

(٦) انظر الروض الأنف جـ ٢ ص ٧٧ ترجمة عبد الله بن جدعان.

(٧) انظر السيرة لابن هشام جـ ١ ص ١٥٦ ـ ١٥٧.

(٨) عبد الله بن الزبعري.

ولاية المطلب وعبد المطلب

قال ابن اسحاق: ثم هلك هاشم بغزة من أرض الشام تاجراً، فولى السقاية والرفادة من بعده المطلب بن عبد مناف، وكان أصغر من عبد شمس وهاشم وكان ذا شرف في القوم وفضل، وكانت قريش تسميه «الفياض» لسماحته. ثم هلك المطلب ثم ولي عبد المطلب السقاية والرفادة بعد عمه المطلب، فأقامهما للناس، وأقام لقومه ما أقام آباؤه وشرف في قومه شرفاً لم يبلغه أحد من آبائه[١].

حفر زمزم

ثم إن عبد المطلب أُتيَ في المنام وأمر بحفر زمزم، وذلك لأن الجرهمي عمرو بن الحارث لما أحدث قومه بحرم الله وقيض الله من أخرجهم من مكة فعمد عمرو إلى نفائس (الكعبة) فجعلها في زمزم وبالغ في طمها، وفر إلى اليمن، فأتى عبد المطلب في المنام وأمر بحفرها، ووُصف له موضعها بعلامات وإمارات، ففعل ذلك، فغدا بمعوله ومعه الحارث ابنه، ليس له يومئذ ولد غيره، فحفر فيها. فلما بدا لعبد المطلب الطي كبَّر، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته فقالوا: يا عبد المطلب، إنها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقاً، فأشركنا فيها. قال ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر قد خُصصت به دونكم. فخاصموه إلى كاهنة بني سعد[٢]. وقيل أنه لما حفر وجد فيها غزالين من ذهب وأدراعاً وأسيافاً، فقالت قريش: يا عبد المطلب، لنا معك في هذا شرك وحق، قال لا، وهلم إلى أمر نَصَف بيني وبينكم، نضرب عليها بالقداح. قالوا: وكيف تصنع؟ قال أجعل للكعبة قدْحين ولي قدحين ولكم قدحين، فمن خرج قدحاه على شيء كان له، ومن تخلف قدحاه فلا شيء له. فقالوا: أنصفت. فجعل قدحين أصفرين للكعبة، وقدحين أسودين لعبد المطلب، وقدحين أبيضين لقريش، ثم أعطوا صاحب القداح الذي يضرب عليها عند هبل، وقام عبد المطلب يدعو، وضرب صاحب القداح فخرج الأصفران على الغزالين، وخرج الأسودان على الأسياف والأدرع لعبد المطلب، وتخلف قدحا قريش. فضرب

---

(١) انظر السيرة لابن هشام جـ ١ ص ١٥٨ ـ ١٥٩.

(٢) قصة حفر عبد المطلب لزمزم رواها ابن إسحاق والبيهقي عنه في الدلائل. عن علي بن أبي طالب وهي صحيحة انظر (السيرة الذهبية للطرهوني ص ٢٦٧ جـ ١).

عبد المطلب الأسياف باباً للكعبة وضرب في الباب الغزالين من ذهب، فكان أول ذهب حليت به الكعبة فيما يزعمون.

نذر عبد المطلب

ثم إن عبد المطلب جعل سقاية زمزم للناس، فنذر لله لئن آتاه الله عشرة من الولد يمنعونه لينحرن أحدهم عند الكعبة، فلما توافى بنوه عشرة وعرف أنهم يمنعونه جمعهم فأخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء. فأطاعوه وقالوا: كيف نصنع؟ قال: ليأخذ كل رجل منكم قدحاً ثم يكتب فيه اسمه ثم أتوني. ففعلوا. فدخل بهم على هُبل فقال عبد المطلب لصاحب القداح: اضرب على بنيَّ هؤلاء بقداحهم هذه، وأخبره بنذره، فأعطاه كل رجل منهم قدحه الذي فيه اسمه، وكان عبد الله بن عبد المطلب أحب ولده إليه، فكان يرى أن السهم إذا أخطأ فقد أشوى[١]: فلما أخذ صاحب القداح القداح ليضرب بها قام عبد المطلب عند هبل يدعو الله، ثم ضرب صاحب القداح فخرج على عبد الله، فأخذه بيده وأخذ الشفرة ثم أقبل على أساف ونائلة ليذبحه[٢]، فقامت إليه قريش من أنديتها فمنعوه، وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ـ وكان عبد الله ابن أخت القوم ـ والله لا تذبحه حتى تعذر فيه أبداً، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه. ثم أتو عرّافة فسألوها. فقالت كم الدية فيكم؟ قالوا عشرة من الإبل. وكانت كذلك. قالت: فارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشرة من الإبل ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح، فان خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم. فقام عبد المطلب يدعو الله، ثم قربوا عبد الله وقربوا عشراً من الإبل، وعبد المطلب عند هبل يدعو الله، فضربوا فخرج القدح على عبد الله، فلم يزالوا يزيدون عشرا عشرا والقدح يخرج على عبد الله إلى أن بلغوا مائة من الإبل، وقام عبد المطلب يدعو الله فخرج القدح على الإبل، ثم أعادوا الثانية فخرج على الإبل، ثم أعادوا الثالثة فضربوا فخرج على الإبل، فنحرت وتركت لا

(١) رمى فأشوى: أي لم يصب الهدف (ق).
(٢) أساف ونائلة: صنمان كانا عند الصفا والمروة (ق).

يصدُّ عنها إنسان ولا يمنع[1]، فجرت الدية في قريش والعرب مائة من الإبل، وأقرها رسول الله ﷺ في الإسلام. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا ابن الذبيحين»[2] يعني إسماعيل وأباه عبد الله. وروى الحاكم في المستدرك أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ يسأله فقال: يا ابن الذبيحين، فتبسم النبي ﷺ ولم ينكر عليه[3].

بناء الكعبة

وقد كان السيل هدم الكعبة فسرق منها لما انهدمت غزال من ذهب وحلي وجوهر فنقضتها قريش، وكان في حيطانها صور كثيرة بأنواع الأصناف عجيبة، منها صورة إبراهيم عليه السلام في يده الأزلام، ويقابلها صورة ابنه إسماعيل على فرس مخبر، وبعد هذه الصور صور كثيرة من أولادهم إلى قصي بن كلاب وغيره في نحو ستين صورة، في كل واحدة من تلك الصور آلة صاحبها وكيفية عبادته وما اشتهر من فعله. ولما بنت قريش الكعبة[4] ورفعت سمكها وتأتّى لها ما أرادت في بنائها من الخشب الذي ابتاعوه من السفينة التي رمى بها البحر إلى ساحله التي بعث بها ملك الروم من القُلزُم من بلاد مصر إلى الحبشة ليبني بها هناك كنيسة، وانتهوا إلى موضع الحجر على ما ذكرنا، وتنازعوا أيهم يضعه، اتفقوا على أن يرتضوا بأول من يطلع عليهم من باب بني شيبة، فكان أول من ظهر لأبصارهم النبي ﷺ من ذلك الباب، وكانوا يعرفونه بالأمين لوقاره وهديه وصدق لهجته واجتنابه القاذورات والأدناس، فحكَّموه فيما تنازعوا فيه، وانقادوا لقضائه، فبسط ما كان عليه من رداء ـ وقيل كساء ـ وأخذ ﷺ الحجر فوضعه في وسطه. ثم قال لأربعة رجال من قريش وأهل الرياسة فيهم والزعماء منهم، وهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف،

---

(١) أخرجه ابن جرير في التاريخ بسند حسن عن ابن عباس (انظر السيرة الذهبية ص ٢٦١ جـ ١).

(٢) لا أصل له بهذا اللفظ.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٥١ وسكت عليه وضعفه الذهبي بقوله إسناده واه، وقال ابن كثير حديث غريب جداً وضعفه العلامة الألباني في الضعيفة جـ ١ ص ٢٣٦.

(٤) قصة بناء قريش للكعبة رواها الأزرقي في أخبار مكة وسند هذه الرواية حسن، وانظر تفاصيل القصة في سيرة ابن اسحاق ٨٣ وسيرة ابن هشام جـ ١، ٢١٨ والروض الأنف جـ ٢، ٢١٤، والطبقات جـ ١، ١٤٥، وتاريخ الإسلام جـ ١، ٦٦ ودلائل النبوة للبيهقي جـ ٢، ٤٣ ولأبي نعيم جـ ١، ١٧٥.

والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وأبو حذيفة بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم، وقيس بن عمرو بن مخزوم، وقيس بن عدي السهمي: ليأخذ كل واحد منكم بجنبة من جنبات هذا الرداء، فشالوه حتى ارتفع من الأرض وأدنوه من موضعه، فأخذ ﷺ الحجر ووضعه مكانه[1]، وقريش كلها حضور، فكان ذلك أول ما ظهر من فعله وقضاياه وأحكامه، فقال قليل ممن حضر من قريش تعجبا من فعلهم وانقيادهم إلى أصغرهم سنا: واعجبا لقوم أهل شرف ورياسة وشيوخ وكهول عمدوا إلى أصغرهم سناً وأقلهم مالاً فجعلوه رأساً حاكماً، أما واللات والعزى ليفوتنهم سبقا، وليقسمن بينهم حظوظاً وجدودا، وليكونن له بعد هذا اليوم شأناً ونبأ عظيماً[2]، وكان رسول الله ﷺ ينقل معهم الحجارة وكانوا يرفعون أزرهم على عواتقهم، ففعل ذلك رسول الله ﷺ فلبط به ـ أي طاح على وجهه ـ ونودي: استر عورتك، فما رؤيت له عورة بعد ذلك[3]. فلما بلغ خمسة عشر ذراعاً سقفوه على ستة أعمدة. وكان البيت يكسي القباطي، ثم كسي البرود، ثم كسي الديباج. وأخرجت قريش الحِجْر لقلة نفقتهم، ورفعوا بابها عن الأرض لئلا يدخلها إلا من أرادوا، وكان إذا أراد أن يدخلها من لا يريدون تركوه حتى يبلغ الباب ثم يرمونه[4].

مراحل بناء الكعبة

وقال ابن إسحاق: إنها كانت قبل ذلك رضماً فوق القامة. قال السهيلي[5]: والرضم أن تنضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط. وقوله «فوق القامة» كلام غير مبين لمقدار ارتفاعها إذ ذاك. وذكر غيره أنها كانت تسع أذرع من عهد إسماعيل، ولم يكن لها سقف، فلما بنتها قريش قبل الإسلام زادوا فيها تسع أذرع، قال: وكان بناؤها في الدهر خمس مرات: الأولى حين بناها شيث بن آدم، والثاني

(١) رواه بمعناه أحمد ٣/ ٤٢٥ والحاكم ٣/ ٤٥٨، ورواه الطيالسي في المسند ١٨ من حديث علي

(٢) وقد فاق النبي ﷺ فوق ما وصف فشرفه الله بالرسالة وأنعم عليه بالنبوة.

(٣) كما في صحيح البخاري رحمه الله برقم ٢٣٦٤، ١٥٨٢، ٣٨٢٩ ورواه مسلم برقم ٧٦.

(٤) كما في حديث عائشة رضي الله عنها في صحيح البخاري رحمه الله الآتي وهو في البخاري برقم ١٥٨٦ ومسلم رقم ١٣٣٣.

(٥) انظر الروض الأنف جـ ٢ ص ٢٦٤.

حين بناها إبراهيم على القواعد الأولى[1]، والثالثة حين بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام، والرابعة حين احترقت في عهد ابن الزبير بشرارة طارت من أبي قبيس فوقعت في أستارها فاحترقت. وقيل إن امرأة أرادت تجمرها فطارت شرارة من المجمرة في استارها فاحترقت فشاور ابن الزبير في هدمها من حضره، فهابوا هدمها وقالوا: نرى أن تصلِّح ما وهي، لا تهدم. فقال: إن دار أحدكم إذا احترقت لم يرض إلا بأكمل صلاحها إلا بهدمها، فهدمها حتى أفضى إلى قواعد إبراهيم، فأمرهم أن يزيدوا في الحفر، فحركوا حجراً منها فرأوا تحته ناراً وهولاً أفزعهم، فأمروا أن يقروا القواعد وأن يبنوا من حيث انتهى الحفر، وفي الخبر أنه سترها حين وصل إلى القواعد فطاف الناس بتلك الأستار. فلم تخل قط من طائف. حتى لقد ذكر أن يوم قتل ابن الزبير اشتدت الحرب واشتغل الناس فلم يُرَ طائف يطوف بالكعبة إلا جمل يطوف بها، فلما استقم بنيانها ألصق بابها بالأرض، وعمل لها خلفاً ـ أي باباً آخر من ورائها ـ وأدخل الحجر فيها، وذلك لحديث حدثته به خالته عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال «ألم ترى أن قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا على قواعد إبراهيم حين عجزت بهم النفقة» ثم قال «لولا حدثان قومك بالجاهلية لهدمتها وجعلت لها خلفاً وألصقت بابها بالأرض وأدخلت فيها الحجر»[2]، أو كما قال عليه الصلاة والسلام. قال: ابن الزبير فليس بنا اليوم عجز عن النفقة، فبناها على مقتضى حديث عائشة[3]، فلما قام عبد الملك بن مروان قال: لسنا من تخليط أبي خُبيب، فهدمها وبناها على ما كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ، فلما فرغ من بنائها جاءه الحارث بن أبي ربيعة المعروف بالقناع، وهو أخو عمر بن أبي ربيعة الشاعر ومعه رجل آخر، فحدثه عن عائشة بالحديث المتقدم، فندم وجعل ينكث في الأرض بمخصرة في يده ويقول: وددت أني تركت أبا خبيب وما تحمل من ذلك. فهذه المرة الخامسة. فلما قام أبو جعفر المنصور أراد أن يبنيها على ما بناها ابن الزبير فشاور في ذلك فقال له مالك بن أنس:

---

(١) والصحيح الثابت أن أول بناء للبيت على يد نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

(٢) رواه البخاري برقم ١٥٨٤، ١٥٨٥.

(٣) رواه البخاري برقم ١٥٨٦.

أنشدك الله يا أمير المؤمنين، ولن يجعل الله هذا البيت ملعبة للملوك من بعدك لا يشاء أحد منهم أن يغيره إلا غيره، فتذهب هيبته من قلوب الناس، فصرفه عن رأيه فيه[1].

وكانت الكعبة قبل أن يبنيها شيث خيمة من ياقوتة حمراء يطوف بها آدم ويأنس بها، لأنها أنزلت إليه من الجنة، وكان قد حج إلى موضعها من الهند، وقد قيل أيضاً: إن آدم أول من بناها، ذكره ابن إسحاق في غير رواية البكائي. وذكر ابن إسحاق أن الماء لم يعلها حين الطوفان. ويذكر أن يعرُب قال لهود عليه السلام: ألا نبنيه؟ قال: إنما يبنيه نبي كريم يأتي من بعدي يتخذه الرحمن خليلاً. فلما نضح ماء الطوفان كان مكان البيت ربوة من مدرة وحج إليه هود وصالح ومن آمن معهما وهو كذلك. فلما بعث الله إبراهيم ونبت إسماعيل بمكة أمر إبراهيم ببناء الكعبة، فدلته عليه السكينة وظللت له على موضع البيت، فلما بلغ إبراهيم الركن جاءه جبريل بالحجر الأسود من جوف أبي قبيس. وروى الترمذي عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال «أنزل الحجر من الجنة أشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بني آدم»[2]. وذكر أيضاً عن عبد الله بن عمرو أن الركن الأسود والركن اليماني ياقوتتان من الجنة، ولولا ما طمس من نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب.

بناء المسجد الحرام

وأما المسجد الحرام فأول من بناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك أن الناس ضيقوا على الكعبة وألصقوا دورهم بها، فقال عمر: إن الكعبة بيت الله ولا بد للبيت من فناء، وإنكم دخلتم عليها ولم تدخل عليكم. فاشترى تلك الدور من أهلها وهدمها وبنى المسجد المحيط بها. ثم كان عثمان بن عفان رضي الله عنه، فاشترى دوراً أخر وأغلى في ثمنها، وزاد في سعة المسجد. فلما كان ابن الزبير زاد في اتقانه لا في سعته، وجعل فيه عمداً من الرخام، وزاد في أبوابه وحسّنها. فلما كان عبد الملك بن مروان زاد في ارتفاع حائط المسجد وحمل إليه السوارى في البحر إلى جدة، واحتملت من جدة على العجل إلى مكة. وأمر الحجاج بن يوسف فكساها الديباج، وكان ابن الزبير كساها الديباج قبل الحجاج، ذكره الزبير بن بكار. ثم كان

---

(١) وهذا من فقه الإمام مالك رحمه الله وسعة علمه وبعد نظره وحصافة رأيه.

(٢) رواه الترمذي برقم ٨٧٧.

الوليد بن عبد الملك فزاد في حليها. فلما كان أبو جعفر المنصور وابنه محمد المهدي زادا أيضاً في اتقان المسجد وتحسين هيئته. انتهى كلام السهيلي ملخصاً[1].

ولما بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة بعثه الله بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا، إلى الأسود والأحمر، ناسخاً بشريعته جميع شرائع الأنبياء قبله. ونذكر قبل ذلك من أمور الجاهلية وما كانوا عليه قبل مبعثه.

سبب وقوع الشرك

واعلم رحمك الله أن أهل الجاهلية لا عذر لهم في ترك رسالة الله، لأن الرسالة عمت بني آدم، كما قال تعالى ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾. وأصل ذلك ما ذكر الله أنه لما أهبط آدم ومن معه من الجنة قال سبحانه ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى ﴾ الآية. وفي الآية الأخرى ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ الآيات. وهداه الذي وعدنا به هو إرسال الرسل وإنزال الكتب، وقد وفى بما وعد سبحانه، فأرسل الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، فتوارث بنو آدم العلم والهدى عن أبيهم آدم عليه السلام. قال قتادة عن

الشرك في قوم نوح

عكرمة عن ابن عباس[2] قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، فكان أول من بعث نوح. وهكذا قال مجاهد وغير واحد من السلف. وكان أول ما كادهم به الشيطان من تعظيم الصالحين، كما ذكر الله ذلك في قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ فروى البخاري[3] في صحيحه عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ﴾ الآية أن هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون عليها أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم

---

(١) انظر الروض الأنف جـ ٢ ص ٢٧٦.

(٢) في جامع البيان لابن جرير جـ ٢٩ ص ٦٢ عن عكرمة (كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام).

(٣) رواه البخاري برقم ٤٩٤٠.

عُبدت، وصارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعدُ: أما وُدّ فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سُواع فكانت لهُذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع[١]، وروى عبد بن حميد عن محمد بن كعب في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا ﴾ الآية، قال: كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح، فنشأ قوم بعدهم يأخذون أخذهم في العبادة، فقال لهم إبليس: لو صورتم صورهم تنظرون إليهم، فصوروا، ثم ماتوا، فنشأ قوم بعدهم، فقال لهم إبليس: إن الذين كانوا قبلكم كانوا يعبدونها، فعبدوها. وروى ابن جرير[٢] عن محمد بن قيس أن يغوث ويعوق ونسراً كانوا قوماً صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورنا صورهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فلما ماتوا جاء آخرون دبَّ إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر، فعبدوهم. وقال ابن القيم[٣]: قال غير واحد من السلف: كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، وطال عليهم الأمد فعبدوهم. فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور وفتنة التماثيل، وهما اللتان أشار إليهما النبي ﷺ في قوله «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»[٤]. وقال الكلبي: كان هؤلاء قوماً صالحين، فماتوا في شهر، فجزع عليهم ذوو أقاربهم فصوروا صورهم. قال: فكان الرجل يـأتي أخاه وابن عمه فيعظمه، حتى ذهب ذلك القرن، ثم جاء قرن آخر فعظموهم أشد من تعظيم الأول. ثم جاء القرن الثالث فقالوا: ما عظم أولُنا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم، فعبدوهم[٥]. فلما بعث الله

---

(١) انظر البخاري برقم ٤٩٢٠.

(٢) جامع البيان جـ ٢٩ ص٩٨.

(٣) انظر موارد الأمان المنتقى من إغاثة اللهفان ص ٢٤٥ وانظر إغاثة اللهفان جـ ١/ ١٨٨.

(٤) رواه البخاري برقم ٤٣٤ ومسلم ٥٢٨.

(٥) وفي هذا دليل أكيد على تحريم التصوير وهو سبب لوقوع الشرك وقد تظافرت الأدلة في تحريم التصوير بجميع أنواعه إلا ما استثناه الشرع من المهان وما دعت إليه الضرورة.

نوحاً وغرق من غرق أهبط الماء هذه الأصنام من أرض إلى أرض حتى قذفها إلى أرض جدة. فلما نضب الماء بقيت على الشط، فسفت الريح حتى وارتها. قال: وكان عمرو بن لحيّ سيد خُزاعة كاهناً، وكان له رِئيّ من الجن، فأتاه فقال: عجل السير والظعن من تهامة، بالسعد والسلامة. ائت جدة، تجد فيها أصناماً معدَّة. فأوردها تهامة ولا تهب، ثم ادع العرب إلى عبادتها تُجب. فأتى جدة فاستثارها ثم حملها حتى أوردها تهامة وحضر الحج، فدعا العرب إلى عبادتها فأجابوه. انتهى ما ذكره هشام بن محمد الكلبي ملخصاً. وقيل: إن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره فلما قدم مآب البلقاء وبها يومئذ العماليق فرآهم يعبدون الأصنام، فاستحسن ذلك وظنه حقاً فقال لهم: أفلا تعطوني صنماً منها فأسير به إلى أرض العرب؟ فأعطوه صنماً يقال له هُبَل، فقدم به مكة فنصبه، وأمر الناس بعبادته وتعظيمه[١]. قال السهيلي[٢]: وكان عمرو بن لحيّ حين غلبت خزاعة على البيت ونفت جُرهم عن مكة قد جعلته العرب ربا، لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة، لأنه كان يعظم الناس ويكسو في الموسم، فربما نحر في الموسم عشرة آلاف بدَنة وكسا عشرة آلاف حلة، حتى إن اللات الذي كان يلتّ السويق للحاج على صخرة معروفة فسميت صخرة اللات، ويقال إن الذي كان يلت من ثقيف، فلما مات قال لهم: إنه لم يمت ولكن دخل في الصخرة، ثم أمرهم بعبادتها، وأن يبنى عليها بيت يسمى «اللات». وذكر أبو الوليد الأزرقي[٣] في أخبار مكة أن عمرو بن لحي فقأ عين عشرين بعيراً، وكانوا يفقأون عين الفحل إذا بلغت ألفاً، فإذا بلغت ألفين فقأوا عينه الأخرى، قال الشاعر:

عمرو بن لحي أول من غير دين إبراهيم

وكان شكر القوم عند النعم ... كيُّ الصحيحات وفقء الأعين

التلبية عند المشركين

وكانت التلبية من عهد إبراهيم عليه السلام «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك» حتى كان عمرو بن لحي، فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ١/ ٩٤ وما بعدها.

(٢) الروض الأنف ١/ ٣٥٠ وما بعدها.

(٣) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار لأبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي ١/ ١٩٣.

يلبي معه فقال «لبيك لا شريك لك» فقال الشيخ «إلا شريكاً هو لك» فأنكر ذلك عمرو فقال: وما هذا؟ فقال الشيخ: قل «تملكه وما ملك» فإنه لا بأس بهذا، فقالها عمرو فدانت بها العرب.

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه قال: حُدثت أن رسول الله ﷺ قال «رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار. فسألته عمن بيني وبينه من الناس فقال: هلكوا». قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أن أبا صالح السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأكثم الخزاعي «يا أكثم رأيت عمرو بن لحيّ بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار، فما رأيت رجلاً أشبه برجل منك به ولا بك منه» فقال أكثم: عسى ألا يضرني شبهه يا نبي الله؟ قال «إنك مؤمن وهو كافر، إنه أول من غير دين إبراهيم، فنصب الأوثان، وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة»[1].

البحيرة والسائبة

وفي الصحيحين[2] عن ابن المسيب قال: «البحيرة التي يمنع دَرُّها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة التي يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء» قال أبو هريرة: فقال رسول الله ﷺ «رأيت عمرو بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار، كان أول من سيب السوائب». والوصيلة الناقة البكر تبكر في أول انتاج الإبل ثم تثني بعد بأنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر. والحام الفحل يضرب الضراب المعدود، فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل فلم يحمل عليه شيء وسموه الحام.

قال ابن إسحاق[3]: ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم، حتى ضاقت، والتمسوا الفسح في

---

(١) رواه ابن إسحاق كما في السيرة لابن هشام ورواه ابن جرير ٧/٥٦، والحاكم ٤/٦٠٥ وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة (رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار وكان أول من سيّب السوائب).

(٢) رواه البخاري برقم ٤٦٢٣.

(٣) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٩٥.

البلاد، فكان لا يظعن منهم ظاعن إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم، فحيث ما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم، حتى خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره فعبدوا الأوثان، فصاروا إلى ما كانت عليه قبلهم من الضلالات، وفيهم على ذلك بقايا من دين إبراهيم يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف بعرفة ومزدلفة وإهداء البُدْن والإهلال بالحج والعمرة مع إدخالهم ما ليس فيه. فكانت قريش وكنانة إذا أهلوا قالوا «لبيك اللهم لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك» فيوحدونه بالتلبية، ويدخلون معه أصنامهم، ويجعلون ملكها بيده. انتهى كلام ابن إسحاق. وروى الطبراني[1] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان يلبي أهل الشرك «لبيك اللهم لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك» فأنزل الله تعالى ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ ﴾ الآية. قال المفسرون: والمعنى أيرتضي أحد منكم أن يكون عبده شريكاً له في ماله وهو فيه سواء؟ قال أبو مجلز: إن مملوكك لا تخاف أن يقاسمك مالك، وليس له ذاك، كذلك الله لا شريك له. والمعنى إن أحدكم يأنف من ذلك، فكيف تجعلون لله الأنداد من خلقه؟ وهذا كقوله تعالى ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ أي من البنات، لأنهم جعلوا الملائكة بنات الله، وقد كان أحدهم إذا بُشر بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم.

[أصنام العرب]

مناة

قال هشام بن محمد بن السائب الكلبي: وكان من أقدم أصنامهم مناة، وكان منصوباً على ساحل البحر الأحمر من ناحية المشلل بقُديد بين مكة و المدينة، وكانت العرب جميعاً تعظمه، وكانت الأوس والخزرج ومن ينزل المدينة ومكة وما قارب من المواضع يعظمونه ويذبحون له ويهدون له، ولم يكن أحد أشد إعظاماً له من

---

(١) رواه الطبراني في الكبير برقم ١٢٣٤٨ قال الهيثمي ٣/٥٠٦ رواه الطبراني في الأوسط وفيه حماد بن شعيب وهو ضعيف، وروى البزار ١٠٩٥ عن أنس مثله قال الهيثمي رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

الأوس والخزرج. قال هشام: وحدثنا رجل من قريش عن أبي عبيدة عن عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: كانت الأوس ومن جاورهم من عرب يثرب وغيرها يحجون، فيقفون مع الناس المواقف كلها، ولا يحلقون رؤوسهم، فإذا نفروا أتوه فحلقوا عنده رؤوسهم وأقاموا عنده لا يرون لحجهم تماماً إلا بذلك. وكانت مناة لهذيل وخُزاعة، فبعث رسول الله ﷺ علياً فهدمها عام الفتح.

اللات

ثم اتخذوا اللات بالطائف، وهي أحدث من مناة، وكانت صخرة مربعة، وكانت سدنتها من ثقيف، وكانوا قد بنوا عليها، وكانت قريش وجميع العرب يعظمونها وبها كانت تسمى زيد اللات وتيم اللات. وكانت في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم، فلم تزل كذلك حتى بعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة وأبا سفيان بن حرب لما أسلمت ثقيف فهدماها وحرقاها بالنار. انتهى. وروى ابن جرير بإسناده عن سفيان عن منصور عن مجاهد ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ قال كان يلتّ السويق للحاج فمات، فعكفوا على قبره. وكذلك قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يلت السويق للحاج. رواه البخاري بنحوه[1].

العزى

ثم اتخذوا العزّى وهي أحدث من اللات، اتخذها ظالم بن سعد بوادي نخلة فوق ذات عرق، وبنوا عليها بيتاً، فكانوا يسمعون منها الصوت. قال هشام: وحدثني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كانت للعزّى شيطانة تأتي ثلاث سمرات ببطن نخلة، فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد فقال: ائت بطن نخلة فإنك ستجد ثلاث سمرات فاعضد الأولى. فأتاها فعضدها. فلما جاء إليه قال: هل رأيت شيئاً؟ قال: لا. قال: فاعضد الثانية، فعضدها. ثم أتى النبيَّ ﷺ قال: هل رأيت شيئاً؟ قال لا. قال فاعضد الثالثة. فأتاها فإذا هو بحبشية نافشة شعرها واضعة يديها على عاتقيها تضرب بأنيابها وخلفها سادنها. فقال خالد:

كفـرانـكِ لا سبحـانـكِ   إنـي رأيـت الله قـد أهـانـكِ

ثم ضربها ففلق رأسها فإذا هي حممة، ثم عضد الشجرة وقتل السادن، ثم أتى

---

(١) رواه البخاري في التفسير برقم ٤٨٥٩.

النبي ﷺ فأخبره فقال: تلك العزَّى، ولا عزى بعدها للعرب. انتهى[1].

وقال بعض العلماء[2]: وكانت الطواغيت الكبار التي تشد إليها الرحال ثلاثة: اللات والعزى، ومناة. كما ذكر الله في كتابه حيث يقول ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠ ﴾ وكل واحد من هذه الثلاثة لمصر من أمصار العرب. والأمصار التي كانت من ناحية الحرم ومواقيت الحج ثلاثة: مكة والمدينة والطائف، فكانت اللات لأهل الطائف، ذكروا أنه كان في الأصل رجلاً صالحاً يلتّ السويق للحاج، فمات فعكفوا على قبره مدة ثم اتخذوا تمثاله، ثم بنوا عليه بنَية. وأما العزى فكانت لأهل مكة قريباً من عرفات، وكانت هناك شجرة يذبحون عندها ويدعون، فبعث النبي ﷺ خالد بن الوليد عقب فتح مكة فأزالها، وقسم النبي ﷺ مالها، وخرجت منها شيطانة، فيئست العزى أن تعبد. وأما مناة فكانت لأهل المدينة يهلون لها شركاً بالله، وكانت حذو قُديد الجبل الذي بين مكة والمدينة من ناحية الساحل. ومن أراد أن يعرف كيف كانت أحوال المشركين في عبادة أوثانهم، ويعرف حقيقة الشرك الذي ذمه الله وأنواعه، حتى يتبين له تأويل القرآن ويعرف ما كرهه الله ورسوله، فلينظر سيرة النبي ﷺ وأحوال العرب في زمانه، وما ذكره الأزرقي في أخبار مكة[3] وغيره من العلماء. ولما كان للمشركين سدرة يعلقون بها أسلحتهم ويسمونها «ذات أنواط» فقال بعض الناس: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط فقال «الله أكبر، قلتم كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، إنها السنن، لتركبن سنن من كان قبلكم»[4] فأنكر ﷺ مجرد مشابهتهم للكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها معلقين عليها سلاحهم، فكيف بما هو أطمّ من ذلك

---

(١) انظر دلائل النبوة لأبي نعيم ٢/ ٥٣٥ ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٧٧. ومسند أبي يعلى ٢/ ١٩٦ والسنن الكبرى ٤/ ١٧.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٠١.

(٣) انظر أخبار مكة للأزرقي من ص ١١٧ ـ ١٣١ جـ ١.

(٤) رواه أحمد في المسند ٥/ ٢١٨ والحميدي في مسنده ٨٤٨ والترمذي برقم ٢١٨ وابن أبي عاصم في السنة رقم ٧٦ وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في ظلال الجنة ص ٣٧ جـ ١.

وأعظم من مشابهتهم المشركين، أو هو الشرك بعينه. انتهى. وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال: إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية، وذلك أنه إذا لم يعرف ما كان عليه أهل الجاهلية وقع فيه وهو لا يشعر.

هبل

قال هشام بن محمد بن السائب الكلبي: وكانت لقريش أصنام في جوف الكعبة وحولها، وأعظمها عندهم هُبَل وكان فيما بلغني من عقيق أحمر على صورة الإنسان، وكانوا إذا اختصموا في أمر أو أرادوا سفرا، أتوه. فاستقسموا عنده بالقداح، وهو الذي قال أبو سفيان يوم أحد: اعلُ هُبَل. فقال رسول الله ﷺ: قولوا الله أعلى وأجلّ[1].

إساف ونائله

وكان لهم اساف ونائلة، قيل: إن أصلهما أن أساف رجل من جُرهم ونائلة بنت زيد بن جُرهم، وكان يتعشقها في أرض اليمن، فأقبلوا حجاجاً، فلما خلا البيت فوجدا غفلة من الناس ففجر بها في البيت، فمسخا حجرين، فأخرجوهما فوضعوهما عند الكعبة ليتعظ بهما الناس، فلما طال مكثهما وعبدت الأصنام عبدا معها، فكانوا يذبحون عندهما والله أعلم.

ذو الخلصة

قال ابن إسحاق والكلبي: وكان ذو الخَلَصة لدَوس وخَثْعَم وبَجِيلة ومن كان ببلادهم من العرب، وكان مروةً بيضاء منقوشاً عليها كهيئة التاج، وكان له بيت، فقال رسول الله ﷺ (لجرير بن عبد الله البَجَلي): ألا تكفيني ذا الخلصة؟ فسار إليه بأحمس فقاتلته خثعم وباهلة، فظفر بهم، وهدم بيت ذي الخلصة وأضرم فيه النار[2]. وذو الخلصة اليوم عتبة باب مسجد بتبالة. وذكر السهيلي[3] أن موضعه اليوم [مسجد جامع][4] لبلدة يقال لها العَبَلات من أرض خثعم. وذكره المبرد عن أبي عبيدة. قال

---

(١) رواه البخاري في المغازي برقم ٤٠٤٣ وأبو داود برقم ٢٦٦٢ وأحمد في المسند ٤/ ٢٩٣.

(٢) قصة بعث النبي ﷺ لجرير رواها البخاري برقم ٣٠٢٠ ومسلم برقم ٢٤٧٥ والترمذي وأحمد في المسند ١/ ١٠٩.

(٣) الروض الأنف جـ ١ ص ٣٧٣.

(٤) ما بين المعكوفتين بياض في الأصل والتصحيح من الروض.

السهيلي: وكان بعث جرير له قبل وفاة النبي ﷺ بشهرين. قال جرير: قال لي رسول الله ﷺ «ألا تريحني من ذي الخلصة» وكان بيتاً في خثعم يسمى الكعبة اليمانية، فانطلقتُ في خمسين ومائة من أحمس إلى ذي الخلصة وكانوا أصحاب خيل، فقلت: يا رسول الله إني لا أثبت على الخيل، فضرب بيده في صدري حتى رأيت أثر أصابعه في صدري وقال «اللهم ثبته، واجعله هادياً مهدياً» فانطلق إليها فكسرها وحرقها فأرسل إلى النبي ﷺ يبشره، فقال رسول جرير: والذي بعثك بالحق ما جئتك حتى تركتها كأنها جمل أجرب، فبارك على خيل أحمس ورجالها خمس مرات. رواه البخاري ومسلم[1]. وثبت عن الصادق المصدوق أنه سيعبد في آخر الزمان، وثبت في الحديث أنه لا تقوم الساعة حتى تضرب إليات نساء دوس وخَثْعم حول ذي الخلصة[2].

وكان لدوس صنم يقال له ذو الكفين، فلما أسلموا بعث رسول الله ﷺ الطفيل بن عمرو الدوسي فحرقه.

وكان لبني الحارث بن يشكر صنم يقال له الشَّرى.

وكان لقضاعة ولَخْم وجذام وعاملة وغَطَفَان صنم في مشارف الشام يقال له الأقيصر.

وكان لمزينة صنم يقال له بهم، وبه كانت تسمى عبد بهم.

وكان لعنزة صنم يقال له سعير.

وكان لطي صنم يقال له الفلس بين سلمى وأجأ.

وكان لأهل كل دار بمكة صنم في دارهم يعبدونه، فإذا أراد أحدهم السفر فكان (أول) ما يصنع في منزله أن يتمسح به، وإذا قدم من سفر كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به.

قال ابن إسحاق: وكان لخوْلان صنم يقال له عم أنس بأرض خولان يقسمون

---

(١) سبق تخريجه رواه البخاري برقم ٣٠٢٠ ومسلم برقم ٢٤٧٥.

(٢) رواه البخاري برقم ٧١١٦ ومسلم برقم ٢٩٠٦.

له من أنعامهم وحروثهم قسماً بينه وبين الله بزعمهم، فما دخل في حق عم أنس من حق الله سموه له وتركوه، وما دخل في حق الله من حق عم أنس ردوه عليه، وفيهم أنزل الله ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا ﴾ الآية[1].

قال ابن اسحاق: وكان لبني ملكان من كنانة بن خزيمة صنم يقال له سعد، صخرة بفلاة من الأرض طويلة، فأقبل رجل منهم بإبل له مؤبلة ليقفها عليه ابتغاء بركته فيما يزعم، فلما رأته الإبل ـ وكان تهراق عليه الدماء ـ نفرت منه، فذهبت في كل وجه، فغضب ربها، فأخذ حجراً فرماه به ثم قال، لا بارك الله فيك، نفّرت عني إبلي، ثم خرج في طلبها حتى جمعها، فلما اجتمعت قال:

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا ... ففرقنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد إلا صخرة بتنوفة ... من الأرض لا تدعو لغيّ ولا رشد

ما كان عليه أهل الجاهلية

وقال أبو رجاء العطاردي[2]: كنا نعبد الحجر في الجاهلية، فإذا وجدنا حجراً هو أحسن منه نلقى ذلك ونأخذه، فإذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من تراب، ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه، ثم طفنا به، وروى الدارمي[3] عن مجاهد قال: حدثني مولاي[4] أن أهله بعثوا معه بقدح فيه زبد ولبن إلى آلهتهم، قال: فمنعني أن آكل الزبد لمخافتها. قال: فجاء كلب فأكل الزبد وشرب اللبن ثم بال على الصنم وهو أساف ونائلة. قال هارون: كان الرجل في الجاهلية إذا سافر حمل معه أربعة أحجار ثلاثة لقدره والرابع يعبده ويربي كلبه ويقتل ولده. وروى[5] أيضاً أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنا كنا أهل جاهلية وعبادة أوثان، فكنا نقتل الأولاد، فكانت عندي بنت لي، فلما أحانت وكانت مسرورة بدعائي إذ دعوتها يوماً فاتبعتني، فمررت حتى أتيت بئراً من أهلي غير بعيد، فأخذت بيدها فردّيت بها في البئر، وكان

---

(١) ذكره ابن هشام في السيرة جـ ١ ص ٩٨ وابن كثير في السيرة ١/ ص ٦٩.

(٢) رواه الدارمي برقم ٤ جـ ١.

(٣) رواه الدارمي برقم ٣ جـ ١.

(٤) مولاه السائب بن أبي السائب أبو الحجاج المكي الإمام المقرىء المفسر.

(٥) رواه الدارمي برقم ٢ جـ ١.

آخر عهدي بها تقول: يا أبتاه يا أبتاه. فبكى رسول الله ﷺ حتى وكف دمع عينيه. فقال رجل: أحزنتَ رسول الله، فقال له: كفَّ فإنه يسأل عما أهمه، ثم قال: أعد عليَّ حديثك، فأعاده، فبكى حتى وكف الدمع من عينيه على لحيته، ثم قال له: إن الله قد وضع عن الجاهلية ما عملوا، فاستأنفْ عملك. انتهى.

ولما فتح رسول الله ﷺ مكة وجد حول البيت ثلاثمائة وستين صنماً، فجعل يطعن بسية قوسه في وجوهها وعيونها يقول ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝٨١﴾ ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۝٤٩﴾ وهي تتساقط على رؤوسها. ثم أمر بها فأخرجت من المسجد وحرقت، أخرجاه في الصحيحين[1] من حديث ابن مسعود بنحوه، ولم يذكرا «وهي تتساقط الخ» وعندهما «فجعل يطعنهما بعود، كان في يده الخ».

[أحوال العرب في الجاهلية]

قال أبو الحسن المسعودي في كتابه مروج الذهب[2] كانت العرب في جاهليتها فرقاً؛ منهم الموحّد المقر بخالقه المصدق بالبعث والنشور موقن بأن الله يثيب المطيع ويعاقب العاصي، كقس بن ساعدة المشهور بالفصاحة ورباب الشنى وبحيرا الراهب وكان من عبد القيس، ومنهم من أقر بالخالق وأثبت حدوث العالم وأقر بالبعث والإعادة وأنكر الرسل وعكف على عبادة الأصنام، وهم الذين حكى الله تعالى قولهم ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ وهذا الصنف هم الذين حجوا إلى الأصنام وقصدوها، ونحروا لها البُدْن ونسكوا لها النسائك، وحرموا لها وأحلوا لها. ومنهم من أقر بالخالق والبدء وكذب بالرسل والبعث ومال إلى قول أهل الدهر، وهم الذين أخبر الله عنهم بقوله ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ ﴾ الآية. ومنهم من مال إلى اليهودية والنصرانية. وقد كان صنف من العرب يعبدون الملائكة ويزعمون أنها بنات الله، تعالى وتقدس عن قولهم، فكانوا يعبدونها لتشفع لهم عند الله وهم الذين أخبر الله عنهم بقوله ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ الآية، وقوله ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ ﴾ الآيات انتهى كلامه. وقال غيره: ومنهم من كان

---

(١) رواه البخاري برقم ٤٢٨٧ ومسلم برقم ١٧٨١ والترمذي برقم ٣١٣٨.

(٢) مروج الذهب جـ ٢ ص ١٣٧.

يعبد الجن، وكانت علومهم علم الأنساب والأنواء والتواريخ وتعبير الرؤيا، وكانت لأبي بكر رضي الله عنه فيها يد طولى، وكانت الجاهلية تفعل أشياء جاء الإسلام بها، وكانوا لا ينكحون الأمهات ولا البنات، وكان أقبح ما يأتونه الجمع بين الأختين، وكان الرجل منهم يتزوج امرأة أبيه وكانوا يغتسلون من الجنابة، وكانوا يداومون على المضمضة والاستنشاق وفرق الرأس والسواك والاستنجاء وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة والختان، وكانوا يقطعون يد السارق اليمنى، وكانوا يحجون ويعتمرون.

وقد قسم المؤرخون العرب إلى ثلاثة أقسام: بائدة وعاربة ومستعربة. أما البائدة فهم الأولى الذين ذهبت عنا تفاصيل أخبارهم لتقادُم عهدهم، وعاد وثمود وجرهم الأولى ـ وكانت على عهد عاد ـ فبادوا ودرست أخبارهم. وأما جُرهم الثانية فهم من ولد قحطان، وبهم اتصل إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، ولم يبق من ذكر العرب البائدة إلا القليل. وأما العرب العاربة فهم عرب اليمن من ولد قطحان، وأما العرب المستعربة فهم من ولد إسماعيل. انتهى.

فصل
[أسباب عبادة الأصنام]

قال ابن القيم[1]: وتلاعُبُ الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام له أسباب عديدة، تلاعب بكل قوم على قدر عقولهم، فطائفة دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى الذين صور تلك الأصنام على صورهم كما تقدم عن قوم نوح، ولهذا لَعن النبي ﷺ المتخذين على القبور المساجد والسرج[2]، ونهى عن الصلاة إلى القبور[3]، ونهى أمته أن يتخذوا قبره عيدا[4]، وقال «اشتدَّ غضب الله على قوم

---

(١) إغاثة اللهفان جـ ٢ ص ٢١٨.

(٢) رواه أبو داود برقم ٣٢٣٦ والنسائي ٤/ ٩٥ والترمذي برقم ٣٢٠ وابن ماجة برقم ١٥٧٥ وأحمد ١/ ٢٢٩.

(٣) رواه مسلم برقم ٩٧٢ من حديث أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه.

(٤) رواه أبو داود برقم ٢٠٤٢ وأحمد ٢/ ٣٦٧.

اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[1] وأمر بتسوية القبور وطمس التماثيل، فأبى المشركون إلا خلافه في ذلك كله، إما جهلاً وإما عناداً لأهل التوحيد، ولم يضرهم ذلك شيئاً. وهذا السبب هو الغالب على عوام المشركين، وأما خواصهم فإنهم اتخذوها بزعمهم على صور الكواكب المؤثرة في العالم عندهم، أو جعلوا لها بيوتاً وسدنة وحجاباً وحَجاً وقرباناً، ولم يزل في هذه الدنيا قديماً وحديثاً، فمنها بيت على رأس جبل باصبهان كان به أصنام أخرجها بعض ملوك المجوس وجعله بيت نار ومنها بيت ثان وثالث ورابع بصنعاء بناه بعض المشركين على اسم الزهرة فخربه عثمان بن عفان، ومنها بيت بناه قابوس الملك على اسم الشمس بمدينة فرغانة فخربه المعتصم. وأشد الأمم في هذا النوع من الشرك الهند.

وأصل هذا المذهب من مشركي الصابئة، وهم قوم إبراهيم الخليل عليه السلام الذين ناظرهم فطلبوا تحريقه، وهو مذهب قديم في العالم، وأهله طوائف شتى: فمنهم عباد الشمس زعموا أنها ملك من الملائكة السفلية كلها عندهم منها، وهي عندهم ملك الفلك، فتستحق التعظيم والسجود والدعاء. ومن شريعتهم في عبادتهم أنهم اتخذوا لها صنماً بيده جوهر على لون النار، وله بيت خاص قد بنوه باسمه، وجعلوا له الوقوف الكثيرة من القرى والضياع، وله سدنة وقوّام وحجبة، وهم إذا طلعت الشمس سجدوا كلهم لها، وإذا غربت، واذا توسطت الفلك، ولهذا يقارنها الشيطان في هذه الأوقات الثلاثة لتقع عبادتهم له، ولهذا نهى النبي ﷺ عن تحري الصلاة في هذه الأوقات، قطعاً لمشابهة الكفار ظاهراً، وسداً لذريعة الشرك وعبادة الأصنام[2].

وطائفة أخرى اتخذت القمر صنماً وزعموا أنه يستحق التعظيم والعبادة وإليه تدبير هذا العالم السفلي، ومن شريعة عبادته أنهم اتخذوا لهم صنماً على شكل عجل ويجره أربعة وبيد الصنم جوهرة ويعبدونه ويسجدون له ويصومون له أياماً معلومة من كل شهر، ثم يأتون إليه بالطعام والشراب والفرح والسرور، فإذا فرغوا من الأكل أخذوا في الرقص والغناء وأصوات المعازف بين يديه.

---

(١) رواه مالك في الموطأ ١٧٢١، وإسناده مرسل صحيح.

(٢) كما في حديث عقبة بن عامر في صحيح مسلم برقم ٨٣١.

ومنهم من يعبد أصناماً اتخذوها على صورة الكواكب وروحانيها بزعمهم، وبنوا لها هياكل ومتعبدات، لكل كوكب منها هيكل يخصه وصنم يخصه وعبادة تخصه، فإنهم لا تستمر لهم طريقة إلا بشخص خاص على شكل خاص ينظرون إليه ويعكفون عليه، ومن هاهنا اتخذ أصحاب الروحانيات والكواكب أصناماً زعموا أنها على صورها، فوضع الصنم إنما كان في الأصل على شكل معبود غائب فجعلوا الصنم على شكله وهيئته وصورته ليكون نائباً منابه وقائماً مقامه، وإلا فمن المعلوم أن عاقلاً لا ينحت خشبة أو حجراً بيده ثم يعتقد أنه إلهه ومعبوده. ومن أسباب عبادتها أيضاً أن الشياطين تدخل فيها وتخاطبهم وتخبرهم ببعض المغيبات وتدلهم على بعض ما يخفى عليهم، فبجهلهم وسخفهم يظنون أن المتكلم هو الصنم نفسه المخاطب، وعقلاؤهم يقولون إن هذه روحانيات الأصنام، وبعضهم يقولون إنها الملائكة، وبالجملة فإن أكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأصنام والأوثان، ولم يتخلص منها إلا الحنفاء أتباع ملة إبراهيم، وعبادتها في الأرض من قبل نوح كما تقدم، وهياكلها وسَدنَتها ومحارمها والكتب المصنفة في شرائع عبادتها طبقت الأرض. قال إمام الحنفاء ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ ومن أسباب عبادة الأصنام الغلو في المخلوق وإعطاؤه فوق منزلته حتى جعل فيه حظ من الإلٰهية، وشبهوه بالله سبحانه، وهذا هو التشبيه الواقع في الأمم، الذي أبطله الله وبعث رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله، قال الله تعالى ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ وقال ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ الآية. وقال عن أهل النار ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ وقال ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ فنهاهم أن يضربوا له مثلاً من خلقه، فإن هذا لم يقله أحد ولم يكونوا يفعلونه، فإن الله سبحانه أجل وأعظم وأكبر من ذلك في فطر الناس كلهم، ولكن المشبهون يغلون فيمن يعظمونه، فيشبهونه بالخالق. والله أعلم.

ذكر أمر البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي

وفي الصحيحين[١] عن ابن المسيب قال: البحيرة هي التي يمنع درها

---

(١) سبق تخريجه.

للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس. والسائبة التي يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها. والوصيلة الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل ثم تثني بعد بأنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر. والحامي فحل الإبل يضرب الضراب المعدود، فإذا ضربه ودعوه للطواغيت، وأعفوه من الحمل فلا يحمل عليه، وسموه الحامي، انتهى.

وقال ابن إسحاق[1]: البحيرة بنت السائبة، هي الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس بينهن ذكر سُيبت، فلم يركب ظهرها ولم يجزَّ وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شقت أذنها ثم خلى سبيلها مع أمها فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف كما فعل بأمها، فهي البحيرة بنت السائبة. والوصيلة الشاة إذا أتأمت عشر إناث متتابعات في خمسة أبطن ليس بينهن ذكر جعلت وصيلة. قالوا: قد وصلت، فكان ما ولد بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم، إلا أن يموت منها شيء فيشترك في أكله ذكورهم وإناثهم، والحامي إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر حمى ظهره فلم يركب ولم يجز وبره وخلى في إبله يضرب فيها لا ينتفع منه بغير ذلك. قال ابن إسحاق فلما بعث الله رسوله محمداً ﷺ أنزل الله ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ ﴾ الآية، وأنزل ﴿ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا ﴾ الآية. وقوله ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا ﴾ الآية.

أمر الحمس

قال ابن إسحاق[2]: وقد كانت قريش ـ لا أدري قبل الفيل أو بعده ـ ابتدعت للحمس رأياً رأوه وأرادوه، فقالوا: نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم وولاة البيت وقاطنو مكة وساكنوها، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلنا، ولا تعرف له مثل ما تعرف لنا، فلا تعظموا شيئاً من الحل مثل ما تعظمون الحرم، فإنكم إن

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ ١ ص ١٠٥.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام جـ ١ ص ٢٢٥.

فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم وقالوا: قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم. فتركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها، وهم يعرفون ويقرّون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم، ويرون لسائر العرب أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها، إلا أنهم قالوا نحن أهل الحرم، وليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرم ولا نعظم غيره كما يعظم، نحن الحمس والحمس أهل الحرم. ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من مساكن الحل والحرم مثل الذي لهم بولادتهم إياهم، يحل لهم ما يحل لهم ويحرم عليهم ما يحرم عليهم، وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم في ذلك، ثم ابتدعوا في ذلك أموراً لم تكن لهم حتى قالوا: لا ينبغي للحمس أن يقطوا الأقط ولا يسلوا السمن وهم حرم، ولا يدخلوا بيتاً من شعر ولا يستظلوا إن استظلوا إلا في بيوت الأدم ما كانوا حرما. ثم رفعوا في ذلك فقالوا لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به من الحل إلى الحرم إذا جاءوا حجاجاً أو عماراً، ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوفهم إلا في ثياب الحمس، فإن لم يجدوا شيئاً طافوا بالبيت عراة فإن تكرم منهم متكرم من رجل أو امرأة ولم يجد ثياب أحمس وطاف في ثيابه التي جاء بها من الحل ألقاها إذا فرغ من طوافه ولم ينتفع بها ولم يمسها هو ولا أحد غيره، فكانت العرب تسمي تلك الثياب «اللقى» فحملوا على ذلك العرب فدانت به، أما الرجال فيطوفون عراة، وأما النساء فتضع ثيابها كلها إلا درعاً مفرجاً ثم تطوف فيه، فقالت امرأة من العرب[1]:

اليوم يبدو بعضه أو كله ... وما بدا منه فلا أحله

فكانوا كذلك حتى بعث الله محمداً ﷺ فأنزل الله ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ يعني قريشاً والعرب، وأنزل فيما حرموا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت ﴿ ۞ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ﴾ الآية[2].

---

(١) هي ضباعة بنت عامر بن صعصعة ثم من بني سلمة بن قشير.

(٢) وأمر النبي ﷺ أبا هريرة رضي الله عنه في عمرة سنة تسع أن ينادي في الناس (ألا يحج من العام القادم مشرك ولا يطوف بالبيت عريان) رواه البخاري برقم ١٦٢٢.

ذكر أهل الفترة
بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم

قال المسعودي[1]: وكان بين المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم في الفترة جماعة من أهل التوحيد ومن يقر بالبعث قد اختلف الناس فيهم، فمن الناس من رأى أن منهم أنبياء، ومنهم من رأى غير ذلك. فممن ذكر رباب الشني وكان من عبد القيس ثم من شن وكان على دين المسيح قبل مبعث رسول الله ﷺ، فسمعوا منادياً ينادي من قبل السماء قبل مبعثه ﷺ: خير أهل الأرض رباب الشني وبحيرا الراهب ورجل آخر لم يأت بعد، يعني النبي ﷺ: وكان لا يموت أحد من ولد رباب إلا رأوا طشاً على قبره[2].

رباب الشني

ومنهم أسعد أبو كرب الحميري وكان مؤمناً بالنبي ﷺ قبل مبعثه بسبعمائة سنة وقال:

أسعد بن كرب الحميري

شهدت على أحمد أنه ... رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري إلى عمره ... لكنت وزيراً له وابن عم

وهو أول من كسا الكعبة الأنطاع والبرود، ولذلك يقول بعض حمير:

وكسونا البيت الذي حرم الله

ومنهم قس بن ساعدة من إياد بن معد، وكان حكيم العرب، وكان مقراً بالبعث، وهو الذي يقول «من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت» وقد ضرب العرب بحكمته الأمثال قال الأعشى:

قس بن ساعدة

وأحكم من قس وأجرى من الذي* ... بذي الغيل من غسان أصبح حادرا

وقدم وفد من إياد إلى النبي ﷺ فسألهم عنه، فقالوا: هلك. فقال: رحمه الله. كأني أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل له أحمر وهو يقول «أيها الناس، استمعوا

---

(١) مروج الذهب جـ ١ ص ٦٧.

(٢) الطش المطر الضعيف.

وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت. أما بعد فإن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا، بحر يفور، ونجوم تغور، وسقف مرفوع، ومهاد موضوع، أقسم قس بالله قسماً: إن له ديناً أرضى من دين أنتم عليه، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون؟ أرضوا بالمقام فأقاموا، أم تركوا فناموا؟ سبيل مؤتلف، وعمل مختلف» وقال أبياتاً لا أحفظها، فقام أبو بكر فقال: أنا أحفظها يا رسول الله، فقال:

في الذاهبين الأولين	من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارداً	للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها	تمضي الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضي ولا	يبقى من الباقين غابر
أيقنت أني لا محالة	حيث صار القوم صائر

فقال رسول الله ﷺ: رحم الله قساً، إني لأرجو أن يبعثه الله أمة وحده[1].

زيد بن نفيل

وممن كان في الفترة زيد بن عمرو أبو سعيد بن زيد أحد العشرة، وهو ابن عم عمر بن الخطاب. وقد كان زيد رغب عن عبادة الأوثان وعابها فأولع به عمه الخطاب سفهاء مكة فسلطهم عليه فآذوه. قال ابن إسحاق: واجتمعت قريش يوماً في عيد لهم عند صنم من أصنامهم وكانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنده ويديرون به وكان ذلك عيداً لهم في كل سنة يوماً. فخلص منهم أربعة نفر نجيا. ثم قال بعضهم لبعض: تصادقوا، وليكتم بعضكم على بعض. قالوا: أجل. وهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وعبيد الله بن جحش ـ وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب ـ وعثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى، فقال بعضهم لبعض: تعلموا والله ما قومكم على شيء، لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم، ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع؟ يا قوم التمسوا لأنفسكم ديناً، فإنكم والله ما

---

(١) ذكر أخبار قس ابن كثير في البداية والنهاية ٢/ ٢٥١ وقال بعد ذلك (هذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على اثبات القصة)، وذكر البيهقي في دلائل النبوة ٢/ ١٠٢ أخبار قس وقال: وإن كان بعضها ضعيفاً دل على أن للحديث أصلاً وانظر المعجم الكبير للطبراني برقم ١٢٥٦١ والموضوعات لابن الجوزي ١/ ٢١٣.

أنتم على شيء. فتفرقوا في البلدان يلتمسون دين إبراهيم، فأما ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية واتبع الكتب من أهلها حتى علم علماً من أهل الكتاب. وأما عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان مسلمة، فلما قدمها تنصر وفارق الإسلام حتى هلك هناك نصرانياً، وخلفه رسول الله ﷺ على زوجته أم حبيبة بعده، فأرسل إلى النجاشي عمرو بن أمية فزوجها رسول الله ﷺ وأصدقها عنه أربعمائة دينار[1]. وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده، وأما زيد بن عمرو فوقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية، وفارق قومه فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الأوثان، ونهى عن قتل الموؤدة وقال: أعبد رب إبراهيم، وبادأ قومه بعيب ما هم عليه. وقال ابن إسحاق: وحدثني هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل شيخاً كبيراً مسنداً ظهره إلى الكعبة وهو يقول: يا معشر قريش، والذي نفس زيد بن عمرو بيده، ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري. ثم يقول: اللهم لو أني أعلم أي الوجوه أحب إليك عبدتك، ولكن لا أعلمه. ثم يسجد على راحته[2]، قال ابن إسحاق: وحديث ابنه سعيد بن زيد بن عمرو وعمر بن الخطاب وهو ابن عمه قالا لرسول الله ﷺ: أنستغفر لزيد بن عمرو؟ قال نعم، فإنه يبعث أمة وحده. وقال الليث: كتب إلي هشام عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت: رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش، والله ما منكم على دين إبراهيم غيري. وكان يُحيي الموؤدة، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها فأنا أكفيك مؤونتها فيأخذها، فإذا ترعرت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك، وإن شئت كفيتك مؤنتها[3]. وروى البخاري أيضاً عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بَلْدح قبل أن ينزل عليه الوحي،

---

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير جـ ٢ ص ٢٥٨ وإسناد الرواية حسن.

(٣) رواه البخاري برقم ٣٨٢٨ معلقاً ووصله الحاكم في المستدرك ٣/ ٤٤٠.

فَقُدمت إلى النبي ﷺ سفرة فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: لست آكل ما تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه. وإن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله، انكاراً لذلك وإعظاماً له[1]. قال موسى: حدثني سالم بن عبد الله ولا أعلمه يحدث إلا عن ابن عمر أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويبتغيه، فلقي عالماً من اليهود، فسأله عن دينهم فقال: لعلي أدين بدينكم، فقال: لا تكن على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله. فقال زيد: ما أفر إلا من غضب الله، ولا أحمل من غضب الله شيئاً أستطيعه، فهل تدلني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن تكون حنيفاً. قال زيد: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، ولا يعبد إلا الله. فخرج زيد فلقي عالماً من النصارى فذكر مثله فقال: لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله. قال: ما أفر إلا من لعنة الله، ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضب الله شيئاً أبداً وأنا أستطيع. فهل تدلني على غيره؟ قال ما أعلمه إلا أن تكون حنيفاً. قال: وما الحنيف؟ قال دين إبراهيم، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله، فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم خرج، فلما برز رفع يديه وقال: اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم[2]، انتهى.

قال ابن إسحاق: قال زيد بن عمرو في فراق دين قومه وما كان لقي منهم في ذلك:

أربـــا واحـــداً أم ألـــف رب	أديـــن إذا تقسمـــت الأمـــور
فـــلا عُـــزّى أديـــن ولا ابنتيهـــا	ولا صنمـــي بنـــي عمـــرو أزور
ولا غُنمـــاً أديـــن وكـــان ربـــا	لنا في الدهر إذ حلمي يسير
ولكـــن أعبـــد الـــرحمـــن ربـــي	ليغفـــر ذنبـــي الـــرب الغفـــور
فتقـــوى الله ربكـــم احفظـــوهـــا	متـــى مـــا تحفظـــوهـــا لا تبـــور

---

(١) رواه البخاري برقم ٣٨٢٦.

(٢) رواه البخاري برقم ٣٨٢٧.

تــرى الأبــرار دارهُــم جنــان وللكفــار حــاميــة سعيــر

وقال أيضاً:

إلى الله أهدي مدحتي وثنائيا وقولا رضيا لا يني الدهر باقيا
إلى الملك الأعلى الذي ليس فوقه إلــه ولا ربٌ يكــون مــدانيــا
ألا أيهـا الإنسـان إيـاك والـردى فانك لا تُخفي عن الله خافيا
وإيـاك لا تجعـل مـع الله غيـره فإن سبيل الرشد أصبح باديا
حنانَيْك إن الجن كانت رجاءهم وأنــت إلهــي ربنــا ورجــائيــا
رضيت بك اللهم ربا فلن أرى أديــن إلهــا، غيــرك الله ثــانيــا
وأنت الذي من فضل مَن ورحمة بعثت إلى موسى رسولا مناديا
وقلت له اذهب وهارون فادعوا إلى الله فرعون الذي كان طاغيا
وقــولا لــه آأنــت رفّعــت هــذه بــلا عمــد ارفـق إذا بـك بـانيـا
وقــولا لــه آأنــت سـوّيـت هــذه بلا وتد حتى اطمأنت كما هيا
وقولا له آأنت سيرت وسطها منيـرا إذا مـا جنَـه الليـل هـاديـا
وقولا له من يرسل الشمس غدوة فيصبح ما مَسّت من الأرض ضاحيا
وقولا له من ينبت الحب في الثرى فيصبــح منــه البقــل يهتــزّ رابيــا
ويخـرج منـه حبـه فـي رؤوسـه وفي ذاك آيات لمن كان واعيا
وأنت بفضل منك نجيت يونسا وقد بات في أضعاف حوت لياليا
وإني وإن سبحت باسمك ربنا لأكثـر إلا مـا غفـرت خطـائيـا
فـربّ العبـاد ألـقِ سيبـا ورحمـةً علـيّ وبـارك فـي بنـيّ ومـاليـا

وقال ابن هشام هي لأمية بن أبي الصلت في قصيدة له. وقال زيد أيضاً:

وأسلمت وجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صخرا ثقالا
دحــاهــا فلمــا رآهــا استــوت على الماء أرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت لــه المـزن تحمـل عـذبـاً زلالا
إذا هـــي سيقــت إلـــى بلـــدة أطـاعـت فصبت عليهـا سجـالا

وكان الخطاب قد آذى زيداً حتى أخرجه إلى أعلى مكة فنزل حِراء مقابل مكة

ووكل به الخطاب شباباً من شباب قريش وسفهاء من سفائهم، فقال لهم لا تتركوه يدخل مكة، وكان لا يدخلها إلا سراً منهم، فإذا علموا بذلك آذنوا به الخطاب فأخرجوه وآذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم وأن يتابعه أحد منهم، ثم خرج يطلب دين إبراهيم يسأل الأحبار والرهبان حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها، ثم أقبل فجاء إلى الشام كلها حتى انتهى إلى راهب ببيعة من أرض البلقاء كان ينتهي إليه علم أهل النصرانية فيما يزعمون، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم فقال: إنك لتطلب ديناً ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم، ولكن قد أظلك زمان نبي يخرج في بلادك التي خرجتَ منها يُبعث بدين إبراهيم الحنيفية، فالحق بها فإنه مبعوث الآن، هذا زمانه. وقد كان شام اليهودية والنصرانية فلم يرض منها شيئاً، فخرج سريعاً حين قال له ذلك الراهب ما قال يريد مكة حتى إذا توسط بلاد لخم عدوا عليه فقتلوه، فقال ورقة بن نوفل يبكيه:

ايذاء الخطاب لزيد

ورقة بن نوفل يرثي زيد بن نفيل

رشدت وأنعمت ابن عمرو وإنما	تجنبت تنورا، من النار حاميا
بـدينـكَ ربـا ليـس رب كمثلـه	وتركُك أوثان الطواغي كما هيا
وإدراكك الدين الذي قد طلبته	ولم تك عن توحيد ربك ساهيا
فأصبحت في دار كريم مقامها	تعلـل فيهـا بـالكـرامـة لاهيـا
تلاقي خليل الله فيها ولم تكن	من الناس جبارا إلى النار هاويا
وقد تدرك الإنسانَ رحمةُ ربه	ولو كان تحت الأرض سبعين واديا

أمية بن أبي الصلت

وممن كان في الفترة أمية بن أبي الصلت الثقفي، وكان عاقلاً، وكان يتجر إلى الشام فيلقى أهل الكتاب من اليهود ويقرأ الكتب، وقد كان علم أن نبياً سيبعث في العرب فطمع أن يكون هو، فلما بعث رسول الله ﷺ وصرفت عنه النبوة حسد وكفر، فكان يقول أشعار على آراء أهل الديانة ويصف فيها السموات والأرض والشمس والقمر والملائكة والأنبياء، ويذكر البعث والنشور والجنة والنار ويعظم الله وحده، ومن ذلك قوله:

الحمـد لله لا شـريـك لـه	من لم يكن هكذا فقد ظلما

ووصف أهل الجنة في بعض كلامه فقال:

فلا لغو ولا تأثيم فيها ... وما فاهوا به لهُمُ مقيم

ولما بلغه ظهور النبي ﷺ اغتاظ لذلك وتأسف، وأتى المدينة ليسلم فردَّه الحسد[1]، فرجع إلى الطائف، فبينما هو ذات يوم مع فتية ليشرب إذ وقع عليه غراب فنعق ثلاثة أصوات وطار فقال أمية: أتدرون ما قال؟ قالوا لا. قال إنه يقول: إن أمية لا يشرب الكأس الثالثة حتى يموت. فقال القوم: لنكذّبن قوله. قال: احثوا كأسكم فحثوها، فلما انتهت الكأس الثالثة إلى أمية أغمي عليه، فسكت طويلاً ثم أفاق وهو يقول:

لَبَيْكُما لبيكما ... ها أنا ذا لديكما

أنا من خفت عليه النعمة. ولم يحمد الشكر

ان تغفر اللهم تغفر جمّا ... وأي عبد لك ما ألمّا

ثم أنشأ يقول:

إن يوم الحساب يوم عظيم ... شاب منه الصغير شيباً طويلا

ليتني كنت قبل ما قد بدا لي ... في رؤوس الجبال أرعى الوعولا

كل عيش وإن تطاول دهراً ... صائر مرة إلى أن يزولا

ثم شهق شهقة كانت فيها نفسه.

وقد روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص في قوله ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا ﴾ الآية: إنه أمية بن أبي الصلت[2] وهو أول من كتب «باسمك اللهم» ومنه تعلمت قريش، ولتعلمه هذه الكلمة سبب عجيب ذكره المسعودي[3].

---

(١) وفي البخاري ٣٨٤١ ومسلم ٢٢٥٦ (قال عليه الصلاة والسلام وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم).

(٢) ذكره الحافظ في الفتح ١٤/ ٣١٠ وذكر أنها من رواية ابن مردويه بإسناد قوي.

(٣) انظر في ذلك مروج الذهب جـ ١ ص ٧٣ ـ ٧٤.

وقد أسلمت عاتكة أخت أمية هذا فخبرت عنه بخبر ذكره عبد الرزاق في تفسيره[1] أنها جاءت إلى النبي ﷺ فحدّثته أنها رأت وهي في اليقظة نسرين نزلا على سقف بيتها، وفيه أخوها أمية نائماً. فشقا السقف، فنزل أحدهما على أمية فشق صدره وحشاه بشيء، ثم أصلحه فخرج. فقال له النسر الآخر: وعى؟ قال: نعم. قال: هل زكا؟ قال: لا. فكذلك كان ينطق بالحكمة في أشعاره ويذكر التوحيد ويعظم الرب ويذكر الجنة والنار، فلما قتل ببدر من قتل من أشراف قريش بكاهم ورثاهم وحقد على الإسلام وحُرم التوفيق. ومما ذكر من شعره قوله:

شعر أمية بن أبي الصلت

إن آيـــات ربنـــا بـــاقيـــات ... مـــا يمـــارى فيهـــن إلا كفـــور
خلـــق الليـــل والنهـــار فكـــل ... مستبيـــن حســـابـــه مقـــدور
ثـــم يجلـــو النهـــارَ رب كـــريـــم ... بمهـــاة شعـــاعهـــا منشـــور
حبس الفيـل بـالمُغَمسِّ حتى ... ظـــل يحبـــو كـــأنـــه معقـــور
لازمـا حلقـة الجـران كمـا قطـ ... ـر مـن صخر كبكب محدور
حـولـه مـن ملـوك كنـدة أبطـا ... ل ملاويث في الحروب صقور
خَلفـوه ثـم ابْـذَعـرّوا جميعـا ... كلهـم عظـم سـاقـه مكسـور
كل دين يوم القيامة عند اللـ ... ـــه إلا ديـــن الحنيفـــة بـــور

ومن ذلك قوله أيضاً:

إلـــه محمـــد حقـــا إلهـــي ... وديـنـــي دينـــه غيـــر انتحـــال
إلـــه العـــالميـــن وكـــل أرض ... ورب الـــراسيـــات مـــن الجبـــال
بنـاهـا وابتنـى سبعـا شـدادا ... بـلا عمـد يـريـن ولا حبـال
وســـواهـــا وزينهـــا بنـــور ... مـن الشمس المضيئة والهلال
ومـن شهـب تـلألأ في دجـاهـا ... مـراميهـا أشـد مـن النصـال
وأنشـأ المـزنَ تُـدلـج بـالـروايـا ... خلال الرعد مرسلة العزالى
ليسقـى الحـرث والأنعـام منهـا ... سجـال المـاء حـالا بعـد حـال

---

(١) تفسير القرآن للإمام عبد الرزاق الصنعاني جـ ٢ ص ٢٤٣.

وشق الأرض فانبجست عيوناً وأنهار من العذب الزلال
وبارك في نواحيها وزكّى بها ما كان من حرث ومال
وأجرى الفلك في تيار موج تفيض على المداليج الثقال
وكل مُعَمَّر لا بد يوما وذي دنيا يصير إلى زوال
ويفنى بعد جدّته ويبلى سوى الباقي المقدَّس ذي الجلال
كأنا لم نعش إلا قليلا إذا كنا من الهوم البوالي
ونادى مسمع الموتى فجئنا من الأجداث كالسفن العجال
فلا أنساب بين الناس ترجى ولا رحم يصير إلى وصال
سوى التقوى ولا مولى يُرَجّى سوى الرب الرحيم من الموالي
وسيق المجرمون وهم عصاة إلى ذات المقامع والنكال
إذا نضجت جلودهم أعيدت كما كانت وعادوا في سفال
ونادوا مالكا ودعوا ثبورا وعجوا في سلاسلها الطوال
فليسوا ميتين فيستريحوا وكلهمو بحرِّ النار صال
وحل المتقون بدار صدق وعيش ناعم تحت الظلال
ظلال بين أعناب ونخل وبنيان من الفردوس عال
لهم ما يشتهون وما تمنوا من اللذات فيها والجمال
ومن استبرق يكسون فيها عطايا جمة من ذي المعالي
وكأس لذة لا غول فيها من الخمر المشَعشعةِ الحلال

وله أشعار كثيرة غير ذلك. وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: أصدق كلمة قالها الشاعر لبيد «ألا كل شيء ما خلا الله باطل» وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم[1]. وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: استنشدني النبي ﷺ من شعر أمية بن أبي الصلت، فأنشدته، حتى أنشدته مائة قافية، رواه البخاري في الأدب المفرد[2]. وممن كان في الفترة أبو قيس صرمة بن أبي أنس من الأنصار من بني

أبو قيس صرمة بن أبي الخس

(١) البخاري ٣٨٤١ ومسلم ٢٢٥٦.
(٢) رقم ٨٦٩ ورواه مسلم برقم ٢٢٥٥.

النجار، وقد كان ترهب ولبس المسوح وهجر الأوثان ودخل بيتاً فاتخذه مسجداً لا تدخله طامث ولا جنب، وقال: أعبد رب إبراهيم، ولما قدم النبي ﷺ المدينة أسلم وحسن إسلامه، وفيه نزلت آية السحور ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾[1] وهو القائل في النبي ﷺ:

ثوى في قريش بضع عشرة حجة ... يذكر لو يلقى حبيبا مواتيا

وهو الذي يقول:

يقول أبو قيس وأصبح غاديا ... ألا ما استطعتم من وصاتي فافعلوا

وأوصيكم بالله والبر والتقى ... وأعراضكم، والبر بالله أول

وإنْ قومكم سادوا فلا تحسدّنهم ... وإن كنتم أهل الرياسة فاعدلوا

وإن نزلت إحدى الدواهي بقومكم ... فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا

وإن أنتم أمعرتم فتعففوا ... وما حملوكم في الملمات فاحملوا

وإن ناب غُرم فادح فارفعوهم ... وإن كان فضل الخير فيكم فافضلوا

ومن ذلك قوله أيضاً:

سبّحوا الله شرق كل صباح ... طلعت شمسه وكل هلال

عالم السر والبيان لدينا ... ليس ما قال ربنا بضلال

يا بَني الأرحام لا تقطعوها ... وصلوها قصيرة من طوال

واتقوا الله في ضعاف اليتامى ... ربما يستحلُّ غير الحلال

واعلموا أن لليتيم وليا ... عالما يهتدي بغير السؤال

ثم مال اليتيم لا تأكلوه ... إن مال اليتيم يرعاه وال

واجمعوا أمركم على البر والتقـ ... ـوى وترك الخنا وأخذ الحلال[2]

أبو عامر الأوسي

ومنهم أبو عامر الأوسي واسمه عبد عمرو بن صيفي بن النعمان من بني عمرو بن عوف، وابنه حنظلة بن أبي عامر وهو غسيل الملائكة، وكان سيداً في

---

(١) انظر البخاري برقم ١٩١٧، ٤٥١١ ومسلم ١٠٩١ وانظر أسباب النزول للواحدي ص ٥٤.

(٢) انظر ترجمة صرمة في أسد الغابة جـ ٣ ص ١٨.

الجاهلية قد ترهب فيها ولبس المسوح، وكان يسمى في الجاهلية الراهب، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاهره بالعداوة فخرج فاراً إلى قريش يمالئهم على حرب رسول الله ﷺ وجاء معهم يوم أحد وحفر حفائر بين الصفين فوقع في إحداهن رسول الله ﷺ، وتقدم في أول المبارزة فاستمالهم إلى نصره، فلما عرفوه قالوا: ألا أنعم الله بك عينا يا فاسق يا عدو الله، ونالوا منه، فرجع وهو يقول: لقد أصاب قومي بعدي شر، ودعا عليه رسول الله ﷺ أن يموت طريداً بعيداً فنالته الدعوة، وذلك أنه لما رأى أمر رسول الله ﷺ في ارتفاع ذهب إلى هرقل يستنصره على النبي ﷺ، فوعده ومنّاه، وأقام عنده، وكتب إلى جماعة من أهل النفاق من قومه يعدهم أنه سيقدم عليهم بجيش، فيخرج محمداً وأصحابه، وأمرهم أن يبنوا مسجداً ويستعدوا بما استطاعوا من قوة وسلاح، فبنوا مسجد الضرار، فلما فرغوا أتوا إلى النبي ﷺ فقالوا: إنا قد فرغنا من مسجدنا فنحب أن تصلي فيه وتدعو لنا بالبركة، فأنزل الله فيه القرآن ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا ﴾ الآيات. وأمر به رسول الله ﷺ بعد أن رجع من تبوك فحرقه[١].

ذكر قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري عن محمد بن لبيد عن عبد الله بن العباس قال: حدثني سلمان الفارسي من فيه قال: كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان من أهل قرية يقال لها جي، وكان أبي دهقان أهل قريته، وكنت أحبَّ خلق الله إليه، فلم يزل حبه إياي حتى حبسني كما تحبس الجارية، واجتهدتُ في المجوسية حتى كنت قطن النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة. قال: وكانت لأبي ضيعة عظيمة، قال فشغل في بنيان له يوماً فقال لي: يا بني قد اشتغلت في بنياني هذا عن ضيعتي فاذهب إليها فاطلعها، وأمرني فيها ببعض ما يريد، ثم قال: ولا تحتبس عني فإنك إن احتبست عني كنت عندي أهم إليّ من ضيعتي، وشغلتني عن كل شيء من أمري. قال فخرجت أريد ضيعته التي بعثني إليها

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير ١١/ ١٧ وانظر أسباب النزول للواحدي ص ٢٦٤.

فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون. فلما رأيتهم أعجبتني صفتهم في صلاتهم ورغبت في أمرهم وقلت هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس، وتركت ضيعة أبي فلم آتها. ثم قلت لهم: من أين أصل هذا الدين؟ قالوا بالشام. فرجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله، فلما جئته قال: أي بني أين كنت؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت؟ قال قلت له: يا أبتِ مررت بنصارى يصلون بكنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس. قال: أي بني ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه. قال قلت له: كلا والله إنه لخير من ديننا. فخافني، فجعل في رجلي قيداً ثم احتبسني في بيته. قال وبعثت إلى النصارى وقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم قال فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى، فأخبروني بهم، فقلت لهم: إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني بهم. فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام. فلما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة. قال فجئت فقلت له: إني قد رغبت في هذا الدين وأحببت أن أكون معك وأخدمك في كنيستك وأتعلم منك وأصلي معك. قال: ادخل. فدخلت معه. قال: فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه شيئاً منها اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق، قال وأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع. ثم مات، فاجتمعت له النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا رجل سوء، يأمركم بالصدقة، ويرغبكم فيها فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئاً. فقالوا لي وما علمك بذلك؟ قلت لهم: إني أدلكم على كنزه، قالوا: فدلنا عليه. قال فأريتهم موضعه فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهباً، وورقاً، قال فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبداً، فصلبوه ورموه بالحجارة، وجاءوا برجل فجعلوه مكانه. قال يقول سلمان: فما رأيت رجلاً يصلي الخمس أرى أنه أفضل ولا أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلاً ونهاراً منه. قال فأحببته

حباً شديداً لم أحب شيئاً قبله. قال فأقمت معه زماناً. ثم حضرته الوفاة فقلت له: يا فلان إني قد كنت معك فأحببتك حباً لم أحبه شيئاً من قبلك وقد حضرك ما ترى من أمر الله، فإلى من توصي بي وبم تأمرني؟ قال: أي بني والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنت عليه، لقد هلك الناس وبدّلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه، إلا رجلاً بالموصل وهو فلان، وهو على ما كنت عليه، فالحق به، قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل فقلت له: يا فلان إن فلاناً أوصاني عند موته أن ألحق بك، وأخبرني أنك على أمره. فقال لي: أقم عندي، فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة قلت له: يا فلان إن فلاناً أوصى بي إليك وأمرني أن ألحق بأمرك، وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصي بي، وبم تأمرني؟ قال: يا بني والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين وهو فلان. فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فأخبرته خبري وما أمرني به صاحبي، فقال: أقم عندي، فأقمت عنده، فوجدته على أمر صاحبيه فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حضر قلت له: يا فلان إن فلاناً كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي، وبم تأمرني؟ قال: يا بني والله ما أعلم بقي أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجل بعمورية من أرض الروم، فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فأته فإنه على أمرنا. فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية فأخبرته خبري فقال: أقم عندي، فأقمت عند خير رجل على هدي أصحابه وأمرهم. قال فاكتسبت، حتى صار لي بقرات وغنيمة. قال ثم نزل به أمر الله، فلما حضر قلت له: يا فلان إني كنت مع فلان فأوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي، وبم تأمرني؟ قال: أي بني والله ما أعلم أصبح اليوم أحد من الناس على مثل ما كان عليه هؤلاء آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظل زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام، يخرج بأرض العرب مهاجره إلى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة. فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل، ثم مات وغيب. قال ومكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مر بي نفر من كلب تجار، فقلت لهم: احملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه

وغنيمتي هذه. قالوا نعم، فأعطيتهم إياها وحملوني معهم، حتى إذا بلغوا وادي القرى ظلموني فباعوني إلى رجل يهودي عبداً، فكنت عنده ورأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي ولم يحق في نفسي، فبينما أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من قريظة من المدينة فابتاعني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي، فأقمت بها وبُعث رسول الله ﷺ وأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة فوالله إني لفي رأس عذق لسيدي أعمل له بعض العمل، وسيدي جالس تحتي، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال: يا فلان قاتل الله بني قيلة[1] والله إنهم الآن لمجتمعون بقبا على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعم أنه نبي. قال سلمان: فلما سمعتها أخذتني العُرَواء وهي الحمى النافض ـ قال ابن هشام: العرواء هي المرعدة من البرد والانتفاض ـ حتى ظننت أني ساقط على سيدي، فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ قال: فغضب سيدي. فلكمني لكمة شديدة ثم قال: مالك ولهذا؟ أقبل على عملك. قال فقلت له: لا شيء إنما أردت أن أستثبته عما قال. قال: وقد كنت عندي شيء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته وذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقبا، فدخلت عليه فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم. قال: فقربته إليه، فقال ﷺ: كلوا، وأمسك يده، فلم يأكل، فقلت في نفسي: هذه واحدة ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة فجئته به فقلت له: إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتك بها. قال: فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه فأكلوا معه منها، قال فقلت في نفسي: هاتان ثنتان. ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد قد تبع جنازة أحد أصحابه عليه شملتان له وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الذي وصف لي صاحبي، فلما رآني ﷺ استدبرته عرف أني أستثبت في شيء وُصف لي، فألقى رداءه على ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فأكببت عليه أقبله فبكى وأبكى، فقال لي ﷺ: تحوّل، فتحولت

---

(١) بنو قيلة هم الأوس والخزرج أهل المدينة (ق).

فجلست بين يديه فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس، فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه، ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأحد، قال سلمان: ثم قال لي ﷺ: كاتب يا سلمان، فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها له بالفقير، وأربعين أوقية. فقال ﷺ لأصحابه: أعينوا أخاكم، فأعطوني بالنخل الرجل ثلاثين ودية[1] والرجل بعشرين والرجل بخمسة عشر والرجل بعشر، يعين الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية، فقال لي رسول الله ﷺ: اذهب يا سليمان ففقرّ لها[2] فإذا فرغت فأتني أكون أنا واضعها بيدي. قال ففقرت وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت جئته فأخبرته، فخرج رسولُ الله ﷺ معي إليها، فجعلنا نقرب إليه الودية ويضعه ﷺ بيده حتى فرغنا، فوالذي نفس سلمان بيده ما مات منها ودية واحدة، فأديت النخل وبقي عليّ المال، فأتى رسولُ الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن فقال: ما فعل الفارسي المكاتب؟ قال فدعيت له، فقال: خذ هذه فأدّها مما عليك يا سلمان. قال قلت: وأين تقع هذه يا رسول الله من الذي عليّ؟ فقال: خذها فإن الله سيؤديها عنك. قال: فأخذتها فوزنت لهم منها ـ والذي نفس سلمان بيده ـ أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم منها. وعتق سلمان. فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق حرا، ثم لم يفتني مشهد[3] انتهى. وفي صحيح البخاري[4] عن سلمان الفارسي أنه تداوله بضعة عشر من رب إلى رب. وفيه[5] عن أبي عثمان قال: سمعت سلمان يقول: أنا من رام هرمز، وفيه[6] عن

---

(١) الودية: النخلة الصغيرة كالفسيل (ق).

(٢) أي احفر لها موضعاً تغرس فيه، واسم الحفرة فقرة وفقير (ق).

(٣) أخرج هذه القصة الإمام أحمد في المسند ٥/ ٤٤١ والبيهقي في الدلائل ٢/ ٨٢ وأبو نعيم في الدلائل ١٩٩ وابن سعد في الطبقات ٤/ ٧٥ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١/ ١٦٤ والطبراني في المعجم الكبير ٦٠٦٥ كلهم من طريق ابن إسحاق وسندها حسن لتصريح ابن اسحاق بالسماع، وصححها العلامة الألباني في الصحيحة رقم ٨٩٤.

(٤) رواه البخاري برقم ٣٩٤٦.

(٥) رواه البخاري برقم ٣٩٤٧.

(٦) رواه مسلم برقم ٢٨٦٥ وأحمد ٥/ ١٦٢.

عثمان عن سلمان قال: فترة ما بين عيسى ومحمد ستمائة سنة. وفي صحيح مسلم[1] من حديث عياض بن حمار عن النبي ﷺ: «أن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب».

ذكر صفات رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة

روى البخاري[2] عن عبد الله بن عمرو قال: وجدت في التوراة في صفة النبي ﷺ يقول الله سبحانه «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأمّيين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ويفتح عيوناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً بأن يقولوا لا إله إلا الله» وذكر الواقدي من حديث النعمان قال: كان من أحبار يهود باليمن فلما سمع بذكر النبي ﷺ قدم عليه فسأله عن أشياء ثم قال: إن أبي كان يختم على سفر يقول: لا تقرأه حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب، فإذا سمعت به فافتحه. قال نعمان: فلما سمعت به فتحت السفر فإذا فيه صفتك كما أراك الساعة، وإذا فيه ما يحل وما يحرم، وإذا فيه أنك خير الأنبياء، وأمتك خير الأمم، واسمك أحمد، وأمتك الحامدون، وقربانهم دماؤهم وأناجيلهم صدورهم، لا يحضرون قتالاً إلا وجبريل معهم يتحنن الله إليهم كتحنن النسر على فراخه. ثم قال لي: إذا سمعت به فاخرج إليه وآمن به وصدِّق به. فكان النبي ﷺ يحب أن يسمع أصحابه حديثه. فأتاه فقال ﷺ: يا نعمان حدثنا، فابتدأ النعمان الحديث من أوله فرأى رسول الله ﷺ يبتسم، ثم قال: أشهد أني رسول الله. وهو الذي قتله الأسود العنسي وقطعه عضواً عضواً وهو يقول: أشهد أن محمد رسول الله وأنك كاذب مفتر على الله، ثم حرقه بالنار. وقال أبو العباس رحمه الله في الرد على النصارى[3]: وقد استخرج غير واحد من العلماء

أهل الكتاب يعلمون بشارات الكتب بالرسول ﷺ

(١) رواه البخاري برقم ٣٩٤٨.

(٢) رواه البخاري برقم ٢١٢٥.

(٣) هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية في كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) (ق).

من الكتب الموجودة الآن في أيدي أهل الكتاب من البشارات بنبوته مواضع متعددة، وصنفوا في ذلك مصنفات. وهذه البشارات مصنفات. وهذه البشارات في هذه الكتب من جنس البشارات بالمسيح عليه السلام، واليهود يقرون باللفظ لكن يدّعون أن المبشر به ليس هو المسيح ابن مريم وإنما هو آخر ينتظر، وهم في الحقيقة لا ينتظرون إلا المسيح الدجال، وينتظرون أيضاً لمجيء عيسى ابن مريم إذا نزل من السماء ويحرفون دلالة اللفظ ويقولون إنها لا تدل على نبي منتظر، كما قالوا في قوله: سأقيم لبني إسرائيل من إخوتهم مثلك يا موسى، أنزل عليه توراة، أجعل كلامي على فيه. قال بعضهم: ليس هذا إخباراً بل استفهام إنكار، وقدروا ألف استفهام أي أسأقيم، وليس في النص شيء من ذلك. واليهود يحرفون الدلالات المبشرة بالمسيح، وذلك عند المسلمين والنصارى لا يقدح في البشارة بالمسيح بل يبين دلالة المنصوص عليه وبطلان تحريف اليهود، وكذلك البشارات بمحمد ﷺ في الكتب المتقدمة لا يقدح فيها تحريف أهل الكتاب اليهود[1] والنصارى بل يبين دلالة تلك النصوص على نبوة محمد ﷺ وبطلان تحريف أهل الكتاب.

[2]وشهادة الكتب لمحمد ﷺ إما شهادتها بنبوته وأما شهادتها بمثل ما أخبر به هو من الآيات البينات على نبوته ونبوة من قبله، وهو حجة أهل الكتاب على أصناف المشركين الملحدين كما ذكر الله هذا النوع من الآيات في غير موضع من كتابه كما في قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾، ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾ وقوله ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ الآية ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾، ﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ ﴾ وذلك مثل قوله في التوراة ما قد ترجم بالعربية: جاء الله من طور سيناء. وبعضهم يقول: تجلى الله في طور سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلى من جبل فاران قال كثير من العلماء واللفظ

---

(١) انظر الجواب الصحيح ٣/ ٣٠٩.

(٢) انظر الجواب الصحيح ٣/ ٣١٥ وما بعدها.

لأبي محمد[1]: ليس بهذا خفاء على من يذكره ولا غموض، لأن مجيء الله من طور سيناء إنزاله التوراة على موسى من طور سينا كالذي هو عند أهل الكتاب وعندنا، وكذلك يجب أن يكون إشراقه من ساعير إنزاله الإنجيل على المسيح و كان المسيح من ساعير أرض الجليل بقرية تدعى ناصرة وباسمها سمي من اتبعه نصارى، وكما وجب أن يكون إشراقه من ساعير بالمسيح فكذلك يجب أن يكون استعلانه من جبال فاران وهي جبال مكة. وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة، فإن ادعوا أنها غير مكة فليس ينكر أن ذلك من تحريفهم وإفكهم. قلنا أليس في التوراة أن إبراهيم أسكن هاجر وإسماعيل فاران، وقلنا: دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران والنبي الذي أنزل عليه كتاب بعد المسيح، أوليس استعلن وعلا وهما بمعنى واحد وهو ظهر وانكشف، فهل تعلمون دينا ظهر ظهور الإسلام وفشا في مشارقها ومغاربها فشوّهُ؟ قال ابن ظفر: ساعير جبل بالشام منه ظهور نبوّة المسيح. قلت: وبجانب بيت لحم القرية التي ولد فيها المسيح تسمى إلى اليوم ساعير، وفي التوراة أن نسل العيص كانوا سكاناً بساعير، وأمر الله موسى أن لا يؤذيهم، وعلى هذا فيكون ذكر الجبال الثلاثة حقاً: جبل حِراء الذي ليس حول مكة جبل أعلى منه وفيه كان نزول أول الوحي على النبي ﷺ وحوله من الجبال جبال كثيرة حتى قد قيل إن بمكة اثني عشر ألف جبل، ذلك المكان يسمى برية فاران إلى هذا اليوم، والبرية التي بين مكة وطور سيناء بريه فاران، ولا يمكن أن أحداً بعد المسيح نزل عليه كتاب في شيء من تلك الأرض ولا بعث نبي، فعلم أنه ليس المراد باستعلانه من جبال فاران إلا إرسال محمد ﷺ، وهو سبحانه ذكر هذا في التوراة على الترتيب الزماني، فذكر إنزال التوراة ثم الإنجيل ثم القرآن، وهذه الكتب نور الله وهداه، وقال في الأول: جاء وظهر، وفي الثاني أشرق، وفي الثالث استعلن، فكان مجيء التوراة مثل طلوع الفجر أو ما هو أظهر من ذلك، ونزول الإنجيل مثل إشراق الشمس زاد به النور والهدى، وأما نزول القرآن بمنزلة ظهور الشمس في السماء ولهذا قال «واستعلن من جبال فاران» فإن محمداً ﷺ ظهر به نور الله وهداه في مشرق

---

(1) في الجواب الصحيح ٣/ ٣١٦ [واللفظ لمحمد بن قتيبة].

ما ورد فيه ذكر الرسول ﷺ

الأرض ومغربها أظهر مما ظهر بالكتابين المتقدمين كما يظهر نور الشمس إذا استعلت في مشارق الأرض ومغاربها ولهذا سماه الله (سراجاً منيراً) وسمى الشمس (سراجاً وهاجاً)، والخلق يحتاجون إلى السراج المنير أعظم من حاجتهم إلى السراج الوهاج، فإن السراج الوهاج، يحتاجون إليه في وقت دون وقت، وأما السراج المنير فيحتاجون إليه كل وقت وفي كل مكان، ليلاً ونهاراً سراً وعلانية، وقد قال النبي ﷺ «زويت لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها»[1] وهذه الأماكن الثلاثة أقسم الله بها في القرآن في قوله تعالى ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ ﴾ فأقسم بالتين والزيتون وهو الأرض المقدسة التي نبت فيها ذلك ومنها بعث المسيح وأنزل عليه الإنجيل، وأقسم بطور سينين، وهو الجبل الذي كلم الله فيه موسى وناداه من واديه الأيمن من البقعة المباركة من الشجرة، وأقسم بالبلد الأمين وهي مكة، وهو البلد الذي أسكن فيه إبراهيم ابنه إسماعيل وأمه. فقوله تعالى ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ ﴾ الآية إقسام منه تعالى بالأمكنة الشريفة المعظمة الثلاثة التي ظهر فيها نوره وهداه وأنزل فيها الكتب الثلاثة التوراة والإنجيل والقرآن كما ذكر الثلاثة في التوراة بقوله: جاء الله من طور سينا، وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران. ولما كان ما في التوراة خبرا عنها أخبر بها على ترتيبها الزماني فقدم الأسبق، وأما القرآن فإنه أقسم بها تعظيماً لشأنها، وذلك لقدرته وآياته وكتبه ورسله، فأقسم بها على وجه التدريج كما في قوله درجة بعد درجة، فختمها بأعلى الدرجات، فأقسم أولاً بالتين والزيتون ثم بطور سيناء ثم بمكة شرفها الله، لأن أشرف الكتب الثلاثة القرآن ثم التوراة ثم الإنجيل، وكذا الأنبياء فأقسم بها على وجه التدريج كما في قوله تعالى ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝٢ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝٣ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤ ﴾ فأقسم بطبقات المخلوقات طبقة بعد طبقة، فأقسم بالرياح الذاريات، ثم بالسحاب الحاملات للمطر فإنها فوق الرياح، ثم بالجاريات يسرا وقد قيل إنها السفن، ولكن الأنسب أن تكون هي الكواكب المذكورة في قوله ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦ ﴾ والكواكب فوق السحاب. ثم قال

---

(١) رواه مسلم من حديث ثوبان برقم ٢٨٨٦.

﴿ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ ﴾ وهي الملائكة التي هي أعلى درجة من هذا كله. وما ذكره ابن قتيبة وغيره من تربية إسماعيل في برية فاران فهكذا هو في التوراة. وقال داود في الزبور في قوله: سبحوا الله تسبيحاً جديداً، وليفرح بالخلق من اصطفى الله له أمته وأعطاه النصر وسدد الصالحين منهم بالكرامة يسبحونه على مضاجعهم ويكبرون الله بأصوات مرتفعة، بأيديهم سيوف ذات شفرتين لينتقم بهم من الأمم الذين لا يعبدونه. وهذه الصفات إنما تنطبق على صفات محمد وأمته، فهم الذين يكبرون الله بأصوات مرتفعة في أذانهم للصلوات الخمس، وعلى الأماكن العالية، كما قال جابر بن عبد الله (كنا مع رسول الله ﷺ إذا علونا كبرنا، وإذا هبطنا سبحنا. فوضعت الصلاة على ذلك)، رواه أبو داود وغيره[١]. وهم يكبرون الله بأصوات عالية مرتفعة في أعيادهم عيد الفطر وعيد النحر في الصلاة والخطبة، وفي أذانهم للصلاة، وفي أيام منى الحجاج وسائر أهل الأمصار يكبرون عقيب الصلاة ويكبرون على قرابينهم وهديهم وضحاياهم، والنصارى يسمون عيد المسلمين عيد الله الأكبر لظهور التكبير فيه، وليس هذا لأحد من الأمم غير المسلمين وإنما كان موسى يجمع بني إسرائيل بالبوق، والنصارى شعارهم ناقوس. وكذلك قوله «بأيديهم سيوف ذات شفرتين» وهي السيوف العربية التي بها فتح الصحابة وأتباعهم البلاد. وقوله «يسبِّحون على مضاجعهم» بيان لنعت المؤمنين الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، ويصلي أحدهم الفرض قائماً، فإن لم يستطع فقاعداً فإن لم يستطع فعلى جنب، ويصلون في البيوت وعلى المضاجع، بخلاف أهل الكتاب، والصلاة أعظم التسبيح[٢].

---

(١) في الجواب الصحيح ٣/ ٣٣١ رواه البخاري وهو في البخاري برقم ٢٩٩٣ والنسائي في الكبرى، وفي عمل اليوم والليلة برقم ١٠٣٧٥.
(وفي أبي داود كان النبي ﷺ وجيوشه إذا علوا شرفاً كبروا وإذا هبطوا سبحوا) أبو داود برقم ٢٥٨٢.

(٢) انظر الجواب الصحيح ٣/ ٣٣٦.

فصل

ما ذكر في الزبور

وقال داود في مزاميره وهي الزبور «ومن أجل هذا بارك الله عليك إلى الأبد، فتقلد أيها الجبار بالسيف لأن البهاء لوجهك والحمد الغالب عليك، أركب كلمة الحق وسمة التأله، فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك، وسهامك مسنونة، والأمم يخرون تحتك». قالوا فليس متقلد السيف من الأنبياء بعد داوود سوى محمد ﷺ، وهو الذي خرت له الأمم تحته، وقرنت شرائعه بالهيبة كما قال ﷺ «نصرت بالرعب مسيرة شهر»[1]. وقد أخبر داوود أن له ناموساً وشرائع، وخاطبه بلفظ الجبار إشارة إلى قوته وقهره لأعداء الله، بخلاف المستضعف المقهور، وهو ﷺ نبي الرحمة ونبي الملحمة، وأمته أشداء على الكفار رحماء بينهم، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، بخلاف من كان ذليلاً للطائفتين من النصارى المقهورين مع الكفار، أو كان عزيزاً على المؤمنين من اليهود، بل كان مستكبراً كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون. قالوا وقال داود في مزمور له: إن ربنا عظيم محمود جداً، وفي رواية: إلهنا قدوس ومحمد قد عم الأرض كلها فرحاً. قالوا فقد نص داود على اسم محمد وبلده وسماها قرية الله، فأخبر أن كلمته تعم الأرض كلها. وقد تقدم الحديث الصحيح لما قيل لعبد الله بن عمرو: أخبرنا ببعض صفة رسول الله ﷺ في التوراة، وذكر صفته موجودة بنبوءة أشعيا، وليست موجودة في نفس كتاب موسى، ولفظ «التوراة» يقصدون به جنس الكتب التي عند أهل الكتاب وكذلك ما يوجد كثيراً في قول كعب الأحبار وغيره قرأت في التوراة، إنما يريدون به جنس الكتاب الذي عند أهل الكتاب، لا يخصون بذلك كتاب موسى. وأهل الكتاب يجدونه مكتوباً في الكتب التي بأيديهم، وهو في كثير منها أصرح مما هو في كتاب موسى خاصة، فإذا أريد بالتوراة جنس الكتب فلا يستريب عاقل في كثرة نعته وذكره، ونعت أمته في تلك الكتب، ومعلوم أن الله أراد الاستشهاد به في تلك الكتب وإقامة الحجة بذكره، فإذا كان ذكره في غير كتاب موسى أشهر وأظهر وأكثر كان الاستدلال بذلك أولى من تخصيص الاستدلال بكتاب

---

(١) رواه البخاري برقم ٣٣٥ ومسلم برقم ٥٢١.

موسى. قالوا: وقال داود في مزموره «ويجوز من البحر إلى البحر، ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض، وتخر أهل الجزائر بين يديه، وتلحس أعداؤه التراب، وتسجد له ملوك الفرس، وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد، ويخلص البائس المضطهد ممن هو أقوى منه، وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له، ويرأف بالمساكين والضعفاء، ويصلى عليه ويبارك في كل حين». وهذه الصفات منطبقة على محمد وأمته لا على المسيح، فإنه لم يتمكن هذا التمكن في حياته ولا من اتبعه بعد موته.

فصل

ما ذكر عن أشعيا

قالوا وقال أشعيا النبي عليه السلام معلنا باسم رسول الله «إني جعلت أمرك محمداً يا محمد يا قدوس الرب اسمك موجود من الأبد» ونص على خاتم النبوة «ولد لنا غلام يكون عجباً وبشراً، والشامة على كتفيه، أركون السلام إله جبار وسلطانه سلطان السلم، يجلس على كرسي داود» فهل يبقى بعد ذلك لزائغ أو لطاعن مجال؟ قالوا: الأركون هو العظيم بلغة الإنجيل، والأراكنة المعظمون، فقد شهد أشعيا بصحة نبوة محمد ووصفه بأخص علامته وأوضحها وهي شامته، فلعمري لم تكن الشامة لسليمان ولا للمسيح، وقد وصفه بالجلوس على كرسي داود، يعني أنه سيرث بني إسرائيل نبوتهم وملكهم ويبتزهم رياستهم.

قالوا وقال أشعيا في نبوته «قيل لي قم نظاراً فانظر ماذا ترى؟ فقلت: أرى راكبين مقبلين، أحدهما على حمار والآخر على جمل، ويقول أحدهما لصاحبه سقطت أصنام بابل وأصحابها للبحر. قالوا فراكب الحمار هو المسيح وراكب الجمل هو محمد، وهو أشهر بركوب الجمل من المسيح بركوب الحمار، وبمحمد ﷺ سقطت أصنام بابل.

فصل

وصف أمة محمد ﷺ

قالوا وقال حزقيل[1] وهو يصف لهم أمة محمد: وإن الله يظهرهم عليكم

(١) في الجوال الصحيح (دانيال) ٣/ ٣٥٣.

وباعث فيهم نبياً ومنزل عليهم كتاباً ويملكهم رقابكم فيقهرونكم ويذلونكم بالحق ويخرج رجال بني قيذار في جماعة الشعوب ومعهم ملائكة على خيل بيض متسلحين فيحيطون بكم وتكون عاقبتكم إلى النار، نعوذ بالله من النار. وذلك أن رجال بني قيذار هم ربيعة ومضر أبناء عدنان، وهم جميعاً من ولد قيذار بن إسماعيل، والعرب كلهم من بني عدنان وبني قحطان، فعدنان أبو ربيعة ومضر وأنمار من ولد إسماعيل باتفاق الناس، وأما قحطان فقيل هم من ولد إسماعيل وقيل من ولد هود، ومضر ولده إلياس بن مضر، وقريش هم من ولد إلياس بن مضر، وهوازن مثل عُقيل وكلاب وسعد بن بكر وبنو نمير وثقيف وغيرهم من ولد إلياس بن مضر، وهؤلاء انتشروا في الأرض فاستولوا على أرض الشام والجزيرة ومصر والعراق وغيرها، حتى أنهم لما سكنوا الجزيرة بين الفرات ودجلة سكنت مضر في حران وما قرب منها فسميت ديار مضر، وسكنت ربيعة في الموصل وما قرب منها فسميت ديار ربيعة. وقوله «تنزل معهم ملائكة على خيل بيض» فهذا مما تواترت به الآثار أن الملائكة كانت تنزل على الخيل البيض[1].

فصل

ما ذكر عن دانيال

وقال دانيال عليه السلام وذكر محمداً رسول الله باسمه قال «ستنزع في قسيك إغراقاً، وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواء» فهذا تصريح بغير تعريض، وتصحيح ليس فيه تعريض، فإن نازع في ذلك منازع فليوجد لنا آخر اسمه محمد له سهام تنزع، وأمر مطاع لا يدفع. وقال دانيال النبي أيضاً: سألت الله وتضرعت إليه أن يبين لي ما يكون من بني إسرائيل، هل يتوب عليهم ويرد إليهم ملكهم ويبعث فيهم الأنبياء، أو يجعل ذلك في غيرهم؟ قال دانيال: فظهر لي الملك في صورة شاب حسن الوجه فقال: السلام عليك يا دانيال، إن الله يقول: إن بني إسرائيل أغضبوني وتمردوا عليّ وعبدوا من دوني آلهة أخرى، وصاروا من بعد العلم إلى الجهل ومن بعد الصدق إلى الكذب، فسلطت عليهم بختنصر؛ فقتل رجالهم وسبى ذراريهم وهدم بيت مقدسهم

(١) نهاية الجزء الثالث من الجواب الصحيح.

وحرق كتبهم، وكذلك فعل من بعده بهم، وأنا غير راض عنهم ولا مقيلهم عثراتهم فلا يزالون مغلوبين عليهم الذلة والمسكنة حتى أبعث نبياً من بني إسماعيل الذي بشرت به هاجر وأرسلت إليها ملاكي فبشرها؛ وأوحي إلى ذلك النبي وأعلمه الأسماء وأزينه بالتقوى وأجعل البر شعاره والتقوى ضميره والصدق قوله والوفاء طبيعته والقصد سيرته والرشد سنته، أخصه بكتاب مصدق لما بين يديه وناسخ لبعض ما فيها. أسري به إليّ وأرقيه من سماء إلى سماء حتى يعلو فأدنيه وأسلم عليه. وأوحي إليه ثم أرده إلى عبادي بالسرور والغبطة حافظاً لما استودع صادقاً بما أمر يدعو إلى توحيدي باللين من القول والموعظة الحسنة، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، رؤوف بمن والاه رحيم بمن آمن به، خشن على من عاداه، فيدعو قومه إلى توحيدي وعبادتي، ويخبرهم بما رأى من آياتي فيكذبونه ويؤذونه.

قال الناقل لهذه البشارة: ثم سرد دانيال قصة رسول الله ﷺ حرفاً حرفاً مما أملاه عليه الملك حتى أوصل آخر أيام أمته بالنفخة وانقضاء الدنيا، ونبوته كثيرة وهي الآن عند النصارى واليهود يقرون بها ويقولون: لم يظهر صاحبها بعد وفيها ما وصفنا من ما ذكره الله من وصف هذه الأمة ونبيها واتصال ملكهم بالقيامة. قلت: فهذه نبوة دانيال فيها البشارة بالمسيح والبشارة بمحمد ﷺ، وفيها من وصف محمد ووصف أمته بالتفضيل ما يطول وصفه. وقد قرأها المسلمون لما فتحوا العراق كما ذكر ذلك العلماء منهم أبو العالية: ذكر أنهم لما فتحوا تستر وجدوا دانيال ميتاً ووجدوا عنده مصحفاً، قال أبو العالية: أنا قرأت ذلك المصحف وفيه صفتكم ولحون كلامكم، وكان أهل الناحية إذا أجدبوا كشفوا عن قبره فيسقون[1]. فكتب أبو موسى في ذلك إلى عمر بن الخطاب فكتب إليه عمر أن احفر بالنهار ثلاثة عشر قبراً وادفنه بالليل في واحد منها لئلا يفتتن الناس به[2].

حديث جبير بن مطعم

وعن جبير بن مطعم قال: «لما بعث الله نبيه فظهر أمره بمكة خرجت إلى الشام، فلما كنت ببصرى أتتني جماعة من النصارى فقالوا لي: أمن الحرم أنت؟ قلت

---

(١) انظر دلائل النبوة للبيهقي ١/ ٣٩٠.

(٢) إلى هنا انتهى كلام شيخ الإسلام من الجواب الصحيح ٤/ ٥.

نعم. قالوا: فتعرف هذا الذي تنبأ فيكم؟ قلت نعم. قال: فأخذوا بيدي فأدخلوني ديراً لهم فيه تماثيل قالوا انظر هل ترى صورة هذا النبي الذي بعث فيكم، فنظرت فلم أر صورته، قلت: لا أرى صورته، فأدخلوني إلى دير أكبر من ذلك الدير فيه صور أكثر مما في ذلك الدير فقالوا لي: انظر هل ترى صورته؟ فنظرت فإذا أنا بصفة رسول الله ﷺ وصورته. وإذا أنا بصفة أبي بكر وصورته وهو آخذ بعقب رسول الله ﷺ. فقالوا لي: انظر هل ترى صفته؟ قلت: نعم. قالوا: هو هذا؟ وأشاروا إلى صفة رسول الله ﷺ، قلت: اللهم نعم، أشهد أنه هو، قالوا: أتعرف هذا الذي أخذ بعقبه؟ قلت نعم قالوا: نشهد أن هذا صاحبكم وأن هذا الخليفة من بعده» رواه البخاري في تاريخه. قال: الذي أراه أن الصور لم يكن نبي إلا كان بعده نبي إلا هذا النبي. ورواه أبو نعيم في دلائل النبوة[1]. وروى موسى بن عقبة أن هشام بن العاص ونعيم بن عبد الله ـ ورجلاً آخر قد سماه ـ بعثوا إلى ملك الروم زمن أبي بكر، قال: فدخلنا على جبلة بن الأيهم وهو بالغوطة فذكر الحديث، وأنه انطلق بهم إلى الملك، وأنهم وجدوا عنده شبه الرقعة العظيمة مذهبة، وإذا فيها أبواب صغار، ففتح باباً فاستخرج منه خرقة حرير سوداء فيها صورة آدم، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة وفيها صورة نوح، ثم أراهم حريرة فيها صفة محمد ﷺ وقال: هذا آخر الأبواب، لكني عجلته لأنظر ما عندكم. ثم فتح أبواباً أخرى فأراهم صور بقية الأنبياء: موسى وهارون وداود وسليمان وعيسى ابن مريم وصفة لوط وصفة إسحاق، وذكر أن هذا كان عندهم قديماً من عهد آدم وأن دانيال صورها بأعيانها. وروى مثل هذا عن المغيرة بن شعبة أنه لما دخل على المقوقس ملك مصر والإسكندرية أخرج له صور الأنبياء فأخرج له صورة نبينا ﷺ فعرفها[2].

---

(١) رواه أبو نعيم في الدلائل برقم ١٢ والبخاري في التاريخ الكبير ١/ ١٧٩ والبيهقي في الدلائل ١/ ٣٨٤ وقال الهيثمي في المجمع ٨/ ٢٤٣ رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه من لم أعرفهم.

(٢) رواه البيهقي في الدلائل ١/ ٣٨٥ وأبو نعيم في الدلائل برقم ١٣ بأطول من هذا السياق.

ذكر حدوث الرمي، وإنذار الكهان برسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق[1]: وكانت الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه بما يقارب زمانه، وأما الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى فعن ما وجدوا في كتبهم صفته وصفة زمانه وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه، وأما الكهان من العرب فتأتيهم به الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع إذ كانت وهي لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره ولا تلقي العرب لذلك فيه بالا، حتى بعثه الله، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون فعرفوها، فلما تقارب زمان رسول الله ﷺ وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها وبين القاعدة التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها، فرموا بالنجوم، فعرفت الجن أن ذلك حدث من أمر الله. قال ابن إسحاق: وذلك لئلا يلتبس بالوحي، وليكون ذلك أظهر للحجة، وأقطع للشبهة. قال السهيلي[2]: وما قاله صحيح، ولكن القذف بالنجوم كان قديماً، وذلك موجود في أشعار القدماء في الجاهلية. وذكر عبد الرزاق في تفسيره[3] عن معمر عن ابن شهاب أنه سئل عن هذا الرمي بالنجوم أكان في الجاهلية؟ قال: نعم، ولكنه إذا جاء الإسلام غلظ وشدد. وفي قوله ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ ﴾ فلم يقل حرست دليل على أنه قد كان منه شيء، فلما بعث النبي ﷺ ملئت حرساً شديداً وشهبا، وذلك ما أخبر الله من طرد الشياطين عن استراق السمع، فإن ذلك التغليظ والتشديد كان زمن النبوة، ثم بقيت منه ـ أعني استراق السمع ـ بقايا يسيرة، بدليل وجودهم على الندور في بعض الأزمنة والأمكنة، وقد سئل رسول الله ﷺ عن الكهان فقال «ليسوا بشيء»، فقيل إنهم يتكلمون بالكلمة فتكون كما قالوا فقال «تلك الكلمة من الحق يحفظها الجني

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ ١ ص ٢٣١.

(٢) الروض الأنف جـ ٢ ص ٣٠٢.

(٣) ليس هذا الأثر موجوداً في تفسير عبد الرزاق المطبوع في تفسير سورة الجن جـ ٣ ص ٣٢١.

فيقرقرها في أذن وليه قرقرة الدجاجة، فيخلط معها أكثر من مائة كذبة»[1] ويروى كقر الدجاجة. وفي تفسير ابن سلام عن ابن عباس قال إذا رمى الشهاب الجني لم يخطئه، ويحرق ما أصاب ولا يقتله، وعن الحسن قال: يقتله في أسرع من طرفة عين. وروى أبو جعفر العقيلي[2] في كتاب الصحابة عن رجل من بني لهب يقال له لهيب قال: حضرت مع رسول الله ﷺ فذكرت عنده الكهانة، فقلت: بأبي وأمي، نحن أول من عرف حراسة السماء وزجر الشياطين ومنعهم من استراق السمع عند قذف النجوم، وذلك أنا اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له خطر بن مالك ـ وكان شيخاً كبيراً قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون ـ وكان من أعلم كهاننا فقلنا: يا خطر هل عندك علم من هذه النجوم التي يرمى بها؟ فإنا قد فزعنا لها وخشينا سوء عاقبتها. فقال: ائتوني بسحر، أخبركم الخبر، بخير أم ضرر، أو لأمن أو حذر. قال: فانصرفنا عنه يومنا، فلما كان من غد في وجه السحر أتيناه، فإذا هو قائم على قدميه شاخص في السماء بعينيه، فناديناه يا خطر، فأومأ إلينا أن أمسكوا فانقض نجم عظيم من السماء، وصرخ الكاهن رافعاً صوته: أصابه أصابه. خامره عقابه. عاجله عذابه. أحرقه شهابه. زايله جوابه. يا ويله ما حاله. بلبله بلباله، عاوده خباله. تقطعت حباله، وغيرت أحواله. ثم أمسك طويلاً وهو يقول:

يا معشر بني قحطان	أخبركم بالحق والبيان
أقسمت بالكعبة والأركان	والبلد المؤتمن السدان
قد منع السمع عتاة الجان	بثاقب بكف ذي سلطان
من أجل مبعوث عظيم الشان	يبعث بالتنزيل والقرآن
وبالهدى وفاصل الفرقان	تبطل به عبادة الأوثان

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري برقم ٥٧٦٢ ومسلم برقم ٢٢٢٨.

(٢) انظر الروض الأنف جـ ٢ ص ٣١٣ وانظر الاستيعاب لابن عبد البر جـ ٣ ص ١٣٤٣ والإصابة لابن حجر جـ ٩ ص ١٨، قال أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله: إسناد هذا الحديث ضعيف ولو كان فيه حكم لم أذكره لأن رواته مجهولون وعمارة بن زيد متهم بوضع الحديث ولكنه في معنى حسن من أعلام النبوة والأصول في مثله لا تدفعه بل تصححه وتشهد له والحمد لله.

قال فقلت: ويحك يا خطر، إنك لتذكر عظيماً، فماذا ترى لقومك؟ قال:

أرى لقومي ما أرى لنفسي   أن يتبعوا خير نبي الإنس
بمحكم التنزيل غير اللبس   برهانه مثل شعاع الشمس
يبعث في مكة دار الحمس

فقلنا له: يا خطر ومن هو؟ فقال والحياة والعيش. إنه لمن قريش، ما في حلمه طيش. ولا في خلقه هيش. يكون في جيش أي جيش. من آل قحطان وآل أيش. فقلنا له: بين من أي قريش هو؟ فقال: والبيت ذي الدعائم. والركن والأجائم. إنه لمن نجل هاشم. ومن معشر أكارم، يبعث بالملاحم. وقتل كل ظالم. ثم قال: هذا هو البيان. أخبرني به رئيس الجان. ثم قال: الله أكبر. جاء الحق وظهر. وانقطع عن الجن الخبر. ثم سكت وأغمي عليه فما أفاق إلا بعد ثالثة فقال: لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: لقد نطق عن مثل نبوة، وإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده. قال الحافظ أبو القاسم[1] في هذا الأثر أصابه إصابة هكذا قيده ـ بكسر الهمزة من إصابة ـ علي بن أبي بكر بن طاهر، ووجهه أن تكون الهمزة بدلاً من واو مكسورة مثل وشاح وإشاح والمعنى أصابه وصابه جمع وصب مثل جمل وجمال، وقوله «من آل قحطان وآل أيش» يعني بآل قحطان الأنصار لأنهم من قحطان، وأما آل أيش فيحتمل أن تكون قبيلة من الجن المؤمنين منسوبون إلى أيش، فإن يكن هذا وإلا فله معنى في المدح غريب تقول فلان أيش هو، وابن أيش هو، ومعناه أي شيء عظيم، فكأنه قال من قحطان ومن المهاجرين الذين يقال فيهم مثل هذا كما يقال هم وما هم وزيد وما زيد وأي شيء زيد، وأيش في معنى أي شيء كما يقال ويلمه في معنى ويل أمه على الحذف لكثرة الاستعمال.

(١) أي السهيلي صاحب (الروض الأنف) جـ ٢ ص ٣١٦.

ذكر خبر سواد بن قارب[1]

عن محمد بن كعب القرظي[2] قال: بينما عمر بن الخطاب ذات يوم جالساً إذ مر به رجل، فقيل له: يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المار؟ قال: ومن هذا؟ قالوا: هذا سواد بن قارب الذي أتاه رئيه بظهور النبي ﷺ. قال فأرسل إليه عمر فقال له: أنت سواد بن قارب؟ قال: نعم. قال: أنت الذي أتاك رئيّك بظهور النبي ﷺ؟ قال نعم. قال فأنت على ما كنت عليه منْ كهانتك. قال فغضب وقال: ما استقبلني بهذا أحد منذ أن أسلمت يا أمير المؤمنين، فقال عمر: سبحان الله، ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك. قال: فأخبرني بإتيان رئيّك بظهور النبي ﷺ. قال: نعم يا أمير المؤمنين، بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني رئيّي فضربني برجله وقال: قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته، ثم أنشأ يقول:

رؤيا سواد بن قارب

عجبت للجن وتطلابها ... وشدها العيس بأقتابها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ... ما صادق الجن ككذابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ... ليس قداماها كأذنابها

ثم ذكر أنه أتاه ليلتين بعد الأولى هو فيها كلها بين النائم واليقظان وقال له: قم يا سواد بن قارب، واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته. وأنشده في كل ليلة أبياتاً بمعنى المتقدمات على قواف أخر، وذكر تمام الخبر. وفي آخر شعر سواد: قدم على رسول الله ﷺ فأنشده ما كان من أمر الجني وذلك قوله:

أتاني نجيي بعد هدء ورقدة ... ولم يك فيما قد بلوت بكاذب

---

(١) انظر ترجمته في الاستيعاب جـ ٢ ص ٦٧٤ وأسد الغابة جـ ٢ ص ٤٨٤.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٧/ ١٠٩ برقم ٦٤٧٥ والحاكم ٢/ ٦٠٨ وغيرهما كما قال الحافظ في الفتح جـ ٧ ص ٢١٦ وقال هما طريقان مرسلان يعضد أحدهما الآخر وخرج البخاري جزءًا في قصته مع عمر برقم ٣٨٦٦.

ثلاث ليال قوله كل ليلة أتاك رسول من لؤي بن غالب
فرفعت أذيال الإزار وأرقلت من العرمس الوجنا هجول السباسب
فأشهد أن الله لا رب غيره وأنك مأمون على كل غائب
وإنك أدنى المرسلين وسيلة إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
فمرني بما يأتيك من وحي ربنا وإن كان فيما قلت شيب الذوائب
وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

موقفه عند ردة قومه

ولسواد بن قارب هذا مقام حميد في دوس حين بلغتهم وفاة رسول الله ﷺ، فقام حنيئذ سواد فقال: يا معشر الأزد، إن من سعادة القوم أن يتعظوا بغيرهم، ومن شقاوتهم ألا يتعظوا إلا بأنفسهم، وان من لم تنفعه التجارب ضرته، ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل، وإنما تسلمون اليوم بما أسلمتم به أمس. وقد علمتم أن رسول الله ﷺ قد تناول قوماً أبعد منكم فظفر بهم، وأوعد قوماً أكثر منكم فأخافهم، ولم يمنعه منكم عدة ولا عدد، وكل بلاء منسي إلا ما بقي أثره في الناس، ولا ينبغي لأهل البلاء إلا أن يكونوا أذكر من أهل العافية للعافية، وإنما كف نبي الله عنكم ما كفكم عنه، فلم تزالوا خارجين مما فيه أهل البلاء داخلين فيما فيه أهل العافية حتى قدم على رسول الله ﷺ خطيبكم ونقيبكم فعبر الخطيب عن الشاهد ونقب النقيب عن الغائب، ولست أدري لعله تكون للناس جولة، فإن يكن فالسلامة منها الأناءة، والله يحبها فأحبوها. فأجابه القوم وسمعوا قوله، فقال في ذلك سواد بن قارب:

جلت مصيبتك الغداة سواد وأرى المصيبة بعدها تزداد
أبقى لنا فقد النبي محمد صلى الإله عليه ما يعتاد
حزنا لعمرك في الفؤاد مخامرا وهل لمن فقد النبيّ فؤاد
كنا نحل به جنابا ممرعا جف الجناب فأجدب الرواد
فبكت عليه أرضنا وسماؤنا وتصدعت وجدا به الأكباد
كان العيان هو الطريف وحزنه باق لعمرك في النفوس تَلاد
إن النبي وفاته كحياته الحق حق والجهاد جهاد
لو قيل تفدون النبي محمداً بذلت له الأموال والأولاد

وتسارعت فيه النفوس ببذلها ... هذا له الأغياب والأشهاد
هذا وهذا لا يرد نبينا ... لو كان يفديه فداه سواد
إني أحاذر والحوادث جمة ... أمرا لعاصف ريحه إرعاد
إن حل منه ما يخاف فأنتم ... للأرض إن رجفت بنا أوتاد
لو زاد قوم فوق منية صاحب ... زدتم، وليس لمنية مزداد

فأعجب القوم شعره وقوله، فأجابوه إلى ما سأل وأحب.

ذكر إنذار اليهود برسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمرو بن قتادة عن رجال من قومه قال: إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله وهداه لنا لما كنا نسمع من رجال يهود، كنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس عندنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم. فلما بعث الله رسوله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به، فبادرناهم إليه فآمنا به وكفروا به وكذبوه[1]، ففينا وفيهم نزلت هؤلاء الآيات من البقرة ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ الآيات.

قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمرو بن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال قال لي: هل تدري عم كان إسلام ثعلبة بن شعية وأسيد بن شعية وأسد بن عبيد إخوة بني قريظة، كانوا معهم في جاهليتهم ثم كانوا سادتهم في الإسلام؟ قال قلت لا. قال: إن رجلاً من يهود من أهل الشام يقال له الهيبان قدم علينا قبل الإسلام بسنتين فحل بين أظهرنا، لا والله ما رأينا رجلاً قط لا يصلي الخمس أفضل منه، فأقام عندنا فكنا إذا قحط المطر علينا قلنا له: اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا، فيقول: لا والله حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة. فنقول له: كم؟ فيقول صاعاً من تمر ومدين من شعير. قال فنخرجها: ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرتنا فيستسقي الله لنا، فوالله ما يبرح

---

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة جـ ١/ ٢٣٨ عن ابن إسحاق وسنده حسن.

مجلسه حتى يمر السحاب ونسقى، وقد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث. قال ثم حضرته الوفاة عندنا، فلما عرف أنه ميت قال: يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ قال فقلنا: أنت أعلم. قال فإني قدمت هذه البلدة أتوقع خروج نبي قد أظل زمانه، هذه البلدة مهاجره، فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه. قد أظلكم زمانه فلا تسبقن إليه يا معشر يهود، فإنه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء ممن خالفه، فلا يمنعكم ذلك منه. فلما بعث رسول الله ﷺ وحاصر بني قريظة قال هؤلاء الفتية وكانوا شباباً أحداثاً: يا بني قريظة والله إنه للنبي الذي عهد إليكم فيه ابن الهيبان. قالوا ليس به. قالوا بلى والله، إنه لهو بصفته، فنزلوا فأسلموا وأحرزوا دماءهم وأهليهم[1].

كتاب المبعث

قال ابن إسحاق: ولما بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين[2]، وكافة للناس أجمعين، وكان الله قد أخذ له الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالإيمان به والتصديق له والنصر على من خالفه، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم، فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه، يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ الآية[3].

وفي الصحيحين[4] عن عائشة رضي الله عنها قالت «أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات

---

(١) السيرة للذهبي ١٢٣ والسيرة النبوية لابن هشام جـ ١ ص ٢٤٠، ودلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٨٠ كلهم عن طريق ابن إسحاق وفي سنده مجهول.

(٢) وهو مروي عن ابن عباس كما في البخاري برقم ٣٩٠٢ وجبير بن مطعم وقباث بن أشيم وعطاء وسعيد بن المسيب وأنس بن مالك وهو صحيح عند أهل السير والعلم بالأثر.

(٣) انظر السيرة النبوية جـ ١ ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤.

(٤) رواه البخاري برقم ٣ ومسلم برقم ١٦٠.

العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال له: اقرأ. قال: ما أنا بقارىء. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت ما أنا بقارىء.

فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ (٢) ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ (٣) ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ (٤) عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ (٥) ﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، حتى دخل على خديجة فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، ثم قال لخديجة أي خديجة مالي؟ فأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي. فقالت له خديجة: كلا، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً. إنك لتصل الرحم، وتَصْدُقَ الحديث، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق. ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد وهو ابن عمها. وكان امرءاً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، فكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت خديجة: أي عم اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الأكبر الذي أنزل على موسى. يا ليتني فيها جَذَع، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك. قال رسول الله ﷺ: أَوَمخرجيّ هم؟ قال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي. وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترة، حتى حزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً فيما بلغنا، غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل كي يلقي نفسه منها تبدى جبرائيل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه، فيرجع. فإذا طال عليه فترة الوحي عاد لمثل ذلك، فإذا وافى ذروة الجبل تبدى له جبرائيل فقال مثل ذلك. قال ابن إسحاق[1]: حدثني وهب بن كيسان مولى الزبير قال: سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي: حدثنا يا عبيد كيف كان

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام جـ ١/٢٦٦ ـ ٢٧٠ وانظر السير والمغازي ١٢١ والبيهقي في الدلائل ١/٣٩٦ وأصل القصة في الصحيحين كما تقدم.

بدء ما ابتُدئ به رسول الله ﷺ من النبوة حين جاءه جبرائيل؟ قال فقال عبيد وأنا حاضر يحدث عبد الله بن الزبير ومن عنده من الناس: كان رسول الله ﷺ يجاور في حراء من كل سنة شهراً، وكان ذلك مما تتحنث به قريش في الجاهلية، والتحنث التبرر، فكان رسول الله ﷺ يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين، فإذا قضى رسول الله ﷺ جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته، فيطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته، حتى إذا كان الشهرُ الذي أراد الله به فيه ما أراد من كرامته من السنة التي بعثه فيها، وذلك الشهر رمضان، خرج رسول الله ﷺ إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها جاء جبرائيل بأمر الله، فذكر الحديث نحو ما تقدم، وفيه: فلما قضى رسول الله ﷺ جواره وانصرف راجعاً صنع كما كان يصنع، بدأ بالكعبة فطاف بها، فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال: يا ابن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت، فأخبره رسول الله ﷺ، فقال له ورقة: والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى، ولَتُكَذَّبَنّه ولتؤذَيَنّه ولتخرجنّه ولتقاتلنه، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يعلمه. ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله. انتهى.

شعر ورقة لما علم بنبوة الرسول ﷺ

ومما ذكر من شعر ورقة فيما أخبرته به خديجة عن النبي ﷺ:

يا للرجال لصرف الدهر والقدر ... وما لشيء قضاه الله من غير
حتى خديجة تدعوني لأخبرها ... أمراً أراه سيأتي الناس من أخر
فخبرتني بأمر قد سمعت به ... فيما مضى من قديم الدهر والعصر
بأن أحمد يأتيه فيخبره ... جبريل أنك مبعوث إلى البشر
فقلت علَّ الذي ترجين ينجزه ... لك الإله فرجِّي الخير وانتظري
وأرسلته إلينا كي نسائله ... عن أمره ما يرى في النوم والسهر
فقال حين أتانا منطقاً عجباً ... يقفّ منه أعالي الجلد والشعر
أني رأيت أمين الله واجهني ... في صورة كملت في أهيب الصور

ثم استمر فكان الخوف يذعرني مما يسلم ما حولي من الشجر
فقلت ظني وما أدري أيصدقني أن سوف يبعث يتلو منزل السور
وسوف أبليك إن أعلنت دعوته من الجهاد بلا منّ ولا كدر

قال ابن إسحاق: وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب، وما كان يرى إذ كان الملكان يظلانه. فقال ورقة: لئن كان هذا حقاً يا خديجة إن محمداً نبي هذه الأمة، قد عرفت أنه كائن لهذه الأمة ينتظر هذا زمانه، أو كما قال. فجعل ورقة يستبطيء الأمر ويقول: حتى متى؟ فقال ورقة في ذلك:

لججت وكنت في الذكرى لجوجا لهمّ طالما بعث النشيجا
ووصف من خديجة بعد وصف وقد طال انتظاري يا خديجا
ببطن المكتين على رجائي حديثك أن أرى منه خروجاً
وما خبرتنا من قول قس من الرهبان أكره أن يعوجا
بأن محمداً سيسود قوما ويخصم من يكون له حجيجاً
ويظهر في البلاد ضياء نور يقيم به البرية أن تموجا
فيلقى من يحاربه خسارا ويلقى من يسالمه فلوجا
فيا ليتي إذا ما كان ذاكم شهدتُ وكنت أولهم ولوجا
ولوجاً في الذي كرهت قريش ولو عجت بمكتها عجيجا
أرجي بالذي كرهوا جميعا إلى ذي العرش إن سفلوا عروجاً
وهل أمر السفاهة غير كفر بمن يختار من سمك البروجا
فان يبقوا وأبق تكن أمور يصيح الكافرون لها ضجيجا
وإن أهلك فكل فتى سيلقى من الأقدار متلفة خروجا

ومن قول ورقة أيضاً من رواية يونس عن ابن إسحاق:

أتبكر أم أنت العشية رائح وفي الصدر من إضمارك الحزن قادح
لفرقة قوم لا أحب فراقهم كأنك عنهم بعد يومين نازح
وأخبار صدق خبرت عن محمد يخبرها عنه إذا غاب ناصح

فتاك الذي وجهت ترجى خيره بغور وبالنجدين حيث الضحاضح
إلى سوق بصرى في الركاب التي غـ ـدت وهن من الاهمال قعس دوالح
فخبرنا عن كل خير بعلمه وللحق أبواب لهن مفاتح
بأن ابن عبد الله أحمد مرسل إلى كل من ضمت عليه الأباطح
وظني به أن سوف يبعث صادقاً كما أرسل العبدان هود وصالح
وموسى وإبراهيم حتى يرى له بهاء ومنشور من الذكر واضح
ويتبعه حياً لؤي بن غالب شبابهم والأشيبون الجحاجح
فإن أبق حتى يدرك الناس عصره فإني به مستبشر الود فارح
وإلا فإني يا خديجة فاعلمي عن أرضك في الأرض العريضة نازح

نزول يا أيها المدثر

وفي الصحيح[1] قال ابن شهاب: وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه، فرجعت إلى أهلي فقلت: زملوني زملوني، فأنزل الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ ﴾ فحمي الوحي وتتابع.

فصل
في ذكر فوائد تتعلق بهذه الأخبار

قال بعض العلماء: وكان نزول جبريل فيما ذكر يوم الاثنين لسبع من رمضان، وقيل لسبع عشرة مضت، رواه البراء بن عازب، وروي عن أبي هريرة أنه كان في السابع والعشرين من رجب، وقال أبو عمر لثمان عشرة من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل. وقال ابن القيم: واحتج القائلون بأنه كان في رمضان بقول الله تعالى ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾. قالوا: أول ما

(١) أخرجه البخاري برقم (٤).

أكرمه الله بنبوته، أنزل عليه القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى بيت العزة، ثم نزلت نجوماً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة كما روي ذلك عن ابن عباس. انتهى[1].

قال بعض العلماء: والحكمة في الغطة ثلاث مرات شغله عن الالتفات لشيء آخر، وإظهار الشدة والجد في الأمر تنبيهاً على ثقل القول الذي سيلقى إليه. وقول ورقة «يا ليتني فيها جذع» الضمير للنبوة أي ليتني كنت شاباً حين ظهورها حتى أبالغ في نصرتها وحمايتها، وقوله فغطني أي خنقني، والناموس صاحب سر الملك، وقال بعضهم: الناموس صاحب سر الخير، والجاسوس صاحب سر الشر، ومؤزَّراً من الأزر وهو القوة والعون، واليأفوخ مهموز ولا يقال لرأس الصبي يأفوخ حتى يشتد، وإنما يقال له الغاذية قال السهيلي[2]. وقد ثبت بالطرق الصحاح[3] عن عامر الشعبي أن رسول الله ﷺ وكل به إسرافيل فكان يتراءى له ثلاث سنين، فكان يأتيه بالكلمة من الوحي والشيء، ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن. والوحي في أحوال مختلفة.

أنواع الوحي

فمنها النوم كما في حديث ابن إسحاق، وكما قالت عائشة رضي الله عنها. وقد قال إبراهيم عليه السلام ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ ﴾ فقال له ابنه ﴿ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾ فدل على أن الوحي كان يأتيهم في النوم كما يأتيهم في اليقظة. قال عبيد بن عمير: رؤيا الأنبياء وحي، ثم تلا الآية.

ومنها أن ينفث في روعه الكلام نفثاً، كما قال النبي ﷺ «ان روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها. فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله، فإن ما عند الله، لا ينال إلا بطاعته» رواه ابن أبي الدنيا في القناعة، وصححه الحاكم.

---

(١) انظر المواهب اللدنيه ١/ ١٩٥.

(٢) انظر الروض الأنف جـ ١ ص ٣٩٣.

(٣) هو مرسل عن الشعبي ومخالف للأحاديث الصحيحة وقد رواه البيهقي في الدلائل عنه ١/ ٧، ٢/ ١٣٢ وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٣/ ٤ وابن سعد في الطبقات ١/ ١٩١ وذكر ان الواقدي أنكره وانظر كلام الحافظ ابن حجر في الفتح جـ ١ ص ٣٧.

ومنها أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليه. وقيل إن ذلك ليستجمع قلبه عند تلك الصلصلة فيكون أوعى لما يسمع، وأتقن لما يلقى، حتى إن جبينه ليتفصّد عرقاً في اليوم الشديد البرد، حتى أن راحلته لتبرك به إلى الأرض. وجاءه مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فكادت ترضها.

ومنها أن يتمثل له الملك رجلاً فيكلمه، فقد كان يأتيه في صورة دحية بن خليفة، ويروى أن دحية إذا قدم المدينة لم تبق مُعصر إلا خرجت تنظر إليه لفرط جماله. وقال ابن سلام في قوله ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾ قال: كان اللهو نظرهم إلى وجه دحية لجماله.

ومنها أن يتراءى له جبريل في صورته التي خلقه الله فيها، له ستمائة جناح ينثر منها اللؤلؤ والياقوت، فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه، وهذا وقع له مرتين كما في سورة النجم.

ومنها أن يكلمه الله من وراء حجاب، إما في اليقظة كما كلمه في ليلة الإسراء، وإما في النوم كما قال في حديث معاذ الذي رواه الترمذي قال «أتاني ربي في أحسن صورة فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: في الكفارات لا أدري، فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثندوتي. وتجلى لي علم كل شيء وقال لي: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: في الكفارات. فقال: وما هن؟ فقلت الوضوء عند الكريهات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فمن فعل ذلك عاش حميداً، وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[1] وذكر الحديث.

فهذه ست أحوال[2]. قال ابن القيم[3]: زاد بعضهم مرتبة سابعة، وهي تكلم الله بغير حجاب.

---

(١) رواه الترمذي ٣٦٧، وأحمد ٥/ ٢٤٣ وغيرهم وهو صحيح.

(٢) الروض الأنف جـ ٢/ ٣٩٣ ـ ٣٩٦، والمواهب اللدنيه جـ ١ ص ٢٠٥ ـ ٢١٠ وسبل الهدى والرشاد جـ ٢/ ٢٦٣ ـ ٢٧٠.

(٣) زاد المعاد جـ ١/ ٧٨.

قلت[1]: وزاد بعضهم مرتبة أخرى، وهي العلم الذي يلقيه الله في قلبه وعلى لسانه عند الاجتهاد في الأحكام، لأنه عليه الصلاة والسلام إذا اجتهد أصاب قطعاً وكان معصوماً من الخطأ، وهذا خرق للعادة في حقه دون الأمة، وهو يفارق النفث في الروع من حيث حصوله بالاجتهاد والنفث بدونه. وقد ذكر بعضهم أن الحال كان يختلف بالوحي باختلاف مقتضاه، فإن نزل بوعد وبشارة نزل الملك في صورة الآدمي وخاطبه من غير كد، وإن نزل بوعيد ونذارة كان حينئذ كصلصلة الجرس انتهى.

قال السهيلي[2] وفي قوله تعالى ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾ من الفقه أنك لا تقرأه بحولك ولا بصفة نفسك ولا بمعرفتك، ولكن اقرأ مفتتحاً باسم ربك مستعينا به، فهو يعلمك كما خلقك، وكما نزع عنك علق الدم ومغمز الشيطان بعد ما خلقه فيك كما خلقه في كل إنسان، فالآيتان المقدمتان لمحمد ﷺ والآخرتان لأمته. وهما قوله ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾ لأنها كانت أمة أمية لا تكتب، فصاروا أهل كتاب وأصحاب قلم، فتعلموا القرآن بالقلم وتعلّمه نبيهم تلقيا من جبريل، نزله على قلبه بإذن الله ليكون من المرسلين. وفيه من الفقه وجوب القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم غير أنه أمر مبهم لم يبين له بأي اسم من أسمائه يفتتح حتى جاء البيان بعد في قوله ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ ﴾ ثم قوله ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ ﴾ ثم كان بعد ذلك ينزل جبريل ببسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة.

وقول ورقة «لتكذبنه ولتوذينه» لا ينطق بهذه الهاء إلا ساكنة لأنها هاء السكت، وقوله «أَوَمخرجيّ هم» لا بد من تشديد الياء في مخرجيّ لأنها جمع، والأصل مخرجوني فادغمت الواو في الياء وهو خبر ابتداء مقدم، ولو كان المبتدأ اسما ظاهراً لجاز تخفيف الياء ويكون الاسم الظاهر فاعلاً لا مبتدأ مقدم، ولو كان المبتدأ اسماً ظاهراً لجاز تخفيف الياء ويكون الاسم الظاهر فاعلاً لا مبتدأ كما تقول أضارب قومك أخارج إخوتك فتفرد، لأنك رفعت به فاعلا، وهو حسن في مذهب سيبويه

---

(١) القائل العلامة القسطلاني في المواهب اللدنية ١/٢٠٩.
(٢) الروض الأنف جـ ١ ص ٣٩٧.

والأخفش. وذكر في الحديث أنه قال لرسول الله ﷺ لتكذبنه فلم يقل شيئاً ثم قال ولتوذينه فلم يقل شيئاً ثم قال ولتخرجنه قال: أَوَمخرجيّ هم؟ ففي هذا دليل على حب الوطن وشدة مفارقته على النفس. وأيضاً فإنه حرم الله وجوار بيته وبلد أبيه إسماعيل فلهذا تحركت نفسه عند ذكر الخروج منه ما لم تتحرك قبل ذلك فقال «أَوَمخرجيّ هم». والموضوع الدال على تحرك النفس وتحرقها إدخال الواو بعد ألف الاستفهام مع اختصاص الإخراج بالسؤال عنه، وذلك أن الواو ترد إلى الكلام المتقدم ويشعر المخاطب بأن الاستفهام على وجه الإنكار والتفجع لكلامه والتألم منه. انتهى كلام السهيلي.

فوائد من سور اقرأ والمدثر

وقال شيخنا[1] محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: أول ما نزل من القرآن فيه مسائل: الأولى الأمر بالقراءة، الثانية الجمع بين التوكل والسبب خلافاً لغلاة المتفقهة و غلاة المتصوفة. الثالثة السر الذي في الإضافة في قوله (بسم ربك) المقتضي للتوكل. الرابعة وصفه سبحانه بالخلق الذي هو أظهر آياته، الخامسة ذكر خلقه للإنسان خاصة. السادسة كونه من علق. السابعة تكرير الأمر بالقوة. الثامنة الوصف بأنه الأكرم. التاسعة ذكر التعليم بالقلم الذي هو في المرتبة الرابعة. العاشرة تعليم الإنسان خاصة ما لم يعلم. الحادية عشرة أن الذكر بالقلب واللسان أفضل من الذكر بالقلب وحده. الثانية عشرة الحث على التواضع لقوله (من علق). الثالثة عشرة فيه معنى اعرف نفسك تعرف ربك. الرابعة عشرة معنى أن العلم والإيمان مكانهما من ابتغاهما وجدهما إلى يوم القيامة. الخامسة عشرة رجاء فضله لأجل ما تقدم من فضله. السادسة عشرة لصفاته لكونه الأكرم. السابعة عشرة الجمع بين الخلق والتعظيم. الثامنة عشرة الدلالة على التوحيد. التاسعة عشرة الدلالة على النبوة. العشرون الرد على الجهمية. الحادية والعشرون أن الاستحالة تظهر. الثانية والعشرون الرد على القدرية. الثالثة والعشرون الرد على الجبرية. الرابعة والعشرون أن العبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية. الخامسة والعشرون ذكر شرف العلم. وأما قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ ففيه مسائل: الأولى أن الدعوة إلى الله لا تقتصر على

---

(١) شيخ المؤلف ووالده.

نفسه. الثانية خطابه بالمدثر. الثالثة أن الداعي يبدأ بنفسه فيصلح عيوبها، الرابعة تعظيم الله علماً وعملاً. الخامسة هجران الرجز. السادسة قوله ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ ﴾. السابعة قوله ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧ ﴾ فأمره بالطريق إلى القوة على ما تقدم وهو الصبر خالصاً، ففيها آداب الداعي، لأن الخلل يدخل على رؤساء الدين ما تركت هذه الوصايا أو بعضها. فمنها الحرص على الدنيا فنهى عنه بقوله﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ ﴾، ومنها عدم الجد فنبه عليه بقوله﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾، ومنها رؤية الناس فيه العيوب المنفرة لهم عن الدين كما هو الواقع، ومنها أن التقصير في تعظيم العلم هو من التقصير في تعظيم الله. ومنها عدم الصبر على مشاق الدعوة. ومنها عدم الاخلاص. ومنها عدم هجران الرجز والتقصير في ذلك وهو من أضرها على الناس، وهو من تطهير الثياب لكن أفرده بالذكر كنظائره.

فأول اقرأ فيه الأمر بطلب العلم وأول المدثر فيه الأمر بالعمل به. الثانية أول اقرأ فيه إنعامه عليك وأول المدثر فيه حقه عليك[1]. الرابعة أول اقرأ فيه الاستعانة، وأول المدثر فيه الصبر. الخامسة أول اقرأ فيه إخلاص الاستعانة، وأول المدثر فيه إخلاص الصبر. السادسة أول اقرأ فيه الاستعانة، وأول المدثر فيه العبادة، السابعة أول اقرأ فيه أدب المتعلم وأول المدثر فيه أدب العالم. الثامنة أول اقرأ فيه معرفة الله ومعرفة النفس وأول المدثر فيه الأمر والنهي. التاسعة أول اقرأ فيه معرفتك بنفسك وبربك وأول المدثر فيه العمل المختص والمتعدى. العاشرة أول اقرأ فيه أصل الأسماء والصفات وهما العلم والقدرة وأول المدثر فيه أصل الأمر بالتوحيد والنهي وهو الأمر والنهي وهو الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك. الحادية عشرة في أول اقرأ ذكر القلم الذي لا يستقيم العلم إلا به. وفي أول المدثر ذكر الصبر الذي لا يستقيم العمل إلا به. الثانية عشرة في أول اقرأ ذكر التوكل وأنه يفتح المغلق وأول المدثر فيه الصبر الذي يفتحه. الثالثة عشرة في أول اقرأ العمل المختص وأول المدثر فيه العمل

---

(١) الثالثة لم تذكر في الأصل، ولعلها سقطت من الناسخ (ق) وفي الأصل «الثانية أول اقرأ معرفة الله وأول المدثر فيه الأدب معه» والتي ذكرت هنا السادسة والتي ذكرت السادسة الثالثة انظر مجموع فتاوي الشيخ.

المتعدى. الرابعة عشرة في أول اقرأ ست مسائل من الخبر وفي أول المدثر ست مسائل من الانشاء الخامسة عشرة في أول اقرأ ذكر بدء الخلق وأول المدثر ذكر الحكمة فيه. السادسة عشرة في أول اقرأ ذكر أصل الإنسان وأول المدثر الربوبية العامة وأول المدثر الربوبية الخاصة. الثامنة عشرة في أول اقرأ شاهد لقوله «اعقلها واتكل» وفي أول المدثر الصبر الذي هو من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد. التاسعة عشرة في أول اقرأ ابتداء النبوة وأول المدثر ابتداء الرسالة العشرون في السورتين شاهد لقوله «العلم قبل[1] العمل». انتهى كلام شيخنا[2].

فصل

لقاء هرقل مع أبي سفيان

في الصحيحين[3] عن عبد الله بن عباس أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش كانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ مادّ فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بايلياء، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قال أبو سفيان فقلت: أنا أقربهم نسباً. قال: أدنوه مني وقربوا أصحابه واجعلوهم عند ظهره. ثم قال لترجمانه قل لهم: إني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذِّبوه، فوالله لولا الحياء من أن يأثر علي كذباً لكذبت عليه. ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ فقلت هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ فقلت: لا. قال: فأشراف القوم اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ قلت بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون، قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا.

---

(١) في كلام في الأصل (قبل القول والعمل).

(٢) انظر كتاب تفسير آيات من القرآن الكريم للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من ص ٣٦٥ ـ ٣٧٣ وهو ضمن مجموع مؤلفات الشيخ القسم الرابع.

(٣) رواه البخاري برقم ٦ ومسلم برقم ٧٧٣.

قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال: ولم يمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه. قال: بماذا يأمركم؟ قلت: يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم. ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة. فقال للترجمان: قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا، فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله. وسألتك: هل كان في آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا، قلت فلو كان من آبائه من ملك قلت لاجل يطلب ملك أبيه. وسألته هل تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل. وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك أيرتد أحدٌ منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا. وكذلك الإيمان حين يخالط بشاشة القلوب. وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا. وكذلك الرسل لا يغدرون. وسألتك: بم يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم بأن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدميَّ هاتين. وقد كنت أعلم أنه خارج فلم أكن أظن أنه فيكم، فلو أعلم أنِّي أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه. ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به مع دحية الكلبي إلى عظيم بُصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه، فإذا فيه «بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام: أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين. وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين. ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾. قال أبو سفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات، وأخرجنا. فقلت

لأصحابي حين أخرجنا: لقد أَمِرَ أمرُ ابن أبي كبشة، إنه ليخافه ملك بني الأصفر، فما زلت موقناً أنه سيظهر، حتى أدخل الله عليّ الإسلام.

وكان ابن الناظور صاحب إيليا وهرقل أسقف على نصار الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيليا أصبح يوماً خبيث النفس، فقال له بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك. قال ابن الناطور: وكان هرقل حزَّاءً ينظر في النجوم، فقال له حين سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم أن ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمة؟ فقالوا: ليس يختتن إلا اليهود، فلا يهمنك شأنهم، واكتب إلى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود، فبينما هم على أمر أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبره عن خبر رسول الله ﷺ، فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟ فنظروا إليه فحدثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب فقال: هم يختتنون، فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر. ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم. وسار هرقل إلى حمص فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي، وأنه نبي، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتتابعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال: ردوهم عليّ. وقال: إني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت. فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل[1].

فصل

أول من آمن خديجة رضي الله عنها

ولما دعا رسول الله ﷺ إلى الله استجاب له عباد الله من كل قبيلة، فكان أول من آمن بالله ورسوله خديجة صدّيقة النساء[2]، وقامت بأعباء الصدِّيقية. قال ابن إسحاق: وكانت أول من آمن بالله وبرسوله وصدقت بما جاء من عند الله، ووازرته على أمره، فخفف الله بذلك عن رسوله، فكان لا يسمع شيئاً يكرهه من رد عليه

---

(١) انتهى حديث البخاري...

(٢) كما في حديث عفيف الكندي عند أحمد ١/ ٢٠٩ والحاكم في المستدرك ٣/ ١٨٣.

وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبته وتخفف عليه وتهون عليه أمر الناس، حتى ماتت رضي الله عنها. انتهى.

قال ابن القيم[1]: ولما قال لها «لقد خشيت على نفسي» قالت له: أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، فعلمت بكمال عقلها وفطرتها أن الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة والشيم الشريفة تناسب أشكالها من كرامة الله وتأييده وإحسانه، لا تناسب الخزي والخذلان وإنما يناسبه أضدادها من إكرام الله له وتمام نعمته عليه، ومن ركب على أقبح الصفات وأسوأ الأخلاق والأعمال إنما يناسبه ما يليق به. وبهذا العقل والصدِّيقية استحقت أن يرسل إليها ربها السلام منه مع رسوليه جبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وأمر رسول الله ﷺ أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب[2]. والقصب هو اللؤلؤ المجوف، وهي أول امرأة ماتت من نسائه، ولم يتزوج عليها وكل أولاده منها.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

ثم أسلم أبو بكر[3] واسمه عبد الله بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب، يجتمع هو ورسول الله ﷺ في مرة. وقيل اسمه عتيق، وقيل عتيق لقب لحسن وجهه. واسم أبي قحافة عثمان. وهو أول من أسلم من الرجال، فلما أسلم أظهر إسلامه ودعا معه إلى الله. وكان أبو بكر مألفاً لقومه، محبباً سهلا. وكان أنسب قريش لقريش وبما كان فيها من خير وشر وكان تاجراً ذا خلق ومعروف. وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لتجارته وحسن مجالسته

من أسلم على يدي أبي بكر رضي الله عنه

وغير ذلك، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه، فأسلم بدعائه عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، وسعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب والزبير بن العوام بن خويلد بن سعد بن عبد العزي بن قصي، وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن زهرة، وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة.

---

(١) انظر زاد المعاد جـ ٢ ص ١٩.
(٢) رواه البخاري ٣٨٢٠ ومسلم برقم ٢٤٣٢.
(٣) كما في البخاري برقم ٣٦٦١.

إسلام علي رضي الله عنه وزيد بن حارثة رضي الله عنه

وأسلم غير هؤلاء علي بن أبي طالب وهو صبي وكان في كفالة رسول الله ﷺ أخذه من عمه في سنة محل إعانة له، وبادر إلى الإسلام زيد بن حارثة حِبُّ رسول الله ﷺ وكان غلاماً لخديجة فوهبته لرسول الله ﷺ لما تزوجها، وقدم أبوه وعمه في فدائه فسألا عن النبي ﷺ فقيل: هو في المسجد، فدخلا عليه فقالا: يابن عبد المطلب يابن هاشم يابن سيد قومه، أنتم أهل حرم الله وجيرانه، تفكون العاني وتطعمون الأسير، جئناك في ابننا عبدك فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه. قال: من هو؟ قالوا زيد بن حارثة. فقال رسول الله ﷺ: فهلا غير ذلك؟ قالا: من هو؟ قال: أدعوه فأخيِّره، فإن اختاركم فهو لكم، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحد، قالوا: قد زدتنا على النَّصَف. فدعاه فقال: أتعرف هؤلاء؟ قال: نعم. قال: من هذا؟ قال هذا أبي، وهذا عمي، قال: أنا من قد علمت ورأيت صحبتي، فاخترني أو اخترهما. قال: ما أنا بالذي أختار عليك أحداً، أنت مني بمكان الأب والعم. قالا: ويحك يا زيد، أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وعلى أهل بيتك؟ قال: نعم، قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً[1]. فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر فقال: أشهدكم أن زيداً ابني أرثه ويرثني. فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفوسهما فانصرفا، ودعي زيد بن محمد. حتى جاء الله بالإسلام فنزلت ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ فدعي يومئذ زيد بن حارثة[2]. قال معمر في جامعه عن الزهري ما علمنا أحد أسلم قبل زيد بن حارثة[3]. وهو الذي أخبر الله عنه في كتابه أنه أنعم عليه وأنعم عليه رسوله وسماه باسمه. وقيل إن علياً أول من أسلم بعد خديجة. قال أبو عمر: وممن ذهب إلى هذا سليمان وأبو ذر والمقداد وجابر وأبو سعيد الخدري وزيد بن أرقم وابن شهاب وقتادة وغيرهم. وقيل أول رجل أسلم ورقة بن نوفل. وفي جامع

تبني الرسول ﷺ لزيد

---

(١) ذكر القصة ابن هشام معلقة ورواه الترمذي باختلاف يسير وحسنها الألباني رحمه الله انظر صحيح سنن الترمذي ٣/٢٣١ برقم ٤٠٨٥ وقد رواها الحاكم في المستدرك ٣/ ٢١٤ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي صحيح.

(٢) أخرجه البخاري برقم ٤٧٨٢ ومسلم برقم ٢٤٢٥.

(٣) هو في المصنف لعبد الرزاق ٥/ ٣٢٥.

الترمذي[1] أن رسول الله ﷺ رآه في المنام في هيئة حسنة. وفي حديث أنه رأى عليه ثياباً بيضاء[2]. قال ابن الصلاح: والأورع أن يقال: أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر، ومن الصبيان الأحداث علي، ومن النساء خديجة، ومن الموالي زيد بين حارثة، ومن العبيد بلال، انتهى[3]. وعن ابن عباس أنه كان يقول: أول الناس إسلاماً أبو بكر، واستشهد بقول حسان:

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة   فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
التالي الثاني المحمود مشهده   وأول الناس طراً صدق الرسلا
خير البرية أتقاها وأعدلها   بعد النبي وأوفاها بما حملا

من السابقين إلى الإسلام

وذكر أن النبي ﷺ سمعه فلم ينكر، وأسلم غير هؤلاء عمرو بن عبَسَة السلمي وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية، وكان بلال وخالد وسعد وعمر وعلي أولهم إسلاماً ثم أسلم بعد هؤلاء أبو عبيدة واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن وهب بن ضبة بن الحارث، هو وأبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة، وعثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن هصيص بن كعب بن لؤي، وأخوه قدامة، وعبد الله، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب، وامرأته فاطمة بنت الخطاب، وكان أبوه زيد قد رفض الأوثان في الجاهلية ووحّد الله وأخبر رسول الله ﷺ أنه يبعث أمة وحده، وامرأته فاطمة بنت

---

(١) رواه الترمذي برقم ٣٢٨٩ ويشهد له ما بعده.

(٢) رواه أحمد عن عائشة أن خديجة سألت عنه فقال: (قد رأيته عليه ثياباً بيضاً، فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض) انظر الفتح الرباني ٢٠/ ١٧٤. وروى أبو يعلى (قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض أبصرته في بطان الجنة وعليه السندس) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية وحسنه ٣/ ١٠ قال رحمه الله في اسناده جيد. وأخرج الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٠٩ (لا تسبوا ورقه فإني رأيت له جنة أو جنتين) وصححه ووافقه الذهبي وقد حسنّه العلامة الألباني حفظه الله في تعليقه على فقه السيرة ١٠٠.

(٣) انظر الترمذي برقم ٣٧٣٥ وسيرة ابن كثير ١/ ٤٣٧ والمواهب اللدنية ١/ ٢١٧.

الخطاب. وقال ابن سعد: أول امرأة أسلمت بعد خديجة أم الفضل زوجة العباس، وأسلم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وعمير بن أبي وقاص أخو سعد وعبد الله بن مسعود حليف بني زهرة وكان يرعى غنم عقبة بن أبي مُعيط، وكان سبب إسلامه أن رسول الله ﷺ حلب من غنمه شاة حائلاً فدرت[1]، ومسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد، وسليط بن عمرو بن ود بن نضر بن مالك بن عامر بن لؤي، وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وامرأته أسماء بنت مخرمة التميمية، وخنيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص وهو زوج حفصة بنت عمر بن الخطاب قبل رسول الله ﷺ، وعامر بن أبي ربيعة العَنْزي باسكان النون من عنزة بن وائل من ربيعة حليف آل الخطاب، وعبد الله بن جحش بن رياب بن. معمر بن ضمرة بن مرة ابن كثير بن عمر بن دودان بن أسد بن خزيمة حليف بني أمية، وأخوه أبو أحمد بن جحش وكان أعمى، وجعفر بن أبي طالب، وامرأته أسماء بنت عميس، وحاطب ابن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، وامرأته فاطمة بنت المحلل بن عبد الله، وأخوه خطاب بن الحارث وامرأته فكيهة بنت يسار، ومعمر بن حبيب، والسائب بن عثمان بن مظعون، والمطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة وامرأته رملة بنت أبي عوف بن ضمرة بن سهم، والنحام واسمه نعيم بن عبد الله بن أسد بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب، وعامر بن فهيرة أزدي أمه فهيرة مولاة أبي بكر الصديق، وأمية بنت خالد الخزاعية امرأة خالد بن سعيد بن العاص، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد مناف، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عزيز بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم حليف بني عدي، وخباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة الخزاعي ولاء الزهري حلفا، وخالد وعامر وعاقل وإياس بنو البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة من بني سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة حلفاء بني عدي، وعمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٣٧٩ والبيهقي في الدلائل ٢/ ١٧١ وسنده حسن.

الحصين بن الوزيم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن يام بن عنس وهو زيد بن مالك ومالك جماع مذحج بن أدد حليف بني مخزوم، وأسلم ياسر والد عمار، وأسلم صهيب بن سنان بن مالك ويقال له الرومي، وكان مولى لعبد الله بن جُدعان، ذكره أبو عمر في السابقين، وذكر فيهم عتبة بن مسعود أخا عبد الله بن مسعود. قال ابن إسحاق: ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدثت به قريش.

الجهر بالدعوة

ثم إن الله سبحانه أمر رسوله ﷺ أن يصدع بما جاءه منه، وأن ينادي الناس بأمره ويدعو إليه، فكان مدة إخفاء رسول الله ﷺ أمره إلى أن أمره الله بإظهاره الدين ثلاث سنين فيما بلغني، ثم قال الله له﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ ثم قال ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾، فلما نادى رسول الله ﷺ[1] وصدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا على خلافه وعداوته إلا من عصم الله منهم بالإسلام، وهم قليل مستخفون، وحدب على رسول الله ﷺ أبو طالب ومنعه وقام دونه، لأنه كان شريفاً معظماً في قريش مطاعاً في أهل مكة لا يتجاسرون على مكاشفته بشيء من الأذى.

حماية الله لرسوله بعمه أبي طالب

قال ابن القيم[2]: وكان من حكمة أحكم الحاكمين بقاؤه على دين قومه لما في ذلك من المصالح التي تبدو لمن تأملها. وأما أصحابه فمن كانت له عشيرة تحميه امتنع بعشيرته، وسائرهم تصدوا له بالأذى والعذاب، منهم عمار بن ياسر وأمه وأهل بيته فإنهم عذبوا في الله، وكان رسول الله ﷺ إذا مر بهم وهم يعذبون يقول صبراً يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة[3]، ولقي أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب أمراً عظيماً لما

---

(١) رواه البخاري برقم ٤٧٧٠ ومسلم برقم ٢٠٨ وأحمد ١/ ٢٨١.

(٢) زاد المعاد جـ ٣ ص ٢٢.

(٣) رواه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام وهو منقطع وله شواهد ومنها ما رواه الحاكم في المستدرك ٣/ ٣٨٨ عن جابر (ابشروا آل عمار وآل ياسر فإن موعدكم الجنة) وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. قال العلامة الألباني رحمه الله حسن صحيح (في تعليقه على فقه السيرة ١٠٧).

بلال رضي الله عنه

ذخره الله لهم في الآخرة من الكرامة، فطعن الفاسق أبو جهل سمية أم عمار بحربة في قُبلها فقتلها رضي الله عنها[1]. وكان سادات بلال وهم من بني جمح يأخذونه ويبطحونه على الرمضاء في حر مكة ثم يلقون على بطنه الصخرة العظيمة ثم يأخذونه ويلبسونه في ذلك الحر الشديد درع حديد ويضعون في عنقه حبلاً ويسلمونه إلى الصبيان يطوفون به وهو في كل ذلك صابر محتسب لا يبالي بما لقي في ذات الله، وكان كلما اشتد به العذاب يقول: أحد، أحد[2]، وأسلم سلمة بن هشام والوليد بن الوليد بن المغيرة وأبو حذيفة مهشم بن عتبة بن ربيعة وغيرهم، وأعتق أبو بكر الصديق رضي الله عنه بلال بن رباح وأمه حمامة مولاته، وأعتق ابن فهيرة وأعتق أم عبس وزنّيره والنهدية وابنتها وجارية لبني عدي كان عمر بن الخطاب يعذبها على الإسلام وذلك قبل أن يسلم، وقيل أن أبا قحافة قال له: يا بني أراك تعتق رقاباً ضعافاً فلو أعتقت قوماً جلداً يمنعوك. فقال أبو بكر: يا أبت إني أريد ما أريد، ففيه نزلت ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ ﴾[3] إلى آخر السورة. قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ يقول فيما بلغني «ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة ونظر وتردد، إلا ما كان من أبي بكر ما تردد فيه»[4].

ذكر إبتداء فرض الصلاة

قال ابن إسحاق: حدثني صالح بن كيسان عن عروة عن عائشة قالت: افترضت الصلاة على رسول الله ﷺ أول ما افترضت ركعتين ركعتين كل صلاة، ثم

---

(١) رواه أحمد في المسند ١/ ٤٠٤ وهو من مراسيل مجاهد رحمه الله ورواه البيهقي من نفس الطريق في الدلائل ٢/ ٢٨٢.

(٢) رواه ابن اسحاق بدون إسناد وله شاهد من حديثه ابن مسعود عند أحمد ٥/ ٣١٩ تحقيق أحمد شاكر وقال سنده صحيح وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٢٨٤ وحسنّه العلامة الألباني في صحيح ابن ماجه ١/ ٣٠.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٢٥ وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي.

(٤) رواه ابن اسحاق ١٣٩ بسند منقطع ورواه البيهقي عنه في الأصل ٢/ ١٦٤.

إن الله أتمها في الحضر أربعاً وأقرت في السفر على فرضها ركعتين[1]. قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم أن الصلاة حين افترضت على رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو بأعلى مكة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت منه عين فتوضأ جبريل ورسول الله ﷺ ينظر ليريه كيف الطهور، ثم توضأ رسول الله كما رأى جبريل، ثم قام به جبريل فصلى به وصلى رسول الله ﷺ بصلاته، ثم انصرف جبريل عليه السلام فجاء رسول الله ﷺ خديجة فتوضأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل فتوضأت كما توضأ لها رسول الله ﷺ ثم صلى بها رسول الله كما صلى به جبريل فصلت، كذا ذكره ابن إسحاق مقطوعاً[2]. وقد وصله الحارث بن أبي أسامة فقال: حدثني الحسن بن موسى عن ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن الزهري عن عروة عن أسامة بن زيد حدثني أبي زيد بن حارثة أن رسول الله ﷺ في أول ما أوحي إليه أتاه جبريل فعلمه الوضوء، فلما فرغ من الوضوء أخذ غرفة من ماء فنضح بها فرجه. وقد روى ابن ماجه[3] عن ابن لهيعة عن عقيل عن الزهري بسنده بمعناه. وروى نحوه عن البراء بن عازب وابن عباس. وفي حديث ابن عباس: وكان ذلك من أول الفريضة. فالوضوء على هذا مكي بالفرض مدني بالتلاوة لأن آية الوضوء مدنية. وإنما قالت عائشة فأنزل الله آية التيمم ولم تقل آية الوضوء ـ وهي هي[4] ـ لأن الوضوء قد كان مفروضاً، غير أنه لم يكن قرآناً يتلى حتى نزلت آية المائدة. وقال مقاتل بن سليمان: فرض الله في أول الإسلام الصلاة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي لقوله تعالى ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ ﴾ قال في فتح الباري[5]: كان ﷺ قبل الإسراء يصلي قطعاً وكذلك أصحابه، ولكن اختلف هل فرض شيء قبل الصلوات الخمس من الصلوات أم لا؟ فقيل: إن الفرض كانت صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها انتهى.

فرض الوضوء

عدد ركعات الصلاة عند أول فرضها

---

(١) رواه البخاري برقم ٥٠ م ومسلم برقم ٦٨٥.

(٢) رواه ابن اسحاق بسند منقطع وعن البيهقي في الدلائل ٢/ ١٦٠.

(٣) أخرجه ابن ماجه مختصراً ١/ ١٧٢ والدارقطني ١١ والحاكم ٣/ ٢١٧ والبيهقي ١/ ١٦١. وأحمد ٤/ ١٦١ وصححه العلامة الألباني. انظر الصحيحة برقم ٨٤١ جـ ٢.

(٤) أي وهي آية واحدة نزل فيه الوضوء والتيمم وهي الآية (٦) من سورة المائدة.

(٥) انظر الفتح جـ ١ ص ٥٥٤.

وقال النووي[1]: أول ما وجب الإنذار والدعاء إلى التوحيد، ثم فرض الله من قيام الليل ما ذكره في سورة المزمل، ثم نسخه بما في آخرها، ثم نسخه بإيجاب الصلوات الخمس ليلة الإسراء بمكة. قال السهيلي[2]: يحتمل أن يكون قول عائشة «فزيد في صلاة الحضر» أي زيد فيها حتى أكملت خمساً فتكون الزيادة في الركعات وفي عدد الصلوات، ويكون قولها «فرضت الصلاة ركعتين» أي قبل الإسراء وقد قال به طائفة منهم ابن عباس، ويجوز أن يكون معنى قولها «فرضت الصلاة» أي ليلة الإسراء حين فرضت الخمس ركعتين ثم زيد في صلاة الحضر بعد ذلك، وهذا هو المروي عن بعض رواة هذا الحديث عن عائشة، وممن رواه هكذا الحسن والشعبي أن الزيادة في صلاة الحضر كانت بعد الهجرة بعام أو نحوه ذكره أبو عمر[3]. وذكر البخاري[4] من رواية معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: فرضت الصلاة ركعتين ركعتين، ثم هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ففرضت أربعاً، وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من عمه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه فيصليان الصلوات فيها فإذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا. ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان فقال لرسول الله ﷺ: يا ابن أخي، ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ قال «أي عم هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم - أو كما قال ﷺ - بعثني الله به رسولاً للعباد، وأنت أي عم أحق من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه» أو كما قال. فقال أبو طالب: أي ابن أخي إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص إليك بشيء تكرهه ما بقيتُ. وذكروا أنه قال لعلي: أي بني، ما هذا الذي أنت عليه؟ قال: يا أبت آمنت برسول الله وصدقت بما جاء به وصليت معه لله

الرسول وعلي يصليان في شعاب مكة

---

(١) انظر المواهب ١/ ٢١١.

(٢) الروض الأنف.

(٣) انظر الاستذكار جـ ١ ص ٣٠ ط ١ الأستاذ علي النجدي..

(٤) رواه البخاري برقم ٣٩٣٥.

واتبعته. فزعموا أنه قال له: أما انه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه[1]. وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا ذهبوا في الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينا سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في شعب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى تقاتلوا، وضرب سعد يومئذ رجلاً من المشركين بلحى بعير فشجه، وكان أول دم أهرق في الإسلام[2]. انتهى.

فصل

[الجهر بالدعوة]

دعوة الرسول لقريش

عن ابن عباس قال: لما أنزل الله ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ أتى النبي ﷺ الصفا فصعده، ثم نادى: يا صباحاه. فاجتمع الناس إليه ـ بين رجل يأتي إليه وبين رجل يبعث رسوله ـ فقال رسول الله ﷺ: يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟ قالوا نعم[3]. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تبًا لك سائر اليوم، أما دعوتنا إلا لهذا؟ وأنزل الله ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ ﴾ أخرجاه في الصحيحين[4]، وروى مسلم[5] عن أبي هريرة قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ دعا رسول الله ﷺ فعم وخص فقال «يا معشر قريش، أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل جـ ٢/ ١٦١ ـ ١٦٢.

(٢) هذا من التضييق والاضطهاد الذي كان يجده الصحابة الكرام رضوان الله عليهم من قريش مع ما كانوا يلقونه من التعذيب والإيذاء.

(٣) لما كان يتصف به من الأخلاق الحميدة الفاضلة في تعامله مع قومه ولهذا كان مصدقاً بينهم.

(٤) رواه البخاري برقم ٣٥٢٥ ومسلم برقم ٢٠٨ وأحمد ١/ ٣٠٧.

(٥) رواه مسلم برقم ٢٠٥ والحديث في البخاري برقم ٤٧٧١.

فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار، فإني والله لا أملك لكم من الله شيئاً إلا أن لكم رحماً سأبلُّها ببلالها»[1].

فصل

قريش تعلن العداوة

قال ابن إسحاق: ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله مظهراً لأمره لا يرده عنه شيء. فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حدب عليه وقام دونه فلم يسلمه لهم، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب ـ عتبه وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وأبو سفيان بن حرب بن أمية واسمه صخر ـ قال ابن هشام: وأبو البختري واسمه العاص بن هشام ابن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي، قال ابن إسحاق: والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وأبو جهل واسمه عمرو بن هشام ابن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب، والعاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم أو من مشى منهم فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا، فأما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافة فنكفيكه. فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً، ورد عليهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه. وقال السدي: إن أناساً من قريش اجتمعوا ـ فيهم أبو جهل ابن هشام والعاص بن وائل والأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث في نفر من مشيخة قريش ـ فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى أبي طالب فلنكلمه فيه فلينصفنا منه فليكف عن شتم آلهتنا ونَدَعه وإلهه الذي يعبد، فإنا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون إليه شيء فتعيرنا به العرب يقولون: تركوه حتى إذا مات عمه تناولوه. فبعثوا رجلاً منهم يُدعى المطلب فاستأذن لهم على أبي طالب فقال: هؤلاء مشيخة قريش وسراتهم يستأذنون عليك. قال: أدخلوا عليه

---

(١) يدل هذا على أنه ﷺ لا ينفع أحداً بقرابته له بل الذي ينفع عند الله العمل الصا لح (من أبطأ به عمله لم يعجل به نسبه).

قالوا: يا أبا طالب، أنت كبيرنا وسيدنا، فأنصفنا من ابن أخيك، فمره فليكفّ عن شتم آلهتنا، وندعه وإلهه، قال فبعث إليه أبو طالب، فلما دخل عليه رسول الله ﷺ قال: يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم، وقد سألوك أن تكف عن شتم آلهتهم ويدَعَوك وإلهك، قال: يا عم أفلا تدعوهم إلى ما هو خير لهم؟ قال: وإلى ما تدعوهم؟ قال: أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم. فقال أبو جهل من بين القوم: ما هي وأبيك لنعطيكها وعشر أمثالها؟ قال: تقولون «لا إله إلا الله» فنفروا وقالوا: سلنا غيرها. قال لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها. فقاموا من عنده غضبا وقالوا: والله لنشتمنك وإلهك الذي يأمرك بهذا. ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ ﴾. رواه ابن أبي حاتم وابن جرير[1] وزاد: فلما خرجوا دعا رسول الله ﷺ عمه إلى قول لا إله إلا الله، فأبى وقال: على دين الأشياخ. ونزلت ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾[2] وقال مقاتل: كان رسول الله ﷺ عند أبي طالب يدعوه إلى الإسلام، فاجتمعت قريش إلى أبي طالب يريدون بالنبي سوءا فقال أبو طالب: حين تروح الإبل فإن حنت ناقة إلى غير فصيلها دفعته إليكم، فقال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي ... ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا لا محالة انه ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا[3]

---

(١) أخرجه الترمذي في التفسير برقم ٣٢٣٢ والنسائي برقم ٤٥٦ وابن جرير في جامع البيان ٢٣/ ٧٩ وأحمد ١/ ٢٢٧ والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٣٢ والواحدي في أسباب النزول ص ٣٨٠. ونسبه السيوطي في الدر المنثور لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن حاتم وابن مردويه. قال أحمد شاكر رحمه الله ٢/ ٣١٤ في تحقيق المسند إسناده صحيح.

(٢) ثبت ذلك في البخاري برقم ١٣٦٠ ومسلم برقم ٢٤.

(٣) أبو طالب يعلم بصدق النبي ﷺ لكنه لم يقبل ولم يذعن وينقاد ولهذا لم ينفعه علمه.

فصل

الإكراه على الكفر

ولما اشتد أذى المشركين على من آمن، وفتن منهم من فتن حتى يقولوا لأحدهم اللات إلهك من دون الله؟ فيقول نعم، حتى إن الجعل ليمر بهم فيقولون: وهذا إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم. وروى العوفي[1] عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في عمّار حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد، فوافقهم على ذلك مكرهاً وجاء معتذراً إلى النبي ﷺ، فأنزل الله هذه الآية ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ ﴾ الآية. ورواه البيهقي[2] أيضاً وفيه أنه سب النبي ﷺ وذكر آلهتهم بخير، وأنه قال: يا رسول الله ما تُركت حتى سببتك، قال: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئناً. قال: إن عادوا فعد.

[الهجرة إلى الحبشة]

فلما اشتد البلاء عليهم أذن رسول الله ﷺ[3] لهم في الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة وقال: إن بها ملكاً لا يظلم الناس. وكان أول من هاجر إليها عثمان بن عفان ومعه زوجته رُقية بنت رسول الله، وأبو حذيفة بن عتبة وامرأته سهلة بنت سهيل، وأبو سلمة وامرأته أم سلمة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن مظعون، وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت أبي حثمة، وأبو سبرة بن أبي رهم وحاجب بن معمر، وسهيل بن وهب، وعبد الله بن مسعود، خرجوا متسللين سراً فوفق الله لهم ساعة وصولهم إلى الساحل سفينتين للتجار فحملوهم فيها إلى أرض الحبشة، وكان خروجهم في رجب من السنة الخامسة من المبعث، فأقاموا بالحبشة شعبان ورمضان، وخرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر فلم يدركوا منهم أحداً، ثم

---

(١) رواه ابن جرير في التفسير ١٤/١٢٢ من طريق العوفي والعوفي ضعيف وعزاه في الدر لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وقد صحح العلامة الألباني رحمه الله في تعليقه على فقه السيرة ١٠٨ نزول الآية في عمار بن ياسر.

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى ٨/٢٠٩.

(٣) رواه ابن إسحاق ١٩٤ وإسناده حسن.

رجعوا إلى مكة في شوال لما بلغهم أن قريشاً صافوا رسول الله ﷺ وكفوا عنه.

قصة الغرانيق

وسبب ذلك أن رسول الله ﷺ قرأ سورة النجم فلما بلغ ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠ ﴾ ألقى الشيطان في تلاوته: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى. فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم[1]، وقد علمنا أن الله يخلق ويرزق، ولكن آلهتنا تشفع عنده. فلما بلغ السجدة سجد وسجد معه المسلمون والمشركون، إلا شيخاً من قريش رفع إلى جبهته حصى فسجد عليه وقال: يكفيني هذا. فحزن النبي ﷺ حزناً شديداً وخاف من الله خوفاً عظيماً. فأنزل الله تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ الآيات. ولما استمر رسول الله ﷺ على سب آلهتهم عادوا إلى شر ما كانوا عليه، وازدادوا شدة على من أسلم. فلما قرب مهاجرة الحبشة من مكة وبلغهم أمرهم توقفوا عن الدخول، ثم دخل كل رجل في جوار رجل من قريش ثم اشتد عليهم البلاء والعذاب من قريش وسطت بهم عشائرهم، وصعب عليهم ما بلغهم عن النجاشي من حسن جواره، فأذن لهم رسول الله ﷺ في الخروج إلى الحبشة مرة ثانية فخرجوا، فكان خروجهم الثاني أشق عليهم وأصعب، فكان عدة من خرج في هذه المرة ثلاثة وثمانين رجلاً إن كان فيهم عمار بن ياسر فإنه يشك فيه، قاله ابن إسحاق[2]، ومن النساء تسع عشرة امرأة، وهم جعفر بن أبي طالب ومعه امرأته أسماء بنت عميس فولدت له هناك محمداً وعبد الله وعوناً، ومن بني أمية بن عبد شمس عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ومعه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث الكناني، وأخوه خالد بن سعيد ومعه امرأته أميمة بنت خلف بن أسعد الخزاعية ولدت له هناك سعيد وأمة وهي أم خالد وهي التي تزوجها الزبير بعد ذلك فولدت له خالداً وعمراً، ومن حلفائهم من بني أسد بن خزيمة عبد الله بن جحش، وأخوه عبيد الله معه امرأته

الهجرة الثانية للحبشة

---

(١) قصة الغرانيق لا تثبت سنداً ولا متناً وانظر كلام العلامة الشنقيطي رحمه الله في كتابه رحلة الحاج إلى بيت الله الحرام وكلام العلامة الألباني رحمه الله في رسالته (نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق) والثابت في البخاري برقم ٤٨٦٢ ـ ٤٨٧٣ أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم بأكملها وسجد وسجد المشركون معه وليس فيها ذكر الغرانيق.

(٢) رواه ابن إسحاق ٢١٠.

أم حبيبة بنت أبي سفيان فتنصر هناك ومات مرتداً، وقيس بن عبد الله رجل منهم معه امرأته بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان بن حرب ومعيقيب بن أبي فاطمة عديد لبني العاص بن أمية وهو من دوس، ومن بني نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب من قيس عيلان حليف بني نوفل وهو الذي بنى البصرة وأسسها أيام عمر. ومن بني أسد بن عبد العزى الزبير بن العوام، والأسود بن عبد المطلب بن أسد، وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسد. ومن بني عبد بن قصي طليب بن عمير بن وهب بن أبي كثير بن عبد، وقد انقرض جميع بني عبد بن قصي، ومن بني عبد الدار بن قصي سويبط بن عبد الدار ومعه امرأته حرملة بنت مالك بن عميلة بن السبّاق بن عبد الدار وجهم بن قيس بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار معه امرأته حرملة بنت عبد الدار بن خزيمة بن قيس بن عامر بن بياضة من خزاعة وابناه عمرو وخزيمة بنت جهم، وأبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، ومصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار.
ومن بني زهرة عبد الرحمن بن عوف، وعامر بن أبي وقاص أخو سعد، والمطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة معه امرأته رملة بنت أبي عون بن صبرة بن سعيد بن سعد بن سهم ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطلب، ومن حلفائهم من هذيل عبد الله بن مسعود وأخوه عتبة والمقداد بن عمرو بن ثعلبة وكان يقال له المقداد بن الأسود بن عبد يغوث بن عبد مناف بن زهرة، وذلك أنه تبناه في الجاهلية وحالفه، ومن بني تيم بن مرة الحارث بن خالد بن صخر ومعه امرأته ريطة بنت الحارث من بني تيم ولدت له بأرض الحبشة موسى بن الحارث وعائشة وزينب وفاطمة وعمرو بن عثمان بن عمرو من بني تيم، ومن بني مخزوم أبو سلمة بن عبد الأسد معه امرأته أم سلمة فولدت له بأرض الحبشة زينب، وشماس بن عثمان، وهبار بن سفيان وأخوه عبد الله، وهشام بن أبي حذيفة، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، ومن حلفائهم معتّب بن عوف من خراعة. ومن بني جُمَح عثمان بن مظعون وابنه السائب وأخوه قدامة وأخوه عبد الله، وحاطب بن الحارث معه امرأته فاطمة بنت المحلل وابناه محمد والحارث، وأخوه خطاب بن الحارث معه امرأته فكيهة بنت يسار، وسفيان بن معمر معه ابناه جابر وجنادة وامرأته حسنة

وهي أمهما وأخوهما من أمهما شرحبيل بن حسنة. قال ابن هشام: شرحبيل بن عبد الله أحد الغوث بن مر أخي تميم بن مر، قال ابن إسحاق: وعثمان بن ربيعة.
ومن بني سهم خنيس بن حذافة وأخوه قيس، وعبد الله وهشام بن العاص أخو عمرو بن العاص، وعمير بن رئاب وأبو قيس بن الحارث وأخوه الحارث بن الحارث وعمير بن الحارث وسعيد بن الحارث وبشر بن الحارث، ومحمية بن جزء الزبيدي ومعمر بن الحارث وأخ له من أمه من بني تميم يقال له سعيد بن عمرو، والسائب بن الحارث. ومن بني عدي بن كعب معمر بن عبد الله، وعروة بن عبد العزى، وعدي بن نضلة وابنه النعمان، وعامر بن ربيعة حليف آل الخطاب من عنز بن وائل معه امرأته. ومن بني عامر بن لؤي أبو سبرة بن أبي رُهم معه امرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو، وعبد الله بن مخرمة، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسليط بن عمر وأخوه السكران ابن عمر ومعه امرأته سودة بنت زمعة ومالك بن زمعة معه امرأته عمرة بنت السعدي وأبو حاطب بن عمرو وسعد بن خولة حليف لهم.
ومن بني الحارث بن فهر أبو عبيدة بن الجراح، وسهيل بن بيضاء وهو سهيل بن وهب ولكن أمه غلبت على نسبه وهي دعد بنت جُحْدم وكانت تدعى بيضاء، وعمرو بن أبي سراح، وعياض بن زهير، وعمرو بن الحارث بن زهير، وعثمان بن غنم، وسعد بن عبد قيس، والحارث بن عبد قيس(1). قال ابن القيم(2): وقد ذكر في هذه الهجرة الثانية عثمان بن عفان وجماعة ممن شهد بدراً فإما أن يكون هذا وهما وإما أن يكون لهم قدمة أخرى قبل بدر، فيكون لهم ثلاث قدمات: قدمة قبل الهجرة وقدمة قبل بدر وقدمة عام خيبر، ولذلك قال ابن سعد وغيره: إنهم لما سمعوا مهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلاً ومن النساء ثمان، فمات منهم رجلان بمكة وحبس سبعة وشهد بدراً أربعة وعشرون رجلاً وأقاموا عند النجاشي على أحسن حال ويبلغ ذلك قريشاً(3).

---

(1) انظر في ذلك سيرة ابن هشام ١/ ٣٤٩ ـ ٣٥٧.
(2) زاد المعاد جـ ٣/ ٢٦.
(3) قصة الهجرة الثانية للحبشة رواها الإمام أحمد ١/ ٤٦١ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال أحمد=

قريش تهدي للنجاشي

فصل

فلما كان بعد بدر اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا: إن لنا في الذين عند النجاشي ثأراً، فاجمعوا مالاً واهدوه إلى النجاشي لعله يدفع إليكم من عنده، ولينتدب في ذلك رجلان من أهل رأيكم، فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد مع الهدية فركبا البحر، فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا: قومنا لك ناصحون، وإنهم بعثونا إليك لنحذرك هؤلاء الذين قدموا عليك، لأنهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم أنه رسول الله ولم يتبعه إلا السفهاء، فضيقنا عليهم وألجأناهم إلى شعب بأرضنا لا يخرج منهم أحد ولا يدخل عليهم أحد فقتلهم الجوع والعطش، فلما اشتد عليهم الأمر بعث إليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك، فاحذرهم وادفعهم إلينا لنكفيكهم وآية ذلك أنهم إذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي كنت تحيا بها، رغبة عن دينك. فلما دعاهم النجاشي وحضروا صاح جعفر بن أبي طالب بالباب: يستأذن عليك حزب الله. فقال النجاشي: مروا هذا الصائح فليُعد كلامه، ففعل، فقال: نعم فليدخلوا بأمان الله وذمته. فدخلوا ولم يسجدوا له. قال ما منعكم أن تسجدوا لي؟ قالوا: نسجد لله الذي خلقك وملكك. وإنما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الأوثان، فبعث الله فينا نبياً صادقاً، وأمرنا بالتحية التي رضيها وهي السلام تحية أهل الجنة. فعرف النجاشي أن ذلك حق، وأنه في التوراة والإنجيل. فقال: أيكم الهاتف يستأذن؟ قال جعفر: أنا. قال فتكلم. قال: إنك ملك لا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم، وأنا أحب أن أجيب عن أصحابي، فمر هذين الرجلين فليتكلم أحدهما فتسمع كلامنا. فقال عمرو بن العاص لجعفر: تكلم. فقال جعفر للنجاشي: سله أعبيد نحن أم أحرار؟ فإن كنا عبيداً قد أبقنا من موالينا فارددنا إليهم، فقال عمرو: بل أحرار كرام. فقال: هل أرقنا دماً بغير حق فيقتص منا؟ قال: لا، ولا قطرة. قال: فهل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها؟ قال عمرو: ولا قيراط. قال النجاشي: فما تطلبون منهم؟

= شاكر ٦/رقم ٤٤٠٠ وإسناده حسن وقال ابن كثير في السيرة ٢/ ١٠ وهذا اسناد جيد قوي وسياق حسن وانظر فتح الباري ٧/ ٢٢٨.

قال: كنا وهم على دين واحد، على دين آبائنا، فتركوا ذلك واتبعوا غيره. فقال النجاشي لجعفر: ما هذا الذي كنتم عليه والذي اتبعتموه؟ واصدقني. فقال جعفر: أما الذي كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان، كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة وأما الذي تحولنا إليه فهو دين الله الإسلام، جاءنا به من الله رسول، وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقاً له. فقال النجاشي: تكلمت بأمر عظيم فعلى رسلك. ثم أمر بضرب الناقوس فاجتمع إليه كل قسيس وراهب، فقال: أنشدكم الله الذي أنزل الإنجيل على عيسى، هل تجدون بين عيسى وبين القيامة نبياً مرسلاً؟ قالوا اللهم نعم، قد بشرنا به عيسى وقال: من آمن به فقد آمن بي، ومن كفر به فقد كفر بي. فقال النجاشي لجعفر: ماذا يقول لكم هذا الرجل؟ وماذا يأمركم به وماذا ينهاكم عنه؟ قال يقرأ علينا كتاب الله ويأمرنا بالمعروف، وينهانا عن المنكر، ويأمرنا بحسن الجوار، وصلة الرحم، وبر اليتيم، ويأمرنا أن نعبد الله وحده لا شريك له. فقال اقرأ ما يقرأ عليكم. فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم، ففاضت عين النجاشي وأصحابه من الدمع. فقال: زدنا من هذا الحديث الطيب. فقرأ عليهم سورة الكهف، فأراد عمرو أن يغضب النجاشي فقال: إنهم يسبون عيسى وأمه، فقرأ عليهم سورة مريم، فلما أتى على ذكر عيسى وأمه رفع النجاشي نفاثة من سواكه قدر ما يقذي العين فقال: والله ما زاد المسيح على ما يقول هؤلاء نقداً. قال ابن إسحاق: فلما قال ذلك تناخرت بطارقته. فقال وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي. والسيوم الآمنون، من سبكم غرم، فلا هوادة اليوم على حزب إبراهيم، ما أحب أن لي دَبْراً من ذهب وأني آذيت رجلاً منكم. والدبر بلسان الحبشة الجبل، ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي فيها، فوالله ما أخذ اللهُ مني الرشوة حين ردّ عليّ ملكي فآخُذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيّ فأطيعهم فيه. فخرجا مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به[1]، وفيهم نزلت ﴿ ۞وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ ﴾ الآيات قال قتادة وغير واحد. وقيل بعثت قريش في شأنهم إلى النجاشي مرتين: الأولى عند هجرتهم

---

(١) رواه ابن إسحاق ١٩٤ وما بعدها وسنده حسن ومن طريقه رواه أحمد ٥/ ٢٩٠ عن أم سلمة. وصححه العلامة أحمد شاكر برقم ١٧٤٠.

والثانية عقب وقعة بدر، وكان عمرو بن العاص رسولاً في المرتين ومعه في إحداهما عمارة بن الوليد وفي الأخرى عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميان[1].

فصل

دعوة الرسول للنجاشي

فلما كان في ربيع الأول سنة سبع من الهجرة كتب رسول الله ﷺ كتاباً إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام، وبعث به مع عمرو بن أمية الضمري. فلما قرأ عليه الكتاب أسلم وقال: لو قدرت أن آتيه لأتيته[2]. وكتب إليه أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، وكانت ممن هاجر إلى الحبشة مع زوجها عبد الله بن جحش فتنصر هناك ومات، فزوجه إياها، وأصدقها عنه أربعمائة دينار. وكان الذي تولى تزويجها خالد بن سعيد بن العاص[3] وكتب إليه أن يبعث إليه من بقي من أصحابه ويحملهم ففعل، وحملهم في سفينتين مع عمرو بن أمية، وقدموا على رسول الله ﷺ حين افتتح خيبر[4].

زواجه بأم حبيبه

صلاته على النجاشي

وفي الصحيحين[5] عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه فخرج إلى المصلى فكبر أربع تكبيرات وقال: استغفروا لأخيكم. قال السهيلي[6]: وكان موت النجاشي في رجب سنة تسع، ولما صلى عليه رفع إليه سريره بأرض الحبشة حتى رآه بالمدينة. وتكلم المنافقون وقالوا: يصلي على علج مات بأرض الحبشة. قال ابن إسحاق[7]: وحدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قالت: لما مات النجاشي كان يتحدث أنه لا يزال على قبره نور. وحدثني

---

(١) ذكره أبو نعيم في دلائل النبوة جـ ١ ص ٢٥٣.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٨/ ٩٨ من طريق الواقدي وهو ضعيف.

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات ٨/ ٩٧ عن الواقدي وهو ضعيف ويشهد له ما رواه أبو داود برقم ٢٠٨٦ والنسائي ٦/ ١١٩ وهما حديثان صحيحان.

(٤) رواه البخاري رقم ٤٢٣٠، ٤٢٣١ ومسلم برقم ٢٥٠٢ والترمذي برقم ١٥٥٩ وأبو داود برقم ٢٧٢٥.

(٥) رواه البخاري برقم ١٢٤٥ ومسلم برقم ٩٥١.

(٦) الروض الأنف جـ ٣ ص ٢٦٢.

(٧) رواه ابن إسحاق في سيرة ابن هشام جـ ١/ ٣٦٦ بإسناد صحيح.

جعفر بن محمد عن أبيه قال: اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي: إنك فارقت ديننا وخرجوا عليه، فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفناً وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإن هُزِمتُ فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا. ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن وخرج إلى الحبشة. وصفّوا له فقال: يا معشر الحبشة ألست أحق الناس بكم؟ قالوا بلى. قال: وكيف رأيتم سيرتي فيكم؟ قالوا: خير سيرة. قال: فما بالكم؟ قالوا فارقت ديننا وزعمت أن عيسى عبد. قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا نقول هو ابن الله، فقال النجاشي ووضع يده على صدره على قبائه: هو يشهد أن عيسى ابن مريم، لم يزد على هذا شيئاً، وإنما يعني ما كتب. فرضوا وانصرفوا. فبلغ ذلك النبي ﷺ فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له[١]. قال السهيلي[٢] : والنجاشي اسم لكل ملك يلي الحبشة، كما أن كسرى اسم لملك الفرس، وخاقان اسم لملك الترك، وبطليموس اسم لملك اليونان[٣] واسم هذا النجاشي أصحمة بن الحر وتفسيره عطية.

فوائد من هجرة الحبشة

وفيه من الفقه الخروج من الوطن وإن كان الوطن مكة على فضلها إذا كان الخروج فراراً بالدين، وإن لم يكن إلى أرض الإسلام، فإن الحبشة كانوا نصارى يعبدون المسيح ويقولون هو ابن الله، وسموا بهذه الهجرة مهاجرين، وهم أصحاب الهجرتين الذين أثنى الله عليهم بالسبق فقال ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ وجاء في التفسير أنهم الذين صلوا القبلتين وهاجروا الهجرتين. فانظر كيف أثنى الله عليهم بهذه الهجرة وهم قد خرجوا من بلد الله الحرام إلى بلاد كفر، لما كان فعلهم ذلك احتياطاً على دينهم وأن يخلى بينهم وبين عبادة ربهم يذكرونه آمنين مطمئنين. وهذا حكم مستمر متى غلب المنكر على بلد وأوذي على الحق مؤمن ورأى الباطل قاهراً

---

(١) رواه ابن إسحاق ـ سيرة ابن هشام جـ ١/ ٣٦٦ وهو مرسل حسن.

(٢) الروض الأنف جـ ٣/ ٢٢٢.

(٣) أي الذين حكموا منهم في الاسكندرية، ويقال لهم البطالسة.

للحق ورجا أن يكون في بلد آخر أي بلد كان يبين فيه دينه ويظهر فيه عبادة ربه، فإن الخروج على هذا الوجه حتم على المؤمن. وهذه الهجرة لا تنقطع إلى يوم القيامة ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ انتهى كلام السهيلي[١].

هجرة الصديق رضي الله عنه

وفي الصحيح[٢] عن عائشة قالت: لم أعقل أبويّ إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار، بكرة وعشية. فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً إلى أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي، فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي. فقال ابن الدغنة إن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يُخرج، إنك تكسب المعدوم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. فأنا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك. فرجع أبو بكر وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يُخرج، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق؟ فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة: فأمر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن، فإنا نخشى أن يُفتن نساؤنا وأبناؤنا. فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره. ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره، فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فتتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره، وقد جاوز ذلك وابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن بالصلاة والقرآن فيه وإنا قد خشينا أن يفتن أبناؤنا ونساؤنا، فانهه، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفر في ذمتك، ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان. قالت عائشة: فأتى

---

(١) الروض الأنف جـ ٣/ ٢٥٥.

(٢) رواه البخاري برقم ٢٢٩٧.

ابن الدغنة إلى أبي بكر، فقال: قد علمت الذي عاقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجع إليّ ذمتي، فإني لا أحب أن تسمع العرب أني خفرت في رجل عقدت له، فقال أبو بكر فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله.

فصل

إسلام حمزة رضي الله عنه

ثم أسلم حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب. قال ابن إسحاق: حدثني رجل من أسلم وكان واعية أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ فآذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره، فلم يكلمه رسول الله ﷺ، ومولاة لعبد الله بن جُدعان في مسكن لها تسمع ذلك، ثم انصرف عنه عامداً إلى نادي قريش عند الكعبة فجلس معهم، فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحاً قوسه راجعاً من قنص له، وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم، وكان أعزّ فتى في قريش وأشده شكيمةً. فلما مر بالمولاة وقد رجع رسول الله إلى بيته قالت يا أبا عمارة، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفاً من أبي الحكم بن هشام، وجده ههنا جالساً فآذاه وشتمه وسبه وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد. فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى لم يقف لأحد، معداً لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به. فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم، فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه به فشجه شجة منكرة، ثم قال: أتشتمه؟ فأنا على دينه أقول ما يقول، فردّ عليّ إن استطعت. فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة، فإني والله قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً، وتمّ حمزة على إسلامه وعلى ما تابع عليه رسول الله ﷺ، فعرفت قريش أن رسول الله قد عزّ وامتنع، وأن حمزة سيمنعه، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه[١][٢].

---

(١) فيه فضيلة حمزة رضي الله عنه عم رسول الله ﷺ أسد الله وأسد رسوله.

(٢) قصة إسلام حمزة رضي الله عنه رويت من طريق ابن إسحاق فقد رواها الحاكم في المستدرك=

وزاد غير ابن اسحاق في إسلام حمزة أنه قال: لما حملني الغضب وقلت أنا على قوله، أدركني الندم على فراق دين آبائي وقومي، وبتُّ من الشك في أمر عظيم لا أكتحل بنوم. ثم أتيت الكعبة وتضرعت إلى الله أن يشرح لي صدري ويذهب عني الريب، فما استتمت دعائي حتى زال عني الباطل وامتلأ قلبي يقيناً. أو كما قال. فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما كان من أمري، فدعا لي بأن يثبتني الله. وقال حمزة بن عبد المطلب:

حمدتُ الله حين هدى فؤادي	إلى الإسلام والدين الحنيف
لدين جاء من رب عزيز	خبير بالعباد بهم لطيف
إذا تليت رسائله علينا	تحدر دمع ذي اللبِّ الحصيف
وأحمد مصطفى فينا مطاع	فلا تغشوه بالقول العنيف
فلا والله نُسلمه لقوم	ولما نقض فيهم بالسيوف
ونترك منهم قتلى بقاع	لورد الطير كالورد العكوف

إسلام عمر رضي الله عنه

وأخرج الترمذي وصححه عن ابن عمر، والطبراني عن ابن مسعود وأنس، أن النبي ﷺ قال «اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك: بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل بن هشام»[(١)].

وأخرج أبو نعيم في الدلائل وابن عساكر عن ابن عباس قال: قلت لعمر: لأي شيء سميت «الفاروق»؟ قال: أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام، فخرجت فإذا فلان المخزومي، فقلت له: أرغبت عن دين آبائك واتبعت دين محمد؟ فقال: إن فعلت فقد فعله من هو أعظم عليك حقاً مني. قلت: من ذلك؟ قال أختك وختنك. فانطلقت فوجدت همهمة، فدخلت فقلت ما هذا؟ فما زال الكلام بيننا حتى أخذت برأس أختي فضربته وأدميته، فقامت إليّ فأخذت برأسي فقالت: وقد كان ذلك على

= ٣/ ١٩٢ وابن كثير في السيرة ١/ ٤٤٥ والبيهقي في الدلائل ٢/ ٢١٣ كلهم من طريق ابن إسحاق، وهي مراسيل أسانيدها رجالها ثقات.

(١) رواه أحمد في المسند ٢/ ٩٥ والترمذي ٣٦٨٢ وابن ماجه ١٠٥ قال الألباني صحيح انظر صحيح سنن الترمذي ٣/ ٢٠٤.

رغم أنفك. فاستحييت حين رأيت الدماء، فجلست فقلت: أروني هذا الكتاب [فقالت أختي][1] إنه لا يمسه إلا المطهرون. فقمت فاغتسلت، فأخرجوا لي صحيفة فيها (بسم الله الرحمن الرحيم) فقلت: أسماء طيبة طاهرة ﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ فتعظمت في صدري فقلت ما هذا.

[أفَرّتْ][2] قريش؟! فأسلمت فقلت: أين رسول الله؟ قالت: فإنه في دار الأرقم. فأتيته فضربت الباب فاستجمع القوم، وقال لهم حمزة: ما لكم؟ قالوا: عمر. قال: وعمر، افتحوا له الباب، فإنه إن أقبل قبلناه، وإن أدبر قتلناه. فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فخرج فتشهد عمر، فكبّر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد. قلت: يا رسول الله ألسنا على الحق؟ قال: بلى. قلت: ففيم الاختفاء؟ فخرجنا في صفين: أنا في أحدهما، وحمزة في الآخر، حتى دخلنا المسجد، فنظرت قريش إليّ وإلى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة. فسماني رسول الله ﷺ «الفاروق» يومئذ وفي رواية أنس عن أبي يعلى والحاكم والبيهقي[3] قال: خرج عمر متقلداً بالسيف، فلقيه رجل من بني زهرة فقال: أين تعمد يا عمر؟ فقال له: أريد أن أقتل محمدا. قال: وكيف تأمن من بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمدا؟ قال: ما أراك إلا صبوت. قال: أفلا أدلك على العجب؟ إن أختك وختنك قد صبوا وتركا دينك. فمشى عمر فأتاهما وعندهما خباب. فلما سمع عمر توارى في البيت، فدخل فقال: ما هذه الهينمة؟ وكانوا يقرأون طه. قالا: ما عدا حديثا تحدثناه بيننا. قال:

---

(١) ما بين المعكوفتين سقط وتم استدراكه من مصدره.

(٢) ما بين المعكوفتين بياض في الأصل وتم استدراكه من مصدره.

(٣) هذه القصة المشهورة في إسلام عمر رضي الله عنه لا يصح لها سند صحيح. فقد رواها أبو نعيم في الدلائل ٢٤١/١ باسناد ضعيف وابن سعد ٢٦٧/٣ بإسناد ضعيف وضعف إسنادها الذهبي في السيرة.

فلعلكما قد صبوتما؟ فقال ختنه: يا عمر إن كان الحق في غير دينك. فوثب عليه عمر فوطئه وطئاً شديداً فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها فنفحها بيده فدمى وجهها، فقالت وهي غضبى: إن كان الحق في غير دينك، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فقال عمر: اعطوني الكتاب الذي عندكم فأقراه، وكان عمر يقرأ الكتاب، فقالت أخته: إنك رجس، ولا يمسه إلا المطهرون، فقم واغتسل وتوضأ، فقام واغتسل وتوضأ، ثم أخذ الكتاب فقرأ طه حتى انتهى إلى قوله ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾ فقال عمر: دلوني على محمد. فلما سمع خباب قول عمر خرج فقال: أبشر يا عمر، فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ليلة الخميس «اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام» وكان رسول الله ﷺ في أصل الدار التي في أصل الصفاء، فانطلق عمر حتى أتى الدار وعلى بابها حمزة وطلحة وناس، فقال حمزة: هذا عمر، إن يرد الله به خيراً يسلم، وإن يكن غير ذلك يكن قتله علينا هيناً، قال والنبي ﷺ داخل يوحى إليه، فخرج حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف فقال: ما أنت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة. فقال عمر أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك عبد الله ورسوله. وفي الصحيح عن سعيد بن زيد قال: والله لقد رأيتني وإن عمر لموثقي على الإسلام قبل أن يسلم عمر[١].

قوة المسلمين بعد إسلام عمر

قال ابن إسحاق: وكان عمر ذا شكيمة لا يرام، فلما أسلم امتنع به أصحاب رسول الله ﷺ وبحمزة، فكان عبد الله بن مسعود يقول: ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر. وفي البخاري عنه: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر[٢][٣]. قال الذهبي: أسلم في السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة، وكان من أشراف قريش، فكانوا إذ أرادوا حرباً بعثوه رسولاً، وإذا نافرهم منافر أو فاخرهم

---

(١) رواه البخاري برقم ٣٨٦٧.

(٢) رواه البخاري برقم ٣٦٨٤.

(٣) فيه فضيلة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأن الله قد أراد به خيراً فكان الرجل الثاني في الإسلام بعد أبي بكر رضي الله عنه.

مفاخر أرسلوه له منافراً ومفاخراً[1]. وفي الصحيح عن ابن عمر قال: لما أسلم عمر اجتمع الناس إليه عند داره وقالوا صبأ عمر، وأنا غلام فوق ظهر بيتي. فجاء رجل عليه قباء من ديباج فقال: صبأ عمر فما ذاك؟ فأنا له جار. قال فرأيت الناس تصدعوا عنه، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا العاص بن وائل[2]. وفي رواية في الصحيح عنه قال: بينما هو في الدار خائفاً إذ جاءه العاص بن وائل السهمي أبو عمرو عليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحرير، وهو من بني سهم وهم حلفاؤنا في الجاهلية، فقال له: ما بالك؟ قال: زعم قومك أنهم سيقتلوني إن أسلمت. قال: أمنت، لا سبيل لهم إليك.

فصل

قريش تعرض على أبي طالب صد الرسول عنها

قال ابن إسحاق: فلما رأت قريش أن أمر رسول الله ﷺ يتزايد ويقوى، مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سناً وشرفاً ومنزلة، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين. أو كما قالوا. فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، فبعث إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي إن قومك جاءوني وقالوا لي كذا وكذا ـ للذي كانوا قالوه له ـ فأبق عليّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، قال فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بدء، وأنه خاذله ومسلمه، وأنه ضعف عن نصرته والقيام معه، فقال له رسول الله ﷺ: يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك فيه. قال ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى، ثم قام. فلما ولى ناداه أبو طالب فقال: أقبل يا ابن أخي، قال فأقبل عليه رسول الله ﷺ. فقال: أقبل يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً[3].

---

(1) كما قال عليه الصلاة والسلام خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا.

(2) رواه البخاري برقم ٣٨٦٤، ٣٨٦٥.

(3) قال العلامة الألباني في تعليقه على فقه السيرة ص ١١٤ حديث ضعيف أخرجه ابن إسحاق=

تعرض عمارة بن الوليد لأبي طالب بقتل الرسول ﷺ

قال ابن إسحاق: ثم أن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم مشوا إليه بعمارة بن الوليد فقالوا له فيما بلغني: يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأجمله، فخذه فلك عقله ونصره واتخذه ولداً فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله، فإنما هو رجل كرجل. قال: والله لبئس ما تسومونني، تعطوني ابنكم أغذيه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه! هذا والله ما لا يكون أبداً، قال فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبدمناف: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلص مما تكره، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً. فقال: والله ما أنصفتموني، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليّ فاصنع ما بدا لك، أو كما قال: فحقب الأمر وحميت الحرب وتنابذ القوم وبادى بعضهم بعضاً[1]. فقال أبو طالب عند ذلك يعرّض بالمطعم ويعم من خذله من بني عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش ويذكر ما سألوه وما تباعد من أمرهم:

ألا قـل لعمـرو والـولـيـد ومُطعـم	ألا ليت حظي من حياطتكم بكر
مـن الخـور حبحـاب كثيـر رغـاؤه	يرش على الساقين من بوله قطر
تخلف خلف الورد ليس بلاحق	إذا مـا عـلا الفيفـاء قيـل لـه وبـر
أرى أخـوينـا مـن أبينـا وأمنـا	إذا سئـلا قـالا إلـى غيرنـا الأمـر
بلى لهما أمر ولكن تجرجما كما	جرجمت من رأس ذي علق صخر

= ومن طريقه ابن جرير . . . وهذا إسناد معضل، وقد أخرج القصة مختصراً الطبراني في الأوسط والكبير من حديث عقيل بن أبي طالب وفيه مكان قوله (ولو وضعوا الشمس) ما نصه «والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحد عن هذه الشمس شعلة من نار» وفيه عقب هذا فقال أبو طالب «والله ما كذب ابن أخي قط ارجعوا راشدين» قال الهيثمي في المجمع ٦/ ١٥ رواه أبو يعلى باختصار يسير من أوله ورجال أبي يعلى رجال الصحيح.

(١) رواه ابن إسحاق بدون إسناد انظر تاريخ الطبري ٢/ ٣٢٦ والبداية والنهاية ٣/ ٤٨، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٠٠، وسيرة ابن كثير ١/ ٤٧٥.

أخص خصوصاً عبد شمس ونوفلا ... هما نبذانا مثل ما ينبذ الجمر
هما أغمزا للقوم في أخويهما ... فقد أصبحا منهم أكفهما صفر
هما أشركا في المجد من لا أباله ... من الناس إلا أن يرس له ذكر
وتيم ومخزوم وزهرة منهم ... وكانوا لنا مولى إذا بغى النصر
فوالله لا تنفك منا عداوة ... ولا منهم ما كان من نسلنا شفر[1]

الشفر: هو حرف جفن العين.

قال ابن إسحاق: ثم إن قريشاً تذامروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم، ومنع الله رسوله منهم بعمه أبي طالب، وقد قام أبو طالب حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني عبد المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله والقيام دونه، فاجتمعوا إليه وقاموا معه، إلا ما كان من أبي لهب وولده فإنهم ظاهروا قريشاً على قومهم. انتهى.

[حصار الشعب]

وقال موسى بن عقبة[2] عن ابن شهاب: إنهم أجمعوا على أن يقتلوا رسول الله ﷺ علانية، فبلغ ذلك أبا طالب، فجمع بين هاشم وبني عبد المطلب فأدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم ومنعوه ممن أراد قتله، فمنهم من فعل ذلك حمية، ومنهم من فعل ذلك إيماناً ويقينا. فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتاباً على بني هاشم وبني عبد المطلب ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا منهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل. وكتبوه في صحيفة بخط منصور بن عكرمة، وقيل بغيض بن عامر[3]،

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ١/ ٣٠٠ ـ ٣٠١.

(٢) نقله الحافظ ابن حجر في الفتح ٧/ ٢٣٢ ورواه البيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٣١١. ورواه عروة بن الزبير في مغازي الرسول ﷺ في إسناد ضعيف من كلامه..

(٣) رجحه ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد ٣/ ٣٠.

فدعا عليه رسول الله ﷺ فشلت يده وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة، فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب مسلمهم وكافرهم إلى أبي طالب فدخلوا معه شعبه، فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً، وقال ابن سعد سنتين، حتى جهدوا وكان لا يصل إليهم شيء إلا سراً، وفي الشعب ولد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وقطعت قريش عنهم الأسواق حتى كان يسمع أصوات نسائهم وأبنائهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع، واشتدوا على من أسلم ممن لم يدخل الشعب، وعظمت الفتنة وزلزلوا زلزالاً شديداً. قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب: وكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد اغتياله، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو اخوته أو بني عمه فاضطجع على فراش رسول الله ﷺ، وأمره أن يأتي بعض فرشهم، وفي ذلك عمل أبو طالب قصيدته اللامية المشهورة[1] قال:

القصيدة اللامية لأبي طالب

ولمـا رأيـت القـوم ولا وُدّ فيهـم	وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقـد حـالفـوا قـومـاً علينـا أضنّـة	يعضـون غيظـاً خلفنـا بـالأنـامـل
صبرتُ لهم نفسي بسمراء سمحة	وأبيض عضب من تراث المقاول
وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي	وأمسكـت مـن أثـوابـه بـالـوصـائـل
أعوذ برب الناس من كل طاعن	علينـا بسـوء أو ملـح ببـاطـل
ومـن كـاشـح يسعـى لنـا بمعيبـة	ومن ملحق في الدين ما لم نحاول
وثـور ومـن أرسـى ثبيـرا مكـانـه	وراق ليـرقـى فـي حـراء ونـازل
وبالبيت حق البيت من بطن مكة	وبـالله إن الله ليـس بغـافـل
وبـالحجـر المسـودّ إذ يمسحـونـه	إذا اكتنفـوه بـالضحـى والأصـائـل
وموطىء إبراهيم في الصخر رطبة	علـى قـدميـه حـافيـاً غيـر نـاعـل
وأشواط بين المروتين إلى الصفا	ومـا فيهمـا مـن صـورة ونـائـل
ومن حج بيت الله من كل راكب	ومن كل ذي نذر ومن كل راجل
وبـالمشعـر الأقصـى إذا عمـدوا لـه	الآل إلـى مفضـى الشـراج القـوابـل

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ١/ ٣٠٥ والروض الأنف ٣/ ٨٢.

وتـوقـافهـم فـوق الجبـال عشيـة يقيمون بالأيدي صدور الرواحل
فهـل بعـد هـذا مـن معـاذ لعـائـذ وهـل مـن معيـذ يتقـي الله عـاذل
كـذبتـم وبيـت الله نتـرك مكـة ونظعـن إلا أمـركـم فـي بـلابـل
كـذبتـم وبيـت الله نُبْـزَى محمـدا ولـمـا نطـاعـن دونـه ونـنـاضـل
ونسلمـه حتـى نصـرّع حـولـه ونـذهـل عـن أبنـائنـا والحـلائـل
وينهـض قـوم فـي الحـديـد إليكـم نهوض الرَّوايا تحت ذات الصلاصل
وإنـا لعمـر الله ان جـد مـا أرى لتلتبسـن أسيـافنـا بـالأمـاثـل
بكفـي فتـى مثـل الشهـاب سميـدع أخـي ثقـة حـامـي الحقيقـة بـاسـل
ومـا تـرك قـوم لا أبـالـك سيـدا يحـوط الـذمـار غيـر ذرب مـواكـل
وأبيـض يستقـى الغمـام بـوجهـه ثمـال اليتـامـى عصمـة لـلأرامـل
تلـوذ بـه الهـلاك مـن آل هـاشـم فهـم عنـده فـي رحمـة وفـواضـل
وسـائـل أبـا الـوليـد مـاذا حبـوتنـا بسعيـك فينـا معرضـا كـالمخـاتـل
أضـاق عليـه بغضنـا كـل تلعـة مـن الأرض بيـن أخشـب وجنـادل
فعتبـة لا تسمـع بنـا قـول كـاشـح حسـود كذوب مبغض ذي دغاول
وكنـت امـرءاً ممـن يعـاش بـرأيـه ورحمتـه فينـا ولسـت بجـاهـل
ومـر أبـو سفيـان عنـي معـرضـا كمـا مرَّ قيـل مـن عظـام المقـاول
يفـر إلـى نجـد وبـرد ميـاهـه ويـزعـم أنـي لسـت عنكـم بغـافـل
ويخبـرنـا فعـل المنـاصـح أنـه شفيق ويُخفى عارمات الدواخل
أمطعم لم أخذلك في يوم نجدة ولا معظـم عنـد الأمـور الجـلائـل
أمطعـم إن القـوم سـامـوك خطـة وإنـي متـى أوكـل فلسـت بـوائـل
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا عقـوبـة شـر عـاجـلاً غيـر آجـل
بميـزان قسـط لا يُخـس شعيـرة لـه شـاهـد مـن نفسـه غيـر عـائـل
لقـد سفهـت أحـلام قـوم تبـدلـوا بنـي خلـف قيضـا بنـا والغيـاطـل
ونحـن الصميـم مـن ذؤابـة هـاشـم وآل قصـي فـي الخطـوب الأوائـل
فكـل صـديـق وابـن أخـت نعـده لعمـري وجـدنـا غبـهُ غيـر طـائـل
سوى أن رهطا من كلاب بن مرة بـراء إلينـا مـن معقـة خـاذل

ونعم ابن أخت القوم غير مكذب زهير حساما مفردا من حمائل
أشمّ من الشم البهاليل ينتمي إلى حسب في حومة المجد فاضل
لعمري لقد كلفت وجداً بأحمد وإخوته أدب المحب المواصل
فمن مثله في الناس أي مؤمل إذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عادل غير طائش يوالي إلها ليس عنه بغافل
فوالله لولا أن أجيء بسبة تجر على أشياخنا في المحافل
لكنا اتبعناه على كل حالة من الدهر جدا غير قول التهازل
لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يُعنى بقول الأباطل
فاصبح فينا أحمد في أرومة تقصر عنها سورة المتطاول
حديث بنفسي دونه وحميته ودافعت عنه بالذرى والكلاكل

نقض الصحيفة

ثم بعد ذلك تألف قوم من قريش على نقض تلك الصحيفة كان أحسنهم فيها غناء هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نضر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، فإنه لقي زهير بن أمية بن المغيرة فعيره بإسلام أخواله، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب، فأجابه زهير إلى نقض الصحيفة، ثم مشى هشام إلى المطعم بن عدي فذكره أرحام بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف فأجابه إلى ذلك، ثم مشى إلى أبي البختري بن هشام فقال له مثل ما قال للمطعم بن عدي، ثم مشى إلى زمعة بن الأسود فكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم فقال: وهل معي على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد؟ قال: نعم. ثم سمى له القوم. واتعدوا حطم الحجون ليلا بأعلى مكة، فاجتمعوا وتعاهدوا على القيام في نقض الصحيفة. وقال زهير، أنا أبدأكم فأكون أول من يتكلم. فلما أصبحوا غدوا على أنديتهم، وغدا زهير بن أبي أمية عليه حلة، فطاف بالبيت سبعاً، ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يباعون ولا يباع منهم، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة، فقال أبو جهل ـ وكان في ناحية المسجد ـ كذبت والله لا تشق، قال زمعة بن الأسود: أنت والله أكذب، ما رضينا كتابتها حين كتبت. فقال أبو البختري: صدق زمعة، لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به. قال المطعم بن عدي: صدقتم وكذب من قال غير ذلك. نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها. وقال هشام بن

عمرو نحواً من ذلك. قال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل. وتشوور فيه بغير هذا المكان. وأبو طالب جالس في ناحية المسجد، فقام المطعم بن عدي إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا باسمك اللهم وما كان فيها من اسم الله فإنها لم تأكله[١].

وقال موسى بن عقبة عن ابن شهاب: إن الله أطلع رسوله على الذي صنع بصحيفتهم فذكر ذلك لعمه فقال: لا والثواقب ما كذبتني. فانطلق يمشي بعصابة من بني عبدالمطلب حتى أتى المسجد وهو حافل من قريش، فلما رأوهم رأوا أنهم قد خرجوا من شدة الجوع وأتوا ليعطوهم رسول الله ﷺ. فتكلم أبو طالب فقال: إنه قد حدث أمر لعله أن يكونا بيننا وبينكم صلحاً، فأتوا بصحيفتكم. وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا فيها قبل أن يأتوا بها. فأتوا معجبين لا يشكون أن رسول الله ﷺ مدفوع إليهم، قالوا: قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا، فإنما قطع بيننا وبينكم رجل واحد قد جعلتموه خطرا لهلكة قومكم. فقال أبو طالب: لأعطينكم أمراً لكم فيه نصف، إن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني أن الله بريء من هذه الصحيفة التي في أيديكم ومحا كل اسم له فيها وترك فيها غدركم وقطيعتكم، فإن كان ما قال حقاً فوالله لا نسلمه إليكم حتى نموت عن آخرنا، وإن كان الذي يقول باطلاً دفعناه إليكم فقتلتموه أو استحييتموه. قالوا قد رضينا، ففتحوا الصحيفة فوجدوها كما أخبر، فقالوا: هذا سحر من صاحبكم. فارتكسوا وعادوا لشر مما كانوا عليه. فتكلم عند ذلك النفر الذين تعاقدوا ومزقت الصحيفة[٢]. قال ابن اسحاق: فلما مزقت وبطل ما فيها قال

---

(١) أخرجه ابن سعد ١/ ٢٠٩ باسناد صحيح عن عكرمة... وهو مرسل.

(٢) قصة الحصار رواها أهل السيّر بأسانيد ضعيفه قال الحافظ بن حجر في الفتح ٧/ ١٩٣ ولما لم يثبت عند الإمام البخاري شيء من هذه القصة اكتفى بإيراد حديث أبي هريرة لأن فيه دلالة على أصل القصة لأن الذي أورده أهل المغازي من ذلك كالشرح لقوله في الحديث (تقاسموا على الكفر) والحديث رواه البخاري ١٥٨٩ عن أبي هريرة قال لنا رسول الله ﷺ ونحن بمنى (نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر) [وذلك أن قريشاً وبني كنانة تحالفت على بني هاشم وبني المطلب ان لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ يعني بذلك المحصب] وما بين المعكوفتين من كلام الزهري.

أبو طالب في ما كان من أمر أولئك القوم الذين قاموا في نقضها يمدحهم شعراً:

ألا هل أتى بحرينا[1] صنع ربنا على نأيهم والله بالناس أرْوَدُ
فيخبرهم أن الصحيفة مُزقت وأن كل ما لم يرضه الله مفسد
تراوحها إفك وسحر مجمع ولم يلف سحر آخر الدهر يصعد
تداعى لها من ليس فيها بقرقر فطائرها في رأسها يتردد
وكانت كفاء وقعة باثيمة ليقطع منها ساعد ومقلد
ويظعن أهل المكتين فيهربوا فرائصهم من خشية الشر ترعد
ويترك حراث يقلب أمره أيتهم فيهم عند ذاك وينجد
فمن ينسى من حضار مكة عزه فعزتنا في بطن مكة أتلد
نشأنا بها والناس فيها قليل فلم ننفكك نزداد خيراً ونحمد
ونطعم حتى يترك الناس فضلهم إذا جعلت أيدي المضيفين ترعد
جزى الله رهطاً بالحَجون تتابعوا على ملأ يهدى لحزم ويرشد
قعود لدى حطم الحجون كأنهم مقاولة بل هم أعز وأمجد
أعان عليها كل صقر كأنه إذا ما مشى في رفرف الدرع أجرد
جريء على كل الخطوب كأنه شهاب بكفي قابس يتوقد
من الأكرمين من لؤى بن غالب إذا سيم خسفاً وجهه يتربد
طويل النجاد خارج نصف ساقه على وجهه نسقى الغمام ونسعد
عظيم الرماد سيد وابن سيد يحض على مقرى الضيوف ويحشد
ويبني لأبناء العشيرة صالحا إذا نحن طفنا بالبلاد ويمهد
ألظّ بهذا الصلح كل مبرأ عظيم اللواء أمره ثم يحمد
قضوا أمرهم في ليلهم ثم أصبحوا على مهل وسائر الناس رقد
همو رجعوا سهل بن بيضاء راضياً وسر أبو بكر بها ومحمد
متى شرك الأقوام في جل أمرنا وكنا قديماً قبلها نتودّد
وكنا قديماً لا نقر ظلامة وندرك ما شئنا ولا نتشدد

---

(١) المقصود الذين ركبوا البحر من مهاجري الحبشة.

فيال قصي هل لكم في نفوسكم وهـل لكـم فيمـا يجـيء بـه غـد
فـإني وإيـاكـم كمـا قـال قـائـل لديك البيان لو تكلمت أسود[1]

وأسلم هشام بن عمرو يوم الفتح، وخرج بنو هاشم من شعبهم وخالطوا الناس.

موت أبي طالب وخديجة رضي الله عنها

قال ابن عبد البر[2]: وذلك بعد عشرة أعوام من المبعث، ومات أبو طالب بعد ذلك بستة أشهر، وماتت خديجة بعده بثلاثة أيام.

وفي الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال: لما حضر أبا طالب الوفاة جاء رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال: يا عم قل «لا إله إلا الله» كلمة أحاج لك بها عند الله. فقالا له: ترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه رسول الله، فأعادا، فكان آخر ما كلمهم به هو على ملة عبد المطلب. وأبى أن يقول «لا إله إلا الله». فقال النبي ﷺ لأستغفرن لك، ما لم أنهَ عنك. فأنزل الله ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ ﴾ وأنزل في أبي طالب ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾[3] الآية[4]. وفي الصحيح[5] عن العباس أنه قال لرسول الله ﷺ: إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك، فهل ينفعه ذلك»؟ قال «نعم، وجدته في غمرات من النار، فأخرجته في ضحضاح» وفي رواية «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه يغلي منه دماغه» وفي رواية «ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»[6] انتهى.

---

(١) أسود: جبل كان قد قتل فيه قتيل ولم يعرف قاتله، فقال أولياء المقتول هذه المقالة، يعنون بها أن الجبل لو تكلم لأبان عن القاتل ولعرف الجاني ولكنه لا يتكلم، فذهبت مقالتهم مثلا (ق).

(٢) الدرر ٤٥ لابن عبد البر وانظر المواهب اللدنية للقسطلاني ١/ ٢٦١ وجزم به موسى بن عقبه والواقدي.

(٣) رواه البخاري برقم ٣٨٨٤ ومسلم ٢٤ والنسائي ٤/ ٩٠ والإمام أحمد في المسند ٥/ ٤٣٣.

(٤) وهذا من أثر جلساء السوء والصحبة فإنهم كانوا سبباً في ترك دين الإسلام وعدم شهادة الحق.

(٥) رواه البخاري برقم ٣٨٨٣ ومسلم برقم ٢٠٩.

(٦) وهذا خاص بأبي طالب ببركة شفاعة النبي ﷺ وهذا الشفاعة خاصة بالنبي محمد ﷺ.

وكان موته في رمضان بعد المبعث بعشر سنين على الصحيح. وقيل: إن رسول الله ﷺ يسمي ذلك العام «عام الحزن»[1]، وكانت مدة إقامة خديجة معه عليه السلام خمساً وعشرين سنة على الصحيح، ثم بعد أيام من موت خديجة تزوج عليه السلام سودة بنت زمعة[2].

فصل

[اشتداد العذاب والبلاء على رسول الله ﷺ وأصحابه]

فلما مات أبو طالب اشتد البلاء على رسول الله ﷺ من قومه وتجرؤوا عليه وكاشفوه بالأذى، وأرادوا قتله، فمنعهم الله من ذلك. وذكر العلماء من أهل السير وغيرهم فيما لقي رسول الله ﷺ من قومه أموراً كثيرة: فمنها ما قاله ابن إسحاق حدثني يحيى بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال: حضرتهم وقد اجتمعوا في الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه، سفه أحلامنا وشتم آباءنا وفرق جماعتنا. فبينما هم إذ أقبل رسول الله ﷺ فاستلم الركن، فلما مرّ بهم غمزوه، فعرفتُ ذلك في وجه رسول الله ﷺ. ثم مضى. فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ. ثم مر بهم الثالثة فوقف ثم قال: أتسمعون يا معشر قريش، لقد جئتكم بالذبح. وإنهم قالوا له: يا أبا القاسم ما كنت جهولاً فانصرف راشداً. فلما كان من الغد اجتمعوا كذلك إذ طلع فقالوا: قوموا إليه وثبة رجل واحد، فلقد رأيت عقبة بن أبي معيط أخذ بمجمع ردائه، وقام أبو بكر وهو

---

(١) لم يرد عن النبي ﷺ تسميته بعام الحزن انظر كلام العلامة الألباني في كتاب [دفاع عن السنة والسيرة النبوية] ص ١٨ والحديث ضعيف في ذلك ذكره القسطلاني في المواهب اللدنية.

(٢) ورد من حديث عائشة قالت لما توفيت خديجة قالت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون يا رسول الله ألا تزوج قال نعم فما عندك قالت بكر وثيب، البكر بنت أحب خلق الله إليك عائشة والثيب سودة بنت زمعة فدخلت على أبي بكر فقال هي ابنة أخيه قال: قولي له أنت أخي في الإسلام وابنتك تصلح لي فجاءه فأنكحه ثم دخلت على سودة فقالت لها أخبري أبي فذكرت له فزوجه) قال الحافظ في فتح الباري ٧/ ٢٢٥ رواه أحمد والطبراني بإسناد حسن.

يبكي ويقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله[1]، وفي حديث أسماء فأتى الصريخ إلى أبي بكرٍ فقال: أدرك صاحبك. فخرج من عندنا وعليه غدائر أربع، فخرج وهو يقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله. فلهوا عنه وأقبلوا على أبي بكر، فرجع إلينا لا نمس شيئاً من غدائره إلا رجع معنا[2]. وفي رواية البخاري عن عروة قال: سألت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ قال: بينما النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ فقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله. الآية[3]. ومنها ما ذكره البخاري[4] أيضاً في صحيحه عن عبد الله بن مسعود قال: كان رسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم، إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائي، أيكم يقوم إلى جزور آل فلان فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه. فانبعث أشقاهم، فلما سجد عليه الصلاة والسلام وضعه بين كتفيه، وثبت النبي ﷺ ساجداً، فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك وأنا قائم أنظر لو كان لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ. فانطلق منطلق إلى فاطمة، وهي جويرية، فأقبلت تسعى. وثبت النبي ﷺ ساجداً حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى رسول الله ﷺ رفع صوته ثم دعا عليه، وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثا، ثم قال: اللهم عليك بقريش، ثم سمى: اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد. قال عبد الله: فوالله: لقد رأيتهم صرعى يوم بدر قد غيرتهم الشمس في يوم حار، ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر، ثم قال رسول الله ﷺ وأتبع أصحاب القليب لعنة. انتهى.

سلى الجزور يلقى على ظهر الرسول

دعوته ﷺ عليهم

---

(١) رواه أحمد في المسند ٢/ ٢١٨ وسنده صحيح وذكر البخاري طرفاً منه ٦٧٨.

(٢) رواه الحميدي في مسنده ٣٢٤ وأخرجه من طريقه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٣١ قال الحافظ رواه أبو يعلى بإسناد حسن.

(٣) رواه البخاري برقم ٣٦٧٨.

(٤) رواه البخاري برقم ٥٢٠ ـ ٣٨٥٤ ومسلم برقم ١٧٩٤.

ومنها ما ذكر أن عقبة بن أبي معيط وطىء على رقبته الشريفة وهو ساجد حتى كادت عيناه تبرزان. ومنها حثو سفهائهم التراب على وجه ورأسه. ذكره ابن إسحاق. ومنها أنهم يطرحون الفرث والدم على بابه. ومنها بصق أمية في وجهه.

الأذى يلقى في طريقه ﷺ

قال ابن إسحاق: وكان النفر الذين يؤذون رسول الله ﷺ في بيته أبو لهب والحكم بن أبي العاص بن أمية وعقبة بن أبي معيط وعدي بن حمراء الثقفي وابن الأصداء الهذلي، وكانوا جيرانه، لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص، وكان أحدهم فيما ذكر لي يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي، وكان أحدهم يطرحها في برمته إذا نصبت له، حتى اتخذ رسول الله حجراً يستتر به منهم إذا صلى، فكان رسول الله إذا طرحوا عليه ذلك الأذى كما حدثني عمرو بن عبد الله بن عروة عن عروة بن الزبير يخرج به رسول الله ﷺ على العود فيقف به على بابه ثم يقول: يا بني عبد مناف، أي جوار هذا؟ ثم يلقيه في الطريق. وحدثني هشام بن عروة عن أبيه عروة قال: لما نثر ذلك السفيه على رأس رسول الله ﷺ ذلك التراب دخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله يقول لها: لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك. قال ويقول بين ذلك: ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب.

اشتداد التعذيب على الصحابة

ومنها تعذيب أصحابه وهو ينظر، قال ابن إسحاق: حدثني عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد قال: لقي أبا بكر سفيه من سفهاء قريش وهو عامد إلى الكعبة فحثا على رأسه تراباً، قال فمر بأبي بكر الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل قال فقال أبو بكر: ألا ترى ما يفعل هذا السفيه؟ قال: أنت فعلت ذلك بنفسك، وهو يقول: أي رب ما أحلمك، أي رب ما أحلمك؟ وفي الصحيح عن خباب قال: أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: يا رسول الله ألا تدعو الله؟ فقعد وهو محمر وجهه فقال: لقد كان فيمن كان قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمّن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله والذئب على

الصحابة يشتكون لرسول الله العذاب

اجتماع صنايد قريش وسؤالهم المعجزات

غنمه[1]. قال ابن إسحاق[2]: حدثني بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير عن عكرمة مولى ابن عباس عن عبد الله بن عباس قال: اجتمع عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب والنضر بن الحارث بن كلدة أخو بني عبد الدار وأبو البختري بن هشام والأسود بن المطلب بن أسد وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان وأمية بن خلف ومن اجتمع إليهم، قال: اجتمعوا عند غروب الشمس عند ظهر الكعبة، ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه، فبعثوا إليه: إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فأتهم. فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلموه بدء، وكان عليهم حريصاً يحب رشدهم ويعز عليهم عنتهم، حتى جلس إليهم، فقالوا: يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد سببت الآباء، وعبت الدين، وشتمت الآلهة، وسفهت الأحلام، وفرقت الجماعة، فما بقي من قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك. أو كما قالوا له. وان كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تطلب به الشرف فينا فنحن نسوّدك علينا، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك، وإن كان الذي يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك ـ وكانوا يسمون التابع من الجن رئياً ـ فربما كان ذلك، بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك. قال لهم رسول الله ﷺ: ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً وأنزل عليّ كتاباً وأمرني أن أكون بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالات ربي، ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم. أو كما قال. قالوا: يا محمد، فإن كنت غير قابل منا

---

(١) رواه البخاري برقم ٣٨٥٢ وأبو داود برقم ٢٦٤٩.

(٢) رواه ابن إسحاق ١٣١ ـ ١٣٢ وفيه مجهول وهو مرسل وهو في المصنف لابن أبي شيبة ١٤/ ٢٩٥ ومسند أبي يعلى ٣/ ٣٤٩ ودلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٢٠٢. وأسانيدهم فيها ضعف.

شيئاً مما عرضناه عليك فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلداً ولا أقل ماء ولا أشد عيشاً منا، فاسئل ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا، وليبسط لنا بلادنا، وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا قصي بن كلاب فإنه كان شيخ صدق فنسأله عما تقول أحق هو أم باطل؟ فإن صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله، وأنه بعثك رسولاً كما تقول: فقال لهم رسول الله ﷺ: ما بهذا بعثت إليكم، وإنما جئتكم من الله بما بعثني به، وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليّ فأصبر لأمر الله، حتى يحكم الله بيني وبينكم. قالوا: فإذا لم تفعل هذا فخذ لنفسك، سل ربك أن يبعث معك ملكاً يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك، وأما لا فليجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي، فإنك تقوم في الأسواق تلتمس المعاش كما نلتمس حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم. فقال لهم رسول الله ﷺ: ما أنا بفاعل، وما أنا بالذي يسأل ربه. ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً ـ أو كما قال ـ فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم. قالوا: فأسقط السماء علينا كسفاً كما زعمت أن ربك إن شاء فعل. قال: فقال رسول الله ﷺ ذلك إلى الله، إن شاء أن يفعله بكم فعل. قالوا يا محمد، فما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب، فيتقدم إليك فيعلمك بما تراجعنا به ويخبرك بما هو في ذلك بنا إذ لم نقبل منك ما جئتنا به، إنه قد بلغنا أنك إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً، فقد أعذرنا إليك يا محمد، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا. وقال قائلهم: نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله، وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا. فلما قالوا ذلك لرسول الله قام عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال له: يا محمد، عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك عند الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل،

ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل، ثم سألوك أن تجعل لهم بعض ما تخوفهم من العذاب فلم تفعل ـ أو كما قال له ـ فوالله لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وأيم الله إن لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك. ثم انصرف عن رسول الله ﷺ وانصرف إلى أهله حزيناً أسفاً لما فاته مما كان طمع به من قومه حين دعوه[1]، ولما رأى من مباعدتهم إياه.

فلما قام عنهم رسول الله ﷺ قال أبو جهل: يا معشر قريش إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وشتم آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر ما أطيق حمله ـ أو كما قال ـ فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني فلتصنعْ بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم. قالوا: والله لا نسلمك لشيء أبداً فامض لما تريد. فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو، وكان رسول الله ﷺ بمكة وقبلته إلى الشام، فكان إذا صلى صلى بين الركن اليماني والحجر الأسود، وجعل الكعبة بينه وبين الشام. فقام رسول الله ﷺ يصلي وقد غدت قريش في أنديتهم فجلسوا فيها ينظرون ما أبو جهل فاعل، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رجع منهزماً منتقعاً لونه مرعوباً قد يبست يداه على حجره حتى قذف الحجر من يده، وقامت إليه رجال قريش فقالوا له: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة، فلما دنوت عرض لي دونه فحل من الإبل والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط، فهمّ بي أن يأكلني[2]. قال ابن إسحاق: فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال: ذاك جبرائيل، لو دنا لأخذه. فلما قال ذلك لهم أبو جهل قام النضر بن الحارث بن كلدة فقال: يا معشر قريش، والله لقد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً

أبو جهل يريد أن يقتل الرسول

---

(١) رواه ابن جرير ١٥/ ١١٠ عن ابن اسحاق.

(٢) في مسلم برقم ٢٧٩٧ أنه كان يريد أن يطأ عنق الرسول ﷺ.

وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر، لا والله ما هو بساحر، قد رأينا السحرة نفثهم وعقدهم. وقلتم كاهن، لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة تخالجهم وسمعنا سجعهم. وقلتم شاعر لقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه. وقلتم مجنون، لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه. يا معشر قريش، فانظروا في شأنكم، فإنه والله قد نزل بكم أمر عظيم.

عداوة النضر بن الحارث

وكان النضر من شياطين قريش وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس وأحاديث رستم واسفنديار، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً فذكر فيه بالله وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله خلفه في مجلسه إذا قام، وقال: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه، فهلم فأنا أحدثكم أحسن من حديثه. ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثاً مني؟ قال ابن هشام: وهو الذي قال فيما بلغني: سأنزل مثل ما أنزل الله. قال ابن إسحاق فكان ابن عباس يقول فيما بلغني: نزل فيه ثلاث آيات من القرآن: قوله تعالى ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ وكل ما ذكر فيه أساطير الأولين[1].

قريش تسأل

فلما قال لهم النضر بن الحارث ذلك بعثوه وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة وقالوا لهما: سلاهم عن محمد، وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم علم ليس عندنا من الأنبياء. فخرجا حتى قدما المدينة فسألا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ ووصفا لهم أمره وأخبراهم ببعض قوله وقالا لهم إنكم أهل التوراة قد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا. فقالت لهما أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقوّل، فروا فيه رأيكم. سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم، فإنه قد كان لهم حديث عجب. وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض

(١) رواه البيهقي في الدلائل ٢/ ٢٠٢ وانظر كلام ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٦٣.

ومغاربها ما كان نبأه، وسلوه عن الروح ما هي؟ فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبي، وان لم يفعل فالرجل متقوّل فاصنعوا في أمره ما بدا لكم. فأقبل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط بن عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف حتى قدما مكة على قريش فقالا: يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها، فإن أخبركم بها فهو نبي، وان لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم، فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد، أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول قد كان لهم قصة عجب، وعن رجل كان طوافاً قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وأخبرنا عن الروح ما هي؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: أخبركم بما سألتم عنه غداً. ولم يستثن. فانصرفوا عنه، فمكث رسول الله ﷺ فيما يذكرون خمس عشرة ليلة لا يحدث إليه في ذلك وحي ولا يأتيه جبريل، حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه. حتى أحزن رسول الله ﷺ ملبث الوحي، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاء جبريل من الله بسورة الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية، والرجل الطواف، والروح. قال ابن إسحاق: إن رسول الله ﷺ قال لجبريل حين جاءه: لقد احتبست عني يا جبريل حتى سُؤتُ ظنا. فقال له جبريل ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾ الآية. وقال فيما سألوه عنه من الروح ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ الآية[1].

اليهود تسأل الرسول

قال ابن إسحاق: وحدثت عن ابن عباس أنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قالت أحبار يهود: أرأيت قولك (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) إيانا تريد أم قومك؟ قال: كلا. قالوا: فإنك تتلو في ما جاءك أنا قد أوتينا التوراة فيها بيان كل شيء، فقال رسول الله ﷺ: إنها في علم الله قليل، وعندكم في ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه. فأنزل الله عليه فيما سألوه عنه من ذلك ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ﴾ أي أن التوراة في هذا من علم

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل ٢/ ٢٦٩ من طريق ابن إسحاق وفيه مجهول.

الله قليل[1]. قال: وأنزل الله عليه فيما سأله قومه لأنفسهم من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وبعث من مضى من آبائهم من الموتى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ أي أني لا أصنع من ذلك إلا ما شاء الله. وأنزل الله عليه في قولهم خذ لنفسك ما سألوه أن يجعل له جناناً وقصوراً وكنوزاً ويبعث معه ملكاً يصدقه بما يقول ويرد عليه ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ إلى قوله ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا ﴾ أي من أن تمشي في الأسواق وتلتمس المعاش ﴿ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ الآية. وأنزل الله عليه في ذلك من قولهم ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾ أي جعلنا بعضكم لبعض بلاء لتصبروا، ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي فلا يخالفوا لفعلت[2].

تعنت قريش على رسول الله

وأنزل عليه فيما قال عبد الله بن أبي أمية ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ ﴾ إلى قوله ﴿ هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾[3] وأنزل عليه فيما عرضوا من أموالهم ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾، فلما جاءهم رسول الله بما عرفوا من الحق وعرفوا صدقه فيما حدث وموقع نبوته به من علم الغيوب حين سألوه عما سألوه عنه حال الحسد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه، فعتوا على الله، وتركوا أمره عياناً ولجوا فيما هم عليه من الكفر، فقال قائلهم ﴿ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[4] أي اجعلوه لغواً وباطلاً واتخذوه هزؤا لعلكم تغلبونه بذلك، فانكم أن ناظرتموه أو خاصمتموه يوماً غلبكم. فقال أبو جهل يوماً وهو يهزأ برسول الله ﷺ وما جاء به من الحق: يا معشر قريش يزعم محمد أنما جنود

---

(١) رواه أحمد في المسند ١/ ٢٥٥ والترمذي ٣١٤٠ والحاكم في المستدرك ٢/ ٥٣١ وقال صحيح الإسناد وأقره الذهبي وصححه ابن حجر في الفتح ٨/ ٤٠١، وصححه العلامة أحمد شاكر في المسند ٢٣٠٩.

(٢) رواه الواحدي في أسباب النزول ٣٤٢ وهو ضعيف.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) انظر زاد المسير لابن الجوزي ٧/ ٢٥٢.

الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر، وأنتم أكثر الناس عدداً وكثرة أفيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم؟ فأنزل الله في ذلك من قوله ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ﴾[1] إلى آخر القصة. فلما قال ذلك بعضهم لبعض جعلوا إذا جهر رسول الله ﷺ بالقرآن وهو يصلي يتفرقون عنه ويأبون أن يستمعوا له، فكان الرجل إذا أراد أن يستمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلي استرق السمع دونهم فرقاً منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه ذهب خشية أذاهم فلم يستمع، وإن خفض رسول الله ﷺ صوته فظن الذي يستمع أنهم لا يسمعون شيئاً من قراءته أو سمع هو شيئاً دونهم أصاخ له يستمع منه. قال ابن إسحاق[2]: حدثني داود بن الحصين مولى عمرو بن عثمان أن عكرمة مولى ابن عباس حدثه أن عبد الله بن عباس حدثهم إنما نزلت هذه الآية ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ من أجل أولئك، يقول: لا تجهر بصلاتك فيتفرقوا عنك، ولا تخافت بها فلا يسمعها من يحب أن يسمعها ممن يسترق السمع ذلك دونهم، فلعله يرعوي إلى بعض ما يسمع فينتفع به. انتهى.

نزول ﴿ولا تجهر بصلاتك

قلت: وقد روى البخاري[3] في صحيحه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ الآية قال: نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع المشركون سبّوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله عز وجل ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ﴿ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم ﴿ وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾ زاد مسلم في روايته: ﴿ وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾، يقول: بين الجهر والمخافتة.

سادة قريش تستمع لرسول الله وهو يقرأ القرآن

قال ابن اسحاق: وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أنه حدث أبا سفيان ابن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شُريق الثقفي حليف بني زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل

---

(١) رواه ابن جرير وابن مردويه انظر أسباب النزول للقاضي ٢٢٢.

(٢) رواه ابن إسحاق بسند ضعيف. وانظر السير والمغازي ٢٠٦.

(٣) رواه البخاري برقم ٤٧٢٢ ومسلم برقم ١٤٥.

منهم مجلساً يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فتلاوموا وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في قلبه شيئاً. ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود، ثم تعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال: أخبرنا يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد، فقال: يا أبا ثعلبة لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها. قال الأخنس: وأنا والذي حلفت به. ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل، فدخل عليه بيته فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه. فقام عنه الأخنس وتركه[1].

ذكر خبر الوليد بن المغيرة

قال ابن إسحاق: ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش، وكان ذا سنّ فيهم وقد حضر الموسم، فقال لهم: يا معشر قريش إنه قد حضر الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ويردُّ قولكم بعضه بعضاً. قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأياً نقول به. قال: بل أنتم قولوا وأسمع. قالوا: نقول

---

(١) رواه ابن إسحاق بأسانيد منقطعة.

كاهن. قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان، فما بزمزمة الكاهن ولا سجعه. قالوا: فنقول مجنون. قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته. قالوا: فنقول شاعر. قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر. قالوا نقول ساحر. قال: وما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثه ولا عقده. قالوا: فما تقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله حلاوة، وإن أصله لَعَذْق، وإن فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل. وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وابنه وبين المرء وعشيرته. فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذّروه إياه وذكروا لهم أمره. فأنزل الله في الوليد بن المغيرة وفي ذلك من قوله تعالى ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ إلى قوله ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ ﴾[1] وأنزل الله في النفر الذين كانوا يصنفون القول في رسول الله فيما جاء به من الله ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ أي أصنافاً ﴿ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ الآية.

وعن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: اقرأ عليّ. فقرأ عليه ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾ الآية، قال: أعد. فأعاد عليه. قال: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمعذق، وما يقول هذا بشر. وفي رواية: فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً. قال: ولم؟ قال: أتيت محمداً لتعوض مما قبله. قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً. قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له. قال: ماذا أقول؟ فوالله ما فيكم أعلم بالأشعار مني[2].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٢/٥٠٦ وصححه ووافقه الذهبي وقال على شرط مسلم ورواه الواحدي في أسباب النزول ٤٦٨ والبيهقي في الدلائل ٢/١٩٨.

(٢) رواه البيهقي في الدلائل ٢/١٩٩.

ذكر خبر عتبة بن ربيعة لرسول الله ﷺ

روى عبد بن حميد وأبو يعلى عن جابر بن عبد الله قال: اجتمعت قريش يوماً فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا، فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه. فقالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة. فقالوا: أنت يا أبا الوليد. فأتاه عتبة فقال: يا محمد، أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله ﷺ. فقال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ. قال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبتَ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك. إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك، فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب. لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً، وأن في قريش كاهناً. والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى. أيها الرجل، إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوِّجك عشراً، فقال رسول الله ﷺ: فرغتَ؟ قال نعم. فقال رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ ﴾ حتى بلغ ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ۝١٣ ﴾. فقال عتبة: حسبُك حسبُك، ما عندك غير هذا؟ قال: لا. فرجع إلى قريش فقالوا: ما وراءك، قال: ما تركت شيئاً إنكم تكلمونه به إلا كلمته. قالوا: فهل أجابك. قال نعم، لا والذي نصبها بَنية[1] ما فهمت شيئاً مما قال، غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود[2]. وقد ساقه البغوي[3] في تفسيره عن محمد بن فضيل عن الأجلح عن الذيال بن حرملة عن جابر، فذكر الحديث إلى قوله﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ

---

(١) البنية هي الكعبة بيت الله الحرام (ق).

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل ١/ ٢٣٠ وأبو نعيم في الدلائل ١٨٢ وابن أبي شيبة في المصنف ١٤/ ٢٩٥ وعبد بن حميد ١١٢٣ والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٥٣ وصححه ووافقه الذهبي وأبو يعلى في مسنده ١٨١٨. وهو حديث حسن.

(٣) معالم التنزيل للبغوي ٧/ ١٦٨ والدر المنثور للسيوطي ٧/ ٣١٠ وعزاه للبيهقي وابن عساكر.

﴿مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم، ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش واحتبس عنهم، فقال أبو جهل: يا معشر قريش، والله لا نرى عتبة إلا قد صبأ إلى محمد وأعجبه طعامه، وما ذاك إلا من حاجة أصابته، فانطلقوا بنا إليه. فانطلقوا إليه فقال أبو جهل: يا عتبة، ما حبسك عنا إلا أنك صبوت إلى محمد، وأعجبك طعامه، فإن كان لك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما نغنيك عن طعام محمد. فغضب غضبة وأقسم أن لا يكلم محمداً أبداً وقال: والله إني من أكثر قريش مالاً، ولكني أتيته وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر، وقرأ السورة إلى قوله ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب، فخشيت أن ينزل بكم العذاب. ورواه محمد[1] بن إسحاق في السيرة عن محمد بن كعب القرظي، وفي روايته: ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه، فلما سمع عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك. فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة. يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، خلّوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزُّه عزكم وكنتم أسعد الناس به. قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم.

ذكر خبر المستهزئين

أبو لهب

منهم عمه أبو لهب وامرأته أم جميل بنت حرب بن أمية حمالة الحطب، سماها الله حمالة الحطب لأنها كانت فيما بلغني تحمل الشوك فتطرحه على طريق

---

(١) سيرة ابن إسحاق ١٨٧ .

رسول الله ﷺ حيث يمر، فأنزل الله فيهما ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ ﴾ إلى آخر السورة[1]. وقيل إنها كانت تمشي بالنميمة، وتنقل الحديث، وتلقي العداوة بين الناس، وتوقد ناراً كما توقد النار بالحطب[2].

أم جميل

قال ابن إسحاق: فذكر لي أن أم جميل حين سمعت ما نزل في زوجها من القرآن أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر، وفي يدها فهر من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلا أبا بكر، قالت: يا أبا بكر أين صاحبك؟ قد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه. أما والله إني لشاعرة:

مذممّا عصينا وأمرَه أبينا ودينه قلينا[3]

ثم انصرفتْ. فقال أبو بكر: يا رسول الله، أما تراها رأتك؟ قال: ما رأتني، لقد أخذ الله بصرها عني.

قال ابن إسحاق: وكانت قريش تسمي رسول الله ﷺ مذممّا، ثم يسبونه. وكان رسول الله ﷺ يقول: ألا تعجبون لما يصرف الله عني من أذى قريش؟ يسبون ويهجون مذمما، وأنا محمد[4].

أمية بن خلف

وكان أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح إذا رأى النبي ﷺ همزه ولمزه، فأنزل الله فيه ﴿ وَيۡلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ﴾ إلى آخر السورة كلها. قال ابن هشام: الهُمزة الذي يشتم الرجل علانية ويكسر عينه عليه ويغمز به، قال حسان بن ثابت:

همزتك فاختضعت لذل نفس بقافية تأجج كالشواظ

---

(١) أخرج البخاري برقم ١٣٩٤ ومسلم برقم ٣٥٥ أن سبب نزولها في قول أبي لهب له عندما جمع كفار قريش ليدعوهم إلى التوحيد كما في حديث ابن عباس ـ تباً لك ألهذا دعوتنا. . .

(٢) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٩.

(٣) أخرجه الحميدي في مسنده ١/ ١٥٣ وأبو يعلى ١/ ١٥٣ والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٦١ وسنده حسن لغيره.

(٤) انظر صحيح البخاري مع الفتح ٦/ ٥٥٤.

وجمعه همزات، الذي يعيب الناس سراً ويؤذيهم[1].

العاص بن وائل

قال ابن إسحاق[2]: وكان خبّاب بن الأرتّ صاحب رسول الله ﷺ قيناً بمكة يعمل السيوف، وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفاً عملها له حتى كان له عليه مال، فجاءه يتقاضاه، فقال له: يا خباب أليس يزعم صاحبكم محمد هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم؟ قال خباب: بلى. قال أنظرني إلى يوم القيامة يا خباب حتى أرجع إلى تلك الدار فأقضيك هنالك حقك، والله لا تكون أنت وصاحبك يا خباب آثرَ عند الله مني ولا أعظم حظاً في ذلك. فأنزل الله تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ ﴾ إلى قوله ﴿ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ ﴾. قلت: وفي الصحيح عن خبّاب رضي الله عنه قال: كنت قيناً بمكة، فعملت للعاص بن وائل السهمي، فجئت أتقاضاه، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد. فقال: لا أكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يحييك. قال: إذا أماتني الله ثم بعثني ولي مال وولد. فأنزل الله ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ ﴾ إلى قوله ﴿ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ ﴾[3] وفي صحيح مسلم[4] عن أبي هريرة

أبو جهل

قال: قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم. فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنّ رقبته ولأعفرن وجهه في التراب. قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته. فما فَجِئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، فقالوا مالك يا أبا الحكم. قال: إن بيني وبينه لخندقان من نار وهولاً وأجنحة. فقال رسول الله «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً» وأنزل الله لا ندري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ الآيات.

قال ابن إسحاق: لقي أبو جهل بن هشام رسول الله ﷺ فيما بلغني قال له:

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ١٠.

(٢) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ١١.

(٣) رواه البخاري ٤٧٣٢ ومسلم ٢٧٩٥ وأحمد ٥/ ١١١ والترمذي ٣١٦٢.

(٤) رواه مسلم ٢٧٩٧ وأحمد ٢/ ٣٧٠.

والله يا محمد لتتركن سبّ آلهتنا أو لنسبنّ إلهك الذي تعبد، فأنزل الله تعالى ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[1] الآية، فذكر لي أن رسول الله ﷺ كف عن سب آلهتهم، وجعل يدعوهم إلى الله، وكان رسول الله ﷺ إذا جلس مجلساً فدعا فيه إلى الله وتلا فيه القرآن وحذر قريشاً ما أصاب الأمم الخالية، خلفه النضر بن الحارث في مجلسه إذا قام فحدثهم عن رستم وإسفنديار وملوك فارس ثم يقول: والله ما محمد بأحسن حديثاً مني، وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتتبها، فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً. فأنزل الله فيه ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ ﴾ الآية. ونزل فيه ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝١٥ ﴾ ونزل فيه ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ﴾ إلى قوله ﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ ﴾[2].

مغالطات وجهالات

قال ابن إسحاق: وجلس رسول الله ﷺ يوماً فيما بلغني مع الوليد بن المغيرة في المسجد، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفي المجلس غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله، فعرض له النضر بن الحارث، فكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه، ثم تلا عليه ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ۝٩٨ ﴾ الآيات، ثم قام رسول الله ﷺ وأقبل عبد الله بن الزِّبَعْرَى السهمي حتى جلس، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبعرى: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفاً وما قعد، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصبُ جهنم، فقال عبد الله بن الزبعري: أما والله لو وجدته لخصمته، فاسألوا محمداً أكل ما يعبدون من دون الله في جهنم مع من عبده، فنحن نعبد الملائكة واليهود يعبدون عزيراً والنصارى يعبدون عيسى ابن مريم. فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قوله، ورأوا أنه قد احتج وخاصم، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده، إنهم أنما يعبدون الشياطين ومن أمرتهم بعبادته، فأنزل الله عليه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ

---

(١) رواه ابن جرير ٧/ ٢٠٧ ولكنه منقطع ورواه ٧/ ٢٠٧ مرسلاً.

(٢) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ١٢.

سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ الآيات. ونزل فيما ذكر من أمر عيسى ابن مريم عليه السلام أنه يعبد من دون الله، وعجب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته: ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ أي يصدون عن أمرك بذلك من قوله. ثم ذكر عيسى فقال ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ إلى قوله ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا ﴾ أي ما وضعت على يديه من الآيات ومن إحياء الموتى وإبراء الأسقام، وكفى به دليلاً على علم الساعة فلا تمترن بها واتبعون[1].

قال ابن إسحاق[2]: وقال الوليد بن المغيرة: أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها، ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف؟ فنحن عظيما مكة والطائف القريتين، فأنزل الله فيما بلغني ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ الآية. قال ابن إسحاق: وأبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمَح وعقبة بن أبي معيط وكانا متصافيين حسناً ما بينهما، فكان عقبة قد جلس إلى رسول الله ﷺ وسمع منه، فبلغ ذلك أبيًا، فأتى عقبة فقال له: ألم يبلغني عنك أنك جالست محمداً وسمعت منه؟ ثم قال: وجهي من وجهك حرام أن أكلمك ـ واستغلظ من اليمين ـ إن أنت جالست محمداً وسمعت منه، أو لم تأته فتتفل في وجهه. ففعل ذلك عدو الله عقبة، فأنزل الله فيهما ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾ إلى قوله ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾[3] ومشى أبي بن خلف إلى رسول الله ﷺ بعظم بال قد أرفت فقال: يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرى؟ ثم فته في يده ثم نفخه في الريح نحو رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: أنا أقول ذلك، يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ثم يدخلك النار، فأنزل الله فيه ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ

من يحي العظام وهي رميم؟

---

(١) رواه أحمد ١/ ٣١٧ والطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ١٥٣ وإسناده حسن.

(٢) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ١٥.

(٣) رواه ابن جرير ١٩/ ٦ ونسبه في الدر المنثور ٥/ ٦٨ لابن المنذر وابن مردويه.

﴿ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ الآيات[1].

قال ابن إسحاق واعترض رسول الله ﷺ وهو يطوف بالكعبة فيما بلغني الأسود بن المطلب والوليد بن المغيرة وأبي بن خلف والعاص بن وائل السهمي، وكانوا ذوي أسنانهم في قومهم، فقالوا له يا محمد، هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد، فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيراً مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه. فأنزل الله فيهم ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ ﴾ السورة كلها[2].

قل يا أيها الكافرون

قال أبو جهل بن هشام: يا معشر قريش هل تدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد؟ قالوا لا. قال: عجوة يثرب بالزبد، والله لئن استمكنّا منها لنتزقمنها تزقماً. فأنزل الله فيه ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾ أي ليس كما يقول. وأنزل فيه ﴿ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ ﴾ الآية[3].

شجرة الزقوم

ذكر نزول سورة عبس

قال ابن إسحاق: ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله ﷺ ورسول الله يكلمه وقد طمع في إسلامه. فبينما هو في ذلك إذ مرَّ به ابن أم مكتوم الأعمى فكلم رسول الله ﷺ وجعل يستقرئه القرآن فشق ذلك منه على رسول الله ﷺ حتى أضجره، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد وما طمع فيه من إسلامه، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً وتركه، فأنزل الله عز وجل ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ إلى قوله ﴿ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ ﴾ أي إنما بعثتك بشيراً ونذيراً ولم أختص بك أحداً دون أحد، فلا

---

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول ٣٧٩ وهو مرسل وعزاه في الدر المنثور لسعيد بن منصور وابن المنذر والبيهقي في البعث وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ١٦.

(٢) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ١٦.

(٣) رواه ابن إسحاق وفيه عنعنة ابن إسحاق وعنه رواه الواحدي في أسباب النزول ٢٩٦ وعزاه في الدر المنثور ٤/ ١٩١ لابن إسحاق وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث. وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ١٧.

تمنعه ممن ابتغاه ولا تتصدَّ به لمن لا يريده[١]. وابن أم مكتوم أحد بني عامر بن لؤي، واسمه عبد الله. انتهى.

وكان رسول الله ﷺ يكرمه، وإذا رآه قال: مرحباً بمن عاتبني فيه ربي ويقول: هل لك من حاجة؟ ويستخلفه على المدينة إذا غزا. قال أنس بن مالك فرأيته يوم القادسية عليه درع ومعه راية سوداء.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ إذا جلس في المسجد، فجلس إليه المستضعفون من أصحابه خباب وعمار وأبو فكيهة ويسار مولى صفوان بن أمية وصهيب وأشباههم من المسلمين، هزئت بهم قريش وقال بعضهم لبعض: هؤلاء أصحابه كما ترون، أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا بالهدى والحق؟ لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء به وما خصهم الله به. انتهى. قلت: روى الإمام أحمد بإسناده عن أبي مسعود قال: مرّ الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خباب وصهيب وبلال، فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء عن قومك؟ فنزل القرآن ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ إلى قوله ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ رواه ابن جرير، وفيه: فقالوا يا محمد، أرضيت هؤلاء من قومك، أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا، أنحن نصير تبعاً لهؤلاء؟ أطردهم، فذاك أحرى إن طردتهم أن نتبعك[٢]. فنزل ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾ الآيتين قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ فيما بلغني كثيراً ما يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام نصراني خير عبد لبني الحضرمي، فأنزل الله في ذلك ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ يلحدون يميلون، الإلحاد الميل[٣].

---

(١) سبب نزول هذه السورة في قصة عبد الله بن أم مكتوم رواها الترمذي في السنن ٣٣٣١ عن عائشة وابن جرير في تفسيره ٣٠/ ٥٠ والحاكم في المستدرك ٢/ ٥١٤...

(٢) رواه ابن جرير ٧/ ١٢٨ والواحدي في أسباب النزول ٢١٩ وأخرجه مسلم مختصراً برقم ٢٤١٣ وابن ماجه برقم ٤١٢٨.

(٣) رواه ابن جرير ١٤/ ١٢٠ والواحدي في أسباب النزول ٢٨٨.

ذكر نزول سورة الكوثر

قال ابن إسحاق[1]: وكان العاص بن وائل السهمي فيما بلغني إذا ذكر رسول الله ﷺ قال: دعوه فإنما هو رجل أبتر لا عقب له، لو قد مات لقد انقطع ذكره واسترحتم منه. فأنزل الله في ذلك من قوله ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ ما هو خير من الدنيا وما فيها، والكوثر الخير العظيم، وحدثني جعفر بن عمرو عن عبد الله بن مسلم، أخي محمد بن مسلم بن شهاب عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ، وقيل له: يا رسول الله ما الكوثر الذين أعطاك الله؟ قال: نهر كما بين صنعاء إلى أيلة، آنيته كعدد نجوم السماء، ترده طير لها أعناق كأعناق الإبل، قال يقول عمر بن الخطاب: إنها يا رسول الله لناعمة؟ قال: آكلها أنعم منها[2]. وقد سمعت في هذا الحديث أو غيره «من شرب منه لم يظمأ أبداً»[3] قلت: روى البخاري[4] عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير إن ناساً يزعمون أنه نهر في الجنة، قال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله. انتهى. والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد أو كثير في القدر كوثرا. ثم قال تعالى ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ ﴾ قال ابن عباس: عدوك، ﴿ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ أي الأقل الأرذل المنقطع من كل خير.

مصارعة ركانه

قال ابن إسحاق: حدثني ابن إسحاق بن يسار قال: كان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف أشد قريش، فخلا برسول الله ﷺ في بعض شعاب مكة، فقال له رسول الله ﷺ: يا ركانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه؟ قال: إني لو

---

(١) رواه ابن إسحاق بدون سند وذكره الواحدي في أسباب النزول ٤٩٤ ورواه ابن جرير ٣٠/ ٢١٢ من طريق العوفي وهو ضعيف.

(٢) رواه البيهقي في البعث برقم ١٣٥ من طريق ابن إسحاق ورواه الترمذي من طريق محمد بن عبد الله بن مسلم بلفظ مقارب وأخرجه من هذا الطريق البيهقي في البعث برقم ١٣٢ وأحمد ٣/ ٣٣٦ والطبري في التفسير ٣٠/ ٢٠٩.

(٣) رواه مسلم ٤/ ١٧٩٨ وابن أبي عاصم ٢/ ٣٣٤.

(٤) رواه البخاري برقم ٤٩٦٦.

أعلم أن الذي تقول حق لاتبعتك. قال فقال رسول الله ﷺ: أفرأيت إن صرعتك تعلم أن ما أقول حق؟ قال: فهلم حتى أصارعك. قال فقام إليه ركانة يصارعه، فلما بطش به رسول الله أضجعه لا يملك من نفسه، ثم قال: عد يا محمد، فأعاد، فصرعه. قال قال: والله يا محمد إن هذا للعجب، أتصرعني؟ قال رسول الله ﷺ: وأعجب من ذلك إن شئت أريكه إن اتقيت الله واتبعت أمري. قال: وما هو؟ قال: أدعو لك هذه الشجرة التي ترى فتأتيني قال: ادعها فدعاها، فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ. قال فقال لها: ارجعي إلى مكانك. فرجعت إلى مكانها. قال فذهب ركانة إلى قومه فقال: يا بني عبد مناف، ساحروا بصاحبكم أهل الأرض، فوالله ما رأيت أسحر منه قط. ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع[1].

الاستهزاء بالرسول

قال ابن إسحاق: ودعا رسول الله ﷺ قومه إلى الإسلام، وكلمهم فأبلغ إليهم، فقال له زمعة بن الأسود والنضر بن الحارث والأسود بن عبد يغوث وأبيّ بن خلف والعاص بن وائل: لو جعل معك يا محمد ملك يحدث عنك الناس ويرى معك. فأنزل الله في ذلك من قولهم ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ إلى قوله ﴿ مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ ﴾[2] قال: ومر رسول الله ﷺ فيما بلغنا بالوليد بن المغيرة وأمية بن خلف وأبي جهل بن هشام، فغمزوه واستهزأوا به، فغاظه ذلك، فأنزل الله عليه في ذلك من أمرهم ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[3].

فصل

[الآيات والمعجزات في اثبات النبوات]

قال الشيخ أبو العباس بن تيمية رحمه الله في كتاب الرد على النصارى، في

---

(١) رواه ابن إسحاق ومن طريقه البيهقي في الدلائل ٦/ ٢٥٠ وأخرجه أبو داود في المراسيل والبيهقي في السنن ١٠/١٨ عن سعيد بن جبير مرسلاً وقال وهو مرسل جيد وقال وهذه المراسيل تدل على أن للحديث الموصول فيه أصلاً . . .

(٢) رواه ابن إسحاق بدون سند انظر السيرة لابن هشام ٢/ ٤٥.

(٣) رواه ابن إسحاق بدون سند انظر السيرة لابن هشام ٢/ ٤٦.

تقرير نبوة محمد ﷺ بالأدلة العقلية والنقلية[1]: ومما ينبغي أن يعلم أن الله إذا أرسل نبياً وأتى بآية دالة على صدقه قامت بها الحجة وظهرت بها المحجة، فمن طالبه بثانية لم تجب إجابته إلى ذلك، بل وقد لا ينبغي ذلك، لأنه إذا جاء بآية ثانية طولب بثالثة، وإذا جاء بثالثة طولب برابعة، فإن طلب المتعنتين لا أمد له. ومعلوم أنه من قامت عليه الحجة في مسألة علم أو حق من حقوق العباد التي يتخاصمون فيها أو قال أنا لا أقبل حجة حتى تقوم عليه حجة ثانية وثالثة كان ظالماً متعدياً ولا يمكّن الحكام الخصوم من ذلك. فحق الله الذي أوجب على عباده من توحيده والإيمان به وبرسله أولى إذا قامت بينة أوجبت على الخلق الإيمان برسله أن لا يجب إجابة إلى ثانية وثالثة. ثم قد يكون في تتابع الآيات حكمة فيتابع الله سبحانه بين الآيات، فإن الأدلة كلما كثرت وتواردت على مدلول واحد كان أوكد وأظهر وأيسر لمعرفة الحق، فقد يعرف دلالة أحد الأدلة من لا يعرف دلالة الآخر وقد يبلغ هذا ما لا يبلغ هذا، كما فعل بآيات موسى وآيات محمد صلى الله عليهما وكما صد المكذبين عن الإيمان بمحمد حتى يمانعوه ويسعوا في معارضته والقدح في آياته فيظهر بذلك عجزهم عن معارضة القرآن وغيره من آياته فيكون ذلك من تمام ظهور آياته وبراهينه، بخلاف ما لو اتبعوا ابتداء بدون ذلك فإنه قد كان يظن أنهم قادرون على معارضته، وكذلك أيضاً يكون في ذلك من يقينه وصبره وجهاده ويقين من آمن به وصبرهم وجهادهم ما ينالون به عظيم الدرجات في الدنيا والآخرة. وقد تقتضي الحكمة أن لا يرسل بالآيات التي توجب عذاب الاستئصال كما ذكره الله في كتابه من أن الكفار كانوا يقترحون على الأنبياء آيات غير الآيات التي جاءوا بها. فتارة يجيبهم الله إلى ذلك لما فيه من الحكمة والمصلحة، وتارة لا يجيبهم لما في ذلك من المضرة والمفسدة. وقد كان الرسول محمد ﷺ ربما طلب تلك الآيات رغبة منه في إيمانهم فيجاب بأن تلك الآيات لا تستلزم الهدى، بل تستلزم إقامة الحجة وتوجب عذاب الاستئصال (لمن كذب بها) والله تعالى قد يظهر الآيات الكثيرة مع طبعه على قلب الكافر كفرعون وأبي لهب وغيرهما لما في ذلك من الحكمة العظيمة كما دل على ذلك القرآن والتوراة

---

(١) الجواب الصحيح ج ٤ ص ٣٤٢.

وغيرهما، وقد تبين أنه لا يظهرها لانتفاء الحكمة فيها أو لوجود المفسدة، قال تعالى ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) ﴾ الآيتين بعدها وقال ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴾ الآية، بين سبحانه أنه ما منعه أن يرسل بالآيات إلا تكذيب الأولين بها الذي استحقوا به الهلاك، فإذا كذب هؤلاء استحقوا ما استحقه أولئك من عذاب الاستئصال. وهذا المعنى مذكور في كتب التفسير والحديث وغيرها من كتب المسلمين، وهو معروف بالأسانيد الثابتة عن الصحابة والتابعين لهم باحسان، فقد ذكر أهل التفسير ما رواه[1] الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحي عنهم الجبال حتى يزرعون، قال فقيل له: إن شئت تستأني بهم وان شئت أن نؤتيهم الذي سألوا فإن كفروا هلكوا كما هلكت الأمم من قبلهم. قال: بل أستأني بهم، فأنزل الله هذه الآية ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴾ وروى ابن أبي حاتم وغيره عن مالك بن دينار قال: سمعت الحسن البصري في قوله ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ ﴾ قال: رحمة الله لكم أيتها الأمة أنا لو أرسلنا الآيات فكذبتم بها أصابكم ما أصاب من قبلكم، وقد كانت الآيات يأتي بها محمد ﷺ آية بعد آية فلا يؤمنون بها قال تعالى ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤) فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ إلى قوله ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ (٨) ﴾ إلى قوله ﴿ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١١) ﴾ أخبر سبحانه بأن الآيات تأتيهم، ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤٦) ﴾ وأنهم بتكذيبهم الحق سوف يرون صدق ما جاء به الرسول كما أهلك من قبلهم بذنوبهم التي هي تكذيب الرسل، فإن الله يقول ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾ الآية، وأخبر بشدة كفرهم بأنه لو أنزل عليهم كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا لسحر مبين.. الآيات. بين سبحانه أنه لو جعل الرسول ملكاً لجعله على صورة الرجل، إذا كانوا لا

---

(١) رواه أحمد ١/ ٢٥٨ وابن جرير في التفسير ١٥/ ٧٤ والنسائي في الكبرى برقم ١١٢٩٠.

يستطيعون أن يروا الملائكة في صورهم وحينئذ فكان يقع اللبس لظنهم الرسول بشراً لا ملكاً. وقال تعالى ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ ﴾ إلى قوله ﴿ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ ﴾. وهذه الآيات التي اقترحوها لو أجيبوا بها ثم لم يؤمنوا أتاهم عذاب الاستئصال كما تقدم. وأيضاً هي مما لا يصلح الإتيان به، فإن قولهم ﴿ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ ﴾(حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً) يقتضي تفجير الينبوع بمكة فيصير وادياً ذا زرع، والله من حكمته جعل بيته بواد غير ذي زرع لئلا يكون عنده ما ترغب النفوس فيه من الدنيا فيكون حجهم للدنيا لا لله.

وإذا كان له جنة من نخيل وأعناب يفجر الأنهار خلالها تفجيراً كان في هذا من التوسع من الدنيا ما يقتضي نقص درجته وانخفاض منزلته، وكذلك إذا كان له بيت من زخرف، والزخرف الذهب. وأما إسقاط السماء كسفاً فهذا لا يكون إلا يوم القيامة، وهو لم يخبرهم أن هذا لا يكون إلا يوم القيامة، فقولهم كما زعمت كذب عليه، إلا أن يريدوا التمثيل فيكون القياس فاسداً. . وأما الإتيان بالله والملائكة قبيلاً فهذا لما سأل قوم موسى ما هو دونه أخذتهم الصاعقة، قال تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ الآيتين. وأما إنزال الكتاب فقال تعالى ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾ الآية. بين سبحانه أن أهل الكتاب سألوا إنزال كتاب من السماء وأن المشركين سألوا ذلك، وبين سبحانه أن الطائفتين لا يؤمنون إذا جاءهم ذلك، وإنما سألوه تعنتاً. فقال عن المشركين ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ وذكر عن أهل الكتاب أنهم سألوا موسى أكبر من ذلك وهو رؤية الله جهرة، فهم مع هذا نقضوا الميثاق وكفروا بآيات الله و قتلوا النبيين بغير حق إلى أمثال ذلك، وأنه بسبب ظلمهم وصدهم عن سبيل الله حرم الله عليهم طيبات أحلت لهم، فكان في هذا من الاعتبار لأمة محمد ﷺ أن هذه الأمة المكذبة الذين لا يهتدون إذا جاءتهم الآيات المقترحة التي اقترحوها لم يكن في مجيئها منفعة لهم، بل فيها ما يوجب عقوبة الاستئصال إذا جاءتهم فلم يؤمنوا بها وتغليظ الأمر عليهم، فكان أن لا ينزل مثل هذه الآيات الموجبة عذاب الاستئصال أعظم رحمة وحكمة، وقد عرض الله على محمد ﷺ أن

يهلك قومه لما كذبوه فقال: بل أستأني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً، كما في الصحيح[1] عن عائشة أنها قالت للنبي ﷺ هل أتى عليك يوم أشد عليك من يوم أحد؟ فقال: «لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلاب فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت على وجهي وأنا مهموم، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا بسحابة قد أظلتني فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي وقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعثني إليك لتأمرني بما شئت، إن شئت أطبق عليهم الأخشبين، فقال: أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده لا يشرك به شيئاً» أخرجاه. ولما طلب من المسيح المائدة كانت من الآيات الموجبة لمن كفر بها عذاباً لم يعذبه أحد من العالمين، قال تعالى ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ إلى قوله ﴿ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾. وكان قبل نزول التوراة يهلك الله المكذبين للرسل بعذاب الاستئصال عذاباً عاجلاً يهلك الله به جميع المكذبين كما أهلك قوم نوح، وكما أهلك عاداً وثموداً وأهل مدين وقوم لوط، وكما أهلك قوم فرعون، وأظهر آيات كثيرة لما أرسل موسى أبقى ذكرها وخبرها في الأرض، إذ كان بعد نزول التوراة لم يهلك الله أمة بعذاب الاستئصال، بل قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ ﴾، بل كان بنو إسرائيل لما يفعلون ما يفعلون من الكفر والمعاصي يعذب بعضهم ويبقي بعضهم إذ كانوا لم يتفقوا على الكفر، ولهذا لم يزل في الأرض من بني إسرائيل أمة باقية، قال تعالى لما ذكر بني إسرائيل ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ الآية. وقال ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ الآيات.

وكان من حكمته ورحمته سبحانه لما أرسل محمداً ﷺ أن لا يهلك قومه بعذاب الاستئصال كما أهلكت الأمم قبلهم، بل عذب بعضهم بدون ذلك من أنواع

---

(١) رواه البخاري برقم ٤٩٢١ ومسلم برقم ٤٤٩ والترمذي برقم ٣٣٤٠ وأحمد ١/ ٢٧٤.

العذاب كما عذب طائفة ممن كذبه بأنواع من العذاب كالمستهزئين الذين قال الله فيهم ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ فعذب كل واحد بعذاب معروف، كالذي دعا عليه النبي ﷺ أن يسلط الله عليه كلباً من كلابه فكان يحترس بقومه فجاء الأسد فأخذه من بينهم، وهو من المشهور عند أهل السير وغيرهم، وهو عتيبة ابن أبي لهب. وكان أبو لهب لما عادى النبي ﷺ أمر ابنيه أن يطلقا ابنتي النبي ﷺ رقية وأم كلثوم قبل الدخول، وقال عتيبة لرسول الله ﷺ: كفرتُ بدينك وفارقت ابنتك، لا تجبني ولا أجبك. ثم تسلط عليه بالأذى وشق قميصه، فقال رسول الله ﷺ «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك» فخرج في نفر من قريش حتى نزلوا في مكان من الشام يقال له الزرقاء ليلاً، فطاف بهم الأسد تلك الليلة فجعل عتيبة يقول: يا ويل أخي، هو والله آكلي كما دعا محمد عليَّ، قتلني وهو بمكة وأنا بالشام. فعدى عليه الأسد من بين القوم وأخذ برأسه فذبحه. وفي رواية هشام بن عروة عن أبيه قال: لما طاف الأسد بهم تلك الليلة انصرف عنهم وجعلوا عتيبة في وسطهم، فأقبل الأسد يتخطاهم حتى أخذ برأس عتيبة ففدغه[1]. قال تعالى ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ﴾ فأخبر أنه يعذب الكفار تارة بعذاب من عنده، وتارة بأيدي عباده المؤمنين بالجهاد وإقامة الحدود، وتارة بعذاب غير ذلك. فكان تعذيبهم بمثل هذه الأسباب مما يوجب إيمان أكثرهم، كما جرى لقريش وغيرهم فإنهم لما كذبوه لو أهلكهم كما أهلك قوم فرعون ومن قبلهم لبادوا وانقطعت المنفعة بهم عنهم ولم يبق لهم ذرية تؤمن، بخلاف ما إذا عذب بعضهم بأنواع من العذاب ولو بالهزيمة والأسر وقتل بعضهم كما عذبوا يوم بدر فإن في هذا من إذلالهم وقهرهم ما يوجب عجزهم مع بقائهم، والنفوس إذا كانت قادرة على كمال أغراضها لا تكاد تنصرف عنها، بخلاف ما إذا عجزت عن كمال أغراضها فإن ذلك مما يدعوا إلى التوبة كما يقال: من العصمة ألا تقدر. فكان ما وقع بهم تعجيزاً وزاجراً وداعياً إلى التوبة، ولهذا آمن عامتهم بعد ذلك ولم يقتل منهم إلا قليل

---

(١) رواه أبو نعيم في الدلائل برقم ٣٨٠ من طريق ابن إسحاق وهي مرسلة والطبراني مرسلة أيضاً عن قتادة وانظر الخصائص ١/ ٣٦٧.

وهم صناديد الكفر الذين كان أحدهم في هذه الأمة كفرعون في تلك الأمة كما روي عن النبي ﷺ أنه قال عن أبي جهل «هذا فرعون هذه الأمة»[1] وقد ذكر الله لموسى في التوراة: إني أقسي قلب فرعون فلا يؤمن بك لتظهر آياتي وعجائبي، بين أن في ذلك من الحكمة انتشار آياته على صدق أنبيائه في الأرض. إذ كان موسى قد أخبر بتكليم الله له وبكتابة التوراة له، فأظهر الله من الآيات ما يبقى ذكره في الأرض، وكان في ضمن ذلك من تقسية قلب فرعون ما أوجب إهلاكه وقومه أجمعين. وفرعون كان جاحداً للصانع منكراً لربوبيته لا يقر به، فلذلك أتى من الآيات ما يناسب حاله. وأما بنو إسرائيل مع المسيح فكانوا مقرين بالكتاب الأول فلا يحتاجون إلى مثل ما احتاج إليه موسى، ومحمد لم يكن محتاجاً إلى تقرير جنس النبوة إذ كانت الرسل قبله جاءت بما يثبت ذلك، وقومه كانوا مقرين بالصانع، وإنما كانت الحاجة داعية إلى إثبات النبوة له، ومع هذا فأظهر الله على يديه من الآيات مثل آيات من قبله وأعظم، ومع هذا فلم يأت بآيات الاستئصال التي يستحق مكذبها العذاب العام العاجل كما استحقه قوم فرعون وهود وصالح وشعيب وغيرهم، فلهذا بيّن الله في القرآن أن هذه الآيات إذا جاءت لا تنفعهم إذ كانوا لا يؤمنون بها، ولكن تضرهم إذ كانوا يستحقون عذاب الاستئصال إذا كذبوا حينئذ، ومع وجود المانع وعدم المقتضى لا يصلح الفعل على قول الجمهور القائلين بالحكمة، ومن لم يعلل فلا يطلبها سبباً ولا حكمة بل يرد الأمر إلى محض المشيئة، قال تعالى ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْآيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ وهو يعلم أن قلوب هؤلاء كقلوب أولئك الأولين فيكذبون بها فيستحقون ما استحقه أولئك كقوم نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وغيرهم قال تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ ﴾ وقال تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ وقال عن أهل الكتاب ﴿ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ﴾ الآية، وقال تعالى ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ (٤٤) سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ (٤٥) ﴾ ذكر هذا في سورة اقتربت التي ذكر فيها انشقاق القمر وإعراضهم عن الآيات وقولهم هذا

---

(١) رواه أحمد ١/٤٠٣.

سحر مستمر وتكذيبهم واتباعهم أهوائهم وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ ﴾ أي من أنباء الغيب وما أخبر ما فيه مزدجر أي ما يزجرهم عن الكفر، إذ كان في تلك الآيات بيان صدق للرسول والإنذار لمن كذبه بالعذاب كما عذب المتقدمون، ولهذا يقول عقيب القصة ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ ﴾ أي كيف كان عذابي لمن كذب رسلي، وكيف كان إنذاري بذلك قبل مجيئه؟ يبين صدق قوله الذي أخبرت به الرسل، وعقوبته لمن كذب. ثم ذكر قصة المكذبين لنوح وهود وصالح ولوط، إلى قوله ﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ فإن قوم فرعون كذبوا بجميع آيات موسى وجميع آيات الأنبياء، وكذبوا بجميع الآيات الدالة على وجود الرب وقدرته ومشيئته، إذ كانوا جاحدين للخالق منكرين له فكذبوا بآياته كلها. ثم قال ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ ﴾ أي كفاركم أيتها الأمة التي أرسل إليها محمد ﷺ خير من أولئكم الذين كذبوا نوحاً وهوداً وصالحاً ولوطاً وموسى ﴿ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ وذلك أن كونكم لا تعذبون مثل ما عذبوا إذا كذبتم إما أن يكون لكونكم خيراً منهم لا تستحقون مثل ما استحقوا، أو لكون الله أخبر أنه لا يعذبكم فيكون لكم براءة في الزبر، فتعلمون ذلك بخبره فإن ما يفعله الله تارة يعلم بخبره وتارة لمشيئته وحكمته وعدله، فإما أن تكونوا علمتم هذا من هذا الوجه أو من هذا الوجه، هذا إن نظر إلى فعل الله الذي لا طاقة للبشر به، وإن نظر إلى قوة الرسول وأتباعه فيقولون ﴿ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ فإنهم أكثر وأقوى، كقوله ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ ﴾ أي أموالاً ومنظراً. فقال تعالى ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾ أخبر بهزيمتهم وهو بمكة في قلة من الأتباع وضعف منهم ولا يظن آخذ بالعادة المعروفة أن أمره يظهر ويعلو قبل أن يقاتلهم، وكان كما أخبر فإنهم يوم بدر وغيره هزم جمعهم وولوا الدبر، وتلك سنة الله في الأولين والآخرين، وقال تعالى ﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ . . . ﴾ الآية. وحيث ظهر الكفار فإنما ذلك لذنوب المسلمين التي أوجبت نقص إيمانهم، ثم إذا تابوا فكمل إيمانهم نصرهم، كما قال تعالى ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾

وقال تعالى ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ ﴾ فإذا كان من تمام الحكمة والرحمة ألا يهلكهم هلاك الاستئصال كما أهلكت الأمم قبلهم كما قال ﴿ أَكُفَّارُكُمۡ خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ ﴾ كان أن لا يأتي بموجب عذاب الاستئصال مع إتيانه سبحانه بما يقيم الحجة ويوضح المحجة أكمل في الحكمة والرحمة، إذ كان ما أتى به من الآيات حصل به كمال الخير والمنفعة والهدى وبيان الحجة على من كفر، وما امتنع به دفع به من عذاب الاستئصال والهلاك والعذاب العام ما أوجب بقاء جمهور الأمة حتى يؤمنوا أو يتوبوا أو يهتدوا. وكان في إرسال محمد ﷺ لما كان خاتم الرسل من الحكمة البالغة والمنن السابغة ما لم يكن في رسالة رسول قبله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين[١].

فصل

قدوم نصارى الحبشة إلى مكة

قال ابن إسحاق[٢]: ثم قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريباً من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه فكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ عما أرادوا دعاهم رسول الله ﷺ وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوا وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقالوا لهم: خيبكم الله من ركب، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم وتأتونهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال، ما نعلم ركباً أحمق منكم. أو كما قالوا لهم. فقالوا لهم: سلام عليكم، لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيراً. ويقال: إن النفر من النصارى من أهل نجران، فالله أعلم أي ذلك كان. فيقال والله أعلم: فيهم نزلت

---

(١) انتهى كلامه رحمه الله الجواب الصحيح جـ ٤ ٣٥٦.

(٢) ذكره ابن هشام في السيرة بدون إسناد ٢/ ٤٢.

هؤلاء الآيات ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ إلى قوله ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

قال ابن إسحاق[1]: وقد سألت الزهري عن هؤلاء الآيات فيمن نزلت؟ فقال: ما زلت أسمع من علمائنا أنهن نزلن في النجاشي وأصحابه، والآيات نزلت في سورة المائدة يقول الله ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ إلى قوله ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

خروج أعشى بن قيس ليسلم على يد الرسول

قال ابن هشام[2]: وحدثني خالد بن قرة بن خالد السدوسي وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم أن أعشى بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، واسم الأعشى ميمون بن قيس، خرج إلى رسول الله ﷺ يريد الإسلام، فقال يمدح رسول الله ﷺ:

ألـم تغتمـض عينـاك ليلـة أرمـدا ... وبـتّ كمـا بـات السليـم مسهّـدا
ومـا ذاك مـن عشـق النسـاء وإنمـا ... تناسيت قبل اليوم صبحة مهددا
ولكن أرى الدهر الذي هو خائن ... إذا أصلحـت كفـاي عـاد فـأفسـدا
كهـولاً وشبـانـاً فقـدت وثـروة ... فللـه هـذا الـدهـر كيـف تـرددا
وما زلت أبغي المال مذ أنا يافع ... وليـداً وكهـلاً حيـن شبـت وأمـردا
وأبتـذل العيـش المـراقيـل تعتلـي ... مسافـة مـا بيـن النجير فَصرخَـدا
ألا أيهـا ذا السـائلـي أيـن يممـت ... فـإن لهـا فـي أهـل يثـرب مـوعـدا
فـإن تسـألـي عنـي فيـا رب سـائـل ... حفي عن الأعشى به حيث أصعدا
أجدّت بـرجليهـا النجـاء وراجعـت ... يـداهـا خنـافـاً لينـاً غيـر أحـردا
وفيهـا إذا مـا هجـرت عجـرفيـة ... إذا خلـت حـربـاء الظهيـرة أصيـدا
وأمـا إذا مـا أدلجـت فتـرى لهـا ... رقيبيـن جـديـا مـا يغيـب وفـرقـدا
وآليـت لا آوى لهـا مـن كـلالـة ... ولا من حفى حتى تلاقى محمدا

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٣.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧.

متى ما تناخي عند باب ابن هاشم تراحي وتلقى من فواضله ندى
نبـي يـرى مـا لا يـرون وذكـره أغار لعمري في البلاد وأنجدا
لـه صـدقـات مـا تغـب ونـائـل وليس عطاء اليوم مانعه غدا
أجدّك لم تسمع وَصاة محمد نبيٍّ الإله حيث أوصى وأشهدا
إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله فترصد للأمر الذي كان أرصدا
فـإيـاك والميتـات لا تقـربنهـا ولا تأخذن سهماً حديداً لتفصدا
وذا النصب المنصوب لا تنسكنه ولا تعبـد الأوثـان والله فـاعبـدا
ولا تقـربنـا جـارة كـان سـرهـا عليك حراماً فانكحن أو تأبدا
وذا الرحم القربى فلا تقطعنه لعـاقبـة واصـدق وفـك المقيـدا
وسبح على حين العشيات والضحى ولا تحمد الشيطان والله فاحمدا
ولا تسخرن من بائس ذي ضرورة ولا تحسبن المال للمرء مخلدا

فلما كان بمكة أو قريباً منها اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله عن أمره، فأخبره أنه جاء يريد رسول الله ﷺ ليسلم، فقال له: يا أبا بصير إنه يحرم الزنا. فقال الأعشى: والله أن ذلك لأمر ما لي فيه من أرب. فقال له: يا أبا بصير فإنه يحرم الخمر[1]. فقال الأعشى: أما هذه فوالله إن في النفس منها لعلالات، ولكني منصرف فأتروى منها عامي هذا. ثم آتيه فأسلم فانصرف فمات من عامه ذلك، ولم يعد إلى رسول الله ﷺ.

---

(١) قال السهيلي وهذه غفلة من ابن هشام ومن قال بقوله فإن الناس مجمعون على أن الخمر لم ينزل تحريمها إلا بالمدينة انظر الروض الأنف ٣/ ٣٧٨ وقد نقل ابن كثير كلام السهيلي في السيرة وقال رحمه الله فالظاهر أن عزم الأعشى على الإسلام إنما كان بعد الهجرة وفي شعره ما يدل عليه وكان الأنسب والأليق بابن هشام أن يؤخر ذكر هذه القصة إلى ما بعد الهجرة ولا يوردها ها هنا والله أعلم (السيرة النبوية).

فصل

[خروجه ﷺ إلى الطائف]

ولما اشتد البلاء من قريش على رسول الله ﷺ بعد موت عمه أبي طالب من سفهاء قومه وتجرأوا عليه وكاشفوه بالأذى كما تقدم، خرج إلى الطائف، ورجا أن يؤووه وينصروه على قومه ويمنعوه منهم، ودعاهم إلى الله، فلم ير من يؤوي ولم ير ناصراً، ونالوه مع ذلك بأشد الأذى ونالوا منه ما لم ينل قومه، وكان معه زيد بن حارثة مولاه، فأقام بينهم عشرة أيام لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا: اخرج من بلادنا، وأغروا به سفهاءهم. قال موسى بن عقبة: ورجموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضب نعلاه بالدماء. زاد غيره: وكان إذا أذلقته الحجارة قعد إلى الأرض فيأخذونه بعضديه ويقيمونه، فإذا مشى رجموه وهم يضحكون، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه، حتى لقد شج في رأسه شجاجاً، فانصرف راجعاً من الطائف إلى مكة محزوناً، وفي مرجعه ذلك دعا بالدعاء المشهور «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي، وهواني على الناس. أنت أرحم الراحمين، ورب المستضعفين، وأنت ربي. إلى من تكلني؟ إلى عدو بعيد يتجهمني، أو إلى عدوّ ملّكته أمري إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك، أو يحل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك» أورده ابن إسحاق(١)، وذكر أنه دعا به حين أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه،

---

(١) قصة خروجه ﷺ للطائف وردت باسناد صحيح إلى ابن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً. وأخرجها الطبري في التاريخ ٢/ ٣٣٤ والطبراني كما في مجمع الزوائد ٦/ ٣٥، ولها شاهد عند أحمد في المسند ٤/ ٣٣٥ من حديث خالد العدواني... وحديث عائشة في الصحيح أصل لهذه القصة. أما الدعاء فهو من رواية ابن إسحاق وهو مدلس وقد عنعن فلا يثبت انظر كلام العلامة الألباني في فقه السيرة ص ١٣٢ وفي دفاع عن السنة والسيرة النبوية ص ١٩.

ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فلما اطمأن دعا بهذا الدعاء. ورواه الطبراني عن عبد الله بن جعفر قال: لما توفي أبو طالب خرج النبي ﷺ ماشياً إلى الطائف، فدعاهم إلى الإسلام فلم يجيبوه، فأتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال «اللهم أشكو إليك» فذكره. وقوله «يتجهمني» بتقديم الجيم على الهاء أي يلقاني بالغلظة والوجه الكريه. فأرسل إليه ربه ملك الجبال يستأمره أن يطبق الأخشبين على أهل مكة، وهما الجبلان اللذان هي بينهما، فقال «بل أستأني بهم، لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً» أخرجاه في الصحيحين[1] من حديث عائشة.

قال ابن اسحاق في روايته: فلما رآه ابنا ربيعة ورأيا ما لقي من ثقيف تحركت له رحمتهما، فبعثا إليه مع غلامهما عداس النصراني قطف عنب، فلما وضع ﷺ يده في القطف قال: بسم الله ثم أكل، ثم نظر عداس إلى وجهه وقال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة. فقال له ﷺ: من أي البلاد أنت، وما دينك؟ قال: نصراني من أهل نينوى قال: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ قال عداس: وما يدريك؟ قال: ذاك أخي وهو نبي مثلي. فأكب عداس على يديه ورأسه ورجليه يقبلهما. قال يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاءهما عداس قالا له: ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض خير من هذا، فقد أخبرني ما لا يعلمه إلا نبي. قالا: ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه.

عداس النصراني يقبل رجلي الرسول ﷺ

فلما نزل بنخلة في مرجعه قام يصلي في جوف الليل، فصرف الله إليه نفراً من الجن فاستمعوا قراءته، وكانوا من أهل نصيبين، فاستمعوا له ولم يشعر بهم رسول الله ﷺ. فلما فرغ من الصلاة ولوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا به وأجابوا إلى ما سمعوا، فقص الله خبرهم عليه فقال تعالى ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ الآيات. قال الحافظ ابن كثير[2]: وقد ذكر ابن اسحاق خبر خروجه عليه

اسلام الجن

---

(1) رواه البخاري برقم ٣٢٣١.

(2) انظر ابن كثير في التفسير. وانظر روايات استماع الجن وقدومهم على النبي ﷺ في البخاري=

السلام إلى أهل الطائف ودعائه إياهم وأنه لما انصرف عنهم بات بنخلة فقرأ تلك الليلة القرآن فاستمعه الجن من أهل نصيبين. قال وهذا صحيح، لكن قوله إن الجن كان استماعهم تلك الليلة فيه نظر، فإن الجن كان استماعهم في ابتداء الإيحاء، ويدل عليه حديث ابن عباس عند أحمد قال: كان الجن يستمعون للوحي فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشراً فيكون ما سمعوه حقاً وما زادوه باطلاً، وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك، فلما بعث رسول الله ﷺ كان أحدهم لا يأتي مقعده إلا رمي بشهاب يحرق ما أصاب منه، فشكوا ذلك إلى إبليس فقال: ما هذا إلا من أمر قد حدث. فبث جنوده، فإذا بالنبي ﷺ يصلي بين جبلي نخلة فأخبروه، فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض[1]. رواه النسائي. قال وخروجه ﷺ إلى الطائف بعد موت عمه.

جوار المطعم بن عدي لرسول الله

وروى ابن أبي شيبة عن عبد الله بن مسعود قال: هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة، فلما سمعوه قالوا انصتوا، فأنزل الله ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ الآيات. فهذا مع رواية ابن عباس يقتضي أن رسول الله ﷺ لم يشعر بحضورهم في هذه المرة، وإنما استمعوا قراءته ثم رجعوا إلى قومهم، ثم بعد ذلك وفدوا إليه أرسالاً قوماً بعد قوم وفوجا بعد فوج. انتهى.

وأقام رسول الله ﷺ بنخلة أياماً، فقال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك؟ يعني قريشاً. فقال: يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإن الله ناصر دينه ومظهر دينه. ثم انتهى إلى مكة، فأرسل رجلاً من خزاعة إلى المطعم بن عدي: أدخل في جوارك؟ فقال: نعم. ودعا بنيه وقومه فقال البسوا السلاح وكونوا عند أركان البيت، فإني قد أجرت محمداً. فدخل رسول الله ﷺ ومعه زيد بن حارثة، حتى انتهى إلى المسجد الحرام، فقام المطعم بن عدي على راحلته: يا معشر قريش، إني قد أجرت محمداً، فلا يهيجه منكم أحد. فانتهى رسول الله ﷺ

= برقم ٤٩٢١ ومسلم برقم ٤٤٩ وانظر الفتح في ذلك ودلائل النبوة ٢/ ٢٢٥ للبيهقي.

(١) حديث ابن عباس بأتم من ذلك في البخاري برقم ٤٩٢١ ـ ٧٧٣ ومسلم برقم ٤٤٩ والترمذي ٣٣٤٠ والإمام أحمد ١/ ٢٧٤ وأبو يعلى ٢٣٦٩ والطبراني في التفسير ٢٩/ ١٠٢.

إلى الركن فاستلمه، وصلى ركعتين، وانصرف إلى بيته والمطعم بن عدي وولده محدقون به بالسلاح حتى دخل بيته[1].

وذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ لما أراد أن يدخل مكة بعد رجوعه من الطائف أرسل إلى الأخنس بن شُريق: أدخل في جوارك؟ فقال: إني حليف، والحليف لا يجير. فبعث إلى سهيل بن عمرو فقال: إن بني عامر لا تجير على بني كعب، فبعث إلى المطعم فأجابه إلى ذلك. انتهى.

فصل

إسلام الطفيل بن عمرو

قال العلماء: وجعل رسول الله ﷺ يدعو إلى الله، فأسلم[2] الطفيل بن عمرو الدوسي ودعا قومه إلى الإسلام، ودعا رسول الله ﷺ أن يجعل له آية فجعل الله في وجهه نوراً، فقال: يا رسول الله أخشى أن يقولوا هذه مُثْلة. فدعا له رسول الله ﷺ فصار النور في سَوطه، فهو يعرف بذي النور. فأسلم بعض قومه. فأقام الطفيل في بلاده إلى أن هاجر بعد الخندق ما بين السبعين والثمانين بيتاً من قومه، فوافوا رسول الله ﷺ بخيبر[3] ذكر محمد بن إسحاق أنه أسهم لهم، وأنه كان عند رسول الله ﷺ بالمدينة حتى قَبض الله رسوله، فلما ارتدت العرب خرج مع المسلمين فسار معهم حتى فرغوا من طليحة الأسدي ومن أرض نجد كلها، ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطفيل، فرأى رؤيا وهو متوجه إلى اليمامة، فقال لأصحابه: إني قد رأيت رؤيا فاعبروها لي، إني رأيت أن رأسي حلق،

---

(١) القصة من رواية ابن إسحاق وهي ضمن الرواية السابقة في قصة خروجه للطائف وهي ضعيفة لعنعنة ابن إسحاق وذكرها ابن كثير في البداية والنهاية ٣/ ١٥١. لكن ثبت في البخاري برقم ٣١٣٩ قوله ﷺ في أسارى بدر (لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له) وهذا يدل على ثبوت الجوار كما ذكر الحافظ وغيره.

(٢) قصة إسلام الطفيل رواها ابن إسحاق بدون إسناد ونقلها عنه أبو نعيم وابن الأثير وقصة قدومه إلى النبي ﷺ المرة الثانية تشهد لها وهي في الصحيح.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٦ وقد روى القصة الإمام أحمد في المسند ٢/ ٣٤٥ والبيهقي في الدلائل ٤/ ١٩٨ والحاكم في المستدرك ٣/ ٣٦ والقصة ثابتة من رواية أبي هريرة.

وأنه خرج من فمي طائر وانه لقيتني امرأة فادخلتني فرجها وأرى ابني يطلبني طلباً حثيثاً، ثم رأيته حبس عني. قالوا خيراً. قال: أما أنا فقد أولتها. قالوا ماذا؟ قال فأما حلق رأسي فوضعه، وأما الطير الذي خرج من فمي فروحي، وأما المرأة التي أدخلتني في فرجها فالأرض تحفر فأغيب فيها، وأما طلب ابني إياي ثم حبسه عني فأني أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابني. فقتل رحمه الله شهيداً باليمامة، وجرح ابنه جراحة شديدة، ثم استبسل فيها ثم قتل عام اليرموك شهيداً في زمن عمر رضي الله عنهما[1].

فصل
[الإسراء والمعراج]

ثم أسرى برسول الله ﷺ بجسده على الصحيح من المسجد الحرام إلى بيت المقدس راكباً على البراق صحبة جبريل عليهما السلام، فنزل هناك وصلى بالأنبياء إماماً، وربط البراق بحلقة باب المسجد ثم عرج به تلك الليلة من بيت المقدس إلى السماء الدنيا، فاستفتح له جبريل ففتح لهما، فرأى هناك آدم أبا البشر فسلم عليه، فرحب به ورد عليه السلام وأقر بنبوته، وأراه الله أرواح السعداء عن يمينه، وأرواح الأشقياء عن شماله. ثم عرج به إلى السماء الثانية فاستفتح له فرأى فيها يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم، فلقيهما وسلم عليهما، فردّا عليه السلام ورحبا به وأقرا بنبوته. ثم عرج به إلى السماء الثالثة، فرأى فيها يوسف الصديق، فسلم ورحب به. ثم عرج به إلى السماء الرابعة، فرأى فيها إدريس، فسلم عليه ورحب به. ثم عرج به إلى السماء الخامسة، فلقي فيها هارون بن عمران، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته. ثم عرج به إلى السماء السادسة، فلقي فيها موسى، فسلم عليه ورحب به وأقرّ بنبوته. فلما جاوزه بكى، فقيل له ما يبكيك؟ قال: إن غلاماً بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخل من أمتي. ثم عرج به إلى السماء السابعة، فلقي فيها إبراهيم، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته. ثم رفع إلى سِدْرة المنتهى. ثم رفع له البيت

لقاء الرسول بالأنبياء

---

(١) انظر أسد الغابة ٣/ ٨٠ وترجمته ٣/ ٧٨.

المعمور. ثم عرج به إلى الجبار جل جلاله، فدنا منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، وفرض عليه خمسين صلاة. فرجع حتى مرّ على موسى فقال: بم أمرت؟ قال: بخمسين صلاة. فقال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. فالتفت إلى جبريل كأن يستشيره في ذلك، فأشار أن نعم إن شئت. فعلا جبريل حتى أتى به الجبار تبارك وتعالى وهو في مكانه. هذا لفظ البخاري في صحيحه في بعض الطرق، فوضع عنه عشراً. ثم نزل حتى مر بموسى فأخبره، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. فلم يزل يتردد بين موسى وبين ربه تعالى حتى جعلها خمساً. فأمره موسى بالرجوع وسؤال التخفيف، فقال قد استحييت من ربي، ولكن أرضى وأسلم. فلما نفذ نادى مناد: قد أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي[١].

هل رأى ربه؟

واختلف الصحابة رضي الله عنهم: هل رأى ربّه تلك الليلة أم لا؟ فصح عن ابن عباس أنّه رأى ربّه. وصحّ عنه أنّه قال: رآه بفؤاده[٢]. وصح عن عائشة وابن مسعود إنكار ذلك وقالا: إن قوله ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ إنما هو جبريل[٣]. وصح عن أبي ذر أنه سأله: هل رأيت ربك؟ قال «نور، أنى أراه»؟ أي حال بيني وبين رؤيته النور، كما في اللفظ الآخر «رأيت نوراً»[٤] وعند ابن خزيمة عن أبي ذر قال: رآه بقلبه، ولم يره بعينه. وبهذا يتبيّن مراده في حديث أبي ذر بذكر النور، أي أن النور حال بينه وبين رؤيته له ببصره. ثمّ المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب لا مجرد حصول العلم لأنه ﷺ كان عالماً بالله على الدوام، بل مراد من أثبت له أنّه رآه بقلبه أن الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه كما تخلق الرؤية بالعين لغيره. وروى ابن خزيمة عن أنس قال: رأى محمد ربّه. وإسناده[٥] قوي. وروى يونس عن ابن

---

(١) رواه البخاري برقم ٣٨٨٧ ومسلم برقم ١٦٤ وأحمد في المسند ٤/ ٢٠٨ والنسائي ١/ ٢١٧.
(٢) أخرجه مسلم ١٧٦، ٢٨٤، ٢٨٥ والترمذي ٣٢٧٥.
(٣) رواه البخاري برقم ٤٨٥٥ ومسلم ١٧٧ والترمذي ٣٢٧٤.
(٤) رواه مسلم ١٧٨.
(٥) التوحيد لابن خزيمة ١/ ٤٨٧ برقم ٢٨٠ وفيه قتادة وقد عنعن.

إسحاق عن داود بن الحصين قال: سأل مروان أبا هريرة: هل رأى محمد ربه؟ قال: نعم. وفي تفسير عبد الرزاق[1] عن معمر عن النصري، وذكر إنكار عائشة أنه رآه، قال الزهري: ليست عندنا أعلم من ابن عباس. وفي تفسير ابن سلام عن عروة، أنه كان إذا ذكر إنكار عائشة للرؤية يشتد عليه. وحكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن أنه حلف أن محمداً رأى ربه. وممن أثبت الرؤية لنبينا ﷺ الإمام أحمد بن حنبل، فروى الخلال في كتاب السنة[2] عن المروزي: قلت لأحمد إنهم يقولون إن عائشة قالت: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية، فبأي معنى تدفع قولها؟ قال: بقول النبي ﷺ «رأيت ربي» قول النبي أكبر من قولها. وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على أنه لم يره. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وليس قول ابن عباس أنّه رآه مناقضاً لهذا، ولا قوله رآه بفؤاده. وقد صحّ عنه أنّه قال «رأيت ربي تبارك وتعالى» ولكن لم يكن هذا في الإسراء، ولكن كان بالمدينة لما احتبس عنهم في صلاة الصبح ثمّ أخبرهم عن رؤية ربه تلك الليلة وعلى هذا بنى الإمام أحمد فقال: نعم رآه، فإن رؤيا الأنبياء حق ولا بد. ولكن لم يقل أحمد إنّه رآه يقظة. ومن حكى عنه ذلك فقد وهم عليه. ولكن مرة قال: رآه، ومرة قال: رآه بفؤده. فحكيت عنه روايتان، وحكيت عنه الثالثة من تصرف بعض أصحابه أنّه رآه ـ يعني بعيني رأسه ـ وهذه نصوصه موجودة ليس فيها ذلك[3].

ومن العلماء من جمع بين حديثي عائشة وابن عباس وقال: إن عائشة أنكرت رؤية العين، واحتجت بقوله ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ وابن عباس ذكر رؤية الفؤاد، ولا منافاة بينهما. ومنهم من جعلهما قولين مختلفين. وأكثر أهل السنة يرجحون قول ابن عباس لما فيه من الإثبات، ومن قال أن النبي ﷺ رآه بعينه في الدنيا فهو أيضاً

---

(١) ليس في تفسير عبد الرزاق المطبوع.

(٢) لم أجده في المطبوع من كتاب السنة والمؤلف نقله من الفتح ٨/ ٤٧٥ وقد ذكره صاحب الرسائل والمسائل المروية عن الإمام أحمد ٢/ ١٤٥ نقلاً عن الحافظ رحمه الله في الفتح.

(٣) انظر كلام شيخ الإسلام في زاد المعاد جـ ٣ ص ٣٧.

غالط قائل قولاً لم يقله أحد من الصحابة ولا الأئمة. والمنقول في رؤية العين في الدنيا عن النبي ﷺ كلّه كذب موضوع باتفاق أهل العلم، وكذلك عن أحمد فإنّه لم يقل قط أنّه رآه بعينه. وأما أحاديث المعراج فليس في شيء منها ذكر رؤيته البتة أصلاً، فالواجب اتباع الآثار الثابتة في ذلك. وما كان عليه السلف والأئمة هو إثبات مطلق الرؤية بالفؤاد. انتهى كلامه.

فصل

انكار قريش للإسراء والمعراج

فلمّا أصبح رسول الله ﷺ في قومه أخبرهم بما أراه الله من آياته الكبرى، فاشتد تكذيبهم له وأذاهم، ومرّ به أبو جهل عدوّ الله فجاء حتى جلس إليه، فقال له كالمستهزىء: هل كان من شيء؟ قال: نعم. قال: وما هو؟ قال أسري بي الليلة. قال: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس. قال: ثمّ أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم. قال فلم يُرِهِ أنّه يكذبه مخافة أن يجحده الحديث إن دعا قومه إليه. قال: إن دعوتُ قومك أتحدِّثهم بما حدّثتني به؟ قال: نعم. قال: يا معشر بني كعب بن لؤي. فانقضت إليه المجالس وجاؤوا حتى جلسوا إليهما. فقال: حدّث قومك بما حدّثتني. فقال رسول الله ﷺ: إني أُسري بي الليلة. قالوا: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس. قالوا: ثمّ أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم. فمن بين مصعق، ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً. فقال المطعم بن عدي: كل أمرك قبل اليوم كان تماماً غير قولك هذا. أنا أشهد أنك كاذب. نحن نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس مصعداً شهراً ومنحدراً شهراً، تزعم أنّك أتيته في ليلة! واللات والعزّى لا أصدقك. فقال أبو بكر: يا مطعم بئس ما قلت لابن أخيك، جبهته وكذبته. أنا أشهد أنه صادق. فقالوا: يا محمد، صف لنا بيت المقدس كيف بناؤه وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل؟ وفي القوم من سافر إليه. فذهب ينعت لهم: بناؤه كذا وهيئته كذا وقربه من الجبل كذا. فما زال ينعت لهم حتى التبس عليه النعت، فكرب كرباً ما كرب مثله، فجيء بالمسجد حتى وضع دون دار عقيل أو عقال. فقالوا: فكم للمسجد من باب؟ ولم يكن عدَّها. فجعل ينظر إليه ويعدها باباً باباً ويعلمهم، وأبو بكر يقول: صدقت، أشهد أنك رسول الله. فقال القوم: أما النعت

فوالله لقد أصاب[١]. فقالوا لأبي بكر: فتصدقه أنّه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم إني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة. فبذلك سمي أبو بكر «الصديق»[٢]. ثمّ قالوا: يا محمد، أخبرنا عن عيرنا. فأخبرهم عنها في مسراه ورجوعه، وأخبرهم عن وقت قدومها، وعن البعير الذي يقدمها. وكان الأمر كما قال. فرموه بالسحر[٣] وقالوا: صدق الوليد. ولم يزدهم ذلك إلاّ ثبوراً، وأبى الظالمون إلا كفوراً.

فصل

هل تكرر الإسراء والمعراج

عن الزهري قال: كان الإسراء قبل الهجرة بسنة، وكذا قال عروة. وقال السدّي بستة عشر شهراً، وقال ابن عبد البر وغيره: كان بين الإسراء والهجرة سنة وشهران. والصحيح أن الإسراء مرّة واحدة، وقيل مرّتان: مرّة يقظة ومرّة مناماً، وأرباب هذا القول كأنّهم أرادوا أن يجمعوا بين حديث شريك وقوله «ثمّ استيقظت» وبين سائر الروايات. ومنهم من قال مرّتين قبل الوحي لقوله في حديث شريك: وذلك قبل أن يوحى إليه. ومرّة بعد الوحي كما دلّت عليه سائر الأحاديث. وقد صرّح بعض من المتأخرين بأنّه عليه السلام أسرى به مرّة من مكّة إلى بيت المقدس فقط، ومرّة من مكّة إلى السماء فقط، ومرّة إلى بيت المقدس ومنه إلى السماء، ومن ظفر بهذا المسلك فإنّه ظفر بشيء تخلص به من الإشكالات. فهذا بعيد جداً ولم ينقل هذا عن أحد من السلف، قاله ابن كثير في التفسير[٤]. وقال صاحب الهدي[٥] رحمه الله: والصواب الذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرّة واحدة بمكة بعد البعثة. ويا عجباً لهؤلاء الذين زعموا أنّه مراراً كيف ساغ لهم أنه في كلّ مرة تفرض عليه الصلاة خمسين، ثمّ يتردّد بين ربّه وموسى حتى تصير خمساً فيقول: أمضيت فريضتي،

---

(١) انظر صحيح البخاري برقم ٤٧١٠ ومسلم برقم ١٧٠ والمسند ١/ ٣٠٩.
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٦٢ وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.
(٣) انظر المسند ١/ ٣٧٤ من حديث ابن عباس وسنده حسن وانظر دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٣٦٣.
(٤) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤.
(٥) زاد المعاد جـ ٣ ص ٤١.

وخففت عن عبادي. ثمّ يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين ثمّ يحطها عشراً عشراً. وقد غلّط الحفاظ شريكاً في ألفاظ من حديث الإسراء، ومسلم أورد المسند منه ثمّ قال: فقدم وأخر وزاد ونقص، ولم يسرد الحديث، فأجاد رحمه الله. انتهى.

وحكى القاضي عياض(١) عن الزهري أنّه كان بعد المبعث بخمس سنين، ورجحه القرطبي والنووي(٢) واحتج بأنّه لا خلاف أن خديجة رضي الله عنها صلّت معه بعد فرض الصلاة، ولا خلاف أنّها توفّيت قبل الهجرة إمّا بثلاث وإما بخمس، ولا خلاف أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء. وتعقب بأن موت خديجة بعد المبعث بعشر سنين على الصحيح في رمضان، وذلك قبل أن تفرض الصلاة. ويؤيده إطلاق حديث عائشة بأن خديجة توفّيت قبل أن تفرض الصلوات الخمس، ويلزم منه أن يكون موتها قبل الإسراء وهو المعتمد. وأما تردّده في سنة وفاتها فيرده جزم عائشة بأنها توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين(٣) قاله الحافظ ابن حجر(٤). وقيل إن الإسراء كان قبل الهجرة بسنة، قاله ابن حزم وادعى فيه الإجماع. وذكر النووي في فتاويه أنه كان في ثالث عشر ربيع الآخر، وقال في شرح مسلم(٥): في ربيع الأوّل، وقيل كان ليلة السابع والعشرين من رجب واختاره الحافظ عبد الغني بن سرور المقدسي. والله أعلم.

فصل

في مبدأ الهجرة التي فرَّق الله فيها بين أوليائه وأعدائه وجعلها مبدأ لإعزاز دينه ونصر عبده ورسوله

عرض نفسه على القبائل

قال[الواقدي](٦): حدّثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة

---

(١) الشفا بحقوق المصطفى ١/ ١٠٨.
(٢) انظر المواهب اللدنية ١/ ٢٧٣ والفتح ٧/ ٢٤٣.
(٣) انظر البخاري برقم ٣٨٩٦ والفتح ٧/ ٢٢٥.
(٤) فتح الباري ٧/ ٢٤٢.
(٥) شرح مسلم للنووي ٢/ ٢١٠.
(٦) ما بين المعكوفتين في المطبوع الترمذي والصحيح الواقدي.

ويزيد بن رومان وغيرهما قالوا: أقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاث سنين من أوّل نبوّته مستخفياً، ثمّ أعلن في الرابعة فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين، يوافي الموسم كل عام يتبع الناس في منازلهم وفي المواسم بعكاظ ومجنّة وذي المجاز يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلّغ رسالات ربّه ولهم الجنّة، فلم يجد أحداً ينصره ولا يجيبه، حتى ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ويقول: يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم، فإذا متم كنتم ملوكاً في الجنّة، وأبو لهب وراءه يقول: لا تطيعوه فإنّه صابىء كذّاب، فيردّون على رسول الله ﷺ أقبح الردّ ويؤذونه ويقولون أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك، وهو يدعوهم إلى الله ويقول: اللهم لو شئت لم يكونوا هكذا. قال: وكان ممن سمى لنا من القبائل الذين أتاهم رسول الله ﷺ ودعاهم وعرض نفسه عليهم بنو عامر بن صعصعة ومحارب بن خصفة وفَزارة وغسان ومرة وحنيفة وسُليم وعبس وبنو نصر وبنو البكاء وكندة وكلب والحارث بن كعب وعُذرة والحضارمة. فلم يستجب منهم أحد[1]، انتهى.

الرسول وأبو بكر وعلي يمرون على قبائل العرب

وذكر بعض أهل السير عن ابن عباس قال: حدثني علي بن أبي طالب قال: لما مر رسول الله ﷺ على قبائل العرب خرج هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه وأنا معه، فدفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدم أبو بكر إليهم ـ وكان رجلاً نسابة ـ فسلم عليهم، فردوا عليه، فقال: من القوم؟ قالوا من ربيعة. فقال من هامتها أم لهازمها؟ قالوا: من هامتها العظمى، قال وأي هامتها العظمى أنتم؟ قال: ذهل الأكبر. قال: فمنكم عوف الذي يقال فيه «لا حُرّ بوادي عوف»؟ قالوا: لا. قال: فمنكم بسطام بن قيس أبو اللوا ومنتهى الأحيا؟ قالوا: لا. قال: فمنكم جساس بن مرّة حامي الذمار ومانع الجار؟ قالوا: لا. قال: فمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسها؟ قالوا: لا. قال: فمنكم المزدلف صاحب العمامة؟ قالوا: لا. قال:

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢١٦/١ من طريق الواقدي وله شاهد عن أحمد في المسند ٣/ ٤٩٢، ٤/ ٣٤١ وإسناده حسن وله أيضاً شاهد عن ابن حبان ١٦٨٣ عن طارق بن عبد الله المحاربي.

فأنتم أخوال الملوك من كندة؟ قالوا: لا، قال: فأنتم أصهار الملوك من لخم؟ قالوا: لا. قال: فلستم ذهل الأكبر، أنتم ذهل الأصغر. فقام إليه غلام من بني شيبان قد بقل وجهه يقال له دغفل فقال له: يا هذا إنك قد سألتنا فأخبرناك ولم نكذبك شيئاً، فممن الرجل؟ قال أبو بكر: من قريش. فقال بخ بخ أهل الشرف والرئاسة، فمن أي القرشيين أنت؟ قال: من ولد تيم بن مرة. فقال الفتى أمكنت والله الرامي من سواء الثغرة؟ أمنكم قصي الذي جمّع القبائل من فهر وكان يدعى في قريش مجمّعاً؟ قال: لا، قال: فمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف؟ قال: لا. قال: فمنكم شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء، الذي كان كالقمر يضيء في الليلة الداجنة الظلماء؟ قال: لا. قال: فمن أهل الإفاضة بالناس أنت؟ قال: لا. قال: فمن أهل الحجابة؟ قال: لا. قال: فمن أهل السقاية أنت؟ قال: لا. قال: فمن أهل الندوة أنت؟ قال: لا. قال: فمن أهل الرفادة أنت؟ قال: لا. فاجتذب أبو بكر زمام ناقته راجعاً إلى رسول الله ﷺ، فقال الغلام:

صادف در السيل دراً يدفعه يهيضه حيناً وحيناً يصدعه

والله لو شئت أخبرتك من أي قريش أنت؟ فتبسم رسول الله ﷺ، فقال علي: يا أبا بكر، وقعت من الأعرابي على باقعة. فقال: أجل يا أبا حسن، ما من طامة إلا وفوقها طامة، والبلاء موكل بالمنطق. قال السهيلي[1]: وزاد قاسم بن ثابت تكملة للحديث قال: ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار، فتقدم أبو بكر فسلم. قال علي: وكان أبو بكر في كل خير مقدماً، فقال: ممن القوم؟ فقالوا: من شيبان بن ثعلبة، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله ﷺ وقال: بأبي أنت وأمي، هؤلاء غرر في قومهم، وفيهم مفروق بن عمرو وهانىء بن قبيصة ومثنى بن حارثة والنعمان بن شريك. ومفروق قد غلبهم جمالاً ولساناً، وكان له غديرتان تسقطان على تريبتيه، فكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر، فقال أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ فقال مفروق: إنا لنزيد على الألف. فقال أبو بكر كيف المنعة فيكم؟ ولن تغلب

---

(١) ج ١ص ٢٦٤ (ق).

الألف من قلة. فقال مفروق: علينا الجد والجهد ولكل قوم حد. فقال أبو بكر: وكيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ فقال مفروق إنا لأشد ما نكون غضباً لحين نلقى، وإنا لأشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله، يديلنا مرة ويديل علينا أخرى. لعلك أخو قريش. فقال له أبو بكر: أوقد بلغكم أنه رسول الله فها هو ذا. فقال مفروق: قد بلغنا أنه يذكر ذلك، فإلى ما تدعو إليه يا أخا قريش؟ فتقدم رسول الله ﷺ فقال: أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله وإلى أن تؤووني وتنصروني، فإن قريشاً قد تظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد. فقال مفروق: وإلى ما تدعو إليه أيضاً يا أخا قريش؟ فقال رسول الله ﷺ ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ ﴾ الآية فقال مفروق: وإلى ما تدعو أيضاً يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله ﷺ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ الآية فقال مفروق: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك. وكأنه أراد أن يشرك في الكلام هانىء بن قبيصة فقال: وهذا هانىء بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا. فقال هانىء: قد سمعتُ مقالتك يا أخا قريش، وإني أرى أن تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر لوهنٌ في الرأي وقلة نظر في العاقبة، وإنما تكون الزلة مع العجلة، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقداً، ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر. وكأنه أحب أن يشرك في الكلام المثنى بن حارثة فقال: وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا. فقال المثنى: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، والجواب هو جواب هانىء بن قبيصة في تركنا ديننا واتباعنا إياك في مجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر، وإنا إنما نزلنا بين صريان اليمامة والسماوة. فقال رسول الله ﷺ ما هذان الصريان؟ فقال أنهار كسرى ومياه العرب، فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول، وأما ما كان من مياه العرب فذنبه مغفور وعذره مقبول، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى، لا نحدث حدثاً ولا نؤوي محدثاً. وإني أرى أن هذا الأمر مما تكرهه الملوك، فإن أحببت أن

نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا. فقال رسول الله ﷺ: ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، فإن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم ويفرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟ فقال النعمان بن شريك: اللهم لك ذا. فتلا رسول الله ﷺ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ ثم نهض النبي فأخذ بيدي أبي بكر وعلي فقال: يا أبا بكر، يا أبا حسن، أية أخلاق في الجاهلية ما أشرفها، بها يدفع الله بأس بعضهم عن بعض، وبها يتحاجزون فيما بينهم. قال: ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج، فما نهضنا حتى بايعوا النبي ﷺ وكانوا صدقاً صبراً[1]. انتهى.

فصل

إسلام الأوس والخزرج

قال ابن إسحاق: فلما أراد الله سبحانه إظهار دينه وإعزاز نبيه وإنجاز موعده له، فخرج رسول الله ﷺ إلى الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً، قال فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا: لما لقيهم رسول الله ﷺ قال: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج. قال: أمن موالي يهود؟ قالوا: نعم. قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى. فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن. قال وكان مما صنع الله به في الإسلام أن يهوداً كانوا معهم في بلادهم كانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبياً مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم. فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون والله أنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه. فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٤٢٢ وأبو نعيم في الدلائل ص ٢٨٢ قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٧/ ٢٢٠ أخرجه أبو نعيم والحاكم والبيهقي بإسناد حسن.

صدقوه، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى الله أن يجمعهم بك، فسنقدم عليهم وندعوهم ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك. ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا[1].

قال ابن إسحاق: وهم فيما ذكر لي ستة نفر من الخزرج، منهم من بني النجار أسعد بن زرارة وهو أبو أمامة، وعوف بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء، ومن بني زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق، ومن بني سلمة قطبة بن عامر بن حديدة، ومن بني حديدة حرام بن كعب عقبة بن عامر، ومن بني عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد[2] انتهى. وليس بجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام. قلت: قال بعضهم ومن أهل العلم بالسير من يسقط جابر بن رئاب ويجعل فيهم عبادة بن الصامت. فقال لهم النبي ﷺ: أتمنعون ظهري حتى أبلغ رسالة ربي؟ فقالوا: يا رسول الله إنما كانت بعاث عام الهول يوم من أيامنا اقتتلنا به، فإن تقدم ونحن كذا لا يكون عليك اجتماع، فدعنا حتى نرجع إلى عشائرنا لعل الله يصلح ذات بيننا وندعوهم إلى ما دعوتنا إليه، فعسى الله أن يجمعهم عليك، فإن جمعهم عليك، واتبعوك فلا أحد أعز منك، وموعدك الموسم العام القابل، وانصرفوا إلى المدينة.

فشو الإسلام بالمدينة

قال ابن إسحاق: فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا رسول الله، ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ[2]. حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر،

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل ٢/ ٤٣٣ وأبو نعيم في الدلائل برقم ٣٢٣ وابن هشام في السيرة وإسناده حسن. وذكره ابن كثير في السيرة ٢/ ١٧٦.

(٢) ذكره ابن هشام في السيرة ٢/ ٧٧ عن ابن إسحاق قال حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، وسنده حسن.

بيعة العقبة الأولى

فلقوه بالعقبة الأولى، فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن تفرض عليهم الحرب. ثم عدهم ابن إسحاق[١] فذكر الستة الأول خلا جابر بن عبد الله بن رئاب فلم يحضرها، والسبعة تتمة الأثني عشر: معاذ بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء أخو المذكور، وذكوان بن عبد قيس الزُّرقي، وقيل إنه رحل إلى رسول الله ﷺ إلى مكة فسكنها معه فهو مهاجري، أنصاري، قتل يوم أحد. وعبادة بن الصامت بن قيس. وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة البلوي. والعباس بن عبادة بن نضلة من بني سلمة. فهؤلاء من الخزرج. ومن الأوس رجلان: أبو الهيثم بن التيهان من بني عبد الأشهل وعويم بن ساعدة. فأسلموا وبايعوا على بيعة النساء، أي وفق بيعتهم التي نزلت بعد ذلك عند فتح مكة. قال عبادة بن الصامت: بايعنا رسول الله ﷺ على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف، والسمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول الحق حيث كنا لا نخاف في الله لومة لائم. قال عليه الصلاة والسلام «فإن وفيتم فلكم الجنة، ومن غشى عن ذلك شيئاً كان أمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه». أخرجه البخاري في صحيحه بأخصر من هذا فيما رأيت[٢]. وفي رواية له: قال عبادة إني من النقباء الذين بايعوا رسول الله ﷺ، بايعناه على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نزني ولا نقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا ننتهب نهبة ولا نعصي، وعدنا بالجنة إن فعلنا ذلك، وإن غشينا من ذلك شيئاً كان قضاء ذلك إلى الله، انتهى. وفي رواية له: ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له وطهور، ومن ستر الله عليه فذلك إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

بيعة العقبة الثانية

وقال أبو الزبير عن جابر: أن النبي ﷺ لبث عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في المواسم ومجنّة وعكاظ وفي منازلهم من منى «من يؤويني ومن ينصرني حتى أبلغ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٧٩.

(٢) رواه البخاري برقم ٣٨٩٣ ومسلم برقم ١٧٠٩ وأحمد في المسند ٥/ ٣٢٣. وهو عند البيهقي في الدلائل ٢/ ٤٥٢ والحاكم ٣/ ٣٥٦.

رسالة ربي وله الجنة، فلا يجد أحداً ينصره ولا يؤويه، حتى أن الرجل ليرتحل من مضر واليمن إلى ذوي رحمه فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك. ويمشي بين رجالهم يدعوهم إلى الله وهم يشيرون إليه بالأصابع، حتى بعثنا الله من يثرب فيأتيه الرجل منا يقرئه القرآن فيؤمن به، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، وحتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام، وبعثنا الله إليه فائتمرنا، وأجمعنا وقلنا: حتى متى رسول الله ﷺ يُطرد في جبال مكة ويخاف؟ فرحلنا حتى قدمنا عليه في الموسم، فواعدناه بيعة العقبة، فقال له عمه العباس: يا ابن أخي، ما أدري ما هؤلاء القوم الذين جاؤوك، إني ذو معرفة بأهل يثرب. فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين، فلما نظر العباس في وجوهنا قال: هؤلاء القوم لا نعرفهم، هؤلاء أحداث. فقلنا: يا رسول الله، على ما نبايعك؟ قال «على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقوموا في الله لا تأخذكم في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة» فقمنا نبايعه فأخذ بيده أسعد بن زرارة ـ وهو أصغر السبعين ـ فقال: رويداً يا أهل يثرب، إنا لم نضرب إليه أكباد المطي إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فأما أنتم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله، وأما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو عذركم عند الله. فقالوا: يا أبا أسعد أمط عنا يدك، فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها. فقمنا إليه رجلاً رجلاً فأخذ علينا البيعة يعطينا بذلك الجنة. رواه الإمام أحمد بإسناد حسن[1]، وصححه الحاكم وابن حبان. ثم انصرفوا إلى المدينة فأظهر الله الإسلام.

أول جمعة جمعت

وكان أسعد بن زرارة يجمع بالمدينة من أسلم، وكتبت الأوس والخزرج إلى النبي ﷺ ابعث إلينا من يقرئنا القرآن، فبعث إليهم مصعب بن عمير وعمرو بن أم

---

(١) رواه أحمد ٣/ ٣٣٢، ٣٢٩، ٣٩٤ والحاكم ٢/ ٦٢٤ وصححه ووافقه الذهبي، وابن حبان ١٦٨٦ والبيهقي في السنن ٩/ ٩ قال ابن كثير في السيرة. هذا إسناد جيد على شرط مسلم.

مكتوم الأعمى، فنزلا على أبي أمامة أسعد بن زرارة. وروى عبد بن حميد حدثنا عبد الرزاق[1] عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال: جمع أهل المدينة قبل أن يقدم النبي ﷺ وقبل أن تنزل الجمعة، وهم الذين سموا الجمعة. قالت الأنصار: لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك، فهلم فلنجعل يوماً نجتمع فيه ونذكر الله ونصلي ونشكر الله كما قالوا، فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى واجعلوا يوم العروبة. فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين، فصلى بهم الجمعة حين اجتمعوا إليه، فذبح لهم شاة فتغدّوا وتعشوا من شاة، وذلك لقلتهم، فأنزل في ذلك بعد ﴿ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾. قال السهيلي[2]: ومع توفيق الله لهم فيبعد أن يكون ذلك من غير إذن من النبي ﷺ. ثم ذكر ما رواه الدارقطني[3] عن ابن عباس قال: أذن رسول الله ﷺ بالجمعة قبل أن يهاجر، ولم يستطع رسول الله ﷺ أن يجمع بمكة ولا يبدي لهم، فكتب إلى مصعب بن عمير أن يجمع بهم. . الحديث. وكانوا أربعين رجلاً. فأسلم على يدي مصعب بن عمير خلق كثير من الأنصار، وأسلم في جماعتهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير، وأسلم بإسلامهما جميع بني عبد الأشهل في يوم واحد: الرجال والنساء، ولم يبق منهم أحد إلا أسلم، حاشا الأصيرم ـ وهو عمرو بن ثابت بن قيس ـ فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد، فأسلم يومئذ واستشهد، ولم يسجد لله سجدة. وأخبر ﷺ أنه من أهل الجنة[4]. ولم يكن في بني عبد الأشهل منافق ولا منافقة.

بيعة العقبة الثالثة

ثم رجع مصعب إلى مكة في العام المقبل، وقدم على رسول الله ﷺ معه في

---

(١) أخرجه عبد الرزاق برقم ٥١٤٤ وعنه عبد بن حميد وهو مرسل من مراسيل ابن سيرين وإسناده صحيح.

(٢) الروض الأنف ٤/ ١٠١.

(٣) لم أجده في سنن الدارقطني وسكت عنه الحافظ في التلخيص ٢/ ٦٠ قال الألباني في الأرواء برقم ٨٠١ وإسناده حسن.

(٤) وقال عليه الصلاة والسلام «عمل قليلاً وأجر كثيراً» رواه البخاري ومسلم برقم ١٨٩٩ وأحمد في المسند ٣/ ٢٩٠.

ذي الحجة أوسط أيام التشريق منهم سبعون رجلاً[1]، وهي العقبة الثالثة. وقال ابن سعد[2]: يزيدون رجلاً أو رجلين وامرأتان، وقال[3] ابن إسحاق: ثلاثة وسبعون وامرأتان، ووافى في الموسم ذلك العام خلق كثير من الأنصار من المسلمين والمشركين، وزعيم القوم البراء بن معرور، فلما كانت ليلة العقبة الثلث الأول من الليل تسلل إلى رسول الله ﷺ منهم ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان: نسيبة بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار وأسماء ابنة عمرو بن عدي إحدى نساء بني سلمة.

وفي حديث كعب بن مالك عند ابن إسحاق قال: فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ، حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له، فلما جلس كان أول متكلم العباس فقال يا معشر الخزرج - قال وكانت العرب يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج، خزرجها وأوسها - إن محمداً منا حيث علمتم، وقد منعناه من قومنا، وهو في عز من قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الإنحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعونه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده. قال فقلنا له: سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت، قال فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم. قال فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق، لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أهل الحروب وأهل الحلقة، ورثناها كابراً عن كابر. قال فاعترض القوم - والبراء يكلم رسول الله ﷺ - أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبالا، ونحن قاطعوها، فهل عسيت إن

---

(١) خبر رجوعه ذكره ابن إسحاق بدون إسناد ابن هشام ٢/ ٨٦.

(٢) الطبقات الكبرى ١/ ٢٢١.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٩٩.

نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: بل الدم الدم، والهدم الهدم. أنتم مني وأنا منكم، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم. قال ابن هشام: والهدم الحرمة، أي دمي دمكم وحرمتي حرمتكم. قال كعب بن مالك في حديثه: وقد كان قال رسول الله ﷺ: أخرجوا لي منكم اثني عشر نقيباً حتى يكونوا على قومهم بما فيهم، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً: تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس. وهم أسعد بن زرارة، وسعد بن الربيع، وعبد الله بن رواحة، ورافع بن مالك، والبراء بن معرور، وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر وكان إسلامه تلك الليلة، وسعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو، وعبادة بن الصامت. فهؤلاء تسعة من الخزرج. ومن الأوس ثلاثة: أسيد بن الحضير، وسعد بن خيثمة، ورفاعة بن عبد المنذر. وقيل أبو الهيثم بن التيهان مكانه، قال كعب في حديثه: فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط: يا أهل الجُباجب ـ والجباجب المنازل[1] ـ هل لكم في مذمم والصبأة معه، قد اجتمعوا على حربكم. فقال رسول الله ﷺ: هذا أزب العقبة، هذا ابن أزيب، أتسمع أي عدو الله، والله لأفرغن لك. ثم قال رسول الله ﷺ: ارفضوا إلى رحالكم، قال فقال له العباس بن عبادة بن نضلة: والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى بأسيافنا. قال فقال رسول الله ﷺ: لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم. قال فرجعنا إلى مضاجعنا فنمنا عليها حتى أصبحنا، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤونا في منازلنا فقالوا: يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تشب الحرب بيننا وبينهم منكم. قال فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه. قال: وصدقوا، لم يعلموا، قال وبعضنا ينظر إلى بعض. قال: وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي وعليه نعلان له جديدتان، قال قلت له كلمة كأني أريد أن أشرك القوم بها في ما قالوا: يا أبا جابر ألا تستطيع أن تتخذ ـ وأنت سيد من ساداتنا ـ مثل

---

(١) جمع جبجب (بالضم): المستوى من الأرض. وهي هنا منازل منى (ق).

نعلي هذا الفتى من قريش؟ قال فسمعها الحارث فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما إليّ وقال: والله لتنتعلنهما. قال يقول أبو جابر: مه، أحفظت والله الفتى، فأردد إليه نعليه. قال قلت: والله لا أردهما، فأل صالح، والله لئن صدق الفأل لأسلبنه[1]. انتهى. وجعل عبد الله بن أبي يقول: هذا باطل، وما كان هذا، وما كان قومي ليفتئتوا عليّ بمثل هذا، لو كنت بيثرب ما صنع قومي هذا حتى يؤمروني. فرجعت قريش من عندهم، ثم وجدوا الخبر قد كان، فخرجوا في طلب القوم، فأدركوا سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وكلاهما كان نقيباً، فأما المنذر فأعجز القوم، وأما سعد فأخذوه وربطوا يديه إلى عنقه بنسع رحله، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه فيعذبونه بجمته وكان كثير شعر، فجاء جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل والحارث بن حرب بن أمية فخلصاه من أيديهم، وكان يمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلاده إذا مروا بتجارتهم. وتشاورت الأنصار حين فقدوه أن يكروا إليه، فإذا هو قد طلع عليهم، فرحل القوم جميعاً إلى المدينة[2]. وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس:

تداركت سعداً عنوة فأسرته ... وكان شفائي لو تداركت منذرا
واه نلته طلت دماء جراحه ... وكان حقيقاً أن يهان ويهدرا

قال ابن إسحاق فأجابه حسان بن ثابت فيهما فقال:

لست إلى سعد ولا المرء منذر ... إذا ما مطايا القوم أصبحن ضمرا
فلولا أبو وهب لمرّت قصائد ... إلى شرف البرقاء يهوين حُسّرا
أتفخر بالكتان لما لبسته ... وقد يلبس الأنباط ريطاً مقصراً
فلا تك كالوسنان يحلم أنه ... بقرية كسرى أو بقرية قيصرا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٣/ ٤٦٠ والطيالسي في مسنده ٢/ ٩٣ من طريق ابن إسحاق هذا وهو إسناد صحيح، ورواه أيضاً الطبري في التاريخ ٢/ ٩٠ والحاكم في المستدرك ٢/ ٦٢٤ قال الحافظ في الفتح (وعند أحمد بإسناد حسن) وصححه الحاكم وابن حبان عن جابر انظر السلسة الصحيحة ٦٣.

(٢) انظر التعليق السابق.

ولا تك كالثكلى وكانت بمعزل   عن الثكل لو كان الفؤاد تفكرا
ولا تك كالشاة التي كان حتفها   بحفر ذراعيها فلم ترض محفرا
ولا تك كالعاوي وأقبل نجره   ولم يخشه سهم من النبل مضمرا
فانا ومن يهدي القصائد نحونا   كمستبضع تمرا إلى أهل خيبرا

إسلام عمرو ابن الجموح

فلما قدموا المدينة أظهروا الإسلام بها، وفي قومهم بقايا من شيوخ على دينهم من الشرك منهم عمرو بن الجموح وكان ابنه معاذ بن عمرو ممن شهد العقبة وبايع رسول الله ﷺ، وكان عمرو بن الجموح سيد من سادات بني سلمة وشريفاً من أشرافهم، وكان قد اتخذ في داره صنماً من خشب يقال له «مناة» كما كانت الأشراف يصنعون، يتخذه إلهاً يعظمه ويظهره، فلما أسلم فتيان بني سلمة ـ معاذ بن جبل، وابنه معاذ بن عمرو في فتيان منهم ممن أسلم وشهد العقبة، وكانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك، فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة وفيها عذر الناس منكساً على رأسه، فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم من عدا على إلهنا هذه الليلة؟ قال: ثم يعود ويلتمسه حتى إذا وجده غسله وطهره وطيبه ثم قال: أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخزينه. فإذا أمسى ونام عمرو عدوا عليه فعملوا به مثل ذلك، فيغدوا فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى، فيغسله ويطهره ويطيبه، ثم يعدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك، فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوماً فغسله وطهره وطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال: إني والله ما أعلم من صنع بك ما ترى، فإن كان فيك خير فامتنع، فهذا السيف معك. فلما أمسى ونام عدوا عليه وأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل، ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة فيها عذر من عذر الناس، ثم غدا عليه عمرو فلم يجده في مكانه الذي كان فيه، فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكساً مقروناً بكلب. فلما رآه أبصر شأنه، وكلمه من أسلم من قومه، فأسلم يرحمه الله وحسن إسلامه، فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف ـ وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره ويشكر الله تعالى الذي أنقذه مما كان فيه من العماء والضلالة ـ فقال:

والله لو كنتَ إلهاً لم تكن   أنت وكلب وسط بئر في قَرَن

أفّ لملقـاك إلهـاً مستـدن الآن فتشنـاك عـن سـوء الغَبـن
الحمـد لله العلـي ذي المنـن الـواهـب الـرازق ديـان الـديـن
هو الذي أنقذني من قبل أن أكـون فـي ظلمـة قبـر مـرتهـن
(بأحمد المهدي النبي المؤتمن[1])

فصل

هجرة الصحابة رضوان الله عليهم إلى المدينة

قال ابن إسحاق[2]: فلما أذن الله لرسوله في الحرب، وبايعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتبعه وأوى إليهم من المسلمين، أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها واللحوق بإخوانهم من الأنصار وقال: إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها. فخرجوا أرسالاً، وأقام رسول الله ﷺ ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة، فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ من قريش من بني مخزوم أبو سلمة بن عبد الأسد واسمه عبد الله، هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة، وكان قدم على رسول الله ﷺ من أرض الحبشة، فلما آذته قريش وبلغهم إسلام من أسلم من الأنصار خرج إلى المدينة مهاجراً، وحبست عنه امرأته أم سلمة[3]، ثم كان أول مَنْ قدمها بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة حليف بني عدي بن كعب معه امرأته ليلى بنت أبي خيثمة، ثم عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة حليف بني أمية بن عبد شمس، احتمل

أول من هاجر من الصحابة

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٩٧.
(٢) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ١٠٩.
(٣) روى قصة أبي سلمة وأم سلمة ابن إسحاق ـ سيرة ابن هشام ٢/ ١١٠ وقد صرح بالتحديث فالقصة صحيحة.

بأهله وبأخيه عبد بن جحش وهو أبو أحمد، وكان أبو أحمد رجلاً ضرير البصر، وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد، وكان شاعراً، وكانت عنده الفارعة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، فغلقت دار بني جحش هجرة فمر بها عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وأبو جهل بن هشام وهم مصعدون إلى مكة، فنظر إليها عتبة بن ربيعة تخفق أبوابها ليس فيها ساكن، فلما رآها كذلك تنفس الصعداء ثم قال:

وكل دار وان طالت سلامتها ... يوماً ستدركها النكباء والحوب[1]
كل امرىء بلقاء الموت مرتهن ... كأنه غرض للموت منصوب

وكان بنو غنم بن دودان أهل إسلام، وقد أوعبوا إلى المدينة مع رسول الله ﷺ رجالهم ونساؤهم: عبد الله بن جحش وأخوه أبو أحمد وعكاشة بن محصن وشجاع وعقبة بن وهب وأربد بن حُميِّرة ومنقذ بن نباتة وسعيد بن رقيش ومحرز بن نضلة ويزيد بن رقيش وقيس بن جابر وعمرو بن محصن ومالك بن عمرو وصفوان بن عمرو وغيرهم، ومن نسائهم زينب بنت جحش أم المؤمنين وأم حبيبة بنت جحش وكانت تحت عبد الرحمن بن عوف ـ وهي التي كانت تستحاض ـ وحمنة بنت جحش التي كانت تحت مصعب بن عمير ـ وكانت تستحاض أيضاً ـ وجذامة بنت جندل وأم قيس بنت محصن وأم حبيب بنت ثمامة وآمنة بنت ثمامة. وقال أبو أحمد بن جحش في ذلك شعراً:

لو حلفت بين الصفا أم أحمد ... ومروتها بالله برت يمينها
لنحن الألى كنا بها ثم لم نزل ... بمكة حتى عاد غثاً سمينها
بها خيمت غنم بن دودان وابتنت ... وما أن غدت غنم وخف قطينها
إلى الله تغدو بين مثنى وواحد ... ودين رسول الله بالحق دينها[2]

ونزل عمر بن الخطاب ومن لحق به من أهله وقومه وأخوه زيد بن الخطاب

---

(١) الحوب: التوجع، وقيل الحاجة، ويقال الاثم أيضاً (ق).

(٢) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ١١٢ والروض الأنف ٤/ ١٦٢.

هجرة عمر رضي الله عنه

وعمرو وعبد الله ابنا سراقة بن المعتمر وخنيس بن حذافة السهمي وكان صهره على ابنته حفصة خلف عليها رسول الله ﷺ بعده، وسعيد بن زيد وواقد بن عبد الله التميمي حليف لهم وخولى بن خولى ومالك بن أبي خولى حليفان لهم وبنو البكير أربعتهم: إياس بن البكير وعاقل وخالد حلفاؤهم من بني سعد نزلوا على رفاعة بن عبد المنذر بقباء ثم تتابع المهاجرون، فنزل طلحة بن عبيد الله بن عثمان وصهيب بن سنان على خبيب بن أساف أخا بلحارث بن الخزرج بالسنح، ويقال بل نزل طلحة على أسعد بن زرارة أخي بني النجار[1]. قال ابن هشام[2]: وبلغني أن صهيباً حين أراد الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكاً حقيراً، فكل مالك عندنا وبلغت الذي بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك؟ والله لا يكون ذلك. فقال لهم صهيب: أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟ قالوا نعم. قال: فإني قد جعلت لكم مالي[3]؟ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: ربح صهيب، ربح صهيب[4].

نزول الصحابة على أهل المدينة

هجرة صهيب رضي الله عنه

قال ابن إسحاق ونزل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو مرثد كناز بن حصين وابنه مرثد الغنويان حليفا حمزة بن عبد المطلب وأَنَسَة وأبو كبشة موليا رسول الله ﷺ على كلثوم بن هدم أخي بني عمرو بن عوف بقباء، ويقال بل نزلوا على سعد بن خيثمة ويقال بل نزل حمزة على أسعد بن زرارة أخي بني النجار ونزل عبيدة بن الحارث بن المطلب وأخواه الطفيل والحصين ابنا الحارث ومسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب وسويبط بن سعد بن حريملة أخو بني عبد الدار وطليب بن عمير أخو بني عبد بن قصي وخباب مولى عتبة بن غزوان على عبد الله بن مسلمة أخي بلْعجلان بقباء، ونزل عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ١١٧.

(٢) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ١١٨.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ٣/ ٣٨٩ وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجها وسكت الذهبي عنه وصححه الألباني في تعليقه على فقه السيرة ١٦٦.

(٤) رواه أحمد في فضائل الصحابة برقم ١٥٠٩ مرسلاً ورجال المرسل ثقات ورواه الحاكم ٣/ ٣٩٨ وأبو نعيم في الحلية ١/ ١٥١ وفي المطالب العالية ٣/ ٣٥٥٢ قال البوصيري رواه إسحاق وابن مردويه في تفسيره وسنده صحيح.

سعد بن الربيع أخي بلْحارث بن الخزرج، ونزل الزبير بن العوام وأبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى على منذر بن محمد بن عقبة، ونزل مصعب بن عمير على سعد بن معاذ أخي عبد الأشهل في دار بني عبد الأشهل، ونزل أبو حذيفة بن عتبة وسالم مولاه وكان سائبة لثبيتة بنت يعار بن زيد سيبته فانقطع إلى أبي حذيفة بن عتبة فتبناه فقيل سالم مولى أبي حذيفة، ويقال كانت ثبيتة بنت يعار تحت أبي حذيفة فأعتقت سالماً سائبة فقيل سالم مولى أبي حذيفة. ونزل عتبة بن غزوان على عباد بن بشر أخي بني عبد الأشهل، ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن المنذر أخي حسان بن ثابت في دار بني النجار فلذلك كان حسان يحب عثمان ويبكيه حين قتل[1].

فصل

مؤامرة قريش على رسول الله

فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم وساقوا الذراري والأطفال والأموال إلى الأوس والخزرج فعرفوا أن الدار دار منعة، وأن القوم أهل حلقة وبأس وشوكة، فخافوا خروج رسول الله ﷺ إليهم ولحوقه بهم، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم، فاجتمعوا في دار الندوه، ولم يتخلف أحد من ذوي الرأي والحجى منهم ليتشاوروا في أمره.

الاجتماع في دار الندوة

قال ابن إسحاق: فحدثني من لا أتهم من أصحابنا عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد بن جبير عن ابن عباس قال: لما اجتمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله ﷺ، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل عليه بتله[2]، فوقف على باب الدار فلما رأوه واقفاً على بابها قالوا: من الشيخ؟ قال شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون، وعسى أن لا يعدمكم منه رأياً ونصحاً. قالوا: أجل فادخل، فدخل معهم، وقد اجتمع فيها

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٢/١١٨ ـ ١٢٠.

(٢) البتله الكساء الغليظ.

أشراف قريش، فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، وإنا والله لا نأمنه على الوثوب علينا بمن اتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأياً. قال فتشاوروا، ثم قال قائل منهم: احبسوه في الحديد واغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين قبله: زهير والنابغة ومن مضى منهم من هذا الموت، حتى يصيبه ما أصابهم. فقال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتموه دونه إلى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأي، فانظروا في غيره. فتشاوروا في أمره ثم قال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا، فإذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت. قال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حي من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد، أديروا فيه رأياً غير هذا. فقال أبو جهل: والله إن لي فيه رأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد، قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه، فنستريح منه. فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم. قال فقال الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل، هذا الرأي لا رأي غيره. فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له[1]. فأتى جبريل رسول الله ﷺ فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه. فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه، فلما

---

(١) ذكر هذه القصة ابن هشام ٢/ ١٢٢ عن ابن إسحاق وقد صرح بالتحديث وسندها منقطع ووصلها الطبري في التاريخ ٢/ ٣٧٠، وسندها حسن وانظر حديث ابن عباس عند أحمد ١/ ٣٤٨.

نوم علي على فراش الرسول

رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: نم على فراشي وتسجّ ببردي هذا الحضرمي الأخضر فنم عليه، فإنه لا يخلص إليك شيء تكرهه، وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذا نام[1].

خروجه ﷺ من بيته من بينهم

قال ابن إسحاق: فحدّثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: اجتمعوا له وفيهم أبو جهل بن هشام، فقال وهم على بابه: إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثمّ بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثمّ بُعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تحرقون فيها. قال فخرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده ثمّ قال: نعم أنا أقول ذلك، أنت أحدهم. وأخذ الله على أبصارهم عنه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات من يس ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ ﴾ إلى قوله ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ۝٩ ﴾ حتى فرغ من هؤلاء الآيات، ولم يبق منهم رجل إلاّ وقد وضع على رأسه تراباً، ثمّ انصرف إلى حيث أراد أن يذهب. فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون ههنا؟ قالوا: محمداً. قال: خيبكم الله، قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلاّ وقد وضع على رأسه التراب، وانطلق لحاجته. أفما ترون ما بكم؟ قال فوضع كلّ رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب، ثمّ يتطلعون فيرون علياً على الفراش متسجّياً ببرد رسول الله ﷺ، فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائماً عليه برده، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام عليّ عن الفراش، فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي كان حدثنا[2]. وقال غير ابن إسحاق: وهم أبو جهل والحكم بن أبي العاص وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وأمية بن

---

(١) نوم علي رضي الله عنه في منام الرسول ﷺ ليلة الهجرة ثابت كما رواه الحاكم في المستدرك ٣/ ٤ وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه والطيالسي وأبو عوانه وأحمد ١/ ٣٣٠ وصححه أحمد شاكر برقم ٣٠٦٢.

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه ٢/ ٣٧٣ وأبو نعيم في الدلائل ٦٤ وابن هشام في السيرة ٢/ ١٢٥ وهو مرسل إسناده ثقات وله شواهد يتقوى بها.

خلف وربيعة بن الأسود وطعيمة بن عدي وأبو لهب وأبيّ بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج. وفي رواية ابن أبي حاتم مما صححه الحاكم من حديث ابن عباس: فما أصاب رجلاً منهم حصاة إلاّ قتل يوم بدر كافراً.

قال ابن إسحاق: وأنزل في ذلك مما اجتمعوا له ذلك اليوم ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ الآية وقوله ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ ﴾.

فصل

[هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة]

قال ابن إسحاق[1]: وأذن الله لرسوله عند ذلك في الهجرة إلى المدينة، قال ابن عباس بقوله ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ فروى الترمذي[2] وصححه عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ بمكة، ثم أمر بالهجرة، فأنزل الله عليه ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ وقال الحسن وقتادة: (مدخل صدق) يعني المدينة (وأخرجني مخرج صدق) يعني مكة. وقال قتادة: علم نبي الله أنه لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان، فسأل الله سلطاناً نصيراً لكتاب الله ولحدود الله ولفرائض الله ولإقامة دين الله، فإن السلطان رحمة من الله جعله بين أظهر عباده، ولولا ذلك لأغار بعضهم على بعض فأكل شديدهم ضعيفهم[3]. وذكر الحاكم أن خروجه عليه الصلاة والسلام كان بعد العقبة بثلاثة أشهر أو قريباً منها، وذكر الأموي في مغازيه عن ابن إسحاق: كان مخرجه من مكة بعد العقبة بشهرين وليال. قال: وخرج لهلال ربيع الأوّل، وقدم المدينة لاثنتي عشرة خلت منه. قال الحاكم: تواترت الأحاديث أن خروجه يوم الاثنين ودخوله المدينة يوم الاثنين. إلاّ أن محمد بن موسى الخوارزمي

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ١٢٥.

(٢) رواه الترمذي برقم ٣١٣٨ والحاكم في المستدرك ٣/ ١٣ ووافقه الذهبي.

(٣) إقامة السلطان والخليفة والأمير من أهم المهمات ومما أمرت به الشريعة وحثت عليه.

خروجه ﷺ من مكة

قال: خرج من مكة يوم الخميس وخروجه من الغار كان ليلة الاثنين، لأنه أقام فيه ثلاث ليال: ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد، وخرج أثناء ليلة الاثنين[١]، وأخبر علياً بمخرجه، وأمره أن يتخلّف بعده حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس[٢]. وفي الصحيح عن عائشة قالت: قال النبي ﷺ للمسلمين: إني رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين، وهما الحرتان. فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان بأرض الحبشة إلى المدينة[٣]. وتجهز أبو بكر قبل المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: على رِسْلك، فإني أرجو أن يؤذن لي[٤]. فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي؟ قال: نعم. فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وقد علف راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط أربعة أشهر[٥][٦]، قالت عائشة: فبينما نحن جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنّعاً ـ في ساعة لم يكن يأتينا فيها ـ فقال أبو بكر فدى له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلاّ لأمر، فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له، فدخل فقال لأبي بكر: أخرج من عندك[٧]، فقال: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله. قال: فإني قد أُذن لي في الخروج، فقال أبو بكر: الصحبة بأبي يا رسول الله. قال: نعم. قال: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتيَّ هاتين. قال رسول الله ﷺ: بالثمن[٨]. قالت عائشة فجهزناهما أحسن الجهاز، وصنعنا لهما

أبو بكر يعد لرحلة الهجرة

---

(١) انظر المواهب اللدنية فقد ذكر الأقوال كلها ١/ ٢٨٨.

(٢) المواهب اللدنية ١/ ٢٨٩.

(٣) رواه أحمد ٦/ ١٩٨ والحاكم في المستدرك ٢/ ٣ وصححه ووافقه الذهبي وعلقه البخاري رحمه الله وهو صحيح.

(٤) فيه فضل أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأن الرسول ﷺ أراد منه أن يكون رفيقه في الهجرة فكان نعم الرفيق.

(٥) فيه الحث على الاستعداد للسفر وتفقد الدابة والمركب وتأمينه قبل السفر.

(٦) رواه البخاري برقم ٣٩٠٥.

(٧) فيه مشروعية الكتمان ولا سيما في الأمور التي في إظهارها أذى على أحد أو ترتب مفسدة.

(٨) يجب أن يستفيد الدعاة إلى الله من هذا الدرس وهو أن يكون الداعية عزيزاً في دعوته ليس عبءً=

صفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطته بها على فم الجراب، فبذلك سميت «ذات النطاقين»[1]. وأقام رسول الله في بيت أبي بكر إلى الليل، ثمّ لحقا بغار ثور في جبل ثور. وروي أنهما خرجا من خوخة في ظهر بيت أبي بكر ليلاً إلى الغار، فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام ثقف لقف، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش كبائت، فلا يسمع أمراً يُكادان به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين يذهب ساعة من العشاء فيبيت عندهما يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلاث[2]، وكان دليلهم عبد الله بن أريقط الليثي هادياً خِرِّيتاً. والخرِّيت الماهر بالهداية، استأجراه وأمناه، فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث، وكان على دين قومه[3] وذكر الحاكم في مستدركه[4] عن عمر قال: خرج رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر إلى الغار[5]، فجعل يمشي مرّة عن يمينه ومرة عن يساره ومرة عن أمامه ومرة خلفه، فقال له رسول الله ﷺ: ما هذا يا أبا بكر؟ ما أعرف هذا من خلقك، قال: يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون خلفك، ومرة عن يمينك ومرة عن شمالك لا آمن عليك. فقال: يا أبا بكر، لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني؟ قال: نعم والذي بعثك بالحق. انتهى. وكان رسول الله ﷺ يمشي تلك الليلة

حرص أبي بكر على رسول الله

= على أحد، ولا يجعل لأحد عليه مِنة، وإن كان رسول الله قد قال «ما نفعني مال أحد غير مال أبي بكر»، لكن أراد الرسول الكريم أن يعطي الدعاة من بعده درساً في عزة الداعية وترفعه عن أن يكون عالة على الآخرين.

(١) فيه فضيلة أسماء رضي الله عنها.

(٢) رسول الله ﷺ في الهجرة ضرب أروع الأمثلة في أخذ الاحتياطات وفعل الأسباب وهذا لا ينافي التوكل.

(٣) فيه جواز استئجار المشرك إذا كان مأموناً، لكن ليس في جزيرة العرب.

(٤) رواه البخاري برقم ٣٩٠٥ من حديث عائشة وعبد الرزاق في المصنف ٩٧٤٣ والبيهقي في الدلائل ٢/ ٤٧١ وأحمد في المسند ٦/ ٣٤٦.

(٥) رواه الحاكم في المستدرك ٣/ ٦ من رواية ابن سيرين مرسلاً.

على أطراف قدميه كي يخفى أثره حتى حفيت قدماه، فحمله أبو بكر وهو يشتد به حتى أتى به الغار، فأنزله وقال: يا رسول الله دعني أدخل قبلك، فإن كان فيه حية أو شيء كان بي دونك. فقال: ادخل، فدخل أبو بكر وجعل يلتمس بيده، وكلّما رأى جحراً قال بثوبه فشقه ثم ألقمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع، قال فبقي جحر فوضع عقبه خشية أن يخرج على النبي ﷺ منه شيء يؤذيه، وكان فيه حيات وأفاعٍ، ثم دخل رسول الله ﷺ، فلمّا أصبح قال له النبي ﷺ: أين ثوبك يا أبا بكر: فأخبره بالذين صنع، فرفع النبي ﷺ يديه وقال: اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي في الجنة. فأوحى الله إليه: إن الله قد استجاب لك.

ثاني اثنين إذ هما في الغار

وجدَّت قريش في طلبهما وخرجوا يقتصون أثر رسول الله ﷺ وأبي بكر، وأخذوا معهم القافة حتى وصلوا إلى الغار. وفي مسند البزار[1]: أن الله تعالى أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار، وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار، وأن ذلك مما صد المشركين عنه. فلما أتوا الغار طارت الحمامتان ورأوا البيض ونسج العنكبوت فقالوا: لو دخل ها هنا لتكسر البيض ولم يكن عليه نسج العناكب، فصرفهم الله عز وجل بذلك عنه. ففي الصحيحين[2] عن أنس أن أبا بكر قال: نظرت إلى أقدام المشركين فوق رأسنا ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه أبصرنا. فقال: يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ لا تحزن إن الله معنا. وروى أن أبا بكر لما رأى القافة اشتد حزنه على رسول الله ﷺ وقال: إن قتلتُ فإنّما أنا رجل واحد، وإن قتلتَ أنتَ هلكت الأمة. فعندها قال له رسول الله ﷺ ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ يعني بالمعونة والنصر، ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ ﴾ وهي أمنة تسكن عندها القلوب ـ على أبي بكر، لأنه كان منزعجاً، ﴿ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾، يعني الملائكة ليحرسوه في الغار، أو ليصرفوا

---

(١) انظر كشف الأستار ٢/ ٢٩٩ من حديث أنس، وأجود ما روي في قصة نسج العنكبوت ما رواه أحمد ١/ ٣٤٨ وعبد الرزاق في المصنف ٥/ ١٨٩ وذكره الحافظ في الفتح ٧/ ٢٣٦ وقال سنده حسن وحسنه الحافظ ابن كثير في السيرة ٢/ ٢٣٩.

(٢) رواه البخاري برقم ٣٦٥٣ ومسلم برقم ٢٣٨١.

وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته، وهذا أبلغ في الإعجاز من مقاومة القوم بالجنود، فهو سبحانه على كلّ شيء قدير لطيف لما يشاء، إن شاء ربط العالم بخيط عنكبوت، وإن شاء بأسباب غير ذلك. ومكثا في الغار ثلاث ليال حتى خمدت عنهما نار الطلب.

الدليل يدلهما الطريق

وفي حديث عائشة فأتاهما عبد الله بن أريقط بالراحلتين صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة فأخذ بهما الدليل طريق السواحل، وسار الدليل أمامهما وعين الله تكلؤهما وتأييده يصحبهما وإسعاده يرحلهما وينزلهما. ولما يئس المشركون من الظفر بهما جعلوا لمن جاء بهما دية كل واحد منهما، فجدَّ الناس في الطلب، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وفي المتفق[1] عليه من حديث البراء عن أبي بكر قال: ارتحلنا من مكة فأحيينا أو سرينا ليلتنا ويومنا، حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة، فضربت هل أرى من ظل فآوي إليه، فإذا أنا بصخرة فأتيتها فإذا بقية ظلّها، فسويته لرسول الله ﷺ، وفرشت له فروة، ثمّ قلت له: اضطجع يا رسول الله. فاضطجع. ثمّ خرجت أنظر ما حولي هل أرى أحداً من الطلب، فإذا أنا براعي غنم يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها الذي أردنا، فسألته لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من قريش، فسمّاه فعرفته، فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم. قلت: فهل أنت حالب لنا؟ قال نعم. فأمرته فاعتقل شاة من غنمه، ثمّ أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار ثم أمرته أن ينفض كفيه، فقال هكذا فضرب إحدى كفيه بالأخرى، فحلب لي كثبة من لبن، وقد جعلت لرسول الله إداوة على فمها خرقة فصببت على اللبن حتى برد أسفله، فانطلقت به إلى النبي ﷺ، فوافقته وقد استيقظ، فقلت: أشرب يا رسول الله. فشرب حتى رضيت. ثمّ قلت: قد آن الرحيل، فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك المدلجي على فرس له، فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله، فقال: لا تحزن إن الله معنا. فدعا عليه رسول الله فارتطمت به فرسه إلى بطنها، أرى في جلد من

---

(1) رواه البخاري برقم ٣٦٥٢ ومسلم برقم ٢٠٠٩.

الأرض ـ شك زهير ـ فقال: إني أراكما قد دعوتما عليّ، فادعوا الله لي، فالله لكما أن أردّ عنكما الطلب، فدعا له النبي ﷺ فنجا، فجعل لا يلقى أحداً إلاّ قال: قد كفيتم، ما ههنا. ولا يلقى أحداً إلاّ ردَّه.

قصة سراقة بن مالك

وفي حديث ابن شهاب قال: أخبرني عبد الرحمن بن مالك بن جُعشم أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن مالك بن جعشم يقول: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره. فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: يا سراقة إني قد رأيت آنفاً أسودة بالساحل، أراها محمداً وأصحابه. قال سراقة: فعرفت أنهم هم، فقلت: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا. ثمّ لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي من وراء أكمة فتحبسها عليّ، فأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت، فخططت بزجه الأرض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها، فدفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم، فعثرت بي فرسي، فخررت عنها، فقمت فأهويت بيدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام، فاستقسمت بها: أضرّهم أم لا؟ فخرج الذي أكره، فركبت فرسي وعصيت الأزلام تقرب بي، حتى إذا سمعت رسول الله وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، ثمّ زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام، فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان: قفوا، فركبت فرسي حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني ولم يسألاني إلاّ أن قالا: أخف عنا، فسألته أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أدم، ثم مضى رسول الله ﷺ. انتهى[1] حديث الزهري. فقيل: إن الكتاب كان معه إلى يوم فتح مكة، فجاء بالكتاب فوفى له رسول الله وكان يوم وفاء وبر، فكان أول النهار جاهداً عليهما، وآخره حارساً لهما.

---

(١) رواه البخاري برقم ٣٩٠٦ ومسلم برقم ٢٠٠٩.

فصل

مروره بخيمة أم معبد

ثمّ مضى رسول الله ﷺ فيمن معه فمرّوا بخيمتي أم معبد الخزاعية، وكانت امرأة جلده برزة تحتبي بفناء الخيمة ثمّ تطعم وتسقي من مرّ بها. فسألاها: هل عندها شيء يشترونه؟ فقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى، والشاء عازب، وكانت سنة شهباء، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ فقالت هذه شاة خلفها الجهد من الغنم. فقال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك. قال: أفتأذنين لي أن أحلبها. قالت: نعم، بأبي وأمي، إن رأيت بها حليباً فاحلبها. فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسح ضرعها وذكر اسم الله وقال: اللهم بارك لها في شاتها، فتفاجّت فدرّت واجترّت. فدعا بإناء لها يربض الرهط فحلب فيه حتى علته الرغوة، فسقاها فشربت حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، وشرب ﷺ آخرهم، فشربوا جميعاً عللاً بعد نهل. ثمّ حلب فيه ثانياً حتى ملأ الإناء فغادره عندها، ثمّ ارتحلوا عنها، فقلّما لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافاً يتساوكن هزلاً، فلمّا رأى اللبن عجب وقال: من أين لك هذا والشاء عازب ولا حلوبة في البيت؟ فقالت لا والله، إلاّ أنه مرّ بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت. قال: والله إني لأراه صاحب قريش الذي تطلبه، صفيه لي يا أم معبد. فقالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة حسن الخلق لم تعبه ثجلة ـ ويروى نحله بالنون والحاء ـ ولم تزر به صعلة كأن عنقه إبريق فضة، وسيم جسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف، وفي صوته صحل، أحور أكحل أزج أقرن شديد سواد الشعر، في عنقه سطع وفي لحيته كثاثة، إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما به وعلاه البهاء، وكأن منطقه خرزات نظم ينحدرن، حلو المنطق فصل، لا نزر ولا هذر، أجهر الناس وأجمله من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب، ربعة لا تشنؤه عين من طول ولا تقتحمه من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنظر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود، لا عابس ولا مفند. فقال: هذا والله صاحب قريش الذي تطلب، وذكر لنا من أمره ما ذكر. ولو كنت أنا وافقته لالتمست أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً[1].

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٣/ ٩ ـ ١٠ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه=

قالت أسماء بنت أبي بكر: ولما خفي علينا أمر رسول الله ﷺ أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام، فخرجت إليهم فقال: أين أبوك؟ فقلت: والله لا أدري أين أبي. فرفع أبو جهل يده وكان فاحشاً خبيثاً فلطم وجهي لطمة خرج منها قرطي. قالت: ثمّ انصرفوا، فمضى ثلاث ليال ما ندري أين توجه رسول الله ﷺ، حتى أتى رجل من أسفل مكة يغني بأبيات والناس يسمعون صوته ولا يرونه، وهو ينشد هذه الأبيات:

جزَى الله ربّ الناس خير جزائه ... رفيقَين حلاّ خيمتَيْ، أم معبد
هما نزَلا بالبرّ وارتحَلا به ... فأفلحَ من أمسَى رفيق محمّد
فيا لقصي ما زوى الله عنكُم ... به من فَعالٍ لا يجارى وسؤدُد
فما حملت من ناقةٍ فوق رحلها ... أبرّ وأوفى ذمّةً من محمّد
وأكسى لبرد الحال قبل ابتذاله ... وأعطى لرأسِ السّابح المتجَرِّد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها ... فإنكموا إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت ... له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهناً لديها بحالب ... يردّدها في مصدر ثمّ مورد

قالت أسماء: فلمّا سمعنا قوله عرفنا أين توجّه رسول الله ﷺ. رواه ابن إسحاق والطبراني وغيرهما[1]. فلما سمع بذلك حسان بن ثابت قال يجاوب الهاتف:

لقد خابَ قومٌ زال عنهم نبيّهم ... وقد سر من يسري إليهم ويغتدي
ترحل عن قوم فزالت عقولهم ... وحلَّ على قومٍ بنورٍ مجدّد

= الذهبي وقال صحيح وذكره ابن حجر في الإصابة ١/ ٣٠٩ وعزاه للبغوي وابن شاهين وابن السكن وابن منده، ورواه الطبراني في المعجم الكبير ٣٦٠٥ وأبو نعيم في دلائل النبوة برقم ٤٣٨ وله شواهد يكون بها الحديث حسناً وقال الحافظ ابن كثير في السيرة وقصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضاً.

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ١٣٠ وتاريخ الطبري ٢/ ٣٨٠.

هداهم به بعد الضلالةِ ربّهم وأرشدهم، من يتبع الحق يرشد
وقد نزلت منه على أهل يثرب ركاب هدى حلّت عليهم سأبعد
فهل يستوي ضلال قوم تسفهوا عمى، وهداة يهتدون بمُهتَد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كلّ مسجد
وإن قال في يومٍ مقالة غائب فتصديقها في ضحوة اليوم أو غد
ليهن أبا بكر سعادة جده بصحبته، من يسعد الله يسعد[1]

ويروى أن الشاة التي لمس رسول الله ﷺ ضرعها وحلبها بقيت عند أم معبد حتى كان زمن الرمادة في سنة ثمان عشرة من الهجرة في خلافة عمر رضي الله عنه فهلكت، قالت أم معبد: وكنا نحلبها صبوحاً وغبوقاً وما في الأرض قليل ولا كثير. أخرجه ابن سعد من طريق الواقدي[2]. ثمّ إن أم معبد هاجرت إلى النبي ﷺ وأسلمت.

الزبير يكسو رسول الله وأبا بكر

ولقي النبي ﷺ في أثناء الطريق الزبير بن العوام في ركب من المسلمين قافلين من الشام، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياباً بيضاً[3].

فصل

[قدومه ﷺ المدينة]

الأنصار ينتظرون الرسول

قال ابن شهاب في حديثه عن عروة: وبلغ المسلمين خروج رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، فجعلوا يغدون كلّ غداة إلى الحرة فينظرون حتى يردهم حر الظهيرة. فانقلبوا يوماً بعدما أطالوا انتظارهم، فلمّا أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من اليهود على أطم من آطامهم ينظر لأمر يريده، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن نادى بأعلى صوته: يا معشر العرب، هذا

---

(١) انظر دلائل النبوة لأبي نعيم ٣٣٩ ـ ٣٤٠.
(٢) الطبقات الكبرى ٨/ ٢٨٩ وأبو نعيم ٣٣٩ انظر المواهب اللدنية ١/ ٣٠٣.
(٣) رواه البخاري برقم ٣٩٠٦.

مراسم الاستقبال

جدكم الذي تنتظرون. فبادر المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتاً، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يُحيي أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس حينئذ رسول الله ﷺ[1]. انتهى. وكبر المسلمون فرحاً بقدومه وسمعت الوجبة والتكبير في بني عمرو بن عوف. وخرج المسلمون للقائه، فتلقوه وحيوه بتحية النبوة، وأحدقوا به مطيفين حوله، والسكينة تغشاه، والوحي ينزل عليه، والله مولاه وجبريل وصالح المؤمنين، والملائكة بعد ذلك ظهير، فسار حتى نزل بقباء في بني عمرو بن عوف،

نزوله بقباء وبناؤه المسجد

فنزل على كلثوم بن الهدم، وقيل على سعد بن خيثمة، ونزل أبو بكر بالسنح على حبيب بن أساف أخي بني الحارث بن الخزرج، وقيل على خارجة بن زيد، وأقام علي رضى الله عنه بمكة حتى أدى ودائع كانت عند رسول الله ﷺ للناس ثم لحق بالمدينة، ونزل مع النبي ﷺ بقباء أيّاماً، فأقام في بني عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة، وأسس مسجد قباء، وهو أول مسجد أسس على التقوى بعد النبوة، فلما كان يوم الجمعة ركب بأمر الله له، وفي حديث أنس عند البخاري فأرسل إلى بني النجار فجاءوا متقلدين لسيوفهم، قال: وكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وأبو بكر ردفه وملأ بني النجار حوله. انتهى[2]

صلاته الجمعة في بني سالم بن عوف

فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، فجمّع بهم في المسجد الذي في بطن الوادي، ثم ركب ناقته وأرخى زمامها لا يحركها وهي تنظر يميناً وشمالاً، فلم تزل ناقته سائرة، ولا يمر بدار من دور الأنصار إلا رغبوّه في النزول عليهم ويأخذون بخطام راحلته: هلم إلى العوذ والعدة والسلاح والمنعة. فقال: خلوا سبيلها فإنّها مأمورة فلم تزل سائرة به حتى وصلت إلى موضع مسجده اليوم فبركت، ولم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلاً ثم التفتت ورجعت فبركت

---

(١) رواه البخاري برقم ٣٩٠٦.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات ١/ ٢٣٣ والحاكم في المستدرك ٣/ ١١ وابن هشام في السيرة من طريق ابن إسحاق ٢/ ١٣٣، وقد رواه بنحو منه البخاري برقم ٣٩١١ وبرقم ٣٩٠٦.

في موضعها الأوّل فنزل عنها، وذلك في بني النجار أخواله، وكان ذلك من توفيق الله لها، فإنه أحب أن ينزل على أخواله يكرمهم بذلك، فجعل الناس يكلمون رسول الله ﷺ في النزول عليهم، وبادر أبو أيوب الأنصاري إلى رحله فأدخله، فجعل رسول الله ﷺ يقول «المرء مع رحله». وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلته فكانت عنده[١]، وفي رواية أنس[٢] عند البخاري: فقال نبي الله ﷺ: أي بيوت أهلنا أقرب؟ فقال أبو أيوب: أنا يا رسول الله، هذه داري، وهذا بابي. قال: فانطلق فهي لنا مقيلاً قال: قوما على بركة الله. فلما جاء نبي الله جاء عبد الله بن سلام يسأله عن أشياء قال إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلاّ نبي: ما أول أشراط الساعة، وما أول طعام يأكله أهل الجنة، وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه. قال: أخبرني به جبريل آنفاً. قال ابن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة. قال: أمّا أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أوّل طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد إلى أبيه وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد إلى أمه. قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنّك رسول الله وأنك جئت بحق. وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم وعالمهم وابن عالمهم، فادعُهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت، فإنّهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا فيَّ ما ليس فيَّ. فأرسل نبي الله إلى اليهود فدخلوا عليه، فقال لهم رسول الله ﷺ: يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله، فوالذي لا إله إلاّ هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً وأني جئتكم بحق، فأسلموا. قالوا: ما نعلمه. قالوا ذلك للنبي ﷺ ثلاث مرار، قال: فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا وعالمنا وابن عالمنا. قال: أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا: حاشا لله، ما كان ليسلم. قال: أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم. قال: أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا حاشا لله ما كان ليسلم. قال: يا ابن سلام أخرج عليهم، فقال: يا معشر اليهود اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم تعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بحق.

نزوله في دار أبي أيوب

سؤال عبد الله بن سلام

---

(١) رواه مسلم برقم ١٧١.

(٢) البخاري برقم ٣٩١١.

فقالوا: كذبت. وقالوا: شرّنا وابن شرّنا ونقصوه. فقال: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله: فأخرجهم رسول الله ﷺ[1].

ومن مقدمه ﷺ أرخ التاريخ في زمن عمر إلى يومنا هذا، فروى البخاري[2] في صحيحه عن سهل بن سعد قال: ما عدّوا من مبعث النبي، ولا من وفاته، ما عدوا إلا من مقدمه المدينة.

وقال البراء: أوّل من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلا يقرآن الناس القرآن، ثم جاء عمار وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين راكباً، ثم جاء رسول الله ﷺ، فما رأيت الناس فرحوا بشيء فرحهم به، حتى رأيت النساء والصبيان والإماء يقولون: هذا رسول الله، قد جاء رسول الله[3]، وقال أنس: شهدته يوم دخل المدينة فما رأيت يوماً قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا، وشهدته يوم مات، فما رأيت يوماً قط كان أقبح ولا أظلم من يوم مات[4]. فقام ﷺ في منزل أبي أيوب حتى بنى مسجده وحجرته، وبعث رسول الله ﷺ وهو في منزل أبي أيوب زيد بن حارثة وأبا رافع وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم إلى مكة، فقدما عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه وسودة بنت زمعة زوجته وأسامة بن زيد وأمه أمّ أيمن. وأما زينب فلم يمكنها زوجها أبو العاص بن الربيع من الخروج، وخرج عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر وفيهم عائشة فنزلوا في بيت حارثة بن النعمان[5] وفي الصحيح[6] عن أسماء أنها حملت بعبد الله بن الزبير،

ولادة عبد الله بن الزبير

قالت فخرجت وأنا مُتم فأتيت المدينة فنزلت بقباء، ثم أتيت النبي ﷺ فوضعته في

---

(١) رواه البخاري برقم ٣٩٣٨.
(٢) رواه البخاري برقم ٣٩٣٤ وانظر فتح الباري ٧/ ٣١٤.
(٣) رواه البخاري برقم ٣٩٢٥.
(٤) رواه أحمد في المسند ٣/ ١٢٢ والحاكم في المستدرك ٣/ ١٢ وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي، ورواه الدارمي ١/ ٤١، وهو صحيح.
(٥) الطبقات لابن سعد ١/ ٢٣٧.
(٦) رواه البخاري برقم ٣٩٠٩.

حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل في جوفه ريق رسول الله ﷺ. ثم حنكه بتمرة، ثم دعا له وبرك عليه، وكان أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة. وفيه عن عائشة قالت: أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم.

فصل
في بناءِ المسجد

قال الزهري في حديثه عن عروة: بركت ناقة رسول الله ﷺ عند موضع مسجده، وهو يومئذ يصلي فيه رجال من المسلمين. وكان مربداً لسهيل وسهل غلامين يتيمين من الأنصار، وكان في حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله ﷺ: هذا إن شاء الله المنزل. ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً، فقالا: يا رسول الله بل نهبه لك، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجداً[١]. وفي حديث أنس في الصحيح: ثم أرسل إلى بني النجار فقال: يا بني النجار ثامنوني حائطكم هذا، فقالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله. قال وكان فيه ما أقول لكم كانت فيه قبور المشركين وكانت فيه خرب وكان فيه نخل، فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فنبشت، وبالخرب فسويت، وبالنخل فقطع، قال فصفوا النخل قبل المسجد. قال وجعلوا عضاديته حجارة. قال فجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون ورسول الله ﷺ معهم يقول:

اللهم إنه لا خير إلاّ خير الآخرة، فانصر الأنصار والمهاجرة[٢]

وفي حديث الزهري عن عروة: وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول وهو ينقل اللبن:

هـذا الحمـال لا حمـال خيبـر   هـــذا أبـــرُّ ربنـــا وأطهـــر

---

(١) انظر البخاري برقم ٣٩٠٦.

(٢) رواه البخاري برقم ٣٩٣٢ ومسلم برقم ٥٢٤.

ويقول:

اللهـم إن الأجـر أجـر الآخـرة فـارحـم الأنصـار والمهـاجـرة

فتمثل ببيت شعر رجل من المسلمين لم يسم لي. انتهى[١]. وقال غيره: ووضع عليه الصلاة والسلام، فوضع الناس وهو يقولون:

لئـن قعـدنـا والـرسـول يعمـل لـذاك منـا العمـل المضلـل

وآخرون يقولون:

لا يستوى من يعمر المساجدا يـدأب فيهـا قـائمـاً وقـاعـدا[٢]

ومن يرى عن التراب حائدا

وجعلت قبلته إلى بيت المقدس، وجعل له ثلاثة أبواب: باب في مؤخرة، وباب يقال له باب الرحمة، والباب الذي يدخل منه عليه السلام. وجعل طوله مما يلي القبلة إلى مؤخرة مائة ذراع وفي الجانبين مثل ذلك أو دونه، وجعل أساسه قريباً من ثلاثة أذرع، وجعل عمده الجذوع، وسقفه بالجريد، وجعل عضاديته الحجارة. وقيل له: ألا تسقفه؟ فقال: لا عريش كعريش موسى[٣]. وبنى بيوتاً إلى جنبه باللبن وسقفها بالجريد والجذوع[٤].

بناؤه بعائشة رضي الله عنها

فلما فرغ من البناء بنى بعائشة رضي الله عنها في البيت الذي بناه لها شرقي المسجد شارعاً إلى المسجد وهو مكان حجرته اليوم، وجعل لسودة بيتاً آخر.

وفي الصحيح[٥] عن عائشة قالت: تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج، فوعكت فتمزق شعري، فأتتني أم رومان ـ وإني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي ـ فصرخت بي، فأتيتها ولا أدري ما

---

(١) انظر البخاري برقم ٣٩٠٦.

(٢) انظر فتح الباري ٧/ ٢٩١.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في الزهد مرسلاً والبيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٤٣٩ والدارمي ١/ ٢٣ وله طرق حسنه بها العلامة الألباني في الصحيحة برقم ٦١٦.

(٤) انظر المواهب اللدنية ١/ ٣١٧ وزاد المعاد ٣/ ٦٣.

(٥) رواه البخاري برقم ٣٨٩٤ ومسلم برقم ١٤٢٢.

تريد بي، فأخذت بيدي حتى وقفتني على باب الدار وأني لأنهج، حتى سكن نفسي، ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوة من الأنصار، فقلن: على الخير والبركة، وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهن وأصلحن من شأني، فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ، فأسلمتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين.

وفيه[1] عن عروة قال: توفيت خديجة قبل مخرج النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث، فلبث سنتين أو قريباً من ذلك، ونكح عائشة وهي بنت ست سنين، وبنى بها وهي بنت تسع سنين. قال، أبو عمر وكان نكاحه عليه السلام لها في شوال، وابتنى بها في شوال[2]، وكانت تحب أن تدخل النساء من أهلها في شوال على أزواجهن، وكانت أحب نساء رسول الله ﷺ إليه، وكانت إذا هويت الشيء تابعها عليه، ولم يتزوج بكراً غيرها. وكانت مدة مقامها معه عليه السلام تسع سنين، ومات عنها ولها ثمان عشرة سنة. وكانت فقيهة عالمة فصيحة، كثيرة الحديث عن رسول الله. انتهى.

أصحاب الصفة

وكان في مؤخر المسجد موضع مظلل يأوى إليه المساكين يسمى «الصفة»، وكان عليه السلام يدعوهم بالليل فيفرقهم على أصحابه، ويتعشى طائفة منهم معه[3].

فصل
[المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار]

ثم آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك[4]، وكانوا تسعين رجلاً: نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة، ويتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام، إلى وقعة بدر. فلما أنزل الله ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ رد التوارث إلى الرحم دون عقد

---

(١) رواه البخاري برقم ٣٨٩٦.
(٢) كما في مسلم برقم ١٤٢٣ والترمذي برقم ١٠٩٣ وابن ماجه برقم ٩٩٠.
(٣) انظر المواهب اللدنية ١/٣١٨.
(٤) كما في البخاري برقم ٢٢٩٤ ومسلم برقم ٢٥٢٨.

الأخوة[١] وقد قيل إنه آخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض مؤاخاة ثانية، واتخذ فيها علياً أخاً لنفسه[٢]، والثبت الأول[٣]، فآخى بين جعفر بن أبي طالب وهو غائب بالحبشة ومعاذ بن جبل، وآخى بين أبي بكر وخارجة بن زيد، وآخى بين عمر بن الخطاب وعتْبان بن مالك من بني سالم، وآخى بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن الربيع، وآخى بين الزبير بن العوام وبين سلمة بن سلامة بن وَقش وقيل كعب بن مالك السلمي، وقيل بل آخى بين طلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك، وآخى بين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت، وآخى بين سعيد بن زيد وبين أبيّ بن كعب، وآخى بين مصعب بن عمير وبين أبي أيوب، وآخى بين أبي حذيفة بن عتبة وبين عباد بن بشر الأشهلي، وآخى بين عمار بن ياسر وبين حذيفة بن اليمان العبسي حليف بني عبد الأشهل، ويقال بل ثابت بن قيس بن الشماس، وآخى بين حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزى وبين عويم بن ساعدة أخي بني عمرو بن عوف، وآخى بين بلال وبين أبي رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي، وكان حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ أخوين، وكان أبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين[٤].

موت أسعد بن زرارة رضي الله عنه

قال ابن إسحاق[٥]: وهلك في تلك الأشهر أبو أمامة أسعد بن زرارة والمسجدُ يبنى، أخذته الذبحة أو الشهقة، وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة أن رسول الله ﷺ قال: بئس الميت أبو أمامة ليهود ومنافقي العرب، يقولون: لو كان نبياً لم يمت صاحبه، ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئاً[٦]. وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه

---

(١) رواه البخاري برقم ٤٥٨٠.
(٢) رواه الحاكم في المستدرك ٣/ ١٤ وهو حديث ضعيف لا تقوم به حجة ولا لغيره من الأحاديث الضعيفة في ذلك.
(٣) من كلام ابن القيم رحمه الله في الزاد ٣/ ٦٤ ورد مؤاخاة المهاجرين فيما بينهم.
(٤) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ١٤٦.
(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ١٤٨.
(٦) رواه أحمد ٤/ ٦٥ وابن ماجه برقم ٣٤٩٢ وانظر سير أعلام النبلاء ١/ ٣٠١.

لما مات اجتمعت بنو النجار إلى رسول الله ﷺ ـ وكان أبو أمامة نقيبهم ـ فقالوا: يا رسول الله إن هذا الرجل قد كان منا حيث قد علمت، فاجعل لنا رجلاً مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم. فقال لهم رسول الله ﷺ: أنتم أخوالي وأنا بما فيكم، وأنا نقيبكم. وكره رسول الله ﷺ أن يخص بها بعضهم دون بعض، فكان من فضل بني النجار ـ الذي يعدون على قومهم ـ أن كان رسول الله ﷺ نقيبهم، والله أعلم[1].

فصل

بدء مشروعية الآذان

قال ابن إسحاق[2]: فلما اطمأن رسول الله ﷺ بالمدينة واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين واجتمع أمر الأنصار استحكم أمر الإسلام، فقامت الصلاة وفرضت الزكاة والصيام وقامت الحدود وفرض الحلال والحرام، وكان رسول الله ﷺ حين قدم المدينة إنما يجتمع الناس للصلاة حين مواقيتها لغير دعوة، فهمّ رسول الله ﷺ أن يجعل بوقاً كبوق اليهود الذي يدعون به لصلاتهم، ثم كرهه، ثم أمر بالناقوس، فَنُحِت ليضرب به للمسلمين للصلاة، فبينما هم على ذلك رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة الأذان، فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنه طاف بي هذه الليلة طائف، مر بي رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً في يده، فقلت: يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس؟ فقال: وما تصنع به؟ قال قلت: ندعو به إلى الصلاة. فقال: أفلا أدلك على خير من هذا؟ قلت: بلى فما هو؟ قال تقول: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله، حَيّ على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله. فلما أصبح أخبر بها رسول الله ﷺ قال: إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألقها عليه فليؤَذن بها فإنه أندى صوتاً منك. فلما أذن بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو في بيته فخرج وهو يجر رداءه وهو يقول: يا نبي الله، والذي بعثك بالحق، لقد رأيت مثل الذي رأى. فقال رسول الله ﷺ: فلله

---

(١) انظر تاريخ الطبري ـ ٢/ ٣٩٨ وطبقات ابن سعد ١/ ١٤١.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ١٤٩.

الحمد. قلت: رواه أبو داود بإسناد صحيح[1]. وقد استشكل إثبات حكم الأذان برؤيا عبد الله لأن رؤيا غير الأنبياء لا يبنى عليها حكم شرعي. وأجيب باحتمال مقارنة الوحي لذلك، ويؤيده ما رواه عبد الرزاق[2] وأبو داود في المراسيل من طريق عبيد بن عمير الليثي أحد كبار التابعين أن عمر لما رأى الأذان جاء ليخبر النبي ﷺ، فوجد الوحي قد ورد بذلك، فما راعه إلا أذان بلال، فقال له النبي ﷺ «سبقك بذلك الوحي». وفي الصحيح[3] عن أنس قال: لما كثر المسلمون ذكروا أن يعلموا وقت الصلاة بشيء يعلمونه، فذكروا أن يوروا ناراً، أو يضربوا ناقوساً، فذكروا اليهود والنصارى، فأمر بلال أن يشفع الأذان وأن يوتر الإقامة. وفيه[4] عن ابن عمر: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة ليس ينادى لها، فتكلموا يوماً في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بل بوقاً بوق اليهود، فقال أوَلا تبعثون رجلاً منكم ينادي بالصلاة؟ فقال رسول الله ﷺ «قم يا بلال فناد بالصلاة» انتهى.

زيادة الصلاة في الحضر

قال بعض أهل السير[5]. ولما كان بعد شهر من مقدمه عليه السلام زيد في الحضر ركعتان ركعتان، وتركت صلاة الفجر لطول القراءة فيها، وصلاة المغرب لأنها وتر النهار، وأقرت صلاة السفر. وفي البخاري[6] عن عائشة فرضت الصلاة ركعتين ركعتين، ثم جاء ﷺ المدينة ففرضت أربعاً وتركت صلاة السفر على الفريضة الأولى.

---

(١) رواه أبو داود برقم ٤٩٩ وأحمد ٤/ ٤٣١ والترمذي برقم ١٨٩ وابن ماجه برقم ٧٠٦ والدارمي ١/ ٢٦٩ والبيهقي ١/ ٣٩١ وهو حديث حسن.

(٢) رواه عبد الرزاق برقم ١٧٧٥.

(٣) رواه البخاري برقم ٦٠٣.

(٤) رواه البخاري برقم ٦٠٤.

(٥) انظر المواهب اللدنية ١/ ٣٣٠.

(٦) سبق تخريجه.

فصل

استيلاء قريش على أموال المهاجرين

قال ابن إسحاق: وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله ﷺ، فلم يبق بمكة منهم أحد إلا مفتون أو محبوس، ولم يوعب من مكة أهل هجرة بأهليهم وأموالهم إلى الله وإلى رسوله إلا أهل دور يسمون بني مظعون من بني جُمح وبنو جحش بن رآب حلفاء بني أمية وبنو البكير من بني سعد بن ليث حلفاء بني عدي بن كعب، فإن دورهم أغلقت بمكة هجرة. ولما خرج بنو جحش من دارهم عدا عليها أبو سفيان بن حرب فباعها من عمرو بن علقمة أخي بني عامر بن لؤى، فلما بلغ بني جحش ما صنع أبو سفيان بدارهم ذكر ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله ﷺ، فقال له: أما ترضى يا عبد الله أن الله يعطيك بها داراً في الجنة؟ قال بلى، قال: فذلك لك. فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة كلمه أبو أحمد في دارهم فأبطأ عليه رسول الله ﷺ، فقال الناس لأبي أحمد: يا أبا أحمد إن رسول الله ﷺ يكره أن ترجعوا في شيء من أموالكم أصيب منكم في الله، فأمسك عن كلام رسول الله ﷺ، وقال:

أبلـغ أبـا سفيـان عـن ... أمـر عـواقبـه نـدامـه
دار ابــن عمــك بعتهــا ... تقضي بها عنك الغرامه
وحليفكــم بــالله رب ... الناس مجتهـد القسـامـه
اذهـب بهـا، اذهـب بهـا ... طُـوقْتهـا طـوق الحمـامـه

بقاء بعض أهل المدينة على الشرك

فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة الداخلة، حتى بنى مسجده ومساكنه، واستجمع له إسلام هذا الحي من الأنصار، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها، إلا ما كان من خطمة وواقف ووائل وأمية، وتلك أوس الله ـ وهم حي من الأوس ـ فإنهم أقاموا على شركهم، وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت وهو صيفي وكان شاعراً لهم يسمعون منه ويطيعونه، فوقف بهم عن الإسلام، فلم يزل على ذلك حتى مضى بدر وأحد والخندق. قال ابن عبد البر[1] عن ابن إسحاق: إنه أسلم يوم الفتح بعد أن صار إلى مكة مع قريش، وذكر الزبير بن بكار أنه لم يسلم.

---

(١) الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر ص ٦٠.

أبو قيس صرمة بن أبي أنس يمدح الرسول

قال ابن إسحاق[1] فلما اطمأنت برسول الله ﷺ داره، وأظهر الله بها دينه، قال أبو قيس صرمة بن أبي أنس أخو بني النجار ـ وهو الذي كان قد ترهب ولبس المسوح وفارق الأوثان كما قدمنا من ذكره، ثم أسلم فحسن إسلامه، وهو شيخ كبير، وكان قوالاً بالحق معظماً في جاهليته ـ فقال حين أسلم يذكر ما أكرمهم الله به من الإسلام، وما خصهم به من نزول رسول الله عليهم:

ثوى في قريش بضع عشر حجة ... يذكر لو يلقى صديقاً مواتيا
ويعرض في أهل المواسم نفسه ... فلم ير من يؤوي، ولم ير داعيا
فلما أتانا أظهر الله دينه ... فأصبح مسروراً بطيبة راضيا
وألفى صديقاً واطمأنت به النوى ... وكان له عوناً من الله باديا
يقص لنا ما قال نوح لقومه ... وما قال موسى إذ أجاب المناديا
وأصبح لا يخشى من الناس واحداً ... قريباً، ولا يخشى من الناس نائياً
بذلنا له الأموال من جلِّ مالنا ... وأنفسنا عند الوغى والتآسيا
ونعلم أن الله لا شيء غيره ... ونعلم أن الله أفضل هادياً

وفي رواية:

ونعلم أن الله لا رب غيره ... وأن كتاب الله أصبح هاديا
نعادي الذي عادى من الناس كلهم ... جميعاً وإن كان الحبيب المصافيا
أقول إذا دعوك في كل بيعة ... تباركت قد أكثرت لاسمك داعيا
أقول إذا جاوزت أرضاً مخوفة ... حَنَانَيْكَ لا تظهر عليّ الأعاديا
فطأ معرضا إن الحتوف كثيرة ... وإنك لا تبقي لنفسك باقيا
فوالله ما يدري الفتى كيف يتقي ... إذا هو لم يجعل له الله واقيا
ولا تحفل النخل المعُيمة ريها ... إذا أصبحت ريا وأصبح تاويا

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ١٥١.

فصل

[الإذن بالقتال]

ولما استقر رسول الله ﷺ بالمدينة كما تقدم، وأيده الله بنصره وبالمؤمنين، وألف بين قلوبهم بعد العداوة والإحن التي كانت بينهم فمنعته أنصار الله وكتيبة الإسلام من الأسود والأحمر، وبذلوا نفوسهم دونه وقدموا محبته على محبة الآباء والأبناء والأزواج، وكان أولى من أنفسهم، رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة، وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة، وصاحوا بهم من كل جانب والله يأمرهم بالصبر والعفو والصفح، حتى قويت الشوكة، واشتد الجناح، فأذن لهم حينئذ في القتال ولم يفرض عليهم، فقال تعالى ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ﴾[1] قال غير واحد من السلف كابن عباس ومجاهد وعروة بن الزبير وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان وقتادة: هذه أول آية نزلت في الجهاد. وفي سنن النسائي والترمذي[2] عن ابن عباس قال: لما خرج النبي ﷺ قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون ليهلكن. فأنزل الله ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ﴾ الآية. زاد الإمام أحمد في روايته: وهي أول آية نزلت في القتال. انتهى.

وعلل الإذن بأنهم ظُلموا، وكانوا يأتون النبي ﷺ ما بين مضروب ومشجوج، فيقول لهم: اصبروا، فإني لم أؤمر بالقتال. حتى هاجر فأذن له في القتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية. قال ابن إسحاق: أي إني إنما أحللت لهم القتال لأنهم ظُلموا ولم يكن لهم ذنب فيما بينهم وبين الناس إلا أنهم يعبدون الله، وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر. يعني رسول الله ﷺ ثم أنزل الله ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ أي لا يفتن مؤمن عن دينه، ويكون الدين لله أي حتى يعبدوا الله لا يعبدوا معه غيره.

---

(١) انظر زاد المعاد ٣/ ٦٩ ـ ٧٠.

(٢) رواه الترمذي برقم ٣١٧٠ وأحمد ١/ ٢١٦ والحاكم في المستدرك ٢/ ٦٦ وصححه وقال على شرطهما ووافقه الذهبي.

فرض الجهاد في سبيل الله

وقد قالت طائفة: إن هذا الإذن كان بمكة والسورة مكية، وهذا غلط لوجوه: أحدها أن الله لم يأذن بمكة لهم في القتال، ولا كان لهم شوكة يتمكنون بها من القتال بمكة. الثاني أن سياق الآية يدل على أن الإذن بعد الهجرة وإخراجهم من ديارهم، فإنه قال ﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ ﴾. الثالث أنه خاطبهم في آخرها بقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ والخطاب بذلك كله مدني، وأما الخطاب بيا أيها الناس فمشترك[1].

ثم فرض عليهم القتال ـ بعد ذلك ـ لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم فقال ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ ﴾، ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة، وكان القتال محرماً، ثم مأذوناً فيه، ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال، ثم مأموراً به لجميع المشركين، إما فرض عين على أحد القولين أو فرض كفاية على المشهور، والتحقيق أن جنس الجهاد فرض عين إما بالقلب وإما باللسان وإما بالمال وإما باليد، فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع الأربعة. أما الجهاد بالنفس ففرض كفاية، وأما الجهاد بالمال ففي وجوبه قولان والصحيح وجوبه لأن الأمر بالجهاد به وبالنفس في القرآن سواء[2].

فصل
[من هديه ﷺ في القتال]

وكان ﷺ يستحب القتال أول النهار[3] كما يستحب الخروج للسفر أوله، فإذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل

(١) انظر زاد المعاد ٣/ ٧٠ ـ ٧١.
(٢) زاد المعاد ٣/ ٧٢.
(٣) روى البخاري في حديث النعمان بن مقرن قوله (ولكني شهدت القتال مع رسول الله ﷺ كان إذا لم يقاتل في أول النهار انتظر حتى تهب الأرواح وتحضر الصلوات. . .) وروى أبو داود برقم ٢٦٠٦ والترمذي برقم ٢٢١٢ قوله ﷺ (بورك لأمتي في بكورها وكان إذا بعث سرية أو جيشاً بعثهم من أول النهار) وهو حديث صحيح بشواهده.

النصر[١]، وكان يبايع أصحابه في الحرب على أن لا يفروا، وربما بايعهم على الموت، وبايعهم على الجهاد كما بايعهم على الإسلام، وبايعهم على الهجرة قبل الفتح، وبايعهم على التوحيد والتزام طاعة الله ورسوله، وبايع نفراً من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئاً، وكان السوط يسقط من يد أحدهم فينزل فيأخذه. ولا يقول لأحد ناولني إياه[٢]. وكان يشاور أصحابه في الجهاد ولقاء العدو أو تخير المنازل، وفي المسند[٣] عن أبي هريرة: ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ. وكان يتخلف في ساقتهم في المسير فيزجي الضعيف ويردف المنقطع، وكان أرفق الناس بهم في السير[٤]. وكان إذا أراد غزوة ورّى بغيرها[٥]، وكان يقول «الحرب خدعة»[٦]، وكان يبعث العيون يأتونه بخبر عدوه، ويطلع الطلائع ويُبيّت الحرس[٧]. وكان إذا لقي عدوه وقف ودعا واستنصر وأكثر هو وأصحابه من ذكر الله، وخفضوا أصواتهم[٨]. وكان يرتب الجيش والمقاتلة ويجعل في كل جنبة كفؤاً وكان يبارز بين يديه بأمره، وكان يلبس للحرب عدة، وربما ظاهر بين درعين[٩]، وكان له الألوية، وكان إذا ظهر على قوم أقام بعرصتهم ثلاثاً ثم

---

(١) لما روى أبو داود برقم ٢٦٥٥ من حديث النعمان به مقرن شهدت مع رسول الله ﷺ إذا لم يقاتل من أول النهار وأخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر. وهو حديث صحيح.

(٢) رواه مسلم برقم ١٠٤٣ وأبو داود برقم ١٦٤٢.

(٣) ذكره الترمذي بدون إسناد بصيغة التمريض وينسب إلى أحمد والشافعي، وابن القيم نسبه للحاكم في المستدرك وذكره الحافظ في الفتح وقال إسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع، وأما استشارته ﷺ لأصحابه فهي لا تحصى انظر إرواء الغليل ٥/ ٤٤.

(٤) رواه أبو داود برقم ٢٦٣٩ بسند رجاله ثقات.

(٥) كما ذكر كعب في حديثه الطويل رواه البخاري برقم ١٩٤٨ ومسلم ٢٧٦٩.

(٦) رواه البخاري برقم ٣٠٢٩ ومسلم برقم ١٧٣٩.

(٧) كما في صحيح مسلم برقم ١٩٠١ وأبي داود برقم ٢٥٠١، ٢٦١٨.

(٨) انظر مسلم برقم ١٧٦٣. وأبي داود برقم ٢٦٥٦، ٢٦٥٧.

(٩) كما في يوم أحد، رواه أبو داود برقم ٢٥٩٠ وابن ماجه برقم ٢٨٠٦ وأحمد ٣/ ٤٤٩.

قفل[1]. وكان ربما يبيت عدوه وربما فاجأهم نهاراً[2]، وكان يحب الخروج بكرة يوم الخميس[3]، وكان يستحب للرجل أن يقاتل تحت راية قومه، وكان إذا لقي العدو يقول: «اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وزلزلهم[4]. اللهم أنزل نصرك، اللهم أنت عضدي ونصيري، بك أقاتل»[5] وكان إذا اشتد البأس وحمي الحرب وقصده العدو يعلم بنفسه ويقول «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»[6]، وكان البأس إذا اشتد اتقوا به، وكان أقربهم إلى العدو[7]، وكان يجعل لأصحابه شعاراً في الحرب يعرفونه به إذا تكلموا، وكان يحب الخيلاء في الحرب وقال: إن منها ما يحب الله، ومنها ما يبغضه الله. فأما الخيلاء التي يحبها فاختيال الرجل نفسه عند اللقاء واختياله عند الصدقة، وأما التي يبغض الله فاختياله في البغي والفخر[8]، وقاتل مرة بالمنجنيق نصبه على أهل الطائف[9]. وكان ينهى عن قتل النساء والولدان[10]، وكان ينظر في المقاتلة فمن رآه أنبت قتله ومن لم ينبت استحياه[11]. وكان إذا بعث سرية يوصيهم بتقوى الله ويقول: سيروا بسم الله، قاتلوا من كفر بالله، ولا تمثلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليداً[12]. وكان ينهى عن السفر بالقرآن إلى أرض العدو[13]. وكان يأمر أمير سريته أن يدعو عدوه قبل القتال إما إلى

---

(١) رواه البخاري برقم ٣٠٦٥ وأبو داود برقم ٢٦٩٥.
(٢) رواه البخاري برقم ٢٩٤٥ ومسلم برقم ١٧٣٠.
(٣) رواه البخاري برقم ٢٩٥٠ من حديث كعب بن مالك.
(٤) رواه البخاري برقم ٤١١٥ ومسلم برقم ١٧٤٢.
(٥) رواه أبو داود برقم ٢٦٣٢ والترمذي برقم ٣٥٧٨.
(٦) رواه البخاري برقم ٤٣١٦/٤٣١٧ ومسلم برقم ١٧٧٦.
(٧) رواه مسلم برقم ١٧٧٦.
(٨) رواه أبو داود برقم ٢٦٥٩ والنسائي ٥/٧٨.
(٩) رواه مسلم برقم ١٠٥٩.
(١٠) رواه البخاري برقم ٣٠١٤ ـ ٣٠١٥ ومسلم برقم ١٧٤٤.
(١١) كما في بني قريظة رواه أبو داود برقم ٤٤٠٤ والترمذي برقم ١٥٨٤ وابن ماجه برقم ٢٥٤١.
(١٢) رواه مسلم برقم ١٧٣١ وأبو داود برقم ٢٦١٣ والترمذي برقم ١٦١٧.
(١٣) رواه البخاري برقم ٢٩٩٠.

الإسلام والهجرة، أو الإسلام دون الهجرة ويكونوا كأعراب المسلمين ليس لهم في الفيء نصيب، أو بذل الجزية. فإن أجابوا إليه قبل منهم، وإلا استعان بالله وقاتلهم[1]. وكان إذا ظفر بعدوّه أمر منادياً فجمع الغنائم كلها، فبدأ بالأسلاب فأعطاها لأهلها، ثم أخرج خمس الباقي فوضعه حيث أراه الله وأمر به من مصالح المسلمين، ثم يرضخ من الباقي لمن لا سهم له من النساء والصبيان والعبيد، ثم قسم الباقي بالسوية بين الجيش: للفارس ثلاثة أسهم له سهم وسهمان لفرسه، وللراجل سهم. هذا هو الصحيح الثابت عنه[2] وكان ينفل من صلب الغنيمة بحسب ما يراه من المصلحة، وقيل: بل كان النفل من الخمس، وقيل ـ وهو أضعف الأقوال ـ بل كان من خمس الخمس، وجمع لسلمة بن الأكوع في بعض مغازيه بين سهم الراجل والفارس فأعطاه خمس أسهم لعظم غنائه في تلك الغزوة[3]. وكان يسوي بين الضعيف وغيره في القسمة ما عدا النفل[4]. وكان إذا أغار في أرض العدو أو بعث سرية بين يديه فما غنمه أخرج خمسه ونفلها ربع الباقي وقسم الباقي بينهم وبين سائر الجيش، وإذا رجع فعل ذلك ونفلها الثلث[5]. ومع ذلك كان يكره النفل ويقول: ليردّ قويُّ المؤمنين على ضعيفهم[6]. وكان له سهم من الغنيمة يدعى «الصفى» إن شاء عبداً وإن شاء فرساً يختاره قبل الخمس[7]، وقالت عائشة: وكانت صفية من الصفى، رواه أبو داود[8]. وكان سيفه ذو الفقار من الصفى. وكان يسهم لمن غاب

---

(١) تدرجاً بهم وعدم الزام بهم وهذا يرد ما يردده أعداء الإسلام أن السيف أجبر الكثير في دخول الإسلام».

(٢) انظر البخاري برقم ٢٨٦٣ ومسلم برقم ١٧٦٢.

(٣) رواه مسلم برقم ١٨٠٧.

(٤) رواه أبو داود برقم ٢٧٣٩.

(٥) رواه أبو داود برقم ٢٧٥٠ من حديث حبيب بن مسلمة.

(٦) رواه أحمد ٥/ ٣٢٣ وهو ضعيف.

(٧) رواه أبو داود برقم ٢٩٩١ من حديث الشعبي وهو مرسل قاله المنذري.

(٨) رواه أبو داود برقم ٢٩٩٤ وسنده قوي وثبوت سهم الصفى له عليه الصلاة والسلام يؤخذ من هذا الحديث وغيره.

لمصلحة المسلمين. وكانوا يستأجرون الأجير للغزو على نوعين: أحدهما أن يخرج الرجل ويستأجر من يخدمه في سفره، والثاني أن يستأجر من ماله من يخرج للجهاد، ويسمون ذلك الجعائل، وفيها قال النبي ﷺ «للغازي أجره، وللجاعل أجره وأجر الغازي»[(١)]. وكانوا يتشاركون في الغنيمة على نوعين أيضاً: أحدهما شركة الأبدان، والثاني أن يدفع الرجل إلى الرجل بعيره أو فرسه يغزو عليها على النصف مما غنم، حتى ربما اقتسما السهم فأصاب أحدهما قدحه والآخر نصله وريشه وقال ابن مسعود: اشتركت أنا وعمار وسعد فيما نصيب يوم بدر، فجاء سعد بأسيرين ولم أجيء أنا وعمار بشيء[(٢)]. وكان يبعث السرية فرساناً تارة ورجالاً أخرى، وكان لا يسهم لمن قدم من المدد بعد الفتح[(٣)] وكان المسلمون يصيبون في مغازيهم العسل والعنب والطعام فيأكلونه ولا يرفعونه في المغانم. قال ابن عمر: إن جيشاً غنموا في زمن رسول الله ﷺ طعاماً وعسلاً فلم يؤخذ منهم الخمس. رواه أبو داود[(٤)(٥)].

فصل

نهيه عن النهب والغلول من الغنائم

وكان ينهي في مغازيه عن النهبى والمثلة وقال «من انتهب نهبة فليس منا»[(٦)]، وأمر بالقدور التي طبخت من النهب فأكفئت. وروى البخاري[(٧)] في صحيحه في باب ما يكره من ذبح الإبل والغنم في المغانم عن رافع قال: كنا مع النبي ﷺ بذي الحليفة فأصاب الناس جوع وأصبنا إبلا وغنما ـ وكان النبي ﷺ في أخريات الناس ـ فعجلوا فنصبوا القدور، فأمر بالقدور فأكفئت.. الحديث. وذكر أبو

---

(١) رواه أبو داود برقم ٢٥٢٦ وأحمد ٢/ ١٧٤ وهو صحيح.
(٢) رواه أبو داود برقم ٣٣٨٨ وابن ماجه برقم ٢٢٨٨.
(٣) كما في حديث أبي هريرة مع أبان بن سعيد بن العاص. كما رواه البخاري معلقاً برقم ٤٢٣٨ ووصله أبو داود ٢٧٢٣.
(٤) رواه البخاري برقم ٣١٥٣ وأبو داود برقم ٢٧٠١.
(٥) انظر هذا الفصل بتمامه في زاد المعاد ٣/ ٨٩ ـ ٩٥ ـ ١٠٤.
(٦) رواه الترمذي برقم ١٦٠١ وأحمد ٣/ ١٤٠ من حديث أنس.
(٧) رواه البخاري برقم ٣٠٧٥.

داود[1] عن رجل من الأنصار قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فأصاب الناس مجاعة شديدة وجهد، وأصابوا أغناماً فانتهبوها وإن قدورنا لتغلي إذ جاء رسول الله يمشي على قوسه فأكفأ قدورنا بقوسه، ثم جعل يرمل اللحم بالتراب ثم قال «إن النهبة ليست بأحل من الميتة، وإن الميتة ليست بأحل من النهبة». وكان يشدد في الغلول جداً ويقول «عار، ونار، وشنار على أهله يوم القيامة»[2]. ولما أصيب غلامه مدعم قال بعض الصحابة: هنيئاً له بالجنة. قال «كلا والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم من المقاسم لتشتعل عليه ناراً» فلما سمع ذلك المسلمون جاء رجل بشراك أو شراكين، فقال النبي ﷺ «شراك أو شراكان من نار»[3] وكان إذا أصاب غنيمة أمر بلالاً فنادى في الناس فيجيئون مغانمهم، فيخمسها ويقسمها. فجاء رجل بعد ذلك بزمام من شعر، فقال: ما منعك أن تجيء به؟ فاعتذر، فقال: كن أنت تجيء به يوم القيامة فلن أقبله عنك[4]. وأمر بتحريق متاع الغالّ وضربه وأحرقه الخليفتان الراشدان بعده، فقيل هذا منسوخ بسائر الأحاديث التي ذكرت فإنه لم يجئ التحريق بشيء منها، وقيل وهو الصواب: إن هذا من باب التعزير وهو العقوبات المالية الراجعة إلى اجتهاد الأئمة بحسب المصلحة، فإنه حرق وترك، وكذلك من بعده. وكان هديه في الأسارى أنه كان يمن على بعضهم ويقتل بعضهم ويفادي بعضهم بالمال وبعضهم بأسرى المسلمين، وقد فعل ذلك كله بحسب المصلحة[5].

---

(١) رواه أبو داود برقم ٢٧٠٥ وابن ماجه برقم ٣٩٣٨ وهو صحيح.

(٢) رواه النسائي ٦/ ٢٦٢ وابن ماجه برقم ٢٨٥٠ وهو حديث صحيح بشواهده.

(٣) رواه البخاري برقم ٤٢٣٤ ومسلم برقم ١١٥.

(٤) رواه أبو داود برقم ٢٧١٣ وأحمد ٢/ ٢١٣.

(٥) انظر هذا الفصل بتمامه ملخصاً من زاد المعاد ٣/ ١٠٥ ـ ١٠٩.

فصل
[عداوة اليهود]

قبائل اليهود

قال ابن إسحاق[1]: ونصبت أحبار يهود العداوة لرسول الله ﷺ بغياً وحسداً وضغناً لما خص الله به العرب من أخذه رسوله منهم، قلت: وقد ذكر غيره أن رسول الله ﷺ قد كان وادعهم وكتب بينه وبينهم كتاباً، وكانوا ثلاث قبائل: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة. فحاربته الثلاث، فمنّ على بني قينقاع، وأجلى بني النضير، وقتل بني قريظة وسبى ذريتهم ونساءهم. ونزلت سورة الحشر في بني النضير، وسورة الأحزاب في بني قريظة، وبادر حبرهم وعالمهم وسيدهم وابن سيدهم عبد الله بن سلام فدخل في الإسلام كما تقدم، وكان من بني قينقاع، وأبى عامتهم إلا الكفر والعناد[2].

قال ابن إسحاق[3]: وظاهرهم رجال من الأوس والخزرج ممن كان على جاهليته فكانوا أهل نفاق وعلى دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث، إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره واجتماع قومهم عليه، فظهروا بالإسلام، واتخذوه جُنّة من القتل. وكان هواهم مع يهود لتكذيبهم النبي ﷺ، وكانت أحبار يهود هم الذين يسألون رسول الله. ويتعنتونه ويأتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل، فكان القرآن ينزل عليه فيما يسألونه، إلا قليلاً من المسائل في الحلال والحرام كان المسلمون يسألونه عنها. منهم: حُيي بن أخطب وأخوه ياسر بن أخطب وجُدَيّ بن أخطب وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع بن أبي الحُقيق وسلام بن أبي الحقيق أبو رافع الأعور ـ وهو الذي قتله أصحاب رسول الله ﷺ بخيبر ـ والربيع بن الربيع بن أبي الحُقيق وعمرو بن جحاش وكعب بن الأشرف ـ وهو من طيء ثم أخو بني نبهان ـ وأمه من بني النضير. . وعبد الله بن صوريا الأعور ولم يكن في زمانه بالحجاز أعلم

أسئلة اليهود

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ١٥٥.

(٢) زاد المعاد ٣/ ٦٥.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ١٥٥.

منه بالتوراة، وابن صلويا، ومخيريق وكان خيرهم وكان حبراً عالماً وكان غنياً كثير الأموال وكان يعرف رسول الله ﷺ بصفته وما يجد في علمه، وغلب عليه إلف دينه فلم يزل على ذلك حتى إذا كان يوم أحد وكان يوم السبت قال: يا معشر اليهود، والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق. قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال: لا سبت لكم. ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ وأصحابه بأحد، وعهد إلى من وراءه من قومه إن قتلت في هذا اليوم فأموالي لمحمد يصنع فيها ما أراه الله. فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل، فكان رسول الله ﷺ فيما بلغني يقول: مخيريق خير يهود. وقبض رسول الله ﷺ أمواله فعامة صدقات رسول الله ﷺ بالمدينة منها[١].

وحدثني عبد الله بن أبي بكر قال: حدثت عن صفية بنت حُيي أنها قالت: كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، ولم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه. قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل قباء في بني عمرو بن عوف غدا عليه أبي حُيي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين. قالت: فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس. قالت: فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينا. قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إليّ واحد منهما مع ما بهما من الغم. وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي: أهو، أهُو؟ قال: نعم والله. قال: تعرفه وتثبته؟ قال نعم. قال: فما في نفسك؟ قال عداوته والله ما بقيت[٢].

النفاق والمنافقون

قال ابن إسحاق[٣]: وكان ممن يسمى لنا من المنافقين من الأوس والخزرج زُوَيُّ بن الحارث والحارث بن سويد بن الصامت. قال ابن حزم[٤]: قتله رسول الله ﷺ قوداً. وكان أخوه خلاد بن سويد من فضلاء المسلمين وكانت لأخيهما الجلاس بن سويد نزعة ثم لم يُرَ منه إلا خير وصلاح وإسلام إلى أن مات. قلت: يريد ما ذكره ابن اسحاق أنه قال: لئن كان ما يقول محمد حقاً لنحن شر من الحمير.

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ١٥٩ وانظر عيون الأثر ١/ ٢٠٨.

(٢) رواه ابن إسحاق ـ ابن هشام في السيرة ٢/ ١٦٠ وسنده منقطع.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ١٦٠.

(٤) جوامع السيرة ٧٨.

فأنزل الله فيه ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ﴾. قال ابن إسحاق: فزعموا أنه تاب فحسنت توبته. ونبتل بن الحارث وهو الذي قال له رسول الله ﷺ «من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث»[1] وكان رجلاً جسيماً أذلم[2] ثائر الرأس أحمر العينين أسفع، ونجاد بن عثمان بن عامر وأبو حبيبة بن الأزعر وهو أحد أصحاب مسجد الضرار، وعباد بن حنيف وكان أخوه سهل من خيار المسلمين، وبحزَج وهو ممن بنى مسجد الضرار، وعمرو بن خذام وعبد الله بن نبتل وجارية بن عامر بن العطاف. قال ابن حزم[3]. وقد ذكر ابناه زيد ومجمّع ولم يصح عن مجمع إلا الخير والقرآن والإسلام، لكنه كان أبوه قدمه ليصلي بهم في مسجد الضرار، وذكر ابن إسحاق أنه قال لعمر: والله يا أمير المؤمنين ما علمت بشيء من أمرهم. ووديعة بن ثابت وهو ممن بنى مسجد الضرار. قال وهو الذي قال: إنما كنا نخوض ونلعب. وخذام بن خالد وهو الذي أخرج مسجد الضرار من داره، وبشر ورافع ابنا زيد ومربع بن قيظي وحاطب بن أمية بن رافع وكان له ابن من خيار المسلمين يقال له زيد بن حاطب. وقزمان حليف لهم فقاتل يوم أحد قتالاً شديداً فأخبر النبي ﷺ فقال: هو من أهل النار، فعجب الناس من ذلك، فلما اشتد به الأمر قتل نفسه[4].

قال ابن إسحاق: ولم يكن في بني عبد الأشهل منافق ولا منافقة، إلا أن الضحاك بن ثابت كان يتهم بذلك. ومن الخزرج ثم من بني النجار رافع بن وديعة وزيد بن عمرو وعمرو بن قيس وقيس بن عمرو. ومن بني سلمة الجد بن قيس وهو الذي قال: يا محمد ائذن لي ولا تفتني. ومن بني عوف بن الخزرج عبد الله بن أبي بن سلول، وكان رأس المنافقين وإليه يجتمعون، وكان ابنه عبد الله من صلحاء المسلمين. وكان قوم من اليهود يتعوذون بالإسلام وهم يبطنون الكفر، منهم

---

(١) انظر أنساب الإشراف ١/ ٢٧٥ وسيرة ابن هشام ٢/ ١٦٢.
(٢) الأذلم المسترخي الشفتين.
(٣) جوامع السيرة ٧٨.
(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ١٦٠ ـ ١٦٦.

سعد بن حنيف وزيد بن اللصيت ونعمان بن أوفى وعثمان بن أوفى، ورافع بن حريملة وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ فيما بلغنا حين مات: قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين، ورفاعة بن زيد بن التابوت وسلسلة بن برهام وكنانة بن صوريا. وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين ويسخرون منهم ويستهزئون بدينهم، ففي هؤلاء من المنافقين مِن أحبار يهود، ومن الأوس والخزرج ـ نزل صدر سورة البقرة فيما بلغني[1].

حقد اليهود على المسلمين

وكان فيما بلغني عن عكرمة مولى ابن عباس أن يهود كانوا يستفتحون به على الأوس والخزرج قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور أخو بني سلمة: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك وتخبروننا أنه مبعوث وتصفونه لنا بصفته. فقال سلام بن مشكم أحد بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي نذكره لكم. فأنزل الله في ذلك ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ وقال ابن صلوبا لرسول الله ﷺ: يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية بينة فنتبعك لها. فأنزل الله في ذلك من قوله ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ وقال رافع بن حريملة ووهب بن زيد: يا محمد ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرأه، وفجر لنا أنهاراً نتبعك ونصدقك، فأنزل الله في ذلك من قولهما ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ ﴾ الآية. وكان حيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب أشد يهود حسداً للعرب، إذ خصهم الله برسوله ﷺ، فكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام بما استطاعا، فأنزل الله تعالى ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ ﴾ الآية[2].

قال ابن إسحاق: ودعا رسول الله ﷺ اليهود من أهل الكتاب إلى الإسلام

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/١٦٦ ـ ١٦٨.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/١٨٩ ـ ١٩٠.

ورغبهم فيه وحذرهم عذاب الله ونقمته، فقال له رافع بن خارجة ومالك بن عوف: بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا، فهم كانوا أعلم منا وخيراً منا، فأنزل الله في ذلك ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾[1].

اليهود تثير الفتن بين المسلمين

قال ابن إسحاق[2]: ومرّ شاس بن قيس وكان شيخاً قد عسا[3] عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من إلفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة في هذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملأهم بها من قرار. فأمر فتى شاباً من يهود كان معه فقال: اعمد إليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، وكان يوم بعاث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج، فكان الظفر فيه للأوس على الخزرج، وكان على الأوس يومئذ حضير بن سماك أبو أسيد بن حضير، وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي فقتلا جميعاً. قلت: وفي الصحيح[4] عن عائشة قالت: وكان يوم بعاث يوماً قدمه الله لرسوله، فقدم رسول الله ﷺ المدينة وقد افترق ملأهم وقتلت سراتهم في دخولهم في الإسلام. قال ابن إسحاق: ففعل الفتى، فتكلم القوم عند ذلك وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب ـ أوس بن قيظي أحد بني حارثة بن الحارث ابن الأوس، وجابر بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج ـ فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم رددناها جذعة، فغضب الفريقان جميعاً وقالوا: قد فعلنا، موعدكم الظاهرة. والظاهرة الحرة. السلاح، السلاح. فخرجوا إليها، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم فقال: يا معشر المسلمين، الله الله، أبدعوى

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ١٩٣.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ١٩٦ ـ ١٩٧ ـ ١٩٨.

(٣) عسا الشيخ: كبر.

(٤) رواه البخاري برقم ٣٧٧٧ وأحمد ٦/ ٦١.

الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بين قلوبكم؟ فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم، فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، وقد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله.

فأنزل الله في شاس بن قيس وما صنع ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ الآية.

وأنزل الله في أوس بن قيظي وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ الآيات، إلى قوله ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ والآيات بعدها.

أبو عامر الفاسق

قال ابن إسحاق[1]: فقدم رسول الله ﷺ المدينة كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة وسيد أهلها عبد الله بن أبي لا يختلف عليه في شرفه من قومه اثنان، لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين حتى جاء الإسلام غيره، ومعه في الأوس رجل هو في قومه من الأوس شريف مطاع أبو عامر عبد بن عمرو بن صيفي بن النعمان وهو أبو حنظلة الغسيل يوم أحد، وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وكان يقال له الراهب، فقال رسول الله ﷺ لا تقولوا الراهب، ولكن قولوا الفاسق. كما حدثني محمد بن أبي أمامة عن بعض آل حنظلة بن أبي عامر، فشقيا بشرفهما وضرهما، وكان قوم عبد الله قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم، فجاءهم الله برسوله وهم على ذلك، فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام ضغن ورأى أن رسول الله ﷺ قد استلبه ملكاً. فلما رأى قومه قد أبوا إلا الإسلام دخل كارهاً مصراً على نفاقه وضغنه.

وأما أبو عامر فأبى إلا الكفر والفراق لقومه حين اجتمعوا على الإسلام، فخرج إلى مكة ببضعة عشر رجلاً، وكان أبو عامر أتى رسول الله ﷺ حين قدم المدينة قبل أن يخرج إلى مكة فقال: ما هذا الدين الذي جئت به؟ قال: جئت بالحنيفية دين

(١) سيرة ابن هشام ٢/٢٢٦ ـ ٢٢٩.

إبراهيم. قال: فأنا عليها. فقال له رسول الله ﷺ: إنك لست عليها. قال بلى، إنك أدخلت يا محمد في الحنيفية ما ليس منها. قال ما فعلتُ، ولكني جئت بها بيضاء نقية. قال: الكاذب أماته الله طريداً غريباً وحيداً. يعرِّض برسول الله ﷺ، أي إنك جئت بها كذلك، فقال رسول الله ﷺ: أجل فمن كذب يفعل الله به ذلك. فكان هو ذلك عدو الله، خرج إلى مكة، فلما فتحت خرج إلى الطائف، فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام فمات بها.

عبد الله بن أبيّ رأس المنافقين

وأما عبد الله بن أبيّ فأقام على شبهة في قومه متردداً حتى غلبه الإسلام فدخل فيه كارهاً.

قال: ابن إسحاق: فحدثني محمد بن مسلم الزهري عن عروة بن الزبير عن أسامة بن زيد قال: ركب رسول الله ﷺ إلى سعد بن عبادة يعوده من شكوى أصابته ـ على حمار عليه إكاف فوقه قطيفة فدكية مختطمة بحبل من ليف ـ وأردفني رسول الله خلفه، قال فمر بعبد الله بن أبي وهو في ظل «مزاحم» أطمه، وحوله رجال من قومه، فلما رآه رسول الله ﷺ تذمم من أن يجاوزه حتى ينزل، فنزل فسلم، ثم جلس فتلا القرآن ودعا إلى الله وذكر بالله وحذر وبشّر وأنذر، قال وهو زام لا يتكلم، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من مقالته قال: يا هذا إنه لا أحسن من حديثك هذا إن كان حقاً، فاجلس في بيتك فمن جاءك فحدثه إياه، ومن لم يأتك فلا تغشه به ولا تأته في مجلسه بما يكره. قال فقال عبد الله بن رواحة في رجال كانوا عنده من المسلمين: بلى فاغشنا به وائتنا في مجالسنا ودورنا، فهو والله مما نحب، ومما أكرمنا الله به وهدانا له. فقال عبد الله حين رأى من خلاف قومه ما رأى:

متى ما يكن مولاك خصمك لا تزل تذل ويصرعك الذين تصارع
وهل ينهض البازي بغير جناحه وإن جذ يوماً ريشه فهو واقع

قال ابن هشام: البيت الثاني عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق في حديثه عن الزهري عن عروة عن أسامة قال: وقام رسول الله ﷺ فدخل على سعد بن عبادة وفي وجهه ما قال عبد الله بن أبي عدو الله، قال: والله يا رسول إني لأرى في وجهك شيئاً كأنك سمعت شيئاً تكرهه. قال:

أجل، ثم أخبره بما قال ابن أبيّ فقال سعد: يا رسول الله ارفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك وإنا لننظم له الخرز لنتوجه، فإنه ليرى أن قد سلبته ملكاً[1].

قلت: وأخرجه[2] البخاري في صحيحه بنحوه: أخبرنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرنا عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد أخبره.. فذكر الحديث أبسط من رواية ابن إسحاق، وفيه: وأردف أسامة بن زيد وراءه. وفيه: وذلك قبل وقعة بدر، وقبل أن يسلم عبد الله. وفيه: وإذا في المجلس أخلاط من المسلمين، والمشركين عبدة الأوثان، واليهود. وفيه: فلما غشيت القوم عجاجة الدابة خمّر عبد الله بن أبيّ أنفه بردائه وقال: لا تغبروا علينا. وفيه: فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا. وفيه قال سعد بن عبادة: اعف عنه واصفح، فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يتوجوه فيعضبونه بالعصابة، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك شرق بذلك، فذلك الذي فعل به ما رأيت. فعفا عنه رسول الله ﷺ. وكان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله، ويصبرون على الأذى. قال الله عز وجل ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا ﴾ إلى قوله ﴿ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ وكان النبي ﷺ يتأول في العفو ما أمره الله حتى أذن الله فيهم[3]، فلما غزا رسول الله ﷺ بدراً فقتل الله صناديد كفار قريش قال ابن أبيّ ومن معه من المشركين عبدة الأوثان: هذا أمر قد توجه. فبايعوا رسول الله ﷺ وأسلموا.

---

(١) انتهى من سيرة ابن هشام ٢٢٩.

(٢) رواه البخاري برقم ٤٥٦٦ ومسلم برقم ١٧٩٨.

(٣) قال العلامة الألباني في تعليقه على فقه السيرة ٢٥٦ حديث صحيح رواه ابن أبي حاتم في تفسيره وإسناده صحيح كما قال الحافظ في التفسير.

فصل

[مرض بعض الصحابة عند قدومهم المدينة]

قال ابن إسحاق: وحدثني هشام بن عروة وعمر بن عبد الله بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير عن عائشة قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى، فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم. قالت: فصرف الله ذلك عن نبيه. قالت: فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال موليا أبي بكر مع أبي بكر في بيت واحد فأصابتهم الحمى، فدخلت عليهم أعودهم، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوعك، فدنوت من أبي بكر فقلت له: كيف تجدك يا أبت؟ فقال:

كل امريء مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

قالت فقلت: والله ما يدري أبي ما يقول:

قالت: ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة فقلت: كيف تجدك يا عامر؟ فقال:

لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه

كل امريء مجاهد بطوقه كالثور يحمي جلده بروقه

قالت فقلت: والله ما يدري عامر ما يقول.

قالت: وكان بلال إذا تركته الحمى اضطجع بفناء البيت، ثم رفع عقيرته فقال:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بفخ وحولي إذخر وجليل

وهل أرِدَنْ يوماً حياض مجنّة وهل يبدوَن لي شامة وطفيل

قالت عائشة: فذكرت لرسول الله ﷺ ما سمعت منهم فقلت: إنهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى، قال فقال رسول الله ﷺ «اللهم حبِّب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشد، وبارك لنا في مدّها وصاعها، وانقل وباءها إلى مهيعة» ومهيعة الجحفة[1].

---

(١) رواه البخاري برقم ٣٩٢٦، ورقم ١٨٨٩ ومسلم برقم ١٣٧٦ وانظر البخاري برقم ١٨٨٩.

فصل

[بدء القتال]

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة صار الكفار ثلاثة أقسام: قسم صالحهم على أن لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه، وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة، وقسم تاركوه فلم يصالحوه ولم يحاربوه، بل انتظروا ما يؤول إليه أمره. ومن هؤلاء من كان يحب ظهوره وانتصاره في الباطن.

[غزوة ودّان «الأبواء»]

قال ابن إسحاق[1]: ثم إن رسول الله ﷺ تهيأ لحربه، وقام فيما أمره الله به من جهاد عدوهم وقتال من أمره الله به ممن يليه من المشركين، مشركي العرب. فأقام بعد قدومه المدينة بقية شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر والجماديين ورجباً وشعبان ورمضان وشوالا وذا القعدة وذا الحجة والمحرم، ثم خرج غازياً على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة في صفر، واستعمل على المدينة سعد بن عبادة حتى بلغ ودان ـ وهي غزوة الأبواء ـ يريد قريشاً وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فوادع فيها بني ضمرة وعقد ذلك معه سيد بني ضمرة مخشى بن عمرو الضمري وكان سيدهم في زمانه ذلك، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيداً، فأقام بها بقية صفر وصدراً من ربيع الأول. وهي أول غزوة غزاها بنفسه. وذكر البخاري[2] في صحيحه عن أبي إسحاق أولها الأبواء، وليس بينهما اختلاف لأن الأبواء أو ودان مكانان متقاربان.

[سرية عبيدة بن الحارث]

فلما انصرف رسول الله ﷺ بعث عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف في ستين أو ثمانين راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد، فسار حتى بلغ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢٣١ ـ ٢٣٣.

(٢) البخاري كتاب المغازي باب غزوة العشيرة أوالعسيرة (٣٩٤٩).

ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة، فلقي بها جمعاً عظيماً من قريش فلم يكن بينهم قتال، إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذ بسهم فكان أول سهم رمى به في سبيل الله، وفر يومئذ من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهراني حليف بني زهرة وعتبة بن غزوان بن جابر المازني وكانا قديمي الإسلام إلا أنهما لم يتمكنا من الوصول إلى المسلمين إلا يومئذ.

قال ابن إسحاق: وكانت راية عبيدة أول راية عقدها رسول الله ﷺ في الإسلام[1].

[سرية حمزة رضي الله عنه]

وبعث عليه الصلاة والسلام في مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر من ناحية العيص في ثلاثين راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد، فلقي أبا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاثمائة راكب من أهل مكة، فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني، وكان موادعاً للفريقين جميعاً، فانصرف القوم بعضهم عن بعض[2].

قال ابن إسحاق[3]: وبعض الناس يقول كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله ﷺ في الإسلام[4]، وذلك أن بعثه وبعث عبيدة كانا معاً فشبه ذلك على الناس، قلت: وقدم صاحب الهدي[5] بعث حمزة وعبيدة. وبعث سعد بن أبي وقاص على غزوة الأبواء. والله أعلم.

---

(١) انظر خبر السرية في سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٤ والطبقات الكبرى ٢/ ٧ والمغازي للواقدي ١/ ٢٠ وتاريخ الإسلام (المغازي ٤٦) والسيرة لابن كثير ٢/ ٣٣٨.

(٢) انظر خبر السرية في سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٧ وتاريخ الطبري ٢/ ٤٠٤ والسيرة لابن كثير ٢/ ٢٥٩ وتاريخ الإسلام (المغازي ٤٥).

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٨.

(٤) كما نقله البيهقي في الدلائل ٣/ ١٠ عن المدائني.

(٥) انظر زاد المعاد ٣/ ١٦٣.

غزوة بُواط[1]

ثم خرج رسول الله ﷺ في ربيع الآخر وهو صدر العام الثاني من مقدمه المدينة واستعمل على المدينة السائب بن مظعون يريد قريشاً حتى بلغ بواط من ناحية رضوى، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً، فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى[2].

[غزوة العشيرة]

ثم غزا غزوة العشيرة، خرج رسول الله ﷺ في جمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهراً، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، وخرج في خمسين ومائة ـ ويقال في مائتين ـ من المهاجرين ولم يكره أحد من الخزرج، وخرجوا على ثلاثين بعيراً يعتقبونها ويتعرضون عيراً لقريش ذاهبة إلى الشام، وكان قد جاءه الخبر بفصولها من مكة وفيها أموال لقريش، فبلغ العشيرة وقيل العشيراء بالمد وقيل العسيرة بالمهملة وهي من ناحية ينبع، فوجد العير قد فاتته بأيام، وهذه هي العير التي خرج في طلبها حين رجعت من الشام وهي التي وعده الله إياها، أو ذات الشوكة، ووفى له بوعده، وفيها وادع بني مدلج وحلفاءهم بني ضمرة[3].

[سرية سعد بن أبي وقاص]

وبعث رسول الله ﷺ سعد بن أبي وقاص وثمانية رهط من المهاجرين، فخرج

---

(١) بالضم جبل من جبال جهينه.

(٢) انظر في خبر الغزوة الطبقات الكبرى ٢/ ٨ وسيرة ابن هشام ٢/ ٤٠ وتاريخ الطبري ٢/ ٤٠٧ وتاريخ الإسلام (المغازي ٤٧٠) والسيرة لابن كثير ٢/ ٢٦١ وقد جاء ذكرها في حديث جابر رواه مسلم برقم ٣٠٠٩.

(٣) انظر خبر الغزوة سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٠ والطبقات الكبرى ٢/ ٩ وتاريخ الطبري ٢/ ٨. والسيرة لابن كثير ٢/ ٣٦١، وانظر صحيح البخاري برقم ٣٩٤٩ ومسلم برقم ١٢٥٤.

حتى بلغ الخرّار[1] من أرض الحجاز، فرجع ولم يلق كيداً[2].

غزوة بدر الأولى

قال ابن إسحاق فلم يقم رسول الله ﷺ بالمدينة حين قدم من غزوة العشيرة إلا ليالي قلائل لا تبلغ العشر، حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة فاستاقه، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة حتى بلغ وادياً يقال له سفوان في ناحية بدر ففاته كرز، فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق حرباً[3].

[سرية عبد الله بن جحش]

بعث عبد الله بن جحش: ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة فأقام بها جمادى الآخرة ورجباً وشعبان، وبعث عليه الصلاة والسلام في رجب المذكور عبد الله بن جحش الأسدي إلى نخلة، على رأس ستة عشر شهراً من الهجرة، في اثني عشر رجلاً من المهاجرين كل اثنين يعتقبان على بعير، فوصلوا إلى بطن نخلة يرصدون عيراً لقريش. وفي هذه السرية سمي عبد الله بن جحش أمير المؤمنين، وكان رسول الله ﷺ كتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه، فلما فتح الكتاب وجد فيه «إذا نظرت إلى كتابي هذا فامض حتى تنزل بنخلة بين مكة والطائف فترصد بها عيراً لقريش وتعلم لنا من أخبارهم» فقال: سمعاً وطاعة، وأخبر أصحابه بذلك وأنه لا يستكرههم، فمن أحب الشهادة فلينهض، ومن كره الموت فليرجع. فمضوا كلهم. فلما كان في أثناء الطريق أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما، فتخلفا في طلبه، ونفذ عبد الله ومن معه حتى نزل بنخلة، فمرت به عير لقريش تحمل زبيباً

---

(١) الخرّار موضع بالحجاز يقال هو قرب الجحفة.

(٢) انظر في خبر السرية سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٢ وتاريخ الطبري ٢/ ٤٠٦ والطبقات الكبرى ٢/ ٧.

(٣) انظر خبر الغزو سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٣ والمغازي ١/ ٢، والطبقات الكبرى ٢/ ٩ وتاريخ الإسلام (المغازي ٤٨).

وأدماً وتجارة فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان ونوفل ابنا عبد الله بن المغيرة والحكم بن كيسان مولى بني المغيرة. فتشاور المسلمون فيهم وقالوا نحن في آخر يوم من رجب الشهر الحرام، فإن قاتلناهم انتهكنا الشهر الحرام، وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم. ثم أجمعوا على ملاقاتهم، فرمى أحدهم عمرو بن الحضرمي فقتله، وأسروا عثمان والحكم، وأفلت نوفل فأعجزهم. ثم قدموا بالعير والأسيرين[1].

قال ابن إسحاق: وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أن عبد الله بن جحش قال لأصحابه: إن لرسول الله مما غنمنا الخمس، فكان ذلك أول خمس في الإسلام، وأول قتيل في الإسلام، وأول أسير في الإسلام. فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال: ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام، فوقف العير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً. فلما قال ذلك رسول الله ﷺ أسقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا، وعنفهم إخوانهم من المسلمين، واشتد تعنت قريش وإنكارهم ذلك، وزعموا أنهم وجدوا مقالاً وقالوا: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام. وتفاءلت اليهود على رسول الله بذلك فقالوا: عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله، عمرو عمرت الحرب، والحضرمي حضرت الحرب، وواقد وقدت الحرب، فجعل الله ذلك عليهم لا لهم، فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسوله

نزول آية ﴿يسألونك عن الشهر الحرام﴾

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ ﴾ يقول سبحانه وتعالى: هذا الذي أنكرتموه عليهم وإن كان كبيراً فما ارتكبتموه أنتم من الكفر والصد عن سبيله وعن بيته وإخراج المسلمين الذين هم أهله والشرك الذين أنتم عليه والفتنة التي حصلت منكم أكبر عند الله من قتالهم في الشهر الحرام وأكثر السلف فسروا الفتنة ههنا بالشرك، وفسرت بتعذيبهم المؤمنين وفتنتهم إياهم عن دينهم، والمقصود أن الله سبحانه حكم بين أوليائه وأعدائه بالعدل والإنصاف ولم يبرِّىء

(١) رواه بمعناه البيهقي في السنن ٩/١١ وابن جرير في تفسيره ٢/٣٤٩ والطبراني في المعجم الكبير ١٦٧٠ وقال البيهقي سنده صحيح وذكر الهيثمي في المجمع ٦/١٩٨ أنه رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

أولياءه من ارتكاب الإثم بالقتال في الشهر الحرام، بل أخبر أنه كبير، وأن ما عليه أعداؤه المشركون أكبر وأعظم من مجرد القتال في الشهر الحرام، فهم أحق بالذم والعقوبة والعيب.

قال ابن إسحاق: فلما نزل القرآن بذلك فرج الله عن المسلمين، وقبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين، ففادت قريش الأسيرين، فأما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن إسلامه وأقام عند رسول الله حتى قتل يوم بئر معونة، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافراً. فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طمعوا في الأجر فقالوا: يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطي فيها أجر المجاهدين؟ فأنزل الله فيهم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ ﴾ الآية فقال أبو بكر، ويقال بل عبد الله بن جحش:

تعدون قتلا في الحرام عظيمة	وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد	وكفر به، والله راء وشاهد
وإخراجكم من مسجد الله أهله	لئلا يُرى لله في البيت ساجد
فإنا وإن عيرتمونا بقتله	وأرجف بالإسلام باغ وحاسد
سقينا من ابن الحضرمي رماحنا	بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دما وابن عبد الله عثمان بيننا	ينازعه غلّ من القد عاند[1]

فصل
[تحويل القبلة]

فلما كان في شعبان من هذه السنة حولت القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة

---

(١) انظر خبر السرية سيرة ابن هشام ٢/٢٤٣ ـ ٢٤٨ والطبقات الكبرى ٢/١٠ وتاريخ الطبري ٢/٤١٠ وتاريخ الإسلام (المغازي ٤٨) والبداية والنهاية ٣/٢٤٨ ٢٥٢ وقد ذكر الحافظ ابن حجر في الاصابة ٢/٢٧٨ أن الطبراني أخرج قصة السرية باسناد متصل.

على سبعة عشر شهراً، ولم يقل أحد أكثر ولا أقل. قال ابن حزم[١]: وقد روي أن أول من صلى نحو الكعبة سعيد بن المعلى الأنصاري، سمع رسول الله ﷺ يخطب بتحويل القبلة فقام فصلى ركعتين. انتهى.

وكان ﷺ يحب أن يصرف إلى الكعبة. وقال لجبريل: وددت أن أصرف وجهي عن قبلة اليهود، فقال: إنما أنا عبد، فادع ربك وسله. فجعل يقلب وجهه في السماء يرجو ذلك، فنزل عليه ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ الآية[٢] وفي البخاري[٣] أنه ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت. وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ الآية.

الحكمة من تحويل القبلة

وفي الصحيحين[٤] عن ابن عمر قال: بينما الناس يصلون الصبح في مسجد قباء إذ جاءهم رجل فقال: إن النبي ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة، ألا فاستقبلوها. وكان وجه الناس إلى الشام فاستداروا بوجوههم إلى الكعبة[٥]، فقال بعض العلماء: وفي هذا دليل أن الناسخ لا يلزم حكمه إلا بعد العلم به، وإن تقدم نزوله، لأنهم لم يؤمروا بالإعادة. قال في الهدي[٦]: وكان في جعل القبلة إلى بيت المقدس ثم تحويلها إلى الكعبة حِكَم عظيمة ومحنة للمسلمين والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين، فأما المسلمون فقالوا: سمعنا وأطعنا، وقالوا

---

(١) جوامع السيرة ٨٤.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات ١/ ٢٤١ من طريق الواقدي.

(٣) رواه البخاري برقم (٤٠) (٤٤٨٦) ومسلم برقم ٥٢٥ والترمذي برقم ٢٩٦٢ وابن ماجه برقم ١٠١٠ وأحمد ٤/ ٧٤.

(٤) رواه البخاري برقم ٤٠٣ برقم ٣٩٩ من حديث البراء. ورواه مسلم برقم ٥٢٦.

(٥) وهذا من سرعة استجابتهم وقبولهم الحق وتسليمهم لأمر الله وأمر رسول الله ﷺ.

(٦) زاد المعاد ٣/ ٦٦.

آمنا به كل من عند ربنا، وهم الذين هدى الله ولم تكن كبيرة عليهم. وأما المشركون فقالوا: كما رجع إلى قبلتنا يوشك أن يرجع إلى ديننا، وأما اليهود فقالوا: خالف قبلة الأنبياء. وأما المنافقون فقالوا: ما يدري محمد أين يتوجه، إن كانت القبلة الأولى حقاً فقد تركها، وان كانت الثانية هي الحق فقد كان على باطل. وكثرت أقاويل السفهاء من الناس. وكانت كما قال الله ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ وكانت محنة من الله امتحن بها عباده ليرى من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، فأنزل الله جواب السفهاء ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾ أي أن الحكم والتصرف والأمر كله لله، فحيث ما وجهنا توجهنا، ولو وجهنا كل يوم مرات إلى جهات عديدة فنحن عبيده وفي تصرفه وخدامه. وأكد سبحانه الأمر بذلك مرة بعد مرة، وأمر حيث ما كان رسوله، ومن حيث خرج، وأخبر أن الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم هداهم لهذه القبلة، وأنها هي القبلة التي لهم وهم أهلها لأنهم أوسط الأمم وهي أوسط القبل وأفضلها، فاختار أفضل القبل لأفضل الأمم، كما اختار لهم أفضل الرسل وأفضل الكتب، وأخرجهم في خير القرون، وخصهم بأفضل الشرائع، ومنحهم خير الأخلاق، وأسكنهم خير الأرض، وجعل منازلهم في الجنة خير المنازل، وموقفهم في الجنة خير المواقف على تل عال والناس تحتهم فسبحان من يختص برحمته من يشاء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه أحمد[1] من حديث عائشة «إن اليهود لا يحسدوننا على شيء ما يحسدوننا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام آمين». وأخبر سبحانه أنه فعل ذلك لئلا يكون للناس عليهم حجة، ولكن الظالمين الباغين يحتجون عليهم بتلك الحجج التي ذكرت، ولا تعارض الرسل إلا بها وبأمثالها من الحجج الداحضة. وأخبر سبحانه أنه فعل ذلك ليتم نعمته عليهم وليهديهم، ثم ذكرهم نعمته عليهم بإرسال رسوله إليهم وإنزال كتابه عليهم ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمونه، ثم أمرهم بذكره وشكره، ثم أمرهم بما لا يتم لهم ذلك إلا بالاستعانة به وهو الصبر والصلاة وإنه مع الصابرين.

---

(١) رواه أحمد في المسند ٦/ ١٣٥.

فصل

[فرض الصيام وزكاة الفطر]

قال ابن سعد[1] والواقدي بأسانيدهما عن عائشة وابن عمر وأبي سعيد الخدري قالوا: نزل فرض شهر رمضان بعدما حولت القبلة بشهر في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من قدومه عليه الصلاة والسلام[2]، وزكاة الفطر قبل العيد بيومين أن يخرج عن الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والأنثى صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير أو صاعاً من زبيب أو مدين من بر. انتهى.

وقال ابن عمر: فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر على الذكر والأنثى والحر والمملوك صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير، فعدل الناس به نصف صاع من بر[3]، قال الدمياطي: وذلك قبل أن تفرض زكاة الأموال. وقيل إن الزكاة فرضت فيها، وقيل قبل الهجرة والله أعلم. ويدل عليه ما رواه أحمد والنسائي وابن ماجه[4] عن قيس بن سعد قال: أمرنا رسول الله ﷺ بصدقة الفطر قبل أن تنزل الزكاة، فلما نزلت الزكاة لم يأمرنا ولم ينهنا، ونحن نفعله. قال صاحب الفروع: وإسناده جيد[5].

غزوة بدر الكبرى[6]

وهي أكرم المشاهد، وهو يوم الفرقان الذي أعز الله فيه الإسلام وأهله ودفع

---

(١) الطبقات الكبرى ١/ ٢٤٨.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٢/ ٤١٧ وانظر الإشارة إلى سيرة المصطفى لمغلطاي ١٩٥ والمواهب اللدنية ١/ ٣٤٦.

(٣) رواه البخاري برقم ١٥٠٧.

(٤) رواه أحمد ٣/ ٤٢١ والنسائي ٥/ ٤٩ وابن ماجه برقم ١٨٢٩. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ١٤٨١ وصحيح النسائي برقم ٢٣٤٩.

(٥) الفروع لابن مفلح.

(٦) انظر في خبر الغزوة: سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٩ وما بعدها والمغازي للواقدي ١/ ١٩ ـ ١٧٢، الطبقات الكبرى ٢/ ١١ ـ ٢٧ وتاريخ الطبري ٢/ ٤٢١ ـ ٤٧٩ والدرر ١١٠ وما بعدها، وجوامع السيرة ١٠٧ وما بعدها، وسيرة ابن كثير ٢/ ٣٨٠ ـ ٥٣٨.

مكانة غزوة بدر

فيه الشرك وأهله، وهذا مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدوّ، مع ما كانوا فيه من سوابغ الحديد والعدة الكاملة والخيول المسوَّمة والخيَلاء الزائدة. فأعزّ الله رسوله، وأظهر وحيه وتنزيله، وبيض وجه النبي ﷺ وقبيله، وأخزى الشيطان وجيله، وأخبر النبي ﷺ أن الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم[1]. وفي الصحيح عن معاذ بن رفاعة الزرقي ـ وكان بدرياً، وكان أبوه شهد العقبة ـ قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدُّون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين، أو كلمة نحوها. قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة[2]. فكان رافع من أهل العقبة، وكان رافع يقول لابنه: ما يسرني أني شهدت بدراً بالعقبة.

خروجه ﷺ إلى بدر

وكان خروجهم يوم السبت لاثنى عشر خلت من رمضان، على رأس تسعة عشر شهراً، وقيل لثمان خلون منه، واستخلف على المدينة أبا لبابة، وخرج معه الأنصار، ولم تكن قبل ذلك خرجت معه، وكانت من غير قصد من المسلمين إليها ولا ميعاد، كما قال تعالى ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ بلغه خبر العير المقبلة من الشام مع أبي سفيان فيها أموال عظيمة لقريش، فندب أصحابه اليهم، وأخبرهم بكثرة المال وقلة العدو، وقال: هذه عير قريش فيها أموال، فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها[3]. فخف بعض الناس وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً، فأمر من كان حاضراً ظهره بالنهوض، فخرج مسرعاً في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، وكانوا على سبعين بعيراً يعتقبونها، ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسَان: فرساً للمقداد، وفرساً للزبير بن العوام. فكان رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد الغنوى على بعير[4]، فلما بلغ أبا سفيان مسيره عليه الصلاة والسلام استأجر

---

(١) رواه البخاري برقم ٣٩٨٣.

(٢) رواه البخاري برقم ٣٩٩٢.

(٣) رواه ابن جرير في التفسير ٩/ ١٢٢ وابن سعد في الطبقات ٢/ ٨ من طريق ابن إسحاق وسنده صحيح لتصريح ابن إسحاق بالتحديث.

(٤) كما في المسند ١/ ٤١١ والحاكم في المستدرك ٣/ ٢٠ وصححه ووافقه الذهبي.

ضمضم بن عمرو الغفاري أن يأتي قريشاً بمكة فيستنفرهم ويخبرهم أن محمداً قد اعترض لعيرهم في أصحابه، فنهضوا مسرعين في قريب من ألف مقاتل، ومعهم مائة فرس وسبعمائة بعير، ولم يتخلف أحد من أشرافهم، إلا أبا لهب وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة كان له دين بذلك، وحشدوا فيمن حولهم من العرب، ولم يتخلف من بطون قريش سوى عدي بن كعب.

وخرجوا من ديارهم كما قال الله تعالى ﴿ بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ وقالوا: أيظن محمد وأصحابه أن نكون كعير ابن الحضرمي[1]؟.

ولما أجمعوا على المسير ذكروا ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة من الحرب وقالوا: إنا نخشى أن نؤتى من خلفنا، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك وكان من أشرافهم فقال: أنا لكم جار أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهون[2].

لواء الرسول يوم بدر

فخرجوا سراعاً وخرج رسول الله ﷺ فيمن خف معه من أصحابه، واستعمل على الصلاة بالناس عمرو بن أم مكتوم، ثم رد أبا لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة[3]، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير وكان أبيض[4]، وكان أمام رسول الله ﷺ رايتان إحداهما مع علي بن أبي طالب والأخرى مع رجل من الأنصار، قيل وكانتا سوداوين وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن من بني النجار، وكانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ، فسلك طريقه من المدينة إلى مكة على نقب المدينة، ثم على العقيق، ثم على ذي الحليفة، ثم على أولات الجيش، ثم على تُربان، ثم على ملل، ثم على غميس الحمام، ثم على صخرات اليمام، ثم على السيالة، ثم على فج الروحاء، ثم على شنوكة، حتى إذا كان بعرق الظبية لقوا رجلاً من الأعراب فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبراً، ونزل رسول الله ﷺ سَجْسَج وهي بئر الروحاء، ثم ارتحل منها حتى إذا كان بالمنصرف ترك طريق مكة يساراً وسلك ذات

---

(١) رواه ابن اسحاق في سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥١ ـ ٢٥٣ بسند صحيح.

(٢) رواه ابن إسحاق في السيرة لابن هشام ٢/ ٢٥٣ وهو حسن ولكنه مرسل.

(٣) انظر المستدرك ٣/ ٦٣٢.

(٤) انظر سبل الهدى والرشاد ٤/ ٣٣.

اليمين على النازية يريد بدراً، فسلك من ناحية منها حتى جزع وادياً يقال له رحقان، بين النازية وبين مضيق الصفراء، ثم علا المضيق ثم انصب به، حتى إذا كان قريباً من الصفراء بعث بسبس بن عمرو الجهنى حليف بني ساعدة وعدي بن أبي الزغباء الجهنى حليف بني النجار يتجسسان الأخبار عن أبي سفيان وعيره، ثم رحل عليه الصلاة والسلام فأخبر عن جبلى الصفراء أن اسمهما مُسلح ومُخْري، وسأل عن أهله فقيل: بنو النار وبنو حراق بطنان من غفار، فترك رسول الله ﷺ المرور بينهما وأخذ ذات اليمين على وادي ذفران فجزع فيه، ثم نزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم، فاستشار[1] الناس وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام عمر فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن الأسود فقال: يا رسول الله امض لما أمرك الله، فنحن معك، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون. فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير. ثم قال رسول الله ﷺ: أشيروا عليَّ أيها الناس، وإنما يريد الأنصار. وروى ابن مردويه وابن أبي حاتم عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال لنا رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة: إني قد أخبرت عن عير أبي سفيان أنها مقبلة، فهل لكم أن نخرج إليها لعل الله يغنمناها؟ قلنا: نعم. فخرج وخرجنا، فلما سرنا يوماً أو يومين قال لنا: ما ترون في القوم، فإنهم قد أخبروا بخروجكم؟ فقلنا: لا والله ما لنا طاقة بقتال العدو، ولكن أردنا العير. ثم قال: ما ترون في قتال القوم؟ فقلنا مثل ذلك. فقال المقداد.. وذكر تمام الحديث. ثم استشارهم ثالثاً، فتكلم المهاجرون فأحسنوا، ففهمت الأنصار أنه يعنيهم، وكان رسول الله ﷺ يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصرة إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم. فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ:

استشارة الرسول ﷺ أصحابه في القتال

---

(١) الاستشارة ذكرها ابن إسحاق في السيرة لابن هشام بسند صحيح عن ابن عباس ٢/ ٢٥٧. وذكر الهيثمي في المجمع ٦/ ٧٣ أن الطبراني رواها بسند حسن. وقد روى كلام المقداد البخاري في الصحيح برقم ٣٩٥٢. وانظر ما رواه مسلم في الجهاد برقم ١٧٧٩ والحاكم في المستدرك ٣/ ٣٤٩ من حديث ابن مسعود، وأحمد ١/ ٣٩٠.

والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل. فقال له: فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدوَّنا غداً، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقرُّ به عينك، فسر على بركة الله. فسرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشطه ذلك. ثم قال: سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكائني أنظر إلى مصارع القوم. قال في عيون الأثر: روينا من طريق مسلم أن الذي قال ذلك سعد بن عبادة سيد الخزرج، وإنما يعرف ذلك عن سعد بن معاذ. واختلف في شهود سعد بن عبادة بدراً فلم يذكره ابن عقبة ولا ابن إسحاق في البدريين، وذكره الواقدي والمدائني وابن الكلبي منهم. انتهى.

سؤال الرسول عن قريش

ثم ارتحل عليه الصلاة والسلام، ثم نزل قريباً من بدر، فركب هو ورجل من أصحابه. قال ابن هشام هو أبو بكر الصديق حتى وقف على شيخ من العرب، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغهم عنهم، فقال: لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما. فقال له رسول الله ﷺ إذا أخبرتنا أخبرناك. قال أو ذاك بذاك؟ قال: نعم. قال: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا المكان الذي به رسول الله ﷺ وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا. فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا ـ المكان الذي به قريش ـ. فلما فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: نحن من ماء. ثم انصرف عنه. قال يقول الشيخ: من ماء؟ أمن ماء العراق؟ ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى أصحابه[1]. فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص ـ في نفر من أصحابه ـ إلى ماء بدر يلتمسون الخبر، فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم غلام بني الحجاج وعريض بن يسار غلام بني العاص بن سعيد فأتوا بهما فسألوهما لمن أنتما؟ ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فقالا

---

(١) رواه ابن إسحاق في السيرة لابن هشام ٢/٢٥٩ وإسناده منقطع.

نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء. فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبي سفيان، فضربوهما حتى إذا لقوهما قالا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما. وركع رسول الله ﷺ وسجد سجدتيه ثم سلم وقال: إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا والله[١]، إنهما لقريش، أخبراني عن قريش. قالا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى، والكثيب: العقنقل. فقال لهما رسول الله ﷺ: كم القوم؟ قالا كثير. قال ما عدَّتهم؟ قالا ما ندري. قال: كم تنحرون كل يوم؟ قالا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً. قال رسول الله ﷺ: القوم ما بين التسعمائة والألف. ثم قال لهما: فمن فيهم من أشراف قريش؟ قالا: عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث بن عامر وطعيمة بن عدي بن نوفل والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبد ودّ[٢] فأقبل رسول الله على الناس فقال: هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها[٣].

نجاة القافلة

وخفض أبو سفيان فلحق بساحل البحر، ولما رأى أنه قد نجا وأحرز العير كتب إلى قريش أن ارجعوا فإنكم إنما خرجتم لتحرزوا عيركم. فأتاهم الخبر وهم بالجحفة فهموا بالرجوع، فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نقدم بدراً فنقيم به، ونطعم من حضرنا من العرب، وتخافنا العرب بعد ذلك. وأشار الأخنس بن شريق عليهم بالرجوع فعصوه، فرجع هو وبنو زهرة، فلم يشهد بدراً زهري. فاغتبطت بنو زهرة بعد برأى الأخنس، فلم يزل فيهم مطاعاً معظماً. وكان حليفاً لهم. وأرادت بنو هاشم الرجوع، فاشتد عليهم أبو جهل وقال: لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع.

مكان الجيش

وسار رسول الله ﷺ حتى نزل أدنى ماء من مياه بدر، وسبق قريشاً إلى بدر، ومنع قريشاً من السبق إليه مطر عظيم أرسله الله تعالى مما يليهم ولم يصب منه

---

(١) انظر الخبر عند مسلم برقم ٧٧٩ وأحمد في المسند ٣/ ٨٨.
(٢) انظر التخريج السابق وورد نحواً منها في حديث علي رواه أحمد في المسند ١/ ١١٧ وأبو داود برقم ٢٦٦٥ وإسناده صحيح.
(٣) رواه أحمد ١/ ١١٧ والبيهقي ٣/ ٤٢ وصحح العلامة أحمد شاكر إسناده.

المسلمين إلا ما لبّد لهم دهس الوادي وأعانهم[1]. فنزل عليه الصلاة والسلام على أدنى ماء من مياه بدر إلى المدينة، فأتاه الحُباب بن المنذر بن عمرو بن الجموح فقال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: بل هو الرأي والحرب والمكيدة. فقال: يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل، فانهض بنا حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ونغوّر ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضاً فنملأه فنشرب ولا يشربون. فاستحسن رسول الله ﷺ هذا الرأي وفعله[2].

وقال سعد بن معاذ: يا رسول الله، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه، ونعد عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أظهرنا الله وأعزنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقتَ بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حباً منهم، ولو ظنوا أن نلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك ويجاهدون معك. فأثنى رسول الله خيراً ودعا له بخير. ثم بنى لرسول الله عريش فكان فيه[3]، ومشى رسول الله ﷺ على موضع الوقعة فعرض على أصحابه مصارع رؤوس الكفر من قريش مصرعاً مصرعاً يقول: هذا مصرع فلان إن شاء الله، هذا مصرع فلان إن شاء الله. قال عمر: فوالذي بعثه بالحق نبياً ما عدا واحد منهم مضجعه الذي حده رسول الله ﷺ. أخرجه مسلم في صحيحه[4].

---

(١) خبر المطر ثابت في القرآن من قوله تعالى ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ ﴾ الآية ورواه أحمد بسند صحيح صححه العلامة أحمد شاكر في المسند برقم ١٧٧٩.

(٢) رواه ابن إسحاق في السيرة ٢/ ٢٦٣ قال العلامة الألباني رحمه الله في تعليقه على فقه السيرة ٢٤٠ وهذا سند ضعيف لجهالة الواسطة بين ابن إسحاق والرجال من بني سلمة وقد وصله الحاكم ٤/ ٤٢٦ وقال وفي سنده من لم أعرفه وقال الذهبي (قلت هذا حديث منكر وسنده واه).

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٦٣، ٢٦٤ وتاريخ الطبري ٢/ ٤٤٠ ورواه البيهقي من طريق ابن إسحاق في الدلائل ٣/ ٤٤.

(٤) رواه مسلم برقم ٢٨٧٣ وأحمد في المسند ١/ ٢٦.

رسول الله ﷺ يدعو على قريش

قال ابن إسحاق[1]: وقد ارتحلت قريش حين أصبحت فأقبلت، فلما رآها رسول الله ﷺ تصوّب من العقنقل وهو الكثيب الذي جاءوا منه إلى الوادي قال: اللهم هذه قريش قد أقبلت بخُيَلائها وفخرها تجادلك وتكذِّب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني. اللهم أحنهم الغداة[2].

فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله، منهم حكيم بن حزام، فقال رسول الله ﷺ: دعوهم، فما شرب أحد منهم يومئذ إلا قتل، إلا ما كان من حكيم بن حزام فإنه لم يقتل وأسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، وكان إذا اجتهد في يمينه قال: لا والذي نجاني من يوم بدر.

قريش تستكشف عدد المسلمين

ولما أطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحي فقالوا: احزر لنا أصحاب محمد. فجاء بفرسه حول العسكر فقال: ثلاث مائة يزيدون قليلاً أو ينقصونه. ولكن أمهلوني حتى انظر للقوم كمين أو مدد. فضرب في بطن الوادي حتى أبعد فلم ير شيئاً. فرجع إليهم فقال: ما رأيت شيئاً، ولكني قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت. قوم ليس لهم منعة إلا سيوفهم، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجل منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك؟ فروا رأيكم. فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس فأتى عتبة بن ربيعة فأشار عليه أن يرجع الناس ولا يكون حرب. فوافقه عتبة بن ربيعة. وقام عتبة في الناس خطيباً، فأشار عليهم بالرجوع، فأبى أبو جهل ذلك، وساعده المشركون[3].

عتبة يشير بالرجوع

وبات رسول الله ﷺ إلى جذم شجرة هناك، وكانت ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة، فلما أصبحوا أقبلت قريش في كتائبها واصطف الفريقان.

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٦٤.

(٢) هو في البخاري من حديث ابن عباس برقم ٣٩٥٣ وفي مسلم من حديث ابن عمر أشار له برقم ١٧٦٣.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٦٥ وكلام عتبة ثابت في حديث علي الذي رواه أحمد في المسند ١/ ١١٧ وهو حديث صحيح.

قال ابن إسحاق: وقال فتية من قريش وكانوا خرجوا مع قريش من مكة وهم على الإرتياب فحبسهم ارتيابهم، فلما رأوا قلة أصحاب محمد وكثرة عدوهم قالوا: غرَّ هؤلاء دينهم. قال: وبلغني أن الشيطان معهم أيضاً لا يفارقهم. قال: فذكر لي أنهم كانوا يرونه في كل منزل في صورة سراقة بن مالك لا ينكرونه، حتى إذا التقى الجمعان فرّ عدو الله ونكص على عقبيه فذهب فأوردهم ثم أسلمهم حين رأى الله أيّدَ رسوله والمؤمنين بالملائكة وقال: ﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ الآية. وكان كما قال حسان:

سرنا وساروا إلى بدر لحتفهم لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلاّهُـمُ بغـرور ثـم أسلمهـم إن الخبيـث لمـن والاه غـرَّارُ
وقال إني لكم جار فأوردهم شـر المـوارد فيـه الخـزي والعـار

بدء المبارزة

وخرج عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد بن عتبة حتى نصلوا من الصف، فخرج إليهم فتية من الأنصار وهم عوف ومعوذ ابنا الحارث ـ وأمهما عفراء ـ وعبد الله بن رواحة فقالوا: من أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار. قالوا: ما لنا بكم من حاجة. ثم نادى مناديهم: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا. فقال رسول الله ﷺ قم يا عبيدة بن الحارث وقم يا حمزة وقم يا علي، فلما قاموا ودنوا منهم قالوا: من أنتم؟ قال عبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال علي: علي. فقالوا أنتم أكفاء كرام. فبارز عبيدة وكان أسنَّ القوم عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبة، وبارز علي الوليد. فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه، فكرّ حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فذففا عليه، واحتملا صاحبهما فجراه إلى أصحابه فمات بالصفراء[1].

---

(١) رواه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ٢/٢٦٧ بسند حسن ولكنه مرسل ورواه أحمد من حديث علي المتقدم.

وفي الصحيح[1] عن علي قال: فينا أنزلت هذه الآية ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ وفيه عن أبي[2] ذر أنه كان يقسم قسماً لنزلت هؤلاء الآيات في هؤلاء الرهط الستة يوم بدر. وفيه عن علي قال: أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي الرحمن يوم القيامة.

قال ابن إسحاق: وتزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض، وقد أمر رسول الله أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم، وقال: إذا أكثبوكم - يعني أكثروكم - فارموهم[3] واستبقوا نبلكم[4].

الرسول ﷺ يناشد ربه

قال: وعدَّل رسول الله ﷺ الصفوف، ورجع إلى العريش فدخله ومعه أبو بكر الصديق وليس معه غيره، ورسول الله ﷺ يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول «اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تُعبد» وأبو بكر يقول: يا رسول الله يكفيك بعض مناشدتك ربك، فإن الله منجز لك ما وعدك[5].

رؤيا الرسول ﷺ

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ لما كان يوم بدر في العريش معه الصديق أخذت رسول الله سنة من النوم، ثم استيقظ متبسماً فقال: أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل على ثناياه النقع. ثم خرج من باب العريش وهو يتلو ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾. وفي رواية: فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله، قد ألححت على ربك، وهو يثب في الدرع فخرج وهو يقول ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[6]. وفي رواية ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: «أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع». يريد الغبار. وفي رواية مسلم[7] عن ابن عباس

---

(١) رواه البخاري برقم ٣٩٦٥.

(٢) رواه البخاري برقم ٤٧٤٣.

(٣) أكثبوكم: قربوا منكم، والكثب القرب (ق).

(٤) رواه البخاري برقم ٣٩٨٤، ٣٩٨٥.

(٥) جزء من حديث علي رواه الإمام أحمد ١/ ١١٧ وهو صحيح.

(٦) رواه البخاري برقم ٣٩٥٣.

(٧) رواه مسلم برقم ١٧٦٣ وأحمد ١/ ٣٠.

قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر، فاستقبل النبي ﷺ القبلة، ثم مدَّ يديه فجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني. وفيه: فما زال يهتف بربه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأخذ أبو بكر رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله تعالى ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ فأمده الله بالملائكة. قال ابن عباس: بينما رجل من المسلمين يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه مستلقياً فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدّث بذلك رسول الله ﷺ فقال: صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة[1]، فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين. وفي رواية ابن سعد عن عكرمة قال: كان يومئذ يندر رأس الرجل لا يدري من ضربه، وتندر يد الرجل لا يدري من ضربها.

الملائكة تقاتل يوم بدر

أول قتيل من المسلمين

فقال ابن إسحاق[2]: ثم رُمي مهجع مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل فكان أول قتيل من المسلمين، ثم رمى حارثة بن سراقة أحد بني النجار وهو يشرب من الحوض فأصاب نحره فقتل فكان أول قتيل من الأنصار. ثم حرض رسول الله ﷺ الناس على القتال وقال: والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة. فقال عمير بن الحمام أخو بني سلمة وفي يده تمرات يأكلهن: بخ بخ، فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟ ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رحمه الله[3].

وذكر ابن سعد وابن إسحاق أن أبا جهل قال لما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض: اللهم أقطعنا للرحم وأتانا بما لا نعرفه، فأحنه الغداة. فكان هو المستفتح

---

(١) رواه مسلم برقم ١٧٦٣.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٦٩.

(٣) رواه مسلم برقم ١٩٠١ وأحمد في المسند ٣/ ١٣٦ والحاكم في المستدرك ٣/ ٤٢٦.

على نفسه. وأخرجه النسائي من حديث صالح بن كيسان عن الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير[1]. ثم أن رسول الله ﷺ أخذ حفنة من الحصى فاستقبل بها قريشاً ثم قال: شاهت الوجوه، ثم نفحهم بها، وأمر أصحابه فقال: شدوا. فكانت الهزيمة، فقتل الله فيها من قتل من صناديد قريش وأسر من أسر من أشرافهم. قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: رفع رسول الله ﷺ يديه فقال «يا رب، إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبداً» فقال له جبريل: خذ قبضة من تراب. فأخذ قبضة من التراب فرمى بها من وجوههم، فما من المشركين أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة، فولوا مدبرين[2].

الرسول يرميهم بالتراب

ذكر مقتل عدو الله أبي جهل

روى البخاري في الصحيح عن عبد الرحمن بن عوف قال: إني لفي الصف يوم بدر إذ التفتّ فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن، فكأني لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل. فقلت: يا ابن أخي فما تصنع به؟ قال أخبرت أنه يسبّ رسول الله. قال: والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا. فتعجبت لذلك. قال وغمزني الآخر فقال لي مثلها. فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه. قال فابتدراه بسيفهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فقال: أيكما قتله؟ فقال كل واحد منهما: أنا قتلته. قال: هل مسحتما سيفيكما؟ فقالا: لا. فنظر رسول الله ﷺ إلى السيفين فقال: كلاكما قتله. وقضى رسول الله ﷺ بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح. والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء. وفي رواية: فتمنيت أن أكون

---

(١) رواه أحمد في المسند ٥/ ٤٣١ والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٢٨ وسنده حسن وعزاه ابن كثير في التفسير للنسائي.

(٢) رواه ابن إسحاق بدون سند وقال الهيثمي في المجمع ٦/ ٨٤ رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح وسنده حسن وهو عند الطبراني برقم ١١٧٥٠.

بين أضلع واحد منهما. وفي رواية: فما سرني أني كنت بين رجلين مكانهما[1].

وفي الصحيح[2] عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: من ينظر ما صنع أبو جهل؟ فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد. وقال أأنت أبا جهل! وقال أحمد بن يونس: أأنت أبو جهل. فأخذ لحيته وقال: هل فوق رجل قتلتموه أو رجل قتله قومه. وفي رواية ابن علية: أنت أبا جهل. هكذا قالها أنس. قال وقال أبو مجلز قال أبو جهل: فلو غير أكّارٍ قتلني. وذكر ابن إسحاق في السيرة قال عبد الله بن مسعود: فوجدته بآخر رمق، فعرفته، فوضعت رجلي على عنقه قال وقد كان ضبث بي[3] مرة بمكة فآذاني ولكزني، ثم قلت له: هل أخزاك الله يا عدو الله؟ قال: وبماذا أخزاني، أعمد من رجل قتلتموه أخبرني لمن الدائرة؟ قال قلت: لله ورسوله. وزعم رجال من بني مخزوم أن عبد الله ابن مسعود كان يقول: قال لي: لقد ارتقيتَ مرتقى صعباً يا رويعي الغنم. قال: ثم احتززت رأسه ثم جئت به إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبي جهل. قال فقال: آلله الذي لا إله غيره؟ قال: وكانت يمينَ رسول الله. قال: قلت: نعم والذي لا إله غيره. ثم ألقيت برأسه بين يدي رسول الله، فحمد الله. وفي رواية غير ابن إسحاق فقتله عبد الله ثم أتى النبي ﷺ فقال: قتلته. فقال: آلله الذي لا إله غيره؟ فرددها ثلاثاً. ثم قال: الله أكبر، الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. انطلق بي فأرنيه. فانطلقنا فأريته إياه، فقال: هذا فرعون هذه الأمة[4].

مقتل أمية بن خلف

وأسر عبد الرحمن بن عوف أمية بن خلف وابنه علياً، فأبصره بلال ـ وكان يعذبه أمية بمكة ـ فقال: رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا. ثم خرج حتى وقف عند مجلس من مجالس الأنصار فقال: يا معشر الأنصار، أمية بن خلف، لا

---

(١) رواه البخاري برقم ٣٩٨٨ ومسلم برقم ١٧٥٢.

(٢) رواه البخاري برقم ٣٩٦٣ ومسلم برقم ١٨٠٠.

(٣) أي قبض علي ولزمني (ق).

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٧٨، وقد ذكره الهيثمي في المجمع ٦/ ٧٩ قال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن وهب بن أبي كريمه وهو ثقة. ورواه البيهقي في الدلائل ٢/ ١٢٦١ وهو حديث صحيح.

نجوت إن نجا أمية. فخرج فريق من الأنصار واشتد بهما عبد الرحمن بن عوف يحرزهما منهم فأدركوهم، فشغلهم عن أمية بابنه ففرغوا منه، ثم لحقوهما، فقال له عبد الرحمن: أبرك، فبرك، فألقى عليه نفسه، فضربوه بالسيوف من تحته حتى قتلوه. وأصاب بعض السيوف رجل عبد الرحمن بن عوف. وقال أمية قبل ذلك: من الرجل منكم المعلم في صدره بريش النعام؟ فقال: ذاك حمزة بن عبد المطلب. قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل. وكان مع عبد الرحمن أدراع قد استلبها، فلما رآه أمية قال له: أنا خير لك من هذه الأدراع. فألقاها وأخذ بيده ويد ابنه وأمية يقول: ما رأيت كاليوم قط، أما لكم حاجة في اللبن؟ فلما قتلته الأنصار كان يقول: يرحم الله بلالاً، فجعني بأدراعي وبأسيري[1]. وكان رسول الله ﷺ قد أخبر بقتله قبل ذلك وأخبره بذلك سعد بن معاذ لما قدم مكة معتمراً ونزل على أمية، فكان أمية إذا قدم المدينة نزل على سعد، فرآه أبو جهل يطوف فقال: من هذا الذي يطوف بالكعبة؟ فقال سعد: أنا سعد. فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة آمنا وآويتم محمداً وأصحابه؟ فقال: نعم، فتلاحيا بينهما، فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي. فقال سعد: والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام. قال فجعل أمية بن خلف يقول لسعد: لا ترفع صوتك، وجعل يمسكه، فغضب سعد فقال: دعنا عنك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يزعم أنه قاتلك. قال: إياي؟ قال: والله ما يكذب محمد. وفي رواية: فإني سمعت رسول الله يقول: إنهم قاتلوك. قال: بمكة؟ قال: لا أدري. ففزع لذلك أمية فزعاً شديداً، فرجع إلى امرأته فقال: أما تعلمين ما قال أخي اليثربي؟ قالت: وما قال؟ قال: زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلي. قالت: فوالله ما يكذب محمد. فلما جاء الصريخ وخرجوا إلى بدر قالت له امرأته: أما ذكرت ما قال أخوك اليثربي؟ قال: فأراد أن لا يخرج، فقال له أبو جهل: إنك من أشراف الوادي، فسر يوماً أو يومين. فسار معهم حتى قتله الله. رواه البخاري في صحيحه[2].

---

(١) رواه البخاري برقم ٢٣٠١ ورواه ابن إسحاق في السيرة لابن هشام ٢/ ٢٧٣ بسند حسن.

(٢) رواه البخاري برقم ٣٩٥٠ وأحمد في المسند ١/ ٤٠٠.

وانقطع يومئذ سيف عكاشة بن محصن فأعطاه النبي ﷺ جذلاً من حطب فقال: دونك هذا فلما أخذه عكاشة وهزه عاد في يده سيفاً طويلاً، فلم يزل عنده يقاتل به حتى قتل أيام أبي بكر، قتله طليحة الأسدي شهيداً[١].

سيف عكاشة

وفي الصحيح أن الزبير لقي عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج في السلاح لا يرى منه إلا الحدق، فحمل عليه الزبير بحربته فطعنه في عينه فمات، فوضع رجله على الحربة ثم تمطى، وكان الجهد أن نزعها وقد انثنى طرفها، فسأله إياها رسول الله ﷺ فأعطاه إياها، فلما قبض رسول الله ﷺ أخذها، ثم طلبها أبو بكر فأعطاه إياها، فلما قبض أبو بكر سأله إياها عمر فأعطاه إياها، فلما قبض عمر أخذها، ثم طلبها عثمان فأعطاه إياها، فلما قبض وقعت عند آل علي فطلبها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قتل[٢].

حربة الزبير

قال ابن إسحاق: ولما وضع المسلمون أيديهم في العدو يقتلون ويأسرون، وسعد بن معاذ واقف على باب الخيمة التي فيها رسول الله ﷺ - وهي العريش - متوشحاً في ناس من الأنصار، ورأى رسول الله في وجه سعد الكراهية لما يصنع الناس، فقال رسول الله ﷺ لسعد: كأنك تكره ما يصنع الناس؟ فقال: أجل والله، كانت أول وقعة أوقعها الله بالمشركين، وكان الإثخان في الحرب أحبَّ إليّ من استبقاء الرجال.

الأسر في المشركين

قال ابن إسحاق: وكان الفتية الذين قتلوا ببدر فنزل فيهم من القرآن فيما ذكر لنا قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الآية، فتية مسلمين من بني أسد بن عبد العزى بن قصي: الحارث بن زمعة بن الأسود بن المطلب، ومن بني مخزوم أبو قيس الفاكه بن المغيرة، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة، وعلي بن أمية بن خلف من بني جمح، والعاص بن منبه من بني

ما نزل من القرآن في يوم بدر

---

(١) ذكره ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ٢/٢٧٨ وانظر سير أعلام النبلاء ١/٢٠٨ وسيرة ابن كثير ٢/٤٤٧ وسنده ضعيف.

(٢) رواه البخاري برقم ٣٩٩٨.

سهم، وذلك أنهم كانوا أسلموا ورسول الله ﷺ بمكة، فلما هاجر رسول الله ﷺ حبسهم آباؤهم وعشائرهم بمكة وفتنوهم فافتتنوا، ثم ساروا مع قومهم إلى بدر فأصيبوا جميعاً[1].

جمع الغنائم

ثم أن رسول الله ﷺ أمر بما في العسكر مما جمع الناس فجمع، فاختلف المسلمون فيه فقال من جمعه: هو لنا. وقال الذين كانوا يقاتلون العدو: والله لولا نحن ما أصبتموه لنحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم. وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ مخافة أن يخالف إليه العدو: والله ما أنتم أحق به، لقد رأينا أن نقتل العدو إذا منحنا الله أكتافهم، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه ولكنا خفنا على رسول الله كرة العدو فقمنا دونه، فما أنتم بأحق به منا.

الإختلاف في الغنائم

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره عن سليمان بن موسى عن مكحول عن أبي أمامة قال: سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال فقال: فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا، فجعله إلى رسول الله ﷺ فقسمه على السواء. انتهى[2].

أصحاب القليب

ولما انقضت الحرب أقبل رسول الله ﷺ حتى وقف على القتلى فقال: بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدقني الناس، وخذلتموني ونصرني الناس وأخرجتموني وآواني الناس. ثم أمر بهم فسحبوا إلى قليب من قلب بدر فطرحوا فيه. وفي الصحيح[3] عن أبي طلحة أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقذفوا في طوى من أطواء بدر خبيث مخبث. وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان بدر في اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها، ثم مشى وأتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفير الركي فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلان ابن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله، فإنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٢.
(٢) انظر مسند أحمد ٥/ ٣٢٤ وابن جرير في التفسير ٩/ ١٧٢ والحاكم ٢/ ١٣٥.
(٣) رواه البخاري برقم ٣٩٧٦ ومسلم برقم ٢٨٧٤.

حقاً؟ قال فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها. فقال النبي ﷺ: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم. قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً ونقمة وحسرة وندامة. وفيه عن ابن عباس ﴿ ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا ﴾ قال: هم والله كفار قريش. قال عمر وهم قريش، ومحمد نعمة الله ﴿ وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨ ﴾ قال: النار يوم بدر. انتهى.

البشارة لأهل المدينة بالنصر

قال ابن إسحاق[1]: ثم بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية بما فتح الله عليه وعلى المسلمين، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة. قال أسامة بن زيد: فأتانا الخبر - حين سوينا على رقية بنت رسول الله التي كانت عند عثمان بن عفان، وكان رسول الله ﷺ خلفني عليها مع عثمان[2] - أن زيد بن حارثة قد قدم، قال فجئته وهو واقف بالمصلى وقد غشيه الناس وهو يقول: قتل عتبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام وزمعة بن الأسود وأبو البختري العاص بن هشام وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، قال قلت: يا أبة أحق هذا؟ قال: نعم والله يا ابني. ثم قفل رسول الله إلى المدينة ومعه الأسارى من المشركين وفيهم عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث، واحتمل رسول الله ﷺ معه النفل الذي أصيب من المشركين، وجعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف من بني النجار، حتى إذا كان بالصفراء قسم الغنائم وضرب عنق النضر بن الحارث بن كلدة. ثم لما نزل بعرق الظبية ضرب عنق عقبة بن أبي معيط، فقال عقبة حين أمر رسول الله بقتله: من للصبية يا محمد! قال: النار[3]. فقتله عاصم بن ثابت الأنصاري، ويقال علي بن أبي طالب.

قتل بعض الأسرى

ثم دخل رسول الله ﷺ المدينة مؤيداً مظفراً منصوراً قد خافه كل عدو له

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٤.

(٢) إرسال البشارة إلى أهل المدينة رواها البيهقي في السنن ٩/ ١٧٤ وفي الدلائل ٣/ ١٣٠ وسنده صحيح والحاكم في المستدرك ٣/ ٢١٧.

(٣) قتل ابن أبي معيط رواه الطبراني في الكبير برقم ١٢١٥٢ ورجاله رجال الصحيح وكذا رواه أبو داود برقم ٢٦٨٦ وسنده حسن.

بالمدينة وحولها، فأسلم بشر كثير من أهل المدينة. وحينئذ دخل عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه الإسلام.

أسارى بدر

قال ابن إسحاق[1]: حدثني ابن وهب أخو بني عبد الدار أن رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فرقهم بين أصحابه وقال: استوصوا بالأسارى خيراً. قال فكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى، قال فقال أبو عزيز: مر بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني فقال: شد يدك به، فإن أمه ذات متاع، لعلها تفديك منه. قال: وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم أو عشاؤهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة من الخبز إلا نفحني بها. قال: فأستحي فأردها عليهم فيردها علي ما يمسها. فلما قال أخوه مصعب لأبي اليسر ـ وهو الذي أسره ـ ما قال، قال له أبو عزيز: يا أخي هذه وصاتك؟ فقال له مصعب: إنه أخي دونك. فسألت أمه عن أغلى ما فدى به قرشي، فقيل لها: أربعة آلاف درهم، فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها.

العباس في القيد

قال بعض العلماء: ولما ولي عمر بن الخطاب وثاق الأسرى شدّ وثاق العباس، فسمعه النبي ﷺ وهو يئن فلم يأخذه النوم، فبلغ الأنصار فأطلقوا العباس، فكأن الأنصار فهموا رضاء رسول الله ﷺ بفك وثاقه، وسألوه أن يتركوا له الفداء. فقالوا ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباس فدءاه، فقال: لا تدعون منه درهماً. وفي حديث ابن عباس عند ابن إسحاق أنه ﷺ قال: يا عباس أفد نفسك وابني أخويك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة بن عمر. قال: إني كنت مسلماً، ولكن القوم استكرهوني. قال: الله أعلم بما تقول: إن يكن ما تقول حقاً فالله يجزيك، ولكن ظاهر أمرك أنك كنت علينا. قال ما ذاك عندي يا رسول الله. قال: فأين المال الذي دفنته أم الفضل فقلت: إن أصبت فالمال الذي دفنته للفضل وعبد الله وقثم؟ قال: والله يا رسول الله إني لأعلم أنك رسول الله، إن هذا شيء ما

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٧ ورواه الطبراني في الكبير ٢٢/ ٣٩٣ وفي الصغير قال الهيثمي في المجمع ٦/ ٨٦ رواه الطبراني في الصغير والكبير وإسناده حسن.

علمه أحد غيري وغير أم الفضل، فاحسب لي يا رسول الله ما أصبتم مني عشرين أوقية من مال كان معي، قال رسول الله: ذاك شيء أعطانا الله منك. ففدى نفسه وابني أخويه وحليفه، وأنزل الله فيه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ ﴾ الآية[1].

فصل

الاستشارة في أمر الأسرى

وقال الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبد الله قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ ما تقولون في هؤلاء الأسارى؟ قال أبو بكر: يا رسول الله قومك وأهلك، واستبقهم لعل الله أن يتوب عليهم. وقال عمر: يا رسول الله كذبوك وأخرجوك فقدمهم فاضرب أعناقهم. وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله أنت في واد كثير الحطب فأضرم الوادي عليهم ثم ألقهم فيه. قال فسكت رسول الله فلم يردّ عليهم شيئاً. ثم قام فدخل، فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر. وقال ناس: يأخذ بقول عمر، وقال ناس يأخذ بقول ابن رواحة. ثم خرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة. وإن مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى ابن مريم قال ﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾. وإن مثلك يا عمر مثل موسى قال ﴿ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾. وان مثلك يا ابن رواحة كمثل نوح قال ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ أنتم عالة فلا يفلتن أحد منكم إلا بفداء أو ضرب عنق. قال ابن مسعود: قلت يا رسول الله إلا سهيل بن بيضاء فإنه يذكر الإسلام. فسكت رسول الله ﷺ. فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع عليّ حجارة من السماء مني في ذلك اليوم، حتى قال رسول الله ﷺ: إلا سهيل بن بيضاء فأنزل الله عز وجل ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ ﴾ الآيات.

---

(١) انظر في فداء العباس ابن جرير الطبري في التفسير ١٤/ ٧٣ والمجمع ٧/ ٢٨ والمطالب العالية برقم ٤٣٠٠ وقال ابن حجر هذا إسناد صحيح.

رواه أحمد والترمذي[1] وابن أبي حاتم. وفيه: فنزل القرآن بقول عمر، وصححه الحاكم. قال ابن عباس قال عمر: فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدان يبكيان، قلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وأن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما. فقال رسول الله ﷺ: أبكي للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة. شجرة قريبة من النبي ﷺ. وأنزل الله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ ﴾ إلى قوله ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2] رواه ابن أبي حاتم.

قال ابن إسحاق لم يكن من المؤمنين أحد ممن حضر إلا أحب الغنائم إلا عمر بن الخطاب فإنه أشار على رسول الله بقتل الأسرى، وسعد بن معاذ قال: الإثخان في القتل أحب إليّ من استبقاء الرجال. فقال رسول الله ﷺ: لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه غير عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ. وقال سفيان الثوري عن هشام هو ابن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: خير أصحابك في الأسارى، إن شاءوا القتل وإن شاءوا الفداء على أن يقتل منهم عاماً قابلاً مثلهم. قالوا الفداء ويقتل منا. رواه الترمذي والنسائي[3] وابن حبان في صحيحه. وفي رواية عن عبيدة مرسلاً وفيه: فنادى النبي ﷺ في أصحابه فجاءوا - أو من جاء منهم - فقال: هذا جبريل يخيركم بين أمرين: أن تقدموهم فتقتلوهم وبين أن تفادوهم ويستشهد في قابل منكم بعدتهم، فقالوا بل نفاديهم ونتقوى به عليهم ويدخل قابلاً منا الجنة سبعون. انتهى.

فداء الأسرى

وكان الفداء من أربعة آلاف[4] درهم إلى ثلاثة آلاف درهم إلى ألف درهم،

---

(١) رواه الترمذي برقم ٣٠٨٤ وأحمد ١/ ٣٨٣ والحاكم في المستدرك ٣/ ٢٢ وقال أحمد شاكر برقم ٣٦٣٤ في المسند إسناده منقطع.

(٢) رواه بنحوه مسلم في الصحيح برقم ١٧٦٣ وأحمد ١/ ٣٠ وابن جرير في التفسير ١٠/ ٤٤.

(٣) رواه الترمذي برقم ١٥٦٧ والنسائي في الكبرى برقم ٨٦٦٢.

(٤) كما روى عنه ابن عباس قال الهيثمي في المجمع ٦/ ٩٠ رواه الطبراني في الكبير والأوسط=

مَنْ مَنَّ عليه النبي ﷺ

وعن عامر الشعبي قال: أسر رسول الله ﷺ يوم بدر سبعين أسيراً، وكان يفاديهم على قدر أموالهم، وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون فمن لم يكن عنده فداء دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم، فإذا حذقوا فهو فداؤه[١]. وممن مَنَّ عليه رسول الله ﷺ المطلب بن حنطب وصيفي بن أبي رفاعة وأبو عزة الجمحي، وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحداً وكان محتاجاً ذا بنات فقال: يا رسول الله لقد عرفت ما لي من مال، وإني لذو حاجة وذو عيال، فامنن عليّ، فمنَّ عليه رسول الله ﷺ وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحداً[٢]، ثم أسره ثانية فقال يا رسول الله أقلني، فقال: والله لا تمسح عارضك بمكة تقول خدعت محمداً مرتين، اضرب عنقه يا زبير، فضرب عنقه. وممن مَنَّ عليه رسول الله ﷺ أبو العاص بن الربيع زوج زينب ابنته بعد أن بعثت زينب بنت رسول الله بفدائه[٣]، وكان رسول الله قد أخذ عليه أو وعد رسول الله ﷺ أن يخلي سبيل زينب، فلما خرج أبو العاص إلى مكة بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار فقال: كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى تأتياني بها. فخرجا، فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها[٤]، وقدم مكرز بن حفص في فداء سهيل بن عمرو وكان الذي أسره مالك بن الدخشم وكان سهيل أعلم من شفته السفلى، وذكر ابن إسحاق أن عمر بن الخطاب قال: يا رسول الله انزع ثنيتي سهيل بن عمرو يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً. فقال رسول الله ﷺ: لا أمثل فيمثل الله بي وإن كنت نبياً.

= ورجاله رجال الصحيح.

(١) تعليم الكتابة ورد في حديث ابن عباس رواه أحمد في المسند وقال أحمد شاكر إسناده صحيح ٤/ ٤٧.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٠ ـ ٣٠١.

(٣) بعثت قلادة لها فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة وقال: (إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها فافعلوا فقالوا نعم يا رسول الله فأطلقوه وردوا عليها الذي لها) رواه أبو داود برقم ٢٦٩٢ وأحمد ٦/ ٢٧٦ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم ٢٣٤١.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٩٨. ورواه ابن إسحاق في السيرة بسند صحيح ورواه أحمد ٦/ ٧٦ وكذلك قصة إرسالها إلى المدينة.

وبلغني أن رسول الله ﷺ قال لعمر في هذا: إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تذمه. وكان عمرو بن أبي سفيان أسيراً في يدي رسول الله، فقيل لأبي سفيان: افد عمرا ابنك، فقال: يجمع على دمي ومالي. قتلوا حنظلة، وأفدى عمراً، دعوه في أيديهم يمسكونه ما بدا لهم. فبينا هو كذلك إذ خرج سعد بن النعمان أخو بني عمرو بن عوف معتمراً، فعدا عليه أبو سفيان فحبسه بابنه عمرو، وقد كان عهد قريش لا يعرضون لأحد جاء حاجاً أو معتمراً إلا بخير، ومشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله ﷺ فأخبروه خبره وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكوا به صاحبهم، ففعل رسول الله ﷺ، فبعثوا به إلى أبي سفيان فخلى سبيل سعد[1].

فصل

قدوم الخبر على قريش

قال ابن إسحاق[2]: وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبد الله الخزاعي فقالوا: ما وراءك؟ قال: قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمية بن خلف وزمعة بن الأسود ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأبو البختري بن هشام. فلما جعل يعد أشراف قريش قال صفوان بن أمية وهو قاعد في الحجر: والله إن يعقل هذا فاسألوه عني. قالوا: ما فعل صفوان بن أمية؟ قال: ها هو ذا جالس في الحجر، وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا.

وفي حديث أبي رافع: لما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر كبت الله أبا لهب وأخزاه، فقام يجر رجليه بشر حتى جلس. فبينا هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قدم، قال فقال أبو لهب: هلم إليّ، فعندك لعمري الخبر. قال فجلس إليه والناس قيام فقال: يا ابن أخي، أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: والله ما هو إلا أن لقينا قوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا ويأسروننا كيف شاءوا. وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض لا يقوم لها شيء. قال أبو رافع وكان غلاماً للعباس: وكان

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩٢.

(٢) رواه ابن اسحاق انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٨.

الإسلام قد دخلنا وسرنا ذلك، تلك والله الملائكة. فرفع أبو لهب يده فضربني في وجهي ضربة شديدة، فقامت أم الفضل إلى عمود فضربت به في رأس أبي لهب وقالت: استضعفته أن غاب عنه سيده؟ قال: فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة ـ وهي قرحة تتشاءم بها العرب ـ فتباعد عنه بنوه حتى قتله الله، وبقي ثلاثة أيام لا تقرب جنازته، ولا يحاول دفنه. فلما خافوا السبة في تركه حفروا له ثم دفعوه بعود في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه[1]. وذكر قاسم بن ثابت في دلائله أن قريشاً لما توجهت إلى بدر مرّ هاتف من الجن على مكة في اليوم الذي وقع به المسلمون وهو ينشد بأبعد صوت ولا يرى شخصه:

أراد الحنيفيون بدراً وقيعه ... سينقض منها ركن كسرى وقيصرا

أبادت رجالاً من قريش وأبرزت ... خرائد يضربن الترائب حسرا

فيا ويح من أمسى عدوّ محمدا ... لقد جار عن قصد الهدى وتحيرا

فقال قائلهم: من الحنيفيون؟ قالوا محمد وأصحابه، يزعمون أنهم على دين إبراهيم الحنيف. ثم لم يلبث أن جاءهم الخبر..

نزول سورة الأنفال

قال ابن إسحاق: فلما انقضى أمر بدر أنزل الله فيها سورة الأنفال بأسرها.

عدد المسلمين يوم بدر

وجملة من حضر بدراً من المسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، من المهاجرين ستة وثمانون، ومن الأوس أحد وستون ومن الخزرج مائة وسبعون. قالوا: وإنما قل عدد الأوس عن الخزرج ـ وإن كانوا أشد منهم وأقوى شوكة وأصبر عند اللقاء ـ أن منازلهم كانت في عوالي المدينة، وجاء النفير بغتة، وقال النبي ﷺ: لا يتبعنا إلا من كان ظهره حاضراً فاستأذنه رجال ظهورهم في عوالي المدينة، أيستأني لهم حتى يذهبوا إلى ظهورهم وكان عثمان رضي الله عنه تخلف عن امرأته رقية بنت رسول الله، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه من الغنيمة وأجره، فهو بدري. وطلحة بن عبيد الله وكان بالشام في تجارة فضرب له رسول الله بسهمه وأجره. وكان سعيد بن زيد أيضاً غائباً بالشام، فضرب رسول الله بسهمه وأجره.

---

(١) رواه ابن إسحاق، سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٨ وانظر المواهب ١/ ٣٧٦.

فصل

في تسمية من شهد بدراً من المسلمين(١)

محمد رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وأبو عبيدة وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف.

(أ) أبي بن كعب النجاري، أبي بن ثابت، أوس بن ثابت النجاري أخو حسان، أوس ابن خولي الخزرجي، أوس بن الصامت، أسعد بن يزيد بن الفاكه الزرقي، أنس بن معاذ النجاري، أنسية مولى رسول الله، أنس بن قتادة بن ربيعة الأوسي، الأرقم بن أبي الأرقم، أربد بن جبير، أسيرة وهو أبو سليط بن عمر النجاري، إياس بن البكير الليثي حليف بني عدي، إياس بن أوس بن عتيك الأوسي.

(ب) بشير بن البراء بن معرور السلمي، بشير بن سعد بن ثعلبة وهو أبو النعمان، بشير بن عبد المنذر أبو لبابة اشتهر بكنيته، بلال بن رباح المؤذن، بجير بن أبي بجير العبسي حليف لبني عوف، بحاث بن ثعلبة بن خزمة حليف لبني الخزرج ويقال نحاب بالنون، بسبس بن عمرو الذبياني حليف الخزرج.

(ت) تميم بن يعار الخزرجي، تميم مولى بني غنم، تميم مولى خراش بن الصمة.

(ث) ثابت بن الجذع، ثعلبة الأنصاري، ثابت بن عمرو بن زيد النجاري، ثابت ابن خالد بن عمر النجاري، ثابت بن هرم البلوي حليف الأنصار، ثابت بن خنساء النجاري ذكر الواقدي أنه شهدها، ثابت بن عبيد الأنصاري، ثابت بن هذال الأنصاري، ثعلبة بن غنمة الأنصاري، ثعلبة بن عمرو بن محصن بن عمرو بن عتيك

---

(١) انظر في تسميتهم صحيح البخاري الفتح ٧/ ٣٢٨ ومجمع الزوائد ٦/ ٩٣ ـ ١٠٩. وسيرة ابن هشام ٢/ ٣٢١ والدرر لابن عبد البر ١١٧ ـ ١٣٣ وجوامع السيرة ٨٩ ـ ١١٧ والمغازي لعروة ١٤٧ ـ ١٥٩.

النجاري، ثعلبة بن حاطب بن عمرو الأنصاري قال ابن عبد البر وهو مانع الصدقة فيما قال قتادة وسعيد بن جبير انتهى. قلت: ذكره أبو محمد بن حزم فيمن شهد بدراً وقال: قد قال قوم إنه منع الزكاة فنزلت فيه ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ ﴾ الآيات، قال: وهذا باطل لأن شهوده بدراً يبطل ذلك بلا شك. انتهى.

(ج) جابر بن عبد الله بن رئاب بن خالد بن مسعود النجاري، جابر بن عتيك ويقال جبر الأوسي، جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ذكر النجاري أنه شهدها وكان ينقل الماء لأصحابه، قال ابن عبد البر ذكره بعضهم في البدريين ولا يصح لأنه قد روى عنه أنه قال: لم أشهد بدراً ولا أحد منعني أبي، جبار بن صخر بن أمية السلمي جبير بن إياس بن خالد بن مخلد الزرقي، جبر بن صيتا[1] كلهم من الأنصار.

(ح) حمزة بن عبد المطلب، الحارث بن أنس بن رافع، الحارث بن أوس بن معاذ بن أخي سعد، الحارث بن النعمان بن أمية بن امريء القيس الأوسي، الحارث بن خزمة وقيل ابن خزيمة أبو خزيمة بن عدي الأنصاري الخزرجي، الحارث بن عتيك بن النعمان النجاري، الحارث بن زيد بن عبد ربه بن ثعلبة الخزرجي، الحارث هو أبو الأعور بن ظالم بن عبس بن حرام النجاري، الحارث بن حاطب الأنصاري رده رسول الله ﷺ من الروحاء في شيء أمره به وضرب له بسهمه وأجره، الحارث بن الصمة رده أيضاً من الروحاء حين كسر وضرب له بسهمه وأجره، الحارث بن عرفجة الأوسي ذكره فيهم موسى بن عقبة والواقدي وابن عمارة. الحارث بن قيس بن خالد بن مخلد الزرقي، حارثة بن النعمان بن نفيع بن زيد النجاري، حارثة بن سراقة بن الحارث النجاري واستشهد، حارثة بن حمير الأشجعي حليف بني سلمة، حارثة بن مالك بن غضب بن جشم الزرقي ذكره الواقدي فيهم، حارثة بن النعمان بن رافع، حريث بن زيد بن ثعلبة الخزرجي، حبيب بن سعد وقيل بن أسود بن سعد وقيل بن أسلم مولى الأنصار، الحصين بن

---

(١) كذا (ق).

الحارث بن المطلب أخو عبيدة، حاطب بن عمرو بن عتيك الأوسي ولم يذكره ابن إسحاق، حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود العامري القرشي ذكره ابن عقبة وابن إسحاق والواقدي، حاطب بن أبي بلتعة اللخمي حليف قريش ويقال إنه من مذحج، حرام بن ملحان بن خالد بن زيد بن حرام النجاري، الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام السلمي.

(خ) خالد بن زيد بن كليب أبو أيوب النجاري، خالد بن البكير الليثي، خالد بن قيس بن مالك بن العجلان الزرقي، خلاد بن رافع بن مالك بن العجلاني الزرقي، خلاد بن سويد بن ثعلبة الخزرجي، خلاد بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام السلمي، خليدة بن قيس بن النعمان السلمي، خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الحطمي الأوسي، خزيمة بن أوس بن يزيد بن أصرم ذكره ابن عقبة فيهم، خباب بن الأرتّ التميمي، خراش بن الصمة بن عمرو بن الجموح بن حرام السلمي الخزرجي، خباب مولى عتبة بن غزوان، خبيب بن عدي الأوسي، خبيب بن أساف الخزرجي، خارجة بن زيد الخزرجي، خارجة بن حمير الأشجعي حليف الأنصار، خريم بن فاتك الأسدي صحح البخاري وغيره شهوده. خولى بن أبي خولى العجلي ويقال الجعفي حليف بني عدي بن كعب، خنيس بن حذافة السهمي، خوات بن جبير بن النعمان بن أمية بن امريء القيس الأوسي وقيل إنه أصاب ساقه حجر في الطريق فرجع فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره، خليفة بن عدي الزرقي الأنصاري ذكره ابن عقبة وابن إسحاق فيهم.

(د) دقة بن إياس بن عمرو الأنصاري.

(ذ) ذكوان بن عبد قيس بن خلدة الزرقي، ذو الشمالين واسمه عمير بن عبد عمرو بن غبشان الخزاعي حليف بني زهرة واستشهد.

(ر) رافع بن مالك بن العجلان الزرقي ذكره ابن عقبة فيهم وقيل رافع بن المعلى بن لوذان بن حارثة الخزرجي واستشهد، رافع بن عنجرة وهي أمه وأبوه عبد الحارث الأوسي، رافع بن سهل بن رافع الأنصاري ذكره بعضهم فيهم، رافع بن زيد ويقال ابن يزيد الأوسي، رفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة الخزرجي،

رفاعة بن الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد هو أحد بني عفراء ذكره ابن اسحاق فيهم وأنكر الواقدي وغيره شهوده، ربيعة بن أكثم بن سخبرة الأسدي، الربيع بن إياس بن غنم الخزرجي، ربعي بن رافع بن زيد بن حارثة بن الجد بن العجلان البلوي، رخيلة بالجيم والخاء والحاء ثلاثة أقوال.

(ز) زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي مولى رسول الله ﷺ، زيد بن سهل بن الأسود بن حرام أبوطلحة النجاري، زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان البلوي حليف بني عمرو، زيد بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب، زيد بن المزين بن قيس الخزرجي، زيد بن عاصم بن كعب بن منذر النجاري، زيد بن وديعة بن عمرو الخزرجي، الزبير بن العوام، زياد بن لبيد بن ثعلبة الزرقي، زياد بن عمرو ويقال ابن بشر أخو ضمرة حليف الأنصار ومولى لبني ساعدة، زياد بن كعب بن عمرو بن عدي الجهني، زاهر بن حرام الأشجي.

(س) سعيد بن زيد بن عمرو ضرب له رسول الله بسهمه وأجره على قول من قال لم يشهدها، سعد بن أبي وقاص الزهري، سعد بن معاذ سيد الأوس، سعد بن خيثمة الأنصاري واستشهد، سعد بن الربيع الخزرجي، سعد بن مالك بن خالد الخزرجي والد سهل بن سعد الساعدي ذكره الواقدي أنه خرج فمات فضرب له رسول الله ﷺ بأجره وسهمه، سعد بن عبادة ذكره بعضهم ولم يذكره ابن عقبة وابن إسحاق، سعد بن عبيد بن النعمان الأوسي، سعد بن زيد بن الفاكه، سعد بن خولى حليف لبني عامر بن لؤي، سعد بن خولى مولى حاطب بن أبي بلتعة من مذحج، وقيل من الفرس، سعد بن خولة العامري القرشي عند بعضهم وعند بعضهم حليف لهم، سعد بن عثمان بن خلدة الزرقي يكنى أبا عبادة، سعد بن زيد الأوسي ذكره ابن إسحاق فيهم، سهل بن قيس بن أبي كعب السلمي، سهل بن عتيك بن النعمان النجاري، سهل بن حنيف بن واهب العكيم الأوسي، سهل بن عدي، سليم بن عمرو بن حديدة ويقال ابن عامر السلمي، سليم بن الحارث بن ثعلبة النجاري، سليم بن ملحان النجاري، سليم بن قيس بن فهد النجاري، سليم أبو كبشة مولى النبي ﷺ، سلمة بن أسلم بن حريش الأوسي، سلمة بن حاطب بن عمرو بن عتيك الأنصاري، سلمة بن سلامة بن وقش الأوسي، سلمة بن ثابت بن وقش الأوسي،

سالم بن معقل مولى أبي حذيفة، سماك بن خرشه أبو دجانة الخزرجي، سماك بن سعد أخو بشير بن سعد الخزرجي، سنان بن أبي سنان الأسدي، سنان بن صيفي بن صخر السلمي، سهيل بن رافع النجاري وهو الذي كان له ولأخيه مسجد رسول الله ﷺ مربداً قاله ابن عقبة، سهيل بن عمرو بن أبي عمرو، سهل بن بيضاء القرشي الفهري، سليط بن عمرو أخو سهيل بن عمرو العامري ذكره ابن عقبة فيهم، سليط بن قيس بن عمرو النجاري، سراقة بن كعب بن عمرو بن عبد العزى النجاري، سراقة بن عمرو بن عطية النجاري، سبيع بن قيس الخزرجي، سواد بن زيد ويقال ابن زريق السلمي، سواد بن غَزِيّةَ البلوي أو النجاري، سويبط بن سعد بن حرملة العبدي القرشي، السائب بن مظعون أخو عثمان، السائب بن عثمان بن مظعون، سفيان بن بشر بن زيد.

(ش) شريك بن عبد عمرو بن قيظي الأوسي، شماس بن عثمان المخزومي، شجاع بن أبي وهب الأسدي.

(ص) صهيب بن سنان الرومي، صفوان بن بيضاء المخزومي واستشهد، صالح مولى رسول الله ﷺ يقال له شقران ذكره بعضهم.

(ض) الضحاك بن حارثة السلمي، الضحاك بن عبد عمرو بن مسعود النجاري، ضمرة بن عمرو أخو بسبس.

(ط) طلحة بن عبيد الله ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره، والطفيل بن مالك بن خنساء السلمي، والطفيل بن النعمان بن مالك بن خنساء. وليس في حرف الظاء أحد.

(ع) عبد الله أبو بكر الصديق، عبد الله بن مسعود، عبد الله أبو سلمة بن عبد الأسدي المخزومي، عبد الله بن رواحة الخزرجي، عبد الله بن جحش الأسدي، عبد الله بن ثعلبة بن خزمة البلوي حليف الخزرج، عبد الله بن الجد بن قيس السلمي، عبد الله بن جبير بن النعمان الأوسي، عبد الله بن ربيع بن قيس الخزرجي، عبد الله بن زيد بن ثعلبة الخزرجي، عبد الله بن طارق البلوي، عبد الله بن كعب بن عمرو النجاري، عبد الله بن مظعون الجمحي، عبد الله بن عبد الله بن أبيّ

الخزرجي، عبد الله بن عبد مناف بن النعمان السلمي، عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر السلمي، عبد الله بن عنبس ويقال عبيس الخزرجي، عبد الله بن عبس ولم ينسبوه وقالوا هو من حلفاء الخزرج، عبد الله بن قيس بن خلدة النجاري، عبد الله بن قيس بن صخر السلمي، عبد الله بن سعيد بن العاص بن أمية بن سراقة بن المعتمر القرشي العدوي ذكره ابن إسحاق فيهم، عبد الله بن سهيل بن عمرو العامري، عبد الله بن سلمة البلوي، عبد الله بن سهل الأشهل، عبد الله بن مخرمة العامري القرشي، عبد الله بن حمير الأشجعي، عبد الله بن عرفطة، عبد الله بن عبيد، عبد الله بن النعمان بن بلدة السلمي، عبد الله بن عمير الخزرجي، عبد الله بن عامر البلوي، عبد الرحمن بن عوف، عبد الرحمن بن كعب أبو ليلى الأنصاري، عبد الرحمن بن جبير بن عمرو الأوسي، عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة البلوي، عبد الرحمن بن سهل الأنصاري قال ابن عبد البر يقال إنه شهدها عبيد بن أوس بن مالك الأوسي يقال له مقرن، عبيد بن أبي عبيد الأوسي، عبيد بن زيد بن عامر بن العجلان، عبد بن قيس بن عامر الزرقي، عبيدة بن الحارث بن المطلب واستشهد، عبد ياليل بن ثابت الليثي حليف بني عدي بن كعب، عبد ربه بن حق الأوسي الخزرجي الساعدي، عبادة بن الصامت الخزرجي، عبادة بن قيس بن زيد الخزرجي، عباد بن بشر الأوسي، عباد بن عبيد بن التيهان الأوسي، عباد بن قيس الزرقي، عباد بن قيس بن عبسة بن أمية الخزرجي، عباد بن عبادة بن الخشخاش البلوي، عمر بن الخطاب، عمار بن ياسر، عمير بن الحمام بن الجموح السلمي واستشهد، عمير بن أبي وقاص أخو سعد واستشهد، عمير - والأكثرون يقولون عمرو - بن عوف مولى سهيل بن عمرو، عمير بن عامر بن مالك بن الخنساء النجاري كنيته أبو داود، عمير بن معبد بن الأزهر الأنصاري ذكره بعضهم، عمير بن حرام بن عمرو بن الجموح السلمي، عمير بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث السلمي، عمرو بن معاذ أخو سعد، عمرو بن أبي سرح القرشي الفهري، عمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة النجاري، عمرو بن طلق بن زيد السلمي، عمرو بن قيس بن زيد النجاري ذكره بعضهم، عمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدي النجاري، عمرو بن الحارث الفهري ذكره ابن عقبة، عمرو بن إياس بن زيد بن جشم حليف الأنصار،

عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرىء القيس ذكره ابن عقبة فيهم، عمرو بن سراقة بن المعتمر القرشي العدوي، عمرو بن الحارث بن نصير بن أبي شداد الفهري ذكره بعضهم، عامر بن عبد الله بن الجراح أبو عبيدة، عامر بن أبي وقاص أخو سعد، عامر ابن البكير الليثي، عامر بن ربيعة العنزي حليف بني عدي، عامر بن عبد عمرو أبو جنة الأوسي، عامر بن سلمة البلوي، عامر بن الحارث الفهري ويقال عمرو، عامر بن ثابت بن أبي الأقلح أخو عاصم، عامر بن أمية بن زيد بن الخشخاش النجاري، عامر بن مخلد بن الحارث النجاري، عويمر بن أشقر بن عوف، عمارة بن حزم أخو عمرو بن حزم النجاري، عمارة بن أبي حسن النجاري، عثمان بن عفان ضرب له بسهمه وأجره، عثمان بن مظعون، علي بن أبي طالب، عقبة بن وهب ويقال أبي وهب الأسدي، عقبة بن وهب بن كلدة الغطفاني حليف الخزرج، عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام السلمي، عقبة بن عثمان بن خلدة بن مخلد الزرقي، عتبة بن غزوان المازني حليف بني نوفل، عتبة بن عبد الله بن صخر بن خنساء السلمي، عتبة بن ربيعة البهراني حليف للأنصار ذكره بعضهم فيمن شهدها، عياض بن زهير الفهري عوف بن أثاثة المعروف بمسطح المطلبي، عوف بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء واستشهد، عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأوسي، عاصم ـ ويقال عامر ـ بن العكبر حليف للأنصار ذكره ابن عقبة فيهم، وبعضهم فيمن شهدها، عاصم بن قيس بن ثابت بن النعمان الأوسي، عاصم بن عدي البلوي وقيل بل رده رسول الله وضرب له بسهمه وأجره، عصمة بن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان الخزرجي، عصمة الأشجعي حليف لهم ذكره ابن عقبة فيمن شهدها، عصيمة الأسدي حليف لبني النجار، عصيمة الأشجعي حليف لهم، عدي بن الزغباء الجهني، عطية بن نويرة بن عامر الزرقي، عائذ بن ماعص بن قيس الزرقي، عبس بن عامر بن عدي السلمي، عكاشة بن محصن الأسدي، عوذ بن عفراء، عتبان بن مالك الخزرجي ذكره أكثرهم، عتيك ـ ويقال عبيد ـ بن التيهان الأوسي، عنترة مولى سليم بن عمرو وقيل هو من بني سليم بن منصور، عاقل بن البكير الليثي واستشهد، عليفة بن عدي بن عمرو الزرقي كذلك قال ابن هشام بالعين وقال ابن إسحاق خليفة بالخاء، عويم بن ساعدة الأوسي.

(غ) غنام بن أوس الزرقي.

(ف) فروة بن عمرو بن ودقة الزرقي، الفاكه بن بشر بن الفاكه بن زيد بن خلدة الزرقي.

(ق) قيس بن مخلد بن ثعلبة النجاري، قيس بن محصن بن خالد بن مخلد الزرقي، قيس بن أبي صعصعة النجاري، قيس بن سكن بن قيس النجاري، قيس بن عمرو بن قيس ذكره بعضهم، قتادة بن النعمان بن زيد الأوسي، قطبة بن عامر بن حديدة السلمي، قدامة بن مظعون الجمحي.

(ك) كعب بن عمرو بن عباد أبو اليسر السلمي، كعب بن زيد النجاري، كعب بن حمار ـ وقيل جماز ـ وهو أخو سعد الجهني، كثير بن عمرو من بني سليم حليف بني أسد ذكره ابن إسحاق وفي رواية زياد ممن شهدها، كناز بن الحصين أبو مرثد الغنوي.

(ل) لقيط بن عصر البلوي، لبدة بن قيس بن النعمان السلمي ذكره ابن الكلبي فيهم.

(م) محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ، محمد بن مسلمة الأوسي، معاذ بن جبل الخزرجي، معاذ بن الحارث هو ابن عفراء، معاذ بن عمرو بن الجموح السلمي، معاذ بن ماعض الزرقي ذكره ابن الكلبي، محمود بن مسلمة أخو محمد ذكره ابن الكلبي فيهم، مالك بن التيهان أبو الهيثم البلوي حليف لبني عبد الأشهل وقيل إنه من أنفسهم، مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار القرشي، مالك بن قدامة بن عرفجة الأوسي، مالك بن رافع بن مالك بن العجلان، مالك بن عمرو من بني سليم حليف لبني عبد شمس، مالك بن أبي خولى حليف للأنصار، مالك بن ربيعة أبو أسيد الساعدي، مالك بن أمية بن عمرو من بني سليم حليف بني أسد، مالك بن الدخشم الأوسي، مالك بن نميلة وهي أمه وأبوه ثابت المزني حليف الأوس، مالك بن مسعود الساعدي، معقل بن المنذر السلمي مرثد بن أبي مرثد الغنوي، معمر بن الحارث بن معمر الجمحي، محرز بن نضلة الأسدي، محرز بن عامر النجاري، معوذ بن الحارث وهو ابن عفراء، معوذ بن عمرو بن الجموح

السلمي، معن بن عدي أخو عاصم البلوي، مسعود بن عبد سعد الأوسي، مسعود بن الربيع ويقال ابن ربيعة من بني الهون بن خزيمة، مسعود بن سعد بن قيس بن خلدة الزرقي، مسعود بن خلدة الزرقي، مسعود بن أوس بن زيد النجاري، مسعود أبو محمد، معبد بن قيس بن صخر بن حرام السلمي، معبد بن عباد بن قشير أبو خميصة الخزرجي، معبد بن وهب العبدي، المنذر بن عمرو بن خنيس الساعدي، المنذر بن محمد بن عقبة الأوسي، المنذر بن قدامة الأوسي، المنذر بن عرفجة الأوسي، معتب بن حمراء الخزاعي ويقال البلوي، معتب بن بشير ويقال ابن قشير بن مليل الأوسي، مغيث بن عبيد البلوي، مرارة بن ربيع ويقال ابن الربيع الأوسي[1]، مصعب بن عمير، المقداد بن عمرو الكندي، مبشر بن عبد المنذر الأوسي واستشهد، المجذر بن زياد البلوي، مليل بن وبرة بن خالد بن العجلان الخزرجي، مهجع العجلان الخزرجي، مهجع بن صالح العكي مولى عمر واستشهد، مدلاج بن عمرو.

(ن) نوفل بن ثعلبة بن عبد الخزرجي، النعمان بن عبد عمرو بن مسعود النجاري، النعمان بن عصر بن الربيع البلوي، نعيمان[2] بن عمرو بن رفاعة النجاري، النعمان بن مالك بن ثعلبة الخزرجي، النعمان بن يسار مولى لبني سلمة، النعمان بن ثابت، النعمان بن أبي جذمة، نصر بن الحارث بن عبد الأوسي.

(و) وهب بن سرح بن سعد بن ربيعة بن هلال الفهري، وهب بن محصن الأسدي، واقد بن عبد الله التميمي حليف بني عدي، ورقة بن إياس بن عمرو بن غنم الخزرجي، وديعة بن عمرو الجهني حليف بني النجار.

(هـ) هاني بن نيار أبو بردة البلوي، هلال بن المعلى بن لوذان الخزرجي، هلال بن أبي خولى عمرو بن زهير الجعفي حليف الخطاب بن نفيل ذكره ابن عقبة

---

(١) كذا ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أن مرارة شهد بدراً، وصحح أبو بكر الأثرم وغيره أنه لم يشهدها وأن قول الزبيري في حديث كعب بن مالك في الصحيحين أنه شهدها غلط من الزبيري كما سيأتي التنبيه عليه إن شاء الله في غزوة تبوك. (عن هامش الأصل) (ق).

(٢) المزّاح (ق).

وابن الكلبي، هبيل بن وبرة الأنصاري ذكر ابن المنذر عن عروة أنه شهدها.

(ي) يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك الخزرجي، واستشهد، يزيد بن المنذر بن سراح بن خناس السلمي، يزيد بن رقيش بن رئاب بن يعمر الأسدي، يزيد بن عامر بن حديدة أبو المنذر السلمي ذكره موسى وغيره، يزيد بن ثابت بن الضحاك أخو زيد ذكره بعضهم.

وممن يعرف بكنيته ولا يعرف باسمه: أبو كبشة مولى رسول الله، أبو حذيفة بن عتبة أبو الحمراء مولى الحارث بن رفاعة.

أبو حريمة بن أوس، أبو سبرة، أبو مليل بن الأزعر.

ما قيل من الشعر في يوم بدر

وقال حمزة بن عبد المطلب في يوم بدر وبعضهم ينكرها لحمزة[1]:

ألم تر أمرا كان من عجب الدهر	وللحين أسباب مبيّنة الأمر
وما ذاك إلا أن قوماً أقادهم	فحانوا تواصوا بالعقوق وبالكفر
عشية راحوا نحو بدر بجمعهم	فكانوا رهوناً للرّكية من بدر
وكنا طلبنا العير لم نبغ غيرها	فساروا إلينا فالتقينا على قدر
فلما التقينا لم تكن مثنوية	لنا غير طعن بالمثقفة السمر
وضرب ببيض يختلي الرأس حدها	مشهرة الألوان بينة الإثر
ونحن تركنا عتبة الغي ثاويا	وشيبة في قتلى تجرجم في الجفر
وعمرو ثوى فيمن ثوى من حماتهم	فشقت جيوب النائحات على عمرو
جيوب نساء من لؤي بن غالب	كرام تفر عن الذوائب من فهر
أولئك قوم قتلوا في ضلالهم	وخلوا لواء غير محتضر النصر
لواء ضلال قاد إبليس أهله	فجاس بهم إن الخبيث إلى غدْر
وقال لهم إذ عاين الأمر واضحاً	برِئْتُ اليهم ما بيَ اليوم من صبر
فإني أرى ما لا ترون وإنني	أخاف عقاب الله والله ذو قَسر
فقدمهم للحين حتى تورطوا	وكان بما لم يخبر القوم ذا خبر

(١) انظر سيرة ابن هشام ٢/٣٥٨.

فكانوا غداة البئر ألفاً وجمعنا ... ثلاث مئين كالمسدمة الزُّهر
وفينا جنود الله حين يُمدنا ... بهم في مقام ثم مستوضح الذكر
فشدّ بهم جبريل تحت لوائنا ... لدى مأزق فيه مناياهمُ تجري

فأجابه الحارث بن هشام بن المغيرة فقال:

ألا يا لقوم للصبابة والهجر ... وللحزن مني والحرارة في الصدر
وللدمع من عينيّ جودا كأنه ... فريد هوى من سلك ناظمة يجري
على البطل الحلو الشمائل إذ ثوى ... رهين مقام للركية من بدر
فلا تبعدَنْ يا عمرو من ذي قرابة ... ومن ذي ندام كان ذا خُلُق غَمْر
فإن يك قوم صادفوا منك دولة ... فلا بد للأيام من دول الدهر
فقد كنت في صرف الزمان الذي مضى ... تريهم هواناً منك ذا سُبُل وعر
فإلا أمت يا عمرو أتركك ثائراً ... ولا أُبق بُقيا في إخاء ولا صهر
وأقطع ظهراً من رجال بمعشر ... كرام عليهم مثل ما قطعوا ظهري
أغرهم ما جمعوا من وشيظة[1] ... ونحن الصميم في القبائل من فهر
فيا لؤيّ ذبوا عن حريمكم ... وآلهة لا تتركوها لذي الفخر
توارثها آباؤكم وورثتم ... أواسِيَها والبيت ذا السقف والستر
فما لحليم قد أراد هلاككم ... فلا تعذروه آل غالب من عذر
وجدّوا لمن عاديتمو وتوازروا ... وكونوا جميعاً في التأسي وفي الصبر
لعلكم أن تثأروا بأخيكم ... ولا شيء إن لم تثأروا بذوي عمرو
بمطردات في الأكف كأنها ... وميض تُطير الهام بينة الأثر
كأن مدبّ الذر فوق متونها ... إذا جردت يوماً لأعدائها الخزر

قال ابن هشام[2]: أبدلنا فيها كلمتين مما روى ابن إسحاق وهما «الفخر» و«فما لحليم» لأنه نال فيها من النبي ﷺ.

---

(١) الوشيظة: الأتباع (ق).
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٦٠.

وقال ضرار بن الخطاب الفهري[1]:

عجبت لفرخ الأوس والحين دائر ... عليهم غدا والدهر فيه بصائر
وفخر بني النجار إن كان معشر ... أصيبوا ببدر كلهم ثَمّ صابر
فإن تك قتلى غودرت من رجالنا ... فإنا رجالا بعدهم سنغادر
وتردي بنا الجرد العناجيج وسطكم ... بني الأوس حتى يشفي النفس ثائر
ووسط بني النجار سوف نكرّها ... لها بالقنا والدارعين زوافر
فنترك صرعى تعصب الطير حولهم ... وليس لهم إلا الأماني ناصر
وتبكيهم من أهل يثرب نسوة ... لهن بها ليل عن النوم ساهر
وذلك أنا لا تزال سيوفنا ... بهن دم ممن يحاربن مائر
فان تظفروا في يوم بدر فإنما ... بأحمد أمسى جدكم وهو ظاهر
وبالنفر الأخيار هم أولياؤه ... يحامون في اللأواء والموت حاضر
يعدُّ أبو بكر وحمزة فيهمُ ... ويدعى علي وسط من أنت ذاكر
أولئك لا من نتجت في ديارهم ... بنو الأوس والنجار حين تفاخر
ولكن أبوهم من لؤي بن غالب ... إذا عدت الأنساب كعب وعامر
هم الطاعنون الخيل في كل معرك ... غداة الهياج الأطيبون الأكابر

فأجابه كعب بن مالك أخو بني سلمة[2]:

عجبت لأمر الله والله قادر ... على ما أراد ليس لله قاهر
قضى يوم بدر أن نلاقي معشراً ... بغوا وسبيل البغي بالناس جائر
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم ... من الناس حتى جمعهم متكاثر
وسارت إلينا لا تحاول غيرنا ... بأجمعها كعب جميعاً وعامر
وفينا رسول الله والأوس حوله ... له معقل منهم عزيز وناصر
وجمع بني النجار تحت لوائه ... يمشون في الماذيِّ والنقع ثائر
فلما لقيناهم وكل مجاهد ... لأصحابه مستبسل النفس صابر

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٦٢.
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٦٣.

شهــدنــا بــأن الله لا رب غيــره — وأن رســول الله بــالحــق ظــاهــر
وقـد عُـرِّيـت بيـض خفـاف كـأنهـا — مقـاييـس يـزهيهـا لعينـك شـاهـر
بهـن أبـدنـا جمعهـم فتبـددوا — وكـان يـلاقـي الحيـنَ مـن هـو فـاجـر
فكـب أبـو جهـل صـريعـاً لـوجهـه — وعتبـة قـد غـادرنـه وهـو عـاثـر
وشيبـة والتيمـي غـادرن فـي الـوغـى — ومـا منهمـا إلا بـذي العـرش كـافـر
فـأمسـوا وقـود النـار فـي مستقـرهـا — وكـل كفـور فـي جهنـم صـائـر
تلظـى عليهـم وهـي قـد شـبّ حميهـا — بـزبـر الحـديـد والحجـارة سـاجـر
وكـان رسـول الله قـد قـال أقبلـوا — فـولـوا وقـالـوا إنمـا أنـت سـاحـر
لأمــر أراد الله أن يهلكــوا بــه — وليــس لأمــر حمّــه الله زاجــر

وقال عبد الله بن الزِّبعري يبكي قتلى بدر، وتروى للأعشى بن زرارة التميمي[1]:

مـاذا علـى بـدر ومـاذا حـولـه — مـن فتيـة بيـض الـوجـوه كـرام
تــركــوا نبيهــاً بينهــم ومنبهــاً — وابنـي ربيعـة خيـر خصـم فئـام
والحـارث الفيـاض يبـرق وجهـه — كـالبـدر جلّـى ليلـة الإظـلام
والعـاصـي بـن منبّـه ذا مـرّة — رمحـاً تميمـاً غيـر ذي أوصـام
تنمـى بـه أعـراقـه وجـدوده — ومـآثـر الأخـوال والأعمـام
وإذا بكـى بـاك فـأعـول شجـوه — فعـل الـرئيس المـاجـد ابـن هشـام
حيـا الإلـه أبـا الـوليـد ورهطـه — رب الأنـام وخصـه بسـلام

فأجابه حسان بن ثابت:

ابـك بكـت عينـاك ثـم تبـادرت — بـدم تعُـلُّ غـروبهـا سجّـام
مـاذا بكيـت بـه الـذيـن تتـابعـوا — هـلا ذكـرت مكـارم الأقـوام
وذكـرت منـا مـاجـداً ذا همـة — سمـح الخـلائـق صـادق الإقـدام
أعنـي النبـي أخـا المكـارم والنـدى — وأبـر مـن يـولـى علـى الأقسـام
فلمثلـه ولمثـل مـا يـدعـو لـه — كـان الممـدّح ثـم غيـر كهـام

---

(1) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٦٤.

وقال حسان أيضاً[1]:

تبلت فؤادك في المنام خريدة ... تشفي الضجيع ببارد بسام
كالمسك تخلطه بماء سحابة ... أو عاتق كدم الذبيح مدام
نُفُجُ الحقيبة بوصُها متنضِّد ... بلْهاء غير وشيكة الأقسام
بنيت على قَطَن أجَمّ كأنه ... فضلاً إذا قعدت مَدَاك رُخام[2]
وتكاد تكسل أن تجيء فراشَها ... في جسم خَرْعَبَة[3] وحسن قوام
أما النهار فلا أفتر ذكرها ... والليل توزعني بها أحلامي
أقسمت أنساها وأترك ذكرها ... حتى تغيَّب في الضريح عظامي
بل من لعاذلة تلوم سفاهة ... ولقد عصيت على الهوى لوّامي
بكرت عليّ بسحرة بعد الكرى ... وتقارب من حادث الأيام
زعمت بأن المرء يكرب عمره ... عدمٌ لمعتكر من الإصرام
إن كنت كاذبة الذي حدثتني ... فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ... ونجا برأس طمرّةٍ ولجام
تذرُ العناجيج الجياد بقفرة ... مرّ الدموك بمحصد ورجام[4]
ملأت به الفرجَين فارمدّت به ... وثوى أحبته بشر مقام
وبنو أبيه ورهطه في معرك ... نصر الإله به ذوي الإسلام
طَحَنَتهمُ والله ينفذ أمره ... حرب يشب سعيرها بضرام
لولا الإله وجريها لتركْنَه ... جَزَرَ السباع ودُسْنه بحوام
من بين مأسور يُشَدُّ وثاقه ... صقر إذا لاقى الأسنة حام
ومُجدَّل لا يستجيب لدعوة ... حتى تزول شوامخ الأعلام
بالعار والذل المبين إذا رأى ... بيض السيوف تسوق كل همّام

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٦٥.

(٢) القطن: الساق. المداك: الحجر الذي يسحق عليه الطيب (ق).

(٣) الخرعبة: اللينة الناعمة (ق).

(٤) العناجيج: الحسان. الدموك: البكرة فيها الحبل (ق).

بِيَـدَيْ أغـرّ إذا انتمـى لـم تُخـزه ... نسـبُ القصـار سميـدع مقـدام
بيـض إذا لاقـت حـديـداً صممـت ... كـالبـرق تحـت ظـلال كـل غمـام

قال ابن هشام: فأجابه الحارث بن هشام فقال[1]:

الله يعلـم مـا تـركـت قتـالهـم ... حتـى حبـوا مُهـري بـأشقَـر مـزبـد
ووجـدت ريـح المـوت مـن تلقـائهـم ... فـي مـأزق والخيـل لـم تتبـدد
وعـرفـت أنـي إن أقـاتـل واحـداً ... أقتـل ولا ينكـى عـدوي مشهـدي
فصـددت عنهـم والأحبـة فيهـم ... طمعـاً لهـم بعقـاب يـوم مفسـد

فكان الأصمعي يقول: هذا أحسن ما قيل في الإعتذار. وقال خلف الأحمر: أحسن ما قيل في ذلك أبيات هبيرة بن أبي وهب المخزومي:

لعمـرك مـا وليـت ظهـري محمـداً ... وأصحـابـه جبنـاً ولا خيفـه القتـل
ولكننـي قلبـت أمـري فلـم أجـد ... لسيفـي مسـاغـاً إن ضـربـت ولا نبلـي
وقفـت فلمـا خفـت ضيعـة مـوقفـي ... رجعـت بعـود كـالهـزبـر إلـى الشبـل

وغزا الحارث بن هشام أحداً مع المشركين، ثم أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم، وكان من المؤلفة قلوبهم.

وكان فراغ رسول الله ﷺ من بدر عقب رمضان وأوائل شوال[2]. وفي أول شوال صلى صلاة الفطر[3].

غزوة بني سُليم

وفي أوائل شوال، وقيل بعد بدر بسبعة أيام، وقيل في نصف المحرم سنة ثلاث، خرج عليه الصلاة والسلام يريد بني سُليم، فبلغ ماء يقال له قرقرة الكدر، وهي أرض ملساء، والكدر طير في لونها كدرة، فأقام بها ثلاث ليال وقيل عشراً فلم

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٦٦.
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٧.
(٣) انظر المواهب ١/ ٣٧٨.

يلق حرباً وكانت غيبته خمس عشرة ليلة، واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري وقيل ابن أم مكتوم، وحمل اللواء علي بن أبي طالب، وقيل إنه أصاب لهم نعماً يزيد على خمسمائة وغلاماً يقال له يسار فأعتقه، ورجع ولم يلق كيداً. وكان بلغه أن بهذا الموضع جمعاً من بني سليم وغطفان فسار إليهم فلم يجد في المحال أحداً[1].

غزوة السويق

قال ابن إسحاق[2]: ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السويق وكان نذر أن لا يمس رأسه من جنابة حتى يغزو محمداً، فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له نيب من المدينة على بريد أو نحوه، ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل، فأتى حُيي بن أخطب فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له وخاف، فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك وصاحب كنزهم، فاستأذن عليه فأذن فقراه وسقاه وبطن له من خير الناس، ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث رجالاً من قريش إلى المدينة فأتوا ناحية فحرقوا في أصوار من نخل بها، ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين، ونذر بهم رسول الله ﷺ فخرج في طلبهم حتى بلغ قرقرة الكدر، ثم انصرف راجعاً وقد فاته أبو سفيان وأصحابه، وطرحوا كثيراً من أزوادهم يتخففون منها للنجاء، فأخذها المسلمون، فسميت غزوة السويق، فقال المسلمون: يا رسول الله أتطمع أن لنا غزوة[3]؟ قال: نعم.

---

(١) انظر في هذه الغزوة سيرة ابن هشام ٣/ ٥ والطبقات الكبرى ٢/ ٣١ والمغازي للواقدي ١/ ١٨٢ وتاريخ الطبري ٢/ ٤٨٢ وسيرة ابن كثير ٢/ ٥٣٩ والدرر لابن عبد البر ١٤٥ والدلائل للبيهقي ٣/ ١٦٣.

(٢) رواه ابن إسحاق في السيرة لابن هشام ٣/ ٦ بسند صحيح لكنه مرسل وانظر في هذه الغزوة الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٣٠ وتاريخ الطبري ٢/ ٤٨٣ والمغازي للواقدي ١/ ١٨١ ودلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٤٣٣ وسيرة ابن كثير ٢/ ٥٤٠ والدرر لابن عبد البر ١٤٦.

(٣) أي ثواب الجهاد وهذا من حرص الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على الأجر وتحريه في كل=

مشروعية صلاة العيد والأضحية

وفي ذي الحجة من هذه السنة صلى رسول الله ﷺ العيد وأمر بالأضحية.

زواج علي بفاطمة رضي الله عنهما

وفيها مات عثمان بن مظعون. وفيها تزوج علي بفاطمة وبنى بها بعد تزوجها بسبعة أشهر ونصف، وتزوجها وهي ابنة خمس عشرة سنة وخمسة أشهر، وسنه يومئذ نحو إحدى وعشرين وخمسة أشهر، ولم يتزوج عليها حتى ماتت[١].

غزوة غطفان

وهي غزوة ذي أَمَرَ بفتح الهمزة والميم، وسماها الحاكم غزوة أنمار، وهي بناحية نجد، وكانت لثنتي عشرة مضت من ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً من الهجرة.

سبب الغزوة

وسببها أن جمعاً من بني ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الإغارة، جمعهم دعثور بن الحارث المحاربي، وسماه الخطيب غورث وغيره عورك، وكان شجاعاً فندب رسول الله ﷺ المسلمين، وخرج في أربعمائة وخمسين فارساً، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان. فلما سمعوا بمهبطه هبطوا في رؤوس الجبال فأصابوا رجلاً منهم يقال له جبار من بني ثعلبة، فأدخل على رسول الله ﷺ، فدعاه إلى الإسلام فأسلم وضمه إلى بلال، وأصاب النبي ﷺ مطر، فنزع ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفا[٢] واضطجع تحتها وهم ينظرون، فقالوا [لدعثور][٣]: قد انفرد محمد فعليك به، فأقبل ومعه سيف حتى قام على رأسه فقال: من يمنعك مني اليوم؟ فقال ﷺ: الله[٤]. فدفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده فأخذه النبي ﷺ فقال من يمنعك مني؟ قال لا أحد وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. ثم أتى قومه

= مكان وزمان.

(١) زواج على رضي الله عنه بفاطمة أخرجه البيهقي في الدلائل جـ ٣/ ١٦٠ واسناده حسن وانظر سيرة ابن كثير رحمه الله جـ ٢، ٥٤٤ وقصة مهره التي رواها البخاري برقم ٤٠٠٣ ومسلم برقم ١٩٧٩ في قتل حمزة رضي الله عنه الشارفين.

(٢) وهذا من تواضعه عليه الصلاة والسلام وتقلله من الدنيا، فإنه لم يكن عنده غيرهما.

(٣) ما بين المعكوفتين ساقط من المطبوعة واستدرك من المرجع.

(٤) فيه عظيم توكله عليه الصلاة والسلام على الله، (ومن يتوكل على الله فهو حسبه).

فدعاهم إلى الإسلام، وأنزل الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ﴾ الآية. ويقال كان ذلك في ذات الرقاع[1]. ثم رجع ﷺ ولم يلق كيداً. وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة[2].

غزوة بُحْران

سبب الغزوة

وتسمى غزوة بني سليم من ناحية الفَرعَ بفتح الفاء والراء. وسببها أنه بلغه عليه الصلاة والسلام أن بها جمعاً كثيراً من بني سليم، فخرج في ثلاث مائة رجل من أصحابه، فوجدهم قد تفرقوا في مياههم، فرجع ولم يلق كيداً. وكان قد استعمل على المدينة ابن أم مكتوم كما قاله ابن هشام، وكانت غيبته عشر ليال. وقيل إنه خرج يريد قريشاً، ذكره ابن إسحاق[3].

سرية زيد بن حارثة

إلى القَرْدَة بالقاف المفتوحة والراء الساكنة، وقيل بالفاء وكسر الراء، اسم ماء من مياه نجد. وسببها كما قاله ابن إسحاق أن قريشاً خافوا من طرقهم التي كانوا يسلكون إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان، فسلكوا طريق العراق، وكان فيهم أبو سفيان بن حرب ومعهم فضة كثيرة، فلقيهم زيد ومن معه على ماء يقال له القردة، فأصاب تلك العير وما فيها وأعجزه الرجال، فقدم بها على رسول الله ﷺ. وعند ابن سعد: وكان مبعثه على رأس ثمانية وعشرين شهراً من الهجرة في مائة راكب يعترض

---

(١) وهو الصحيح وقد ثبتت في الصحيحين أنها في ذات الرقاع البخاري برقم ٤١٣٥ ـ ٤١٣٦ ومسلم برقم ٨٤٣.

(٢) انظر المواهب اللدنية ١/٣٨٨ وانظر خبر الغزوة في المغازي للواقدي ١/ ١٩٣ وتاريخ الطبري ٢/ ٤٨٧ والطبقات الكبرى ٢/ ٣٤ وسيرة ابن كثير ٣/ ٣ ـ ٤ وسيرة ابن هشام ٣/ ٨.

(٣) رواه ابن إسحاق بدون إسناد انظر سيرة ابن هشام ٣/ ٨ وانظر في خبر الغزوة المغازي للواقدي ١/ ١٩٦ وتاريخ الطبري ٢/ ٤٨٧ وسيرة ابن كثير ٣/ ٤ ـ ٥، والدرر ١٤٩ والمواهب اللدنية ١/ ٣٨٩.

عيراً لقريش، فيها صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى ومعهم مال كثير وآنية فضة فأصابوها، وقدموا بالعير على رسول الله ﷺ، وخمّسها فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم[1].

غزوة بني قينقاع

بطن من يهود المدينة لهم شجاعة وصبر. قال ابن سعد[2]: وكان يوم السبت النصف من شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة، وكانوا أول من نقض العهد. قال ابن إسحاق: وكان من حديث بني قينقاع أن رسول الله ﷺ جمعهم بسوق بني قينقاع ثم قال: يا معشر يهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أني مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم. قالوا: يا محمد إنك ترى أنا قومك، لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس. قال فحدثني مولى لآل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عن عكرمة عن ابن عباس قال: ما نزل هؤلاء الآيات إلاّ فيهم ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ﴾ الآية[3].

سبب الغزوة

وكان من أمر بني قيناع أن امرأة من العرب جلست إلى صائغ يهودي، فراودها على كشف وجهها فأبت، فعمد إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها فصاحت، فضحكوا منها. فوثب رجل من المسلمين على الصائغ

---

(١) رواه ابن إسحاق بدون إسناد وانظر سيرة ابن هشام ٣/ ١١ انظر في خبر السرية الطبقات الكبرى ٢/ ٣٦ وتاريخ الطبري ٢/ ٤٩٢ وسيرة ابن كثير ٣/ ٨ وتاريخ الإسلام (المغازي) والمواهب اللدنية ١/ ٣٩٠.

(٢) الطبقات الكبرى ٢/ ٢٨.

(٣) رواه أبو داود رقم ٣٠٠١ وابن إسحاق، سيرة ابن هشام ٣/ ٩ وقد حسن الحافظ ابن حجر إسناده في الفتح ٧/ ٣٣٢.

فقتله. فشدت اليهود على المسلم فقتلوه. ووقع الشر بين المسلمين وبين بني[1] قينقاع[2]، فسار إليهم النبي ﷺ بعد أن استخلف أبا لبابة بن عبد المنذر فحاصرهم أشد الحصار خمس عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة، وكان اللواء بيد حمزة بن عبد المطلب، وكان أبيض. فقذف الله في قلوبهم الرعب فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ على أن له أموالهم وأن لهم النساء والذرية. فأمر عليه السلام المنذر بن قدامة بتكتيفهم، وكلم عبدُ الله بن أبيّ بن سلول رسول الله ﷺ فيهم وألحّ عليه من أجلهم فقال: خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم. وأمر أن يجلوا عن المدينة وتركهم من القتل[3]. وتولى ذلك عبادة بن الصامت، فلحقوا بأذرعات، فما كان أقل بقاءهم، وخمست أموالهم، فأخذ رسول الله ﷺ صفيّه الخمس وفض بقية أخماسه على أصحابه، فكان أول ما خمس بعد بدر. ذكر ذلك ابن سعد[4]. قال في عيون الأثر[5]. كذا وقع في رواية «صفيه الخمس» والمعروف أن الصفي غير الخمس. وعن الشعبي[6] قال: كان لرسول الله ﷺ سهم يدعى «الصفي» قبل الخمس. وعن عائشة قالت: كانت صفية من الصفي[7]. فلا أدري أسقطت الواو[8] أم كان هذا قبل حكم الصفي. انتهى والله أعلم.

موقف المؤمن وموقف المنافق

وكانت بنو قينقاع حلفاء لعبد الله بن أبي وعبادة بن الصامت، فتبرأ عبادة من حلفهم فقال: يا رسول الله أتبرّأ إلى الله ورسوله من حلفهم وأتولى الله ورسوله: وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم. ففيه وفي عبد الله أنزل ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾ إلى قوله ﴿ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٣/ ١٠ وفي ثبوتها نظر لتأخر فرض الحجاب.

(٢) وهذا من خبث اليهود، فهم نقضة العهود والمواثيق وقتلة الأنبياء والمرسلين.

(٣) تكليم عبد الله بن أبيّ للرسول ﷺ رواه ابن إسحاق بسند مرسل.

(٤) الطبقات الكبرى ٢/ ٢٨.

(٥) عيون الأثر ١/ ٢٩٥.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) سبق تخريجه.

(٨) فتكون الرواية «صفية والخمس». (ق).

وكانوا أربع مائة حاسر وثلاثمائة دارع، وكانوا صاغة وتجاراً، ولم يكن لهم أرضون[1][2].

سرية كعب بن الأشرف

ذكر ابن سعد[3] أنها كانت لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين من مهاجره عليه الصلاة والسلام.

قال ابن إسحاق[4]: وكان من حديث كعب بن الأشرف أنه لما أصيب أصحاب القليب يوم بدر وقدم زيد بن حارثة بشيراً إلى أهل السافلة وعبد الله بن رَواحة إلى أهل العالية يبشران بالفتح قال كعب ـ وكان رجلاً من طيء ثم أحد بني نبهان، وكانت أمه من بني النضير ـ أحقٌّ هذا؟ أترون محمداً قتل هؤلاء الذين يسمى هؤلاء الرجلان؟ فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس. والله إن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها. فلما أيقن عدو الله الخبر خرج حتى قدم مكة فنزل على المطلب بن أبي وداعة السهمي، وجعل يحرض على رسول الله ﷺ وينشد الأشعار ويبكي على أصحاب القليب، ثم رجع إلى المدينة فشبب بنساء المسلمين

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل ٣/ ١٧٤ ورواه ابن إسحاق في السيرة لابن هشام ٣/ ١١ وهو مرسل سنده صحيح. وانظر في خبرهم: الطبقات الكبرى ٢/ ٢٨ والمغازي للواقدي ١/ ١٧٦ وتاريخ الطبري ٢/ ٤٧٩ وسيرة ابن كثير ٣/ ٥ ـ ٧ وجوامع السيرة ١٢٣ ـ ١٢٤.

(٢) هكذا يكون المؤمن يعادي في الله ويوالي في الله وقد قال عليه الصلاة والسلام (أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله).
وفي هذه القصة من الفوائد:
١ ـ قبح اليهود وسوء أخلاقهم.
٢ ـ أن اليهود من أجبن الناس وأضعفهم قال الله تعالى ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ الحشر ١٤.
٣ ـ فضيلة عبادة بن الصامت رضي الله عنه.
٤ ـ أن المنافقين أولياء لليهود وغيرهم من أعداء الإسلام.

(٣) الطبقات الكبرى ٢/ ٣١.

(٤) سيرة ابن هشام ٣/ ١٢.

حتى آذاهم. وذكر ابن عائذ عن الوليد بن مسلم عن عبد الله بن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة قال: ثم انبعث عدو الله يهجو رسول الله والمسلمين ويمدح عدوهم ويحرضهم عليهم، فلم يرض بذلك حتى ركب إلى قريش فاستعداهم على رسول الله، فقال له أبو سفيان والمشركون: أديننا أحب إليك أم دين محمد وأصحابه؟ وأي ديننا أهدى في رأيك وأقرب إلى الحق؟ فقال: أنتم أهدى منهم سبيلاً وأفضل. فقال رسول الله ﷺ: من لنا بابن الأشرف، فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا، وقد خرج إلى قريش فأجمعهم على قتالنا، وقد أخبرني الله بذلك، ثم قدم أخبث ما كان ينتظر قريشاً تقدم عليه فيقاتلنا. ثم قرأ على المسلمين ما أنزل الله فيه ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ الآية.

وروى البخاري[1] في الصحيح عن جابر بن عبد الله قال رسول الله ﷺ: من لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله؟ فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله أتحب أن أقتله؟ قال نعم. قال: فأذن لي أن أقول شيئاً[2]. قال قل. فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة، وإنه قد عنانا. قال: وأيضاً والله لتملنَّه. قال: فإنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين. فقال: نعم: ارهنوني. فقالوا: أي شيء تريد؟ قال ارهنوني نساءكم. قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: فارهنوني أبناءكم. قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين؟ هذا عار علينا، ولكنا نرهنك اللأمة ـ قال سفيان: يعني السلاح ـ فواعده أن يأتيه، فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة، فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم، فقالت له امرأته أين تخرج هذه الساعة؟ فقال لها إنما هو محمد بن مسلمة، وأخي ورضيعي أبو نائلة. وقال غير عمرو: قالت أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم. فقال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة، ورضيعي أبو نائلة، إن الكريم لو دُعي إلى طعنة أجاب. قال ويدخل محمد بن مسلمة برجلين. وقال غير عمرو: أبو

---

(١) رواه البخاري، رقم ٤٠٣٧ ومسلم برقم ١٨٠ وأبو داود رقم ٢٧٦٨.

(٢) فيه جواز الكذب لمصلحة الحرب وقد ورد في الحديث (الحرب خدعة).

عبس بن جبير والحارث بن أوس وقتادة بن بشر قال عمرو: فقال إذا ما جاء فإني قائل بشعره فأشمه، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه. وقال مرة ثم أشمكم. فنزل إليهم متوشحاً وهو ينفح ريح الطيب فقال: ما رأيت كاليوم ريحاً، أي أطيب. وقال غير عمرو: قال عندي أعطر نساء العرب، وأكمل العرب. قال عمرو فقال: أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال نعم. فشمه ثم أشمّ أصحابه ثم قال: أتأذن لي قال نعم، فلما استمكن منه قال: دونكم. فقتلوه. ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه. انتهى. وفي رواية ابن سعد: فلما قتلوه وبلغوا بقيع الغرقد كبروا. وقد قام عليه السلام تلك الليلة يصلي، فلما سمع تكبيرهم كبر وعرف أن قد قتلوه. فلما انتهوا إليه قال: أفلحت الوجوه. قالوا: ووجهك يا رسول. ورموا برأسه بين يديه. فحمد الله على قتله، وأصاب ذباب السيف الحارث بن أوس فجرح ونزف الدم. فتفل عليه الصلاة والسلام على جرحه فلم يؤذه بعد[١]. زاد ابن إسحاق[٢] في روايته: فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعد، والله فليس بها يهودي إلاّ وهو خائف على نفسه، وقال[٣] رسول الله ﷺ: من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه. فوثب محيصة بن مسعود على ابن سنينة[٤] رجل من تجار يهود كان يلابسهم ويبايعهم فقتله، وكان حويصة بن مسعود إذ ذاك لم يسلم وكان أسن من محيصة، فلما قتله جعل حويصة يقول: أي عدو الله أقتلته؟ قال: أما والله لرب شحم في بطنك من ماله. قال محيصة: فقلت: والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك. قال فوالله إن كان لأول إسلام حويصة. قال: أوالله لو أمرك محمد بقتلي لقتلتني؟ قال: نعم والله. قال: فوالله إن ديناً بلغ بك هذا لعجب. فأسلم حويصة[٥][٦].

---

(١) من المعجزات النبوية المحمدية.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ١٨ وانظر في خبر قتل كعب تاريخ الطبري ٢/ ٤٨٩ وعيوب الأثر ١/ ٢٩٩ وفتح الباري ٧/ ٣٣٧ وسيرة ابن كثير ٣/ ٩ ـ ١٧ والمواهب اللدنية ١/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ١٩.

(٤) قال ابن هشام ويقال (شُنينه).

(٥) إنه الولاء والبراء أن يقتل الأخ أخاه في النسب ولاء لله ورسوله وبراءة من الشرك وأهله.

(٦) انظر خبر الغزوة سيرة ابن هشام ٣/ ٢٣ ـ ٦٤ والمغازي للواقدي ١/ ١٩٩ ـ ٣٠٠ والطبقات=

غزوة أحد[1]

وهو جبل مشهور بالمدينة على أقل من فرسخ منها، وسمي بذلك لتوحده وانقطاعه عن جبال أخر هناك، ويقال له ذو عينين. قال في القاموس: بكسر العين ويفتحها مثنى، جبل بأحد، وهو الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام: أحد جبل يحبنا ونحبه[2]، وكانت عنده الوقعة المشهورة في شوال بالاتفاق يوم السبت لأحد عشر ليلة خلت منه، وقيل لسبع ليال خلون منه وقيل في نصفه، وعن مالك: بعد بدر بسنة، وعنه أيضاً: كانت على أحد وثلاثين شهراً من الهجرة.

تاريخ الغزوة

وكان سببها كما ذكره ابن إسحاق[3] عن شيوخه، وموسى بن عقبة عن ابن شهاب، وأبو الأسود عن عروة وابن سعد قالوا ومن قال معهم: إن قريشاً لما رجعوا من بدر إلى مكة وقد أصيب أصحاب القليب. ورجع أبو سفيان بعيره. قال عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل في جماعة ممن أصيب آباؤهم وإخوانهم وأبناؤهم يوم بدر: يا معشر قريش إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه ـ يعنون عير أبي سفيان ومن كانت له في تلك العير تجارة ـ لعلنا أن ندرك منه ثأراً. فأجابوا لذلك، فباعوها وكانت ألف بعير والمال خمسين ألف دينار، وفيهم كما قال ابن إسحاق وغيره أنزل الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ ﴾[4].

سبب الغزوة

ولما اجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ كتب العباس بن عبد المطلب كتاباً

العباس يخبر الرسول بمسير قريش

= الكبرى ٢/ ٣٦ ـ ٤٨ وتاريخ خليفة ٦٧ ـ ٦٨ وتاريخ الطبري ٢/ ٤٩٩ ـ ٥٣٣ والدرر ١٥٦ ـ ١٧٢ وجوامع السيرة ١٢٥ ـ ١٤٠. والسيرة لابن كثير ٣/ ١٨ ـ ٩٦. وعيون الأثر ٢/ ٢ ـ ٣٧. والمواهب اللدنية ١/ ٣٩١ ـ ٤١٢.

(١) انظر هذا الخبر في سيرة ابن هشام ٣/ ١٩ وفي تاريخ الطبري ٢/ ٤٩١ وسيرة ابن كثير ٣/ ١٥ وعيون الأثر ١/ ٣٠١.

(٢) رواه البخاري ٤٠٨٤ ومسلم برقم ١٣٦٥.

(٣) سيرة ابن هشام ٣/ ٢٣.

(٤) ولا يزال أهل الكفر ينفقون أموالهم ليصدوا المسلمين عن دينهم وعقيدتهم.

يخبر رسول الله ﷺ بخبرهم[1]، وسار بهم أبو سفيان حتى نزل بهم بطن الوادي من قبل أحد مقابل بالمدينة، وكانوا قريباً من ثلاثة آلاف من قريش والحلفاء والأحابيش، وجاءوا معهم بنسائهم لئلا يفروا، وكان ذلك في شوال من السنة الثالثة. فلما سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا قال رسول الله للمسلمين: إني قد رأيت والله خيراً: رأيت بقراً تذبح، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً، ورأيت أني أدخلت يدي في حصينة فأولتها المدينة. فأما البقر فهي ناس من أصحابي يقتلون، وأما الثلم الذي في ذباب سيفي فهو رجل من أهل بيتي يقتل[2]، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا بشر مقام فامكثوا، فإن دخل القوم الأزقة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت[3]. ووافقه على هذا الرأي عبد الله بن أبي وكان هو الرأي[4]،

رؤيا الرسول

استشارة الناس بالخروج

فبادر جماعة من فضلاء الصحابة ممن فاته الخروج يوم بدر فقالوا: يا رسول الله كنا نتمنى هذا اليوم، اخرج إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنّا عنهم. فصلى عليه الصلاة والسلام بالناس الجمعة ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد، وأخبر أن لهم النصر بما صبروا، وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم. ففرح الناس بذلك. ثم صلى بالناس العصر وقد حشدوا وحضر أهل العوالي[5]، ثم دخل عليه السلام بيته ومعه صاحباه أبو بكر وعمر فعمماه وألبساه، وصف الناس ينتظرون خروجه، فقال لهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير: استكرهتم رسول الله على الخروج، فردوا الأمر إليه. فخرج رسول الله ﷺ وقد لبس لأمته ـ وهي بالهمز وقد يترك تخفيفها الدرع ـ وتقلد السيف فندموا جميعاً على ما صنعوا فقالوا: ما كان لنا أن نخالفك، فاصنع ما شئت، فقال: ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه.

---

(١) قيل إن العباس رضي الله عنه كان مسلماً في ذلك الوقت، وعيناً لرسول الله ﷺ على قريش.

(٢) رواه أحمد ١/ ٢٧١ وانظر السلسلة الصحيحة للألباني رحمه الله (١١٠٠).

(٣) رواه أحمد من حديث جابر في المسند ٣/ ٣٥١ والدارمي ٢/ ١٢٩ وروى بعضه البخاري معلقاً.

(٤) الشورى من الأمور التي كان يستعملها النبي ﷺ أخذاً بقوله تعالى ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾.

(٥) هكذا كان أصحاب المصطفى ﷺ يحرصون على الجهاد والتضحية في سبيل الله.

وفي حديث ابن عباس عند أحمد والنسائي وصححه الحاكم[1] نحو حديث ابن إسحاق.

عقد الوية المعركة

وعقد ﷺ ثلاثة ألوية: لواء بيد أسيد بن حضير، ولواء للمهاجرين بيد علي بن أبي طالب وقيل بيد مصعب بن عمير، ولواء الخزرج بيد الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد بن عبادة. وفي المسلمين مائة دارع. وخرج السعدان أمامه يعدوان دارعين واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وعلى الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة، وأدلج عليه السلام في السحر وكان قد رد جماعة من المسلمين لصغرهم، منهم أسامة بن زيد وابن عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري والبراء بن عازب وزيد بن أرقم وعرابة بن أوس وعمرو بن حزم. انتهى[2]. هكذا ذكر جماعة من أهل السير منهم ابن إسحاق أن البراء بن عازب ممن رده رسول الله في ذلك اليوم، وحديثه في البخاري[3] يدل على شهوده القتال ذلك اليوم. انتهى. وأجاب من رآه مطيقاً، وكان منهم سمرة بن جندب ورافع بن خديج ولهما خمس عشرة سنة[4]، وكان المسلمون ألف رجل ويقال تسع مائة والمشركون ثلاثة آلاف رجل فيهم سبعمائة دارع ومائتا فرس وثلاثة آلاف بعير، ونزل عليه السلام بأحد ورجع عنه عبد الله بن أبيّ بنحو ثلث العسكر فيمن تبعه من قومه وقال: يخالفني ويسمع من غيري، فتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر يوبخهم ويحرضهم على الرجوع ويقول: تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع[5]. فرجع عنهم وسبهم. وسأله قوم من الأنصار أن يستعينوا بحلفائهم من يهود فأبى[6]، فسلك حرة بني

صغار الصحابة يتطلعون للجهاد

عدد المسلمين

المنافقون يتخلفون عن المعركة

---

(١) رواه الترمذي رقم ١٥٦١ وابن ماجه ٢٨٠٨ وأحمد ١/ ١٧١ والحاكم ٢/ ١٢٨ وسنده صحيح.

(٢) انظر المواهب اللدنية ١/ ٣٩١، ٣٩٥.

(٣) رواه البخاري برقم ٤٠٤٣ وأحمد ٤/ ٢٩٣.

(٤) أين شباب الأمة اليوم من هذه النماذج من شباب الصحابة الذين كانوا يتسابقون للجهاد في سبيل الله.

(٥) أهل النفاق يتخلون في الساعات الحرجة من تاريخ الأمة الإسلامية، وتنكشف أوراقهم في تلك المواقف. وفي خروجهم عن الجيش تمحيص للجيش وتنقية له.

(٦) وهذه من عزة المسلم فلا يلجأ إلى الكافر لعدم ثقته ﷺ باليهود.

حارثة وقال: من رجل يخرج بنا على القوم من كثب؟ فخرج به بعض الأنصار حتى سلك في حائط لبعض المنافقين وكان أعمى، فقام يحثو التراب في وجوه المسلمين ويقول: لا أحل لك أن تدخل في حائطي إن كنت رسول الله. فابتدره القوم ليقتلوه فقال: لا تقتلوه فهذا أعمى القلب والبصر. ونفذ رسول الله ﷺ حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي وجعل ظهره إلى أحد[1]، ونهى الناس عن القتال حتى يأمرهم، فلما أصبح يوم السبت تعبأ للقتال وهو في سبعمائة فيهم خمسون فارساً، وجعل رسول الله ﷺ على الرماة وكانوا خمسين رجلاً عبد الله بن جبير وقال: إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم ووطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم. كذا في البخاري[2] من حديث البراء. وفي حديث ابن عباس عند أحمد والطبراني والحاكم[3] أنه ﷺ أقامهم في موضع ثم قال: احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرفوا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا.

تحديد مواقع الرماة

وجعل على إحدى المجنبتين الزبير بن العوام، وعلى الأخرى المنذر بن عمرو، وظاهر رسول الله ﷺ بين درعين[4][5]، وتعبّت قريش فجعلوا على ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل. وقال ابن إسحاق: وقال رسول الله ﷺ من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه رجال فأمسكه عنهم حتى قام إليه أبو دجانة سِماك بن خرشة فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به وجوه العدو حتى ينحني. قال: أنا آخذه بحقه يا رسول الله. فأعطاه إياه[6]. وكان رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب. فلما رآه عليه السلام يتبختر قال: إنها لمشية يبغضها الله ورسوله إلاَّ في هذا الموطن[7][8].

الرسول يظاهر بين درعين

---

(١) رواه ابن إسحاق بدون سند انظر سيرة ابن هشام ٣/ ٢٧ ـ ٢٨.

(٢) رواه البخاري برقم ٤٠٩٧ ومسلم برقم ١٨٦٨.

(٣) رواه أحمد وصححه أحمد شاكر ٤/ ٢٠٩ والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٩٦.

(٤) رواه أبو داود برقم ٢٥٩٠ وابن ماجه برقم ٢٨٠٦ وهو صحيح.

(٥) واتخاذ الأسباب من التوكل وترك الأسباب من التواكل.

(٦) رواه مسلم برقم ٢٤٧٠ وأحمد ٣/ ١٢٣ والحاكم ٣/ ٢٣٠.

(٧) لأن فيها إظهار عزة الإسلام وإغاظة للعدو.

(٨) رواه ابن إسحاق وهو مرسل ضعيف سيرة ابن هشام ٣/ ٣٠ ورواه الطبراني في الكبير رقم=

فاقتتل الناس حتى حميت الحرب، فقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس، وقاتل حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله قتالاً شديداً حتى قتل أرطأة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، والتقى حنظلة الغسيل وأبو سفيان بن حرب فلما علاه حنظلة رآه شداد بن الأسود بن شعوب الليثي فقتله، فقال ﷺ: إن حنظلة لتغسله الملائكة. فسألوا امرأته جميلة أخت عبد الله بن أبيّ فقالت: خرج وهو جنب فقال عليه السلام: لذلك غسلته الملائكة. وبذلك تمسك من قال من العلماء إن الشهيد يغسل إذا كان جنباً اقتداء بالملائكة[1][2].

أسد الله وأسد رسوله

غسيل الملائكة

وكان أول من بدر من المشركين يومئذ أبو عامر الفاسق، وكان رأس الأوس في الجاهلية، فلما جاء الإسلام شرق به وجاهر رسول الله بالعداوة، فخرج من المدينة وذهب إلى قريش يؤلبهم على رسول الله ﷺ كما تقدم، ووعدهم أن قومه إذا رأوه أطاعوه ومالوا معه، وكان أول من لقي المسلمين يومئذ فنادى قومه وتعرف إليهم فقالوا: لا أنعم الله بك عيناً يا فاسق فقال: لقد أصاب قومي بعدي شر[3][4].

أبو عامر الفاسق

ثم قاتل المسلمون قتالاً شديد. وكان شعار المسلمين: أمت أمت[5]. وأبلى أبو دجانة وطلحة بن عبيد الله وأسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وأنس بن النضر وسعد بن الربيع، وكانت الدولة أول النهار للمسلمين فحسوهم بالسيوف، فانهزم أعداء الله وولوا مدبرين حتى انتهوا إلى نسائهم[6]. وفي

شعار المسلمين

هزيمة المشركين

= ٦٥٠٨ وفيه ضعف ومشيه الخيلاء في الحرب جائزة وقد سبق تخريج حديثها.

(١) إنها سرعة الاستجابة لله والرسول ﷺ خرج مستجيباً وهو على جنابة، مقبلاً على الله عز وجل، راجياً للشهادة فأين نحن من ذلك؟!!

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ٣/ ٢٠٤. وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ورواه البيهقي ٤/ ١٥ وله شاهد من حديث ابن عباس عند الطبراني في الكبير واسناده حسن.

(٣) الإسلام يغير النفوس ويربطها بالله وحده، وتكون الرابطة بين المسلمين هي رابطة الدين وليست رابطة النسب.

(٤) رواه ابن إسحاق وسنده حسن لكنه مرسل، سيرة ابن هشام ٣/ ٣٠.

(٥) رواه الحاكم في المستدرك وصححه وسكت عنه الذهبي ورواه أبو داود وأحمد ٤/ ٤٦.

(٦) كما في حديث الزبير بن العوام رواه ابن إسحاق بسند صحيح، سيرة ابن هشام ٣/ =

الرماة يعصون الرسول

حديث البراء عند البخاري[1] في الصحيح فلما لقيناهم هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل يرفعن سوقهن قد بدت خلاخيلهن. قال البراء، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله؟ قالوا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين. وفي حديث عائشة عند البخاري[2] أيضاً: لما كان يوم أحد هزم المشركون هزيمة بينة، فصاح إبليس: أي عباد الله أخراكم، أي احترزوا من ورائكم. فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم، فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان فقال: أي عباد الله أبي. قالت: فوالله ما احتجزوا عنه حتى قتلوه. فقال حذيفة: يغفر الله لكم. قال عروة: فوالله ما زالت في حذيفة بقية خير حتى لحق بالله. وذكر غير البخاري أن رسول الله ﷺ أراد أن يديه، فقال حذيفة: تصدقت بديته على المسلمين. فزاد ذلك حذيفة خيراً عند النبي ﷺ[3]. وعند أحمد والحاكم[4] من حديث ابن عباس أنهم لما رجعوا اختلطوا بالمشركين والتبس العسكران فلم يتميزوا فوقع القتل في المسلمين بعضهم من بعض. وفي رواية غيرهما: ونظر خالد بن الوليد ومن معه إلى خلاء الجبل وقلة أهله فكر بالخيل، وتبعه عكرمة بن أبي جهل فحملوا على من بقي من النفر الرماة فقتلوهم وأميرهم عبد الله بن جبير[5]. وعند ابن إسحاق[6] عن الزبير أنه قال: والله لقد رأيتني أنظر إلى

اليمان يقتل بأيدي المسلمين

المشركون يصعدون الجبل

= والبيهقي في الدلائل ٣/ ٢٢٨.

(١) رواه البخاري برقم ٤٠٤٣ وأحمد ٤/ ٢٩٣ وأبو داود برقم ٢٦٦٢.

(٢) رواه البخاري برقم ٤٠٦٥ والحاكم في المستدرك ٣/ ٣٧٩ والبيهقي في الدلائل ٣/ ٢٣٠.

(٣) رواه ابن إسحاق في السيرة لابن هشام ٣/ ٥٠ وسنده متصل ورجاله ثقات.

(٤) رواه أحمد في المسند ١/ ٢٨٧ والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٩٦ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٥) معصية الرسول ﷺ ومخالفة أمره هي التي كانت سبب الهزيمة.
وهكذا عصيان ولي الأمر يستوجب العقوبة في الدنيا والآخرة وبهذا ندرك وجوب طاعة ولي الأمر ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾.

(٦) رواه ابن إسحاق انظر سيرة ابن هشام ٣/ ٤١.

خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب مادون أخذهن قليل ولا كثير، إذ مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه خلوا ظهورنا للخيل فأتينا من خلفنا، وصرخ صارخ[1]: ألا إن محمداً قد قتل! فانكفأنا[2]، وانكفأ القوم علينا بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم، ولم يزل اللواء صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لقريش فلاثوا به، وكان اللواء مع صواب غلام لبني أبي طلحة حبشي، وكان آخر من أخذه منهم فقاتل به حتى قطعت يداه ثم برك عليه فأخذ اللواء بصدره وعنقه حتى قتل عليه وهو يقول: اللّهمّ هل أعزرت؟ يقول أعذرت[3]. وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو، وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم بالشهادة حتى خلص العدو إلى رسول الله ﷺ فدق بالحجارة حتى وقع لشقه وأصيبت رباعيته وشج في وجهه[4] وكلمت شفته السفلى، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص، وسقط رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي كان أبو عامر الفاسق يكيد بها فأخذ علي بيده، واحتضنه طلحة بن عبيد الله، وكان الذي تولى أذاه عبد الله بن قمئة وهو الذي شجه في وجهه. وفي الطبراني أنه هو الذي شج رسول الله ﷺ وكسر رباعيته فقال خذها وأنا ابن قمئة، فقال رسول الله ﷺ وهو يمسح الدم عن وجهه: أقمأك الله، فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة[5].

لواء المسلمين ولواء الكفار

الرسول يصاب

---

(١) كما في حديث ابن عباس المتقدم تخريجه.

(٢) انظر إلى أثر الإشاعة في خلخلة الجيش المسلم وانهيار المعنويات وقد أرشد الله العباد إلى الموقف الصحيح من الإشاعة ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾.

(٣) رواه ابن إسحاق بدون سند انظر سيرة ابن هشام ٣/ ٤١، وكان بلسانه لكنه يقلب الذال إلى الزاي.

(٤) كسر الرباعية ثابت في الصحيح رواه البخاري برقم ٤٠٧٣ ـ ٤٠٧٥ ومسلم برقم ١٧٩٣ ـ ١٧٩٠.

(٥) الخبر ذكره ابن هشام في السيرة ٣/ ٤٣.

وعند ابن عائذ من طريق الأوزاعي: بلغنا أنه لما خرج رسول الله ﷺ يوم أحد أخذ شيئاً فجعل ينشف دمه وقال: لو وقع شيء منه على الأرض لنزل عليهم العذاب من السماء. ثم قال: اللّهمّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون[1]. وقال نافع بن جبير: سمعت رجلاً من المهاجرين يقول: شهدت أحداً فنظرت إلى النبل يأتي من كل ناحية ورسول الله ﷺ وسطها كل ذلك يصرف عنه[2]، ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يقول يومئذ: دلوني على محمد، فلا نجوت إن نجا، ورسول الله ﷺ إلى أحد، ثم جاوزه، فعاتبه في ذلك صفوان فقال: والله ما رأيته، أحلف بالله أنه منا ممنوع فخرجنا أربعة، فتعاهدنا وتعاقدنا على قتله فلم نخلص إلى ذلك. وروى ابن إسحاق[3] عن حميد الطويل عن أنس قال: كسرت رباعية النبي ﷺ وشج في وجهه وجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم ويقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ﴾ الآية[4]. ورواه مسلم بنحوه[5]. ورواه أحمد والترمذي والنسائي من طرق عن حميد به. وفي الصحيحين[6] عن سعد قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما بياض كأشد القتال، وما رأيتهما قبل ولا بعد. وفي رواية لهما: يعني جبريل وميكائيل. وفي رواية لهما: رأيت عن يمين النبي ﷺ

الملائكة تقاتل

---

(١) في الصحيحين من حديث ابن مسعود قال كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول اللّهمّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، البخاري رقم ٣٤٧٧ ومسلم برقم ١٧٩٢.

(٢) في ثباته عليه الصلاة والسلام وصبره وشجاعته درس للأمة ولكل قائد من قادة الأمة، وكان ثباته سبباً لتجمع أصحابه حوله.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٤٢.

(٤) ما لقيه النبي الكريم عليه الصلاة والسلام إنما هو من الابتلاء وأشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.

(٥) رواه مسلم برقم ١٧٩١ والترمذي برقم ٣٠٠١ وعلقه البخاري وابن ماجه برقم ٤٠٢٧ وأحمد ٣/ ٩٩.

(٦) رواه البخاري رقم ٥٨٢٦ ومسلم برقم ٢٣٠٦ وأحمد ١/ ١٧١.

وشماله رجلين.. الحديث. وفي صحيح البخاري[1] عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ يوم أحد: هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب. وفي البخاري[2] من حديث البراء: لم يبق معه ﷺ إلاَّ اثنا عشر رجلاً، فذلك إذ يدعوهم الرسول في أخراهم. وفي صحيح مسلم[3] أنه ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش. فلما رهقوه قال: من يردهم عنا وله الجنة. فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ: ما أنصفنا أصحابنا. يروى بفتح الفاء وبإسكانها. انتهى. ثم جالدهم طلحة حتى أجهضهم عنه، وترس أبو دجانة عليه بظهره والنبل يقع وهو لا يتحرك[4]، وحينئذ قال رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص: ارم فداك أبي. أخرجاه في الصحيحين[5]. وفي رواية عن سعد[6] قال: سلّ لي رسول الله ﷺ كنانته وقال: ارم فداك أبي وأمي. وفيهما عن أبي عثمان قال: لم يبق مع النبي ﷺ في بعض تلك الأيام التي يقاتل فيها غير طلحة بن عبيد الله وسعد. وفي البخاري[7] عن قيس قال: رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي ﷺ يوم أحد. وفي صحيح ابن حبان عن عائشة قالت قال أبو بكر الصديق: لما كان يوم أحد انصرف الناس عن النبي ﷺ، فكنت أول من فاء إلى النبي ﷺ فرأيت بين يديه رجلاً يقاتل عنه ويحميه، فقلت كن طلحة فداك أبي وأمي، فلم أنشب أن أدركني أبو عبيدة بن الجراح، وإذا هو يشتد كالطير حتى لحقني، فدفعنا إلى النبي ﷺ، فإذا طلحة بين يديه صريعاً، فقال النبي ﷺ: دونكم أخاكم فقد أوجب، وقد رُمي النبي ﷺ في وجنته حتى غابت حلقتان من حلق المغفر في جبهته،

الصحابة يدافعون عن الرسول

---

(١) رواه البخاري برقم ٣٩٩٥ والذي في الصحيح قال يوم بدر ولم يقل يوم أحد ولعله وهم من المؤلف ولم يأت في أحد من طرق الحديث. ذكر أحد.

(٢) رواه البخاري برقم ٤٠٦٧.

(٣) رواه مسلم برقم ١٧٨٩.

(٤) وبهذا سمي قنفذ المعركة من كثرة السهام في ظهره وانظر سيرة ابن هشام ٣/ ٤٥.

(٥) رواه البخاري برقم ٢٩٠٥ ومسلم برقم ٢٤١١.

(٦) رواه البخاري برقم ٤٠٥٥.

(٧) رواه البخاري برقم ٣٧٢٤ وابن ماجه برقم ١٢٨ وأحمد ١/ ١٦١.

فذهبت لأنزعهما فقال أبو عبيدة: نشدتك الله يا أبا بكر إلا تركتني. قال فأخذ بفيه فجعل ينضنضه كراهية أن يؤذي النبي ﷺ، ثم استل السهم فندرت ثنية أبو عبيدة، ثم ذهبت آخذ الأخرى فقال أبو عبيدة: نشدتك الله يا أبا بكر إلاَّ تركتني. قال فأخذ بفيه فجعل ينضنضه ثم سله فندرت ثنية أبي عبيدة الأخرى، ثم قال النبي ﷺ: دونكم أخاكم قد أوجب. قال فأقبلنا على طلحة نعالجه، وقد أصابه بضع عشرة ضربة[1].

وقيل نشبت حلقتان من حلق المغفر في وجهه فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح وعض عليهما حتى سقطت ثناياه من شدة غوصهما في وجهه، ورواه أبو داود الطيالسي حدثنا ابن المبارك عن إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله أخبرني عيسى بن طلحة عن عائشة قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال: ذاك يوم كله لطلحة. ثم أنشأ يحدث فذكر نحوه، وفيه: أن أبا عبيدة استخرج الحلقتين، وكان أبو عبيدة من أحسن الناس هتماً. وامتص مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري الدم من وجنته، فقال ﷺ: مجه. فقال: والله لا أمجه أبداً. ثم أدبر يقاتل، فقال النبي ﷺ: من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا[2]. فقتل شهيداً[3]. وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قتل، وكان الذي قتله ابن قمئة وهو يظنه رسول الله، فصاح ابن قمئة: إن محمداً قتل. وأعطى رسول الله اللواء بعده علي بن أبي طالب فقاتل قتالاً شديداً[4]. وصرخ الشيطان: إن محمداً قد قتل. فوقع ذلك في قلوب كثير من المسلمين. ومر أنس بن النضر بقوم قد ألقوا ما بأيديهم فقال: يا قوم

الشيطان يصرخ بقتل الرسول

---

(١) رواه ابن حبان برقم ٢٢١٣ والطيالسي ٢/ ٩٩ والحاكم ٣/ ٢٦ وهو حديث ضعيف في سنده اسحاق بن يحيى وهو متروك ورواه البيهقي في الدلائل ٣/ ٢٦٠.

(٢) دفاع الصحابة عن رسول الله ﷺ وحمايته بأرواحهم قبل أجسادهم وتساقطهم في ذلك الواحد تلو الآخر، يؤكد حقيقة محبتهم للنبي ﷺ وأن محبته كانت مقدمة على محبة أنفسهم فقدموا نحورهم للموت دونه عليه الصلاة والسلام وعانقوا الموت في الحفاظ على حياته ﷺ فما أروعه من مثال تقشعر الأبدان من روعته.

(٣) وفي الحديث (من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله) قال العلامة الألباني في الصحيحة ٢/ ٣٢ ـ رواه الأصبهاني بإسناد صحيح لشواهده.

(٤) من مراسيل سعيد بن المسيب. انظر تاريخ خليفة بن خياط ٦٧.

ما تنتظرون؟ فقالوا قتل رسول الله. فقال: ما تصنعون بالحياة بعده؟ فقوموا فموتوا على ما مات عليه. ثم استقبل الناس، ولقي سعد بن معاذ فقال: يا سعد إني لأجد ريح الجنة من دون أحد. ثم استقبل المشركين وقال: اللّهمّ إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني المسلمين، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركين. ثم قاتل حتى قتل فما عرفه إلاَّ أخته ببنانه. ووجدوا به سبعين ضربة. أخرجه البخاري من حديث أنس[١]. ووجدوا يومئذ بعبد الرحمن بن عوف نحو عشرين جراحة، بعضها في رجله فعرج منها إلى أن مات[٢]. ومر رجل من المهاجرين برجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه فقال: يا فلان أشعرت أن محمداً قد قتل؟ فقال: إن كان قتل فقد بلغ، فقاتلوا عن دينكم. فنزلت ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾ الآية[٣]. وأقبل رسول الله ﷺ نحو المسلمين، وكان أول من عرفه كعب بن مالك الشاعر، فنادى بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أبشروا، هذا رسول الله. فأشار إليه رسول الله أن اصمت. فلما عرفه المسلمون لاذوا به ونهضوا معه إلى الشعب، وفيهم أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير والحارث بن الصمة الأنصاري وغيرهم[٤].

الرسول يقتل أبي بن خلف

قال ابن إسحاق[٥] فلما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أبيّ بن خلف على جواد له زعم عدو الله أنه يقتل عليه رسول الله، فلما اقترب منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة فلما أخذها منه انتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير، ثم استقبله عليه السلام فطعنه بها طعنة وقع بها عن فرسه ولم يخرج لها دم، فكسر ضلعاً من أضلاعه. فلما رجع إلى قريش قال:

---

(١) رواه البخاري برقم ٤٠٤٨ ومسلم برقم ١٩٠٣ والترمذي برقم ٣١٩٨ وأحمد ٣/ ١٩٤.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ٣٠٨ وفيه إحدى وعشرين جراحة والطبراني في الكبير ٢٦١.

(٣) رواه البيهقي في الدلائل ٣/ ٢٤٩.

(٤) رواه أبو نعيم في الدلائل ٢/ ٤٨٢ من طريق ابن إسحاق وسنده متصل انظر سيرة ابن هشام ٣/ ٤٦. قال الهيثمي في المجمع ٦/ ١١٢ رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار ورجال الأوسط ثقات.

(٥) رواه ابن إسحاق بسند منقطع سيرة ابن هشام ٣/ ٤٧.

قتلني والله محمد[1] أليس قد قال لي بمكة أنا أقتلك، فوالله لو بصق علي لقتلني. فمات عدو الله بسرف. رواه البيهقي[2] وأبو نعيم، ولم يذكر فكسر ضلعاً من أضلاعه. وفي رواية أبي الأسود عن عروة: فاحتمله أصحابه وهو يخور خوار الثور، فقالوا له: ما أجزعك، إنما هو خدش. فذكر لهم قول رسول الله ﷺ: بل أنا أقتل أبياً. ثم قال: والذي نفسي بيده لو كان الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا جميعاً. فمات إلى النار. وقد رواه موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري عن أبي المسيب بنحوه.

قال ابن إسحاق[3]: ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشعب ملأ علي بن أبي طالب درقته من المهراس ـ قيل هو صخرة منقورة تسع كثيراً، وقيل هو اسم ماء بأحد ـ فجاء به رسول الله ﷺ ليشرب منه فوجد له ريحاً فعافه، وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول: اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه. وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن الزهري عن عثمان الجريري عن مقسم أن رسول الله ﷺ دعا على عتبة بن أبي وقاص حين كسر رباعيته ودمى وجهه وقال: اللَّهمّ لا تحل عليه الحول حتى يموت كافراً، فما حال عليه الحول حتى مات كافراً إلى النار[4]. وفي الصحيحين[5] عن سهل أنه سئل عن جرح رسول الله ﷺ فقال: والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ومن كان يسكب الماء، كانت فاطمة ابنته تغسله وعلي بن أبي طالب يسكب الماء. فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلاَّ كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها فاستمسك الدم.

الرسول يدعو على عتبة

فاطمة تغسل الدم عن رسول الله

قال ابن إسحاق: فبينا رسول الله ﷺ في الشعب، معه أولئك النفر من أصحابه، إذ علت عالية من قريش الجبل، فقال رسول الله ﷺ: اللَّهمّ لا ينبغي لهم أن يعلونا، فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه حتى أهبوطهم من الجبل[6]، ونهض

---

(١) وهذا من شجاعته وبسالته عليه الصلاة والسلام فهو أشجع الناس عليه الصلاة والسلام.

(٢) دلائل النبوة ٣/ ٢٥٨.

(٣) سيرة ابن هشام ٣/ ٤٨ وتاريخ الطبري ٢/ ٥١٩.

(٤) رواه عبد الرزاق في المصنف برقم ٩٦٤٨ والذي في المصنف [عثمان الجزري عن مقسم].

(٥) رواه البخاري برقم ٤٠٧٥ ومسلم برقم ١٧٩٠ وأحمد ٥/ ٣٣٠.

(٦) سيرة ابن هشام ٣/ ٤٩ من رواية ابن إسحاق وجاء بمعناه من حديث ابن عباس رواه أحمد =

رسول الله ﷺ إلى صخرة من الجبل ليعلوها، وقد كان بدن رسول الله وظاهر بين درعين، فلما ذهب لينهض لم يستطع فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها، فقال رسول الله ﷺ كما حدثني يحيى بن عبد الله بن الزبير قال: سمعت رسول الله ﷺ يومئذ يقول: أوجب طلحة حين صنع برسول الله ما صنع[١].

الرسول يصلي قاعداً من الجراح

قال ابن هشام: وذكر عمر مولى عفرة أن النبي ﷺ صلى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح، وصلى المسلمون خلفه قعوداً. وانهزم قوم من المسلمين يومئذ فبلغ بعضهم إلى الحلوب دون الأعوص[٢]، منهم عثمان بن عفان وعثمان بن عقبة الأنصاري، فغفر الله ذلك لهم، ونزل القرآن بالعفو عنهم بقوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾. الآية. واشتغل المشركون ونساؤهم بقتلى المسلمين يمثلون بهم ويقطعون الآذان والأنوف والفروج ويبقرون البطون. وبقرت هند بنت عتبة عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها[٣].

أبو سفيان ينادي المسلمين

ولما أراد أبو سفيان الإنصراف أشرف على الجبل، ثم صرخ بأعلى صوته: أنعمت فعال، إن الحرب سجال، يوم بيوم بدر أعْلُ هبل.

وفي حديث[٤] البراء عند البخاري في صحيحه: فأصيب منا سبعون قتيلاً، فأشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمد؟ فقال: لا تجيبوه. فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ فقال لا تجيبوه فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال لا تجيبوه. فقال: إن هؤلاء قد قتلوا. فلم يملك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدو الله، قد أبقى الله ما يخزيك. وفي رواية: إن الذين عددتَ لأحياء، وقد أبقى الله لك ما يسوءك، فقال: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، إنكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني. ثم أخذ يرتجز: أعل هبل. فقال رسول الله ﷺ: ألا تجيبونه؟ قالوا يا رسول الله ما

= ١/ ٢٨٧ والحاكم ٢/ ٢٩٦ وهو صحيح.

(١) رواه الترمذي برقم ١٦٩٢ وأحمد ١/ ١٦٥ والحاكم ٣/ ٣٧٤. وهو صحيح.

(٢) في السيرة لابن هشام (فبلغ بعضهم إلى الحلوب دون الأعوص) أنظر ٣/ ٥٠.

(٣) سيأتي تخريجه عند أحمد.

(٤) رواه البخاري برقم ٤٠٤٣ وأبو داود برقم ٢٦٦٢ وأحمد ٤/ ٢٩٣.

نقول؟ قال قولوا: الله أعلى وأجل. ثم قال: لنا العزى ولا عزى لكم. فقال رسول الله ﷺ ألا تجيبونه؟ قالوا يا رسول الله ما نقول؟ قال قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم. انفرد به البخاري. وفي رواية الإمام أحمد عن ابن عباس قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال. قال عمر لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار. وفي رواية عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ هو الذي أجابه في ذلك، وأنه قال: لا سواء أما قتلانا فأحياء يرزقون، وأما قتلاكم ففي النار يعذبون. وفيه قال فنظروا فإذا حمزة قد بقر بطنه وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع أن تأكلها، فقال رسول الله ﷺ: أكلت شيئاً؟ قالوا لا. قال ما كان الله ليدخل شيئاً من حمزة النار[1][2].

أحد نصر لا هزيمة

وروى الإمام أحمد[3] وابن أبي حاتم والبيهقي والحاكم في المستدرك عن ابن عباس قال: ما نصر الله النبي ﷺ في موطن كما نصره يوم أحد، فأنكرنا ذلك عليه، فقال ابن عباس، بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله، إن الله يقول في يوم أحد ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾، يقول ابن عباس: والحس القتل، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾الآية. وإنما عنى بهذا الرماة. ولقد كانت الدولة لرسول الله ﷺ أول النهار حتى سقط من أصحاب لواء المشركين تسعة أو سبعة، الحديث وفيه أن عمر قال: يا رسول الله ألا أجيبه؟ قال بلى. فلما قال أعلُ هبل قال عمر: الله أعلى وأجل. قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، وإن الحرب سجال، قال عمر: لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار. قال: إنكم تزعمون ذلك فقد خبنا وخسرنا انتهى. قال في الهدي[4] فأمرهم بجوابه عند افتخاره بآلهته وبشركه تعظيماً للتوحيد وإعلاماً بعزة من عبد المسلمون وقوة جانبه وأنه لا يغلب، ونحن جنده وحزبه، ولم يأمرهم بإجابته حين قال أفيكم محمد، أفيكم ابن أبي قحافة، أفيكم عمر؟ بل قد روى أنه نهاهم عن إجابته لأن كلهم لم يكن يرد بعد

---

(١) لكنها رضي الله عنها أسلمت وآمنت وحسن إسلامها.

(٢) رواه أحمد ١/ ٤٦٣ وهو عن ابن مسعود وصححه العلامة أحمد شاكر برقم ٤٤١٤.

(٣) رواه أحمد ١/ ٢٨٧ والحاكم ٢/ ٢٩٦ وصححه العلامة أحمد شاكر برقم ٢٦٠٩.

(٤) زاد المعاد ٣/ ٢٠٢.

في طلب القوم ونار غيظهم بعد متوقدة، فلما قال لأصحابه أما هؤلاء فقد كفيتموهم حمى عمر بن الخطاب واشتد غضبه وقال: كذبت يا عدو الله. وكان في هذا الإعلام من الإذلال والشجاعة وعدم الجبن والتعرف إلى العدو في تلك الحال ما يؤذيهم بقوة العزم وبسالتهم، وأنهم لم يهنوا ولم يضعفوا، وأنه وقومه جديرون بعد بالخوف منهم، وقد أبقى لهم ما يسوءهم منهم. وكان في الإعلام ببقاء هؤلاء الثلاثة بعد ظنه وظن قومه أنهم أصيبوا من المصلحة وغيظ العدو وحزنه والفت في عضده ما ليس في جوابه حين سألهم عنهم واحداً بعد واحد، وكان سؤاله عنهم ونعتهم لقومه آخر سهام العدو وكيده فصبر له النبي ﷺ حتى استوفى كيده ثم انتدب له عمر فرد سهامه عليه، وكان ترك الجواب أولى وأحسن، وذكره ثانياً أحسن. وأيضاً فإن في ترك إجابته حين سألهم عنهم إهانة له وتصغيراً لشأنه، فلما منته نفسه موتهم فظن أنهم قد قتلوا وحصل له بذلك من الكبر والإعجاب ما حصل كان ذلك في جوابه إهانة له وتحقيراً وإذلالاً، ولم يكن هذا مخالفاً لقول النبي ﷺ لا تجيبوه، فإنه إنما نهى عن إجابته أولاً لما سأل: أفيكم محمد، أفيكم فلان؟ ولم ينه عن إجابته لما قال أما هؤلاء فقد قتلوا. وبكل حال فلا أحسن من ترك إجابته أولاً ولا أحسن من إجابته ثانياً، ولم يسأل إلاّ عن هؤلاء الثلاثة لعلمه وعلم قومه أن قيام الإسلام بهم.

النعاس في الحرب

وأنزل الله عليهم النعاس في غزوة بدر وأحد، والنعاس في الحرب والخوف دليل على الأمن وهو من الله، وفي الصلاة ومجالس الذكر والعلم من الشيطان. ففي الصحيح عن قتادة عن أنس قال: قال أبو طلحة: كنت ممن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مراراً، يسقط وآخذه ويسقط وآخذه[1]. وفيه عن أنس[2] قال: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ، وأبو طلحة بين يدي النبي مجوب عليه بجحفة له، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النزع، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة، وكان الرجل يمر معه بجعبه من النبل فيقول: انثرها لأبي طلحة، ويشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة: بأبي أنت وأمي لا تشرف يصيبك سهم من

أبو طلحة ودفاعه عن الرسول

---

(١) رواه البخاري برقم ٤٠٦٨ والترمذي برقم ٣٠٠٨ وأحمد ٤/ ٢٩.

(٢) رواه البخاري برقم ٣٨١١، ٤٠٦٤ ومسلم برقم ١٨١١ وأحمد ٣/ ١٠٥.

السهام القوم، نحري دون نحرك. ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان، أرى خدم سوقهما تنقزان بالقرب. وقال غيره: تنقلان القرب على متونهما تفرغانه على أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنه ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها وتجيئان فتفرغانه في أفواه القوم ولقد وقع السيف من يد أبي طلحة إما مرتين وإما ثلاثاً. انتهى.

قال ابن إسحاق ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى: إن موعدكم بدراً العام القابل. فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه: قل نعم، هو بيننا وبينكم موعد[١].

الرسول يأمر بمراقبة المشركين

ثم بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وقال: اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون؟ فان كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يردون مكة، وإن كانوا ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة[٢]. والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم[٣]. قال علي: فخرجت في أثرهم أنظر ما يصنعون، فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة، وفرغ الناس لقتلاهم وأخذوا ينقلون موتاهم بعد انصراف قريش، فأمر رسول الله ﷺ بأن يدفنوا في مضاجعهم، وأن لا يغسلوا، وأن يدفنوا كما هم بثيابهم[٤].

عين قتادة بن النعمان

وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان الظفري، فأتى بها رسول الله ﷺ وعينه على وجنته، فردها رسول الله ﷺ فكانت أصح عيني قتادة وأحسنهما[٥].

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٥٦.

(٢) وهذا من يقظة رسول الله ﷺ وفطنته مع ما كان فيه من الجهد والجراح، وفيه تقديره ﷺ للأمور، وإدراكه إن ركبوا الخيل فهم يريدون القتال، وإن ركبوا الإبل فهم يريدون مكة لأن السير الطويل يكون بالإبل.

(٣) مع ما في المسلمين من الجهد وعلى رأسهم رسول الله ﷺ إلاَّ أنه كان مستعداً للمواجهة والتحدي والقتال، وهذا يدلك على الروح المعنوية للجيش المسلم.

(٤) سيرة ابن هشام ٣/ ٥٦ ـ ٥٧.

(٥) رواه البيهقي في الدلائل ٣/ ٢٥١.

وذكر الحافظ في الإصابة طريقاً آخر للقصة رواها الدارقطني ورواية ابن إسحاق في السيرة لابن هشام ٣/ ٤٥ ـ ٤٦ مرسلة.

ذكر شهداءِ أحد

استشهاد حمزة

وكان ممن استشهد من المسلمين يوم أحد سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، قتله وحشي مولى نوفل، وأعتق لذلك، رماه بحربة فوقعت في ثُنته. ثم إن وحشياً أسلم، وقتل بالحربة بعينها مسيلمة الكذاب يوم اليمامة زمن أبي بكر الصديق. وفي حديث جعفر بن أمية الضمري في الصحيح[1] عن وحشي قال: إن حمزة قتل طعيمة بن عدي بن نوفل ببدر، فقال لي مولاي جبير بن مطعم: «إن قتلت حمزة بعمي فأنت حر. قال: فلما خرج الناس عام عينين ـ وعينين جبل بجبال أحد بينه وبينه واد ـ فلما أن خرج الناس خرجتُ مع الناس إلى القتال، فلما أن اصطفوا للقتال خرج سباع فقال: هل من مبارز؟ فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال: يا سباع، يا ابن أم أنمار مقطعة البظور، أتحاد الله ورسوله؟ قال: ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب. فكمنت لحمزة تحت صخرة، فلما دنا مني رميت بحربتي فأضعها في ثُنّته حتى خرجت من بين وركيه. قال: فكان ذلك آخر العهد به. فلما رجع الناس رجعت معهم فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام. ثم خرجت إلى الطائف، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ رسلاً، وقيل إنه لا يهيج الرسل. قال فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله ﷺ، فلما رآني قال: أنت وحشي؟ قلت نعم. قال: أنت قتلت حمزة؟ قلت: قد كان من الأمر ما بلغك. قال فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني؟ قال فخرجت. فلما قبض رسول الله ﷺ فخرج مسيلمة الكذاب قلت: لأخرجن إلى مسيلمة لعلي أقتله فأكافىء به حمزة. قال فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان. فإذا رجل قائم في ثلمة جدار كأنه جمل أورق ثائر الرأس، قال: فرميته بحربتي فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه. قال: ووثب عليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته. قال عبد الله بن الفضل: فأخبرني سليمان بن يسار أنه سمع عبد الله بن عمر يقول: قالت جارية على ظهر بيت: واأمير المؤمنين! قتله العبد الأسود. ورواه ابن إسحاق[2] في السيرة بإسناد صحيح بأبسط منه. قال فلما خرج وفد الطائف ليسلموا تعيت عليّ المذاهب فقلت ألحق بالشام أو اليمن أو ببعض

---

(١) رواه البخاري برقم ٤٠٧٢ وأحمد في المسند ٣/ ٥٠١.

(٢) سيرة ابن هشام ٣/ ٣٣.

البلاد، فوالله إني لفي ذلك من همي إذ قال رجل ويحك، إنه ما يقتل أحداً من الناس دخل في دينه ويشهد شهادة الحق. فلما قال ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة، فلم يرعه إلاَّ بي قائماً على رأسه أشهد شهادة الحق، فلما رآني قال: وحشي؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة؟ فحدثته كما حدثتكما. فلما فرغت من حديثي قال: ويحك، غيب عني وجهك فلا أرينك. قال فكنت أتنكب رسول الله ﷺ لئلا يراني حتى قبضه الله. قال ابن هشام: فبلغني أن وحشياً لم يزل يحد في الخمر حتى خلع من الديوان، فكان عمر بن الخطاب يقول: لقد علمت أن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة[1]. وروى الدارقطني بإسناد على شرط الشيخين عن سعيد بن المسيب قال: كنت أعجب لقاتل حمزة كيف ينجو؟ حتى أنه مات غريقاً في الخمر[2]. وروى ابن شاذان من حديث ابن مسعود: ما رأينا رسول الله ﷺ باكياً قط أشد من بكائه على حمزة بن عبد المطلب، وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نشغ من البكاء[3]. . الحديث. قيل والنشغ الشهيق حتى بلغ به الغشى. وروى البغوي في معجمه أنه كان ﷺ إذا صلى على جنازة كبر عليها أربعاً، وكبر على حمزة سبعين تكبيرة[4]. وقد روى أنس بن مالك أن شهداء أحد لم يغسلوا، ودفنوا بدمائهم، ولم يصل عليهم. أخرجه أحمد وأبو داود[5]، فيحمل أمر حمزة على التخصيص. ومن صلى عليه غيره على أنه جرح حال

اسلام وحشي

صلاته على حمزة

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٣٦.

(٢) ومع ذلك لا يجوز سبه فإنه صحابي من أصحاب النبي ﷺ.

(٣) رواه البزار كشف الأستار برقم ١٧٩٤ حديث جابر قال لما بلغ النبي ﷺ قتل حمزة بكى فلما نظر إليه شهق. قال الهيثمي ٦/ ١١٨ رواه البزار وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل وهو حسن الحديث على ضعفه.

(٤) قال الشافعي في الأم ١/ ٤٤٦ ما روي أنه صلى عليهم ـ أي شهداء أحد ـ وكبر على حمزة سبعين تكبيرة لا يصح، ونقله الحافظ في الفتح ٣/ ٢١٠ ـ ٢١١.

(٥) رواه أبو داود برقم ٣١٣٥. قال ابن القيم في تهذيب السنن ٤/ ٢٩٥ تعليقاً على هذا الحديث، (وأما الصلاة فقد أخرجا في الصحيحين [البخاري برقم ١٣٤٤، ومسلم برقم ٣٥٩٦] عن عقبة بن عامر أن النبي ﷺ خرج يوماً فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، وحديث أنس أن النبي ﷺ صلى على حمزة) [رواه أبو داود ٣١٣٧] إلى أن قال رحمه الله والصواب في=

الحرب ولم يمت حتى انقضت الحرب.

ودفن حمزة هو وابن أخته عبد الله بن جحش في قبر واحد[1].

ومنهم مصعب بن عمير قتله ابن قمئة الليثي وشماس بن عثمان المخزومي. ومن الأوس عمرو بن معاذ أخو سعد بن معاذ، والحارث بن أنيس، وعمارة بن زياد بن السكن، وسلمة وعمرو ابنا ثابت بن وقش، وصيفي بن قيظي، وحباب بن قيظي، وعباد بن سهل، والحارث بن أوس بن معاذ ابن أخي سعد، واليمان والد حذيفة حليف لهم، وإياس بن أوس، وعبيدة بن عمرو، وعبيد بن التيهان، وحبيب بن زيد بن تيم، ويزيد بن حاطب، وأبو سفيان بن الحارث، وحنظلة الغسيل، وقيس بن يزيد، ومالك بن أمية، وأنيس بن قتادة، وأبو حبة بن عمرو أخو سعد بن خيثمة لأمه، وعبد الله بن جبير أمير الرماة، وأبو خيثمة والد سعد. ومن حلفائهم عبد الله بن سلمة وسبيع بن حاطب، وعمير بن عدي. ومن الخزرج عمرو بن قيس، وابنه قيس، وثابت بن عمرو، وعامر بن مخلّد، وأبو هبيرة بن الحارث، وعمرو بن مطرف، وأوس بن ثابت أخو حسان، وأنس بن النضر، وقيس بن مخلد، وكيسان مولى لهم، وحارثة بن زيد، وسعد بن الربيع، وأوس بن الأرقم، ومالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري، وسعيد بن سويد، وعتبة بن منيع، وثقف بن فردة، وعبد الله بن عمرو بن وهب، وضمرة حليف لهم، ونوفل بن عبد الله، والعباس بن عبادة بن نضلة، والنعمان بن مالك، والمجذّر بن زياد البلوى، وعبادة بن الخشخاش، وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر، وعمرو بن الجموح دفنا في قبر واحد وكانا صديقين جداً، وابنه خلاد بن عمرو، وأبو أيمن مولى عمرو بن الجموح، وسليم بن عمرو، ومولاه عزة، وسهل بن قيس بن أبي بن كعب، وذكوان بن عبد قيس، وعبيد بن المعلى بن لوذان، فجميعهم خمسة وستون رجلاً. وممن ذكر أيضاً في شهداء أحد من الأوس: مالك بن نميلة حليف لهم، والحارث بن عدي الخطمي. ومن الخزرج مالك بن إياس وعمرو بن إياس فيكونون

= المسألة أنه مخير بين الصلاة عليهم وتركها لمجيء الآثار بكل واحد من الأمرين وهذا إحدى الروايات عن الإمام أحمد وهي أليق بأصوله ومذهبه).

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٦٠.

سبعين رجلاً رضي الله عنهم[1]. وقتل من الكفار اثنان وعشرون رجلاً[2].

غزوة حمراء الأسد[3]

سبب الغزوة

وقال أهل المغازي وكانت وقعة أحد يوم السبت للنصف من شوال من السنة الثالثة من الهجرة كما تقدم، فلما كان من الغد يوم الأحد أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الطلب للعدو، وعهد رسول الله أن لا يخرج معه أحد إلاَّ من حضر المعركة يوم أحد، فاستأذنه جابر بن عبد الله في أن يفسح له في الخروج معه ففسح له في ذلك، فخرجوا على ما بهم من الجهد والجراح، وإنما خرج عليه السلام مرهباً للعدوّ ومتجلّداً، فبلغ حمراء الأسد، وهي على ثمانية أميال من المدينة، ومر برسول الله ﷺ معبد بن أبي معبد الخزاعي، وكانت خزاعة عيبة نصح لرسول الله ﷺ مسلمهم وكافرهم، ومعبد يومئذ مشرك، فقال: يا محمد، أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك، ولوددنا أن الله عافاك. ثم خرج حتى لقي أبا سفيان ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا على الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه وقالوا: أصبنا حد أصحابه وقادتهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم؟ فلما رأى أبو سفيان معبداً قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه عليكم في جمع لم أر مثله قط، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا. قال: ويلك ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصي الخيل. فساء ذلك أبا سفيان ومن معه. ومر ركب من عبد القيس، فقال: أين تريدون. قالوا: نريد المدينة للميرة. قال: فهل أنتم مبلغون عني محمداً رسالة وأحملكم هذه غداً زبيباً بعكاظ إذا

---

(١) في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال إنه أصيب من الأنصار يوم أحد أربعة وستون وأصيب من المهاجرين ستة فيهم حمزة...) رواه الترمذي برقم ٣١٢٩ وأحمد ٥/ ١٣٥ والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٥٩ وقال صحيح الإسناد وأقره الذهبي وأسماء الشهداء ذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١٢٣ ـ ١٢٤ من رواية الطبراني إلى ابن شهاب.

(٢) انظر أسماءهم في جوامع السيرة ١٣٩ والدرر ١٧٠.

(٣) انظر خبر الغزوة في المغازي للواقدي ١/ ٣٣٤ وتاريخ الطبري ٢/ ٥٣٤، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٣٤، الدرر لابن عبد البر ١٦٧ وسيرة ابن هشام ٣/ ٦٥ وغيرها.

وافيتموها؟ قالوا: نعم. قال: فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا المسير إليه وأصحابه لنستأصل بقيتهم. فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان وأصحابه. فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل[١]. وفي الصحيح[٢] عن ابن عباس قال: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار. وقال محمد ﷺ حين قالوا له ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾. وفيه[٣] عن عائشة ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الآية. قال عروة قالت عائشة: يابن أختي كان منهم أبوك الزبير وأبو بكر لما أصاب نبي الله ما أصاب فانصرف عنه المشركون وخاف أن يرجعوا فقال: من يذهب في إثرهم، فانتدب منهم سبعون رجلاً كان فيهم أبو بكر والزبير. انتهى.

قالوا: فأقام رسول الله ﷺ بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء، ثم رجع إلى المدينة يوم الجمعة وقد غاب خمساً وظفر عليه السلام بمخرجه ذلك بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص جد عبد الملك بن مروان لأمه فأمر بضرب عنقه صبراً[٤].

قال الحافظ مغلطاي: وحرمت الخمر في شوال ويقال سنة أربع[٥].

بعث الرجيع[٦]

وحديث عضل والقارة. والرجيع بفتح الراء وكسر الجيم اسم ماء لهذيل بين مكة وعسفان كانت الوقعة بالقرب منه فسميت. وعضل بفتح المعجمة بطن من بني

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٣/ ٦٦، ٦٧.

(٢) رواه البخاري برقم ٤٥٦٣، ٤٥٦٤.

(٣) رواه البخاري برقم ٤٠٧٧ ومسلم برقم ٢٤١٨ مختصراً.

(٤) انظر سيرة ابن هشام ٣/ ٦٨.

(٥) انظر الإشارة إلى سيرة المصطفى ٢٣٨ وهو قول ابن الجوزي والقرطبي، وقال ابن إسحاق وابن حزم في السنة الرابعة وذكر الحافظ ابن حجر في الفتح ١٠/ ٣٤ أن التحريم كان عام الفتح قبل الفتح وإلى هذا أشار الدمياطي أن التحريم سنة الحديبية والله أعلم.

(٦) انظر خبر الرجيع في سيرة ابن هشام ٣/ ١٢٣ والطبقات لابن سعد ٢/ ٥٥ والدرر ١٦٨ وتاريخ الطبري ٢/ ٥٣٨ وسيرة ابن كثير ٣/ ١٢٣.

الهون بن خزيمة بن مدركة، والقارة بالقاف وتخفيف الراء بطن من الهون أيضاً. قال ابن دريد: القارة أكمة سوداء كأنهم نزلوا عندها فسموا بها[١]. قالوا: وقدم على رسول الله في صفر في آخر تمام السنة الثالثة من الهجرة نفر من عضل والقارة، فذكروا للنبي ﷺ أن فيهم إسلاماً، ورغبوا أن يبعث معهم نفراً من المسلمين يفقهونهم في الدين، فبعث رسول الله ﷺ ستة رجال من أصحابه: مرثد بن أبي مرثد الغنوي، وخالد بن البكير الليثي، وعاصم بن ثابت من الأوس، وخبيب بن عدي، وزيد بن الدثنة البياضي، وعبد الله بن طارق حليف لبني ظفر. وأمّر رسول الله ﷺ مرثداً، حتى إذا صار بالرجيع غدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيلاً[٢]، وفي الصحيح[٣] عن أبي هريرة قال: بعث النبي ﷺ سرية وأمر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب، فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا الحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلاً نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة. فقالوا: هذا تمر يثرب. فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم، فلما انتهى عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدفد، وجاء القوم فأحاطوا بهم. فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً. فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللّهمّ أخبر عنا رسولك. فقاتلوهم فرموهم حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفر بالنبل، وبقي خبيب وزيد ورجل آخر فأعطوهم العهد والميثاق، فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها. فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر، فأبى أن يصحبهم فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل، فقتلوه. وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة، فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب هو الذي قتل الحارث يوم بدر، فمكث عندهم أسيراً حتى إذا أجمعوا على قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحد بها فأعارته، قالت: فغفلت عن صبي لي فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه، فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك مني

سبب خروج البعث

خبيب بن عدي أسيراً في مكة

---

(١) انظر المواهب اللدنية ١/ ٤١٦.

(٢) رواه ابن إسحاق بسند منقطع انظر سيرة ابن هشام ٣/ ١٢٣.

(٣) رواه البخاري برقم ٣٩٨٩ وأبو داود برقم ٢٦٦٠ والبيهقي في الدلائل ٣/ ٣٢٣.

وفي يده الموسى فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت أفعل ذلك إن شاء الله. وكانت تقول: ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وإنه لموثق في الحديد، وما كان إلاّ رزقاً رزقه الله. فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال: دعوني أصلي ركعتين. فتركوه يصلي ثم انصرف إليهم فقال: لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت. وكان أول من سن الركعتين عند القتل، وقال: اللّهمّ أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تبق منهم أحداً. ثم قال:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً ... على أي شق كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله فإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزّع

عاصم بن ثابت وحماية الله له

ثم قام عقبة بن الحارث فقتله. وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه، وكان قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدر، فبعث الله عليه مثل الظلّة من الدبر فحمته من رسلهم، فلم يقدروا منه على شيء. وفي رواية في الصحيح[1]: بعث رسول الله عشرة رهط سرية عيناً، واستجاب الله لعاصم بن ثابت يوم أصيب، وأخبر النبي ﷺ خبرهم، وما أصيبوا. انتهى.

ووقع في رواية أبي الأسود عن عروة: فلما وضعوا في خبيب السلاح نادوه وناشدوه: أتحب أن محمداً مكانك؟ قال: والله، ما أحب أن يفديني بشوكة في قدمه[2].

والدبر بفتح المهملة وسكون الموحدة: الزنابير، وهي ذكور النحل. وكان عاصم بن ثابت قد أعطى الله عهداً أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً، فكان عمر لما بلغه خبره يقول: يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما يحفظه في حياته.

سرية المنذر بن عمرو إلى بئر معونة[3]

وهو موضع ببلاد هذيل بين مكة وعسفان، في صفر على رأس أربعة أشهر من

---

(١) رواه البخاري برقم ٤٠٨٦.
(٢) انظر المواهب اللدنية ١/ ٤٢٣.
(٣) انظر خبر السرية تاريخ الطبري ٢/ ٥٤٥ والمغازي ١/ ٣٤٦ وجوامع السيرة ٧٨ وسيرة ابن هشام ٣/ ١٣٧ وسيرة ابن كثير ٣/ ١٣٩ والسرايا والبعوث ٢٣٧.

سبب السرية أحد[1]. وكان سببها كما قال ابن إسحاق وغيره أن أبا مالك المعروف بملاعب الأسنة قدم على رسول الله ﷺ، فعرض عليه الإسلام، فلم يسلم، ولم يبعد، وقال: يا محمد، لو بعثت رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك. فقال عليه الصلاة والسلام: إني أخشى أهل نجد عليهم. قال أبو براء أنا لهم جار[2]، فابعثهم، فبعث المنذر بن عمرو ومعه القراء وهم سبعون وقيل أربعون وقيل ثلاثون، وفي رواية قتادة في الصحيح[3] عن أنس أنهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل، وفي رواية ثابت عنه يشترون به الطعام لأهل الصفة ويتدارسون القرآن بالليل، فساروا حتى إذا نزلوا بئر معونة بعثوا حرام بن ملحان بكتابه ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل، فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله، وفي رواية أنس في الصحيح: فلما أنفذه الرمح قال: الله أكبر، فزت ورب الكعبة. انتهى. ثم استصرخ عليهم بني عامر فلم يجيبوه وقالوا نحن لن نخفر أبا براء وقد عقد لهم عقداً وجواراً، فاستصرخ قبائل من سليم ورعلاً وذكوان وعصية فأجابوه إلى ذلك، ثم خرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم وقاتلوهم حتى قتلوا إلى آخرهم، إلاّ كعب بن زيد فإنهم تركوه وبه رمق، فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيداً. وأسر عمرو بن أمية الضمري، فلما أخبرهم أنه من مضر أخذه عامر بن الطفيل وأعتقه عن رقبة زعموا أنها كانت على أمه. وفي الصحيح[4] عن أبي أسامة عن هشام بن عروة فأخبرني أبي قال: لما قتل الذين ببئر معونة وأسر عمرو بن أمية الضمري قال له عامر بن الطفيل: من هذا؟ وأشار إلى قتيل، فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة. قال: لقد رأيته بعدما قتل رفع إلى السماء حتى أني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض، ثم وضع. فأتى

---

(١) انظر المواهب ١/ ٤٢٥.

(٢) انظر سيرة ابن هشام ٣/ ١٣٨.

وقد أخرج جوار ملاعب الأسنة عبد الرزاق في المصنف ٩٧٤١ والطبراني في الكبير برقم ١٣٨ قال الهيثمي رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه البخاري برقم ٤٠٩٠ ومسلم برقم ٦٧٧ وأحمد ٣/ ١٦٧.

(٤) رواه البخاري برقم ٤٠٩٣، ٣٩٠٠.

النبي ﷺ خبرهم فنعاهم فقال: إن أصحابكم قد أصيبوا، وأنهم قد سألوا ربهم قالوا: ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضينا عنك ورضيت عنا. فأخبرهم عنهم. وفي الصحيحين عن أنس[1]: دعا النبي ﷺ على الذين قتلوهم ثلاثين صباحاً، يدعو على رعل وذكوان وبني لحيان وعصية عصوا الله ورسوله[2]. قال أنس: فأنزل الله في الذين قتلوا قرآناً قرأناه ثم نسخ بعد، أي نسخت تلاوته «بلغوا قومنا عنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه»[3] وروى ابن سعد[4] عن أنس: ما رأيت رسول الله ﷺ وجد على أحد ما وجد على أصحاب بئر معونة، وذكر الواقدي[5] أن خبر أصحاب الرجيع وخبر أصحاب بئر معونة أتى النبي ﷺ في ليلة واحدة، ويدل على قربها منها ما في حديث أنس من تشريك النبي ﷺ بين بني لحيان وعصية وغيرهم في الدعاء.

غزوة بني النضير[6]

سبب الغزوة

قال ابن اسحاق وغيره: وكانت في سنة أربع، وفي البخاري[7] عن عروة قال: كانت غزوة بني النضير على رأس ستة أشهر من وقعة بدر. وكان سببها كما قال ابن اسحاق[8] وغيره أن عمرو بن أمية الضمري لما أعتقه عامر بن الطفيل كما تقدَّم خرج

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر مصنف عبد الرزاق ٥/ ٣٨٤.

(٣) رواه البخاري برقم ٤٠٩١.

(٤) الطبقات لابن سعد ٢/ ٥٣.

(٥) المغازي للواقدي ١/ ٣٤٨.

(٦) انظر خبر الغزوة في الطبقات الكبرى ٢/ ٥٧ والمغازي للواقدي ١/ ٣٦٣ والكامل في التاريخ ٢/ ١٧٣ وسيرة ابن هشام ٣/ ١٤٣ والروض الأنف ٣/ ٢٥٠ وسيرة ابن كثير ٣/ ١٤٥.

(٧) ذكره البخاري معلقاً في المغازي قبل رقم ٤٠٢٨ وقد رواه عبد الرزاق في المصنف برقم ٩٧٣٢ موصولاً. وقد رجح الأئمة كون الغزوة بعد أحد وبئر معونة كما ذكر ابن إسحاق ومنهم ابن حزم في جوامع السيرة ١٨١ وابن القيم ٣/ ٢٤٩ كما علق خبر ابن إسحاق البخاري في الصحيح برقم ٤٠٢٨.

(٨) انظر سيرة ابن هشام ٣/ ١٤٣.

عمرو إلى المدينة، فصادف في طريقه رجلين من بني عامر معهما عقد وعهد من رسول الله ﷺ لم يشعر به عمرو، فقال لهما عمرو: من أنتما؟ فذكرا له أنهما من بني عامر فتركهما حتى ناما فقتلهما وظن أنه قد ظفر ببعض ثأر أصحابه، فلما قدم أخبر رسول الله ﷺ فقال: لقد قتلت قتيلين لأدينهما. ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعين بهم في دية ذينك القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية للجوار الذي كان عقده لهما، فلما أتاهم عليه السلام يستعينهم قالوا: يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت. ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوه على مثل هذا الحال. وكان ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم. فقالوا: من رجل يعلو على هذا البيت فيلقي هذه الصخرة عليه فيقتله ويريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش فقال: أنا لذلك.

غدر اليهود

قال ابن سعد: فقال سلام بن مشكم: لا تفعلوا، والله ليخبرن بما هممتم به، وأنه لنقض العهد الذي بيننا وبينه.

قال ابن اسحاق: وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام مظهراً أنه يقضي حاجة وترك أصحابه في مجلسهم ورجع مسرعاً إلى المدينة. واستبطأ النبي ﷺ أصحابه فقاموا إليه حتى انتهوا إليه فأخبر بما أراد يهود. قال ابن عقبة[1]: وأنزل الله في ذلك ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾ الآية. فأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم.

خروج الرسول إليهم

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، ثم سار بالناس حتى نزلوا بهم فحاصرهم، فتحصنوا منه في الحصون، فقطع النخل وحرقها وخرب، فنادوه: يا محمد، قد كنتَ تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها. قال السهيلي[2]: قال أهل التأويل: وقع في نفوس بعض المسلمين من

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول برقم ٣٨٥ وفي سنده ابن إسحاق والحسن وقد عنعنوا فالحديث ضعيف.

(٢) في الروض الأنف.

هذا الكلام شيء، حتى أنزل الله ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾. الآية[١].

قال ابن إسحاق[٢]: وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبي بن سلول بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم فتربصوا. فقذف الله في قلوبهم الرعب فلم ينصروهم، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم عن أرضهم ويكف عن دمائهم.

وفي الصحيح[٣] من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ حرق نخل بني النضير وقطع، وهي البويرة، ولها يقول حسان بن ثابت:

وهـان علـى سـراة بنـي لـؤي ... حـريـق بـالبـويـرة مستطيـر

فأجابه أبو سفيان بن الحارث:

أدام الله ذلـك مـن صنيـع ... وحـرق فـي نـواحيهـا السعيـر
ستعلـم أينـا منهـا بنـزه ... ونعلـم أي أرضينـا تضيـر

إجلاء اليهود من المدينة

وفي رواية فأنزل الله ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا ﴾. الآية[٤]. وفي رواية ابن[٥] سعد: فقال لهم رسول الله ﷺ: اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلاَّ الحلقة، فنزلوا على ذلك، وكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم، ثم أجلاهم عن المدينة وحملوا النساء والصبيان، وتحملوا على ستمائة بعير. قال الحافظ أبو محمد بن حزم[٦] وأبو عبد الرحمن رحمهما الله: وحينئذ نزل تحريم الخمر،

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول برقم ٨٠٤ بدون إسناد. وروى الترمذي برقم ٣٣٠٣ ما يؤيد ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) سيرة ابن هشام ٣/ ١٤٤.

(٣) رواه البخاري برقم ٤٠٣١/ ٤٠٣٢ ومسلم برقم ١٧٤٦.

(٤) رواه البخاري برقم ٣٥٢١ ومسلم برقم ١٧٤٦.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٥٧ وروى الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٨٣ نحواً منه من حديث عائشة.

(٦) جوامع السيرة ١٤٥.

فاحتملوا بأهليهم إلى خيبر، ومنهم من صار إلى الشام. وكان ممن صار إلى خيبر أكابرهم ـ كحيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق ـ فدانت لهم خيبر، فقسم رسول الله ﷺ أموال بني النضير بين المهاجرين خاصة، إلاَّ أنه عليه السلام أعطى أبا دجانة وسهيل بن حنيف وكانا فقيرين وفي قصة بني النضير نزلت سورة الحشر، ولم يسلم من بني النضير إلاَّ رجلان ـ يامين بن عمرو وأبو سعيد بن وهب ـ أسلما فأحرزا أموالهما.. وقبض رسول الله ﷺ الأموال ولم يقسم منها لأحد، لأن المسلمين لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب، وإنما قذف الله في قلوبهم الرعب، فقسمها بين المهاجرين ليرفع بذلك مؤنتهم عن الأنصار إذ كانوا قد قاسموهم الأموال والديار، وكانت أموال بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة يضعها حيث شاء كما في الصحيحين[1] من حديث عمر في قصة اختصام علي وعباس عند عمر فيما أفاء الله على رسوله من بني النضير، وفيه أن عمر قال: إن الله كان خص رسوله في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحد غيره فقال ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾ الآية فكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ. وفي رواية للبخاري[2]. وكان ينفق منها على أهله نفقة سنة، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله.

نزول سورة الحشر

غزوة ذات الرقاع[3]

واختلف فيها متى كانت؟ فذكر ابن إسحاق أنها بعد غزوة بني النضير سنة أربع في شهر ربيع، وعند ابن سعد وابن حبان في المحرم سنة خمس، قال في فتح الباري[4]: قد جنح البخاري إلى أنها كانت بعد خيبر، واستدل لذلك بأمور، ومع ذلك فذكرها قبل خيبر فلا أدري هل تعمد ذلك تسليماً لأصحاب المغازي أنها كانت

---

(١) رواه البخاري برقم ٣٠٩٤ ومسلم برقم ١٧٥٧.

(٢) رواه البخاري برقم ٤٨٨٥.

(٣) انظر في خبر الغزوة الطبقات الكبرى ٢/ ٦١ وتاريخ الطبري ٢/ ٥٥٥ والمغازي ١/ ٣٩٥ وسيرة ابن هشام ٣/ ١٥٥ وسيرة ابن كثير ٣/ ١٦٠.

(٤) انظر الفتح ٧/ ٤٨١.

قبلها، أو أن ذلك من اختلاف الروايات عنه، أو إشارة إلى احتمال إلى أن تكون ذات الرقاع اسماً لغزوتين مختلفتين كما أشار به البيهقي. على أن أصحاب المغازي مع جزمهم بأنها كانت قبل خيبر مختلفون في زمانها، قال: والذي ينبغي الجزم به أنها كانت بعد غزوة بني قريظة، لأن صلاة الخوف في غزوة الخندق لم تكن شرعت، وقد ثبت وقوع صلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع، فدل على تأخرها بعد الخندق[١].

سبب تسميها

وسميت «ذات الرقاع» لما روى البخاري[٢] عن أبي موسى الأشعري قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه. فنقبت أقدامنا ونقبت قدماي وسقطت أظفاري، فكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا، فحدث أبو موسى بهذا الحديث، ثم كره ذلك قال: ما كنت أصنع بأن أذكره؟ كأنه كره أن يكون شيء من عمله أفشاه.

وكان من خبر هذه الغزوة كما قاله ابن إسحاق[٣] وغيره أنه ﷺ غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة بالمثلثة من غطفان، لأنه بلغه أنهم جمعوا الجموع، فخرج في أربعمائة من أصحابه، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري ـ وقيل عثمان بن عفان ـ حتى نزل نخلاً بالخاء المعجمة، موضع من نجد من أرض غطفان. قال ابن سعد: فلم يجد في محالهم إلاّ نسوة فأخذهن. وقال ابن إسحاق: فلقي جمعاً فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب، وقد أخاف الناس بعضهم بعضاً فصلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف. قال ابن سعد[٤]: وكان ذلك أول ما صلاها.

إعرابي يريد قتل الرسول

وفي البخاري[٥] عن جابر: كنا مع النبي ﷺ بذات الرقاع فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي ﷺ. فنزل رسول الله وتفرق الناس في العضاه يستظلون بالشجر،

---

(١) انظر المواهب اللدنية ١/ ٤٣٣.

(٢) رواه البخاري برقم ٤١٢٨.

(٣) انظر سيرة ابن هشام ٣/ ١٥٥.

(٤) الطبقات الكبرى ٢/ ٦٣.

(٥) رواه البخاري برقم ٤١٣٦.

ونزل رسول الله تحت شجرة فعلق بها سيفه. قال جابر: فنمنا نومة، فجاء رجل من المشركين فاخترط سيف رسول الله ﷺ فقال: أتخافني؟ قال: لا. قال: فمن يمنعك مني؟ قال: الله. قال جابر: فإذا رسول الله يدعونا، فجئنا فإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله ﷺ: إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده سلطاً، فقال لي: من يمنعك مني؟ قلت: الله. فها هو ذا جالس ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ. وفي رواية: وأقيمت الصلاة، فصلى بطائفة ركعتين، ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين، وكان للنبي ﷺ أربع وللقوم ركعتان. وفي رواية أبي عوانة[1]: فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله ﷺ فقال: من يمنعك مني؟ قال: كن خير آخذ. قال: تشهد أن لا إله إلاَّ الله وأني رسول الله؟ قال الأعرابي: أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك. قال فخلى سبيله، فجاء إلى قومه فقال: جئتكم من عند خير الناس. وفي هذه القصة فرط شجاعته ﷺ وقوة يقينه وصبره على الأذى وحلمه على الجهال. وفيها حفظ الله له، وإلاَّ فما الذي أحوج الأعرابي إلى مراجعته مع احتياجه إلى الحظوة عند قومه بقتله.

وفي انصرافه ﷺ من هذه الغزوة أبطأ جمل جابر بن عبد الله فنخسه عليه الصلاة والسلام فانطلق متقدماً بين يدي الركاب، ثم قال: أتبيعنيه؟ فابتاعه منه وقال: لك ظهره إلى المدينة. فلما وصلها أعطاه الثمن وأرجح، ووهب له الجمل[2].

غزوة بدر الأخيرة[3]

قال ابن إسحاق[4]: ولما قدم رسول الله ﷺ ـ من غزوة ذات الرقاع أقام بالمدينة جمادى الأولى إلى آخر رجب، ثم خرج في شعبان إلى بدر لميعاد أبي

---

(١) انظر فتح الباري ٧/ ٤٩٢ ـ ٤٩٣.

(٢) رواه البخاري برقم ٢٠٩٧.

(٣) انظر خبر الغزوة في سيرة ابن هشام ٣/ ١٦٠ وجوامع السيرة ١٨٤، والمغازي للواقدي ١/ ٣٨٤ والطبقات الكبرى ٢/ ٥٩ وسيرة ابن كثير ٣/ ١٦٩.

(٤) انظر سيرة ابن هشام فقد ذكره عن ابن إسحاق بدون إسناد. ٣/ ٨٦٠.

سفيان، وهو ما سبق أن أبا سفيان قال يوم أحد: الموعد بيننا وبينكم بدر العام القابل. فقال عليه السلام لرجل من أصحابه: قل نعم، هو بيننا وبينكم موعد. فخرج ﷺ ومعه ألف وخمسمائة من أصحابه وعشرة أفراس، واستعمل على المدينة عبد الله بن رواحة، فأقاموا على بدر ينتظرون أبا سفيان، وخرج أبو سفيان حتى نزل مجنة من ناحية مرّ الظهران، ثم بدا له الرجوع فقال: يا معشر قريش، إنه لا يصلحكم إلاّ عام خصب، وإن عامكم هذا عام جدب، وإني راجع فارجعوا. فرجع الناس، فسماهم أهل مكة جيش السويق يقولون: إنما خرجتم تشربون السويق. وأقام عليه السلام ثمانية أيام، وباعوا ما معهم من التجارة فربحوا الدرهم درهمين وأنزل الله في ذلك ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ الآية. والصحيح أن هذه الآية نزلت في شأن حمراء الأسد كما نص عليه العماد بن كثير رحمه الله.

غزوة دومة الجندل[1]

وهي مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال، وبعدها من المدينة خمس عشرة ليلة أو ست عشرة.

سبب الغزوة

وكان سببها[2] أنه بلغه ﷺ أن بها جمعاً كثيراً يظلمون من مر بهم، فخرج لخمس ليال بقين من ربيع في ألف من أصحابه، فكان يسير الليل ويكمن النهار، واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة. فلما دنا منهم لم يجد إلاّ الغنم والشاء، فهجم على ماشيتهم ورعائهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب في كل وجه، وجاء الخبر أهل دومة فتفرقوا، ونزل عليه السلام بساحتهم فلم يلق بها أحداً، فأقام بها أيام، وبث السرايا وفرقها، فرجعوا ولم يصب منهم أحد[3].

---

(١) انظر خبر الغزوة سيرة ابن هشام ٣/ ١٦٥ والطبقات الكبرى ٢/ ٦٢ والمغازي للواقدي ١/ ٤٠٢ وتاريخ الطبري ٢/ ٥٦٤ وسيرة ابن كثير ٣/ ١٧٧.

(٢) ذكره الواقدي ٢/ ٤٠٢ وابن سعد في الطبقات ٢/ ٦٢.

(٣) انظر سيرة ابن هشام ٣/ ١٦٥.

غزوة المريسيع[1]

بضم الراء وسكون التحتانية بينهما مهملة مكسرة وآخره عين مهملة. وهو ماء لبني خزاعة، وبينه وبين الفرع يومان، وتسمى «غزوة بني المصطلق» بضم الميم وسكون الصاد وفتح الطاء المهملة وكسر اللام بعدها قاف، بطن من خزاعة، وكانت لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس[2].

سبب الغزوة

وسببها أنه بلغه ﷺ أن رئيسهم الحارث بن أبي ضرار سار في قومه ومن قدر عليه من العرب فدعاهم إلى حرب رسول الله ﷺ فأجابوه وظعنوا للمسير معه إليه، وخرج عليه السلام في بشر كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزاة قط مثلها، واستخلف على المدينة زيد بن ثابت. وخرجت عائشة وأم سلمة. وفي صحيح البخاري[3] عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غارون وأنعامهم تسقى على الماء. قيل وفي هذه الغزوة نزلت آية التيمم. وفي الصحيحين من حديث عائشة: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فذكرت حديث التيمم، قال ابن عبد البر في التمهيد[4] يقال إنه كان في غزوة بني المصطلق، وجزم بذلك في الاستذكار[5]، وسبقه إلى ذلك ابن سعد[6] وابن حبان[7]. وفي البخاري[8]: وقال النعمان بن راشد عن الزهري: كان حديث الإفك في غزوة المريسيع.

---

(١) انظر في خبر الغزوة الطبقات الكبرى ٢/ ٦٣ تاريخ الطبري ٢/ ٦٠٤ وسيرة ابن هشام ٣/ ٢٣٥ وسيرة ابن كثير ٣/ ٢٩٧ والمغازي للواقدي ١/ ٤٠٤ وجوامع السيرة ٢٠٦.

(٢) وهو القول الراجح في تاريخها، انظر البداية والنهاية ٣/ ٢٤٢ وفتح الباري ٧/ ٤٣٠ والمواهب اللدنية ١/ ٤٤١.

(٣) رواه البخاري برقم ٢٥٤١ ومسلم برقم ١٧٣٠.

(٤) التمهيد ١٩/ ٢٦٧.

(٥) الاستذكار ٣/ ١٤١.

(٦) الطبقات ٤/ ٦٣.

(٧) السيرة النبوية لابن حبان ٢٥٣.

(٨) انظر البخاري كتاب المغازي باب رقم ٣٢.

قال أبو محمد بن حزم[1]: وكانت غزوة المريسيع في شعبان من السنة السادسة، وأغار عليهم رسول الله ﷺ وهم غارُّون كما تقدم على ماء لهم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل، فقتل من قتل منهم وسبى النساء والذرية، ومن السبي كانت أم المؤمنين جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق، فوقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبها، فأدى رسول الله ﷺ عنها وأعتقها فتزوجها، وكانت امرأة حلوة من رآها أحبها، فأعتق المسلمون مائة أهل بيت من بني المصطلق وقالوا أصهار رسول الله.

سبي بن المصطلق

وفي رجوع رسول الله ﷺ من هذه الغزوة قال عبد الله بن أبيّ: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. وذلك لشر وقع بين جهجاه بن مسعود الغفاري أجير عمر بن الخطاب وبين سنان بن وبر الجهني حليف بني عوف بن الخزرج، فنادى الغفاري يا للمهاجرين، ونادى الجهني: يا للأنصار. فقال رسول الله ﷺ: أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟[2] وبلغ زيد بن أرقم رسول الله ﷺ مقالة عبد الله بن أبي فنزل في ذلك من عند الله سورة المنافقين[3]، وتبرأ عبد الله بن عبد الله بن أبيّ من أبيه، وأتى رسول الله فقال له: يا رسول الله أنت والله الأعز وهو الأذل، والله لئن شئت لنخرجنه يا رسول الله، ووقف لأبيه قرب المدينة فقال: لا تدخلها حتى يأذن لك رسول الله في الدخول. وقال أيضاً: بلغني أنك تريد قتل أبي وإني أخشى إن أمرتَ بذلك غيري ألاَّ تدعني نفسي أرى قاتل عبد الله يمشي على الأرض فأقتله وأدخل النار إذا قتلت مؤمناً بكافر، وقد علمت الأنصار أني من أبرها لأبيه، ولكن يا رسول الله إن أردت قتله فمرني بذلك فأنا والله أحمل إليك رأسه. فقال له رسول الله ﷺ خيراً، وأخبره أنه لا يسيء إلى أبيه[4].

مقولة عبد الله بن أبيّ

موقف عبد الله بن عبد الله بن أبيّ من أبيه

---

(١) جوامع السيرة ٢٠٦.

(٢) انظر البخاري برقم ٤٩٠٥ ومسلم برقم ٢٥٨٤.

(٣) انظر البخاري برقم ٤٩٠٠، ٤٩٠١ ومسلم ٢٧٧٢.

(٤) انظر الترمذي برقم ٣٣١٢، وأحمد ٣٦٩/٤. ومسند الحميدي ٥٢٠/٢ ومجمع الزوائد ٣١٨/٩.

فصل [حديث الإفك][1]

وفي مرجع رسول الله ﷺ من غزوة بني المصطلق قال أهل الإفك ما قالوا عنه في عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها. أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما[2] من حديث الزهري قال: حدثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة أم المؤمنين حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، وكلهم حدثني طائفة من حديثها، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصاً، وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة، وبعض حديثهم يصدِّق بعضاً، وإن كان بعضهم أوعى من بعض. قالوا: قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرجت معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما أنزل الحجاب، فكنت أحمل في هودج وأنزل فيه. فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك ودنونا من المدينة قافلين أذّن ليلة بالرحيل فقمت حين أذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه. قالت: وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه، وهم يحسبون أني فيه. وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يُهبّلن ولم يغشهن اللحم، إنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فتيممت منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم، فعرفني حين

ضياع العقد

صفوان بن المعطل يجد أم المؤمنين

---

(١) انظر في حديث الإفك صحيح البخاري ومسلم والطبري ٢/ ٦١٠ والكامل ٢/ ١٩٥ وسيرة ابن كثير ٣/ ٣٠٤ وسيرة ابن هشام ٣/ ٢٤٣ وغيرهما.

(٢) رواه البخاري برقم ٤١٤١ ومسلم برقم ٢٧٧٠ والترمذي برقم ٣١٨٠ وأحمد ٦/ ٥٩.

رآني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، ووالله ما تكلمنا بكلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، وأهوى حتى أناخ راحلته فوطىء يدها، فقمت إليها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول. قالت: فهلك من هلك. وكان الذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أبيّ بن سلول. قال عروة: أخبرت أنه كان يشاع ويتحدث عنده، فيقره ويستوشيه. وقال عروة أيضاً: لم يسم من أهل الإفك إلاّ حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا علم لي بهم غير أنهم عصبة كما قال الله. قال عروة: وكانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول: إنه الذي قال:

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

مرض عائشة

قالت عائشة: فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهراً، والناس يفيضون في قول أهل الإفك لا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، وإنما يدخل عليّ رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: كيف تيكم؟ ثم ينصرف. فذلك يريبني ولا أشعر بالشر. حتى خرجت حين نقهت فخرجتْ معي أم مسطح قبل المناصح وكان متبرزنا، وكنا لا نخرج إلاّ ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريباً من بيوتنا. قالت: وأمرنا أمر العرب الأول في البرية قبل الغائط، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا. قالت: فانطلقت أنا وأم مسطح ـ وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب ـ فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح. فقلت لها: بئس ما قلتِ، أتسبين رجلاً شهد بدراً؟ فقالت: أي هنتاه أولم تسمعي ما قال؟ قالت قلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك. قالت: فازددت مرضاً على مرضي. فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ ثم قال: كيف تيكم؟ فقلت: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت وأريد أن أستيقن الخبر من قبلهما. قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ، فقلت لأمي: يا أمتاه ماذا يتحدث الناس؟

أم المؤمنين تعلم بحديث الإفك

قالت: يا بنية هوني عليك، فوالله لقل ما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر إلاً كثرن عليها. قالت فقلت: سبحان الله أوقد تحدث الناس بهذا؟ قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم. ثم أصبحت أبكي.

الرسول يستشير أصحابه

قالت: ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود، فقال أسامة: أهلك، ولا نعلم إلاً خيراً. وأما علي فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك. قالت فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: هل رأيت من شيء يريبك؟ قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قط أغمصه أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام على عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله. وفي رواية أبي أسامة عند البخاري: فانتهرها بعض أصحابه فقال: اصدقي رسول الله حتى أسقطوا لها به. فقالت: سبحان الله، والله ما علمت عليها إلاً ما يعلم الصائغ مرّ على تبر الذهب الأحمر. وبلغ الأمر إلى ذلك الرجل الذي قيل له، فقال سبحان الله، والله ما كشفت كنف أنثى قط. قالت عائشة: فقتل بعد ذلك شهيداً في سبيل الله. وفي رواية ابن إسحاق: فقام إليها علي فضربها ضرباً شديداً يقول: أصدقي رسول الله. وفي رواية ابن حاطب عن علقمة فقالت الجارية الحبشية: والله لعائشة أطيب من الذهب، ولئن كانت صنعت ما قال الناس ليخبرنك الله. قال فعجب الناس من فقهها. وزاد عطاء الخراساني عن الزهري: وكانت أم أيوب الأنصارية قالت لأبي أيوب: أما سمعت ما يتحدث الناس؟ فحدثته بقول أهل الإفك، فقال: ما يكون لنا أن نتكلم بهذا، سبحانك هذا بهتان عظيم. وعند ابن إسحاق أن امرأة أبي أيوب قالت: يا أبا أيوب ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك والله الكذب. أكنت يا أم أيوب فاعلة ذلك؟ قالت: لا والله ما كنت فاعلة، قال: فعائشة خير منك. قالت: فلما نزل القرآن قال الله ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ أي فقالوا كما قال أبو أيوب. وعند الطبراني[1] بسند صحيح عن

موقف المؤمن

---

(١) انظر مجمع الزوائد ٩/ ٢٣٠.

عائشة: لما بلغني ما تكلموا به هممت أن آتي قليباً فأطرح نفسي فيه. وفي رواية ابن إسحاق عنها: فوالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على أبي بكر تلك الأيام والليالي من الهم والغيظ. قال الحافظ ابن حجر[1]: وفي بعض طرق الحديث أن أبا بكر قال: والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية، فكيف بعد أن أعزنا الله بالإسلام؟ قال البخاري في حديثه قالت عائشة: فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر عبد الله بن أبيّ وهو على المنبر فقال: يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي؟ والله ما علمت على أهلي إلاَّ خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلاَّ خيراً، وما يدخل على أهلي إلاَّ معي. قالت فقام سعد أخو بني عبد الأشهل فقال: يا رسول الله أنا أعذرك منه، فإن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. قالت فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وهو سعد بن عبادة سيد الخزرج، قالت وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحمية فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببتَ أن يقتل. فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله، لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين.

الرسول يخطب الناس

موقف الأنصار

قالت فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر. قالت فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت. وفي رواية أبي أسامة عند البخاري: حتى كاد يكون بين الأوس والخزرج شرٌ في المسجد، وما علمت. فلما كان مساء ذلك اليوم خرجت لبعض حاجتي مع أم مسطح.. فذكر نحو ما تقدم، قالت: فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم. قالت: وأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوماً لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع، حتى أظن أن البكاء فالق كبدي. فبينا أبواي جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنتْ عليّ امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي. قالت: فبينا نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ علينا فسلم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس

الوحي يتأخر

---

(١) انظر الفتح ٨/ ٣٤٣ ـ ٣٦٧ وانظر ٧/ ٣٣٣.

ثم قال: أما بعد يا عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه. فلما قضى رسول الله مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي: أجب عني رسول الله فيما قال فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله. فقلت لأمي: أجيبي رسول الله فيما قال. فقالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله. فقلت: وأنا امرأة حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيراً: إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في نفوسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني بريئة لتصدقني، فوالله لا أجد لي ولكم مثلاً إلاّ أبا يوسف حين قال ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

موقف عصيب

ثم تحولت فاضطجعت على فراشي. قالت: وأنا حينئذ أعلم أني بريئة وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكني والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر يتلى. ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في نومه رؤيا يبرئني الله بها. قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق ـ وهو في يوم شات ـ من ثقل القول الذي ينزل عليه. زاد ابن جريج في روايته: قال أبو بكر: فجعلت أنظر إلى رسول الله ﷺ أخشى أن ينزل عليه من السماء ما لا مرد له، وأنظر إلى وجه عائشة فإذا هو مفيق فيطمعني ذلك فيها. وفي رواية ابن إسحاق: فأما أنا فما فزعت، قد عرفت أني بريئة وأن الله غير ظالمي، وأما أبواي فما سرّي عن رسول الله ﷺ حتى ظننت أن تخرج أنفسهما فرَقاً من أن يأتي من الله تحقيق ما يقول الناس. قالت فسرّي عن رسول الله وهو يضحك، وكان أول كلمة تكلم بها أن قال: يا عائشة احمدي الله فقد برأك. وفي رواية للبخاري: أما الله عز وجل فقد برأك. وفي رواية له أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك. قالت: وكنت أشد ما كنت غضباً، فقال لي أبواي قومي إليه، فقلت لا والله لا أقوم إليه ولا أحمده ولا أحمدكما ولكني أحمد الذي أنزل براءتي. لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه. قالت: وأنزل الله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ العشر الآيات. فلما أنزل الله هذا من براءتي قال أبو بكر ـ وكان ينفق على

البراءة تنزل من السماء

مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره ـ والله ما أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال: فأنزل الله ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ ﴾. الآية. قال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبداً. قالت عائشة وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عنه فقال لزينب: ماذا علمت أو رأيت؟ فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلاّ خيراً. قالت وهي التي تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع. وطفقت أختها حمنة محاربة لها فهلكت فيمن هلك. وفي رواية ابن إسحاق[1]: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك. ثم أمر بمسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة ـ وكانوا ممن أفصح بالفاحشة ـ فضربوا حدّهم.

إقامة حد القذف

وروى الطبراني[2] من طريق أبي حصين عن مجاهد قالت عائشة لما نزل عذرها قبّل أبو بكر رأسها فقلت: ألا عذرتني؟ فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت ما لا أعلم؟ وعند أصحاب السنن[3] من طريق أبي إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن عمرة عن عائشة أن النبي ﷺ أقام حد القذف على الذين تكلموا بالإفك، لكن لم يذكر فيهم عبد الله بن أبيّ.

وروى ابن جرير[4] عن عائشة أنها قالت: ما سمعت شيئاً أحسن من شعر حسان، وما تمثلت به إلاّ رجوت له الجنة، قوله لأبي سفيان يعني ابن الحارث بن عبد المطلب:

هجوت محمداً فأجبتُ عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء
أتشتمه ولستَ له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء
فإن أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء

(١) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٨.
(٢) انظر المجمع ٩/ ٢٣٤.
(٣) رواه أبو داود والترمذي برقم ٣١٨١ وابن ماجه برقم ٢٧٦٥ وأحمد ٦/ ٦١.
(٤) ابن جرير ١٨/ ٨٨.

لســانـي صـارم لا عيـب فيـه ويحــري لا تكــدره الــدلاء

فقيل: يا أم المؤمنين هذا [أليس هذا لغواً قالت: لا إنما اللغو ما قيل عند النساء، قيل أليس الله يقول﴿ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[1]] قالت: أليس قد أصابه عظيم، أليس قد ذهب بصره وكُنِّع[2] بالسيف حين الضربة التي ضربها إياه صفوان بن معطل السلمي حين بلغه أنه يتكلم في ذاك، فعلاه بالسيف وكاد أن يقتله.

قال ابن إسحاق[3]: وقال حسان يعتذر إلى عائشة ويمدحها:

حسان يعتذر لأم المؤمنين

حصـان رزان مـا تـزن بـريبـة	وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
عقيلـة حي مـن لـؤي بـن غـالـب	كرام المساعي مجدهم غير زائل
مهـذبـة قـد طيـب الله خِيمهـا	وطهـرهـا مـن كـل سـوء وبـاطـل
فإن كنتُ قد قلت الذي قد زعمتم	فـلا رفعـت سـوطي إلـى أنـاملـي
وكيف وودي ما حييت ونصرتي	لآل رسـول الله زيـن المحـافـل
لـه رتـب عـال علـى النـاس كلهـم	تقـاصـر عنـه سـورة المتطـاول
فـإن الـذي قـد قيـل ليـس بـلائـط	ولكنـه قـول امـرىء بـي مـاحـل

فصل
في فوائد شرح ألفاظ تتعلق بحديث الإفك

قال النووي[4] رحمه الله: الإفك بكسر الهمزة وإسكان الفاء. هذا هو المشهور، وحكى القاضي فتحهما قال: وهما لغتان كنجس ونجس وهو الكذب. قوله «آذن» روي بالمد وتخفيف الذال وبالقصر وتشديدها أي أعلم. قولها عقد من

---

(١) بياض بالأصل والتتمة من تفسير ابن جرير جـ ١٨/ ٨٨.
(٢) كُنِّع بالسيف ضرب به حتى ييس جلده.
(٣) سيرة ابن هشام ٣/ ٢٥٢ وانظر صحيح البخاري برقم ٤١٤٦.
(٤) انظر صحيح مسلم شرح النووي ١٧/ ١٥٥.

جزع ظَفار، أما العقد فمعروف نحو القلادة، والجَزْع بفتح الجيم وإسكان الزاي وهو خرز يماني، ظفار بفتح الظاء المعجمة وكسر الراء وهي قرية باليمن. قولها: وكانت النساء إذ ذاك خفافاً لم يُهَبّلن ضبطوه على أوجه أشهرها ضم الياء وفتح الهاء وتشديد الباء أي يثقلن باللحم والشحم، والثاني يَهْبَلن بفتح الياء والباء بينهما هاء ساكنة، قال أهل اللغة يقال هبله اللحم وأهبله إذا أثقله وكثر لحمه وشحمه، وفي رواية للبخاري لم يثقلن، وهو بمعناه. والعلقة من الطعام أي القليل. قولها فتيممت منزلي أي قدمته. قوله من وراء الجيش قال الحافظ ابن حجر[1] وقع في حديث ابن عمر بيان تأخر صفوان ولفظه كان صفوان سأل النبي ﷺ أن يجعله على الساقة، وكان إذا رحل الناس قام يصلي ثم اتبعهم فمن سقط له شيء أتاه به، ثم ذكر عن أبي هريرة نحوه، ويحتمل أن يكون سبب تأخره ما جرت عادته به في غلبة النوم عليه. قولها فاستيقظت باسترجاعه أي انتبهت من نومي بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون. قولها فخمرت وجهي أي غطيته. قولها موغرين في نحر الظهيرة، الموغر بفتح الغين المعجمة النازل في وقت الوغرة بفتح الواو وإسكان الغين وهي شدة الحر قاله النووي، ونحر الظهيرة وقت القائلة، ونحر كل شيء أوله. وكِبره أي معظمه، وهي بكسر الكاف على القراءة المشهورة. قولها يريبني بفتح أوله وضمه ويقال رابه وأرابه إذا أوهمه وشككه. واللُطْف بضم اللام وإسكان الطاء ويقال بفتحهما معاً لغتان وهو البر والرفق. قولها ثم يقول كيف تيكم هي إشارة إلى المؤنث كذلك في المذكر. ونقهت بفتح القاف وكسرها لغتان حكاهما الجوهري، والفتح أشهر والناقه هو الذي أفاق من المرض وبرىء منه وهو قريب عهد به لم يتراجع إليه كمال صحته. قولها تعس مسطح بفتح العين وكسرها لغتان ومعناه عثر وقيل هلك وقيل لزمه الشر وقيل بعد وقيل سقط لوجهه خاصة. والمرط بكسر الميم كساء من صوف وقد يكون من غيره، قولها أي هنتاه أي حرف نداء للبعيد، وقد يستعمل للقريب حيث ينزل منزلة البعيد، وهنتاه بفتح الهاء وسكون النون وبعدها مثناة وآخرها هاء ساكنة وقد تضم ومعناها يا هذه، وقيل يا امرأة، وقيل يا بلهاء كأنها نسبت عائشة إلى الغفلة عن معرفة مكايد

---

(١) فتح الباري ٨/ ٣١٦.

الناس وشرورهم. والوضيئة مهموزة ممدودة هي الجميلة الحسنة، والوضاءة الحسن. لا يرقأ لي دمع هو بالهمزة، أي لا ينقطع، ولا أكتحل بنوم أي لا أنام.

قولها: وأما علي بن أبي طالب فقال: لم يضيق الله عليك إلخ أشار عليه بفراقها تلويحاً لا تصريحاً لأنه رآه مصلحة ونصيحة للنبي ﷺ، وأشار عليه أسامة وغيره بإمساكها وأن لا يلتفت إلى كلام الأعداء، فعلي لما رأى أن ما قيل مشكوك فيه أشار بترك الشك والريبة إلى اليقين ليتخلص رسول الله ﷺ من الهم والغم الذي لحقه بكلام الناس، لأنه رأى انزعاج النبي ﷺ بهذا الأمر فأراد راحة خاطره، وأسامة لما رأى حب رسول الله لها ولأبيها وعلم من عفتها وبراءتها وحصانتها وديانتها ما هو فوق ذلك وأعظم منه، وعرف من كرامة رسول الله ﷺ على ربه ومنزلته عنده ودفاعه عنه أنه لا يجعل ربة بيته وحبيبته من النساء وبنت صديقه بالمنزلة التي أنزلها أرباب الإفك، وعلم أن الصديقة حبيبة رسول الله أكرم على ربها من أن يبتليها بالفاحشة، فمن قويت معرفته بالله ومعرفة رسوله وقدره عند الله في قلبه كما قال أبو أيوب وغيره من سادات الصحابة لما سمعوه: سبحانك هذا بهتان عظيم. وتأمل في تسبيحهم لله وتنزيههم له في هذا المقام من المعرفة به، وتنزيهه عما لا يليق أن يجعل لرسوله وخليله وأكرم الخلق عليه امرأة خبيثة بغياً، فمن ظن به سبحانه هذا وقاه الله ظن السوء، وعرف أهل المعرفة بالله ورسوله أن المرأة الخبيثة لا تليق إلاَّ بمثلها كما قال تعالى ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ ﴾، فقطعوا قطعاً لا يشكون فيه أن هذا بهتان عظيم وفرية ظاهرة.

فإن قيل[1]: فما بال رسول الله ﷺ توقف في أمرها وسأل عنها وبحث واستشار، وهو أعرف بالله ومنزلته عنده وبما يليق به؟ وهلا قال: سبحانك هذا بهتان عظيم كما قال فضلاء الصحابة؟ فالجواب أن هذا من تمام الحكمة الباهرة التي جعل الله هذه القصة سبباً لها وامتحاناً وابتلاء لرسوله ولجميع الأمة إلى يوم القيامة، ليرفع بهذه القصة أقوام. ويضع بها آخرين، ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وإيماناً ولا يزيد الظالمين إلاَّ خساراً. واقتضى تمام الابتلاء والامتحان أن حبس عن رسوله الوحي

---

(١) من كلام الإمام ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد ٣/ ٢٦١.

شهراً في شأنها لتتم حكمته التي قدرها وقضاها، ويزداد المؤمنون الصادقون إيماناً وثباتاً على العدل والصدق وحسن الظن بالله ورسوله وأهل بيته والصديقين من عباده، ويزداد المنافقون إفكاً ونفاقاً، وتظهر لرسوله والمؤمنين سرائرهم، ولتتم العبودية المرادة من الصديقة وأبويها وتتم نعمة الله عليهم، ولينقطع رجاؤها من المخلوقين، وتيأس من حصول النصر والفرج إلاّ من الله.

وقولها أغمصه بفتح الهمزة وكسر الميم وبالصاد المهملة أي أعيبها به، والداجن الشاة التي تألف البيوت ولا تخرج للمرعى. قولها فاستعذر من عبد الله بن أبيّ أي طلب من يعذره أي ينصفه، وقيل معناه: من يقوم بعذري أن كافأته على سوء فعاله، وقيل معنى من يعذرني: من ينصرني، والعذير الناصر، ويؤيده قول سعد أنا أعذرك منه، وفي رواية هشام بن عروة عن أبيه عند البخاري ومسلم أشيروا علي في أناس أبنوا أهلي هو بفتح الباء الموحدة الخفيفة والنون المضمومة، وقد حكى القاضي عياض أن في رواية الأصيلي بتشديد الموحدة وهي لغة، ومعناه عابوا أهلي واتهموا، وهو المعتمد لأن الأبَن بفتحتين التهمة، ومنه الحديث الذي في الشمائل[1] في مجلسه ﷺ لا تؤبن فيه الحرم، وحكى القاضي عياض أن في رواية عبدوس بتقديم النون الثقيلة الموحدة قال: وهو تصحيف، لأن التأنيب هو اللوم الشديد ولا معنى له ههنا. والبرحاء هي بضم الموحدة وفتح الراء والحاء المهملة والمد وهي الشدة. قولها حتى ليتحذر منه مثل الجمان من العرق، معنى ليتحدر: ليتصبب، وجمان بضم الجيم وتخفيف الميم هو اللؤلؤ، وقيل حب يعمل من الفضة كاللؤلؤ. وسرى عن رسول الله أي كشف وأزيل. قوله كنف بفتح الكاف والنون أي ثوبها الذي يسترها وهو كناية عن عدم جماع النساء جميعهن ومخالطتهن. قولها هي التي كانت تساميني أي تفاخرني وتضاهيني بجمالها ومكانها عند النبي ﷺ، وهو مفاعلة من السمو وهو الارتفاع. قولها أحمي سمعي أي أحفظه فلا أقول سمعت فيما لم أسمع. قوله وأما المنافق عبد الله بن أبي فهو الذي كان يستوشيه، أي يستخرجه بالبحث المسألة. ثم يفشيه ويشيعه ويحركه ولا يدعه يخمد. والله أعلم.

---

(١) الشمائل المحمدية.

فوائد حديث الإفك

وفي الحديث من الفوائد جواز رواية الحديث الواحد عن كل واحد قطعة مبهمة. الثانية صحة القرعة بين النساء وفي العتق وغيره. قال أبو عبيد: عمل بها ثلاثة من الأنبياء يونس وزكريا ومحمد ﷺ. قال ابن المنذر: استعمالها كالإجماع قال: ولا معنى لقول من يردها. الثالث وجوب الإقراع بين النساء عند إرادة السفر ببعضها. الرابعة أنه لا يجب قضاء مدة السفر للنسوة المقيمات، وهذا مجمع عليه إذا كان السفر طويلاً، وحكم القصير حكم الطويل على المذهب الصحيح. الخامسة جواز سفر الرجل بزوجته. السادسة جواز غزوهن وركوبهن في الهوادج. السابعة جواز خدمة الرجال لهن في ذلك في الأسفار. الثامنة أي ارتحال للعسكر يتوقف على أمر الأمير. التاسعة جواز خروج المرأة لحاجة الإنسان بغير إذن الزوج، وهذا من الأمور المستثناة. العاشرة جواز لبس النساء القلائد في السفر كالحضر. الحادية عشرة أن من يركب البعير لا يكلمها إذا لم يكن محرماً إلاّ لحاجة، لأنهم حملوا الهودج ولم يكلموها. الثانية عشرة فضيلة الاقتصاد في الأكل للنساء وغيرهم وألاّ يكثرن منه، لأن هذا كان حالهم في زمن النبي ﷺ، وما كان في زمنه فهو الكامل الفاضل. الثالثة عشرة جواز تأخر بعض الجيش ساعة ونحوها لحاجة تعرض له في الجيش إذا لم تكن ضرورة إلى الاجتماع. الرابعة عشرة إغاثة الملهوف وعون المنقطع وإنقاذ الضائع وإكرام ذوي الأقدار كما فعل صفوان. الخامسة عشرة استحباب الاسترجاع عند المصائب، سواء كانت في الدنيا أو في الدين، وسواء كانت في نفسه أو من يعز عليه. السادسة عشرة تغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي سواء كان صالحاً أو غيره. السابعة عشرة جواز الحلف من غير استحلاف إذا كان فيه فائدة. الثامنة عشرة أنه يستحب أن يستر الإنسان ما يقال فيه إذا لم يكن في ذكره فائدة كما كتموا عن عائشة هذا الأمر شهراً. التاسعة عشرة حسن خلقه ﷺ في ملاطفته أزواجه ومعاشرته لهن بالمعروف. العشرون استحباب ملاطفة الرجل زوجته وحسن المعاشرة تأسياً به ﷺ. الحادية والعشرون أنه إذا عرض عارض بأن سمع عنها شيئاً ونحو ذلك يقول من التلطف ونحوه لتفطن هي أن ذلك لعارض، فتسأل عن سببه فتزيله. الثانية والعشرون استحباب السؤال عن المريض عند عيادته. الثالثة والعشرون أنه يستحب للمرأة إذا أرادت الخروج لحاجة أن تكون معها رفيقة لها

لتأنس بها ولا يعرض لها أحد. الرابعة والعشرون كراهة الإنسان صاحبه وقريبه إذا آذى أهل الفضل أو فعل غير ذلك من القبائح، كما فعلت أم مسطح في دعائها عليه. الخامسة والعشرون فضيلة أهل بدر والذب عنهم كما فعلت عائشة في ذبها عن مسطح. السادسة والعشرون لا تذهب لبيت أبويها إلاَّ بإذن زوجها. السابعة والعشرون جواز التعجب بلفظ التسبيح وقد تكرر في هذا الحديث وغيره. الثامنة والعشرون استحباب مشاورة الرجل بطانته وأهله وأصدقاءه في ما ينوبه من الأمور. التاسعة والعشرون جواز البحث والسؤال عن الأمور المسموعة لمن له بها تعلق، وأما غيره فهو منهي عنه، وهو تجسس وفضول. الثلاثون خطبة الإمام الناس عند نزول أمر مهم. الحادية والثلاثون اشتكاء ولي الأمر إلى المسلمين ممن يعرض له بأذى في نفسه أو أهله أو غيره، واعتذاره فيما يريد أن يؤدب به. الثانية والثلاثون فضائل صفوان بن المعطل بشهادة النبي ﷺ بما شهد وبأفعاله الجميلة في اركاب عائشة وحسن أدبه في جملة القصة. الثالثة والثلاثون فضيلة سعد بن معاذ وأسيد بن حضير. الرابعة والثلاثون المبادرة إلى قطع الفتن والخصومات والمنازعات وتسكين الغضب. الخامسة والثلاثون قبول التوبة والحث عليها. السادسة والثلاثون تفويض الكلام إلى الكبار دون الصغار لأنهم أعرف. السابعة والثلاثون جواز الاستشهاد بآيات القرآن العزيز ولا خلاف أنه جائز، قلت بل يستحب. الثامنة والثلاثون التأسي بالأنبياء والصالحين في البلايا والمصائب وغير ذلك. التاسعة والثلاثون استحباب المبادرة بتبشير من تجددت له نعمة ظاهرة أو اندفعت عنه بلية ظاهرة. الأربعون براءة عائشة من الإفك، وهي براءة قطيعة بنص القرآن العزيز، فلو تشكك فيها إنسان والعياذ بالله كان كافراً مرتداً بإجماع المسلمين. قال ابن عباس وغيره: لم تزن امرأة نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهذا إكرام من الله لهم. الحادية والأربعون تجديد شكر الله عند تجدد النعم. الثانية والأربعون فضائل أبي بكر في قوله ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ ﴾. الآية. الثالثة والأربعون استحباب صلة الأرحام وإن كانوا مسيئين. الرابعة والأربعون استحباب العفو والصفح عن المسيء. الخامسة والأربعون استحباب الصدقة والإنفاق في سبيل الخيرات. السادسة والأربعون أن ذلك سبب لمغفرة الله. السابعة والأربعون أنه يستحب لمن حلف على

يمين ورأى خيراً منها أن يأتي الذي هو خير ويكفِّر عن يمينه كما فعل أبو بكر. الثامنة والأربعون أن ابن بنت الخالة من ذوي القربى الذين تستحب صلتهم. التاسعة والأربعون فضيلة زينب أم المؤمنين وورعها. الخمسون التثبت في الشهادة. الحادية والخمسون إكرام المحبوب بمراعاة أصحابه ومن خدمه أو أطاعه كما فعلت عائشة بمراعاة حسان وإكرامه إكراماً للنبي ﷺ. الثانية والخمسون الخطبة تبدأ بحمد الله والثناء عليه بما هو أهله. الثالثة والخمسون أنه يستحب في الخطب بعد الحمد والثناء والصلاة على النبي والشهادتين قول أما بعد. الرابعة والخمسون غضب المسلمين عند انتهاك حرمة أميرهم واهتمامهم بدفع ذلك. الخامسة والخمسون جواز سب المتعصب للمبطل، كما سب أسيد بن حضير سعد بن عبادة لتعصبه للمنافق وقال إنك منافق مجادل عن المنافقين، وأراد إنك تفعل فعل المنافقين والله أعلم. السادسة والخمسون أن تعديل النساء بعضهن بعضاً مقبول، لأنه عليه الصلاة والسلام سأل الجارية وزينب. السابعة والخمسون أن الاعتراف بما فشا من الباطل لا يحل. الثامنة والخمسون أن عاقبة الصبر الجميل فيه الغبطة والعزة في الدارين. التاسعة والخمسون أن الله قد يبتلي عبده المؤمن بأكره المكروهات عنده وهو خير له لا شر له، كما قال تعالى ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ الآية. . الستون أن الإنسان قد يفرح بما فيه هلاكه وخزيه في الدنيا والآخرة. الحادية والستون أن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل. الثانية والستون أن الوحي ما كان يأتيه ﷺ متى أراد لبقائه شهراً لا يوحى إليه. الثالثة والستون أنه لا يعلم الغيب إلاَّ من علمه الله. الرابعة والستون وجوب حد القذف على من أفصح بالفاحشة. الخامسة والستون ترك الحد لما يخشى من تفريق الكلمة كما ترك رسول الله ﷺ حد ابن أبي ابن سلول. . انتهى ملخصاً من شرح النووي لمسلم وغيره[1]. والله أعلم.

فصل

وقد قال قوم بتعدد ضياع العقد، منهم محمد بن حبيب الأخباري فقال: سقط

---

(١) انظر شرح مسلم للنووي ١٧/ ١٥٥ وزاد المعاد ٣/ ٢٥٧ ـ ٢٦٩.

ضياع العقد وتعدد القصة

عقد عائشة في غزوة ذات الرقاع وفي غزوة بني المصطلق، واختلف أهل المغازي في أي هاتين الغزوتين كانت أولاً. ومما يدل على تأخر قصة نزول آية التيمم عن قصة الإفك ما روى الطبراني عن عائشة: لما كان من أمر عقدي ما كان وقال أهل الإفك ما قالوا خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة أخرى فسقط أيضاً عقدي، وحبس الناس على التماسه، فقال لي أبو بكر: يا بنية في كل سفرة عناء وبلاء على الناس، فأنزل الله الرخصة في التيمم. وفي إسناده من فيه مقال[1][2].

وفي البخاري: قال موسى بن عقبة: كانت غزوة المريسيع سنة أربع، وجزم ابن إسحاق وتبعه ابن حزم أنها كانت في شعبان سنة ست[3]، وأن قوله في حديث عائشة فقام سعد بن معاذ وهم، وأن المقاولة كانت بين سعد بن عبادة وأسيد بن حضير، قال: وهذا هو الصحيح، والوهم لا يسلم منه أحد من بني آدم. قلت: وعلى قول موسى بن عقبة أنها سنة أربع[4] يزول الإشكال جملة. والله أعلم[5].

غزوة الخندق وهي الأحزاب

تاريخ الغزوة

واختلفوا في تاريخها، فقال موسى بن عقبة: كانت في شوال سنة أربع[6]، وقال ابن إسحاق وغيره من أهل المغازي[7] سنة خمس. ومال البخاري إلى قول

---

(١) في إسناده محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف كما ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله ١/ ٣٦٨ وأصل حديث عائشة في التيمم في البخاري ومسلم.

(٢) انظر زاد المعاد ٣/ ٢٥٨.

(٣) انظر إلى تاريخ خليفة ص ٨٠ وإلى جوامع السيرة ٢٠٦ وسيرة ابن هشام جـ ٣/ ٢٣٥.

(٤) انظر الفتح ٧/ ٤٩٤ والبداية والنهاية لابن كثير ٤/ ٩٣ ـ ٩٤.

(٥) انظر زاد المعاد ٣/ ٢٦٦.

(٦) نقله البخاري في الصحيح معلقاً كتاب المغازي ٧/ ٣٩٢ باب غزوة الخندق وانظر البداية والنهاية ٤/ ١٠٥.

(٧) كالواقدي ٢/ ٤٤٠ وابن سعد في الطبقات ٢/ ٦٥ وابن كثير ٣/ ١٨٠ ونقل أنه قول الزهري وعروة والبيهقي ٣/ ٣٩٣. وأبي عبيد ٢٣٥ والذهبي ٧٩ ورجحه الإمام ابن القيم في الزاد ٣/ ٢٦٩ واعتمده الحافظ ابن حجر في الفتح ١١/ ٢٩٣.

موسى بن عقبة، وقواه بحديث ابن عمر[1]، قال أبو محمد بن[2] حزم: والصحيح الثابت أنه في الرابعة بلا شك لحديث ابن عمر: عرضت على رسول الله ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فردني، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني، فصح أنه لم يكن بينهما إلاّ سنة واحدة[3].

قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن رومان مولى آل الزبير عن عروة بن الزبير ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك ومحمد بن كعب القرظي والزهري وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر وغيرهم من علمائنا كل قد اجتمع حديثه في هذا الحديث عن الخندق وبعضهم يحدث ما لا يحدث بعض، قالوا إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود منهم سلام بن مِشْكَمْ بن أبي الحُقيق النّضري وحُيّي بن أخطب وهَوَذَة بن قيس في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم إلى حرب رسول الله وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أديننا خير أم دينه؟ قالوا بل دينكم خير من دينه، وأنكم أولى بالحق منه، فهم الذين أنزل الله فيهم ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾ إلى قوله ﴿ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾[4]. فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا لذلك واتعدوا

---

(١) رواه البخاري برقم ٤٠٩٧.

(٢) جوامع السيرة ١٨٥.

(٣) لما في قلوبهم من محبة الجهاد والتضحية في سبيل الله، يقبلون على الموت بحثاً عن الشهادة هكذا كان شباب الصحابة فما هي أحوال شباب الأمة اليوم؟!

(٤) رواه ابن إسحاق في السيرة وهو مرسل ورجاله ثقات انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ١٦٦ وقد ذكره موصولاً السيوطي في أسباب النزول ١٧، ورواه الطبراني في الكبير ١١/ ٢٥١ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٦ وفيه يونس بن سليمان الجمال ولم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٤/ ١٠٦ والطبري في التفسير والواقدي في المغازي.

له، ثم خرج ذلك النفر حتى أتوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك، فخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن والحارث بن عوف في مرة، ومسعر بن دخيلة فيمن تابعه من قومه من أشجع. فلما سمع بهم رسول الله ﷺ ضرب الخندق على المدينة فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر، وعمل فيه المسلمون، فدأب فيه فدأبوا، وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين، وجعلوا يورّون بالضعف عن العمل، ويتسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله ﷺ ولا إذن، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته نائبة من الحاجة التي لا بد منها ذكرها لرسول الله ﷺ واستأذنه باللحوق بحاجته فيأذن له، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله رغبة في الخير واحتساباً له، فأنزل الله في أولئك المؤمنين ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ﴾. الآية، ثم قال في المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ويذهبون بغير إذن ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ ﴾. الآية. انتهى[1].

حفر الخندق

وكان الذي أشار بالخندق[2] سلمان فقال: يا رسول الله، إنا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، ولم تكن تعرفه العرب قبل ذلك.

عدد الجيشين

وكانت عدة المشركين فيما ذكر ابن إسحاق عشرة آلاف، وكان المسلمون ثلاثة آلاف قال ابن حزم: وقيل في تسع مائة فقط، وهو الصحيح بلا شك[3]. وجعل المسلمون ظهورهم إلى سلع، فنزلوا هنالك والخندق بينهم وبين المشركين[4].

---

(١) انظر السيرة لابن هشام ٣/ ١٦٨.

(٢) ذكره الحافظ في الفتح عن أبي معشر السندي ٧/ ٣٩٣ والواقدي في المغازي ٢/ ٤٤٥ وذكره بدون إسناد ابن سعد في الطبقات ٢/ ٦٦ وهو مشهور عند أهل السّير.

(٣) جوامع السيرة ١٨٧ والراجح ما ذهب إليه ابن إسحاق رحمه الله.

(٤) انظر تفسير الطبري ٢١/ ١٢٩ وهو من مراسيل عروة.

واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وأمر عليه السلام بالنساء والذراري فجعلوا في الآطام[1]. وفي البخاري[2] عن سهل بن سعد قال: كنا مع النبي ﷺ في الخندق وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على أكتادنا وأكتافنا، فقال رسول الله ﷺ:

الصحابة يحفرون ويرتجزون

اللَّهمّ لا عيش إلاَّ عيش الآخرة ... فاغفر للمهاجرين والأنصار

والأكتاد بالمثناة الفوقية جمع كَتِدٍ بفتح فكسر وهو ما بين الكاهل إلى الظهر. وفي بعض نسخ البخاري بالباء الموحدة. وهو موجه على أن يكون المراد به مما يلي الكبد من الجنب. وفي البخاري أيضاً عن أنس: خرج رسول الله ﷺ فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال:

اللَّهم لا عيش إلاَّ عيش الآخرة ... فاغفر للأنصار والمهاجرين

فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمداً ... على الجهاد ما بقينا أبداً

وقال البخاري[3] أيضاً عن البراء: رأيته ﷺ ينقل من تراب الخندق حتى وارى عنا الغبار جلدة بطنه، وكان كثير الشعر، فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحه وهو ينقل التراب:

اللَّهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا

أن الأولى قد رغبوا علينا ... وإن أرادوا فتنة أبينا

قال يمدّ بها صوته. وفي رواية له أيضاً:

إن الأولى قد بغوا علينا ... إن أرادوا فتنة أبينا

---

(١) في حصن فارع كما في صحيح مسلم ٤/ ١٨٧٩.

(٢) رواه البخاري رقم ٤٠٩٨ ومسلم برقم ١٨٠٤.

(٣) رواه البخاري برقم ٤١٠٤ ومسلم برقم ١٨٠٣.

وفي حديث سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي أنه ﷺ حين ضرب في الخندق قال:

بســم الإلــه وبــه بــدينــا ولــو عبــدنــا غيــره شقينــا

حبــذا ربــاً وحبــذا دينــا[1]

وقد وقع في حفر الخندق آيات من أعلام نبوته: منها ما في الصحيح[2] عن جابر قال: إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كُدّية شديدة ـ وهي بضم الكاف القطعة الصلبة ـ فجاءوا للنبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق. فقام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب فعاد كثيباً أهيلاً أو أهيماً كذا بالشك من الراوي. وعند الإسماعيلي باللام من غير شك والمعنى أنه صار رملاً يسيل ولا يتماسك، وأهيم بمعنى أهيل وقد قيل في قوله تعالى ﴿ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ۝ ﴾: المراد الرمال التي لا يرويها الماء. وقد وقع عند أحمد[3] والنسائي زيادة حسنة بإسناد حسن من حديث البراء قال: لما كان يوم الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ منها المعاول، فاشتكينا ذلك لرسول الله ﷺ، فجاء وأخذ المعول فقال: بسم الله، ثم ضرب ضربة وقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله أني لأنظر قصورها الحمر الساعة. ثم ضرب الثانية فقطع آخر فقال: الله أكبر، أعطيت فارس، والله أني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن. ثم ضرب الثالثة فقال بسم الله، فقطع بقية الحجر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله أني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني[4].

بشارة المصطفى

ومنها ما ثبت في الصحيح[5] في حديث جابر من تكثير الطعام القليل،

---

(١) انظر الفتح ٧/ ٣٩٧.

(٢) رواه البخاري برقم ٤١٠١.

(٣) رواه أحمد ٤/ ٣٠٣ والنسائي ٦/ ٤٣ وقد حسن الحافظ إسناده في الفتح ٧/ ٣٩٧ كما نقل كلامه المؤلف.

(٤) هذا علم من أعلام النبوة، يخبر المصطفى ﷺ عن فتح هذه المدن وسقوط هذه الدول وهو محاصر بالمدينة، وفيه تسلية للمؤمنين، وادخال الأمل في قلوبهم بنصرة الإسلام.

(٥) روى الحديث البخاري برقم ٤١٠١، ٤١٠٢ ومسلم برقم ٢٠٣٩.

وإشباعه لجميع أهل الخندق. وعند موسى بن عقبة أنهم أقاموا في عمل الخندق قريباً من عشرين ليلة[1]. وعند الواقدي أربعاً وعشرين يوماً[2]، وعند ابن القيم في الهدي أقاموا شهراً[3]. قال ابن إسحاق في[4] حديثه: وخرج عدو الله حيي بن أخطب النضرّي حتى أتى كعب بن أسد صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاقده على ذلك، فلما سمع كعب بحيي أغلق دونه باب حصنه، فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له، فناداه حيي: ويحك يا كعب افتح لي. قال: ويحك يا يحيى إنك امرؤ مشؤوم، وإني قد عاهدت محمداً، وأنك لست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه إلاَّ وفاء وصدقاً. قال: ويحك افتح لي أكلمك. فقال: ما أنا بفاعل قال: والله إن أغلقت دوني إلاَّ عن جشيشتك[5] أن آكل منها. فأحفظ الرجل ففتح له فقال: ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وببحر طام، جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من دومة، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نَقَمى إلى جانب أحد قد عاهدوني وعاقدوني ألاَّ يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه. قال كعب: جئتني والله بذلّ الدهر وبجهام[6] قد هُراق ماؤه، فهو يرعد ويبرق وليس فيه شيء. ويحك يا حيي فدعني وما أنا عليه فأني لم أر من محمد إلاَّ صدقاً ووفاء. فلم يزل حيي يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك. فنقض كعب عهده، وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ. فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبر بعث رسول الله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة وخوات بن جُبير وقال: انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم؟ فإن كان حقاً فالحنوا لي

اليهود تنقض العهد

---

(١) كما ذكره الحافظ في الفتح ٧/ .

(٢) المغازي ٢/ .

(٣) زاد المعاد ٢/ ١٣١.

(٤) انظر سيرة ابن هشام ٣/ ١٧٢ بدون إسناد ونقض العهد ثابت من بني قريظة.

(٥) الجُشيشه طعام يصنع من البر المطحون خشناً مع اللحم والتمر.

(٦) الجهام السحاب الذي لا ماء فيه.

لحناً أعرفه ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس. قال فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، ونالوا من رسول الله وقالوا: من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد. فشاتمهم سعد بن معاذ وكان رجلاً فيه حدة، فقال له سعد بن عبادة: دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة. ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه ثم قالوا: عضل والقارة. أي كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع. فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين. وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق[1] من بعض المنافقين حتى قال بعضهم: قد كان محمداً يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط. وكان ﷺ يبعث الحرس إلى المدينة خوفاً على الذراري من بني قريظة. وأنزل الله ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ الآيات، وقال رجال معه ﴿ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ﴾ وقال بعضهم يا رسول الله إن بيوتنا عورة من العدو، فائذن لنا فنرجع إلى ديارنا فإنها خارج المدينة. فأنزل الله ﴿ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾[2].

الرسول يفاوض غطفان

فلما اشتد البلاء بعث رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن والي الحارث بن عوف وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعوا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقم الشهادة ولا عزيمة الصلح، إلاّ المراوضة في ذلك، فبعث رسول الله إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فذكر ذلك لهما واستشارهما فيه، فقالا: يا رسول الله أمراً تحبه فنصنعه[3] أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم شيئاً تصنعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم،

---

(١) وهكذا المنافقون يخرجون عن الصف في المواقف الحرجة ويستغلون المواقف للطعن في الإسلام والمسلمين.

(٢) انظر دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٤٠٠ والمغازي للواقدي ٢/ ٤٥٨ والطبقات لابن سعد ٢/ ٦٧ والسيرة لابن هشام ٣/ ١٧٣.

(٣) بمثل ذلك كانت طاعتهم لرسول الله ﷺ واستجابتهم لأمره.

والله ما أصنع ذلك إلاّ أني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة. فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان ولا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلاّ قرى أو بيعاً. أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا به نعطيهم أموالنا؟ ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم إلاّ السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم بحكمه. فقال رسول الله ﷺ: فأنت وذلك. فتناول سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال: ليجهدوا علينا[١].

اللقاء بين المسلمين والكفار

فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون وعدوّهم محاصروهم، ولم يكن بينهم قتال، إلاّ أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب وضرار بن الخطاب أقبلوا على خيلهم حتى وقفوا على الخندق، فلما رأوه قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها. ثم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق فضربوا خيلهم فاقتحمت منه فجالت بهم خيلهم في السبخة بين الخندق وسلع، وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم، وكان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه، فلما وقف هو وخيله قال: من يبارز؟ فقال له علي أنا. فبرز إليه علي ابن أبي طالب فقال له: يا عمرو إنك كنت قد عاهدت الله أن لا يدعوك أحد من قريش إلى أحد خلتين إلاّ أخذتها منه. فقال له: أجل. قال له علي: فإني أدعوك إلى البراز، فقال له: يا بن أخي ما أحب أن أقتلك، قال له علي: فإني أدعوك إلى الله ورسوله وإلى الإسلام. قال: لا حاجة لي بذلك قال: ولكني والله أحب أن أقتلك. فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه، ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا، فقتله علي، وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة[٢].

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٣/ ١٧٤ وقد رواه البزار كما في كشف الأستار برقم ١٨٠٣ والطبراني كما ذكر الهيثمي في المجمع ٦/ ١٣٢ وهو حديث حسن.

(٢) انظر سيرة ابن هشام ٣/ ١٧٦ وقتل علي رضي الله عنه لعمرو بن ود قد رواه الحاكم في المستدرك ٣/ ٣٢ من حديث عن ابن عباس وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. =

ثم إن الله سبحانه ـ وله الحمد ـ صنع أمراً من عنده خذل به العدو، وذلك أن نعيم بن مسعود الأشجعي أسلم وهو يخفي إسلامه، فمشى بين الأحزاب وثبط قوماً عن قوم، فاختلفت كلمتهم، وأرسل الله جنداً من الريح على المشركين فجعلت تقوض خيامهم ولا تدع لهم قدراً إلاَّ كفأتها ولا طنباً إلاَّ قلعته ولا يقر لهم قرار، وجنداً من الملائكة يزلزلون بهم ويلقون في قلوبهم الرعب والخوف[1].

نعيم بن مسعود

وفي البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: «اللَّهمّ منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب. اللَّهمّ اهزمهم وزلزلهم»[2] وروى أحمد عن أبي سعيد قال: قلنا: يا رسول الله، هل من شيء نقوله؟ فقد بلغت القلوب الحناجر. قال «نعم، اللَّهمّ استر عورتنا وآمن روعتنا»[3] قال فضرب الله وجوه أعدائنا بالريح. وفي البخاري[4] عن علي أن رسول الله ﷺ قال يوم الخندق: ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس. وفي صحيح مسلم[5] عن ابن مسعود قال: حبس المشركون رسول الله ﷺ عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس أو اصفرت، فقال رسول الله ﷺ: شغلونا عن الصلاة الوسطى... الحديث. قال ابن دقيق العيد: الحبس انتهى إلى ذلك الوقت ولم تقع الصلاة إلاَّ بعد المغرب[6]. وفي الصحيحين[7] عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق فجعل يسب كفار قريش قال: يا رسول الله ما كدت أن أصلي حتى كادت الشمس تغرب. فقال

دعاء الرسول

تأخرهم عن الصلاة

---

(١) قصة نعيم بن مسعود رضي الله عنه رواها عبد الرزاق في المصنف ٥/٣٦٨ مرسلة عن ابن المسيب ورواها البيهقي في الدلائل ٣/٤٠٤ عن الزهري. وانظر السيرة لابن هشام ٣٢/١٧٩.

(٢) رواه البخاري برقم ٤١١٥ ومسلم برقم ١٧٤٢.

(٣) رواه الإمام أحمد ٣/٣.

(٤) رواه البخاري برقم ٤١١١ ومسلم برقم ٦٢٧.

(٥) رواه مسلم برقم ٦٢٨ والترمذي برقم ١٧٩.

(٦) أحكام الأحكام ١/١٤٢.

(٧) رواه البخاري برقم ٤١١٢ ومسلم برقم ٦٣١.

النبي ﷺ: وأنا والله ما صليتها. فنزلنا مع النبي ﷺ بطحان فتوضأ للصلاة وتوضئنا لها: فصلى العصر بعدما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب. ومقتضى هذه الرواية المشهورة أنه لم يفت غير العصر، وفي الموطأ الظهر والعصر[1]، وفي السنن ومسند أحمد والشافعي أنهم حبسوه عن صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء فصلاهن جميعاً. قال النووي[2]. وطريق الجمع بين هذه الروايات أن وقعة الخندق بقيت أياماً فكان هذا في بعض الأيام، وهذا في بعضها. قال: وأما تأخيره عليه السلام صلاة العصر حتى غربت الشمس فكان قبل نزول صلاة الخوف. انتهى[3].

حذيفة رجل المهمة الصعبة

ثم أرسل رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان يأتيه[4] بخبرهم فوجدهم قد تهيأوا للرحيل، فرجع إلى رسول الله ﷺ ليلاً فأخبره برحيل القوم، فأصبح رسول الله ﷺ وقد رد الله عدوه بغيظهم لم ينالوا خيراً، وكفى الله قتالهم، وصدق وعده، وأعز جنده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده.

وفي البخاري[5] عن سليمان بن صرد سمعت النبي ﷺ يقول حين أجلى الله الأحزاب: «الآن نغزوهم ولا يغزونا، نحن نسير إليهم».

فصل

[غزوة بني قريظة]

جبريل يأمر الرسول بالخروج

ولما دخل رسول الله ﷺ المدينة - حين انصرف من الخندق يوم الأربعاء هو وأصحابه ووضعوا السلاح - جاءه جبريل حين اغتسل وهو ينفض الغبار عن رأسه

---

(١) رواه مالك في الموطأ ٣٩٧.

(٢) مسلم شرح النووي ٥/ ١٣٠.

(٣) والراجح من أقوال أهل العلم أنه إذا لم يتمكن المسلمون من الصلاة بانشغالهم في الحرب فلا يستطيعوا أن يصلوا صلاة الخوف فإنه يجوز لهم تأخير الصلاة كما فعل أنس والصحابة رضي الله عنهم في فتح تستر أخروا الفجر حتى طلعت الشمس، وهذا القول اختيار شيخنا العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله.

(٤) إرسال حذيفة رواه مسلم برقم ١٧٨٨ وأحمد في المسند/ ٣٩٢.

(٥) رواه البخاري برقم ٤١٠٩ وأحمد في المسند ٤/ ٢٦٢.

فقال: أوقد وضعت السلاح؟ والله ما وضعناه. اخرج إليهم. قال: فإلى أين؟ قال: ههنا، وأشار بيده إلى بني قريظة. فخرج النبي ﷺ إليهم كما ثبت ذلك في الصحيح[1] من حديث عائشة ومن حديث ابن عمر[2] قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: لا يصلين أحد العصر إلاَّ في بني قريظة، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك. فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم. انتهى.

الصلاة في بني قريظة

وعند ابن سعد[3]: ثم سار إليهم في المسلمين، وهم ثلاثة آلاف والخيل ثلاثون فرساً، قال: وذلك يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة، ونزل عليه الصلاة والسلام على بئر من آبار بني قريظة، وتلاحق به الناس وقذف الله في قلوبهم الرعب، وحاصرهم رسول الله ﷺ بضعاً وعشرين ليلة، وعرض على سيدهم كعب بن أسد ثلاث خصال: إما الإسلام، وإما قتل ذراريهم ونسائهم ثم القتال حتى يموتوا، وإما تبييت النبي ﷺ وأصحابه ليلة السبت فإن المسلمين قد أمنوا منهم. فأبوا كل ذلك، فأرسلوا إلى رسول الله أن يبعث إليهم أبا لبابة بن عبد المنذر[4] أخا بني عمرو بن عوف، وكانوا حلفاء الأوس، فأرسله، فلما أتاهم قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرقّ لهم وقالوا: يا أبا لبابة، أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح. قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله[5]. ثم انطلق أبو لبابة على وجهه فلم يأت رسول الله حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده وقال: لا أبرح من مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ مما صنعت، وعاهدت الله أن لا أطأ بني قريظة

عدد المسلمين

أبو لبابه واليهود

---

(١) رواه البخاري برقم ٤١١٧ ومسلم برقم ١٧٦٩.

(٢) رواه البخاري برقم ٤١١٩ ومسلم برقم ١٧٧٠.

(٣) الطبقات ٣/ ٧٤.

(٤) ورد ذكر قصة أبي لبابة من حديث عائشة رواه أحمد وهو حديث حسن كما ذكره الهيثمي في المجمع ٦/ ١٣٦ والحافظ بن كثير في البداية والنهاية ٣/ ٢٣٨ وقال إسناده جيد.

(٥) يقظة الإيمان في القلب والإحساس بالذنب علامة من علامات الإيمان والمؤمن يحس بعظم الذنب وخطورته وغيره لا يبالي بأي ذنب فعل.

أبداً، أو لا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً. فلما سمع رسول الله ﷺ خبره وكان قد استبطأه قال: أما لو جاءني لاستغفرت له، وأما إذا فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه. فنزلت توبة أبي لبابة على رسول الله ﷺ، فتولى رسول الله إطلاقه بيده الكريمة، فنزلت بنو قريظة على حكم رسول الله، فلما نزلوا على حكمه قال الأوس: يا رسول الله قد فعلت في بني قينقاع ما قد فعلت وهم حلفاء إخواننا الخزرج، وهؤلاء موالينا. فقال رسول الله ﷺ: ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا بلى. قال: فذلك سعد بن معاذ. وكان رسول الله ﷺ قد جعل سعد بن معاذ في خيمة في المسجد تسكنها رفيدة امرأة صالحة تقوم على المرضى وتداوي الجرحى تحتسب بذلك الأجر ليعوده من قريب، فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد ليؤتى به ليحكم في بني قريظة فأتي به على حمار قد وطىء له بوسادة أدم وأحاط به قومه وهم يقولون يا أبا عمرو، أحسن في مواليك، فإنما ولاك رسول الله ذلك لتحسن فيهم. فقال: لقد أبى الله لسعد إلاَّ أن لا تأخذه في الله لومة لائم[1]، فرجع بعض من معه إلى ديار بني عبد الأشهل ينعي لهم رجال بني قريظة، فلما أقبل سعد إلى رسول الله ﷺ قال للمسلمين: قوموا إلى سيدكم. فقام المسلمون فقالوا: يا سعد إن رسول الله قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم، فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم كما حكمت؟ قالوا: نعم. قال: وعلى من ههنا؟ وأشار به إلى الناحية التي فيها رسول الله ﷺ إجلالاً له، قال رسول الله: نعم. قال: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء. فقال رسول الله ﷺ: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة[2]. ثم أمر بهم رسول الله ﷺ فأخرجوا إلى موضع سوق المدينة فخندق بها خنادق ثم أمر بهم فضربت أعناقهم في تلك الخنادق، وقتل معهم يومئذ حيي بن

سعد بن معاذ في حكم بني قريظة

---

(١) المؤمن ليس في قلبه مودة للكفار من اليهود والنصارى وغيرهم فلا يواليهم بل يعاديهم ويرفض الإقتراب منهم.

(٢) حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فيهم رواه البخاري برقم ٤١٢١ ومسلم برقم ١٧٦٨ من حديث أبي سعيد ورواه البخاري أيضاً برقم ٤١٢٢ ومسلم برقم ١٧٦٩ من حديث عائشة رضي الله عنها.

أخطب والد أم المؤمنين صفية، وكانوا من الستمائة إلى السبع مائة[١]، وقتل من نسائهم امرأة واحدة، وهي التي طرحت الرحى على خلاد بن سويد بن الصامت فقتلته[٢]. وأمر رسول الله ﷺ بقتل كل من أنبت، وترك من لم ينبت[٣]، ووهب رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن الشماس ولد الزبير بن باطا، فاستحياهم منه عبد الرحمن بن الزبير فأسلم وله صحبة، ووهب أيضاً رفاعة بن سموأل القرظي لأم المنذر سلمى بنت قيس من بني النجار وكانت قد صلت إلى القبلتين، فأسلم رفاعة وله صحبة، وكان ممن لم ينبت عطية القرظي فاستحيى، له صحبة. وقسم عليه السلام أموال بني قريظة فأسهم للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهماً، ووقع للنبي ﷺ من سبيهم ريحانة بنت عمرو[٤] فلم تزل في ملكه حتى مات.

من استحيى من اليهود

فلما تم أمر بني قريظة أجيبت دعوة العبد الصالح سعد بن معاذ رضي الله عنه فمات من جرحه الذي أصابه يوم الخندق، كما في الصحيح[٥] عن عائشة قالت: أصيب سعد يوم الخندق، رماه رجل من قريش يقال له حبان بن العرقة رماه في الأكحل فضرب له النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب، فلما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل عليه السلام وهو ينفض رأسه من الغبار فقال له: قد وضعت السلاح؟ والله ما وضعناها. اخرج إليهم. قال النبي ﷺ فأين؟ فأشار إلى بني قريظة، فأتاهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكمه فرد الحكم إلى سعد قال: فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسبى النساء والذرية وأن تقسم أموالهم. قال ابن هشام فأخبرني أبي عن عائشة أن سعداً قال: اللَّهمَّ إنك تعلم

استشهاد سعد بن معاذ

---

(١) انظر فتح الباري ٧/ ٤١٤.

(٢) كما في حديث عائشة كما رواه أحمد في المسند ٦/ ٢٧٧ وأبو داود برقم ٢٦٧١.

(٣) كما في حديث عطية القرظي عند أبي داود برقم ٤٤٠٤ والترمذي برقم ٥٨٤.

(٤) ريحانة بنت عمرو بن خنافة إحدى نساء بني عمرو بن قريضة أسلمت وحسن إسلامها وذكر الواقدي أنه تزوجها بعد عتقها وقال وهو أثبت الأقاويل ورجحه السخاوي كما قرره في القول البديع ١١٩ انظر خبرهما الإشارة مغلطاي ٢٦٣ وسيرة ابن هشام ٣/ ١٩٤ وتاريخ الطبري ٢/ ٥٩٢.

(٥) رواه البخاري برقم ٤١٢٢ ومسلم برقم ١٧٦٩.

أن ليس أحد أحب إلي أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه، اللَّهمّ فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني له حتى أجاهدهم فيك، وإن كنت وضعت الحرب فافجرها واجعل موتي فيها. فانفجرت من لبته، فلم يرعهم وفي المسجد خيمة من بني غفار إلاَّ الدم يسيل إليهم فقالوا: يا أهل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قبلكم؟ فإذا سعد يغدو جرحه دماً، فمات منها رحمه الله.

وفي الصحيحين[1] عن جابر أن رسول الله ﷺ قال «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ». وصحح الترمذي[2] من حديث أنس قال: لما حملت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون: ما أخف جنازته، فقال رسول الله ﷺ «إن الملائكة كانت تحمله».

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم[3] عن محمد بن المنكدر عن محمد بن شرحبيل بن حسنة قال: قبض إنسان يومئذ من تراب قبره قبضة، فذهب بها، ثم نظر إليه بعد ذلك فإذا هي مسك، قال فقال رسول الله: سبحان الله سبحان الله، حتى عرف ذلك في وجهه، فقال: الحمد لله، لو كان أحد ناجياً من ضمة القبر لنجا منها سعد بن معاذ، ضم ضمة ثم فرج الله عنه. وعند ابن إسحاق[4] عن جابر قال: كنا مع رسول الله ﷺ لما دفن سعد فسبح رسول الله وسبح معه الناس، ثم كبر وكبر معه الناس، فقالوا: يا رسول الله مم سبحت؟ فقال لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه. قال ابن هشام: ومجاز هذا الحديث قول عائشة قال رسول الله ﷺ «إن للقبر ضمة لو كان أحد منها ناجياً لكان سعد بن معاذ»[5]. ولسعد يقول رجل من الأنصار:

وما اهتز عرش الله من فقد هالك ... سمعنا به إلاَّ لموت أبي عمرو

---

(١) رواه البخاري برقم ٣٨٠٣ ومسلم برقم ٢٣٦٦.

(٢) رواه الترمذي برقم ٣٩٣٨ والحاكم ٣/ ٢٠٧.

(٣) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة وابن سعد في الطبقات ٣/ ٤٢٩.

(٤) انظر سيرة ابن هشام ٣/ ٢٠٠ وقد أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣٦٠/ ٣٧٧ ورواه الحاكم في المستدرك ٣/ ٢٠٦.

(٥) رواه أحمد ٦/ ٥٥.

شهداء الخندق

واستشهد من المسلمين يوم الخندق وقريظة سعد بن معاذ وأنس بن أوس وعبد الله بن سهل كلهم من بني عبد الأشهل، والطفيل بن النعمان وثعلبة بن غنمة وكعب بن زيد وخلاد بن سويد طرحت عليه امرأة من بني قريظة رحى فقتلته، ومات في الحصار أبو سنان بن محصن أخو عكاشة[١].

ما نزل من القرآن

قال ابن إسحاق: وأنزل الله في أمر الخندق وأمر بني قريظة من القرآن القصة في سورة الأحزاب يذكر فيها ما نزل من البلاء ويذكر نعمته عليهم وكفايته إياهم حين أفرج ذلك عنهم بعد مقالة من قال من أهل النفاق من قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ إلى قوله ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ ﴾. الآيتين[٢].

بعث عبد الله بن عتيك إلى قتل سلام بن أبي الحقيق

وهو أبو رافع. ولما فتح الله في الكافر كعب بن الأشرف على أيدي رجال من الأوس كما تقدم، رغبت الخزرج في مثل ذلك تريد من الأجر والثناء في الإسلام، فتذاكروا أن سلام بن أبي الحقيق من العداوة لرسول الله والمسلمين على مثل حال كعب بن الأشرف، فاستأذنوا رسول الله في قتله فأذن لهم، فخرجوا إليه خمسة نفر كلهم من الخزرج، وكلهم من بني سلمة: عبد الله بن عتيك، وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة الحارث بن ربعي، ومسعود بن سنان، وخزاعي بن الأسود حليف لهم من أسلم، وأمر عليهم عبد الله بن عتيك ونهاهم عن قتل النساء والصبيان. فنهضوا حتى أتوا خيبر ليلاً، وكان سلام ساكناً في دار مع جماعة وهو في علية منها، فتسوروا الدار ولم يدعوا باباً من مساكنها إلاّ استوثقوا منه من خارج، ثم أتوا العلية التي هو فيها فاستأذنوا عليه، فقالت امرأته: ممن أنتم؟ قالوا: أناس من العرب نطلب الميرة. فقالت لهم: ذاكم صاحبكم. فدخلوا. فلما دخلوا أغلقوا الباب على أنفسهم فأيقنت المرأة بالشر فصاحت، فهموا بقتلها، ثم ذكروا نهي النبي ﷺ عن قتل النساء فأمسكوا

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٣/ ٢٠٢.

(٢) انظر سيرة ابن هشام ٣/ ١٩٤.

عنها، ثم تعاوروه بأسيافهم وهو راقد على فراشه أبيض في سواد الليل كأنه قطنة، ووضع عبد الله بن أنيس سيفه في بطنه حتى أنفذه، وعدو الله يقول: قطني قطني. ثم نزلوا. وكان عبد الله بن عتيك ضعيف البصر فوقع، فوتيت رجله وتياً شديداً، فحمله أصحابه حتى أتوا منهراً من مناهيرهم فدخلوا فيه واستتروا، وخرج أهل الآطام وأوقدوا النيران في كل وجه، فلما أيسوا رجعوا، فقال المسلمون: كيف لنا أن نعلم أن عدو الله قد مات؟ فرجع أحدهم ودخل بين الناس، ثم رجع إلى أصحابه فذكر لهم أنه وقف مع الجماعة وأنه سمع امرأته تقول: والله لقد سمعت صوت ابن عتيك، ثم قلت: أنى ابن عتيك بهذه البلاد؟ ثم إنها نظرت في وجهه فقالت: فاض وإله يهود. قال: فسررت. وانصرف إلى أصحابه فأخبرهم بهلاكه، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه، وتداعوا في قتله فقال عليه السلام: هاتوا أسيافكم. فأتوه بها. فقال عن سيف عبد الله بن أنيس هذا قتله، أي فيه أثر الطعام[1].

غزوة بني لِحيان

وأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد فتح بني قريظة بقية ذي الحجة والمحرم وصفرا وشهري ربيع، وخرج عليه الصلاة والسلام في جمادي الأولى في الشهر السادس من فتح بني قريظة في السنة السادسة من الهجرة[2]. قال ابن حزم: كذا قالوا، والصحيح أنها الخامسة، قاصداً إلى بني لحيان مطالباً بثأر عاصم بن ثابت وخبيب بن عدي وأصحابهما المقتولين بالرجيع، وذلك إثر رجوعه عليه السلام من دومة الجندل، وأظهر أنه يريد الشام، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، ثم أسرع السير حتى انتهى إلى بطن غران واد بين أمج وعسفان، وهي منازل بني لحيان حيث كان مصاب أصحابه أهل الرجيع الذين قتلوا ببئر معونة. فترحم عليهم، ودعا لهم، فسمعت به بنو لحيان فهربوا في رؤوس الجبال فلم يقدر على أحد منهم. فلما نزل رسول الله ﷺ أخطأه من غرتهم من أراد، قالوا: لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل

---

(١) أصل القصة وتمامها في صحيح البخاري برقم ٤٠٣٩ ـ ٤٠٤٠ وانظر الفتح ٧/ ٣٩٥ ـ ٤٠٠.

(٢) كما ذكره الحافظ ابن كثير في السيرة ٣/ ٢٨٥.

مكة أنا قد جئنا مكة، فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عسفان. فبعث عليه السلام رجلين من أصحابه وفارسين حتى أتوا كراع الغميم ثم كروا، ورجع عليه السلام قافلاً إلى المدينة ولم يلق كيداً[1]، فكان جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول حين وجه راجعاً «آيبون، تائبون، إن شاء الله لربنا حامدون»[2].

سرية محمد بن مسلمة

قال في المواهب[3]: إلى بطن من بني بكر بن كلاب وهم ينزلون بناحية ضريّة بالبكرات، وبين ضرية والمدينة سبع ليال، لعشر ليال خلون من المحرم، بعثه في ثلاثين راكباً، فلما أغار عليهم هرب سائرهم، واستاق نعماً وشاء، وقدم المدينة لليلة بقيت من المحرم ومعه ثمامة بن أثال الحنفي أسيراً، فربط أمره ﷺ بسارية من سواري المسجد. وفي الصحيح[4] عن أبي هريرة قال: بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فاسأل منه ما شئت. فتركه حتى كان الغد ثم قال له: ما عندك يا ثمامة؟ قال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر. فتركه حتى كان بعد الغد فقال له: ما عندك يا ثمامة؟ قال عندي ما قلت. قال: أطلقوا ثمامة. فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل

---

(١) انظر خبر الغزوة في سيرة ابن هشام ٣/ ٣٨٧ والواقدي في المغازي ٢/ ٥٣٥ وابن سعد في الطبقات، والدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر ٢١٢ ـ ٢١٣، ورواية هذه الغزوة عن طريق ابن إسحاق بإسناد ضعيف. وقد ذكر في الأحاديث الثابتة صلاته ﷺ صلاة الخوف في هذه الغزوة كما في المسند ٤/ ٥٩ وفي سنن النسائي ٣/ ١٧٦ وأبي داود برقم ٢٣٦ والحاكم في المستدرك ١/ ٣٣٧ من حديث أبي عياش الزرقي وفي حديث أبي هريرة في الترمذي برقم ٣٠٣٨ والنسائي ٣/ ١٧٤ وفي المسند ٢/ ٥٢٢.

(٢) ذكره أهل السيرة كما في مغازي الواقدي ٢/ ٥٣٧ والطبقات لابن سعد ٢/ ٨٠ والحديث مخرج في الصحيحين فقد رواه البخاري برقم ١٧٩٧ ومسلم ١٣٤٢.

(٣) المواهب ١/ ٤٧٢.

(٤) رواه البخاري برقم ٤٣٧٢ ومسلم برقم ١٧٦٤. وأبو داود برقم ٢٦٧٩.

المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله. يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي. والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إلي. والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي. وأن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فما ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر. فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت. قال: لا ولكن أسلمت مع محمد رسول الله، ولا والله لا تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ. وأخرجه مسلم أيضاً. وذكر ابن القيم في الهدي زيادة بعد قوله «حتى يأذن فيها النبي»: وكانت اليمامة ريف مكة. فانصرف إلى بلاده ومنع الحمل إلى مكة حتى جهدت قريش، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثمامة يخلي لهم حمل الطعام، ففعل رسول الله ﷺ.

ثمامه يمنع الميرة عن قريش

غزوة الغابة

وتعرف بذي قَرَد بفتح القاف والراء، وهو ماء على بريد من المدينة في ربيع الأول سنة ست قبل الحديبية[1]، وعند البخاري أنها كانت قبل خيبر بثلاثة أيام، ولمسلم نحوه. قال القرطبي[2] لا يختلف أهل السير أن غزوة ذي قرد كانت قبل الحديبية. وقال الحافظ ابن حجر: الذي في الصحيح أصح[3] مما ذكره أهل السير.

سبب الغزوة

وسببها أنه كان لرسول الله ﷺ عشرون لقحة ـ وهي ذوات اللبن القريبة العهد بالولادة ـ ترعى بالغابة فأغار عليها عيينة بن حصن الفزاري ليلة الأربعاء في أربعين فارساً فاستاقوها وقتلوا الراعي. قال ابن إسحاق: وكان فيهم رجل من غفار وامرأة، قتلوا الرجل وسبوا المرأة، ونودي: يا خيل الله اركبي. وكان أول ما نودي بها. وكان أول من نذر بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع السلمي، كان ناهضاً إلى الغابة، فلما علا

---

(١) انظر المواهب ١/ ٤٧٤.

(٢) انظر المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ٣/ ٦٨٠٦.

(٣) انظر فتح الباري ٧/ ٤٦٠ وقد رجح ذلك الإمام ابن القيم في الزاد ٣/ ٢٧٩ والبيهقي في دلائل النبوة ٤/ ١٧٨ وخالفهم مغلطاي ٢٦٧ ورجح إجماع أهل السير والحق على خالفه كما حققه الحافظ في الفتح.

ثنية الوداع نظر إلى خيل الكفار فصاح، فأنذر المسلمين، ثم نهض في آثارهم فأبلى بلاء حسناً عظيماً، ورماهم بالنبل حتى استنقذ ما كان بأيديهم. فلما وقعت الصيحة بالمدينة كان أول من أتى إلى رسول الله ﷺ من الفرسان المقداد بن عمرو، ثم عباد بن بشر الأشهلي وأسيد بن حضير أخو بني حارثة وعكاشة بن محصن ومحرز بن نضلة الأسدي الأخرم وأبو قتادة الحارث بن ربعي وأبو عياش عبيد بن زيد بن صامت الزرقي. فلما اجتمعوا أمر رسول الله ﷺ سعيد بن زيد من بني عبد الأشهل، وقيل إن رسول الله ﷺ أعطى فرس أبي عياش معاذ بن ماعص أو عائذ بن ماعص، وكان أحكم للفروسية من أبي عياش، فأول من لحق بهم محرز بن نضلة الأخرم فقتل رحمه الله، ولحق أبو قتادة فقتل قاتل الأخرم، وولى المشركون منهزمين، وبلغ رسول الله ﷺ ماء يقال له ذو قرد، ونحر ناقة من لقاحه المسترجعة، وأقام عليه السلام يوماً وليلة ثم رجع إلى المدينة، وأقبلت امرأة الغفاري على ناقة رسول الله، فلما أتت المدينة نذرت أن تنحرها، فأخبرها رسول الله ﷺ أنه لا نذر لأحد في معصية الله ولا فيما لا يملك، وأخذ عليه السلام ناقته[1].

سرية زيد بن حارثة

قالوا وبعث رسول الله زيد بن حارثة إلى العيص، موضع على أربع ليال من المدينة في جمادي الأولى سنة ست، ومعه سبعون راكباً، لما بلغه عليه الصلاة والسلام أن عيراً لقريش قد أقبلت من الشام يتعرض لها، فأخذها وما فيها، وأخذوا يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية، وأسر منهم أبو العاص بن الربيع، وقدم بهم المدينة.

أسر عثمان بن أبي العاص

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن حزم قال: خرج أبو العاص بن الربيع زوج زينب مرجعه من الشام، وكان رجلاً مأموناً، وكانت معه بضائع لقريش، فأقبل قافلاً، فلقيته سرية لرسول الله ﷺ فاستاقوا عيره وأفلت،

---

(١) سياق قصة الغزوة في البخاري برقم ٤١٩٤ ومسلم برقم ١٨٠٦. وقصة المرأة عند مسلم برقم ١٦٤١ وفي المسند ٤/ ٤٣٣.

وقدموا على رسول الله ﷺ بما أصابوا، فقسمه بينهم. وأتى أبو العاص المدينة فدخل على زينب بنت رسول الله يريد ماله وما كان معه من أموال الناس، فدعا رسول الله ﷺ السرية وقال: إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالاً ولغيره، وهو فيء الله الذي أفاء عليكم، فإن رأيتم أن تردوا عليه فافعلوا، وإن كرهتم فأنتم وحقكم. قالوا: بل نرد عليه يا رسول الله، فردوا عليه والله ما أصابوا، حتى أن الرجل يأتي بالشيء والرجل يأتي بالإداوة والرجل بالحبل، فما تركوا قليلاً مما أصابوا ولا كثيراً إلا ردوه عليه[1]. ثم خرج حتى قدم مكة فأدى إلى الناس بضائعهم، حتى إذا فرغ قال: يا معشر قريش، هل بقي لأحد منكم مال لم أرده عليه؟ قالوا لا فجزاك الله خيراً قد وجدناك وفياً كريماً، قال: والله ما منعني أن أسلم قبل أن أقدم عليكم إلا تخوفاً أن تظنوا أني ما أسلمت إلا لأذهب بأموالكم، فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله[2].

وذكر موسى بن عقبة أن أسره كان على يد أبي بصير بعد الحديبية، وأنهم أخذوه في رجال من قريش وأخذوا ما معهم وأسروهم، ولم يقتلوا منهم أحداً لصهر رسول الله من أبي العاص وهو ابن أخت خديجة بنت خويلد لأمها وأبيها، فخلوا سبيل أبي العاص، فقدم على امرأته زينب فكلمها أبو العاص في أصحابه الذين أسر أبو جندل وأبو بصير وما أخذوا له، فكلمت رسول الله في ذلك، فزعموا أن رسول الله ﷺ قام فخطب فقال: إنا صاهرنا أناساً وصاهرنا أبا العاص، فنعم الصهر وجدناه. وإنه أقبل من الشام في أصحاب له من قريش فأخذهم أبو جندل وأبو بصير وأخذوا ما كان معهم ولم يقتلوا منهم أحداً، وإن زينب بنت رسول الله سألتني أن أجيرهم فهل أنتم مجيرون أبا العاص وأصحابه؟ فقال الناس نعم. فلما بلغ أبا جندل وأصحابه قول رسول الله ﷺ في أبي العاص وأصحابه الذين كانوا عنده ردوا عليهم كل شيء أخذ منهم حتى العقال، وكتب رسول الله إلى أبي جندل وأبي بصير يأمرهم أن يقدموا عليه ويأمر من معهما من

---

(١) كل ذلك محبة لرسول الله ﷺ ووفاءً له واستجابة لطلبه وشفاعته.

(٢) فيه فضيلة أبي العاص بن الربيع رضي الله عنه.

المسلمين أن يرجعوا إلى بلادهم وأهليهم ولا يتعرضوا لأحد من قريش وعيرها. وقدم كتاب رسول الله ﷺ على أبي بصير وهو في الموت، فمات وهو على صدره، فدفنه أبو جندل، وقدم أبو جندل على رسول الله ﷺ وأمنت عير قريش وذكر باقي الحديث.
قال ابن القيم في الهدي[1]: وقول موسى بن عقبة أصوب، وأبو العاص إنما أسلم زمن الهدنة، وكانت زينب هاجرت قبله وتركته على شركه، وردها النبي ﷺ بالنكاح الأول، قيل بعد سنتين وقيل بعد ست سنين وقيل قبل انقضاء العدة، وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: ردها عليه بنكاح جديد سنة سبع[2].

سرية كرز بن جابر الفهري إلى العرنيين

وهم الذين قتلوا راعي رسول الله ﷺ واستاقوا الإبل في شوال سنة ست، قاله الواقدي وابن سعد وابن حبان[3]، أو في ذي القعدة بعد الحديبية وهو المذكور في البخاري. والعرنيون حي من بجيلة. وفي البخاري من عكل وعرينة. وفي الصحيحين[4] عن أنس أن رهطاً من عكل وعرينة أتوا رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله إنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف، فاستوخمنا المدينة. فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود وأمرهم أن يخرجوا فيها فيشربوا من أبوالها وألبانها، فلما صحوا قتلوا راعي رسول الله واستاقوا الذود وكفروا بعد إسلامهم. وفي لفظ لمسلم: وسملوا عين الراعي. وعند البخاري أنهم كانوا مع أهل الصفة قبل أن يخرجوا إلى الذود. وفي البخاري فأمر بمسامير فأحميت فكحلهم بها. وفي لفظ فبعث الطلب في آثارهم فأمر بهم فسمروا أعينهم وقطعوا أيديهم وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا، وقال أنس: إنما سمل رسول الله ﷺ أعينهم لأنهم سملوا أعين الراعي، رواه مسلم.

وفي حديث أبي الزبير عن جابر فقال رسول الله ﷺ: اللّهمّ عم عليهم الطريق

---

(١) زاد المعاد ٣/ ٢٨٤.
(٢) وكان رضي الله عنه قد أسر يوم بدر انظر ص ٢٥٤ وأرسلت زينب قلادة لها تفديه بها.
(٣) انظر المواهب ١/ ٤٨٥.
(٤) رواه البخاري برقم ٤١٩٢ ومسلم برقم ١٦٧١ وأبو داود برقم ٤٣٦٤ والترمذي برقم ٧٢.

واجعلها عليهم أضيق من [مسك جمل][1] فعمى الله عليهم السبيل فأدركوا، وذكر القصة. وفي البخاري: قال أبو قلابة: فهؤلاء قتلوا وسرقوا وحاربوا الله ورسوله. وفي الترمذي[2] عن ابن سيرين إنما فعل رسول الله ذلك قبل أن تنزل الحدود.

وفيها من الفقه جواز شرب أبوال الإبل وطهارة بول مأكول اللحم، والجمع للمحارب ـ إذا أخذ المال وقتل ـ بين قطع يده ورجله، وأنه يفعل بالجاني كما فعل لأنهم لما سملوا أعين الراعي سمل أعينهم. وقد ظهر بهذا أن القصة محكمة ليست منسوخة، وإن كانت قبل أن تنزل الحدود فالحدود نزلت بتقريرها لا بإبطالها[3].

غزوة سيف البحر

قال البخاري عن جابر بن عبد الله: بعث رسول الله ﷺ بعثاً قبل الساحل وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح، وهم ثلاثمائة، يتلقون عيراً لقريش، فخرجنا فكنا ببعض الطريق، ففني الزاد، فأمر أبو عبيدة بأزواد الجيش فجمع، فكان مزودّي تمر، فكان يقوتنا كل يوم قليلاً حتى فني فلم يكن يصيبنا إلاّ تمرة. فقلت: ما تغنى عنكم تمرة؟ فقال: لقد وجدنا فقدها حين فنيت. وفي لفظ: فأقمنا بالساحل نصف شهر فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط، فسمى ذلك الجيش جيش الخبط، فألقى لنا البحر دابة يقال لها العنبر، فأكلنا منها نصف شهر وادهنا من ودكها حتى ثابت إلينا أجسامنا، فأخذ أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعها فنصبه فعمد إلى أطول رجل معه ثم أمر براحلة فرحلت فمر تحته، فقال جابر: وكان رجل من القوم نحر ثلاث جزائر ثم نحر ثلاث جزائر ثم نحر ثلاث جزائر، ثم إن أبا عبيدة نهاه. وفي رواية أنه قيس بن سعد. وفي لفظ: فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك للنبي ﷺ فقال: كلوا رزقاً أخرجه الله، أطعمونا إن كان معكم، فأتاه بعضهم بعضو فأكله[4].

---

(١) بياض في الأصل وما بين المعكوفتين تصحيح من زاد المعاد ٣/ ٢٨٦.

(٢) انظر الترمذي برقم ٧٢.

(٣) انظر زاد المعاد ٣/ ٢٨٦.

(٤) رواه البخاري برقم ٤٣٦٠ ومسلم برقم ١٩٣٥.

والصحيح أن هذه الغزوة كانت سنة ست قبل الهدنة كما قال ابن سعد[١] وصاحب الهدي[٢].

غزوة الحديبية

بتخفيف الياء وتشديدها، وهي بئر يسمى المكان بها. قال نافع: كانت سنة ست في ذي القعدة. قال صاحب الهدي: وهو الصحيح، وهو قول الزهري وقتادة وموسى ابن عقبة ومحمد بن إسحاق وغيرهم[٣].

سبب خروج الرسول

قالوا وسبب هذه الغزوة أنه ﷺ أري في المنام وهو بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام، وأخذ مفتاح الكعبة، وطافوا واعتمروا، وحلق بعضهم وقصر بعضهم، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا، وحسبوا أنهم داخلوا مكة عامهم ذلك، فأخبر أصحابه أنه معتمر، فتجهزوا للسفر، واستنفر العرب ومن حوله من البوادي ليخرجوا معه، وهو لا يريد الحرب، ولكنه يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو صدود عن البيت، فأبطأ كثير من الأعراب، فغسل النبي ﷺ ثيابه وركب ناقته القصواء واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، وخرج منها يوم الاثنين غرة ذي القعدة من السنة السادسة ومعه زوجته أم سلمة في ألف وأربعمائة، ويقال ألف وخمسمائة ولم يخرج معه بسلاح إلاَّ سلاح المسافر، السيوف في القرب[٤]. وفي البخاري[٥] عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا: خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه، فلما كان بذي الحليفة قلد الهدي، وأشعر وأحرم منها بعمرة. وبعث عيناً له من خزاعة، وسار النبي ﷺ حتى إذا كانوا بغدير الأشطاط أتاه عينه فقال: إن قريشاً جمعوا لك جموعاً،

---

(١) انظر الطبقات ٢/ ١٣٢.

(٢) انظر زاد المعاد ٣/ ٣٨٩.

(٣) انظر زاد المعاد ٣/ ٢٨٦.

(٤) انظر سيرة ابن هشام ٣/ ٢٥٥.

(٥) رواه البخاري برقم ٤١٧٨ وأبو داود برقم ٢٧٦٥ وأحمد ٤/ ٣٢٨.

قريش تريد وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت ومانعوك. فقال:

صد الرسول

أشيروا عليّ أيها الناس، أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت، فإن يأتونا كان الله قد قطع عيناً من المشركين وإلاَّ تركناهم محزونين. قال أبو بكر: يا رسول الله، خرجت عامداً لهذا البيت، لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد، فتوجه له، فمن صدنا عنه قاتلناه. قال: امضوا على اسم الله. حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ: إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيراً لقريش. وسار النبي ﷺ، حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت راحلته، فقال الناس: حل حل. فألحت فقالوا: خلأت

القصواء تحبس

القصواء خلأت القصواء. فقال النبي ﷺ: ما خلأت القصواء وما هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل. ثم قال: والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلاَّ أعطيتهم إياها. ثم زجرها فوثبت به، قال فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضاً، فلم يلبث الناس حتى نزحوه، وشكوا إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش بالري حتى صدروا عنه، فبينما هم كذلك إذ جاء

بديل بن ورقاء

بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة، وكانوا عيبة نصح لرسول الله ﷺ من أهل تهامة فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت. فقال رسول الله ﷺ: إنا لم نجيء لقتال أحد، ولكنا جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم، فإن شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس، فإن ظهروا فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلاَّ فقد جموا، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري حتى تنفرد سالفتي أو لينفذن الله أمره. فقال بديل: سأبلغهم ما تقول. فانطلق حتى أتى قريشاً فقال: إنا جئناكم من عند هذا الرجل، وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا، فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي: هات ما سمعته يقول. قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدثهم بما قال النبي ﷺ. فقام عروة بن مسعود فقال: أي قوم، ألست

عروة بن مسعود سفيراً لقريش

بالوالد؟ قالوا بلى[1]. قال: فهل تتهموني؟ قالوا لا. قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ، فلما تَبَلَّحُوا علي جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا بلى. قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها، ودعوني آته. فأتاه، فجعل يكلم النبي ﷺ، ويقول له النبي ﷺ نحواً من قوله لبديل. فقال عروة عند ذلك: أي محمد أرأيت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى فوالله إني لأرى وجوهاً، وإني لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك[2] فقال له أبو بكر الصديق: امصص بظر اللات، أنحن نفر عنه وندعه؟ فقال عروة: من هذا؟ فقالوا أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك. قال وجعل يكلم النبي ﷺ، فكلما تكلم أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف ومعه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف وقال: أخر يدك عن لحية النبي ﷺ[3]. قال فرفع عروة رأسه فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة. فقال: أي غدر، ألستُ أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم. فقال النبي ﷺ: أما الإسلام فأقبل وأما المال فلست منه في شيء. ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينه، قال والله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلاَّ وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له[4]. قال فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً، والله إن تنخم نخامة إلاَّ وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ

عروة يصف الصحابة

(١) كان عروة بن مسعود لسبيعة بنت عبد شمس (ق).

(٢) يعني أنه يرى في أصحاب النبي ﷺ أخلاط الناس، ويرى في المعسكر الآخر وجوه قريش وأهل المكانة فيها (ق).

(٣) إنه الولاء والبراء، تنقطع العلاقات إلاَّ علاقة الدين.

(٤) هكذا كانت محبة رسول الله ﷺ في قلوب أصحابه رضوان الله عليهم.

كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون النظر إليه تعظيماً له. وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها. فقال رجل من بني كنانة: دعوني آته. فقالوا: ائته. فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال النبي ﷺ: هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البدن، فابعثوها. فبعثت له، واستقبله الناس يلبّون. فلما رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يُصدّوا عن البيت. فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت. فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال: دعوني آته. فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال النبي ﷺ: هذا مكرز وهو رجل فاجر. فجعل يكلم النبي ﷺ. فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو. قال معمر: فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل قال النبي ﷺ: قد سهل لكم من أمركم. وفي رواية ابن إسحاق: فدعت قريش سهيل بن عمرو فقالوا ذهب إلى هذا الرجل فصالحه. فقال ﷺ: قد أرادت قريش الصلح حين بعثت هذا. فلما انتهى إلى النبي ﷺ جرى بينهما الصلح.

سهيل يفاوض الرسول

وذكر ابن إسحاق[1] أيضاً في روايته أن رسول الله ﷺ دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى أهل مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكة أحد من بني عدي بن كعب يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها، ولكني أدلك على رجل أعز بها مني، عثمان بن عفان. فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لقتال ولا لحرب، وأنه إنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمته، فخرج عثمان إلى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ، فقالت أشراف قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف. فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله ﷺ[2]. واحتبسته قريش عندها حتى ظن رسول الله والمسلمون أن عثمان قد قتل. قال ابن إسحاق: حدثني

بعث عثمان لأهل مكة

---

(١) وقد ذكر في حديث مروان والمسور السابق.

(٢) فيه فضيلة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه وكيف تأدب مع رسول الله ﷺ.

عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قتل: لا نبرح حتى نناجز القوم. ودعا رسول الله ﷺ إلى بيعة الرضوان تحت الشجرة، وكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت. وكان جابر بن عبد الله يقول: لم نبايع رسول الله على الموت، ولكن بايعناه على أن لا نفر. انتهى. قلت: قال بعضهم: معنى القولين واحد. فبايعه جماعة على الموت، أي لا نزال نقاتل بين يديك حتى نموت. وبايعه آخرون وقالوا: لا نفر[١][٢].

بيعة الرضوان

وذكر وكيع بن الجراح عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي أن أول من بايعه أبو سنان الأسدي، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين ممن حضرها إلاَّ جد بن قيس أحد بني سلمة[٣]، قال جابر بن عبد الله: وكأني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته مستتراً بها عن الناس. انتهى[٤].

الرسول يبايع عن عثمان

وضرب رسول الله ﷺ بيده اليمنى على اليسرى فقال: هذه لعثمان، وكانت يد رسول الله لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم[٥]. وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة» انتهى. ولما أبطأ عثمان قال المسلمون: طوبى لعثمان، دخل مكة وسيطوف بالبيت وحده فقال النبي ﷺ ما كان ليطوف وحده[٦]. ولما تمت البيعة رجع عثمان، فقال له المسلمون اشتفيت يا أبا عبد الله من الطواف بالبيت. فقال: بئس ما ظننتم بي، والذي نفسي بيده، لو مكثت بها سنة ورسول الله ﷺ بالحديبية ما طفت بها حتى يطوف رسول الله، وقد دعتني قريش إلى الطواف بالبيت فأبيت. فقال المسلمون: رسول الله كان أعلمنا

---

(١) تضحية وفداء في سبيل الله، قتالٌ حتى الموت وجهاد في طريق الحق.

(٢) جزء من حديث مروان والمسور بن خرمة وقد سبق تخريجه.

(٣) وكان من المنافقين.

(٤) ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة ٤/٩٦، وقد أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٤/١٣٧ وانظر صحيح مسلم برقم ١٨٥٦.

(٥) قد روى ذلك البخاري من حديث ابن عمر برقم ٤٠٦٦.

(٦) لمعرفته ﷺ بالرجال.

بالله، وأحسننا ظناً. وكان عمر بن الخطاب آخذاً بيد رسول الله للبيعة، وكان تحت الشجرة، وكان معقل بن[1] يسار آخذاً بعضها يرفعه عن رسول الله، وبايعه سلمة بن الأكوع ثلاث مرات: في أول الناس ووسطهم وآخرهم[2].

كتابة الصلح

قال ابن إسحاق[3] في حديثه عن الزهري: فلما جاء سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ كلّمه وطال بينهما الكلام، فلما التأم الأمر ولم يبق إلاّ الكتاب دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم. فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب باسمك اللهم، فكتبها. ثم قال اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو. قال فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. وفي رواية البخاري[4]: فقال سهيل: لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك. فقال النبي ﷺ: والله إني رسول الله وإن كذبتموني، اكتب محمد بن عبد الله. وفي رواية له ولمسلم[5]: فقال النبي ﷺ لعلي «امحه». فقال: ما أنا بالذي أمحوه. فقال عليه السلام لعلي: أرني مكانها. فأراه مكانها فمحاه، وكتب محمد بن عبد الله. وفي البخاري[6] قال الزهري: وذلك لقوله «لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلاّ أعطيتهم إياها» فقال النبي ﷺ: على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به. فقال سهيل: والله لا

شروط الصلح

تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل. فكتب. وعند ابن إسحاق في روايته: واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض، وعلى أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن أتى قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليهم. وأنا بيننا عيبة مكفوفة،

---

(١) رواه مسلم برقم ١٨٥٨.

(٢) رواه مسلم برقم ١٨٠٧.

(٣) انظر سيرة ابن هشام ٣/ ٢٦٣.

(٤) جزء من حديث مروان والمسور بن مخرمة.

(٥) مسلم برقم ١٧٨٣ ـ ١٧٨٤.

(٦) جزء من حديث مروان والمسور بن مخرمة.

وأنه لا إسلال ولا إغلال، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد من العرب وفي عهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش من العرب وعهدهم دخل فيه، (فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، وتواثب بنو بكر وقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم). وأنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقروا بها ثلاثاً، معك سلاح الراكب، السيوف في القرب، لا تدخلها بغيرها، وفي رواية البخاري قال المسلمون: سبحان الله، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟ فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: يا محمد هذا أول ما أقاضيك عليه أن ترده إليّ. فقال النبي ﷺ: إنا لم نقض الكتاب بعد. فقال: إذاً والله لا أصالحك على شيء أبداً. فقال النبي ﷺ: فأجره لي. قال: ما آنا بمجيره لك. قال بلى فافعل. قال: ما أنا بفاعل. قال مكرز بلى قد أجرناه لك. قال أبو جندل: يا معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله. وفي رواية غير البخاري: فقام سهيل إلى سمرة فأخذ منها غصناً وضرب به وجه أبي جندل ضرباً رق عليه المسلمون وبكوا. وفي رواية ابن إسحاق فجعل يصرخ بأعلى صوته: أأرد إلى المشركين يفتنوني عن ديني؟ فزاد ذلك الناس على ما بهم. فقال رسول الله: يا أبا جندل، اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المسلمين فرجاً ومخرجاً. إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك عهداً وأعطونا عهد الله، وإنا لا نغدر بهم. فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول: اصبر أبا جندل، فإنما هم المشركون، وإنما دم أحدهم دم كلب، ويدني قائم السيف منه، قال يقول عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه. قال فضن الرجل بأبيه. وفي رواية أنه لما قال سهيل: على من أتاك منا وإن كان على دينك رددته إلينا، قال عمر: يا رسول الله أترضى بهذا؟ فتبسم رسول الله وقال: من جاءنا منهم فرددناه إليهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً، ومن أعرض عنا وذهب إليهم فلسنا منه وليس منا بل هم أولى به. وفي رواية ابن إسحاق: وأشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب

أبو جندل يرد إلى المشركين

شهود الصلح

وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن سهيل بن عمرو وسعد بن أبي وقاص ومحمود بن مسلمة ومكرز بن حفص ـ وهو يومئذ مشرك ـ وعلي بن أبي طالب وكان هو كاتب الصحيفة وكان رسول الله ﷺ مضطرباً في الحل وكان يصلي في الحرم.

وعند البخاري[1] فقال عمر بن الخطاب: فأتيت نبي الله فقلت: ألستَ نبي الله حقاً؟ قال بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال بلى. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال رسول الله ﷺ: إني رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري. قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى فأخبرتك أنك تأتيه العام؟ قلت لا. قال: فإنك آتيه ومطوف به. قال فأتيت أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال بلى. قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال بلى. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال: أيها الرجل إنه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق. قلت: أوليس كان يحدثنا أن سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، فأخبرك أنك تأتيه وتطوف به العام؟ قال الزهري قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً.

الرسول يحلق وينحر

فلما فرغ رسول الله ﷺ قال لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا. قال فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات. قال فلما لم يقم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت له أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحد كلمة حتى تنحر بُدنك، وتدعوا حالقك. فخرج فلم يكلم أحداً حتى فعل ذلك، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه. فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً[2]. ثم جاء نسوة مؤمنات فأنزل الله عز وجل

قبول المهاجرات وتطليق الكافرات

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ﴾ حتى بلغ ﴿ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴾[3]. وطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك فتزوج إحداهما معاوية والأخرى صفوان بن أمية. ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وأنزل

---

(١) رواه البخاري برقم ٣١٨٢ ومسلم برقم ١٧٨٥.

(٢) جزء من حديث مروان والمسور بن مخرمة.

(٣) انظر مبايعة الرسول ﷺ للنساء في البخاري برقم ٥٢٨٨.

الله عليه سورة الفتح في مرجعه إلى المدينة كما ثبت في مسلم[1] عن قتادة أن أنساً حدثهم قال: لما نزلت ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ ﴾ إلى قوله ﴿ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ مرجعه من الحديبية وهم يخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدي بالحديبية قال: لقد أنزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا جميعاً. وعند البخاري عن قتادة عن أنس ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ ﴾ قال: الحديبية. قال أصحابه: هنيئاً مريئاً ما لنا؟ فأنزل الله ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ ﴾ الآية. وفيه عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره وعمر يسير معه ليلاً، فسأله عمر عن شيء فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر: ثكلتك أمك عمر نزرت رسول الله ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك. قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين وخشيت أن ينزل فيّ قرآن، فما نشبتُ أن سمعت صارخاً يصرخ، قال: فقلت لقد خشيت أن ينزل في قرآن. فجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقال: لقد أنزل علي الليلة سورة لهي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس. ثم قرأ ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ ﴾[2]. وعن مجمع بن حارث قال: شهدنا الحديبية فلما انصرفنا وجدنا رسول الله واقفاً عند كراع الغميم وقد جمع الناس يقرأ عليهم ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ ﴾ الآية، فقال رجل: يا رسول الله أَوَ فَتْحٌ هو؟ قال: «إي والذي نفسي بيده إنه لفتح». أخرجه أحمد وأبو داود[3].

نزول سورة الفتح

وفي هذه الغزوة أصابهم مطر، فلما صلى النبي ﷺ قال: أتدرون ماذا قال ربكم الليلة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال «أصبح من عبادي مؤمن وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذاك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذاك كافر بي مؤمن بالكوكب» أخرجه البخاري[4]. وفي غزوة الحديبية أيضاً أنزل الله فدية الأذى لمن حلق رأسه بالصيام أو الصدقة أو النسك في

مطر الحديبية

---

(١) رواه البخاري برقم ٤١٧٢ ومسلم برقم ١٧٨٦.

(٢) رواه البخاري برقم ٤١٧٧ والترمذي برقم ٣٢٦٢.

(٣) رواه أبو داود برقم ٢٧٣٦ وأحمد ٣/ ٤٢٠ وسيأتي كلام الإمام الزهري رحمه الله في ذلك.

(٤) رواه البخاري برقم ٤١٤٧.

كعب يتأذى من رأسه

شأن كعب بن عجرة[1]. وفيها دعا رسول الله ﷺ بالمغفرة للمحلقين ثلاثاً وللمقصرين مرة[2]. وفيها نحروا البدنة عن سبعة[3]. وفيها أيضاً عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة يتوضأ منها، إذ جهش الناس نحوه فقال: ما لكم؟ فقالوا يا رسول الله ما عندنا ما نشرب ولا ما نتوضأ به إلاَّ ما بين يديك فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه أمثال العيون. أخرجه البخاري[4] عن جابر قال: فشربوا وتوضأوا وكانوا خمس عشرة مائة، وهذه غير قصة البئر التي تقدمت.

أبو بصير يرد إلى المشركين

وفي حديث معمر عن الزهري عن عروة عن المسور ومروان بعد قوله[5] فتزوج إحداهما معاوية والأخرى صفوان بن أمية: ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة فجاء أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا: العهد الذي جعلته لنا، فدفعه إلى الرجلين، فخرجا حتى بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: أرى سيفك يا فلان جيداً، فاستله الآخر فقال أجل والله إنه لجيد، لقد جربت به ثم جربت. قال أبو بصير أرني أنظر إليه، فأمكنه منه، فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: لقد رأى هذا ذعراً. فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قتل والله صاحبي، وإني لمقتول. فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله، قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم. فقال ﷺ: ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد. فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر، قال وتفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش أحد مسلماً إلاَّ لحق بأبي بصير، حتى اجتمع منهم عصابة، فوالله لا يسمعون بعير لقريش

أبو بصير وأصحابه قوة لا تغلب

---

(١) رواه البخاري برقم ٤١٥٩ ومسلم برقم ١٢٠١.

(٢) رواه البخاري برقم ١٧٢٧ ومسلم برقم ١٣٠١ قال ابن عبد البر وكون ذلك يوم الحديبية هو المحفوظ انظر المفهم ٣/ ٤٠٤.

(٣) رواه مسلم برقم ١٣١٨ وأبو داود برقم ٢٨٠٧ وأحمد ٣/ ٣٠٤ عن جابر رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري برقم ٤١٥٢ ومسلم برقم ١٧٢٩.

(٥) في الصفحة السابقة.

خرجت إلى الشام إلاّ اعترضوا لها، فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم من أتاه منهم فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم، فأنزل الله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم ﴾ الآية حتى بلغ ﴿ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ﴾ وكان حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي الله، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم وبين البيت. انتهى[1]. قال ابن إسحاق في روايته: قال ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾ أي التوحيد شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله: ثم قال: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ﴾ إلى قوله ﴿ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾ يعني صلح الحديبية، يقول الزهري: فما فتح في الإسلام قبله فتح أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب وأمن الناس والتقوا فتفاوضوا في الحديث فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلاّ دخل فيه، فلقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر. انتهى[2].

حوادث هذه السنة

قالوا: وفي هذه السنة كسفت الشمس[3]، وفيها ظاهر أوس بن الصامت من امرأته خولة[4]. وفيها استسقى رسول الله في رمضان ومطر الناس[5]. وفيها أيضاً حرمت الخمر كما جزم به غير واحد[6]، وذكر ابن إسحاق أنه كان في وقت وقعة بني النضير وهي بعد أحد وذلك سنة أربع على الراجح.

---

(١) جزء من حديث مروان والمسور بن مخرمة الذي أخرجه البخاري وقد تقدم وفيه سيأتي أحداث هذه الغزوة والصلح.

(٢) انظر سيرة ابن هشام ٣/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

(٣) ذكره مغلطاي في الإشارة ٢٧٨ وابن حبان في السيرة ٢٦٩ وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٢/ ٦١٢ في الكلام على حديث الكسوف وجزم النووي بأنها كانت سنة الحديبية وسيأتي ذكرها في أحداث سنة تسع من الهجرة.

(٤) حديث الظهار وابن الجوزي في التلقيح ٤٥ والمنتظم ٣/ ٢٩٨.

(٥) ذكره الطبري ٢/ ٦٤٢، وابن حبان ٢٧٢ ومغلطاي ٢٧٨.

(٦) انظر المواهب اللدنية ١/ ٥١١.

غزوة خيبر

وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع، على ثمانية برد من المدينة تمشي ثلاثة أيام إلى جهة الشمال[1].

وقتها

قال ابن إسحاق[2]: خرج ﷺ في بقية المحرم سنة سبع، وقيل كانت في آخر سنة ست، وهو منقول عن مالك وبه جزم ابن حزم[3]. قال الحافظ ابن حجر: والراجح ما ذكره ابن إسحاق، ويمكن الجمع بأن من أطلق سنة ست بناه على أن ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقي وهو ربيع الأول. انتهى[4].

وكان الله وعده إياه وهو بالحديبية بقوله ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ ﴾ يعني صلح الحديبية، وبالمغانم الكثيرة فتح خيبر، فخرج ﷺ مستنجزاً ميعاد ربه واثقاً بكفايته ونصرته، وكان معه ألف وأربعمائة راجل ومائتا فرس، ومعه أم سلمة زوجته، وأمر ألاَّ يخرج معه إلاَّ من رغب في الجهاد، لا من غرضه عرض الدنيا. واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري[5].

عامر بن الأكوع يرتجز

وفي البخاري[6] من حديث سلمة بن الأكوع قال: خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلاً، فقال رجل من القوم لعامر: ألا تسمعنا من هنياتك؟ وكان عامر رجلاً شاعراً، فنزل يحدو بالقوم ويقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداءاً لك ما أبقينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا
وألقين سكينة علينا ... إنا إذا صيح بنا أتينا
وبالصياح عولوا علينا

---

(١) انظر المواهب ١/ ٥١٧.
(٢) سيرة ابن هشام ٣/ ٢٧٥.
(٣) جوامع السيرة ٢١١.
(٤) فتح الباري ٧/ ٤٦٤.
(٥) في المسند ٢/ ٣٤٥ من حديث أبي هريرة ورواه الحاكم ٣/ ٣٦ وسنده جيد.
(٦) رواه البخاري برقم ٤١٩٦ ومسلم برقم ١٨٠٢.

وفي رواية أحمد[1] زيادة:

إن الـذيـن قـد بغـوا علينـا إذا أرادوا فتنـــة أبينـــا

ونحن عن فضلك ما استغنينا

فقال رسول الله ﷺ: من هذا السائق؟ قالوا: عامر بن الأكوع. قال: يرحمه الله. قال رجل من القوم: وجبت يا رسول الله، لولا أن متعتنا به. وفي رواية أحمد[2]: فجعل عامر يرتجز ويسوق الركاب، وهذه كانت عادتهم إذا أرادوا تنشيط الإبل في السير، ينزل بعضهم فيسوقها ويحدو في تلك الحال، وكان معلوماً عندهم أنه ما استغفر رسول الله ﷺ لإنسان يخصه إلاّ استشهد. انتهى.

راس المنافقين يحذر اليهود من رسول الله

وقيل أرسل ابن أبيّ إلى يهود خيبر أن محمداً قصد قصدكم وتوجه إليكم، فخذوا حذركم ولا تخافوا منه فإن عددكم وعدتكم كثيرة، وقوم محمد شرذمة قليلون عزل لا سلاح معهم إلاّ القليل. فلما علم ذلك أهل خيبر أرسلوا كنانة بن أبي الحقيق وهوذة بن قيس إلى غطفان يستمدونهم لأنهم كانوا حلفاء يهود خيبر وشرطوا لهم نصف ثمار خيبر إن هم غلبوا على المسلمين. ولم تقبل غطفان خوفاً من الإسلام. وفي رواية ابن إسحاق[3] قبلوا، فلما نزل المسلمون منزل الرجيع، وكان بينهم وبين غطفان مسيرة يوم وليلة، تهيأت غطفان وتوجهوا إلى خيبر لإمداد اليهود، فلما كانوا ببعض الطريق سمعوا من خلفهم حساً ولغطاً، فظنوا أن المسلمين أغاروا على أهاليهم وأموالهم فرجعوا. ثم دعا رسول الله ﷺ الدليلين ـ وكان اسم أحدهما حسيل ـ ليدلاه على الطريق الأحسن حتى يحول بين أهل خيبر وغطفان فقال أحدهما أنا أدلك يا رسول الله، فأقبل حتى انتهى إلى مفرق الطرق المتعددة وقال: يا رسول الله هذه طرق يمكن الوصول من كل منها إلى المقصد. فأمر بأن يسميها له واحداً واحداً، قال: اسم واحد منها حزن، فأبى النبي ﷺ من سلوكه. وقال: اسم الآخر شاش، فامتنع منه أيضاً. وقال: اسم الآخر حاطب، فامتنع منه أيضاً. قال

---

(١) المسند ٤/ ٥٢.

(٢) المسند ٣/ ٤٣١.

(٣) انظر سيرة ابن هشام ٣/ ٢٧٨.

حسيل: فما بقي إلاّ واحد، قال عمر: ما اسمه؟ قال: مرحب. فاختار النبي ﷺ سلوكه.

قدوم الرسول خيبر

ولما قدم رسول الله ﷺ خيبر صلى بها الصبح وركب وركب المسلمون، فخرج أهل خيبر بمساحيهم ومكاتلهم ولا يشعرون، بل خرجوا لأرضهم، وقيل إن النوم غلب عليهم تلك الليلة فلم يقم أحد منهم، حتى أن الديكة لم تصح، فلما رأوا الجيش قالوا: محمد والله محمد والخميس. ثم رجعوا هاربين إلى مدينتهم، فقال ﷺ كما في الصحيحين[1] عن أنس: الله أكبر خرجت خيبر، الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. انتهى. ولما دنا النبي ﷺ وأشرف عليها قال: قفوا، فوقف الجيش، فقال: اللَّهمَّ رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، إنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر أهلها وشر ما فيها، أقدموا بسم الله[2]. وقاتل النبي ﷺ أهل خيبر وقاتلوه أشد القتال. واستشهد من المسلمين خمسة عشر، وفتحها الله عليه حصناً حصيناً، وأخذ كنز آل أبي الحقيق الذي كان في مسك الحمار، وكانوا قد غيبوه في خربة. ولما تيقن ﷺ أن اليهود تحارب وعظ أصحابه وحرضهم على الجهاد ورغبهم في الثواب وبشر بأن من صبر فله الظفر والغنيمة[3].

الحباب بن المنذر يشير بالمنزل

رُوي أن الحباب بن المنذر أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلكه الله أم هو الرأي في الحرب؟ قال: بل هو الرأي. فقال: يا رسول الله، إن هذا المنزل قريب جداً من حصن نطأة، وجميع مقاتل خيبر فيها، وهم يدرون أحوالنا ونحن لا ندري أحوالهم، وسهامهم تصل إلينا وسهامنا لا تصل إليهم ولا نأمن من بياتهم. وأيضاً هذا بين النخلات ومكان غائر وأرض وخيمة، لو أمرت

---

(١) رواه البخاري برقم ٤١٩٧/٤١٩٨ ومسلم برقم ١٣٦٥.

(٢) ذكره ابن إسحاق في السيرة ٣/ ٢٧٦ وهو ضعيف ويعضده ما رواه صهيب رضي الله عنه أن النبي ﷺ لم ير قرية يريد دخولها إلاّ قال حين يراها اللَّهم رب السماوات. . . الحديث أخرجه الحاكم ١/ ٤٤٦ وسنده حسن وقد رواه الطبراني كما في المجمع وكذلك ابن السني.

(٣) انظر المغازي للواقدي ٢/ ٦٣٩.

بمكان خال عن هذه المفاسد نتخذه معسكراً. قال ﷺ: الرأي ما أشرت إليه[1]. وقد جرى مثل هذا في غزوة بدر.

الراية لعلي رضي الله عنه

وفي البخاري: وكان علي بن أبي طالب تخلف عن النبي ﷺ وكان رمداً فلحق، فلما بتنا الليلة التي فتحت قال ﷺ: لأعطين الراية ـ أو ليأخذن الراية ـ غداً رجلاً يحبه الله ورسوله. وفي حديث سهل عند البخاري: ويحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه. فبات الناس يدركون ليلتهم أيهم يعطاها؟ فلم أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: يا رسول الله هو يشتكي عينيه. قال: فأرسلوا إليه. فأتى، فبصق رسول الله في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية. فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا قال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن تكون لك حمر النعم[2]. وفي حديث سلمة بن الأكوع عند مسلم[3]. فلما أتينا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول:

المبارزة

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

قال فبرز له عمي عامر فقال:

قد علمت خيبر أني عامر شاكي السلاح بطل مغامر

قال فاختلفنا ضربتين، فوقع سيف مرحب في ترس عامر، وذهب عامر يسفل له فرجع على نفسه فقطع أكحله فكانت فيها نفسه رحمه الله. قال سلمة: فخرجت فإذا نفر من أصحاب النبي ﷺ يقولون: بطل عمل عامر، قتل نفسه. قال: فأتيت النبي ﷺ وأنا أبكي فقلت: يا رسول الله بطل عمل عامر؟ فقال رسول الله: من قال

---

(١) انظر ابن سعد في الطبقات ٣/ ١٠٩ وأخرج عبد الرزاق في المصنف برقم ٩٢٩١ أن النبي ﷺ أمر محمد بن مسلمة أن ينظر منزلاً آخر. . . ، وانظر سبل الهدى والرشاد ٥/ ١١٩.

(٢) رواه البخاري برقم ٤٢١٠ ومسلم برقم ٢٤٠٤ ـ ٢٤٠٦.

(٣) رواه مسلم برقم ١٨٠٧.

ذلك؟ قلت ناس من أصحابك. قال: كذب من قال ذلك، بل له أجره مرتين. وفي رواية البخاري ومسلم[1] وجمع بين إصبعيه: إنه لجاهد مجاهد، قلّ عربي مشى بها مثله. وفي مسلم[2]: قال سلمة وخرج مرحب فقال:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بكل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال علي رضي الله عنه:

أنا الذي سمتني أمي حيدره كليث غابات كريه المنظره
أوفيهم بالصاع كيل السندره

قال فضرب رأس مرحب فقتله، ثم كان الفتح على يديه. انتهى. وعند ابن إسحاق[3]: لما دنا من حصنهم اطلع يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. فقال: علوتم وما أنزل على موسى. ثم خرج ياسر أخو مرحب، فبرز إليه الزبير، فقالت صفية أمه: يا رسول الله يقتل ابني. فقال: بل ابنك يقتله إن شاء الله. فقتله الزبير رضي الله عنه.

محاصرة الحصون

قال ابن إسحاق[4]: وحاصر رسول الله ﷺ أهل خيبر في حصنيهم الوطيح والسلالم، حتى إذا أيقنوا بالهلاك سألوه أن يسيرهم، وأن يحقن دماءهم، ففعل. وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها الشق والنطاة والكتيبة وجميع حصونهم إلاّ ما كان من ذينك الحصنين. فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيرهم وأن يحقن دماءهم ويخلوا له الأموال.

وكانت خيبر بين المسلمين، وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب. وقال حماد بن سلمة: أخبرنا عبيد الله بن عمر عن

---

(١) رواه البخاري برقم ٦١٤٨.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) سيرة ابن هشام ٣/ ٢٨٣.
(٤) سيرة ابن هشام ٣/ ٢٨٦.

نافع عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى قصرهم، فغلب على الزرع والأرض والنخل فصالحوه على أن يجلو منها ولهم ما حملت ركابهم ولرسول الله الصفراء والبيضاء، واشترط عليهم أن لا يكتموا ولا يغيبوا شيئاً، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد، فغيبوا مسكاً فيه مال وحلي لحيي بن أخطب كان احتمله معه إلى خيبر حين أجليت النضير، فقال رسول الله ﷺ لعم حيي: ما فعل مسك حيي الذي جاء به من النضير؟ قال: أذهبته النفقات والحروب. فقال: العهد قريب والمال أكثر من ذلك. فدفعه رسول الله ﷺ إلى الزبير فمسه بعذاب، وقد كان قبل ذلك دخل خربة فقال: قد رأيت حيياً يطوف في خربة ههنا. فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك في الخربة، فقتل رسول الله ﷺ ابني أبي الحقيق ـ وأحدهما زوج صفية بنت حيي بن أخطب ـ وسبى رسول الله ﷺ نساءهم وذراريهم وقسم أموالهم، بالنكث الذي نكثوا. وأراد أن يجليهم منها فقالوا: يا محمد دعنا نكون في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها، فنحن أعلم بها منكم. ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها، وكانوا لا يفرغون يقومون عليها[1]، فأعطاهم خيبر على أن لهم الشطر من كل زرع وثمر، ما بدا لرسول الله أن يقرهم. انتهى[2].

خيانة اليهود

قال في الهدي[3]: ولم يقتل رسول الله إلاّ ابني أبي الحقيق للنكث الذي نكثوا، وأمر بلالاً أن يذهب بصفية إلى رحله، فمر بها بلال على وسط القتلى، فكره ذلك رسول الله وقال: أذهبت منك الرحمة يا بلال؟ وعرض عليها رسول الله الإسلام فأسلمت واصطفاها لنفسه، وأعتقها وجعل عتقها صداقها، وبنى بها في الطريق وأولم عليها. ورأى بوجهها خضرة فقال: ما هذا؟ فقالت: يا رسول الله رأيت قبل قدومك علينا كأن القمر زال من مكانه فسقط في حجري، ولا والله ما أذكر من شأنك شيئاً، فقصصتها على زوجي فلطم وجهي وقال: تمنين هذا الملك الذي

الذين قتلهم الرسول

زواجه بصفية

---

(١) لانشغالهم بالجهاد في سبيل الله ونشر الدعوة.

(٢) حديث ابن عمر رضي الله عنه رواه ابن حبان برقم ١٦٩٧ كما في موارد الظمآن وأبو داود برقم ٣٠٠٦ شطراً منه ورواه البيهقي في دلائل النبوة ٤/ ٢٢٩ وهو صحيح.

(٣) زاد المعاد ٣/ ٣٢٦.

بالمدينة[1]. وشك الصحابة هل اتخذها سرية أو زوجة، فقالوا: إن حجبها فهي إحدى نسائه، وإلاّ فهي مما ملكت يمينه. فلما ركب جعل ثوبه الذي ارتدى به على ظهرها ووجهها، ثم شد طرفه تحته، فتأخروا عنه في السير، وعلموا أنها إحدى نسائه[2]. وفي رواية البخاري[3] عن أنس أنها صارت إلى دحية فذكر له جمالها فاصطفاها لنفسه، فجعل عتقها صداقها. وفي رواية: فقال ﷺ لدحية: خذ جارية من السبى غيرها وفي رواية لمسلم[4] أنه ﷺ اشتراها منه بسبعة أرؤس.

فصل

وفي السنن[5] والمسند أن رسول الله ﷺ لما ظهر على خيبر قسمها على ستة وثلاثين سهماً جمع كل سهم مائة سهم، فكان لرسول الله ﷺ وللمسلمين النصف من ذلك، وعزل النصف الباقي لمن نزل به من الوفود والأمور ونوائب المسلمين. هذا لفظ أبي داود. وفي لفظ عزل رسول الله ﷺ ثمانية عشر سهماً وهو الشطر لنوائبه وما ينزل الوطيحة والكتيبة وما أجير معها، وعزل النصف الآخر قسمه بين المسلمين. وكان سهم رسول الله ﷺ فيما أجير معها. قال في الهدي[6] قال البيهقي: وهذا لأن خيبر فتح شطرها صلحاً، فقسم ما فتح عنوة بين أهل الخمس والغانمين، وعزل ما فتح صلحاً لنوائبه وما يحتاج إليه من أمور المسلمين. قال ابن القيم قلت: وهذا بناء منه على أصل الشافعي أنه يجب قسم الأرض المفتوحة عنوة كما يقسم سائر الغنائم، فلما لم يجده قسم الشطر من خيبر قال: إنه فتح صلحاً. ومن تأمل السير والمغازي حق التأمل تبين له أن خيبر إنما فتحت عنوة، وأن رسول الله ﷺ استولى على أرضها كلها بالسيف عنوة. ولو فتح شيئاً منها صلحاً لم يجعلهم رسول الله فيها، فإنه لما

---

(١) جزء من حديث ابن عمر المتقدم.

(٢) جزء من حديث رواه البخاري رقم ٤٢١١.

(٣) رواه البخاري برقم ٤٢١١.

(٤) رواه مسلم برقم ١٣٦٥.

(٥) رواه أبو داود برقم ٣٠١٠ ـ ٣٠١٢.

(٦) زاد المعاد ٣/ ٣٢٨.

عزم على إخراجهم منها قالوا نحن أعلم منكم، دعونا نكون فيها ونعمرها لكم بشطر ما يخرج منها. وهذا صريح جداً في أنها إنما فتحت عنوة. وقد حصل بين المسلمين واليهود بها من الحرب والمبارزة والقتل بين الفريقين ما هو معلوم. ولكن لما لجأوا إلى حصنهم نزلوا على الصلح. والصواب الذي لا شك فيه أنها فتحت عنوة، والإمام مخير في أرض العنوة بين قسمها، ووقفها، وقسم بعضها وترك البعض، وقد فعل رسول الله الأنواع الثلاثة: قسم قريظة والنضير، ولم يقسم مكة، وقسم شطر خيبر وترك شطرها، وإنما قسمت على ألف وثمانمائة سهم، لأنها كانت طعمة من الله لأهل الحديبية من شهد منهم ومن غاب. وكانوا ألف وأربعمائة، وكان معهم مائتا فرس لكل فرس سهمان، فقسمت على ألف وثمانمائة. ولم يغب عن خيبر من أهل الحديبية إلاَّ جابر بن عبد الله فقسم له رسول الله كسهم من حضرها. وقسم للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهم، هذا هو الصحيح الذي لا ريب فيه. انتهى[1]. قلت: وفي الصحيح[2] عن نافع عن عبد الله بن عمر: كان رسول الله ﷺ لما ظهر على خيبر أراد إخراج اليهود منها، وكانت الأرض حين ظهر عليها لله ولرسوله وللمسلمين، وأراد إخراج اليهود منها، فسألت اليهود رسول الله ﷺ ليقرهم بها وأن يكفوا عملها ولهم نصف الثمر، وقال لهم رسول الله ﷺ: نقركم بها على ذلك ما شئنا. فقروا بها حتى أجلاهم عمر إلى تيماء وأريحا. وفي رواية له: عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من زرع أو تمر، وكان يعطي أزواجه مائة وسق، منها ثمانون وسق تمر وعشرون وسق شعير. وقسم عمر خيبر فخير أزواج النبي ﷺ أن يقطع لهن من الماء والأرض أو يمضي لهن، فمنهن من اختار الوسق. وكانت عائشة اختارت الوسق. وفي حديث عبد العزيز بن صهيب[3] عن أنس التصريح بأنه كان عنوة، وبه جزم ابن عبد البر[4] ورد على من قال فتحت صلحاً. قال: وإنما دخلت الشبهة على من قال فتحت

---

(١) كلام ابن القيم في الزاد ٣/ ٣٢٨ ـ ٣٣٠.

(٢) رواه مسلم برقم ١٥٥١ مختصر ورواه البخاري كذلك ٣٢٨ ورواه أبو داود برقم ٣٠٠٦، ٣٤٠٨، وابن حبان برقم ٦٩٧ في موارد الظمآن.

(٣) هو في البخاري برقم ٤٢٠١.

(٤) انظر الدرر ٢٣٥.

صلحاً بالحصنين اللذين أسلمهما أهلهما لتحقن دماؤهم، وهو ضرب من الصلح، لكن لم يقع ذلك إلاّ بحصار وقتال. انتهى[1].

قال ابن إسحاق: وكانت المقاسم على أموال خيبر على الشق والنطاءة والكتيبة، وكانت الشق ونطاءه في سهمان المسلمين، وكانت الكتيبة: خمس لله، وسهم النبي ﷺ، وسهم لذوي القربى واليتامى والمساكين، وطعم أزواج النبي ﷺ، وطعم رجال مشوا بين رسول الله وبين أهل فدك بالصلح، وفي الصحيح[2] عن جبير بن مطعم قال: مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى النبي ﷺ فقلنا: يا رسول الله إخواننا بنو هاشم لا ننكر فضلهم علينا، وأعطيت بني المطلب من خمس خيبر وتركتنا ونحن بمنزلة واحدة. فقال: إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد. قال: ولم يقسم لبني عبد شمس وبني نوفل شيئاً. وفي رواية قال ابن إسحاق: عبد شمس وهاشم والمطلب إخوة لأم وأمهم عاتكة بنت مرة، وكان نوفل أخاً لأبيهم. انتهى.

فصل

ما حرم في هذه الغزوة

وفي هذه الغزوة حرم رسول الله ﷺ لحوم الحمر الأهلية كما في البخاري[3]، ولفظه: فلما أمسى الناس مساء اليوم الذي فتحت عليهم ـ يعني خيبر ـ أوقدوا نيراناً كثيرة، فقال رسول الله ﷺ: ما هذه النيران، على أي شيء توقدون؟ قالوا: على لحم. قال أي لحم؟ قالوا: لحم الحمر الأنسية. فقال النبي ﷺ: اهريقوها واكسروها. فقال رجل: يا رسول الله أونهريقها ونغسلها. قال: أو ذاك. وفي رواية نهى يوم خيبر عن أكل الثوم وعن لحوم الحمر الأهلية. وفي رواية: نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية ورخص في الخيل. وفي رواية أنس: جاءه جاء فقال: أكلت الحمر. فسكت. ثم أتى الثانية فقال: أكلت الحمر. فسكت ثم أتى الثالثة فقال: أفنيت الحمر. فأمر منادياً فنادى في الناس: إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر الأهلية، فإنها رجس.

---

(١) انظر المواهب ١/ ٥٣٦.

(٢) رواه البخاري برقم ٤٢٢٩ وأبو داود برقم ٢٩٧٨.

(٣) رواه البخاري برقم ٤٢١٥، ٤٢٢٧.

وفي هذه الغزوة نهى ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السباع، وعن بيع المغانم حتى تقسم، وأن لا توطأ جارية حتى تستبرأ. وفي رواية ابن إسحاق[1] عن رويفع قال: قام فينا رسول الله ﷺ يوم خيبر فقال: لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبي حتى يستبرئها، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنماً حتى يقسم، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فيء المسلمين حتى إذا أعجفها ردها فيه، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوباً من فيء المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه.

الشاة المسمومة

وفي هذه الغزوة أيضاً سمَّت النبي ﷺ زينبُ بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم كما في البخاري[2] عن أبي هريرة قال: لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم... الحديث وفيه أن رسول الله ﷺ قال لليهود: هل جعلتم في هذه الشاة سماً؟ فقالوا: نعم. قال: ما حملكم على ذلك؟ فقالوا: أردنا إن كنت كذاباً أن نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرك. وفي حديث جابر عند أبي داود أن يهودية من أهل خيبر سَمّت شاة مصلية ثم أهدتها إلى رسول الله فأخذ رسول الله ﷺ فأكل منها وأكل رهط من الصحابة معه، فقال رسول الله ﷺ ارفعوا أيديكم، وأرسل إلى اليهودية فقال: سممت هذه الشاة؟ فقالت: من أخبرك؟ قال أخبرتني هذه في يدي ـ للذراع ـ قالت: نعم، قلت إن كان نبياً فلن يضره، وإن لم يكن نبياً استرحنا منه، فعفا عنها ولم يعاقبها. وتوفي أصحابه الذين أكلوا من الشاة. واحتجم رسول الله على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة. وفي مغازي سليمان التيمي[3] أنها أسلمت وقالت: الآن عرفت أنك نبي، وأني أشهدك ومن حضر أني على دينك وأن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً عبده ورسوله. وفي رواية أنه قتلها لما مات بشر بن البراء[4]، قال البيهقي[5]: يحتمل أن يكون تركها أولاً، ثم لما مات بشر بن البراء من الأكلة قتلها.

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٢٨٠. وقد رواه أبو داود برقم ٢١٥٨ وهو حديث صحيح.

(٢) رواه البخاري برقم ٥٧٧٧ وأبو داود برقم ٤٥٠٩ والإمام أحمد في المسند ٢/ ٢٥١.

(٣) انظر المواهب ١/ ٥٣٤.

(٤) رواه أبو داود برقم ٤٥١١ والحاكم في المستدرك ٣/ ٢٢٠.

(٥) دلائل النبوة ٤/ ٢٥٦.

وبذلك أجاب السهيلي وزاد أنه تركها لأنه كان لا ينتقم لنفسه، ثم قتلها ببشر قصاصاً. واختلف هل أكل النبي ﷺ منها أو لم يأكل، وأكثر الروايات أنه أكل منها وبقي بعد ذلك ثلاث سنين حتى قال في وجعه الذي مات فيه: ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خيبر، فهذا أوان انقطاع الأبهر مني[1]. قال الزهري: فتوفي رسول الله ﷺ شهيداً[2].

قدوم جعفر وأصحابه من الحبشة

وفي هذه الغزوة أيضاً قدم عليه ابن عمه جعفر بن أبي طالب وأصحابه. معهم الأشعريون عبد الله بن قيس أبو موسى وأصحابه، وكان فيمن قدم معهم أسماء بنت عميس. عن أبي موسى قال: بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهما أحداهما أبو رهم والآخر أبو بردة في بضع وخمسين رجلاً من قومي، فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده. فقال جعفر: إن رسول الله بعثنا وأمرنا بالإقامة فأقيموا معنا فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً، فوافقنا رسول الله ﷺ حين فتح خيبر فأسهم لنا، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر شيئاً إلاّ من شهد معه، إلاّ لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه قسم له معهم. وكان ناس يقولون لنا: سبقناكم بالهجرة. قال: ودخلت أسماء بنت عميس على حفصة زوج النبي ﷺ، فدخل عليها عمر فقال: من هذا؟ قالت: أسماء بنت عميس الحبشية. قال: البحرية؟ قالت أسماء: نعم. قال: سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله منكم، فغضبت وقالت: يا عمر كلا والله، لقد كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم، وكنا في دار - أو في أرض - البعداء البغضاء، وذلك في الله وفي رسوله. وأيم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ، ونحن كنا نؤذى ونخاف وسأذكر ذلك لرسول الله، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه. فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا رسول الله إن عمر قال كذا وكذا، فقال رسول الله: ما قلت له؟ قالت: قلت له كذا

---

(١) الحديث رواه البخاري برقم ٤٤٢٨ معلقاً عن عائشة وهو عند أحمد في المسند ٦/ ١٨ والدارمي ١/ ٣٢ والحاكم ٣/ ١٩.

(٢) انظر شرح مسلم ١٤/ ١٧٩ وزاد المعاد ٣/ ٣٣٦.

وكذا. قال ليس بأحق بي منكم، له ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان. قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتونني أرسالاً يسألونني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم بأفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم رسول الله ﷺ. قالت أسماء: ولقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني[١].

رفقة الأشعريون

قال أبو بردة عن أبي موسى قال النبي ﷺ: إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار، ومنهم إذا لقي الخيل أو قال العدو قال: إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم. أخرجه البخاري وهذا لفظه[٢]. وروي أن جعفراً لما قدم على النبي ﷺ تلقاه وقبل جبهته وقال: والله ما أدري بأيهما أفرح: بفتح خيبر أم بقدوم جعفر. ذكره ابن هشام في السيرة عن الشعبي[٣].

ولما جرت المقاسم في أموال خيبر شبع المسلمون ووجدوا بها مرفقاً لم يكونوا وجدوه قبل حتى قال عمر: ما شبعنا حتى فتحنا خيبر، وعن عائشة قالت: لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر. أخرجه البخاري في صحيحه[٤].

بنو فزارة

قال موسى بن عقبة: وكانت بنو فزارة ممن قدم على أهل خيبر ليعينوهم، فراسلهم رسول الله ﷺ ألاَّ يعينوهم وأن يخرجوا عنهم ولكم من خيبر كذا وكذا، فأبو عليه، فلما فتح الله عليه خيبر أتاه من كان ثم من بني فزارة فقالوا: وعدك الذي وعدتنا. فقال: لكم ذو الرقبة[٥]. فقالوا: إذاً نقاتلك. فقال: موعدكم كذا. فلما سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ خرجوا هاربين[٦].

---

(١) رواه البخاري برقم ٤٢٣٠ ومسلم برقم ٢٥٠٢.

(٢) رواه البخاري برقم ٤٢٣٢.

(٣) رواه أبو داود برقم ٥٢٢٠ وهو عند الحاكم ٣/ ٢١١ وهو مرسل وله شواهد تقويه كما أشار إلى ذلك العلامة المحدث الألباني رحمه الله في تعليقه على فقه السيرة ٣٦٧.

(٤) رواه البخاري برقم ٤٢٤٢، ٤٢٤٣.

(٥) في معجم البلدان لياقوت: ذو الرقيبة، وهو جبل مطل على خيبر.

(٦) رواه البيهقي في دلائل النبوة ٤/ ٢٤٨ وانظر سبل الهدى والرشاد ٥/ ١٣٧.

قال الواقدي قال أبو سلم المزني، وكان قد أسلم وحسن إسلامه: لما نفرنا إلى أهلنا مع عيينة بن حصن رجع بنا عيينة، فلما كان دون خيبر عرّسنا من الليل ففرعنا، فقال عيينة: إني أرى الليلة في النوم أعطيت ذا الرقبة جبل بخيبر، قد والله أخذت برقبة محمد. فلما قدمنا خيبر قدم عيينة فوجد رسول الله قد فتح خيبر فقال: يا محمد أعطني ما غنمت من حلفائي فإني أنصرف عنك وعن قتالك. قال: كذبت، ولكن الصياح الذي سمعت نفرك إلى أهلك. قال احذني[1] يا محمد، قال: لك ذو الرقبة. قال وما ذو الرقبة. قال الجبل الذي رأيت في النوم أنك أخذته. فانصرف عيينة. فلما رجع إلى أهله جاءه الحارث بن عوف فقال: ألم أقل لك إنك توضع في غير شيء، والله ليظهرن محمد على ما بين المشرق والمغرب، يهود كانوا يخبروننا بهذا، أشهد لقد سمعت أبا رافع سلام بن أبي الحقيق قال: إنا نحسد محمداً على النبوة حيث خرجت من بني هارون وموسى [وهو نبي][2] مرسل ويهود لا تطاوعني على هذا. ولنا منه ذبحان واحد بيثرب وآخر بخيبر. قال الحارث قلت لسلام: يملك الأرض جميعاً؟ قال نعم والتوراة التي أنزلت على موسى، ما أحب أن تعلم يهود بقولي فيه. انتهى[3].

قدوم أبي هريرة

وقدم أبو هريرة المدينة مسلماً فوافى سباع بن عرفطة في صلاة الصبح فسمعه يقرأ، في الركعة الأولى ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾﴾ وفي الثانية ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾﴾ فقال في صلاته: ويل لأبي فلان، له مكيالان إذا اكتال اكتال بالوافي، وإذا كال كال بالناقص. فلما فرغ من صلاته أتى سباع فزوّده حتى قدم على رسول الله ﷺ فكلم المسلمين فأشركوه وأصحابه سهمانهم[4].

غنائم خيبر

وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: افتتحنا خيبر فلم نغنم ذهباً ولا فضة إنما

---

(١) وفي الهدي (أجزني).

(٢) بياض في الأصل وما بين المعكوفتين من زاد المعاد ٣/ ٣٥٥.

(٣) رواه البيهقي في الدلائل ٤/ ٢٤٩ والواقدي في المغازي ٢/ ٢٧٥ وانظر زاد المعاد ٣/ ٣٣٤/ ٣٣٥ وسبل الهدى ٥/ ٨.

(٤) رواه أحمد في المسند ٢/ ٣٤٥ والحاكم في المستدرك ٣/ ٣٦.

غنمنا البقر والإبل والمتاع والحوائط، ثم انصرفنا مع رسول الله ﷺ إلى وادي القرى ومعه عبد له يقال له مدعم أهدى له أحد بني الصبب، فبينما هو يحط رحل النبي ﷺ إذ جاءه سهم غائر حتى أصاب ذلك العبد، فقال الناس هنيئاً له الشهادة. فقال رسول الله ﷺ: بل والذي نفسي بيده إن الشملة التي أصابها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً. فجاء رجل حين سمع ذلك بشراك أو بشراكين فقال: هذا شيء كنت أصبته. فقال رسول الله ﷺ: شراك أو شراكان من نار. انتهى[(١)].

قال في الهدي[(٢)]: فعبأ رسول الله ﷺ أصحابه للقتال وصفهم، ودفع لواءه إلى سعد ابن عبادة ورايته إلى الحباب بن المنذر وراية إلى سهل بن حنيف وراية إلى عباد بن بشر، ثم دعا اليهود إلى الإسلام وأخبرهم أنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم وحقنوا دماءهم وحسابهم على الله. فبرز رجل منهم، فبرز إليه الزبير فقتله. ثم برز آخر فبرز إليه علي فقتله. حتى قتل منهم أحد عشر رجلاً، كلما قتل منهم رجل دعا من بقي إلى الإسلام، وكانت الصلاة تحضر ذلك اليوم فيصلي بأصحابه، ثم ينصرف فيدعوهم إلى الإسلام وإلى الله وإلى رسوله، فقاتلهم حتى أمسوا، وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قيد رمح وهي بأيديهم، وفتحها عنوة، وغنمه الله أموالهم، وأصابوا أثاثاً ومتاعاً كثيراً.

وأقام رسول الله ﷺ بوادي القرى أربعة أيام وقسم ما أصاب على أصحابه بوادي القرى، وترك الأرض والنخل بأيدي اليهود وعاملهم عليها، فلما بلغ يهود تيماء ما واطأ عليه رسول الله ﷺ أهل خيبر وفدك ووادي القرى صالحوا رسول الله ﷺ وأقاموا بأموالهم، فلما كان زمن عمر بن الخطاب أخرج يهود خيبر وفدك ولم يخرج أهل تيماء ووادي القرى [لأنهما داخلتان في أرض الشام ويرى أن ما دون وادي القرى][(٣)] إلى المدينة حجازاً وما وراء ذلك من الشام. انتهى. وقال

---

(١) رواه البخاري برقم ٦٧٠٧/ ٤٢٣٤ ومسلم برقم ١١٥.

(٢) زاد المعاد ٣/ ٣٥٥.

(٣) بياض في الأصل وما بين المعكوفتين من زاد المعاد ٣/ ٣٥٥.

غيره: وذلك أنه بلغه أن النبي ﷺ قال في وجعه الذي توفي فيه: لا يجتمع بجزيرة العرب دينان[1]، ففحص عن ذلك حتى وجد الثبت.

فصل

خبر الحجاج بن علاط

قال موسى بن عقبة وغيره: وكان بين قريش رهون عظيمة حين سمعوا بخروج رسول الله ﷺ إلى خيبر فمنهم من يقول يظهر محمد وأصحابه، ومنهم من يقول يظهر الحليفان ويهود خيبر. وكان الحجاج بن علاط السلمي قد أسلم وشهد فتح خيبر، وكانت تحته أم شيبة أخت بني عبد الدار بن قصي، وكان الحجاج مكثراً من المال، وكانت له معاذر أرض بني سليم، فلما ظهر النبي ﷺ على خيبر قال الحجاج: إن لي ذهباً عند امرأتي، وإن تعلم هي وأهلها بإسلامي فلا مال لي، فأذن لي أسرع السير وأسبق الخبر، ولأخبرن أخباراً أدرأ بها عن مالي ونفسي. فأذن له رسول الله ﷺ. فلما قدم مكة قال لامرأته: أخفي علي واجمعي ما كان عندك من مال، فأني أريد أن أشتري من غنائم محمد وأصحابه فإنهم قد استبيحوا وأصيبت أموالهم، وأن محمداً قد أسر وتفرق عنه أصحابه، وأن اليهود قد أقسموا ليبعثن به إلى مكة ثم ليقتلنه بقتلاهم بالمدينة. وفشا ذلك في مكة، واشتد على المسلمين وبلغ منهم، وأظهر المشركون الفرح والسرور، وبلغ العباس عم رسول الله زجلة الناس وجلبتهم وإظهار السرور، فأراد أن يقوم ويخرج فما تحرك ظهره ولم يقدر على القيام، فدعا ابناً له يقال له قثم وكان شبيه رسول الله ﷺ، فجعل يرتجز ويرفع صوته لئلا يشمت به أعداء الله:

قثم شبيه ذي الأنف الأشم ... ذي النعم برغم من رغم

وحشر إلى باب داره رجال كثيرون، منهم المظهر للفرح والسرور، ومنهم الشامت والمعزي، ومنهم من به مثل الموت من الحزن والبلاء. فلما سمع المسلمون رجز العباس وتجلده طابت أنفسهم، وظن المشركون أن قد أتاه ما لم يأتهم. ثم أرسل العباس غلاماً له إلى الحجاج وقال له: اخلُ به وقل له: ويلك ما

---

(١) رواه أحمد ومالك من حديث عائشة رضي الله عنها وهو حديث صحيح.

الذي جئت به وما تقول؟ فالذي وعد الله خير مما جئت به. فلما كلمه قال: اقرىء أبا الفضل السلام وقل له: فليخل لي في بعض بيوته حتى آتيه ظهراً، فإن الخبر على ما يسره. فلما بلغ العبد باب الدار قال: أبشر يا أبا الفضل. فوثب العباس فرحاً كأنه لم يصبه بلاء قط حين جاءه وقبل ما بين عينيه وأخبره بقول الحجاج فأعتقه. قال أخبرني. قال يقول لك الحجاج: أخلُ به في بعض بيوتك حتى يأتيك ظهراً. فلما جاءه وخلا به أخذ عليه لتكتمن خبري، فوافقه العباس على ذلك فقال الحجاج: جئت وقد افتتح رسول الله خيبر وغنم أموالهم وجرت فيها سهام الله، وإن رسول الله قد اصطفى صفية بنت حيي لنفسه وأعرس بها. ولكن جئت لمالي، أردت أن أجمعه وأذهب به، وإني استأذنت رسول الله ﷺ أن أقول، فأذن لي، فاخف عليَّ ثلاثاً ثم قل ما شئت. قال فجمعت له امرأته متاعه ثم انشمر راجعاً. فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج فقال: ما فعل زوجك؟ قالت: ذهب. وقالت لا يخزيك الله يا أبا الفضل، لقد شق علينا الذي بلغك. فقال: أجل لا يخزيني الله ولم يكن بحمد الله إلاَّ ما أحب، فتح رسول الله خيبر، وجرت فيها سهام الله، واصطفى رسول الله صفية لنفسه، وإن كان لك في زوجك حاجة فالحقي به. قالت: أظنك والله صادقاً. قال: فإني والله صادق، والأمر على ما أقول لك. قالت: من أخبرك بهذا؟ قال: الذي أخبرك بما أخبرك به. ثم ذهب حتى أتى مجلس قريش، فلما رأوه قالوا: هذا والله التجلد يا أبا الفضل، لا يصيبك إلاَّ خير. قال: أجل لا يصيبني إلاَّ خير والحمد لله، أخبرني الحجاج بكذا وكذا. وسألني أن أكتم عليه ثلاثاً لحاجته. فرد الله ما كان بالمسلمين من كآبة وجزع على المشركين، وخرج المسلمون من مواضعهم حتى دخلوا على العباس فأخبرهم الخبر، فأشرقت وجوه المسلمين[1].

---

(١) روى خبر الحجاج الإمام أحمد في المسند ٣/١٣٨ والبيهقي في السنن الكبرى ٩/ ١٥١ وفي دلائل النبوة ٤/٢٦٦ وعبد الرزاق في المصنف برقم ٩٧٧١ والحديث سنده جيد قال عنه الحافظ ابن كثير في البداية ٤/ ٢٣ وهذا الإسناد على شرط الشيخين. وقال الهيثمي في المجمع ٦/ ١٥٤ رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني ورجاله رجال الصحيح.

فصل

زواجه بصفية

ثم انصرف رسول الله ﷺ من خيبر إلى المدينة مؤيداً منصوراً، فلما كان في سد الصهباء[1] أعرس بصفية بنت حيي، فأقام ثلاثة أيام يبني عليه بصفية، ثم صنع حيساً في نطع صغير، ثم قال رسول الله ﷺ لأنس بن مالك: آذن من حولك. قال أنس: فدعوت الناس على وليمة صفية، وما كان فيها خبز ولا لحم، وما كان فيها إلاَّ أن أمر بلالاً بالأنطاع فبسطت، فألقى عليها التمر والأقط والسمن وهو الحيس، فرأيت النبي ﷺ يحوى لها وراءه بعباءة وطأ لها خلفه، ثم جلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته وقد مد الحجاب بينها وبين الناس[2]. قال أنس: فسرنا حتى إذا أشرفنا على المدينة نظر إلى أحد فقال: هذا جبل يحبنا ونحبه. ثم نظر إلى المدينة فقال: اللَّهمّ إني أحرم ما بين لابتيها بمثل ما حرم إبراهيم مكة[3]، اللَّهم بارك لهم في مدهم وصاعهم وفي رواية: فلما أشرف على المدينة قال: آيبون تائبون عابدون، لربنا حامدون[4]. فلم يزل يقول ذلك حتى دخل المدينة.

نومه عن صلاة الفجر

وفي مرجعه إلى المدينة سار ليلة من الليالي، حتى إذا كان من آخر الليل نام هو وأصحابه كما في صحيح مسلم وموطأ مالك عن سعيد بن المسيب عن رسول الله، وعند مسلم[5] عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ حين قفل من غزوة خيبر سار ليلة، حتى إذا أدركه الكرى عرس وقال لبلال: اكلأ لنا الليل. وصلى ما قدر له. ونام رسول الله وأصحابه. فلما تقارب الفجر استند بلال إلى راحلته مواجه الفجر، فغلبت بلالاً عيناه، فلم يستيقظ رسول الله ﷺ ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس، فكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظاً، ففزع رسول الله فقال: أي بلال. فقال بلال: أخذ بنفسي الذي أخذ ـ بأبي أنت وأمي يا رسول الله ـ بنفسك.

---

(١) موضع على بريد من خيبر.

(٢) رواه البخاري برقم ٤٢١١.

(٣) رواه البخاري برقم ٤٠٨٤.

(٤) رواه البخاري برقم ١٧٩٧ ومسلم برقم ١٣٤٢.

(٥) رواه مسلم برقم ٦٨٠ ومالك ١/ ١٣ وأبو داود برقم ٤٣٥ والنسائي ١/ ٢٩٥.

فقال: اقتادوا رواحلكم شيئاً. ثم توضأ رسول الله ﷺ وأمر بلالاً فأقام الصلاة فصلى بهم الصبح، فلما قضى الصلاة قال: من نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها، فإن الله قال ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾ قال يونس: وكان ابن شهاب يقرأها: للذكرى. وفي رواية لمسلم فقال: هذا منزل حضرنا فيه الشيطان. وفيه: ثم صلى سجدتين ثم أقيمت الصلاة فصلى الغداة. وفيها من الفقه أن من نام عن صلاة أو نسيها فوقتها حين يستيقظ أو يتذكرها. وفيها أن السنن تقضى كما تقضى الفرائض، لأنه قضى سنة الفجر معها وقضى سنة الفجر لما فاتته وحدها، وكان هديه قضاء السنن الرواتب مع الفرائض. وفيه أن الفائتة يؤذن لها ويقام، فإن في بعض طرق هذه القصة أنه أمر بلالاً فنادى بالصلاة. وفي بعضها أمر بلالاً فأذن وأقام. ذكره أبو داود. وفيها قضاء الفائتة جماعة، وأن قضاءها على الفور، وإنما أخرها عن مكان معرسهم قليلاً لكونه مكاناً فيه شيطان. وفيه تنبيه على اجتناب الصلاة في أمكنة الشيطان كالحمام والحش بطريق الأولى. انتهى[1].

رد المهاجرون منائح الأنصار

وفي صحيح مسلم[2] عن ابن شهاب عن أنس قال: لما انصرف رسول الله ﷺ من خيبر إلى المدينة رد المهاجرون إلى الأنصار منائحهم التي كانوا منحوهم من ثمارهم، وكان المهاجرون لما قدموا من مكة إلى المدينة قدموا وليس بأيديهم شيء، وكان الأنصار أهل الأرض والعقار، فقاسمهم الأنصار على أن أعطوهم أنصاف ثمار أموالهم كل عام، ويكفونهم العمل والمؤنة، وكانت أعطت أم أنس رسول الله عذقاً لها. وفي رواية فأمرني أهلي أن آتي النبي ﷺ فأسأله ما كان أهله أعطوه. وكان النبي ﷺ قد أعطاه أم أيمن، فأتيت النبي ﷺ فأعطانيهن فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب في عنقي وقالت: والله لا يعطيكهن وقد أعطانيهن، فقال النبي ﷺ : يا أم أيمن اتركيه ولك كذا وكذا. وتقول: كلا والذي لا إله إلا هو. فجعل يقول: لك كذا لك كذا حتى أعطاها عشرة أمثاله. وفي رواية أعطى رسول الله ﷺ أم أيمن مكانهن من حائطه.

---

(١) انظر كلام الإمام ابن القيم في زاد المعاد ٣/ ٣٥٨.

(٢) رواه مسلم برقم ١٧٧١.

فصـل
[البعوث والسرايا]

وأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد مقدمه من خيبر إلى شوال، ويبعث في خلال ذلك السرايا:

سرية أبي بكر

فمنها (سرية أبي بكر الصديق) إلى نجد، إلى بني فَزارة، ومعه سلمة بن الأكوع فوقع في سهمه جارية حسناء فاستوهبها منه رسول الله ﷺ وفادى بها أسرى من المسلمين كانوا بمكة، كما ثبت ذلك في صحيح مسلم[1].

سرية عمر

ومنها (سرية عمر بن الخطاب) في شعبان سنة سبع، ومعه ثلاثون رجلاً، فخرج معه دليل من بني هلال فكان يسير الليل ويكمن النهار، فأتى الخبر إلى هوازن فهربوا، وجاء عمر إلى محالهم فلم يلق أحداً، فانصرف راجعاً إلى المدينة[2].

سرية بشير بن سعد

ومنها (سرية بشير بن سعد الأنصاري) إلى بني مرة بفدك، معه ثلاثون رجلاً، فقتلوا وقاتل بشير بن سعد حتى ارتُثَّ[3] وقيل قد مات. وقدم ابن زيد الحارثي بخبرهم، ثم قدم بعده بشير بن سعد[4].

سرية الحرقات

ومنها (سرية إلى الحرقات من جهينة) وقيل إن الأمير غالب بن عبد الله الكلبي، فلما دنا منهم بعث الأمير الطلائع، فلما رجعوا بخبرهم أقبل حتى إذا دنا منهم ليلاً وقد هدأوا فقام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له، وأن تطيعوني ولا تعصوني ولا تخالفوا أمري فإنه لا رأي لمن لا يطاع. ثم رتبهم فقال يا فلان أنت وفلان، ويا فلان أنت وفلان، لا يفارق كل منكم صاحبه وزميله. وإياكم أن يرجع أحد منكم فأقول أين صاحبك؟ فيقول لا أدري، فإذا كبرت فكبروا وجردوا السيوف. فكبروا فحملوا حملة واحدة وأحاطوا

---

(١) رواه مسلم برقم ١٧٥٥ وأبو داود برقم ٢٦٩٧ وأحمد ٤/ ٤٦.

(٢) انظر المواهب ١/ ٥٣٧.

(٣) أرتث حمل من المعركة جريحاً وبه رمق.

(٤) انظر الإشارة لمغلطاي ٢٨٨ والمغازي للواقدي ٢/ ٧٢٤ والطبقات ٢/ ١١٨.

بالقوم وأخذتهم سيوف الله[1]. وفي البخاري عن أسامة بن زيد قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم. فلما غشيناه قال: لا إله إلاَّ الله، فكف الأنصاري عنه وطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ، فقال: يا أسامة، أقتلته بعدما قال لا إله إلاَّ الله؟ قلت: كان متعوِّذاً. فمازال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم[2].

سرية بشير بن سعد

ومنها (سرية بشير بن سعد الأنصاري) إلى يمن وجبَار بفتح الجيم، وهي أرض لغطفان ويقال لفزارة وعذر، وبعث معه ثلاثمائة رجل لجمع تجمعوا للإغارة على المدينة، فساروا الليل وكمنوا النهار، فلما بلغهم مسير بشير هربوا، وأصاب لهم نعماً كثيرة وأسر رجلين فقدم بهما إلى المدينة إلى رسول الله فأسلما[3].

سرية قبل نجد

وبعث رسول الله ﷺ (سرية قبل نجد) وفيها ابن عمر، قال: فبلغت أسهامنا اثني عشر بعيراً، ونفلنا بعيراً فرجعنا بثلاثة عشر بعيراً[4].

سرية عبد الله بن رواحة

ومنها (سرية عبد الله بن رواحة) في ثلاثين راكباً فيهم عبدالله بن أنيس، إلى البشير بن رزام اليهودي، لأنه بلغ رسول الله ﷺ أنه يجمع غطفان ليغزوه بهم، فأتوه بخيبر فذكروا له أن رسول الله أرسلنا إليك ليستعملك على خيبر، فلم يزالوا به حتى تبعهم في ثلاثين رجلاً مع كل رجل رديف من المسلمين، فلما بلغوا قرقرة سار ـ وهي من خيبر على ستة أميال ـ ندم البشير فأهوى بيده إلى سيف عبد الله بن أنيس، ففطن له عبد الله فزجر بعيره ثم اقتحم عن بعيره يسوق القوم حتى إذا استمكن من البشير ضرب رجله فقطعها، فاقتحم البشير وفي يده مخرش من شوحط فضرب به وجه عبد الله فشجه مأمومة، فاتكأ كل رجل من المسلمين على رديفه فقتله، غير رجل من يهود أعجزهم شدا، ولم يصب من المسلمين أحد، فقدموا على رسول الله

---

(١) انظر سبل الهدى والرشاد ٦/ ١٤٠.

(٢) رواه البخاري برقم ٤٢٦٩، ٦٨٧٢ مسلم برقم ٩٦.

(٣) انظر المواهب اللدنية ١/ ٥٣٩.

(٤) رواه البخاري برقم ٤٣٣٨ ومسلم برقم ١٧٤٩.

فبصق ﷺ في شجة عبد الله فلم تقح ولم تؤذه حتى مات[١].

سرية عبد الله بن حذافة

(سرية عبد الله بن حذافة السهمي) ثبت في الصحيحين[٢] عن ابن عباس قال: نزل قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ في عبد الله بن حذافة السهمي، فبعثه رسول الله ﷺ في سرية. وفي الصحيحين[٣] عن علي قال: بعث رسول الله ﷺ رجلاً من الأنصار على سرية، بعثهم وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا، قال فأغضبوه في شيء، فقال: اجمعوا لي حطباً، فجمعوا. فقال: أوقدوا لي ناراً، فأوقدوا. ثم قال: ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي وتطيعوا؟ قالوا بلى. قال: فادخلوها. فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله من النار. قال فسكن غضبه، وطفئت النار. فلما قدموا على رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له قال «لو دخلوها ما خرجوا منها. إنما الطاعة في المعروف». قال في الهدي[٤]: وهذا هو عبد الله بن حذافة.

عمرة القضاء

قال الحاكم: تواترت الأخبار أنه ﷺ لما هلَّ ذو القعدة يعني سنة سبع[٥] أمر أصحابه أن يعتمروا قضاء لعمرتهم التي صدهم عنها المشركون بالحديبية، وأن لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية، فلم يتخلف عنهم أحد إلاَّ رجالاً استشهدوا بخيبر ورجالاً ماتوا، وخرج معه عليه السلام من المسلمين ألفان، واستخلف على المدينة أبا رُهْم الغفاري[٦]، وساق عليه السلام ستين بدنة[٧] وأحرم لها من ذي الحليفة،

استخلافه على المدينة

---

(١) انظر الطبقات لابن سعد، ٢/ ٩٢ وسيرة ابن كثير ٣/ ٤١٨ وسبل الهدى والرشاد ٦/ ١١٢.
(٢) رواه البخاري برقم ٤٥٨٤ ومسلم برقم ١٨٣٤.
(٣) رواه البخاري برقم ٢٨٤ ومسلم برقم ١٨٤٠ وأحمد ١/ ٨٢.
(٤) زاد المعاد ٣/ ٣٦٩.
(٥) انظر فتح الباري ٧/ ٥٠٠ وزاد المعاد ٣/ ٣٧٠ ودلائل النبوة ٤/ ٣١٣ والدرر ٢٤٠ وسبل الهدى والرشاد ٥/ ١٨٩.
(٦) انظر الطبقات ٢/ ٩٢ وسبل الهدى ٥/ ١٨٩.
(٧) انظر المغازي للواقدي ٢/ ٧٣٣.

ولبى ولبى المسلمون معه، وجعل على هديه ناجية بن جندب الأسلمي[1]، فلما نزل بمر الظهران وقدم السلاح إلى بطن يأجَج (كيسمع وهو موضع بمكة حيث ينظر إلى أنصاب الحرم) وخلف عليه أوس بن خولى الأنصاري في مائتي رجل، ودخلوا بسلاح الراكب السيوف في القرب، وخرجت رؤساء قريش من مكة إلى رؤوس الجبال لئلا يروه، عداوة لله ولرسوله، وقدم رسول الله ﷺ الهدي أمامه فحبس بذي طوى، وركب ﷺ ناقته القصواء والمسلمون متوشحون بالسيوف محدقون برسول الله ﷺ يلبون. فلما قدم رسول الله ﷺ أمرهم أن يكشفوا عن المناكب، وأن يسعوا في الطواف ليرى المشركون جلدهم وقوتهم، وكان يكايدهم بكل ما استطاع[2].

مشروعية الرمل

وفي البخاري[3] عن ابن عباس قال المشركون: يقدم عليكم وقد وهنتهم حمى يثرب، فأمر النبي ﷺ أن يرملوا في الأشواط الثلاثة وأن يمشوا بين الركنين، ولم يمنعه أن يرملوا الأشواط كلها إلاّ الإبقاء عليهم. انتهى. وهو أول اضطباع ورمل في الإسلام. فصف المشركون وقوفاً ينظرون إليه، ودخل رسول الله ﷺ مكة من الثنية التي تطلعه على الحجون وابن رواحة آخذ بزمام راحلته.

شعر ابن رواحة

وفي الشمائل للترمذي عن أنس أنه ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء، وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله ... اليوم نضربكم على تنزيله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله ... ويذهل الخليل عن خليله

ورواه عبد الرزاق من وجهين، وزاد:

قد أنزل الرحمن في تنزيله ... بأن خير القتل في سبيله

نحن قتلناكم على تأويله ... كما قتلناكم على تنزيله

---

(١) انظر دلائل النبوة ٤/ ٣٢٠ والبداية والنهاية ٤/ ٢٣٠.

(٢) انظر الطبقات ٢/ ٩٢ ودلائل النبوة ٤/ ٣٢١ والمغاري ٢/ ٧٣٤.

(٣) رواه البخاري برقم ٤٢٥٦ ومسلم برقم ١٢٦٦.

وأخرجه الطبراني والبيهقي في الدلائل، وفيه:

يا رب إني مؤمن بقيله

وزاد ابن عقبة بعد قوله «قد أنزل الرحمن في تنزيله:»

في صحف تتلى على رسوله ... بأن خير القتل في سبيله

وزاد ابن اسحاق:

يا رب إني مؤمن بقيله ... إني رأيت الحق في قبوله

انتهى[1].

قالوا ولم يزل رسول الله ﷺ يلبي حتى استلم الركن بمحجنه مضطبعاً بثوبه، وطاف على راحلته والمسلمون يطوفون معه قد اضطبعوا بثيابهم. وفي الشمائل في حديث أنس فقال عمر: يا ابن رواحة، بين يدي رسول الله تقول شعراً؟ [قال النبي ﷺ: خل عنه فهو][2] أسرع فيهم من نضح النبل. انتهى. ثم طاف رسول الله ﷺ بين الصفا والمروة على راحلته[3]، فلما كان الطواف السابع عند فراغه وقد وقف الهدي عند المروة قال: هذا المنحر، فجاج مكة منحر. فنحر عند المروة وحلق هناك. وكذلك فعل المسلمون. وأمر رسول الله ﷺ ناساً منهم إلى أصحابهم ببطن يأجج فيقيموا على السلاح، ويأتي الآخرون فيقضون نسكهم، ففعلوا. وأقام رسول الله بمكة ثلاثاً. وفي البخاري[4] عن البراء فلما مضى الأجل أتوا علياً فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل. فخرج النبي ﷺ. فتبعته ابنة حمزة تنادي: يا عم، يا عم. فتناولها علي فأخذها بيده وقال لفاطمة: دونك بنت عمك فحملتها. فاختصم فيها علي وزيد وجعفر، فقال علي: أنا أحق بها وهي ابنة عمي، وقال جعفر

ابنة حمزة رضي الله عنه

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل ٤/ ٣٢٢ وعبد الرزاق في المصنف والترمذي برقم ٢٨٤٧ وابن حبان برقم ٢٠٢٠ في موارد الظمآن والحديث صحيح كما ذكر ذلك الحافظ في فتح الباري ٧/ ٥٠٢.

(٢) بياض في الأصل والتصحيح من سنن النسائي ٥/ ٢٠٢.

(٣) انظر سبل الهدى والرشاد ٥/ ١٩٣.

(٤) رواه البخاري برقم ٢٦٩٩، ٤٢٥١.

ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد: بنت أخي. فقضى بها النبي ﷺ لخالتها وقال: الخالة بمنزلة الأم. وقال لعلي أنت مني وأنا منك. وقال لجعفر أشبهت خلقي وخلقي. وقال لزيد: أنت أخونا ومولانا. وقال له علي: ألا تتزوج بنت حمزة؟ قال إنها بنت أخي من الرضاعة. انتهى.

زواجه بميمونة

وتزوج رسول الله ﷺ ميمونة في عمرة القضاء. وخلف رسول الله أبا رافع ليحمل إليه ميمونة حين يمسي، وأقام بسرف حتى قدمت ميمونة ومن معها وقد لقوا أذى وعناء من سفهاء المشركين وصبيانهم فبنى بها بسرف، ثم أدلج وسار حتى قدم المدينة. وقدر الله أن يكون قبر ميمونة بسرف حيث بنى بها، وهي خالة ابن عباس وخالد بن الوليد. قال ابن عباس وتزوج رسول الله ﷺ ميمونة وهو محرم، وبنى بها وهو حلال[١]. وقد استدرك ذلك على ابن عباس وعد من وهمه. قال سعيد بن المسيب: وَهِلَ ابن عباس وإن كانت خالته، ما تزوجها رسول الله إلاَّ بعدما حل. ووهل بكسر الهاء أي غلط. وفي مسلم[٢] عن ميمونة تزوجني رسول الله ونحن حلالان بسرف. وقال المنذر: إنها آخر من تزوجه ﷺ، وآخر من مات من أزواجه. والله أعلم[٣].

غزوة مؤتة

اسلام خالد وعمرو وعثمان بن طلحة

قالوا فلما انصرف رسول الله ﷺ من عمرة القضاء أقام بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفر وشهري ربيع، وفي صفر من هذه السنة قدم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة الحجبي وأسلموا، فلما رآهم رسول الله ﷺ قال «رمتكم مكة بأفلاذ كبدها». ذكره في الاستيعاب[٤].

سبب الغزوة

ثم بعث رسول الله ﷺ في جمادي الآخرة من السنة الثامنة[٥] من الهجرة بعث

---

(١) رواه البخاري برقم ٤٢٥٨ ومسلم برقم ١٤١٠.

(٢) رواه مسلم برقم ١٤١١.

(٣) انظر زاد المعاد ٣/ ٣٧٣ والمواهب ١/ ٥٤٥.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣/ ١٠٣٤.

(٥) انظر فتح الباري ٧/ ٥١١.

الأمراء إلى الشام، وذلك أن رسول الله ﷺ كان أرسل الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلى ملك بصرى، فلما نزل مؤتة ـ وهي بضم الميم وهي من عمل البلقاء بالشام دون دمشق[(١)] ـ عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله[(٢)]، ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره، فأمر رسول الله زيد بن حارثة مولاه على ثلاثة آلاف وقال: إن قتل فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن قتل فعبد الله بن رواحة[(٣)].

امراء الجند

قالوا وعقد لهم لواء أبيض ودفعه إلى زيد بن حارثة، وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلاَّ استعانوا عليهم بالله وقاتلوهم. وخرج مشيعاً لهم حتى بلغ ثنية الوداع، فوقف وودعهم، فبكى ابن رواحة، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود. فلما ساروا نادى المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم وردكم صالحين غانمين. فقال ابن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة   وضربة ذات فرع تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران مجهزة   بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جدثي   يا أرشد الله من غاز وقد رشدا[(٤)]

جموع الروم

فلما نزلوا معان من أرض الشام بلغهم أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضم إليهم من لخم وجذام وبلى مائة ألف، فلما بلغ المسلمين أقاموا على معان ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول الله نخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمر فنمضي له. فشجعهم عبد الله بن رواحة وقال: والله يا قوم إن الذي تكرهونه للذي خرجتم له تطلبون

(١) المواهب اللدنية ١/ ٥٤٩.
(٢) انظر الطبقات الكبرى ٤/ ٣٤٣ والإشارة لمغلطاي ٢٩٩.
(٣) رواه البخاري برقم ٤٢٦١.
(٤) سيرة ابن هشام ٤/ ١٢ وهو مراسيل عروة وذكره البيهقي في دلائل النبوة ٤/ ٣٥٨، والحديث له شواهد تعضده.

الشهادة. وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة، وإنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين: إما ظفر وإما شهادة. فمضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيهم الجموع بقرية يقال لها مشارف، فدنا العدو، وانحاز المسلمون إلى مؤتة، فالتقى الناس، فتعبأ المسلمون ثم اقتتلوا والراية في يد زيد بن حارثة فلم يزل يقاتل بها حتى شاط في رماح القوم وخر صريعاً، وأخذها جعفر فقاتل بها حتى إذا أرهقه القتال اقتحم عن فرسه فعقرها ثم قاتل، وكان أول من عقر فرسه في الإسلام عند القتالِ، فقطعت يمينه فأخذ الراية بيساره فقطعت يساره، فاحتضن الراية حتى قتل وله ثلاث وثلاثون سنة، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فتقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ويقول:

بدء المعركة

أقسمت يا نفس لتنزلنه	لتنزلن أو لتكرهنه
إن أجلب الناس وشدوا الرانة	ما لي أراك تكرهين الجنه
وقد طال ما قد كنت مطمئنه	هل أنت إلاَّ نطفة في شنه

ويقول:

يا نفس إن لا تقتلي تموتي	هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت	إن تفعلي فعلهما هديت[1]

يريد صاحبيه زيداً وجعفر، ثم قاتل رضي الله عنه حتى قتل. ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بني العجلان فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم. فقالوا: أنت. قال: ما أنا بفاعل. فاصطلح الناس على خالد بن الوليد. فلما أخذ الراية دافع القوم وخاشى بهم، ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف الناس. وذكر ابن سعد أن الهزيمة كانت على المسلمين[2] والذي في صحيح البخاري أن الهزيمة

خالد بن الوليد قائد الجيش

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ١٢ من رواية ابن إسحاق وسندها حسن وقد رواه البيهقي في دلائل النبوة ٤/ ٣٦٣ وقد حسَّنه الحافظ في فتح الباري ٧/ ٥١١، وأخرجه من دون ذكر الشعر أبو داود برقم ٢٥٧٣ وصححه أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على مختصر أبي داود للمنذري.

(٢) الطبقات ٢/ ١٢٨.

كانت على الروم[١]، قال في الهدي: والصحيح ما ذكره ابن اسحاق أن كل طائفة انحازت وانحيز عنها. انتهى[٢].

روي عن أبي هريرة قال: لما قتل ابن رواحة انهزم المسلمون، فجعل خالد يدعو أخراهم ويمنعهم عن الفرار وهم لا يسمعون، حتى نادى قطبة بن عامر: أيها الناس، لئن يقتل الرجل في حرب الكفار خير من أن يقتل حال الفرار. فلما سمعوا كلام قطبة تراجعوا[٣].

وفي البخاري[٤] عن خالد بن الوليد قال: لقد انقطع في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فما بقي في يدي إلاّ صحيفة يمانية.

نعي الرسول لأصحابه

وفيه عن أنس أن النبي ﷺ نعى زيداً وجعفر وابن رواحة في الناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب وعيناه تذرفان، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم[٥]. وفيه[٦] عن ابن عمر كنت فيهم تلك الغزوة فألفينا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى، ووجدنا ما في جسده بضعاً وتسعين بين طعنة ورمية. وفي رواية فعددت به خمسين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره. وللطبراني[٧] بسند حسن

جعفر الطيار

عن عبد الله بن جعفر قال: قال رسول الله ﷺ «هنيئاً لك أبوك يطير مع الملائكة في السماء». وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: رأيت جعفر بن أبي طالب يطير مع الملائكة. أخرجه الترمذي والحاكم[٨]. وفي رواية عن ابن عباس أن جعفر يطير مع

---

(١) البخاري برقم ٤٢٦٢ ومواطن أخر.
(٢) زاد المعاد ٣/ ٣٨٣.
(٣) سبل الهدى والرشاد ٦/ ١٥٠.
(٤) رواه البخاري برقم ٤٢٦٥، ٤٢٦٦.
(٥) رواه البخاري برقم ٤٢٦٢.
(٦) رواه البخاري برقم ٤٢٦١.
(٧) انظر مجمع الزوائد ٩/ ٢٧٢ وفتح الباري شرح حديث رقم ٣٧٠٩ وما رواه البخاري برقم ٤٢٦٤.
(٨) رواه الترمذي برقم ٣٧٦٧ والحاكم ٣/ ٢٠٩.

جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله عن يديه. وإسناده جيد[١]. وفي البخاري عن ابن عمر كان إذا حيا ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين[٢]. وفيه عن عائشة: لما جاء النبي ﷺ قتل ابن حارثة وابن رواحة وجعفر جلس يعرف فيه الحزن وأنا أنظر من صاير الباب، تعني شق الباب، فأتاه رجل فقال: إن نساء جعفر. فذكر بكاءهن. قالت: فأمره أن ينهاهن. قالت فذهب الرجل ثم أتاه فقال: قد نهيتهن. وذكر أنهن لم يطعنه، قال فأمره أيضاً فذهب ثم أتاه الثالثة فقال: والله لقد غلبننا. فزعمت أن رسول الله ﷺ قال: فاحث في أفواههن من التراب. قالت عائشة أرغم الله أنفك فوالله ما أنت تفعل وما تركت رسول الله من العناء[٣]. وفي رواية ابن إسحاق قالت وربما ضر التكلف أهله. قال موسى بن عقبة: قدم يعلى بن أمية على رسول الله يخبر أهل مؤتة، فقال له رسول الله ﷺ: إن شئت فأخبرني، وإن شئت أخبرتك. قال: فأخبرني يا رسول الله. فأخبره رسول الله ﷺ، فقال: والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً واحداً لم تذكره. فقال رسول الله ﷺ: إن الله رفع لي الأرض حتى رأيت معتركهم[٤].

شهداء موته

واستشهد يومئذ من المسلمين: الأمراء الثلاثة، ومسعود بن أوس، ووهب بن سعد بن أبي سرح، وعبادة بن قيس، وحارث بن النعمان، وسراقة بن عمرو بن عطية، وأبو كليب وجابر ابنا عمرو بن زيد، وعمرو وعاصم ابنا سعد بن الحارث وغيرهم. رضي الله عنهم أجمعين. انتهى[٥].

لقاء أهل المدينة للجيش

ولما دنوا من المدينة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون، ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله مقبل مشيع القوم على دابة فقال: خذوا الصبيان فاحملوهم واعطوني ابن جعفر فأخذه فحمله بين يديه وجعل الناس يحثون على الجيش التراب

---

(١) رواه الحاكم ٣/ ٢٠٩ وإسناده جيد كما قال المصنف وذكره الحافظ في الفتح ٧/ ٧٦.
(٢) رواه البخاري برقم٤٢٦٤.
(٣) رواه البخاري برقم ٤٢٦٣ ومسلم برقم ٩٣٥.
(٤) انظر زاد المعاد ٣/ ٣٨٤.
(٥) انظر الدرر لابن عبد البر ٢٤٨ وسبل الهدى والرشاد ٦/ ١٥٤.

ويقولون: يا فرار، فررتم في سبيل الله. فيقول رسول الله : ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله. رواه ابن إسحاق في السيرة[١].

غزوة ذات السلاسل

سبب تسميتها

وسميت بذلك لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يفروا، وقيل لأن بها ماء يقال له السلسل، وهي وراء وادي القرى، وبينها وبين المدينة عشرة أيام، وكانت في جمادي الآخرة سنة ثمان جزم به في الهدي، وقيل كانت سنة سبع جزم به ابن أبي خالد في كتاب صحيح التاريخ[٢].

سبب الغزوة

قال ابن سعد[٣] بلغ رسول الله ﷺ أن جمعاً من قضاعة قد تجمعوا للإغارة على المدينة وأن يدنوا منها، فدعا رسول الله ﷺ عمرو بن العاص فعقد له لواء أبيض، وجعل معه راية سوداء، وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ومعهم ثلاثون فرساً وأمره أن يستعين بمن مر به من بلى وعذرة وبلقين، فسار الليل وكمن النهار، فلما قرب من القوم بلغه أن لهم جمعاً كثيراً فبعث رافع بن مكيث الجهني إلى رسول الله يستمده، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في مائتين، وعقد له لواء، وبعث له سراة المهاجرين والأنصار وفيهم أبو بكر وعمر، وأمره أن يلحق بعمرو وأن يكونا جميعاً ولا يختلفان. فأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس، فقال عمرو إنما قدمتَ عليَّ مدداً لي وأنا الأمير. فأطاع له بذلك أبو عبيدة، فكان عمرو يصلي بالناس[٤]، وسار حتى وطىء بلاد قضاعة، فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد وتفرقوا، وبعث عوف بن مالك الأشجعي بريدا إلى رسول الله ﷺ فأخبره بقفولهم

مدد بقيادة أبي عبيدة

---

(١) انظر سبل الهدى والرشاد ٦/ ١٥٦ وقد روى أبو داود برقم ٢٦٤٧ والترمذي برقم ١٧١٦ وأحمد ٢/ ١١١ أن الذين فروا هم فئة من الجيش وليس كلهم وانظر رواية ابن إسحاق في السيرة ٤/ ٢٢ وقد كرّوا رضي الله عنهم في جيش أسامة رضي الله عنه الذي جهزه رسول الله ﷺ.

(٢) انظر المواهب ١/ ٥٥٤ وفتح الباري ٧/ ٦٧٤ وزاد المعاد ٣/ ٣٨٦.

(٣) الطبقات ٢/ ١٣١.

(٤) إنها الطاعة للأمير وإيثاراً بالإمارة وعدم تطلع لها مع فضيلة أبي عبيدة رضي الله عن الجميع.

وسلامتهم[1]. قال الإمام أحمد حدثنا ابن أبي عدي عن داود عن عامر قال: بعث رسول الله ﷺ جيش ذات السلاسل واستعمل أبا عبيدة على المهاجرين واستعمل عمرو بن العاص على الأعراب وقال لهما: تطاوعا. قال وكانوا أمروا أن يغيروا على بكر، فانطلق عمرو وأغار على قضاعة لأن بكراً أخواله، قال فانطلق المغيرة بن شعبة إلى أبي عبيدة فقال: إن رسول الله ﷺ استعملك علينا، وإن ابن فلان قد اتبع أمر العسر فلله معه أمر. قال أبو عبيدة: إن رسول الله ﷺ أمرنا أن نتطاوع، فأنا أطيع رسول الله وإن عصاه عمرو[2].

احتلام عمرو بن العاص

وفي هذه الغزوة احتلم أمير الجيش عمرو بن العاص، وكانت ليلة باردة فخاف على نفسه من الماء فتيمم وصلى بأصحابه الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب؟ فأخبره الذي منعه عن الاغتسال وقال: إني سمعت الله يقول ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ ﴾ فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً[3].

سرية ابي قتادة

(سرية أبي قتادة بن ربعي إلى بطن إضم)[4] فيما بين ذي خشب وذي المروة على ثلاثة برد من المدينة في أول شهر رمضان سنة ثمان، وذلك أنه عليه السلام لما هم أن يغزو أهل مكة بعث أبا قتادة في ثمانية نفر سرية إلى بطن إضم، ليظن ظان أنه ﷺ توجه إلى تلك الناحية ولأن تذهب بذلك الأخبار[5]، فلقوا عامر بن الأضبط فسلم عليهم بتحية الإسلام فقتله محلم بن جثامة فأنزل الله ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنٗا تَبْتَغُونَ ﴾ إلى آخر الآية رواه أحمد[6]. وفي

---

(١) انظر المغازي للواقدي ٢/ ٧٦٩ والطبقات ٢/ ٣١ وسيرة ابن هشام ٤/ ١٢٧٠.

(٢) رواه أحمد ١/ ١٩٦ والحديث ضعيف لأنه من رواية الشعبي ولم يدرك. وخبر الغزوة في البخاري برقم ٤٣٥٨ ومسلم برقم ٢٣٨٤.

(٣) رواه أبو داود برقم ٣٣٤ وأحمد ٤/ ٢٠٣ وذكره البخاري معلقاً ١/ ٣٨٥.

(٤) واد وقيل جبل شمال المدينة جهة الشام.

(٥) انظر المغازي للواقدي ٢/ ٩٦.

(٦) المسند ٦/ ١١ وسنده رجاله ثقات.

الهدي[1]: وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله لشيء كان بينه وبينه، وزاد ابن جرير: فجاء محلم بن جثامة في بردين فجلس بين يدي رسول الله ﷺ ليستغفر له فقال رسول الله «لا غفر الله لك» فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه[2]، فما مضت له ساعة حتى مات فلفظته الأرض فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال «إن الأرض تقبل من هو شر منه، ولكن يريد الله أن يعظكم»[3] ونسب ابن إسحاق هذه السرية لأبي حدرد.

بعث أبي حدرد

وبعث أبا حدرد ومعه رجلان إلى الغابة لما بلغه ﷺ أن رفاعة بن قيس ـ أو قيس بن رفاعة ـ الجشمي أقبل في عدد كثير حتى نزلوا الغابة يريد أن يجمع قيساً على محاربة رسول الله ﷺ وكان ذا شرف، فخرجوا حتى إذا جاءوا قريباً منهم فكمنوا في ناحية العسكر وخرج رفاعة وقد غشيهم الليل يطلب راعياً لهم قد أبطأ عليهم، حتى مر بأبي حدرد فنفحه بسهم فوضعه في فؤاده فاحتز رأسه، ثم شدوا في ناحية العسكر وكبروا، فهرب القوم بكل ما قدروا عليه وما خف من أموالهم ونسائهم وأبنائهم، واستاق أبو حدرد وصاحباه إبلاً عظيمة وغنماً كثيرة فجاءوا بها رسول الله، وجاء أبو حدرد برأسه يحمله، فأعطاه من الإبل ثلاثة عشر. هذا معنى ما ذكر ابن إسحاق[4].

غزوة الفتح

الفتح الأعظم

قال في زاد المعاد[5]: وهو الفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحرمه الأمين، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء ودخل الناس في دين الله أفواجاً وأشرق به وجه الأرض ضياءً وابتهاجاً. خرج ﷺ بكتائب الإسلام وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذي وقع بينهم وبين رسول الله بالحديبية، كما تقدم ذلك في

---

(١) زاد المعاد ٣/ ٣٦٦.
(٢) رواه أبو داود برقم ٤٥٠٣ وابن ماجه برقم ٢٦٢٥ وأحمد ٥/ ١١٢.
(٣) ذكره الطبري في التفسير ٩/ ٧٢.
(٤) سيرة ابن هشام ٤/ ٢٤٩ والمغازي للواقدي ٢/ ٧٧ ودلائل النبوة ٤/ ٣٠٣ والبداية ٤/ ٢٤٩ وتاريخ الطبري ٣/ ٣٤.
(٥) زاد المعاد ٣/ ٣٩٥.

رمضان سنة ثمان. وفي البخاري: على رأس ثمان ونصف من مقدمه المدينة.

سبب الغزوة

وكان سبب ذلك على ما ذكره إمام أهل المغازي والأخبار محمد بن إسحاق بن يسار أن بني بكر بن عبد مناة كانت بينهم وبين خزاعة حروب قبل الإسلام وقتل، فلما جاء الإسلام تشاغل الناس به، فلما كانت الهدنة دخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم ودخلت خزاعة في عهد رسول الله وعقده. فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو بكر وأرادوا أن يصيبوا الثأر من خزاعة، فخرج نوفل بن معاوية في نفر من بني بكر فبيت خزاعة على ماء بأسفل مكة يقال له الوتير، فأصابوا منهم رجالاً وتناوشوا واقتتلوا، وأعانت قريش بني بكر بالسلاح، وقاتل معهم من قريش من قاتل مستخفياً، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم، فلما انتهوا إليه قالت بنو بكر: يا نوفل إنا قد دخلنا الحرم، إلهك إلهك. فقال كلمة عظيمة: لا إله له اليوم، يا بني بكر أصيبوا ثأركم، فلعمري إنكم لتسرقون في الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه؟ فقاتلوهم حتى لجأوا إلى دار بديل بن ورقاء الخزاعي ودار مولى لهم، وخرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكباً، حتى قدموا على رسول الله ﷺ يخبرونه بما قد وقع، ويستنصرونه، فقام وهو يجر رداءه ويقول لا نصرت إن لم أنصر بني كعب مما أنصر منه نفسي[1].

وفي معجم الطبراني الصغير[2] عن ميمونة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول في متوضئه ليلاً: لبيك لبيك (ثلاثاً)، نصرت نصرت (ثلاثاً). فلما خرج قلت: يا رسول الله، سمعتك تقول في متوضئك: لبيك لبيك ثلاثاً، نصرت نصرت ثلاثاً، كأنك تكلم إنساناً، فهل كان معك أحد؟ فقال: هذا راجز بني كعب يستصرخني ويزعم أن قريشاً أعانت عليهم بني بكر. ثم خرج عليه السلام فأمر عائشة أن تجهزه ولا يعلم أحد، قالت: فدخل عليها أبو بكر فقال: يا بنية ما هذا الجهاز؟ قالت والله ما أدري. فقال: والله ما هذا زمان غزو بني الأصفر؟ فأين يريد رسول الله؟ قالت:

---

(١) وفي رواية لعبد الرزاق (والذي نفسي بيده لأمنعنهم مما أمنع منه نفسي وأهلي وبيتي) المصنف (٩٧٣٩) وفي حديث عائشة عند أبي يعلى ٧/ ٣٤٣ (لانصرني الله تعالى إن لم أنصر بني كعب) والحديث سنده جيد (انظر المطالب العالية) ص ٤٣٥٦ ومجمع الزوائد ٦/ ١٦٤.

(٢) وفي الكبير أيضاً انظر مجمع الزوائد ٦/ ١٦٦.

والله لا علم لي. قالت فأقمنا ثلاثاً، ثم صلى الصباح بالناس، فسمعت الراجز ينشده:

يـا رب إنـي نـاشـد محمـدا حلـف أبينـا وأبيـه الأتلـدا
إن قـريشـاً أخلفـوك المـوعـدا ونقضـوا ميثـاقـك المـؤكـدا
وزعمـوا أن لسـت أدعـو أحـدا فـأنصـر هـداك الله نصـراً أيـدا
وادع عبـاد الله يـأتـوا مـددا فيهـم رسـول الله قـد تجـردا
إن سيم خسفاً وجهه تربدا

زاد ابن إسحاق:

في فيلق كالبحر يجري مزبدا هـم بيتـونـا بـالـوتيـر هجـدا
وقتلـونـا ركعـاً وسجـدا وهـم أذل وأقـل عـددا

فقال رسول الله ﷺ: نصرت يا عمرو بن سالم. . وفي رواية: نصرت نصرت ثلاثاً. ثم عرض لرسول الله ﷺ عنان من السماء فقال: إن هذه السحابة لتستهل لنصر بني كعب[1]، وهم رهط عمرو بن سالم.

أبو سفيان يجدد العهد

ثم ندمت قريش على ما صنعت، وعلموا أن ذلك نقض لما كان بينهم وبين رسول الله، وقد كان رسول الله ﷺ قال للناس: كأنكم بأبي سفيان قد جاء ليجدد العقد ويزيد في المدة[2]. ثم خرج أبو سفيان حتى قدم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه، فقال: يا بنية أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس. فقال: والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر. ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ، فكلمه فلم يرد عليه شيئاً[3]. ثم ذهب إلى أبي بكر فكلمه أن يكلم رسول الله، فقال ما أنا بفاعل. ثم أتى عمر بن الخطاب فقال أنا أشفع لكم؛ فوالله لو

موقف أم حبيبة رضي الله عنها من أبيها

---

(١) رواه ابن إسحاق بسند حسن وله شواهد في البزار انظر فتح الباري ٧/ ٥٩٣ وأخرجه البيهقي ٩/ ٢٣٤.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٤٥٣ والمغازي للواقدي ٢/ ٧٩٢.

(٣) جزء من رواية ابن إسحاق ٤/ ٣٦ في قصة فتح مكة وإسنادها حسن.

لم أجد إلاَّ الذر لجاهدتكم به. ثم أتى علي بن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله وعندها الحسن بن علي غلام يدب بين يديها فقال: يا علي إنك أمس القوم بي رحماً، وإني قد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائباً اشفع لي إلى رسول الله. فقال: ويحك يا أبا سفيان، والله لقد عزم رسول الله على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه. ثم التفت إلى فاطمة فقال: يا بنت محمد، هل لك أن تأمري ابنك هذا فيجير بين الناس، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟ فقالت: ما بلغ ابني ذلك، وما يجير أحد على رسول الله. فقال: يا أبا الحسن إني أرى الأمر قد اشتدت علي، فانصحني. قال: والله ما أرى شيئاً يغني عنك، ولكنك سيد بني كنانة، فقم فأجر بين الناس، ثم الحق بأرضك. فقال: أو ترى ذلك مغنياً عني شيئاً؟ قال: لا والله. ولكن ما أجد لك غيره. فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس، إني قد أجرت بين الناس. ثم ركب بعيره فانطلق. فلما قدم على قريش قالوا: ما وراءك؛ قال: أتيت محمداً فكلمته، فوالله ما رد علي شيئاً، ثم ابن أبي قحافة فلم أجد منه خبراً. ثم أتيت ابن الخطاب فوجدته أدنى العدو. وفي لفظ: أعدى العدو. ثم جئت علياً فوجدته ألين القوم، وقد أشار عليَّ بشيء صنعته، فوالله ما أدري هل يغني شيئاً أم لا. قالوا: وبم أمرك. قال: أمرني أن أجير بين الناس، ففعلت. قالوا فهل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا. قالوا: ويلك إن زاد الرجل على أن لعب بك[1].

الأمر بالخروج إلى مكة

وأمر رسول الله ﷺ بالناس بالجهاز، وأعلمهم أنه سائر إلى مكة وقال: اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها[2]. فتجهز الناس، فكتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى أهل مكة بمسير رسول الله ﷺ إليهم. وفي رواية كتب فيه: إن رسول الله ﷺ قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل، وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم، فإنه منجز له وعده. فأتى رسول الله ﷺ الخبر

---

(١) روى من طرق متعددة رواه ابن إسحاق ٤/ ٣٧ والبيهقي ٩٠/ ١٢٠ وعبد الرزاق ٥/ ٣٧٥ وبمجموع الطرق فالقصة ثابتة انظر فتح الباري ٧/ ٥٩٣. وتاريخ الطبري ٣/ ٤٦ تاريخ الإسلام، (المغازي).

(٢) جزء من رواية ابن إسحاق وسندها حسن، انظر ابن كثير في البداية والنهاية ٤/ ٣١٥.

قصة حاطب بن أبي بلتعه

من السماء. وفي البخاري[١] عن علي قال: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب، فخذوه منها. وفي رواية: فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة فخذوه منها. قال: وكلنا فارس. قال: فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله ﷺ. فقلنا: الكتاب. فقالت: ما معي كتاب. فأنخناها فالتمسناها فلم نر كتاباً، فقلنا: ما كذب رسول الله لتخرجن الكتاب أو لنجردنك، فلما رأت الجد أهوت إلى حجزتها وهي محتجزة بكساء فأخرجته، فانطلقنا به إلى رسول الله ﷺ، فإذا فيه من حاطب بي أبي بلتعة إلى ناس من المشركين يخبرهم ببعض أمور رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ لحاطب: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: والله ما بي إلاَّ أن أكون مؤمناً بالله ورسوله، أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلاَّ له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله. فقال: صدق، ولا تقولوا له إلاَّ خيراً. فقال عمر دعني أضرب عنق هذا المنافق، إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني أضرب عنقه. فقال: إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. وفي رواية فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم. فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم. وفي رواية له: فأنزل الله السورة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ إلى قوله ﴿ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ انتهى[٢].

المسلمون يوافون رسول الله في الطريق

وبعث رسول الله ﷺ إلى من حوله من العرب فجلبهم: أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع وسُليم، فمنهم من وافاه بالمدينة، ومنهم من لاقاه بالطريق. وخرج في عشرة آلاف من المسلمين، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وقيل أبا رهم الغفاري[٣]. وفي البخاري عن ابن عباس: صام النبي ﷺ حتى إذا بلغ الكديد ـ الماء

---

(١) رواه البخاري (٣٠٠٧) ومسلم ٣/ ١٩٤١ وأبو داود والترمذي وأحمد والبيهقي في الدلائل.

(٢) انظر فتح الباري ٧/ ٣٩٢ برقم ٣٩٨٣.

(٣) والصحيح الثاني وهو كلثوم بن حصين الغفاري رواه الإمام أحمد والطبراني بسند حسن. انظر سبل الهدى والرشاد جـ ٥ ٢١٢.

الذي بين قديد وعسفان ـ أفطر وأفطر الناس معه، قال الزهري: وإنما يؤخذ من أمر رسول الله ﷺ الآخر فالآخر، وفي رواية عن ابن عباس لمسلم عن ابن شهاب: ويرونه الناسخ المحكم. وفي رواية عن ابن عباس: صام رسول الله ﷺ في السفر وأفطر فمن شاء صام ومن شاء أفطر. انتهى[١].

هجرة العباس وأبي سفيان بن الحارث

قال ابن إسحاق وقد كان العباس عم رسول الله خرج بأهله وعياله مهاجراً مسلماً فلقي رسول الله بالجحفة[٢]، وكان من لقيه بالطريق أبو سفيان بن الحارث بن المطلب ابن عمه وعبد الله بن أبي أمية ابن عمته أخو أم سلمة أم المؤمنين، لقياه بالأبواء، فكلمته أم سلمة فيهما فقالت: يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك. قال: لا حاجة لي بهما، أما ابن عمي فهتك عرضي، وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال. فلما خرج الخبر إليهما بذلك قال أبو سفيان ومعه بني له: والله ليأذنن لي أو لآخذن ابني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً. فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك رق لهما وأذن لهما. وحكى أبو عمر أن علياً قال لأبي سفيان: أئت رسول الله من قبل وجهه، فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ ﴾ فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولاً. ففعل ذلك أبو سفيان، فقال رسول الله ﷺ ﴿ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾[٣] فأنشده أبو سفيان أبياتاً منها:

لعمرك إني يوم أحمل راية	لتغلب خيلُ اللات خيلَ محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله	فهذا أواني حين أهدى وأهتدي
هداني هاد غير نفسي فدلني	إلى الله من طردته كل مطرد

قال ابن إسحاق: فزعموا أن رسول الله ﷺ ضرب صدره وقال: أنت طردتني

---

(١) انظر الفتح ٧/ ٥٩٦ برقم ٤٢٧٥ ومسلم برقم ١١١٣.

(٢) جزء من حديث ابن إسحاق وسنده حسن. انظر الفتح ٧/ ٥٩٧.

(٣) جزء من حديث ابن إسحاق المتقدم ورواه الحاكم ٣/ ٤٣ وصححه ووافقه الذهبي رواه البيهقي في الدلائل ٥/ ٢٧ وانظر الإصابة ١١/ ١٦٩.

كل مطرد[1] قال أبو عمر[2] وحسن إسلامه بعد ذلك، ويقال: ما رفع رأسه إلى رسول الله منذ أسلم حياء منه، وكان رسول الله ﷺ يحبه وشهد له بالجنة[3]، ويقال: أرجو أن يكون خلفاً من حمزة. ولما حضرته الوفاة قال لأهله: لا تبكوا علي، فوالله ما تنطفت بخطيئة منذ أسلمت.

نزوله بمر الظهران وايقاد النيران

ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل الظهران عشاء، فأمر أصحابه فأوقدوا أكثر من عشرة آلاف نار، ولم يبلغ قريشاً مسيره وهم مغتمون لما يخافون من غزوه إياهم. قال العباس: قلت واصباح قريش، والله لئن دخل رسول الله مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر. قال فركبت بغلة رسول الله فخرجت حتى أتيت الأراك، فقلت لعلي أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله فيأتوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخل عليهم عنوة. قال فوالله إني لأسير عليها إذ سمعت كلام أبي سفيان وبُديل بن ورقاء وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً، قال: يقول بديل: هذه والله خزاعة حمشتها الحرب، فيقول أبو سفيان: خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها[4] قال فعرفت صوته فقلت: يا أبا حنظلة. فعرف صوتي فقال: أبا الفضل؟ قلت نعم. قال مالك فداك أبي وأمي؟ قال قلت: هذا رسول الله في الناس، واصباح قريش والله. قال أبو سفيان: فما الحيلة فداك أبي وأمي؟ قال قلت: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله فأستأمنه لك. فركب خلفي، ورجع صاحباه. قال فجئت به، فكلما مررنا بنار من نيران

العباس يبحث عن من يخبر قريش

أبو سفيان بن حرب على بغلة الرسول

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٤٤ ووافقه الذهبي، انظر تاريخ الطبري ٣/ ٥١ والكامل في التاريخ ٢/ ٢٤٣، ٢٤٤.

(٢) الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري رحمه الله/ انظر كتاب الاستيعاب ٤/ ١٦٧٥.

(٣) ورد في الحديث أنه سيد فتيان أهل الجنة قال الحافظ ابن حجر في الإصابة ١١/ ١٦٩ وهذا مرسل.

(٤) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح كما في مجمع الزوائد ٦/ ١٦٤ قال ابن حجر في المطالب العالية (٤٣٦٢) هذا حديث صحيح. وأخرجه البيهقي في الدلائل ٥/ ٣٣.

المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله وأنا عليها قالوا: عم رسول الله على بغلة رسول الله. حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال: من هذا؟ وقام إلي، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال: أبو سفيان عدو الله؟ الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد. ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ. فركضت البغلة فسبقته بما تسبق به الدابة البطيئة الرجل البطيء، واقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله ﷺ فأخذت برأسه وقلت: والله لا يناجيه الليلة أحد دوني. فلما أكثر عمر في شأنه قلت: مهلاً يا عمر، فوالله ما تصنع هذا إلاً أنه رجل من بني عبد مناف، ولو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا. قال: مهلاً يا عباس، فوالله لإسلامك كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إلاً أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ. قال رسول الله ﷺ: اذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتني به. فذهبت به إلى رحلي، فلما أصبحت غدوت به على رسول الله ﷺ، فلما رآه رسول الله قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلاً الله؟ قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد. قال: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟ قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، أما هذه ففي النفس حتى الآن منها شيء. فقال له العباس: ويحك أسلم وأشهد أن لا إله إلاً الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك. فأسلم وتشهد شهادة الحق، فقال العباس: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئاً. قال نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن. وأمر رسول الله ﷺ العباس أن يحبسه بمضيق من الوادي عند خطم الجبل تمر به جنود الله فيراها، ففعل، فمرت القبائل على راياتها، كلما مرت قبيلة قال: يا عباس من هذه؟ فأقول سليم، فيقول مالي ولسليم ثم تمر القبيلة فيقول: يا عباس، من هؤلاء؟ فأقول: مزينة. فيقول: مالي ولمزينة حتى نفذت القبائل، ما تمر قبيلة إلاً سألني عنها فأخبرته بهم قال مالي ولبني فلان. حتى مر به رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم إلاً الحدق من الحديد، فقال: سبحان الله يا عباس، من هؤلاء؟ قال قلت هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار،

إسلام قائد قريش

أبو سفيان يرى جيش المسلمين

قال ما لأحد بهؤلاء قِبل ولا طاقة. ثم قال: والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً. قال قلت يا أبا سفيان إنها النبوة. قال فنعم إذن. قلت النجاء إلى قومك. وكانت راية الأنصار مع سعد بن عبادة، فلما مر بأبي سفيان قال له اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة، اليوم أذل الله قريشاً[1]. وفي رواية البخاري[2] في الصحيح: فقال أبو سفيان: يا عباس حبذا يوم الذمار. يعني أن تكون له يد فيحمي قومه. وفي رواية البخاري: راية النبي ﷺ مع الزبير بن العوام، فلما مر رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة؟ قال ما قال؟ قال: قال كذا وكذا. قال كذب سعد، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة قال فأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون، وفي رواية ابن إسحاق: فقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف: يا رسول الله ما نأمن أن يكون له في قريش صولة، فقال رسول الله ﷺ: بل اليوم يوم تعظم فيه الكعبة، اليوم أعز الله قريشاً. ثم أرسل رسول الله ﷺ إلى سعد فنزع منه اللواء فدفعه إلى قيس ابنه، ورأى أن اللواء لم يخرج عن سعد إذ صار إلى ابنه، وروى أن رسول الله ﷺ لما أخذ الراية دفعها إلى الزبير[3]. ومضى أبو سفيان حتى جاء قريشاً فصرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن. قالوا: قاتلك الله وما تغني عنا دارك؟ قال: ومن أغلق بابه فهو آمن، قال فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد، وسار رسول الله ﷺ فدخل مكة من أعلاها، وضربت هناك القبة. وفي رواية البخاري[4] عن عروة: وأمر رسول الله ﷺ يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء، ودخل النبي ﷺ من كدا فقتل من خيل خالد يومئذ رجلان حبيش بن الأشعر[5] وكرز بن

سعد بن عباده وعزله عن القيادة

الأمان لقريش

من أين دخل رسول الله مكة

(١) سبق تخريجه في الفقرة السابقة وهو حديث طويل وجزء منه في البخاري برقم ٤٢٨٠.
(٢) البخاري في المغازي برقم ٤٢٨٠.
(٣) انظر فتح الباري ٧/ ٦٠١ وكلام الحافظ في ذلك.
(٤) برقم ٤٢٨٠.
(٥) واسمه خالد بن سعد بن منقذ بن ربيعة بن أخزم الخزاعي.

خالد بن الوليد يقاتل من قاتله

جابر الفهري، قال الحافظ ابن حجر[1]: وهذا يخالف الأحاديث الصحيحة الآتية للبخاري عن ابن عمر وغيره، أنه ﷺ دخل الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفاً أسامة بن زيد، قال وقد ساق موسى بن عقبة سياقاً واضحاً فقال: وبعث رسول الله ﷺ الزبير بن العوام على المهاجرين وخيلهم وأمره أن يدخل من كدا من أعلى مكة، وأمره أن يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى يأتيه، وبعث خالد بن الوليد في قبائل قضاعة وسُليم وغيرهم وأمره أن يدخل من أسفل مكة وأن يغرز رايته عند أدنى البيوت، وبعث ابن عبادة في كتيبة الأنصار في مقدمة رسول الله ﷺ وأمرهم أن يكفوا عن القتال ولا يقاتلوا إلاّ من قاتلهم، واندفع خالد بن الوليد حتى دخل من أسفل مكة وقد جمع بها بنو بكر وبنو الحارث بن عبد مناة وناس من هذيل ومن الأحابيش الذين استنصرت بهم قريش فقاتلوا خالداً فقاتلهم فانهزموا، وقتل من بني بكر نحواً من عشرين رجلاً ومن هذيل ثلاثة أو أربعة حتى انتهى بهم القتل إلى الحزورة إلى باب المسجد حتى دخلوا الدور فارتفعت طائفة منهم على الجبال، وصاح أبو سفيان: من أغلق بابه وكف يده فهو آمن. قال ونظر رسول الله إلى البارقة، فقال: ما هذا وقد نهيت عن القتال؟ فقالوا: نظن أن خالداً قوتل وبدىء بالقتال فلم يكن له بد من أن يقاتلهم. ولمسلم[2] عن أبي هريرة قال: بعث رسول الله ﷺ على إحدى المجنبتين خالد بن الوليد، وعلى الأخرى الزبير، وبعث أبا عبيدة على الحسَّر أي الذين لا سلاح معهم، فقال لي: يا أبا هريرة اهتف لي بالأنصار. فهتف فجاءوا فطافوا به فقال لهم أترون إلى أوباش قريش وأتباعهم. ثم قال بإحدى يديه على الأخرى احصدوهم حصداً حتى توافوني بالصفا، فقال أبو هريرة فانطلقنا فما نشاء أن نقتل منهم أحداً إلاّ قتلناه. قال فجاء أبو سفيان فقال يا رسول الله أبيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم، ثم قال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فقال الأنصار بعضهم لبعض: أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته، قال أبو هريرة وجاء الوحي وكان إذا جاء لا يخفى علينا، فإذا جاء ليس أحد

مقولة الأنصار

---

(١) الفتح جـ ٧ ص ٦٠٣.

(٢) مسلم في باب الجهاد رقم ١٧٨٠ وأبو داود ٣٠٢٤ وأحمد ٢/ ٥٣٨.

يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى ينقضي الوحي. قال رسول الله: يا معشر الأنصار، قالوا: لبيك يا رسول الله، قال قلتم أما الرجل فأدركته رغبة في قريته، قالوا: قد كان ذلك، قال: كلا إني عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله واليكم. والمحيا محياكم والممات مماتكم. فأقبلوا يبكون ويقولون: والله ما قلنا الذي قلنا إلاّ للضن بالله ورسوله. فقال رسول الله: فإن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم الحديث[1]. قالوا ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى ذي طوى وقف على راحلته معتجراً بشقة برد أحمر وعليه المغفر وهو يقرأ سورة الفتح[2] ويرجّع وإنه ليضع رأسه تواضعاً لله وشكراً له حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، وخضوعاً لعظمته أن أحل له بلده ولم يحله لأحد بعده، حتى إن عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل ـ والعثنون بالعين والمثلثة والنونين بينهما واو هي اللحية أو ما فضل منها بعد العارضين كذا في القاموس

الرسول يقرأ سورة الفتح

وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أمرائه ألاّ يقاتلوا إلاّ من قاتلهم، إلاّ أنه عهد في نفر سماهم أمرهم بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة[3]: الحويرث بن نفيل وهلال بن خطل وهبار بن الأسود ومقيس بن صبابة وعبد الله بن أبي سرح وعكرمة بن أبي جهل وقينتان لابن خطل كانتا تغنيان بهجاء رسول الله ومولاة لبعض بني المطلب اسمها سارة. فأما ابن خطل فقتله أبو برزة الأسلمي وهو متعلق بأستار الكعبة وقيل قتله الزبير، وأما الحويرث ومقيس وإحدى القينتين فقتلوا وكان مقيس قد أسلم ثم ارتد ولحق بالمشركين، وأما هبار بن الأسود فهو الذي عرض لزينب بنت رسول الله حين هاجرت حتى سقطت على صخرة فأسقطت جنينها ففر وأسلم وحسن إسلامه، واستؤمن رسول الله لسارة وإحدى القينتين فأمنهما فأسلمتا، وأما ابن أبي سرح فإنه أسلم فجاء به عثمان بن عفان فاستأمن له رسول الله فأمنه بعد أن

أمره ﷺ بقتل رجال ونساء

---

(١) أخرجه مسلم ١٧٨٠ وقد سبق تخريجه وهو جزء من حديث أبي هريرة السابق.

(٢) كما في حديث ابن معقل رضي الله عنه كما في البخاري ٤٢٨١ ومسلم ٧٩٤.

(٣) ابن خطل ورد ذكر إهدار دمه في البخاري ٤٢٨٦ ومسلم ١٣٥٧ وأما المرأتان ومقيس بن صبابة وعكرمة وابن خطل وابن أبي السرح فقد ورد ذكرهم في حديث مصعب بن سعد وقد أخرجه النسائي ٧/ ١٠٥ وأبو داود ٢٦٨٣ والبيهقي في السنن ٧/ ٤٠ والحاكم في المستدرك ٣/ ٤٥ وصححه ووافقه الذهبي.

أمسك رجاء أن يقوم إليه بعض الصحابة فيقتله، وكان قد أسلم قبل ذلك ثم هاجر ثم ارتد ورجع إلى مكة، وأما عكرمة فاستأمنت له امرأته بعد أن هرب فقدم وأسلم وحسن إسلامه[١].

دخوله ﷺ البيت وتحطيم الأصنام

ثم نهض رسول الله ﷺ والمهاجرون والأنصار بين يديه وخلفه وحوله حتى دخل المسجد، فأقبل إلى الحجر الأسود فاستلمه، ثم طاف بالبيت وفي يده قوس، وحول البيت وعليه ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنها في عيونها بالقوس ويقول «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد» والأصنام تتساقط على وجوهها، وكانت مثبتة بالحديد والرصاص[٢].

طوافه بالبيت ودخوله الكعبة

وكان طوافه على راحلته، ولم يكن محرماً يومئذ فاقتصر على الطواف. قلت كذا ذكر في الهدي[٣]. وفي صحيح مسلم[٤] من حديث أبي هريرة: فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلا عليه حتى نظر إلى البيت، فجعل يحمد الله ويدعو ما شاء أن يدعو. انتهى. ثم دعا بعثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة فأمر بها ففتحت فدخلها وفيها الصور، ورأى صورة إبراهيم وإسماعيل يستقسمان بالأزلام، فقال: قاتلهم الله، والله ما استقسما بها قط. ورأى في الكعبة حمامة من عيدان فكسرها بيده، وأمر بالصور فمحيت، ثم أغلق عليه الباب وعلى أسامة وبلال وعثمان بن طلحة فاستقبل الجدار الذي يقابل الباب حتى إذا كان بينه وبينه قدر ثلاثة أذرع وقف وصلى هناك. وفي الترمذي[٥] عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أراد أن يدخل البيت وفيه الآلهة فأمر بها فأخرجت، فأخرجوا صورة ابراهيم وإسماعيل في أيديهما الأزلام فقال رسول الله: قاتلهم الله، أما والله لقد علموا أنهما لم يستقسما بها قط. فدخل البيت وكبر في نواحيه ولم يصل. ولمسلم عن ابن عباس أخبرني أسامة بن زيد أن النبي ﷺ لما دخل البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل فيه حتى

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٣/ ٥١ ـ ٥٢ ـ ٥٣.

(٢) أخرجه البخاري برقم ٤٢٨٧ ومسلم برقم ١٧٨١ والترمذي برقم ٣١٣٧.

(٣) زاد المعاد ٣/ ٤٠٦.

(٤) مسلم برقم ١٧٨٠.

(٥) الحديث رواه البخاري برقم ١٦٠١ ومسلم برقم ٢٣٦٤ والنسائي برقم ٣٨٦٤ وأبو داود برقم ١٧٣٢ وأحمد والحديث ليس في سنن الترمذي.

خرج، فلما خرج ركع في قبل البيت ركعتين. انتهى[1].

صلاته في الكعبة

وفي حديث ابن عمر عند مسلم قال بلال: جعل عمودين عن يساره وعموداً عن يمينه وثلاثة أعمدة وراءه وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ثم صلى[2]. انتهى. ثم دار في البيت وكبر في نواحيه ووحد الله، ثم فتح الباب وقريش قد ملأت المسجد صفوفاً ينظرون ماذا يفعل، فأخذ بعضادتي الباب وهم تحته فقال: لا إله إلاّ الله وحده

خطبته عليه الصلاة والسلام

لا شريك له، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو مال أو دم فهو تحت قدمي هاتين إلاّ سدانة البيت وسقاية الحاج، ألا وقتل الخطأ شبه العمد السوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الإبل أربعون منها في بطونها أولادها[3]. يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب. ثم تلا هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ الآية[4]. ثم قال: يا معشر قريش، ما

العفو عن الجميع

تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم. قال: فإني أقول لكم كما قال يوسف لأخوته ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾. اذهبوا فأنتم الطلقاء[5]. ثم جلس في المسجد. فقام إليه علي ومفتاح الكعبة في يده فقال: يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك. وفي رواية أن الذي قال

مفتاح الكعبة

ذلك العباس بن عبد المطلب. فقال رسول الله ﷺ: أين عثمان بن طلحة؟ فدعى له، فقال: هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء. وفي رواية: وكان النبي ﷺ يريد

---

(١) رواه البخاري برقم ٤٢٨٨، ٤٢٨٩.

(٢) رواه مسلم برقم ١٣٢٩.

(٣) رواه بمعناه عن ابن عمر الإمام أحمد وأبو داود ٤٥٤٧ وابن ماجه ٢٦٢٧ وهو حديث حسن بشواهده.

(٤) رواه بمعناه عن ابن عمر ابن أبي حاتم كما ذكره ابن كثير في التفسير ويشهد له حديث أبي هريرة عند أحمد ٢/ ٣٦١ وأبي داود ٥١١٦ وهو حسن.

(٥) رواه أحمد في المسند ٢/ ١١ وفي سنده ضعف ورواه ابن إسحاق بسند معضل سيرة ابن هشام ٤/ ٥٥ وهو ضعيف انظر تخريج الألباني لفقه السيرة ص ٤١٥ وقد جاء في تسميتهم بالطلقاء في البخاري برقم ٤٣٣٧.

أن يدفعه إلى العباس فأنزل الله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ الآية. وذكر ابن سعد في الطبقات عن عثمان بن طلحة قال: كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس، فأقبل النبي ﷺ يريد أن يدخل الكعبة مع الناس فأغلقته ونلت منه، فحلم عني ثم قال: يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت. فقلت: لقد هلكت قريش يومئذ وذلت. فقال: بل عمرت وعزت يومئذ. ودخل الكعبة فوقعت كلمته مني موقعاً ظننت أن الأمر سيصير إلى ما قال، فلما كان يوم الفتح قال: يا عثمان ائتني بالمفتاح، فأتيته به فأخذه ثم دفعه إلي وقال: خذوها تالدة خالدة لا ينزعها منكم إلاَّ ظالم[١]. يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف. قال: فلما وليت ناداني فقال: ألم يكن الذي قلتُ لك؟ قال فذكرت قوله لي قبل الهجرة فقلت: بل أشهد أنك رسول الله انتهى. وأمر رسول الله ﷺ بلالاً أن يصعد فيؤذن على الكعبة، وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام وأشراف قريش جلوس بفناء الكعبة، فقال عتاب: لقد أكرم الله أسيداً ألاَّ يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه. فقال الحارث: أما والله لو أعلم أنه حق لاتبعته. فقال أبو سفيان: والله لا أقول شيئاً، ولو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصباء. فخرج عليهم النبي ﷺ فقال لهم: قد علمت الذي قلتم، ثم ذكر لهم ذلك. فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله، والله ما اطلع على هذا أحد معنا فنقول أخبرك[٢].

أذان بلال رضي الله عنه

وفي البخاري[٣] عن أسامة بن زيد أنه قال زمن الفتح: يا رسول الله أين ننزل غداً؟ قال النبي ﷺ: وهل ترك لنا عقيل من منزل؟ وفي رواية وهل ترك لنا عقيل من رباع أو دور؟ وكان عقيل ورث أبا طالب هو وطالب ولم يرث جعفر ولا علي شيء

نزوله ﷺ بمكة

(١) أحاديث رد المفتاح إلى عثمان رويت من عدة طرق ضعيفة يقوى بعضها بعضاً انظر فتح الباري ٧/ ٦١٢.

(٢) حديث أذان بلال رضي الله عنه ذكره الذهبي في المغازي ص ٥٥٥ والبيهقي في الدلائل جـ ٥/ ٧٨ وطرقه يقوي بعضها بعضاً.

(٣) أخرجه البخاري برقم ٤٢٨٢.

لأنهما كانا مسلمين وكان عقيل وطالب كافرين، وكان عمر بن الخطاب يقول: لا يرث الكافر المؤمن ولا المؤمن الكافر. وفي رواية أخرى[1] قال عليه السلام: منزلنا إن شاء الله إذا فتح الله الخيف حيث تقاسموا على الكفر، يعني به المحصب، وذلك أن قريشاً وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني المطلب أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم النبي ﷺ كما تقدم.

فصل

صلاته في دار أم هانىء

ثم دخل رسول الله ﷺ دار أم هانىء بنت أبي طالب فاغتسل وصلى ثمان ركعات في بيتها وكانت ضحى كما في الصحيحين من حديث أم هانىء[2]. وفي رواية لم أره صلى صلاة قط أخف منها غير أنه أتم الركوع والسجود فظنها من ظنها صلاة الضحى، وإنما هذه صلاة الفتح. وكان أمراء الإسلام إذا فتحوا حصناً أو بلداً صلوا عقيب الفتح هذه الصلاة اقتداءً برسول الله وفي هذه القصة ما يدل على أنها بسبب الفتح شكراً لله عليه فإنها قالت ما رأيته صلاهما قبلها ولا بعدها. وأجارت أم هانىء حموين لها فقال النبي ﷺ: قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء وقد كان أخوها علي بن أبي طالب أراد أن يقتلهما فأغلقت باب بيتها وذهبت إلى النبي ﷺ فقال لها ذلك[1].

خطبته في اليوم الثاني

فلما كان الغد من يوم الفتح قام رسول الله ﷺ في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه كما في البخاري عن أبي شريح العدوي أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولاً قام به رسول الله الغد من يوم الفتح، سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به، إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله حرمها ولم يحرمها الناس، لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ولا يعضد بها شجراً، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله فقولوا له: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار، وقد

---

(١) أخرجه البخاري برقم ٤٢٨٤.

(٢) أخرجه البخاري برقم ١١٧٦، ٤٢٩٢ ومسلم برقم ٣٣٦ والترمذي ٤٧٤ وأبو داود ١٢٩١.

عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب. . الحديث[١].

ولمسلم[٢] من حديث ابن عباس قال رسول الله ﷺ يوم الفتح فتح مكة: لا هجرة، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا. وقال يوم الفتح فتح مكة: إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، إنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلاَّ ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا تلتقط (ساقطته) إلاَّ من عرَّفها، ولا يختلى خلاه. فقال العباس: يا رسول الله إلاَّ الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم، فقال: إلاَّ الإذخر. وفي رواية له عن أبي هريرة أن خزاعة طلبت رجلاً من بني ليث عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه، فأخبر بذلك رسول الله، فركب راحلته فخطب فقال: إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين، ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي ولن تحل لأحد بعدي، ألا وإنها أحلت لي ساعة من نهار ألا وإنها ساعتي هذه حرام، ولا يخبط شوكها ولا يعضد شجرها ولا تلتقط ساقطتها إلاَّ لمنشد، ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين: إما أن يعطي يعني الدية وإما أن يقاد أهل القتيل. قال فجاء رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه فقال: اكتب لي يا رسول الله، فقال: اكتبوا لأبي شاه. . الحديث.

فضالة بن عبيد يهم بقتل الرسول

وفي الهدي[٣]: وهمَّ فضالة بن عمير بن الملوح أن يقتل رسول الله وهو يطوف بالبيت فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ: أفضالة. قال نعم. قال ماذا تحدِّث به نفسك؟ قال: لا شيء كنت أذكر الله. فضحك النبي ﷺ ثم قال: استغفر الله. ثم وضع يده إلى صدره فسكن قلبه. وكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئاً أحب إليَّ منه. قال فضالة: فرجعت إلى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها فقالت شعراً فأجبتها شعراً:

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا　　　يـأبـى الإلـه عليـك والإسـلام

---

(١) أخرجه البخاري برقم ٤٢٨٧ ومسلم برقم ١٧٨١ والترمذي ٣١٣٨.

(٢) أخرجه مسلم برقم ١٣٥٥ وأخرجه البخاري برقم ٢٤٣٤.

(٣) زاد المعاد ٣/ ٤١٢.

لـو قـد رأيـت محمـداً وقبيلـه ... بـالفتـح يـوم تكسـر الأصنـام
لـرأيـت ديـن الله أضحـى بيننـا ... والشـرك يغشـى وجهـه الإظلام

فرار صفوان

وفر يومئذٍ صفوان بن أمية، فاستأمن له عمير بن وهب الجمحي رسول الله ﷺ فأمنه وأعطاه عمامته التي دخل بها مكة، فلحقه عمير وهو يريد أن يركب البحر فرده وقال: يا صفوان فداك أبي وأمي، اذكر الله في نفسك أن تهلكها، فهذا أمان رسول الله قد جئتك به. فقال: أغرب عني فلا تكلمني. قال أي صفوان فداك أبي وأمي أفضل الناس وأبر الناس وخير الناس ابن عمك، عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك. قال: إني أخافه على نفسي. قال: هو أحلم من ذلك وأكرم. فرجع معه حتى وقف به على رسول الله فقال: هذا يزعم أنك أمنتني قال: صدق. قال: فاجعلني بالخيار شهرين. قال: أنت بالخيار أربعة أشهر[١].

فصـل

بيعة أهل مكة

ثم اجتمع الناس للبيعة، فجلس لهم رسول الله ﷺ على الصفا يبايع الناس، وعمر بن الخطاب أسفل منه يأخذ على الناس، فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا[٢]. وفي المستدرك: روي أن النبي ﷺ لما فرغ من بيعة الرجال أخذ في

بيعة النساء

بيعة النساء وهو على الصفا وعمر قاعد أسفل منه يبايعهن بأمره ويبلغهن عنه، فجاءت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنكرة خوفاً من رسول الله أن يعرفها لما صنعت بحمزة، فقال رسول الله ﷺ أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً، فبايع عمر النساء على أن لا يشركن بالله شيئاً[٣]. فقال رسول الله ﷺ ولا تسرقن. فقالت هند: إن أبا سفيان رجل شحيح فأنا أصبت من ماله هنات. فقال أبو سفيان: ما أصبت فهو لك حلال. فضحك رسول الله وعرفها فقال لها: وإنك لهند؟ قالت: نعم فاعف عما

---

(١) الدرر لابن عبد البر ص ٢٦٤ وسبل الهدى والرشاد ص ٢٣٥ جـ ٥.
(٢) ذكر البيعة أخرجه البخاري ٤٣٠٥، ٤٣٠٦ ومسلم ١٨٦٣ وأحمد ٣/ ٤٦٨ وكذا رواها من طريق أخرى من حديث الأسود بن خلف، الإمام أحمد ٣/ ٤١٥، ٤/ ٦٨ والحاكم في المستدرك ٣/ ٢٩٦ وسنده حسن.
(٣) حديث بيعة النساء أخرجه الإمام أحمد ٦/ ٣٦٥ وسنده حسن.

سلف يا نبي الله عفا الله عنك. فقال ولا يزنين. فقالت أوَتزني الحرة. فقال: ولا يقتلن أولادهن. فقالت ربيناهم صغاراً وقتلوهم كباراً، فأنتم وهم أعلم. وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر. فضحك عمر حتى استلقى. فتبسم رسول الله فقال: ولا يأتين ببهتان. فقالت: والله إن البهتان لأمر قبيح، وما تأمرنا إلاَّ بالرشد ومكارم الأخلاق. فقال: ولا يعصينك في معروف. فقالت: والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك.

ولما رجعت جعلت تكسر صنمها، وتقول: كنا منك في غرور.

وفي الصحيح[1] عن مجاشع قال: أتيت النبي ﷺ بأخي بعد الفتح فقلت: يا رسول الله جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة. قال: ذهب أهل الهجرة بما فيها. فقلت: على أي شيء تبايعه؟ قال: أبايعه على الإسلام والإيمان والجهاد.

تحديد أنصاب الحرم

قال في الهدي[2]: وأمر رسول الله ابن أسد الخزاعي فحدد أنصاب الحرم. وبث رسول الله ﷺ سراياه إلى الأوثان التي كانت حول الكعبة فكسرت كلها، منها اللات والعزَّى ومناة الثالثة الأخرى، ونادى مناديه بمكة: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنماً إلاَّ كسره.

سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة من كنانة

قال ابن سعد[3]: ولما رجع خالد من هدم العزَّى ورسول الله مقيم بمكة بعثه إلى بني جذيمة داعياً لهم إلى الإسلام، فخرج في ثلاثمائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار وبني سليم فلما انتهى خالد إليهم قال: ما أنتم؟ قالوا مسلمون صبأنا وصدقنا بمحمد وبنينا المساجد في ساحتنا. وفي صحيح البخاري[4] بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا

---

(١) أخرجه البخاري ٤٣٠٥ ومسلم ١٨٦٣.

(٢) زاد المعاد ٣/ ٤١٣.

(٣) الطبقات الكبرى ٢/ ١٤٧.

(٤) أخرجه البخاري برقم ٤٣٣٩.

أسلمنا فجعلوا يقولون «صبأنا صبأنا» فجعل خالد يقتلهم ويأسرهم، ودفع إلى كل رجل ممن كان معه أسيراً، فأمر يوماً أن يقتل كل رجل أسيره، فأبى ابن عمر وأصحابه حتى قدموا على النبي ﷺ فذكروا له فرفع ﷺ يديه وقال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد مرتين. وفي الهدي: فلما كان في السحر نادى خالد: من كان معه أسير فليضرب عنقه. فأما بنو سليم فقتلوا من كان بأيديهم، وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أسراهم، فبلغ النبي ﷺ فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد. وبعث علياً فودى لهم قتلاهم وما ذهب منهم، وكان بين خالد وعبد الرحمن بن عوف كلام وشر، فبلغ النبي ﷺ فقال: مهلاً يا خالد، دع عنك أصحابي، فوالله لو كان أُحُد ذهباً ثم أنفقته في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا روحته[1].

عدد من شهد الفتح

قال ابن إسحاق: وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف، من سليم سبع مائة وقيل ألف ومن غفار أربعمائة ومن أسلم أربعمائة ومن مزينة ألف وثلاثة نفر وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد.

ما قيل من الشعر في فتح مكة

وكان مما قيل في الشعر في يوم الفتح قول حسان بن ثابت:

عفت ذات الأصابع فالجواء ... إلى عذراء منزلها خلاء
ديار من بني الحسحاس قفر ... تعفتها الروامس والسماء
وكانت لا يزال بها أنيس ... خلال مروجها نعم وشاء
فدع هذا ولكن من لطيف ... يؤرقني إذا ذهب العشاء
لشعثاء التي قد تيمته ... فليس لقلبه منها شفاء
كأن خبيئة من بيت رأس ... يكون مزاجها عسل وماء
إذا ما الأشربات ذكرن يوماً ... فهن لطيب الراح الفداء

---

(١) في صحيح مسلم ٤/ ٢٥٤١ (كان بين ابن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيء فسبه خالد فقال رسول الله ﷺ (لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه).

نوليها الملامة إن ألمنا ... إذا ما كان مغث أو لحاء

ونشربها فتتركنا ملوكاً ... وأسداً ما ينهنهنا اللقاء

عدمنا خيلنا إن لم تروها ... تثير النقع موعدها كداء

ينازعن الأعنة مصعدات ... على أكتافها الأسل الظماء

نساء بني أمية صاغرات ... عرتهن المذلة والرداء

تظل جيادنا متطمرات ... تلطمهن بالخمر النساء

فإما تعرضوا عنا اعتمرنا ... وكان الفتح وانكشف الغطاء

وإلاّ فاصبروا لجلاد يوم ... يعزّ الله فيه من يشاء

وجبريل رسول الله فينا ... وروح القدس ليس له كفاء

وقال الله قد أرسلت عبداً ... يقول الحق إن نفع البلاء

وقال الله قد سيرت جنداً ... هم الأنصار عرضتها اللقاء

لنا في كل يوم من معد ... سباب أو قتال أو هجاء

فنحكم بالقوافي من هجانا ... ونضرب حين تختلط الدماء

ألا أبلغ أبا سفيان عني ... مغلغلة فقد برح الخفاء

بأن سيوفنا تركتك عبداً ... وعبد الدار سادتها الإماء

هجوت محمداً فأجبتُ عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء

أتهجوه ولست له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء

هجوت مباركاً براً حنيفاً ... رسول الله شيمته الوفاء

فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء

فإن أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء

لساني صارم لا عيب فيه ... وبحري لا تكدره الدلاء

قال ابن هشام: قالها حسان قبل يوم الفتح، وبلغني عن الزهري أنه قال: لما رأى رسول الله النساء يلطمن الخيل بالخمر تبسم إلى أبي بكر[1]. وقال في

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٥/ ٦٦ قال الحافظ في الفتح أخرجه البيهقي بإسناد حسن.

الهدي[1]: كان قد قالها في عمرة الحديبية وذكرها بهذا اللفظ فيه، وذكر أكثرها مسلم في صحيحه[2].

فصـل[3]

في الإشارة إلى بعض ما في هذه الغزوة من الفقه واللطائف

كان صلح الحديبية مقدمة وتوطئة بين يدي هذا الفتح، أمن الناس به وكلم بعضهم بعضاً وتمكن من اختفى من المسلمين بمكة بإظهار دينه والدعوة إليه، ودخل بسببه بشر كثير في الإسلام، ولهذا سماه الله فتحاً.

وفيها أن أهل العهد إذا حاربوا من هم في ذمة الإمام صاروا حرباً له بذلك، فله أن يبيتهم في ديارهم، ولا يحتاج أن يعلمهم على سواء. وإنما يكون الاعلام إذا خاف منهم الخيانة.

وفيها انتقاض عهد جميعهم بذلك، ردئهم ومباشرهم، إذا رضوا بذلك وأقروا عليه ولم ينكروه، فإن الذين أعانوا بني بكر بعضهم.

وفيها أن رسول الكفار لا يقتل، فإن أبا سفيان ممن جرى عليه حكم انتقاض العهد ولم يقتله رسول الله.

وفيها جواز قتل الجاسوس وإن كان مسلماً، لأن عمر سأله قتل حاطب ولم يقل رسول الله لا يحل قتله بل قال: وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر... إلخ.

وفيها استحباب إظهار كثرة المسلمين وشوكتهم لرسل العدو كما أمر بإيقاد النيران، وأمر العباس أن يحبس أبا سفيان حتى عرضت عليه عساكر الإسلام.

وفيها البيان الصريح بأن مكة فتحت عنوة كما ذهب إليه جمهور أهل العلم،

---

(١) زاد المعاد ٣/ ٤١٦.

(٢) أخرجه مسلم برقم ٢٤٩٠.

(٣) هذا الفصل ملخص من زاد المعاد ٣/ ٤١٩.

ولا نعرف في ذلك خلافاً إلاّ عن الشافعي وأحمد في أحد قوليه، وسياق القصة أوضح شاهد لمن تأمله. انتهى ملخصاً من الهدي[1].

ما وقع في غزوة الفتح

وفي هذه الغزوة سرقت امرأة من بني مخزوم فأمر رسول الله ﷺ بقطع يدها كما في الصحيح عن عروة أن امرأة سرقت في غزوة الفتح ففزع قومها إلى أسامة بن زيد بن حارثة يشفعونه. قال عروة: فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسول الله فقال: أتكلمني في حد من حدود الله؟ فقال: استغفر لي يا رسول الله. فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ خطيباً فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد فإنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها. ثم أمر رسول الله بتلك المرأة فقطعت يدها، فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت. قالت عائشة: فكانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ رواه مسلم. وفيه فقالوا: من يجترىء عليه إلاّ أسامة بن زيد حب رسول الله. الحديث. وفي رواية عن عائشة قالت: كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع وتجحده[2].

متعة النساء

ومما وقع في غزوة الفتح إباحته متعة النساء ثم حرمها قبل خروجه من مكة كما ثبت في صحيح مسلم عن سبرة الجهني أنه غزا مع رسول الله ﷺ فتح مكة قال: فأقمنا بها خمس عشرة ليلة، ثلاثين بين ليلة ويوم. قال فأذن لنا رسول الله ﷺ في متعة النساء الحديث. وفي رواية فقال: يا أيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً[3]. وقال طائفة من العلماء إنها حرمت يوم خيبر ثم أبيحت ثم حرمت، منهم الشافعي وقال: لا أعلم شيئاً أبيح ثم حرم ثم أبيح ثم حرم إلاّ المتعة، واحتجوا بما ثبت في الصحيحين عن علي أن

---

(١) من ص ٤١٩ إلى ص ٤٤١ جـ ٣.

(٢) أخرجه البخاري برقم ٣٧٣٣ ومسلم برقم ١٦٨٨ وأبو داود برقم ٤٣٧٣ والترمذي برقم ١٤٣٠ والنسائي ٨/ ٧٣ وابن ماجة ٢٥٤٧.

(٣) أخرجه مسلم برقم ١٤٠٦ بعدة روايات ص ١٠٢٤ جـ ٢.

رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر، وعن لحوم الحمر الأنسية. قلت: وأجيب عن ذلك بأن هذا الحديث صحت روايته بلفظين وهذا أحدهما، والثاني الاقتصار على نهي النبي ﷺ عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر، هذه رواية ابن عيينة عن الزهري، قال قاسم بن أصبغ قال سفيان بن عيينة يعني أنه نهى عن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر لا عن نكاح المتعة، ذكره أبو عمر في التمهيد، ثم قال: على هذا أكثر الناس انتهى. قال في الهدي[1]: فتوهم بعض الرواة أن يوم خيبر ظرف لتحريمهن فرواه: حرم رسول الله المتعة زمن خيبر، فجاء بالغلط البين. فإن قيل فأي فائدة في الجمع بين التحريمين إذا لم يكونا قد وقعا في وقت واحد، وأين المتعة من تحريم الحمر؟ قيل: هذا الحديث رواه علي رضي الله عنه محتجاً به على ابن عمه عبد الله بن عباس في المسألتين، فإنه كان يبيح المتعة ولحوم الحمر فناظره علي في المسألتين فقيد تحريم الخمر زمن خيبر وأطلق تحريم المتعة، فقال: إنك امرؤ تائه، إن رسول الله ﷺ حرم المتعة، وحرم الحمر الأهلية يوم خيبر. والله أعلم.

قصر الصلاة

وفي البخاري[2] عن ابن عباس: أقام النبي ﷺ بمكة تسعة عشر يوماً يصلي ركعتين قال ابن عباس: ونحن إذا سافرنا فأقمنا تسعة عشر قصرنا، وإن زدنا أتممنا.

الفتح علامة أجل الرسول ﷺ

وفيه[3] عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم. قال فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم ما أريته دعاني يومئذ إلاَّ ليريهم مني، فقال: ما تقولون في ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ ﴾ حتى ختم السورة؟ فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا. قال بعضهم: لا ندري، ولم يقل شيئاً بعضهم. فقال لي يا ابن عباس أكذا تقول؟ قلت: لا قال: فما تقول؟ قلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله إذا جاء نصر الله، والفتح فتح مكة فذاك علامة أجلك، فسبح بحمد ربك

---

(١) ٣/ ٤٦١ فقد بسط العلامة ابن القيم رحمه الله القول في ذلك والكلام هنا ملخص من هناك.

(٢) أخرجه البخاري برقم ١٠٨٠.

(٣) أخرجه البخاري برقم ٤٩٧٠.

واستغفره إنه كان تواباً. قال عمر: ما أعلم منها إلاّ ما تعلم. وفيه[1] عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده. سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي. يتأول القرآن وفي رواية لمسلم[2] سبحانك وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك. قالت: قلت يا رسول الله ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتها تقولها؟ قال: جعلتها علامة في أمتي إذا رأيتها قلتها ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ ﴾ والفتح فتح مكة، إلى آخر السورة.

غزوة حنين[3]

قال في المواهب[4]: وهو واد قرب ذي المجاز، وقيل ما بينه وبين مكة ثلاث أميال قرب الطائف، وتسمى غزوة أوطاس. قال في الهدي[5]: وهما موضعان بين مكة والطائف فسميت الغزوة باسم مكانهما.

سبب الغزوة

قال أهل السير: وسببهما أن الله لما فتح على رسوله مكة أطاعت له قبائل العرب كلها وأسلموا، إلاّ هوازن وثقيف فإنهم كانوا عتاة، فاجتمع أشرافهم فقالوا: إن محمداً قاتله قوم لم يحسنوا القتال ولم يكن لهم علم بالحرب فغلب عليهم، فإنه سيقصدنا فقبل أن يظهر ذلك منه سيروا إليه. فقصدوا محاربة المسلمين، واجتمعت هوازن وثقيف كلها، وكان على هوازن رئيسهم مالك بن عوف النضري، وعلى ثقيف قائدهم ورئيسهم قارب بن الأسود، واتفق معهما نضر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بني هلال وهم قليل، ولم يشهد من قيس عيلان إلاّ هؤلاء، واجتمعوا في أربعة آلاف مقاتل وخرجوا بأموالهم وأولادهم ونسائهم لئلا يفروا، وكان فيهم دريد بن الصمة في بني جشم وكان شيخاً كبيراً قد عمي من الكبر وكان له مائة

دريد بن الصمة

---

(١) أخرجه البخاري برقم ٤٩٦٨.

(٢) أخرجه مسلم برقم ٢١٨، ٢٢٠.

(٣) وهي تسمى الآن بالشرائع انظر تعليق حمد الجاسر ص ٤٧١ على كتاب المناسك للحربي وكتاب قلب جزيرة العرب.

(٤) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني جـ ١ ٥٩٦.

(٥) زاد المعاد ٣/ ٤٦٥.

وخمسون سنة، وكان صاحب رأي وتدبير وله معرفة بالحروب، فساروا حتى انتهوا إلى أوطاس، فلما نزلوا بأوطاس اجتمع الناس ـ وفيهم دريد بن الصمة ـ فلما نزل قال: في أي واد أنتم؟ قالوا بأوطاس قال: نعم مجال الخيل، لا حزن ضرس، ولا سهل دهس. قال: ما لي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء؟ قيل ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم. قال أين مالك؟ فدعي له فقال: يا مالك إنك أصبحت رئيس قومك، وإن هذا اليوم له ما بعده من الأيام، ما لي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء؟ قال: سقت مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله ليقاتل عنهم. قال: راعي ضأن والله، وهل يرد المنهزم شيء؟ إن كانت لك لم ينفعك إلاّ رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك. ثم قال: ما فعلت كعب وكلاب؟ قالوا: لم يشهدها منهم أحد. قال غاب الجد والحد، لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب، فمن شهدها منكم؟ قالوا عمرو بن عامر وعوف بن عامر، قال ذانك الجذعان لا ينفعان ولا يضران، يا مالك إنك لم تصنع بتقديم بيضة هوازن في نحور الخيل شيئاً ارفعهم إلى ممتنع بلادهم وعلياء قومهم، ثم الق الصبأة على متون الخيل، فإن كانت لك لحق بك من ورائك. وإن كانت عليك ألفاك ذاك وقد أحرزت أهلك ومالك. قال لا والله لا أفعل، إنك قد كبرت وكبر عقلك، والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لأنكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري. وكره أن يكون لدريد فيها ذكر ورأي. قالوا أطعناك[1]. قال دريد: هذا يوم أشهده ولم يفتني.

يا ليتني فيها جذع ... أخبُّ فيها وأضع
أقود وطفاء الزمع ... كأنها شاة صدع

وبعث مالك بن عوف عيوناً من رجاله فأتوه وقد تفرقت أوصالهم فقال: ويلكم ما شأنكم؟ قالوا رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلق، والله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى. فوالله ما رده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد.

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٥/ ١٢٠ وهو في سيرة ابن هشام أخرجه ابن حبان كما في موارد الظمآن ١٧٠٤ وأخرجه الإمام أحمد ٣/ ٣٧٦ وهو حديث طويل صحيح وسيأتي بعضه.

ولما سمع بهم النبي ﷺ بعث إليهم عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي وأمره أن يدخل في الناس، فدخل فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا عليه من حرب رسول الله فأتاه وأخبره الخبر[١].

ارساله ﷺ عيناً عليهم

فلما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى هوازن ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدراعاً وسلاحاً فأرسل إليه ـ وهو يومئذ مشرك ـ فقال: يا أبا أمية أعرنا سلاحك هذا نلقى فيه عدونا. فقال أغصباً يا محمد؟ فقال بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك. قال: ليس بهذا بأس. فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح، فزعموا أن رسول الله ﷺ سأله أن يكفيهم حملها ففعل[٢].

استعانته بدروع صفوان بن أمية

واستعمل رسول الله على مكة عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس[٣] ومعاذ بن جبل إماماً بها ومفقهاً لمن فيها. قال ابن عبد البر[٤] فأقام بها أميراً على مكة حتى قبض رسول الله وأقره أبو بكر، فلم يزل عليها إلى أن مات. وكانت وفاته فيما ذكر الواقدي يوم مات أبو بكر وماتا في يوم واحد. قال السهيلي قال أهل التعبير: رأى رسول الله ﷺ في المنام أسيد بن العاص والياً على مكة مسلماً فمات على الكفر، وكانت الرؤيا لولده عتاب حين أسلم، فولاه رسول الله على مكة وهو ابن إحدى وعشرين سنة.

استعماله عتاب بن أسيد

ثم خرج رسول الله ﷺ عامداً إلى حنين معه ألفان من أهل مكة وعشرة آلاف من أصحابه الذين فتح الله عليهم، فكانوا اثني عشر ألفاً[٥].

خروجه إلى حنين

---

(١) جزء من الحديث المتقدم.

(٢) جزء من الحديث المتقدم وقد أخرجه أيضاً أبو داود ٣٥٦٢ وأحمد في المسند ٣/ ٤٠١ والحاكم ٢/ ٤٧ وهو حديث حسن بشواهده.

(٣) ذكره ابن حجر في الإصابة ٢/ ٤٥١ من رواية أبي داود الطيالسي، وقال إسناده حسن وحسنه الألباني في تعليقه على فقه السيرة ص ٤٣٣.

(٤) الاستيعاب ٣/ ١٠٢٤ وذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة والبخاري في التاريخ الكبير رؤيا للرسول في عتاب بن أسيد.

(٥) سيرة ابن هشام ٣/ ٨٤ وتاريخ الطبري ٣/ ٧٣.

وذكر أن رجلاً قال يوم حنين: لن نغلب اليوم من قلة، فشق ذلك على رسول الله ﷺ[1] فخرج من مكة إلى حنين يوم السبت لست ليال خلون من شوال[2]، وخرج معه ناس من المشركين منهم صفوان بن أمية، فلما كان عشية فجاء فارس فقال: يا رسول الله إني طلعت جبل كذا وكذا فإذا أنا بهوازن على بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشائهم، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: تلك غنيمة للمسلمين غداً إن شاء الله. ثم قال: من يحرسنا الليلة؟ قال أنس بن أبي مرثد الغنوي: أنا يا رسول الله. قال اركب. فركب فرساً له فقال: استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه، ففعل. فلما أصبح جاء وقال: طلعت الشعبين كلاهما فلم أر أحداً. فقال له رسول الله: هل نزلت الليلة؟ قال لا إلاَّ مصلياً أو قاضي حاجة. فقال رسول الله: فلا عليك أن تعمل عملاً بعد هذا. رواه أبو داود[3].

اجعل لنا ذات أنواط

وعن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بالجاهلية، وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها «ذات أنواط» يأتونها كل سنة فيعلقون عليها أسلحتهم ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوماً. قال فرأينا ونحن نسير معه إلى حنين سدرة خضراء عظيمة فتنادينا من جنبات الطريق: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال لهم رسول الله ﷺ: الله أكبر، قلتم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة. قال إنكم قوم تجهلون. إنها السنن، لتركبن سنن من كان قبلكم. رواه الترمذي والإمام أحمد وابن أبي حاتم وابن جرير وابن إسحاق في السيرة وهذا لفظه[4]. قال العلماء في الكلام على هذا الحديث: فأنكر ﷺ عليهم

---

(١) من رواية يونس بن بكير في زيادات المغازي انظر الفتح ص ٦٢٢ جـ ٧ ووردت روايات ضعيفة في تحديد اسمه انظر مغازي الواقدي ٣/ ٨٩٠.

(٢) وهو قول الواقدي وتبعه ابن سعد وذكره مغلطاي في الإشارة ص ٣١٧ وقيل لخمس خلون من شوال وبه قال ابن إسحاق وروي عن ابن مسعود وبه قال عروة بن الزبير واختاره أحمد وابن جرير في تاريخه انظر فتح الباري ٧/ ٦٢١.

(٣) أخرجه أبو داود برقم ٢٥٠١ وهو حديث صحيح الإسناد.

(٤) رواه ابن إسحاق ـ ابن هشام ٤/ ١٢٠ وإسناده حسن، ورواه الترمذي برقم ٢٢٨١ وأحمد في=

مجرد مشابهتهم للمشركين في ذلك، فكيف بما هو أعظم من ذلك من الشرك بعينه، فإذا كان العكوف حول هذه الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف حولها اتخاذ إله مع الله، مع أنهم لا يسألونها ولا يعبدونها، فما الظن بالعكوف حول القبر والدعاء به ودعائه والدعاء عنده، فأي نسبة للفتنة بشجرة إلى الفتنة بالقبر لو كان أهل الشرك والبدعة يعلمون؟ قال بعض أصحاب مالك وهو أبو بكر الطرطوشي: فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون البرء والشفاء من قبلها ويضربون بها المسامير والخرق فاقطعوها. انتهى[1].

الاستعداد للقتال

فلما انتهى النبي ﷺ إلى حنين مساء ليلة الثلاثاء لعشر خلون من شوال كان قد سبقهم مالك بن عوف فأدخل جيشه بالليل في ذلك الوادي وفرقهم في الطرق والمداخل وحرضهم على قتال المسلمين وأمرهم أن يكمنوا لهم ويرشقوهم أول ما طلعوا ويحملوا عليهم حملة واحدة وقال: إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم، ثم شدوا شدة واحدة. فلما كان وقت السحر عبأ رسول الله ﷺ جيشه وعقد ألويته والرايات وفرقها على الناس، ثم ركب ﷺ بغلته البيضاء دلدل، ولبس درعين والمغفر والبيضة. قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله قال: لما استقبلنا وادي حنين انحدرنا في واد من أودية تهامة أجوف حطوط إنما ننحدر فيه انحداراً، وذلك في عماية الصبح، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي فكمنوا لنا في شعابه وأحنائه ومضايقه، قد أجمعوا وتهيأوا، فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلاَّ الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد، وانشمر الناس راجعين لا يلوي أحد على أحد، وانحاز رسول الله ذات اليمين ثم قال: إلي أيها الناس هلم إلي، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله، فلا شيء، حملت الإبل بعضها على بعض، فانطلق الناس إلاَّ أنه قد بقي مع رسول الله نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته، منهم أبو بكر وعمر وعلي بن أبي طالب والعباس

فرار بعض الصحابة

ثبات الرسول

= المسند ٥/ ٢١٨ والبيهقي في الدلائل ٥/ ١٢٥ وصححه الألباني انظر صحيح سنن الترمذي ٢/ ٢٣٥.

(١) كتاب الحوادث والبدع لأبي بكر الطرطوشي ص ١٨، ١٩.

وأبو سفيان بن الحارث وابنه الفضل وربيعة بن الحارث وأسامة بن زيد وأيمن بن عبيد وقتل يومئذ انتهى[1]. ولما رأى رسول الله ﷺ تفرقة أصحابه طفق يركض بغلته قبل الكفار، وكان العباس بن عبد المطلب أخذ بركابه الأيمن، وفي رواية: إن العباس بركابه الأيمن وأبو سفيان بالأيسر يكفآنها إرادة ألاً تسرع وهو يقول:

أنـــا النبـــي لا كـــذب أنـــا ابـــن عبـــد المطلـــب[2]

وثبت في الصحيحين من حديث شعبة عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب أنه قال له رجل: يا أبا عمارة أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ فقال: لكن رسول الله لم يفر، إن هوازن كانوا قوماً رماة، فلما لقيناهم وحملنا عليهم انهزموا فأقبل الناس على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فانهزم الناس، فلقد رأيت رسول الله على بغلته البيضاء فنزل واستنصر وقال: اللهم أنزل نصرك، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بلجام بغلته، وهو يقول:

أنـــا النبـــي لا كـــذب أنـــا ابـــن عبـــد المطلـــب

وفي رواية لمسلم: ولكنه خرج شبان أصحابه وخفافهم حسراً ليس عليهم سلاح ـ أو كبير سلاح ـ فلقوا قوماً رماة. لا يكاد يسقط لهم سهم، جمع هوازن وبني نضر فرشقوهم رشقاً ما يكادون يخطئون، فأقبلوا إلى رسول الله على بغلته البيضاء، فنزل واستنصر وقال: اللهم أنزل نصرك. قال البراء: وكنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا الذي يحاذى به[3]. وفي رواية سلمة بن الأكوع عند مسلم وقال عبد الله بن ابراهيم رحمه الله: فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن بغلته ثم قبض قبضة من تراب من الأرض ثم استقبل به وجوههم فقال: شاهت الوجوه. فما خلق الله منهم إنساناً إلاً ملأ عينيه تراباً من تلك القبضة فولوا مدبرين[4]. وفي حديث العباس عند مسلم فقال رسول الله: أي عباس، ناد أصحاب السمرة. فقال عباس ـ وكان

نداء العباس للمسلمين

---

(١) جزء من الحديث السابق ص ٤٢٠ رقم (١).

(٢) من حديث البراء بن عازب أخرجه البخاري ٤٣١٥ ومسلم ١٧٧٦ والترمذي ١٦٨٨.

(٣) أخرجه مسلم برقم ١٧٧٦.

(٤) أخرجه مسلم برقم ١٧٧٧.

رجلاً صيتاً ـ فقلت بأعلى صوتي: يا أصحاب السمرة. قال فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك يا لبيك. قال فاقتتلوا والكفار، والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار. ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج يا بني الحارث بن الخزرج. فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال: هذا حين حمى الوطيس. قال ثم أخذ رسول الله حصيات فرمى بهن في وجوه القوم ثم قال: انهزموا ورب محمد. قال فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته في ما أرى، فوالله ما هو إلاَّ أن رماهم بحصياته فما زلت أرى أحدهم كليلاً وأمرهم مدبراً[1]. قال وكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يركض خلفهم على بغلته. وفي رواية جابر عند ابن إسحاق[2]: فقال رسول الله ﷺ: اصرخ يا معشر الأنصار يا أصحاب السمرة فأجابوا لبيك لبيك. فجعل الرجل يذهب ليعطف بعيره فلا يقدر على ذلك فيقذف درعه في عنقه ويأخذ السيف وترسه ثم يؤم الصوت، حتى اجتمع إلى رسول الله منهم مائة فاستعرض الناس فاقتتلوا. قال جابر بن عبد الله: ما رجعت راجعة الناس حتى وجدوا الأسارى مكتفين بين يدي رسول الله، والتفت رسول الله إلى أبي سفيان بن الحارث وكان حسن إسلامه وممن صبر يومئذ معه وهو آخذ بثفين بغلته فقال: من هذا؟ قال ابن عمك يا رسول الله، وقال شيبة بن أبي عثمان بن أبي طلحة أخو بني عبد الدار وكان أبوه قتل يوم أحد: قلت: اليوم أدرك ثأري أقتل محمداً، فأردت رسول الله لأقتله، فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي فلم أطق ذلك وعلمت أني ممنوع منه. وفي سيرة ابن هشام: فعرفت أنه ممنوع مني.

شيبة بن أبي عثمان يحاول اغتيال الرسول

وذكر ابن أبي خيثمة حديث شيبة هذا قال: لما رأيت النبي ﷺ يوم حنين ذكرت أبي وعمي قتلهما حمزة قلت اليوم أدرك ثأري في محمد، فجئته عن يمينه فإذا أنا بالعباس قائماً عليه درع بيضاء، قلت عمه لن يخذله، فجئت عن يساره فإذا أنا بأبي سفيان بن الحارث قلت ابن عمه لن يخذله، فجئته من خلفه فدنوت ودنوت حتى لم

---

(١) أخرجه مسلم برقم ١٧٧٥ والإمام أحمد ١/ ٢٠٧ وعبد الرزاق في مصنفه برقم ٩٧٤١ والحاكم في المستدرك ٣/ ٣٢٧، ٣٢٨.

(٢) سيرة ابن هشام ٤/ ٨٦.

يبق إلاَّ أن أسوره سورة بالسيف فرفع إلي شواظ من النار كأنه البرق، فنكصت على عقبي القهقري، فالتفت رسول الله فقال: يا شيبة ادن، فدنوت، فوضع يده على صدري فاستخرج الله الشيطان من قلبي، فرفعت إليه بصري فهو أحب إلي من سمعي وبصري فقال لي يا شيبة هكذا قاتل الكفار، فقاتلت معه ﷺ. وفي رواية فمسح صدري وقال: اللهم أعذه من الشيطان، فوالله فهو كان ساعتئذ أحب إليّ من سمعي وبصري، وأذهب الله عني ما كان، ثم قال: ادن فقاتل، فتقدمت بين يديه، ولو لقيت تلك الساعة أبي أوقعت به السيف. فلما تراجع المسلمون كروا كرة واحدة، فركب بغلته ﷺ فاستوى عليها فخرج في أثرهم فتفرقوا في كل وجه، ورجع إلى معسكره فدخل خباءه، فدخلت عليه فقال: يا شيبة، الذي أراد الله خير مما أردت لنفسك. ثم حدثني بكل ما أضمرت في نفسي مما لم أكن أذكره لأحد قط. قلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. قلت: استغفر لي يا رسول الله. قال: غفر الله لك[1].

قال ابن إسحاق: فلما انهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من جفاة أهل مكة الهزيمة تكلم رجال بما في أنفسهم من الضغن، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وإن الأزلام لمعه في كنانته[2]. وصرخ جبلة بن الحنبل أخو صفوان بن أمية لأمه: ألا بطل السحر اليوم. فقال له صفوان بن أمية: اسكت فض الله فاك، فوالله، لأن يرَّبني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن[3].

انهزام هوازن

ولما انهزمت هوازن استحر القتل في ثقيف من بني مالك فقتل منهم سبعون رجلاً تحت رايتهم فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة وكانت معه راية ثقيف وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود، فلما انهزم الناس هرب هو وقومه من الأحلاف فلم يقتل منهم غير رجلين، ثم أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف، وعسكر بعضهم

---

(١) حديث شيبة. أخرجه الذهبي في المغازي ٥٨٤ بسند ضعيف والبيهقي في الدلائل ٥/ ١٤٥.
(٢) من رواية ابن إسحاق في السيرة لابن هشام ٤/ ٨٧. وهو معلق والواقدي ٣/ ٩١٠.
(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١٧٩ رواه أحمد وأبو يعلى ورجال أحمد رجال الصحيح وسنده حسن.

بأوطاس وتوجه نحو نخلة، وتبعت خيل رسول الله من سلك نخلة من الناس ولم تتبع من سلك الثنايا، فأدرك ربيعة بن رُفيع دريد بن الصمة فأخذ بخطام البعير وهو يظن أنه امرأة وذلك أنه كان في شِجار له فأناخ به فإذا شيخ كبير وإذا هو دريد ولا يعرفه الغلام، فقال له دريد: ماذا تريد بي؟ قال أقتلك. قال من أنت؟ قال أنا ربيعة بن رفيع السلمي. ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئاً. فقال بئس ما سلحتك أمك خذ سيفي من مؤخر الرحل ثم أضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ، فإني كنت كذلك أضرب الرجال، ثم إذا أتيت أمك أخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة، فرب والله يوم متعت فيه نساءك. فزعم بنو سليم أن ربيعة قال: لما ضربته فوقع تكشف فإذا عجانه ويطون فخذيه مثل القرطاس من ركوب الخيل عراء، فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه فقالت: والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً[1].

سرية أبي عامر الأشعري

وهو عم أبي موسى الأشعري. قال ابن إسحاق: ابن عمه، والأول أشهر[2]. وأوطاس واد معروف بين حنين والطائف. إن رسول الله ﷺ لما فرغ من حنين عقد لواء دفعه إلى أبي عامر الأشعري وأمره على جمع من الأصحاب وبعثه في آثار من توجه قبل أوطاس من فرار هوازن، فأدرك بعض المنهزمة فناوشوه القتال، فرمى أبو عامر بسهم فقتل، فأخذ الراية أبو موسى الأشعري ففتح الله عليه وهزمهم الله. وفي الصحيح[3] عن أبي موسى قال: لما فرغ النبي ﷺ من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس، فلقي دريد بن الصمة، فقتل دريداً وهزم الله أصحابه. قال أبو موسى:

جيش أوطاس

---

(١) رواه ابن إسحاق معلقاً كما في السيرة ٤/ ٩٦ وقد جزم ابن إسحاق أن ربيعة بن رفيع هو القاتل ورواية البخاري لم تحدد القاتل وإنما ذكر الحافظ ابن حجر رواية البزار عن أنس وحسَّن سندها مما يشعر أن القاتل هو الزبير بن العوام ثم جمع بين ذلك بقوله ويحتمل أن ابن الدغنة ـ ربيعة بن رفيع ـ كان في جماعة الزبير فباشر قتله فنسب إلى الزبير مجازاً [انظر الفتح ص ٦٣٨، جـ ٧].

(٢) من كلام الحافظ ابن حجر في الفتح ٧/ ٦٣٨..

(٣) أخرجه البخاري برقم ٤٣٢٣ ومسلم برقم ٢٤٩٨.

بعثني مع أبي عامر فرمى أبو عامر في ركبته فانتهيت إليه فقلت: يا عم من رماك؟ فأشار إلى أبي موسى فقال: ذاك قاتلي الذي رماني فقصدت له فلحقته فلما رآني ولى فاتبعته وجعلت أقول له ألا تستحي ألاّ تثبت؟ فكف، فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته ثم قلت لأبي عامر: قتل الله صاحبك. قال فانزع هذا السهم فنزعته فنزل منه الماء. قال: يا ابن أخي اقرىء النبي ﷺ مني السلام وقل له استغفر لي.. واستخلفني أبو عامر على الناس، فمكث يسيراً ثم مات. فرجعت فدخلت على النبي ﷺ في بيته على سرير مرمل وعليه فراش قد أثر رمال السرير بظهره وجنبه فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر وأنه قال قل له استغفر لي فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه وقال: اللهم اغفر لعبدك أبي عامر، ورأيت بياض إبطيه. ثم قال: اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك ومن الناس فقلت: ولي فاستغفر، فقال: اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً. وقال أبو بردة إحداهما لأبي عامر والأخرى لأبي موسى.

استغفار الرسول لأبي عامر

غنائم حنين

فأمر رسول الله ﷺ بالسبي والغنائم أن تجمع، فجمع ذلك كله وحبس بالجعرانة إلى أن فرغ من غزوة الطائف وكان السبي ستة آلاف رأس والإبل أربعة وعشرون ألفاً والغنم أكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية فضة، وكان على الغنائم مسعود بن عمرو الغفاري[1].

ما نزل من القرآن في حنين

قال ابن هشام وأنزل الله في حنين ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا ﴾. الآيات[2].

وروي أن المسلمين أخذوا السبايا يوم حنين وأوطاس، وكانوا يتكرهون نساء السبي إذا كن ذوات أزواج، فاستفتوا في ذلك رسول الله فنزل ﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ يريد ملكت أيمانهم من اللاتي سبين ولهن أزواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبي، قال أبو سعيد: أصبنا سبايا يوم أوطاس ولهن أزواج فكرهنا أن نقع عليهن، فسألنا النبي ﷺ فنزلت الآية فاستحللناهن. وأمر النبي ﷺ في سبايا حنين وأوطاس ألاّ توطأ حامل من السبي حتى تضع حملها، ولا

(١) أخرجه البزار وقال ابن حجر في الإصابة ١/ ١٤٥ إسناده حسن.
(٢) السيرة لابن هشام ٤/ ١٠١.

غير ذات حمل حتى تحيض حيضة، فسألوا عن العزل فقال: ليس من كل الماء يكون الولد، وإذا أراد الله أن يخلق شيئاً لم يمنعه شيء[1].

وأخذوا في جملة السبي الشيماء أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة، فقالت يا رسول الله إني أختك من الرضاعة. قال: وما علامة ذلك؟ قالت عضة عضضتنيها في ظهري وأنا متورّكتُك فعرف رسول الله العلامة فبسط لها رداءه فأجلسها عليه، وفي رواية: ودمعت عيناه، وخيّرها وقال: إن أحببت فأقيمي عندي محببة مكرمة، وإن أحببت أمتعتك وترجعي إلى قومك فعلت، قالت: بل تمتعني وتردني إلى قومي. فأسلمت ومتعها رسول الله وردها إلى قومها. فزعم بنو سعد أنه أعطاها غلاماً له يقال له مكحول وجارية، فزوجت أحدهما للآخر، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية[2].

الشيماء أخت الرسول

وقال في المواهب[3]: جاءته عليه السلام يوم حنين أمه من الرضاعة حليمة السعدية بنت أبي ذئب من هوازن، وهي التي أرضعته حتى أكملت رضاعه فالتفت إليها وبسط لها رداءه فجلست عليه[4]. واختلف في إسلامها وإسلام زوجها[5] كما اختلف في إسلام ثويبة[6].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٤٧٣، وانظر صحيح مسلم برقم ١٠٧٩/ ١٠٨٠.

(٢) رواه ابن إسحاق في السيرة لابن هشام ٤/ ١٠١ والذهبي في المغازي ٦١٠ وأسد الغابة ٥/ ٤٨٩ والإصابة ٤/ ٣٤٤ وسند الرواية منقطع.

(٣) ليس في المواهب وإنما في حاشية المواهب نقلاً عن الاستيعاب لابن عبد البر، انظر المواهب ١/ ١٥٠.

(٤) ذكره الطبري في التاريخ ١٠/ ١٠١ من مراسيل قتادة بإسناد حسن والبخاري في الأدب المفرد ٤٤٠ وأبو داود في السنن ٢/ ٦٣٠ وفي إسناده مجاهيل والحاكم في المستدرك ٣/ ٦١٨. وضعف إسناده الالباني في ضعيف سنن أبي داود ص ٥٠٨، ٥٠٩.

(٥) ترجم لها أغلب من ألف في الصحابة ولم يشكك في إسلامها غير الذهبي فإنه قال في تجريد الصحابة ولم يذكروا ما يدل على إسلامها وقد صرح ابن عبد البر في الاستيعاب وابن الجوزي في الحدائق ١/ ١٦٩ والمنتظم ٢/ ٢٧٠، وقد ألف الحافظ مغلطاي جزءاً في إسلامها كما ذكره الشامي في سبل الهدى والرشاد ١/ ٤٦٦. وكذلك زوجها انظر الروض الأنف.

(٦) ذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة ٩/ ٤٨ كلام ابن منده في إثبات إسلامها وقال أبو نعيم ولا أعلم أحداً أثبت إسلامها غير ابن منده انظر أسد الغابة ٧/ ٤٦ والإشارة لمغلطاي ٦٥.

من قتل قتيلاً فله سلبه

وفي الصحيح عن أبي قتادة قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة، فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين، فضربته من ورائه على حبل عاتقه بالسيف فقطعت الدرع، وأقبل عليّ وضمني ضمة وجدت منها ريح الموت ثم أدركه الموت فأرسلني، فلحقت عمر بن الخطاب فقلت: ما بال الناس؟ قال: أمر الله. ثم رجعوا. فجلس النبي ﷺ فقال: من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه. فقلت من يشهد لي؟ ثم جلست. فقال النبي ﷺ مثله، فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست. قال ثم قال النبي ﷺ مثله، فقمت فقال: مالك أبا قتادة؟ فأخبرته فقال رجل: صدق، وسلبه عندي فأرضه مني. فقال أبو بكر: لاها الله إذاً لا يعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه. فقال النبي ﷺ: صدق فأعطه، فأعطانيه، فابتعت به مخرفاً في بني سلمة، وأنه لأول مال تأثلته في الإسلام[١].

شهداء حنين

قالوا: واستشهد من المسلمين يوم حنين أربعة نفر منهم أيمن بن أم أيمن ويزيد بن زمعة بن الأسود وسراقة بن الحارث رجل من الأنصار وأبو عامر الأشعري، وقتل من المشركين أكثر من سبعين قتيلاً. والله أعلم[٢].

غزوة الطائف

هدم صنم ذي الكفين

قالوا: ولما أراد رسول الله ﷺ المسير إلى الطائف بعث الطفيل بن عمرو الدوسي إلى ذي الكفين صنم من خشب لعمرو بن جمحة ليهدمه ويوافيه بالطائف، فخرج الطفيل سريعاً فهدمه وجعل يحشوه النار ويحرقه ويقول:

يا ذا الكفين لست من عبادكا ... ميلادنا أقدم من ميلادكا

إني حشوت النار في فؤادكا

(١) أخرجه البخاري برقم ٤٣٢١ ومسلم برقم ١٧٥١ وأبو داود برقم ٢٧١٧ والترمذي برقم ١٥٦٢.

(٢) رواه ابن إسحاق معلقاً. سيرة ابن هشام ٤/ ١٠١.

وانحدر معه من قومه أربعمائة رجل سراعاً فوافوا النبي ﷺ بالطائف[1] بعد مقدمه بأربعة أيام وقدموا معهم بالمنجنيق والدبابة ـ بالدال المهملة وتشديد الموحدة ـ آلة تتخذ للحرب تدفع أصل الحصن فينقبونه وهم في جوفه. كذا في القاموس[2].

مسيرة إلى الطائف

قالوا: ولما فرغ رسول الله ﷺ من حنين لعشر من شوال في السنة الثامنة من الهجرة سار إلى الطائف يريد جمعاً من هوازن وثقيف قد هربوا من معركة حنين وتحصنوا بحصن الطائف، وقدّم خالد بن الوليد على مقدمته طليعة في ألف رجل، فسلك عليه الصلاة والسلام في طريقه إلى الطائف نخلة اليمانية ثم على قرن ثم على نحرة الرعاء من ليّة فابتنى فيها مسجداً فصلى فيه، وأقاد فيها يومئذ بدم رجل من هذيل قتله رجل من بني ليث فقتله به وهو أول دم أقيد به في الإسلام، ومر في طريقه بحصن مالك بن عوف فهدمه، ثم سلك في طريق فسأل عن اسمها فقيل الضيقه فقال: بل هي اليسرى. ثم خرج منها حتى نزل تحت سدرة قريباً من مال رجل من ثقيف، فأرسل إليه رسول الله ﷺ إما أن تخرج وإما أن نخرب عليك حائطك، فأبى أن يخرج فأمر بإخراجه. ثم مضى حتى انتهى إلى الطائف فنزل قريباً من حصنه فضرب به عسكره، فرموا المسلمين رمياً شديداً كأنه رجل جراد حتى أُصيب ناس من المسلمين بجراحة، وقتل منهم اثنا عشر رجلاً فيهم عبد الله بن أبي أُمية، ورمى يومئذ عبد الله بن أبي بكر الصديق فجرح فاندمل، ثم انتقض بعد ذلك فمات منه في خلافة أبيه، فارتفع ﷺ إلى موضع مسجد الطائف اليوم[3] ووضع عسكره هناك، وكان معه من نسائه أم سلمة وزينب فضرب لهما قبتين ثم صلى بينهما طول حصاره الطائف، فحاصرهم بضع عشرة ليلة وهو الصحيح[4]، وقيل بضعاً وعشرين ليلة، وفي حديث

أول قود في الإسلام

حصار الطائف

---

(١) انظر مغازي الواقدي ٣/ ٩٢٣. والطبقات لابن سعد ٢/ ١٥٧ والإشارة لمغلطاي ٣٢٢.

(٢) القاموس المحيط ١٠٦.

(٣) المعروف اليوم بمسجد عبد الله بن عباس رضي الله عنه.
وانظر الدرر لابن عبد البر ٢٧٤.

(٤) وهو قول ابن حزم ٢٤٣ جوامع السيرة.

أنس عند مسلم[1] فحاصرناهم أربعين ليلة، ونصب عليهم المنجنيق ورماهم، وهو أول منجنيق رمي به في الإسلام، وأمر ﷺ[2] بقطع أعناب ثقيف وتحريقها فقطعها المسلمون قطعاً ذريعاً، ثم سألوه أن يدعها لله وللرحم فقال: إني أدعها لله وللرحم.

النداء بالحرية لكل من خرج

ثم نادى مناديه عليه الصلاة والسلام[3]: أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا من الحصن فهو حر[4]، فخرج منهم بضعة عشر رجلاً، منهم أبو بكرة واسمه نفيع بن الحارث فتسور حصن الطائف وتدلى منه ببكرة مستديرة يستقي عليها فكناه رسول الله «أبا بكرة» فأعتق رسول الله ﷺ من نزل منهم. ودفع كل رجل إلى رجل من المسلمين يمونه، فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة، فلما أسلم أهل الطائف تكلم نفر منهم في أولئك العبيد، فقال رسول الله ﷺ: أولئك عتقاء الله. ولم يؤذن له في فتح الطائف سنتئذ.

عتقاء الله

وفي الصحيح عن أم سلمة قالت: دخل على النبي ﷺ وعندي مخنث، فسمعه يقول لعبد الله بن أبي أمية: يا عبد الله أرأيت إن فتح الله عليكم الطائف غداً فعليك بابنة غيلان، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان. فقال النبي ﷺ: لا يدخلن عليكن. وفي رواية له: وهو محاصر بالطائف يومئذ[5].

رجوع الرسول عن الحصار

وفي الصحيح أيضاً عن عبد الله بن عمرو قال: لما حاصر رسول الله ﷺ الطائف فلم ينل منهم شيئاً قال: إنا قافلون غداً إن شاء الله. فثقل عليهم وقالوا: نذهب ولا نفتحه؟ فقال: اغدوا على القتال، فغدوا فأصابهم جراح فقال: إنا قافلون غداً إن شاء الله، فأعجبهم، فضحك النبي ﷺ. وقال سفيان مرة: فتبسم. انتهى[6].

---

(١) أخرجه مسلم برقم ١٠٥٩.

(٢) رواه البيهقي في السنن ٩/ ٨٤ وإسناده مرسل وفيه مجاهيل.

(٣) أخرجه البخاري برقم ٤٣٢٦، ٤٣٢٧.

(٤) رواه أحمد في المسند ١/ ٢٤٨.

(٥) أخرجه البخاري ٤٣٢٤ ورواه مسلم برقم ١٧١٥ والمخنث يقال هيت نفاه الرسول ﷺ.

(٦) أخرجه البخاري برقم ٤٣٢٥.

عين أبي سفيان

وفقئت عين أبي سفيان بن حرب يومئذ، فذكر ابن سعد[١] أن النبي ﷺ قال له وهي في يده: أيهما أحب إليك، عين في الجنة أو أدعو الله أن يردها عليك؟ قال: عين في الجنة. ورمى بها. وشهد اليرموك فقاتل، وفقئت عينه الأخرى يومئذ. ذكره الحافظ زين الدين العراقي[٢].

دعاء واستعانة

وقال ﷺ لأصحابه: قولوا لا إله إلاّ الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. فلما ارتحل قال: قولوا آيبون عابدون، لربنا حامدون[٣]. قال العلماء: فانظر كيف كان ﷺ إذا خرج للجهاد يعتد لذلك بجمع الصحابة واتخاذ الخيل والسلاح وما يحتاج إليه من آلات الجهاد والسفر، ثم إذا رجع عليه الصلاة والسلام يتعرى من ذلك ويردّ الأمر كله لمولاه لا لغيره. وانظر إلى قوله عليه السلام وهزم الأحزاب وحده، فنفى ما تقدم ذكره، وهذا هو التوكل على الله حقاً، لأن الإنسان وفعله خلق لربه، فهو الذي خلق ودبر وأعان وأجرى الأمور على أيدي من يشاء ومن اختار من خلقه، فكل منه وإليه، ولو شاء الله أن يبيد أهل الكفر من غير قتال لفعل، قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ فيثيب الصابرين ويجزل الثواب للشاكرين. ولما قيل له ﷺ: ادع الله على ثقيف قال: اللهمّ اهد ثقيفاً وائت بهم[٤]. وذكر أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر وهو محاصر ثقيفا: يا أبا بكر إني رأيت أني أهديت إلي قبعة مملوءة زبداً فنقرها ديك فهرق ما فيها ـ وكان أبو بكر ماهراً في تعبير الرؤيا مشهوراً به بين العرب ـ فقال: ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد. فقال رسول الله: وأنا لأرى ذلك[٥]. ثم انصرف رسول الله ﷺ من الطائف ماراً على دَحنا ثم على قرن المنازل ثم على نخلة حتى خرج إلى الجعرانة

---

(١) الطبقات لابن سعد وانظر المواهب اللدنية جـ ١ ص ٦١١.

(٢) طرح التثريب ١/ ١٣٣.

(٣) أخرجه مسلم رقم ١٣٤٤ من حديث ابن عمر. قال كان رسول الله ﷺ إذا قفل من الجيوش أو السرايا أو الحج أو العمرة قال «آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده».

(٤) رواه الترمذي برقم ٣٩٤٢ والإمام أحمد ٣/ ٣٤٣ ورجاله ثقات.

(٥) رواه ابن إسحاق في السيرة ٤/ ١٢٢ بسند منقطع وانظر الطبري ٣/ ٨٤.

ونزلها وهي إلى مكة أدنى وبها قسم غنائم حنين. وفي هذا السفر أسلم صفوان بن أمية.

قسمة الغنائم

واستأنى ﷺ بهوازن ـ أي انتظر أن يقدموا عليه مسلمين ـ بضع عشرة، ثم بدأ يقسم الأموال فقسمها وأعطى أبا سفيان بن حرب مائة من الإبل. ثم إن أبا سفيان بن حرب جاء إلى النبي ﷺ والأموال من نقود وغيره مجموعة عنده فقال يا رسول الله أنت اليوم أغنى قريش، فتبسم ﷺ، فقال أبو سفيان: حظنا من هذه الأموال. فأمر ﷺ بلالاً فأعطاه مائة من الإبل وأربعين أوقية من الفضة، فقال: حظ ابني يزيد، فأعطاه أيضاً مائة من الإبل وأربعين أوقية. فقال أبو سفيان فأين حظ ابني معاوية، فأمر له أيضاً بمائة من الإبل وأربعين أوقية حتى أخذ أبو سفيان يومئذ ثلاثمائة من الإبل ومائة وعشرين أوقية من الفضة. فقال أبو سفيان: بأبي وأمي يا رسول الله، لأنت كريم في الحرب والسلم، هذا غاية الكرم جزاك الله خيراً. وأعطى صفوان بن أمية من الإبل مائة ثم مائة ثم مائة كذا في الشفا[1]. وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل فسأله مائة أخرى فأعطاه إياها. وأعطى الحارث بن الحارث بن كلدة أخا بني عبد الدار ـ وهو أخو النضر بن الحارث عدو الله ورسوله ـ أعطاه مائة من الإبل والحارث بن هشام أخا أبي جهل وعبد الرحمن ابن يربوع المخزوميين وسهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى والعلاء بن حارثة الثقفي وعده بعضهم في أهل الخمسين والأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزارى ومالك بن عوف النضري أعطى كل هؤلاء المسلمين من قريش وغيرهم على مائة بعير، وأعطى دون المائة رجالاً من قريش وغيرهم، منهم مخرمة بن نوفل وعمير بن وهب وهشام بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي، قال ابن إسحاق لا أحفظ ما أعطاهم إلاّ أنها دون المائة وأعطى سعيد بن يربوع المخزومي وعدي بن قيس السهمي وعثمان بن نوفل خمسين خمسين، وأعطى عباس بن مرداس إبلاً فسخطها كما في مسلم[2] وقال شعراً:

اعطاء المؤلفة قلوبهم

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى جـ ١ ص ١٤٦ وانظر صحيح مسلم برقم ٦٦٦ وأحمد ٦/ ٤٦٥.

(٢) أخرجه مسلم برقم ١٠٦٠.

أتجعل نهبي ونهب العبيد	بين عيينة والأقرع
فما كان بدر ولا حابس	يفوقان مرداس في مجمع
وما كنت دون امرىء منهما	ومن تضع اليوم لا يرفع

قال فأتم له رسول الله مائة. زاد ابن إسحاق[1] فقال رسول الله: إقطعوا عني لسانه. وممن أعطى رسول الله عدداً دون ذلك طليق بن سفيان بن أمية بن عبد شمس وخالد بن أسيد بن أبي العاص بن أمية وشيبة بن عثمان بن طلحة وهو الذي أراد الفتك برسول الله كما تقدم، وأبو السنابل بن بعكك بن الحارث من بني عبد الدار وزهير بن أبي أمية المخزومي أخو أم المؤمنين أم سلمة وخالد بن هشام بن المغيرة المخزومي وهشام بن الوليد أخو خالد وسفيان بن عبد الأسد بن هلال المخزومي والسائب بن أبي السائب المخزومي ومطيع بن الأسود أخو بني عدي وأبو جهم بن حذيفة العدوي وأحيحة بن عدي بن خلف الجمحي، ونوفل بن معاوية من بني بكر بن عبد مناة وعلقمة بن علاثة بن عوف وخالد بن هوذة وقال لرسول الله قائل من أصحابه: أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس مائة مائة وتركت جعيل بن سراقة الضمري، فقال رسول الله ﷺ: أما والذي نفس محمد بيده لجعيل بن سراقة خير من طلاع الأرض كلها مثل عيينة، ولكني تألفتهما ليسلما ووكلت جعيل بن سراقة إلى إسلامه. وفي الصحيحين عن عبد الله ولفظه لمسلم قال: لما كان يوم حنين آثر رسول الله ﷺ ناساً في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وأعطى عيينة مثل ذلك وأعطى ناساً من أشراف العرب وآثرهم يومئذ في القسمة، فقال رجل: والله إن هذه القسمة ما عدل فيها، وما أريد فيها وجه الله. قال فقلت: والله لأخبرنَّ رسول الله، قال فأتيته فأخبرته فغضب من ذلك غضباً شديداً واحمر وجهه حتى تمنيت أني لم أذكره له، ثم قال: فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟ ثم قال: يرحم الله موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر. قال قلت: لا جرم لا أرفع إليه حديثاً بعدها[2].

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ١٣٣.

(٢) أخرجه البخاري برقم ٤٣٣٦ ومسلم برقم ١٠٦٢.

ذو الخويصره يقدح في قسمة الرسول

ولمسلم[1] عن جابر بن عبد الله قال: أتى رجل بالجعرانة منصرفه من حنين وفي ثوب بلال فضة ورسول الله يقبض منها يعطي الناس، فقال: يا محمد اعدل. فقال: ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل. فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله أفأقتل هذا المنافق؟ فقال: معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، إن هذا وأصحابه يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون منه كما يرمق السهم من الرمية. وفي رواية ابن إسحاق عن عبد الله بن عمرو قال: جاء رجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة فوقف عليه وهو يعطي الناس فقال: يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم. فقال، أجل فكيف رأيت؟ قال: لم أراك عدلت. فغضب النبي ﷺ فقال: ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟ فقال عمر بن الخطاب ألا نقتله؟ قال دعه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية، ينظر في النصل فلا يوجد فيه شيء ثم في القدح فلا يوجد شيء، ثم في الفوق فلا يوجد شيء سبق الفرث والدم[2].

اخباره بخروج الخوارج

خطبته في الأنصار

وفي الصحيحين عن عبد الله بن زيد أن رسول الله ﷺ لما فتح حنين قسم الغنائم فأعطى المؤلفة قلوبهم، فبلغه أن الأنصار يحبون أن يصيبوا ما أصاب الناس. وللبخاري: فكأنهم وجدوا إذا لم يصبهم ما أصاب الناس، فقام رسول الله فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي، ومتفرقين فجمعكم الله بي؟ ويقولون: الله ورسوله أمنُّ. فقال ألا تجيبوني؟ فقالوا الله ورسوله أمن. فقال: أما إنكم لو شئتم أن تقولوا كذا وكذا وكذا وكان من الأمر كذا وكذا ـ لأشياء عددها زعم عمرو أنه لا يحفظها ـ فقال ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والإبل وتذهبون برسول الله إلى رحالكم؟ الأنصار شعار والناس دثار، ولولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وودياً لسلكت وادي الأنصار وشعبهم. إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض. وفي رواية أنس في الصحيحين أن ناساً من الأنصار قالوا:

---

(١) أخرجه مسلم برقم ١٠٦٤.

(٢) رواه ابن اسحاق في السيرة ٤/ ١٣٦ ورواه بنحوه البخاري برقم ٤٣٣٦ ومسلم برقم ١٠٦٢.

يغفر الله لرسوله، يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دماءهم. قال أنس: فحدثت بذلك رسول الله، فجمعهم في قبة من أدم، فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله فقال: ما حديث بلغني عنكم؟ فقال له فقهاء الأنصار: أما ذوو رأينا فلم يقولوا شيئاً، وأما أناس حديثة أسنانهم فقالوا يغفر الله لرسوله يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، قال ﷺ: فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبي إلى رحالكم؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به، قالوا يا رسول الله قد رضينا. فقال لهم النبي ﷺ: ستجدون أثرة شديدة، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله، فإني على الحوض، قالوا سنصبر. قال أنس: فلم يصبروا. وفي رواية ابن إسحاق عن أبي سعيد الخدري قال: ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟ قالوا بماذا نجيبك يا رسول الله، لله ولرسوله المن والفضل. قال: أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم: أتيتنا مكذباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فواسيناك. أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم، أما ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار. اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار. قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً. ثم انصرف رسول الله وتفرقوا[1].

فصل

هوازن تسأل رد السبي والمال

وقد كان وفد هوازن قد أسلموا وأتوا رسول الله ﷺ قبل أن يقسم أموالهم، وهم أربعة عشر رجلاً ورأسهم زهير بن صرد، وفيهم أبو برقان عم رسول الله من الرضاعة، فسألوه أن يمن عليهم بالسبي والأموال. وقال ابن إسحاق: حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو أن وفد هوازن أتوا رسول الله وقد أسلموا فقالوا: يا رسول الله إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى

---

(١) أخرجه البخاري برقم ٤٣٣١، ٤٣٣٤ ومسلم برقم ١٠٥٩ وأحمد ٣/ ١٦٥.

عليك، فامنن علينا من الله عليك. وقام رجل من هوازن يقال له زهير يكنى أبا صرد فقال: يا رسول الله إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك، ولو أنا مالحنا[1] للحارث بن شمر أو النعمان بن المنذر ثم نزل منا بمثل الذي نزلت به رجونا عطفه وعائدته علينا وأنت خير المكفولين[2].

وفي الصحيح من حديث الزهري أن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة أخبراه أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد إليهم سبيهم وأموالهم فقال لهم رسول الله ﷺ: معي من ترون، وأحب الحديث إليَّ أصدقه، فاختاروا إحدى الطائفتين إما المال وإما السبي. وقد كنت استأنيت ـ بكم وكان أنظرهم رسول الله بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف ـ فلما تبين لهم أن رسول الله غير راد إليهم إلاَّ إحدى الطائفتين قالوا: فإننا نختار سبينا. فقام رسول الله في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد فإن إخوانكم قد جاءوا تائبين، وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه نعطيه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل. فقال الناس: قد طيبنا ذلك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم. فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول الله فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا. هذا الذي بلغنا عن سبي هوازن[3]. وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عند ابن إسحاق: فقال رسول الله: أما من تمسك بحقه من هذا السبي فله بكل إنسان ست فرائض من أول سبي أصيبه فردوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم[4].

رد السبي عليهم

---

(١) أي أرضعنا (ق).

(٢) رواه ابن إسحاق ٤/١٢٨ سيرة ابن هشام قال الحافظ في الفتح جـ ٧ ص ٦٢٩ هو حسن وقد فصَّل الكلام هناك فليراجع.

(٣) رواه البخاري برقم ٤٣١٨ وأبو داود برقم ٢٦٩٣ وأحمد في المسند ٤/ ٣٢٦.

(٤) أخرجه أحمد ٢/ ١٨٤ وأبو داود ٢٦٩٤ والبيهقي في الدلائل ٥/ ١٩٤ وحسن الحافظ سنده في الفتح جـ ٧ ص ٦٢٩.

اسلام مالك

قال ابن إسحاق وقال رسول الله ﷺ لوفد هوازن: ما فعل مالك؟ فقالوا هو في الطائف مع ثقيف. فقال رسول الله ﷺ: أخبروا مالكاً إن هو أتى مسلماً رددت إليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل. فأتى مالك بذلك، فخرج إليه من الطائف فأدركه بالجعرانة أو بمكة فرد عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الإبل، فأسلم وحسن إسلامه.

فقال مالك بن عوف النضري المذكور:

ما إن سمعت ولا رأيت بمثله	في الناس كلهم كمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى	وإذا تشأ يخبرك عما في غد
وإذا الكتيبة عردت أنيابها	بالسمهري وضرب كل مهند
فكأنه ليث على أشباله	وسط الهباءة خادر في مرصد

فاستعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه، فكان يقاتل بهم ثقيفاً لا يخرج لهم سرح إلاّ أغار عليه حتى ضيق عليهم[1].

سؤال الأعراب لرسول الله

وعن جبير بن مطعم قال: بينما أنا مع رسول الله ومعه الناس مقبلاً من حنين علقت برسول الله الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه، فوقف رسول الله ﷺ فقال: «أعطوني ردائي، فلو كان عدد هذه العضاة نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذوباً» أخرجه البخاري في الصحيح[2]. وفي سيرة ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ قال لهم: أيها الناس، والله ما لي من فيئكم ولا هذه الوبرة إلاّ الخمس، والخمس مردود عليكم، فأدوا الخيط والمخيط فإن الغلول يكون على أهله عاراً وشناراً وناراً يوم القيامة. فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط شعر فقال: يا رسول الله أخذت هذه الكبة أعمل بها برذعة بعير لي من وبر، فقال: أما نصيبي منها فلك. قال: إذا بلغت ذلك فلا حاجة لي بها. ثم طرحها من يده[3].

وروي أنه ﷺ لما أراد أن يقسم الغنائم أمر زيد بن ثابت حتى أحضر الناس، ثم

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ١٣٠.

(٢) رواه البخاري برقم ٢٨٢١.

(٣) رواه ابن إسحاق في السيرة ٤/ ١٣١، ١٣٢ وهو حديث حسن انظر تعليق الألباني على فقه السيرة ص ٤٢٦.

عد الإبل والغنم وقسمها على الناس، فوقع في سهم كل رجل أربع من الإبل مع أربعين شاة من الغنم، وإن كان فارساً فسهمه اثنا عشر بعيراً مع مائة شاة من الغنم.

عمرة الجعرانة

قال ابن إسحاق[1]: ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمراً، فلما فرغ رسول الله من عمرته انصرف راجعاً إلى المدينة، وكانت عمرته في ذي القعدة[2]، فقدم رسول الله ﷺ المدينة في بقية ذي القعدة[3] أو في ذي الحجة، وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه، وحج بالمسلمين تلك السنة عتاب بن أسيد الذي استعمله رسول الله على مكة وهو ابن نيف وعشرين سنة، وكان في غاية الورع والزهد، وهو أول أمير أقام الحج في الإسلام[4].

المؤلفة قلوبهم

قال ابن حزم[5]: وحسن إسلام المؤلفة قلوبهم حاشا عيينة بن حصن فلم يزل مغموراً، وكان خيرهم متفاضلين: فيهم الفاضل المجتهد كالحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام، وفيهم خيار دون هؤلاء كصفوان بن أمية وعمير بن وهب ومطيع بن الأسود ومعاوية بن أبي سفيان، وسائرهم لا يظن بهم إلاّ الخير. وكان ممن أسلم يوم الفتح وبعده من الأشراف نظراء من ذكرنا، ووثق عليه الصلاة والسلام بصحة نياتهم في الإسلام لله فلم يدخلهم فيمن أعطاه، عكرمة بن أبي جهل وعتاب بن أسيد وجبير بن مطعم رضي الله عنهم أجمعين.

مدة غيابه عن المدينة

وكان مدة غيبته منذ خرج من المدينة إلى فتح مكة وأوقع بهوازن وحارب الطائف إلى أن رجع إلى المدينة شهرين وستة عشر يوماً. انتهى والله أعلم[6].

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ١٣٩.

(٢) عمرة الجعرانة ثابتة من حديث أنس في البخاري برقم ١٧٨٠، ٤١٤٨، ومسلم برقم ١٢٥٣ ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما في المسند والترمذي برقم ٨١٦ وأبو داود ١٩٩٣ وابن ماجه برقم ٣٠٠٣ وسنده صحيح.

(٣) وقيل لثلاث بقين من ذي القعدة (انظر سبل الهدى والرشاد جـ ٥ ص ٤٠٧).

(٤) سبل الهدى والرشاد جـ ٥ ص ٤٠٦.

(٥) جوامع السيرة ١٩٦.

(٦) انظر سبل الهدى والرشاد جـ ٥ ص ٤٠٧.

وفي هذه السنة أسلم عروة بن مسعود الثقفي، وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم ما بين ذي القعدة إلى انصراف رسول الله من غزوة تبوك سنة تسع في رمضان[1]. قال ابن إسحاق: وكان من حديث ثقيف أن رسول الله ﷺ لما انصرف عنهم من الطائف اتبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم، وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام، فقال له رسول الله: إنهم قاتلوك، وعرف رسول الله أن فيهم نخوة الامتناع الذي كان منهم، فقال له عروة: يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبكارهم ـ ويقال من أبصارهم ـ وكان فيهم كذلك محبباً مجاباً مطاعاً، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام ورجا أن لا يخالفوه لمنزلته فيهم، فلما أشرف عليهم على علية له وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه رموه بالنبل من كل وجه، فأصابه منهم فقتله، فقيل له: ما ترى في دمك؟ فقال: كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها الله إليَّ، فليس فيَّ إلاَّ ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنهم، فادفنوني معهم. فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: مثله في قومه كمثل صاحب يسّ في قومه[2].

اسلام عروة بن مسعود

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهراً، ثم إنهم ائتمروا بينهم ورأوا أنهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا، وقال بعضهم لبعض: ألا ترون أنه لا يأمن لكم سرب ولا يخرج منكم أحد إلاَّ اقتطع؟ فائتمروا بينهم وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله رجلاً كما أرسلوا عروة، فكلموا عبد ياليل بن عمرو بن عمير ـ وكان في سن عروة بن مسعود ـ وعرضوا عليه ذلك، فأبى أن يفعل، وخشي أن يصنع به إذا رجع كما صنع بعروة فقال: لست فاعلاً حتى ترسلوا معي رجالاً. فأجمعوا أن يرسلوا معه رجلين من الأحلاف وثلاثة من بني مالك فيكونون ستة، فبعثوا الحكم بن عمرو بن وهب وشرحبيل بن غيلان بن سلمة، ومن بني مالك

اسلام ثقيف

---

(١) انظر سيرة ابن كثير ٤/ ٥٤ ودلائل النبوة ٥/ ٣٠٤.

(٢) رواه ابن إسحاق في السيرة ٤/ ١٨٠ معلقاً وقصة إسلامه وقتله رواها أبو نعيم في الدلائل ٢/ ٥٣٢ وذكرها الحافظ في الإصابة وذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٣٨٦ وقال أخرجه الطبراني عن عروة بن الزبير وعن الزهري وكلاهما مرسل وإسنادهما حسن.

عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دهمان وأوس بن عوف ونمير بن خرشة بن ربيعة، فخرج بهم عبد ياليل وهو نائب القوم وصاحب أمرهم، ولم يخرج بهم إلاَّ خشية أن يصنع به مثل ما صنع بعروة لكي يشغل كل رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رهطه، فلما دنوا من المدينة وتركوا قناة لقوا بها المغيرة بن شعبة يرعى في نوبته ركاب أصحاب رسول الله، وكانت رعيتها نوباً عليهم، فلما رآهم ترك الركاب عند الثقفيين ومر يشتد ليبشر رسول الله ﷺ بقدومهم عليه، فلقيه أبو بكر الصديق قبل أن يدخل على رسول الله فأخبره عن ركب ثقيف أن قد قدموا يريدون البيعة والإسلام وأن يشترطوا شروطاً ويكتبوا من رسول الله كتاباً في قومهم وبلادهم وأموالهم، فقال أبو بكر للمغيرة: أقسمت عليك بأن لا تسبقني إلى رسول الله حتى أكون أنا أحدِّثه، ففعل المغيرة، فدخل أبو بكر على رسول الله فأخبره بقدومهم عليه، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فروح الظهر معهم وعلمهم كيف يحيون رسول الله فلم يفعلوا إلاَّ بتحية الجاهلية، ولما قدموا ضرب رسول الله ﷺ قبة عليهم في ناحية مسجده كما يزعمون، وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله حتى كتبوا كتابهم، وكان خالد هو الذي يكتب كتابهم بيده، وكانوا لا يطعمون طعاماً يأتيهم من عند رسول الله حتى يأكل منه خالد حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم. وقد كانوا فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية ـ وهي اللات ـ لا يهدمها ثلاث سنين، فأبى رسول الله ذلك، فما برحوا يسألونه سنة سنة وهو يأبى عليهم حتى سألوه شهراً واحداً فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمى، وإنما يريدون في ذلك ـ فيما يظهر ـ أن يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم، ويكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلوا الإسلام، فأبى رسول الله ﷺ إلاَّ أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدمانها، وقد كانوا كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه، وأما الصلاة فلا، فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه. فقالوا: يا محمد فسنؤتكها ولو كانت دناءة[1]. فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله

---

(١) رواه ابن إسحاق في السيرة ٤/ ١٨٢، ١٨٣ قال الألباني في تعليقه على فقه السيرة ٤٥٠ =

كتابهم[1] أمر عليهم عثمان بن أبي العاص، وكان من أحدثهم سناً، وذلك أنه من أحرصهم على التفقه في الدين وفي الإسلام، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله إني رأيت هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن[2].

قال ابن إسحاق: وحدثني عيسى بن عبد الله بن عطية بن سفيان بن ربيعة الثقفي عن بعض وفدهم قال: كان بلال يأتينا حين أسلمنا وصمنا مع رسول الله ما بقي من شهر رمضان بفطورنا وسحورنا من عند رسول الله، فيأتينا بالسحور وإنا لنقول: إنا لنرى الفجر قد طلع فيقول: قد تركت رسول الله يتسحر لتأخير السحور، ويأتينا بفطورنا وإنا لنقول ما نرى الشمس ذهبت كلها بعد، فيقول: ما جئتكم حتى أكل رسول الله، ثم يضع يده في الجفنة فيلت قسمه منها[3].

وصية الرسول لعثمان بن أبي العاص

قال ابن إسحاق وحدثني سعيد بن أبي هند عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن عثمان بن أبي العاص قال: كان من آخر ما عهد إليَّ رسول الله ﷺ حين بعثني إلى ثقيف أن قال: يا عثمان تجاوز في الصلاة، وأقدر الناس بأضعفهم فإن فيهم الكبير والصغير والضعيف وذا الحاجة[4].

= ضعيف ذكره ابن هشام عن ابن إسحاق معضلاً.
وقد ورد جزء منه بسند موصول رواه أبو داود ٣٠٢٦ وأحمد في المسند ٥/ ٢١٨ والطبراني في الكبير برقم ١٣٧٢ عن الحسن عن عثمان بن أبي العاص أن وفد ثقيف لما قدموا على رسول الله ﷺ أنزلهم المسجد ليكون أرق لقلوبهم فاشترطوا عليه أن لا يحشروا ولا يعشروا ولا يُجبوا فقال رسول الله ﷺ لكم أن لا تحشروا ولا تعشروا ولا خير في دين ليس فيه ركوع.
قال الألباني رجاله ثقات لكن الحسن وهو البصري مدلس وقد عنعنه. وورد في حديث وهب عند أبي داود ٣٠٢٥ قال سألت جابراً عن شأن ثقيف إذ بايعت قال اشترطت على النبي ﷺ أن لا صدقة عليها ولا جهاد وأنه سمع رسول الله ﷺ يقول سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا.

(١) أورده أبو عبيد في كتاب الأموال ٢٤٧ وابن زنجويه ٤٤٢ وهو مرسل من مراسيل عروة بن الزبير وفي إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف.

(٢) رواه أحمد ٤/ ٩، ٣٤٣ وأبو داود وابن ماجه ورواية مسلم تشير إلى تولية الرسول ﷺ لعثمان رضي الله عنه.

(٣) رواه ابن إسحاق في السيرة ٤/ ١٨٣.

(٤) رواه الطبراني برقم ٨٣٥٨ ورواه أحمد في المسند ٤/ ٢١٧ وأبو داود ٥٣١ والنسائي ٢/ ٢٦، =

بعث رسول الله لهدم الطاغية

قال ابن إسحاق: فلما فرغوا من أمرهم وتوجهوا إلى بلادهم راجعين بعث معهم رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية مع القوم، حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان، فأبى ذلك أبا سفيان، عليه وقال: ادخل أنت على قومك. وأقام أبو سفيان بماله بذي الهدم، فلما دخل المغيرة علاها يضربها بالمعول، وقام قومه دونه بنو معتب خشية أن يرمى أو يصاب كما أصيب عروة، وخرج نساء ثقيف حسراً يبكين عليها، ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس: واهالك واهالك. فلما هدمها المغيرة وأخذ مالها وحليها أرسل إلى أبي سفيان، وحليها مجموع ومالها من الذهب والجزع. وقد كان أبو مليح بن عروة وقارب بن الأسود قدما على رسول الله ﷺ قبل وفد ثقيف حين قتل عروة يريدان فراق ثقيف وأن لا يجامعاهم على شيء أبداً، فقال لهما رسول الله ﷺ: توليا من شئتما. قالا: نتولى الله ورسوله. فقال رسول الله ﷺ: وخالكما أبا سفيان. قالا: وخالنا أبا سفيان بن حرب.

فلما أسلم أهل الطائف ووجه رسول الله أبا سفيان والمغيرة إلى هدم الطاغية سأل رسول الله أبو المليح بن عروة أن يقضي عن أبيه عروة ديناً كان عليه من مال الطاغية. فقال رسول الله نعم. فقال رسول الله إن الأسود مات مشركاً. فقال قارب لرسول الله: لكن تصل مسلماً ذا قرابة، يعني نفسه، إنما الدين علي وإنما أنا الذي أطلب به. فأمر رسول الله ﷺ أبا سفيان أن يقضي دين عروة والأسود من مال الطاغية. فلما جمع المغيرة مالها قال لأبي سفيان: إن رسول الله قد أمرك أن تقضي عن عروة والأسود دينهما، فقضى عنهما. انتهى[1].

فهذه قصة هوازن وثقيف من أولها إلى آخرها سقناها كما هي، وإن كان إسلامهم بعد غزوة تبوك لينتظم أولها بآخرها ليقع الكلام على فقه هذه القصة وأحكامها في موضع واحد فنقول: فيها من الفوائد والحكم ما ذكره ابن

= وابن ماجه ٩٨٧ بلفظ «أنت إمامهم واقتد بأضعفهم واتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجراً» صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود جـ ١ ص ١٠٧.

(١) رواه ابن إسحاق في السيرة بدون إسناد ٤/ ١٨٤ وموسى بن عقبة بدون إسناد.

فوائد وحكم من قصة هوازن وثقيف

القيم[1] وغيره، [١] أن الله سبحانه قد وعد رسوله وهو الصادق الوعد أنه إذا دخل مكة دخل الناس في دينه أفواجاً ودانت له العرب بأسرها، فلما أتم له الفتح المبين واقتضت حكمة الله أن أمسك قلوب هوازن عن الإسلام، وأن يجمعوا ويتألبوا لحرب رسول الله والمسلمين، ليظهر أمر الله وتمام إعزازه لرسوله ونصره لدينه ولتكون غنائمهم شكران أهل الفتح، وليظهر الله رسوله وعباده وقهره لهذه الشوكة العظيمة التي لم يلق المسلمون مثلها فلا يقاومهم بعد أحد من العرب، وغير ذلك من الحكم الباهرة التي تلوح للمتأملين وتبدو للمتوسمين. واقتضت حكمته سبحانه أن أذاق المسلمين أولاً مرارة الهزيمة والكسرة مع كثرة عددهم وعُدَدهم وقوة شوكتهم ليطامن رؤوساً رفعت بالفتح، ولم تدخل بلده وحرمه كما دخله رسوله واضعاً رأسه منحنياً على فرسه حتى إن ذقنه يكاد أن يمس سرجه تواضعاً لربه وخضوعاً لعظمته واستكانة لعزته أن أحل له حرمه وبلده ولم يحله لأحد قبله ولا بعده، وليبين الله سبحانه لمن قال لن نغلب اليوم من قلة أن النصر إنما هو من عنده وأنه من ينصره فلا غالب له، ومن يخذله فلا ناصر له، وأنه هو الذي تولى نصر رسوله ودينه لا كثرتكم التي أعجبتكم فإنها لن تغني عنكم شيئاً فوليتم مدبرين، فلما انكسرت قلوبهم أرسل إليها خلع الجبر مع بريد ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾، وقد اقتضت حكمته أن خلع النصر وجوائزه إنما تخلع على أهل الإنكسار ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ﴾ الآيتين.

[٢] ومنها أن الله سبحانه منع الجيش غنائم مكة فلم يغنموا منها ذهباً ولا متاعاً ولا سبياً ولا أرضاً، كما روى أبو داود[2] عن وهب بن منبه قال: سألت جابراً هل غنموا يوم الفتح شيئاً؟ قال لا. وكانوا قد فتحوها بإيجاف الخيل والركاب وهم عشرة آلاف وفيهم حاجة إلى ما يحتاج إليه الجيش من أسباب القوة، فحرك سبحانه قلوب المشركين لغزوهم وقذف في قلوبهم إخراج أموالهم ونعمهم وشائهم وسبيهم معهم نزلا وضيافة وكرامة لحزبه وجنده، وتمم القدير سبحانه بأن أطمعهم في الظفر،

---

(١) ذكرها في زاد المعاد جـ ٣ ص ٥٠٣.

(٢) أخرجه أبو داود برقم ٣٠٢٣.

وألاح لهم مبادىء النصر، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً. فلما أنزل الله نصره على رسوله وأوليائه، وبردت الغنائم لأهلها، وجرت فيها سهام الله ورسوله قيل: لا حاجة لنا في دمائكم ولا في نسائكم وذراريكم، فأوحى الله إلى قلوبهم التوبة والإنابة فجاءوا مسلمين، فقيل إن من شكران إسلامكم أن يرد عليكم أبناءكم ونساءكم، و﴿ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٣] ومنها أن الله سبحانه افتتح غزو العرب بغزوة بدر، وختم غزوهم بغزوة حنين، ولهذا يقرن بين هاتين الغزاتين بالذكر ـ بدر وحنين ـ وإن كان بينهما سبع سنين، وقاتلت الملائكة بأنفسها مع المسلمين في هاتين الغزاتين، والنبي ﷺ رمى وجوه المشركين بالحصباء، وبهذا يتبين أن بهاتين الغزاتين طفئت جمرة العرب لغزو رسول الله والمسلمين، فالأولى خوفتهم وكسرت من حدتهم، والثانية استفرغت قواهم واستنفدت سهامهم وأذلت جمعهم، حتى لم يجدوا بداً من الدخول في دين الله.

[٤] ومنها أن الله سبحانه جبر بها أهل مكة وفرحهم بما نالوه من النصر والمغنم، فكانت كالدواء لما نالهم من كسرهم، وإن كان عين جبرهم، وعرَّفهم تمام نعمه عليهم بما صرف عنهم من شر هوازن، وأنه لم يكن لهم بهم طاقة، وإنما نصروا عليهم بالمسلمين، ولو أفردوا عنهم لأكلهم عدوهم، إلى غير ذلك من الحكم التي لا يحيط بها إلاَّ الله.

ما في القصة من الفقه

وفيها من الفقه، (١) أن الإمام ينبغي له أن يبعث العيون ومن يدخل بين عدوه ليأتيه بخبرهم وأن الإمام إذا سمع بقصد عدو له وفي جيشه قوة ومنعة لا يقعد لينتظرهم بل يسير إليهم كما سار رسول الله إلى هوازن.

(٢) وفيها أن الإمام يجوز له أن يستعير سلاح الكفار وعدتهم لقتال عدوه.

(٣) ومنها أن من تمام التوكل استعمال الأسباب لمسبباتها قدراً وسرعاً، فإن رسول الله وأصحابه أكمل الخلق توكلاً، وإنما كانوا يلقون عدوهم وهم متحصنون بأنواع السلاح.

(٤) وفيها كمال خُلقه ﷺ وعفوه عمن همَّ بقتله، ولم يعاجله بل دعا له ومسح صدره حتى عاد كأنه ولي حميم.

(٥) ومنها ما ظهر من معجزات النبوة في هذه الغزاة من إخباره لشيبة بما أضمر في نفسه، ومن ثباته وقد تولى عنه الناس، وهو ينوه بذكره ويقول:

أنـــا النبـــي لا كـــذب   أنـــا ابـــن عبـــد المطلـــب

وقد استقبلته كتائب المشركين وهو على البغلة التي لا تعد للفر والكر.

(٦) ومنها إيصال الله قبضته التي رمى بها إلى عيون أعدائه على البعد منه، وبركته في تلك القبضة حتى ملأت أعين القوم، إلى غير ذلك من الآيات، كنزول الملائكة للقتال حتى رآهم العدو جهرة ورآهم بعض المسلمين.

(٧) ومنها جواز انتظار الإمام بقسم الغنائم إسلام الكفار ودخولهم في الطاعة، فيرد عليهم غنائمهم وسبيهم، وفي هذا دليل لمن يقول إن الغنيمة إنما تملك بالقسمة لا بمجرد الاستيلاء عليها، إذ لو ملكها المسلمون بمجرد الاستيلاء لم يستأن بهم النبي ﷺ ليردها عليهم، وعلى هذا فلو مات من الغانمين أحد قبل القسمة وإحرازها بدار الإسلام رد نصيبه على بقية الغانمين دون ورثته، وهو مذهب أبي حنيفة.

(٨) ومنها جواز التنفيل من أربعة أخماس الغنيمة، وقد نص الإمام أحمد على أن النفل يكون من أربعة أخماس الغنيمة، وهذا العطاء الذي أعطاه النبي ﷺ المؤلفة قلوبهم هو من النفل، نفل به رؤوس القبائل والعشائر ليتألفهم به وقومهم على الإسلام، فهو أولى بالجواز من تنفيل الثلث بعد الخمس والربع بعده لما فيه من تقوية الإسلام وشوكته وأهله واستجلاب عدوه إليه، وهكذا وقع، سواء كما قال بعض هؤلاء الذين نفلهم: لقد أعطاني رسول الله وأنه لأبغض الخلق إليَّ، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إليَّ[1]، فما ظنك بعطاء قوّى الإسلام وأهله وأذل الكفر وحزبه، واستجلب به رؤوس القبائل والعشائر الذين إذا غضبوا غضبوا لغضبهم، وإذا رضوا رضوا لرضاهم، فإذا أسلم هؤلاء لم يتخلف أحد من قومهم. فلله ما

---

(١) وهو صفوان بن أمية رضي الله عنه كما رواه مسلم (٢٣١٣).

أعظم موقع هذا العطاء وما أجداه وأنفعه للإسلام وأهله. ومعلوم أن الأنفال لله ولرسوله يقسمها رسوله حيث أمره لا يتعدى الأمر، فلو وضع الغنائم بأسرها في هؤلاء لمصلحة الإسلام العامة لما خرج من الحكمة والمصلحة والعدل. ولما عميت أبصار ذي الخويصرة التميمي وأضرابه عن هذه المصلحة والحكمة قال له قائلهم: اعدل فإنك لم تعدل، وقال غيره إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله. ولعمر الله إن هؤلاء من أجهل الخلق برسوله وبمعرفته بربه وطاعته له وتمام عدله وإعطائه لله ومنعه لله، ولله سبحانه أن يقسم الغنائم كما يجب، وله أن يمنعها الغانمين جملة كما منعهم غنائم مكة وقد أوجفوا عليها بخيلهم وركابهم، وله أن يسلط عليها ناراً من السماء تأكلها، وهو في ذلك كله أعدل العادلين وأحكم الحاكمين، وما فعل من ذلك عبثاً ولا قدره سدى، بل هو عين المصلحة والحكمة والعدل والرحمة، ومصدره كمال علمه وعزته ورحمته. ولقد أتم نعمته على قوم ردهم إلى منازلهم برسوله يقودونه إلى ديارهم وأرضى من لم يعرف قدر هذه النعمة بالشاة والبعير كما يعطي الصغير ما يناسب عقله ومعرفته، ويعطي العاقل اللبيب ما يناسبه، وهذا فضله ليس هو سبحانه تحت حجر أحد من خلقه فيوجبون عليه بعقولهم ويحرمون ورسوله منفذ لأمره. والله أعلم.

(٩) وفيها أن السلامة من ألسنة الناس غاية لا تدرك كما قال الشافعي، فعليك بما يصلحك عند الله ودع عنك الناس، فإذا كان رسول الله تكلم فيه ونسب إلى الجور والظلم وهو رسول رب العالمين وأعظم الخلق عدلاً وأمانة ومع هذا قيل فيه ما قيل، فكيف يطمع العاقل في السلامة من الناس؟

(١٠) ومنها التأسي بالأنبياء، والصبر كصبرهم، لقوله عليه السلام «قد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر»[1].

(١١) ومنها ـ وهي من علامات نبوة نبينا ﷺ ـ إخباره بخروج الخوارج قبل وقت خروجهم بمدة، فصار الأمر كما أخبر ﷺ.

---

(١) رواه البخاري برقم ٤٣٣٦ ومسلم برقم ١٠٦٢.

(١٢) وفيها أنها تفيدك الخوف العظيم على نفسك ولا تغتر بالهالك ولو كان من أعبد الناس وأزهدهم.

(١٣) وفيها معرفة المؤمن أن كل ما خالف هدي رسول الله ﷺ وهدي أصحابه فهو باطل مردود على صاحبه، وإن كان قصده رضى الله، لأن الخوارج لم يقصدوا ببدعتهم إلاَّ رضى الله والجنة، ولكن لما كان دينهم ومذهبهم خلاف هدي رسول الله وهدي أصحابه كانوا هم شر الخلق والخليقة، ولهذا حرض النبي ﷺ على قتالهم إذا خرجوا وقال «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»، وقال «هم شر الخلق والخليقة».

(١٤) وفيها معرفة المؤمن أن المنتسب إلى الإسلام والسنة والزهد والعبادة قد يمرق من الإسلام، فإذا كان في زمن النبي ﷺ وخلفائه الراشدين ممن انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضاً من الإسلام، وذلك بأسباب: منها الغلو الذي ذمه الله حيث قال في كتابه ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾ وقال ﷺ «إياكم والغلو، فإنما أهلك من قبلكم الغلو»[1]. ومن ذلك أيضاً الغلو في المخلوق كائناً من كان، فكل من غلا في نبي أو رجل صالح كالمسيح أو عزير أو علي بن أبي طالب أو عبد القادر أو معروف الكرخي[2] أو غيرهم وجعل فيه نوعاً من الإلهية مثل أن يدعوه مع الله أو يستغيث به في رخاء أو شدة ليفرج كربته أو يجلب إليه منفعته أو ينذر له ليجلب له خيراً أو يدفع عنه شراً، أو يذبح له ذبيحة يتقرب بها إليه أو يقول إذا ذبح شاة «باسم سيدي» أو يعبده بالسجود له أو لقبره، فكل هذا شرك وضلال وغلو في الدين وجعل إله مع رب العالمين، يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلاَّ قتل كافراً مرتداً، فإن الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده، ولا يدعى معه آلهة أخرى. وقد عمَّت البلوى بهذا الأمر في كثير من البلاد نسأل الله العفو والعافية.

أسباب الخروج من الإسلام

---

(١) رواه أحمد ١/ ٢١٥ والنسائي ٢/ ٤٩ والحاكم ١/ ٤٦٦ وصححه الألباني انظر الصحيحة رقم ١٢٨٣.

(٢) في المطبوع الكروخي وهو خطأ مطبعي والصحيح ما أثبتناه انظر ترجمته في حلية الأولياء ٨/ ٣٦٠.

(١٥) ومنها أنه قال ﷺ في هذه الغزوة «من قتل قتيلاً له عليه بيِّنة فله سلبه»[١] وقاله قبله في غزوة أخرى، فاختلف الفقهاء هل هذا السلب مستحق بالشرع أو بالشرط، على قولين هما روايتان عن أحمد أحدهما أنه لا ـ شرطه الإمام أو لم يشرطه ـ وهو قول الشافعي، والثاني أنه لا يستحقه إلاَّ بشرط الإمام وهو مذهب أبي حنيفة، وقال مالك: لا يستحقه إلاَّ بشرط الإمام بعد القتال، فلو نصر قبله لم يجز. ومأخذ النزاع أن النبي ﷺ هو الإمام والحاكم والمفتي وهو الرسول، فقد يقول الحكم لمنصب الرسالة فيكون شرعاً عاماً إلى يوم القيامة، وقد يقوله لمنصب الفتوى كقوله لهند «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف»[٢] فهذه فتيا لا حكم، وقد يقوله لمنصب الإمامة فيكون مصلحة للأمة في ذلك الوقت وذلك المكان على تلك الحال فيلزم من بعده من الأمة مراعاة ذلك على حسب المصلحة التي راعاها النبي ﷺ زماناً ومكاناً وحالاً. ومن ههنا تختلف الأئمة في كثير من المواضع التي فيها أثر عنه كقوله «من قتل قتيلاً فله سلبه» هل قاله بمنصب الإمامة فيكون حكمه متعلقاً بالأئمة، أو بمنصب الرسالة والنبوة فيكون شرعاً عاماً؟ وكذلك قوله «من أحيا أرضاً ميتة فهي له»[٣] هل هو شرع عام لكل أحد أذن فيه الإمام أو لم يأذن له، أو هو راجع إلى الأئمة فلا تملك بالإحياء إلاَّ بإذن الإمام؟ على قولين: فالأول للشافعي وأحمد في ظاهر مذهبهما، والثاني لأبي حنيفة. وفرق مالك بين الفلوات الواسعة وما لا يتشاح فيه للناس، وبين ما يقع فيه التشاح، فاعتبر إذن الإمام في الثاني دون الأول.

وقوله ﷺ «عليه بينة» يدل على مسألتين: إحداهما أن دعوى القاتل أنه قتل هذا الكافر لا تقبل، الثانية ثبوت هذه الدعوى بشاهد واحد من غير يمين لحديث أبي قتادة المتقدم في الصحيح في قتل الرجل، وهذا أحد الأقوال في المسألة وهو وجه في مذهب أحمد، والثاني أنه لا بد من شاهد ويمين كإحدى الروايتين عن أحمد، والثالث لا بد من شاهدين نص عليه أحمد لأنه دعوى قتل فلا تقبل إلاَّ بشاهدين.

---

(١) أخرجه البخاري برقم ٤٣٢١ ومسلم برقم ١٧٥١ وأبو داود برقم ٢٧١٧.
(٢) رواه البخاري برقم ٦٦٤١ ومسلم برقم ١٧١٤.
(٣) رواه البخاري برقم ٢٣٣٥.

(١٦) وفي القصة دليل على مسألة أخرى وهي أنه لا يشترط في الشهادة التلفظ بلفظ أشهد، قال في الهدي: وهذا أصح الروايات عن أحمد في الدليل، قال شيخنا[١]: ولا نعرف عن أحد من الصحابة والتابعين اشتراط لفظة الشهادة، وقد قال ابن عباس[٢]: شهد عندي رجال مرضيون وأرضاهم عندي عمر أن رسول الله ﷺ نهى عن الصلاة بعد العصر وبعد الصبح، ومعلوم أنهم لم يتلفظوا بلفظة أشهد.

وقوله «له سلبه» دليل على أن له سلبه غير مخموس، وقد صرح بهذا في قوله لسلمة بن الأكوع لما قتل قتيلاً: له سلبه. وفي المسألة ثلاثة مذاهب: هذا أحدهما. والثاني يخمس كالغنيمة، وهذا قول الأوزاعي وأهل الشام، وهو مذهب ابن عباس لدخوله في آية الغنيمة. والثالث إن استكثره الإمام خمسه وهو قول إسحاق. وفعله عمر بن الخطاب رواه عنه ستة في مبارزة البراء المرزبان، قال صاحب الهدي: والأول أصح، فإن النبي ﷺ لم يخمس السلب وقال: هو له أجمع، ومضت على ذلك سنته وسنة الصديق بعده، وما فعله عمر اجتهاد.

(١٧) وفي الحديث دليل على أنه من أصل الغنيمة، فإن النبي ﷺ قضى به للقاتل ولم ينظر في قيمته وقدره واعتبار خروجه من خمس الخمس.

(١٨) وفيها جواز نصب المنجنيق على الكفار ورميهم به وإن أفضى إلى قتل من لم يقاتل من النساء والذرية.

(١٩) ومنها جواز قطع شجر الكفار إذا كان ذلك يضعِّفهم ويغيظهم وهو أنكى فيهم.

(٢٠) ومنها أن العبد إذا أبق من المشركين إلى المسلمين صار حراً.

(٢١) ومنها استجابة الله دعاء رسوله لثقيف أن يهديهم ويأتي بهم، وقد حاربوه وقاتلوه وقتلوا جماعة من أصحابه وقتلوا رسوله الذي أرسله إليهم يدعوهم إلى الله،

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لأن الكلام للإمام ابن القيم رحمه الله زاد المعاد جـ ٣ ص ٤٩٢.

(٢) رواه البخاري برقم ٥٨١.

ومع هذا كله فدعا لهم ولم يدع عليهم، وهذا من كمال رحمته ونصيحته.

(٢٢) ومنها كمال محبة الصديق وقصده التقرب إليه بكل ما يمكنه، ولهذا أنشد المغيرة أن يدعه هو يبشر النبي ﷺ بقدوم وفد الطائف ليكون هو الذي فرحه بذلك، وهذا يدل على أنه يجوز للرجل أن يسأل أخاه أن يؤثره بقربة من القرب، وأنه يجوز للرجل أن يؤثر أخاه، وقول من قال من الفقهاء لا يجوز الإيثار بالقرب لا يصح، وقد آثرت عائشة عمر بن الخطاب بدفنه في بيتها بجوار النبي ﷺ وسألها عمر ذلك فلم تكره له السؤال ولا لها البذل، وهل إهداء القرب المجمع على جوازها والمتنازع فيها إلى الميت إلاّ إيثار القرب، فأي فرق بين أن يؤثره بفعلها ليحرز ثوابها وبين أن يعملها ثم يؤثره بثوابها؟

(٢٣) ومنها أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً، فإنها شعائر الكفر والشرك، وهي أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة، وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثاناً وطواغيت تعبد من دون الله، والأحجار التي تقصد للتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته، وكثير منها بمنزلة اللات والعزّى ومناة الثالثة الأخرى وأعظم شركاً عندها وبها وبالله المستعان. ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد فيها أنها تخلق وترزق وتحيي وتميت، وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم، فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة، وأخذوا مآخذهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم، وصار المعروف منكراً والمنكر معروفاً والسنة بدعة والبدعة سنة، ونشأ على ذلك الصغير وهرم فيه الكبير وطمست الأعلام واشتدت غربة الإسلام، وقلَّ العلماء وغلبت السفهاء، وتفاقم الأمر واشتد البأس، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

(٢٤) ومنها جواز صرف الإمام الأموال التي تصل إلى هذه المشاهد والطواغيت في الجهاد ومصالح المسلمين، فيجوز للإمام ـ بل يجب عليه ـ أن يأخذ أموال هذه الطواغيت التي تساق إليها كلها ويصرفها إلى الجند والمقاتلة ومصالح الإسلام، كما أخذ النبي ﷺ أموال اللات وأعطاها لأبي سفيان يتألفه بها، وقضى منها دين عروة والأسود، وكذلك يجب عليه أن يهدم هذه المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثاناً، وله أن يقطعها للمقاتلة أو يبيعها ويستعين بثمنها على مصالح المسلمين، وكذلك الحكم في أوقافها والوقف عليها باطل، وهو مال ضائع، فينصرف في مصالح المسلمين، فإن الوقف لا يصح إلاَّ في قربة وطاعة لله ورسوله، فلا يصح الوقف على مشهد ولا قبر يسرج عليه ويعظم وينذر له ويحج إليه ويعبد من دون الله ويتخذ وثناً من دون الله، وهذا مما لا يخالف فيه أحد من أئمة الإسلام ومن اتبع سبيلهم. انتهى ملخصاً من الهدي النبوي لابن القيم رحمه الله تعالى. وفيها من الفوائد والفقه أكثر مما ذكر. والله أعلم.

ذكر قصة كعب بن زهير مع النبي ﷺ[(١)]

قال ابن إسحاق: ولما قدم رسول الله من الطائف كتب بجير بن زهير إلى أخيه كعب، وكان بجير قد أسلم وهو حسن الإسلام يخبره أن رسول الله قتل رجالاً بمكة ممن كانَ يهجوه ويؤذيه، وأن من بقي من شعراء قريش ابن الزبعري وهبيرة بن أبي وهب قد هربوا في كل وجه فإن كنت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجائك. وكان كعب قد قال:

ألا أبلغـا عنـي بجيـرا رسـالـة	فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
فبيـن لنـا إن كنـت لسـت بفـاعـل	علـى أي شـيء غيـر ذلـك دلكـا
علـى خلـق لـم تلـف أمـاً ولا أبـاً	عليـه ولـم تلـف عليـه أخـاً لكـا
فإن كنت لم تفعل فلست بآسف	ولا قـائـل إمـا عثـرت لعـاكـا

---

(١) روى قصة كعب بن زهير رضي الله عنه مع أخيه ابن إسحاق في السيرة ٤/ ٢٠١ وسنده منقطع والبيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٢٠٧ وفي إسناده مجاهيل. انظر مغازي الذهبي ص ٦١٨.

سقاك بها المأمون كأساً روية | فأنهلك المأمون منها وعلّكا
قال فبعث بها إلى بجير، فلما أتت بجيراً كره أن يكتمها رسول الله، فأنشده إياها، فقال رسول الله ﷺ: سقاك بها المأمون، صدق وإنه لكذوب، وأنا المأمون. ولما سمع: «على خلق لم تلف أماً ولا أباً عليه» قال: أجل، لم يلف عليه أباه ولا أمه. ثم قال بجير لأخيه كعب:

من مبلغ كعباً فهل لك في التي | تلوم عليها باطلاً وهي أحزم
إلى الله لا العزّى ولا اللات وحده | فتنجو إذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت | من الناس إلاّ طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شيء دينه | ودين أبي سلمى عليَّ محرم

فلما بلغ كعباً ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه، وأرجف به من كان في حاضره من عدوه فقال: هو مقتول فلما لم يجد من شيء بداً قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ويذكر خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه، ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جهينة كما ذكر، فغدا به إلى رسول الله ﷺ، ثم أشار له إلى رسول الله فقال: هذا رسول الله، فقم إليه واستأمنه، فذكر لي أنه قام إلى رسول الله حتى جلس إليه فوضع يده في يده ـ وكان رسول الله لا يعرفه ـ فقال: يا رسول الله إن كعب بن زهير جاء ليستأمنك تائباً مسلماً[1]، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ قال رسول الله: نعم. قال أنا يا رسول الله كعب بن زهير. قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب إليه رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه. فقال رسول الله: دعه عنك، فقد جاءنا تائباً نازعاً. قال فغضب كعب على هذا الحي من الأنصار لما صنع به صاحبهم، وذلك أنه لم يتكلم رجل من المهاجرين إلاّ بخير، فقال قصيدته اللامية المشهورة[2] يصف فيها محبوبته وناقته التي أولها:

كعب بين يدي رسول الله

---

(١) قصة إسلام كعب رواها الحاكم في المستدرك ٣/ ٥٧٩ وقال هذا حديث له أسانيده قد جمعها ابراهيم بن المنذر الحزامي وسكت عنه الذهبي.

(٢) القصيدة رواها ابن إسحاق في السيرة ٤/ ١٤٦ بسند منقطع وقال العراقي (وهذه القصيدة قد=

بـانـت سعـاد فقلبـي اليـوم متبـول متيـم إثـرهـا لـم يفـد مكبـول

ومـا سعـاد غـداة البيـن إذ رحلـوا إلاَّ أغنُّ غضيض الطرف مكحول

هيفـاء مقبلـة، عجـزاء مـدبـرة لا يشتكـي قصـر منهـا ولا طـول

تمشـى الغـواة بجنبيهـا وقـولهـم إنـك يـا ابـن أبـي سُلمـى لمقتـول

وقـال كـل خليـل كنـت آملـه لا ألهينـك إنـي عنـك مشغـول

فقلـت خلـوا سبيلـي لا أبـا لكـم فكـل مـا قـدَّر الـرحمـن مفعـول

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يـومـاً علـى آلـة حـدبـاء محمـول

نبئـت أن رسـول الله أوعـدنـي والعفـو عنـد رسـول الله مـأمـول

مهـلاً هـداك الـذي أعطـاك نـافلـة القـرآن فيهـا مـواعيـظ وتفصيـل

لا تـأخـذني بـأقـوال الـوشـاة ولـم أذنـب ولـو كثـرت فـيَّ الأقـاويـل

لقـد أقـوم مقـامـاً لـو يقـوم بـه أرى وأسمـع مـا لـو يسمـع الفيـل

لظـل يـرعـد إلا أن يكـون لـه مـن الـرسـول بـإذن الله تنـويـل

حتـى وضعـت يمينـي مـا أنـازعهـا فـي كـف ذي نقمـات قـولـه القيـل

فلهـو أخـوف عنـدي إذ أكلمـه وقيـل إنـك منسـوب ومسـؤول

من ضغيم من ضراء الأسد مخدره فـي بطـن عثـر غيـل دونـه غيـل

إن الـرسـول لنـور يستضـاء بـه مهنـد مـن سيـوف الله مسلـول

في عصبة من قريش قال قائلهم ببطـن مكـة لمـا أسلمـوا زولـوا

زالـوا فمـا زال أنكـاس ولا كشـف عنـد اللقـاء ولا ميـل معـازيـل

يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ضـرب إذا عـرَّد السـود التنـابيـل

شـم العـرانيـن أبطـال لبـوسهـم من نسج داود في الهيجا سرابيل

بيض سوابغ قد شكت لها حلق كـأنهـا حلـق القفعـاء مجـدول

ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم قـومـاً وليسـوا مجـازيعـاً إذا نيلـوا

لا يقـع الطعـن إلاَّ فـي نحـورهـم وما لهم عن حياض الموت تهليل

= رويناها من طرق لا يصح فيها شيء وقد رواها ابن إسحاق بسند منقطع) نيل الأوطار جـ ٢ ص ١٥٩.

كعب يمدح الأنصار

قال ابن إسحاق قال عاصم بن قتادة: فلما قال كعب «إذا عرد السود التنابيل» وإنما يريد معاشر الأنصار لما كان صاحبنا صنع به، وخص المهاجرين من قريش بمدحته، غضبت الأنصار، فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ويذكر بلاءهم مع رسول الله ﷺ:

مـن سـره كـرم الحيـاة فـلا يـزل	في منقـب مـن صـالحـي الأنصـار
ورثـوا المكـارم كـابـراً عـن كـابـر	إن الخيــار هــم بنــو الأخيــار
المكــرهيــن السمهــري بــأذرع	كســوالــف الهنــدي غيــر قصــار
والنــاظــريــن بــأعيــن محمــرة	كــالجمــر غيــر كليلــة الأبصــار
والبــائعيــن نفــوسهــم لنبيهــم	للمــوت يــوم تعــانــق وكــرار
يتطهــرون يــرونــه نسكــاً لهــم	بـدمـاء مــن علقــوا مــن الكفـار
دربـوا كمـا دربـت ببطـن خفيـة	غلـب الـرقـاب مـن الأسـود ضـوار
وإذا حللــت ليمنعــوك إليهــم	أصبحـت عنـد معـاقـل الأغفـار
ضـربـوا عليـاً يـوم بـدر ضـربـة	دانـت لـوقعتهـا جميـع نـزار
لــو يعلــم الأقــوام علمــي كلــه	فيهـم لصـدقنـي الـذيـن أمـاري
قــوم إذا خــوت النجــوم فــإنهــم	للطــارقيــن النــازليــن مقــارى

قال ابن هشام ويقال إن رسول الله ﷺ قال له حين أنشده بانت سعاد: لولا ذكرت الأنصار بخير، فإن الأنصار لذلك أهل، فقال كعب هذه الأبيات. . وفي رواية أبي بكر بن الأنباري لما وصل إلى قوله:

إن الـرســول لنــور يستضــاء بــه	وصــارم مــن سيــوف الله مسلــول

رمى عليه ﷺ بردة كانت عليه[1]، وإن معاوية بذل له فيها عشرة آلاف فقال: ما كنت لأوثر بثوب رسول الله أحداً. فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفاً وأخذها منهم، قال وهي البردة التي عند السلاطين إلى اليوم.

---

(١) قصة إعطاء الرسول ﷺ البردة لكعب قال عنها ابن كثير رحمه الله بعد ذكرها وهذا من الأمور المشهورة جداً ولكن لم أر ذلك في شيء من الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه فالله أعلم. البداية والنهاية ٤/ ٤١٩.

وكان كعب بن زهير من فحول الشعراء هو وأبوه زهير، وابنه عقبة، وابن ابنه العوام بن عقبة.

فصل[1]

قالوا: ولما دخلت سنة تسع بعث ﷺ المصدقين[2] يأخذون الصدقات من الأعراب، قال ابن سعد: ثم بعث رسول الله ﷺ المصدقين. قالوا لما رأى رسول الله هلال المحرم سنة تسع بعث المصدقين يصدقون الأعراب، فبعث عيينة بن حصن إلى بني تميم، وبعث بريده بن الحصيب إلى أسلم وغفار، وبعث رافع بن مكيث إلى جهينة، وبعث عمرو بن العاص إلى فزاره، وبعث الضحاك بن سفيان إلى بني كلاب، وبعث بشير بن سفيان إلى بني كعب، وبعث ابن اللتبية الأزدي[3] إلى بني ذبيان، وأمرهم رسول الله أن يأخذوا العفو منهم ويتوقوا كرائم أموالهم. قال ابن إسحاق: وبعث المهاجر بن أمية إلى صنعاء، فخرج عليه العنسى وهو بها، وبعث زياد بن لبيد إلى حضرموت، وبعث عدي بن حاتم إلى طيىء وبني أسد، وبعث مالك بن نويرة على صدقات بني حنظلة، وفرق صدقات بني سعد على رجلين: فبعث الزبرقان بن بدر على ناحية، وقيس بن عاصم على ناحية، وبعث العلاء بن الحضرمي على البحرين، وبعث علياً إلى نجران ليجمع صدقاتهم ويقدم عليه بجزيتهم[4].

المصدقين

فصل
في السرايا والبعوث في سنة تسع

فمنها سرية عيينة بن حصن الفزاري إلى بني تميم، وذلك في المحرم من هذه

سرية عيينة بن حصن

---

(١) كان الأولى بهذا الفصل أن يكون بعد الفصل الذي بعده ليتم المعنى كما في سيرة ابن هشام.

(٢) الذين يجمعون الصدقات وهي الزكاة المفروضة.

(٣) بعث ابن اللتبية على الصدقة ثابت في الصحيحين وقصته مع رسول الله ﷺ انظر البخاري ٩٢٥، ١٥٠٠، ومسلم ١٨٣٢.

(٤) رواه ابن إسحاق في السيرة ٤/ ٣٢٨ بدون سند.

السنة في خمسين فارساً ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري، فكان يسير الليل ويكمن النهار، فهجم عليهم في صحراء وقد سرحوا مواشيهم، فلما رأوا الجمع ولوا فأخذ منهم أحد عشر رجلاً وعشرين امرأة وثلاثين صبياً فساقهم إلى المدينة فنزلوا في دار رملة بنت الحارث[1]، فقدم فيهم عدة من رؤسائهم عطارد بن حاجب والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم والأقرع بن حابس وقيس بن الحارث، ونعيم بن سعد، وعمرو بن الأهتم، ورياح بن الحارث، فلما رأوا نساءهم وذراريهم بكوا إليهم، فعجلوا فجاءوا إلى باب النبي ﷺ فنادوه: يا محمد أخرج إلينا لنفاخرك ونشاعرك، فنزل فيهم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾[2]. الآية، فخرج إليهم رسول الله ﷺ فأقام بلال الصلاة وتعلقوا برسول الله يكلمونه فوقف معهم، ثم مضى فصلى الظهر، ثم جلس في صحن المسجد، فقدموا عطارد بن حاجب فتكلم وخطب، وأمر عليه السلام ثابت بن قيس بن شماس[3] فأجابهم فغلبهم، فقام الزبرقان شاعر بني تميم فأنشد مفاخراً فقال:

قدوم بني تميم

خطيب بني تميم وخطيب رسول الله

نحن الكرام فلا حي يعادلنا	منا الملوك وفينا تنصب البيع
وكم قسرنا من الأحياء كلهم	عند النهاب وفعل العز يتبع
ونحن يطعم عند القحط مطعمنا	من الشواء إذا لم يؤنس القزع
بما ترى الناس تأتينا سراتهم	من كل أرض هويا ثم نصطنع
فننحر الكوم عبطاً في أرومتنا	للنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا
فلا ترانا إلى حي نفاخرهم	ألا استقادوا فكانوا الرأس يقتطع
فمن يفاخرنا في ذاك نعرفه	فيرجع القوم والأخبار تستمع
إنا أبينا ولم يأب لنا أحد	إن كذلك عند الفخر نرتفع

---

(١) ورد في البخاري برقم ٤٣٦٦ وقول البخاري باب قال ابن إسحاق غزوة عيينة بن حصن وساق حديث عائشة في ذكر الرسول سبي العنبر وأنهم من ولد إسماعيل وانظر مسلم برقم ٢٥٢٥ وهذا يثبت أمر السرية وإثبات السبي.

(٢) الحجرات الآية الرابعة وقد نزلت في الأقرع بن حابس كما روى ذلك الإمام أحمد في المسند ٣/ ٤٨٨.

(٣) وهو الملقب بخطيب رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق وكان حسان غائباً فبعث إليه رسول الله، قال حسان، جاءني رسول رسول الله ﷺ فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم، فخرجت إلى رسول الله وأنا أقول:

منعنا رسول الله إذ حل وسطنا ... على ألف راض من معد وراغم
منعناه لما حل بين بيوتنا ... بأسيافنا من كل باغ وظالم
هل المجد إلاّ السؤدد العود والندى ... وجاه الملوك واحتمال العظائم
ونحن ضربنا الناس حتى تتابعوا ... على دينه بالمرهفات الصوارم

زاد بعضهم:

بني دارم لا تفخروا إن فخركم ... يعود وبالاً عند ذكر المكارم
وإن كنتم جئتم لحقن دمائكم ... وأموالكم أن تقسموا في المقاسم
فلا تجعلوا لله نداً وأسلموا ... ولا تلبسوا زياً كزي الأعاجم

فلما انتهيت إلى رسول الله وقام شاعر القوم فقال ما قال فلما فرغ قال رسول الله: قم يا حسان فأجب الرجل، فقام حسان فقال:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم ... قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته ... تقوى الإله وكل الخير يصطنع
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم ... أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة ... إن الخلائق فاعلم شرها البدع
إن كان في الناس سباقون بعدهم ... فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم ... عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
لا يبخلون على جار بفضلهم ... ولا يمسهم من مطمع طبع
إذا نصبنا لحي لم ندب لهم ... كما يدب إلى الوحشية الذرع
نسمو إذا الحرب نالتنا مخالبها ... إذا الزعانف من أظفارها خشعوا
لا يفخرون إذا نالوا عدوهم ... وإن أصيبوا فلا خور ولا هلع
كأنهم في الوغى والموت مكتنع ... أسد بحلية في أرساغها فدع
خذ منهم ما أتى عفواً إذا غضبوا ... ولا يكن همك الأمر الذي منعوا

فإن في حربهم فاترك عداوتهم شراً يخاض عليه السم والسلع
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم إذا تفاوتت الأهواء والشيع
أهدي لهم مدحتي قلب يؤازره فيما أحب لسان حائك صنع
فإنهم أفضل الأحياء كلهم إن جد بالناس جد القول أو شمعوا

فلما فرغ حسان قال الأقرع بن حابس: إن هذا الرجل لمؤتى، لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا. ثم أسلموا وجوزهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم ورد عليهم نساءهم وأبناءهم[١].

سرية قطبة بن عامر في سنة تسع

قالوا بعث رسول الله ﷺ قطعة في عشرين رجلاً إلى حي من خثعم بناحية تبالة[٢] وأمره أن يشن الغارة، فخرجوا على عشرة أبعرة فاعتقبوها فشنوا الغارة عليهم فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثر الجرحى في الفريقين، وقتل قطبة بن عامر من قتل وساقوا النعم والشاء والنساء إلى المدينة. وفي القصة أن القوم اجتمعوا وركبوا في آثارهم، فأرسل الله سيلاً عظيماً حال بينهم وبين المسلمين فساقوا النعم والسبي وهم ينظرون لا يستطيعون أن يعبروا إليهم[٣].

سرية الضحاك بن سفيان الكلابي إلى بني كلاب

في ربيع الأول سنة تسع. قالوا بعث رسول الله جيشاً إلى بني كلاب وعليهم الضحاك بن سفيان بن عوف ومعهم الأصيد بن سلمة، فلقوهم [بالزج زج لاوة][٤]، فدعوهم إلى الإسلام فأبوا فقاتلوهم فهزموهم، فلحق الأصيد أباه سلمة، وسلمة على فرس له في غدير بالزُّجِّ، فدعا أباه إلى الإسلام وأعطاه الأمان، فسبه وسب

---

(١) رواه ابن إسحاق بسند منقطع ٤/ ٢١٠ وانظر تاريخ الطبري ٣/ ١١٩ وله أصل في في الصحيح كما سبق ذكره.
(٢) تباله موضع بقرب الطائف.
(٣) انظر المغازي للواقدي ٣/ ٩٨١ والطبقات لابن سعد ٢/ ١٦٢ بإسناد معلق.
(٤) ما بين المعكوفتين في المطبوع بالرخوخ وهو تصحيف والتصحيح من سبل الهدى.

دينه، فضرب الأصيد عرقوب فرس أبيه ولما وقع الفرس على عرقوبه ارتكز سلمة على الرمح في الماء ثم استمسك حتى جاءه أحدهم فقتله، ولم يقتله ابنه[١]، [٢].

سرية علقمة بن مجزز المدلجي إلى الحبشة

في ربيع الآخر سنة تسع[٣]، وقال الحاكم في صفر. قال ابن سعد: فلما بلغ رسول الله ﷺ أن ناساً من الحبشة تراآهم أهل جدة[٤] بعث إليهم علقمة بن مجزز في ثلاثمائة فانتهى إلى جزيرة وقد خاض إليهم البحر فهربوا منه[٥].

ذكر سرية علي بن أبي طالب إلى صنم طيء ليهدمه

وفي هذه السنة قالوا: بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في خمسين ومائة رجل من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرساً ومعه راية سوداء ولواء أبيض إلى الفُلُس[٦] وهو صنم طيء ليهدمه، فشنوا الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر

---

(١) وهذا من البراءة التي كان يتميز بها أصحاب النبي ﷺ فهم يتبرؤن من أبائهم وأمهاتهم عندما يعادون الإسلام، وهكذا تصنع العقيدة بالرجال العظماء قال تعالى ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ . . . . ﴾. الآية.

(٢) انظر المغازي للواقدي ١/ ٩٨٢ والطبقات لابن سعد ٢/ ١٦٢ عن طريق شيخه الواقدي وانظر سبل الهدى ٦/ ٢١٩ والإشارة لمغلطاي ص ٣٢٦.

(٣) هذا قول الواقدي ٣/ ٩٨٣ وتبعه ابن سعد ٢/ ١٦٣ وقال الحاكم في صفر انظر سبل الهدى ٦/ ٣١.

(٤) في جزيرة مقابل جدة، وذكر ابن إسحاق أن السبب أن وقاص بن مجزز كان قتل يوم ذي قرة فأراد علقمة الأخذ بالثأر فأرسله رسول الله، قال ابن حجر في الفتح ٧/ ٦٥٦ ويجمع بينهما أنه أمر بالأمرين.

(٥) قال الحافظ مغلطاي في الإشارة ص ٣٣٠ (ومعه ـ أي علقمة بن مجزز ـ عبد الله بن حذافة في ثلثمائة فأمَّر علقمة على بعض الجيش فأجج ناراً وأرادهم على الوثوب فيها فلما همَّ بذلك بعضهم قال اجلسوا إنما كنت أمزح فلما بلغ ذلك النبي ﷺ قال: «من أمركم بمعصية فلا تطيعوه» وهذا الخبر رواه أحمد ٣/ ٦٧ وابن ماجه ٢٨٦٣ والحاكم ٣/ ٦٣٠ والحديث في قصة عبد الله بن حذافة في الصحيحين البخاري ٤٣٤٠ ومسلم ١٨٤٠ من حديث علي.

(٦) اسم صنم كان بنجد تعبده طيء وكان قريباً من خيبر.

فهدموه، وملأوا أيديهم من السبي والنعم والشاء، وفي السبي أخت عدي بن حاتم، وكان عدي قد هرب إلى الشام ووجدوا في خزانته ثلاثة أسياف وثلاثة أدرع، واستعمل على السبي أبا قتادة وعلى الماشية والرقة[١] عبد الله بن عتيك، وقسم الغنائم في الطريق، وعزل الصفى[٢] لرسول الله، ولم يقسم آل حاتم حتى قدم بهم المدينة[٣].

هروب عدي بن حاتم

قال ابن إسحاق قال عدي بن حاتم: ما كان رجل من العرب أشد كراهة لرسول الله ﷺ مني حين سمعت به، وكنت امرءاً شريفاً، وكنت نصرانياً، وكنت أسير في قومي بالمرباع[٤]، وكنت في نفسي على دين، وكنت ملكاً في قومي. فلما سمعت برسول الله كرهته، فقلت لغلام عربي لي ـ كان راعياً لإبلي ـ لا أبا لك، أعدّ لي من إبلي أجمالاً ذللاً سماناً فاحبسها قريباً مني، فإذا سمعت بخيل محمد قد وطئت هذه البلاد فآذنني. ففعل. ثم إنه أتاني ذات غداة فقال: يا عدي ما كنت صانعاً إذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن، فإني قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا: هذه جيوش محمد. قال فقلت: قرب لي أجمالي، فقربها، فاحتملت بأهلي وولدي ثم قلت ألحق. بأهل ديني من النصارى بالشام، وخلفت بنتاً[٥] لحاتم في الحاضر فلما قدمت الشام أقمت بها، وخالفتني خيل رسول الله فتصيب ابنة حاتم فيمن أصابت،

بنت حاتم تستعطف الرسول

فقُدم بها على رسول الله ﷺ في سبايا من طيىء وقد بلغ رسول الله ﷺ هربي إلى الشام، فمر بها رسول الله فقالت: يا رسول الله غاب الوافد، وانقطع الوالد، وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة فمنّ علي منَّ الله عليك. فقال: من وافدك؟ قالت:

---

(١) أي الفضة.

(٢) ما خص به النبي ﷺ.

(٣) المغازي من رواية الواقدي ٣/ ٩٨٤ والطبقات لابن سعد ٢/ ٦٤.

(٤) المرباع: يأخذ ربع الغنيمة.

(٥) واسمها (سفانه) انظر الروض الأنف ٤/ ٢٢٨ وفي رواية الواقدي ٣/ ٨٧. وابن إسحاق في السيرة ٤/ ٢٢١ أنها أخته وروى الإمام أحمد ٤/ ٣٧٨ والترمذي ٢٩٥٦ أنها عمته وسند الرواية حسن بخلاف الرواية الأولى فهي معلقة وانظر صحيح سنن الترمذي ٣/ ٢٠ فقد حسنها العلامة الألباني رحمه الله.

عدي بن حاتم. قال: الذي فرَّ من الله ورسوله؟ قالت: ثم مضى رسول الله وتركني، فلما كان من الغد مر بي، فقلت له مثل ذلك، وقال لي مثل ما قال بالأمس، قالت: حتى إذا كان بعد الغد مر بي وقد يئست، فأشار إلي رجل من خلفه إن قومي فكلميه، قالت فقمت إليه فقلت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن عليّ منَّ الله عليك. قال رسول الله: قد فعلت، فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك، ثم آذنيني. فسألت عن الرجل الذي أشار إلى أن كلميه فقيل: علي بن أبي طالب. فأقمت حتى قدم ركب من بَلى أو قضاعة. قالت: وإنما أريد أن آتي أخي بالشام. قالت. فجئت رسول الله فأخبرته، فكساني وحملني وأعطاني نفقة[1]. قال عدي: فأتتني أختي بالشام فقالت: لقد فعل فِعْلَةً ما كان أبوك يفعلها، إئته راغباً أو راهباً، فقد أتاه فلان فأصاب منه وفلان فأصاب منه.

منَّ الرسول عليها

قدوم عدي بن حاتم على رسول الله

قال عدي: فأتيته وهو جالس في المسجد، فقال القوم: هذا عدي بن حاتم. وجئت بغير أمان ولا كتاب، فلما دفعت إليه أخذ بيدي، وقد كان قبل ذلك قال: إني لأرجو أن يجعل الله يده في يدي. قال فقام بي، فلقيته امرأة ومعها صبي فقالا إن لنا إليك حاجة. فقام معهما حتى قضى حاجتهما. فقلت في نفسي: والله ما هذا بملك. ثم أخذ بيدي حتى أتى داره فألقت له الوليدة وسادة فجلس عليها وجلست بين يديه. وعند ابن إسحاق: فتناول وسادة من أدم محشوة ليفاً فقذفها إلي فقال: اجلس على هذه. فقلت: بل أنت فاجلس إليها. قال: بل أنت. فجلست عليها وجلس رسول الله على الأرض[2]. قال فقلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك ثم قال: إيه يا عدي بن حاتم، ألم تكن ركوسياً؟ قال قلت بلى. قال: أولم تكن تسير في قومك بالمرباع؟ قال قلت بلى. قال فإن ذلك لم يحل لك في دينك. قال قلت أجل والله، قال وعرفت أنه نبي مرسل يعرف ما يجهل. ثم قال: يا عدي، لعلك إنما منعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم،

---

(١) هذا من كريم خصاله عليه الصلاة والسلام.

(٢) هذا يدلك على تواضع المصطفى ﷺ فهو إمام المتواضعين والقائل (من تواضع لله رفعه).

فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف. ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل أن تفتح عليهم. قال: فأسلمت. فكان عدي يقول مضت اثنتان وبقيت الثالثة، ووالله لتكونن. قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت، ووالله لتكونن الثالثة ليفيضن المال حتى لا يوجد من يأخذه[١]. كذا في رواية ابن إسحاق[٢].

الرسول يناقش عدياً

وفي رواية غيره بعد قوله فجلست بين يديه: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما يضرك أن يقال لا إله إلاَّ الله؟ فهل تعلم من إله سوى الله؟ قلت لا. ثم تكلم ساعة: ثم قال: إنما تفر أن يقال الله أكبر، وهل تعلم شيئاً أكبر من الله؟ قال قلت لا. قال فإن اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون. قال قلت: فإني حنيف مسلم. فرأيت وجهه منبسطاً فرحاً. قال ثم أمر بي فأنزلت عند رجل من الأنصار، وجعلت أغشاه آتيه طرفي النهار. قال فبينا أنا عنده إذ جاء قوم في ثياب من الصوف من هذه النمار[٣]، قال فصلى وقام فحث عليهم ثم قال: أيها الناس ارضخوا من الفضل، ولو صاعاً، ولو بنصف صاع، ولو بقبضة، ولو ببعض قبضة، يقي أحدكم نفسه من جهنم أو النار، ولو بتمرة فإن أحدكم لاق الله وقائل له ما أقول لكم: ألم أجعل لك مالاً وولداً؟ فيقول: بلى. فيقول أين ما قدمت لنفسك؟ فينظر قدامه وبعده وعن يمينه وعن شماله ثم لا يجد شيئاً يقي به وجهه جهنم، ليق أحدكم وجهه النار ولو بشق تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة، فأني لا أخاف عليكم الفاقة فإن الله ناصركم ومعطيكم حتى تسير الظعينة ما بين يثرب والحيرة أكثر ما على مطيتها السرق. قال فجعلت أقول في

---

(١) وهذا من المعجزات التي أخبر بها رسول الله ﷺ.

(٢) أخرجه بمعناه أحمد في المسند ٣٧٩/٤ بسند حسن والحاكم ٥١٨/٤ والبيهقي في دلائل النبوة وقد أخرج البخاري ٣٥٩٥ وأحمد ٢٥٧/٤، ٣٧٩ ما بشر به النبي ﷺ به عدياً مما يكون بعد ذلك من حديث عدي رضي الله عنه.

(٣) جاء بمعناه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عند مسلم ١٠١٧.

نفسي: فأين لصوص طيء؟ رواه الإمام أحمد والترمذي[1] وغيرهما بزيادات ونقص.

وفي رواية أحمد[2]: دخلت على رسول الله وهو يقرأ في هذه الآية ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قال فقلت: إنهم لم يعبدوهم. قال بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم. ثم قال: يا عدي أسلم تسلم فقلت إني من أهل دين. قال أنا أعلم بدينك منك. فقلت أنت أعلم بديني مني؟ قال: نعم، ألست من الركوسية وأنت تأكل مرباع قومك؟ فقلت: بلى. قال فإن هذا لا يحل لك في دينك. قال فلم يعد أن قالها فتواضعت لها. وذكر نحو ما تقدم.

فصل

ايلاء الرسول من نسائه

قالوا: وفي هذه السنة هجر رسول الله نساءه وقال: ما أنا بداخل عليكن شهراً، فاعتزل في مشربة له، فنزل بعد تسع وعشرين ليلة، فبدأ بعائشة، فقالت له: يا رسول الله كنت أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً، وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدها عداً. فقال: الشهر تسع وعشرون، وكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين. والقصة في الصحيحين[3].

غزوة تبوك

أسماء الغزوة

قالوا: وكانت في رجب من هذه السنة[4] وهي آخر غزواته ﷺ. وتبوك موضع معروف، وهو نصف طريق المدينة إلى دمشق[5]، وهي غزوة العسرة، والفاضحة:

---

(١) رواه أحمد في المسند ٤/ ٣٧٨ والترمذي برقم ٢٩٥٣، ٢٩٥٤.

(٢) ليس من رواية أحمد إنما هو عند الترمذي ٣٠٩٥ وابن جرير ١٠/ ٨٠ والبيهقي ١٠/ ١١٦ وحسنه شيخ الإسلام كما في كتاب الإيمان ص ٦٤.

(٣) أخرجه البخاري برقم ٢٤٦٨.

(٤) انظر الإشارة لمغلطاي ٣٣٤ ودلائل النبوة ٥/ ٢١٩ والطبقات لابن سعد ٢/ ١٧.

(٥) انظر الروض الأنف ٤/ ١٩٥ وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ٣/ ٤٣.

لافتضاح المنافقين فيها[1]، ولعبد الرزاق عن معمر عن ابن عقيل قال: خرجوا في قلة من الظهر وفي حر شديد حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون ما في كرشه من الماء، فسميت «غزوة العسرة»[2]. وللطبراني[3] من حديث عمران بن حصين قال: كانت نصارى العرب كتبت إلى هرقل: إن هذا الرجل الذي خرج يدعى النبوة هلك وأصابتهم سنون، فهلكت أموالهم. فبعث رجلاً من عظمائهم وجهز معه أربعين ألفاً؛ فبلغ ذلك النبي ﷺ ـ ولم يكن للناس قوة ـ وكان عثمان قد جهز عيراً للشام فقال يا رسول الله هذه مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها ومائتا أوقية. قال فسمعته يقول «لا يضر عثمان ما عمل بعدها». وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان بألف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره ﷺ فرأيت [رسول الله ﷺ][4] يقلبها في حجره ويقول «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم» أخرجه الترمذي وقال: حسن غريب.

الدعوة للإنفاق على الجيش

وبعث رسول الله ﷺ إلى القبائل من العرب وإلى أهل مكة ـ وكانوا كلهم مسلمين في هذا الوقت ـ يستنفرهم، وحض رسول الله من عنده من المسلمين على الجهاد، وأمرهم بالصدقة فجاءوا بصدقات كثيرة، وكان أول من جاء بها أبو بكر، جاء بماله كله، وكان أربعة آلاف درهم. وجاء عمر بنصف ماله. وجاء العباس بن عبد المطلب بمال كثير. وجاء طلحة بمال. وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائتي أوقية فضة. وجاء سعد بن عبادة بمال. وجاء محمد بن مسلمة بمال. وجاء عاصم بن عدي بتسعين وسقاً من تمر. وبعثت النساء كل ما قدرن عليه من مسك ومعاضد وخلاخل وقرط وخواتم[5]. قال ابن إسحاق: فذكر لنا الزهري ويزيد بن رومان

---

(١) انظر صحيح البخاري برقم ٤٤١٥ والإشارة لمغلطاي ٣٣٤ والمواهب ١/ ٦٢٥.
(٢) انظر مسلم برقم ٢٧.
(٣) انظر مجمع الزوائد ٦/ ١٩٤ وسنده ضعيف قال الهيثمي فيه العباس بن الفضل الأنصاري وهو ضعيف.
(٤) بياض. في الأصل وما بين المعكوفتين من الترمذي رواه الترمذي برقم ٣٣٠١ والحاكم ٣/ ١٠٢ والبيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٢١٥.
(٥) انظر سبل الهدى والرشاد ٥/ ٤٣٥.

وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر وغيرهم من أصحابنا وبعض القوم يحدث ما لا يحدث بعض أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم وذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحر وجدب من البلاد حين طابت الثمار والناس يحبون المقام ويكرهون الشخوص على حال من الزمان الذي هم عليه، وكان رسول الله ﷺ قل ما يخرج في غزوة إلاّ كنا عنها وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يعمد له، إلاّ ما كان من غزوة تبوك فإنه بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يعمد له، ليتأهب الناس لذلك أهبته، فأمر الناس بالجهاز وأخبر أنه يريد الروم، فقال رسول الله ذات يوم وهو في جهازه ذلك للجد بن قيس أحد بني سلمة: يا جد، هل لك العام في جلاد بني الأصفر؟ فقال يا رسول الله أَوَتأذن لي ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد عجباً بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أني لا أصبر. فأعرض عنه رسول الله وقال: قد أذنت لك. ففيه نزلت هذه الآية ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ﴾ الآية. قال قوم من المنافقين: لا تنفروا في الحر، زهادة في الجهاد وشكاً في الحق وإرجافاً بالرسول، فأنزل الله ﴿ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ الآية[1].

البكاءون

ثم إن رسول الله ﷺ جد في سفره، ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله وهم البكاءون، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بني عمرو بن عوف: سالم بن عمير وغلبة بن زيد أحد بني حارثة وأبو ليلى عبد الرحمن أخو بني مازن بن النجار وعمرو بن الحمام ابن الجموح أخو بني سلمة وعبد الله بن مغفل المازني ـ وبعض الناس يقول: هو عبد الله بن عمرو المازني ـ وهرمي بن عبد الله أخو بني واقف وعرباض بن سارية، فاستحلموا رسول الله وكانوا أهل الحاجة، فقال: لا أجد ما أحملكم عليه. فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون[2] قال

---

(١) رواه البيهقي في السنن ٩/ ٣٣ ودلائل النبوة ٥/ ٢٢٥. وانظر سبل الهدى والرشاد ٥/ ٤٣٧ والسيرة لابن هشام ٤/ ١٥٦.

(٢) انظر تفسير الطبري تحقيق أحمد شاكر ١٤/ ٤١٩. والمسند ٤/ ٣٩٨. وانظر المواهب ١/ ٦٢٧.

وجاء المعذرون من الأعراب فاعتذروا إليه فلم يعذرهم الله. وجاءه المنافقون وهم ثمانون فأذن لهم[1]. ثم استحث برسول الله السير في سفره وأجمع السير، وقد كان نفر من المسلمين تخلفوا عنه من غير شك ولا ارتياب، منهم كعب بن مالك أخو بني سلمة ومرارة بن الربيع أخو بني عمرو بن عوف وهلال بن أمية أخو بني واقف وأبو خيثمة أخو بني سالم، وكانوا نفر صدق لا يتهمون في إسلامهم[2].

استعماله على المدينة

فلما خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكره على ثنية الوداع. قال ابن هشام: واستعمل على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري. وذكر الدراوردي أنه استعمل سباع بن عرفطة[3]. وخلف رسول الله على أهله علي بن أبي طالب وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون وقالوا: ما خلفه إلاّ استثقالاً منه وتخففاً منه، فلما قال ذلك المنافقون أخذ سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله وهو نازل بالجرف فقال: يا نبي الله زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استثقلتني وتخففت مني، قال: كذبوا، ولكني خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي. فرجع إلى المدينة. قلت وفي الصحيح[4] عن سعد أن رسول الله خرج إلى تبوك واستخلف علياً، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنه لا نبي بعدي؟ انتهى. فهذا يدل على أنه استخلف علياً على المدينة كما رجحه ابن عبد البر[5]، وجزم ابن القيم[6] بأن خلافة علي خاصة على الأهل، وأما الاستخلاف العام فهو لمحمد بن مسلمة كما تقدم. قال ابن إسحاق: ومضى رسول الله ﷺ على سفره.

---

(١) انظر خبرهم في السيرة لابن هشام ٤/١٥٨ وانظر تفسير الطبري ١٤/٣٩٩ والدر المنثور ٣/ ٣٦٥.

(٢) انظر سبل الهدى والرشاد ٥/ ٤٤١.

(٣) الدرر ٢٨٨ والمغازي ٣/ ٩٩٥ والطبقات ١/ ١٦٥.

(٤) رواه البخاري برقم ٣٧٠٦ ومسلم برقم ٢٤٠٤.

(٥) الدرر ٢٨٨.

(٦) زاد المعاد ٣/ ٥٢٩.

تخلف بعض الصحابة

ثم إن أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله ﷺ أياماً إلى أهله في يوم حار، فوجد امرأتين له في عريش لهما في حائط قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت فيه ماء وهيأت له فيه طعاماً. فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له فقال: رسول الله في الضحى والريح والحر، وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيأ وامرأتين حسناوين في ماله مقيم! ما هذا بالنصف. ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ، فهيئا لي زاداً. ففعلتا. ثم قدم ناضحه فارتحل، ثم خرج في طلب رسول الله حتى أدركه حين نزل تبوك، وقد كان أدرك أبو خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطريق يطلب رسول الله فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: إن لي ذنباً فما عليك أن تتخلف عني حتى آتي رسول الله. ففعل. حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك قال الناس: هذا راكب على الطريق. فقال رسول الله: كن أبا خيثمة. فقالوا: يا رسول الله هو والله أبو خيثمة. فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله وأخبره خبره. فقال له رسول الله خيراً، ودعا له بخير[1].

النهي عن شرب ماء الحجر

وقد كان رسول الله ﷺ حين مر بالحجر نزلها واستسقى الناس من بئرها، فلما راحوا قال رسول الله: لا تشربوا من مائها شيئاً ولا توضئوا منه للصلاة، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئاً[2]، ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلاَّ ومعه صاحب له. ففعل الناس ما أمرهم رسول الله، إلاَّ رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته وخرج الآخر في طلب بعير له، فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خنق على مذهبه، وأما الذي ذهب في طلب بعيره فحملته الريح حتى طرحته بجبلي طيىء، فأخبر رسول الله فقال: ألم أنهكم أن يخرج أحد منكم إلاَّ ومعه صاحبه؟ ثم دعا رسول الله ﷺ للذي أصيب على مذهبه فشفي، وأما الآخر فأهدته طيء

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ١٦٠ من رواية إسحاق بدون إسناد وقد جاء ذكر تخلف أبا خيثمة في حديث كعب بن مالك في الصحيح.

(٢) الحديث رواه البخاري في الصحيح برقم ٣٣٧٩ ومسلم برقم ٢٩٨٠ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة. وفي صحيح مسلم[1] عن أبي حميد: انطلقنا حتى أتينا تبوك، فقال ﷺ: تهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقم أحد منكم، فمن كان له بعير فليشد عقاله. فهبت ريح شديدة، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبل طيء. وفي الصحيحين[2] عن ابن عمر قال: لما مر النبي ﷺ بالحجر قال: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم، إلاَّ أن تكونوا باكيين. ثم قنع رأسه وأسرع بالسير حتى جاز الوادي. وفي البخاري أنه أمرهم بإلقاء العجين. وفي مسلم أنه أمرهم أن يعلفوه الإبل وأن يهريقوا الماء وأن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة. ورواه البخاري أيضاً، وقد حفظ رواية ما لم يحفظ الأول[3].

استسقاء الرسول ﷺ

وقال ابن إسحاق: فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك إلى رسول الله، فدعا رسول الله ﷺ فأرسل الله سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء فقيل لبعض المنافقين: ويحك هل بعد هذا شيء؟ قال: سحابة مارة[4]. حتى إذا كان رسول الله ببعض الطريق ضلت ناقته، فخرج أصحابه في طلبها فقال زيد بن لصيت: أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله إن رجلاً قال: هذا محمد يخبركم بأمر السماء، وهو لا يدري أين ناقته، وأنا والله لا أعلم إلاَّ ما علمني الله، وقد دلني الله عليها وهي في هذا الوادي من شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى تأتوني بها. فذهبوا فجاءوا بها[5].

---

(١) رواه مسلم برقم ١٣٩٢ وقد رواه البخاري برقم ١٤٨١.

(٢) رواه البخاري برقم ٣٣٨١ ومسلم برقم ٢٩٨٠.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) انظر السيرة لابن هشام ٤/ ١٦٢ من رواية ابن إسحاق والقصة ثابتة وقد أخرجها البيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٢٧٢.

(٥) انظر سيرة ابن هشام ٤/ ١٦٣ من رواية ابن إسحاق ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٢٣٢. والقصة ثابتة.

أبو ذر يتخلف عن المسير

ثم مضى رسول الله ﷺ سائراً فجعل يتخلف عنه الرجل فيقولون: يا رسول الله تخلف فلان، فيقول: دعوه، فإن يكن فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه[١]. حتى قيل: يا رسول الله تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره. فقال: دعوه فإن يكن فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه. وتلوم على أبي ذر بعيره فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله ماشياً، ونزل رسول الله في بعض منازله فقالوا: يا رسول الله إن هذا لرجل يمشي على الطريق وحده، فقال رسول الله: كن أبا ذر. فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله هو والله أبو ذر. فقال رسول الله: رحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده[٢]. قال ابن إسحاق: فحدثني بريدة بن سفيان الأسلمي عن محمد بن كعب القرظي عن عبد الله بن مسعود قال: لما نفى عثمان أبا ذر إلى الربذة فأصابه بها قدَره لم يكن معه بها أحد إلاَّ امرأته وغلامه، قال فأوصاهما أن غسلاني وكفناني ثم ضعاني على قارعة الطريق فأول راكب يمر بكم فقولوا: هذا أبو ذر صاحب رسول الله، فأعينونا على دفنه. فلما مات فعلا ذلك به، ثم وضعاه على قارعة الطريق، وأقبل عبد الله بن مسعود في رهط من أهل العراق عماراً، فلم يرعهم إلاَّ بالجنازة على ظهر الطريق قد كادت الإبل تطأها، وقام إليهم الغلام فقال: هذا أبو ذر صاحب رسول الله فأعينونا على دفنه، فاستهل عبد الله يبكي ويقول: صدق رسول الله، تمشي وحدك وتموت وحدك، ثم نزل هو وأصحابه فواروه، ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه وما قال له رسول الله في مسيره إلى تبوك[٣].

المرجفون في المدينة

وقد كان رهط من المنافقين منهم وديعة بن ثابت أخو عمرو بن عوف ومنهم

---

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٢٢١.

(٢) رواه الحاكم ٣/ ٥٠ وصححه ووافقه الذهبي وقال فيه إرسال، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٥/ ١٠ وحسن إسناده.

(٣) رواه أحمد وابن إسحاق في السيرة ٤/ ١٦٤ وعنه البيهقي الدلائل ٥/ ٢٢١ وقد حسّن الحافظ ابن كثير إسناده وقد أورد ابن القيم حديث أم ذر الذي رواه ابن حبان ٢٢٦٠ وهو حديث حسن انظر الزاد ٣/ ٥٣٦.

رجل من أشجع حليف لبني سلمة يقال له مخشي بن حمير قال بعضهم لبعض: أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم لبعض؟ والله لكأني بكم غداً مقرنين في الحبال ـ إرجافاً وترهيباً للمؤمنين ـ فقال مخشي بن حمير: والله لوددت على أني أقاضي على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة وأنا لنفلت أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه. وقال رسول الله ﷺ لعمار ابن ياسر: أدرك القوم، فإنهم قد احترقوا فسلهم عن ما قالوه، فإن أنكروا فقل: بلى قلتم كذا وكذا. فانطلق إليهم عمار فقال لهم، فأتوا رسول الله يعتذرون إليه، فقال: وديعة بن ثابت: كنا نخوض ونلعب فأنزل الله عز وجل فيهم ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ ﴾، وقال مخشي بن حمير: يا رسول الله قعد بي اسمي واسم أبي، وكان الذي عفى عنه في هذه الآية وتسمى عبد الرحمن وسأل الله أن يقتل شهيداً لا يعلم بمكانه، فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر(١). قلت: روى ابن وهب أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوماً: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبت ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله. فبلغ ذلك رسول الله ونزل القرآن. قال عبد الله بن عمر: وأنا رأيته متعلقاً عقب ناقة رسول الله تنكبه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله كنا نخوض ونلعب، ورسول الله يقول: أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم. قال ابن كثير: وقد رواه الليث بن سعد عن هشام بنحوه(٢).

استهزاء أهل النفاق

فصل

مصالحة صاحب أيلة

قال ابن إسحاق: فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك أتاه صاحب أيلة، فصالحه وأعطاه الجزية، وأعطاه أهل جربا وأذرح بالذال المعجمة والراء والحاء

---

(١) انظر المغازي ٣/ ١٠٠٣ وتفسير الدر المنثور للسيوطي ٣/ ٢٥٤ وانظر سبل الهدى والرشاد ٥/ ٤٤٥ وزاد المعاد ٣/ ٥٣٦ والحديث رواه ابن أبي حاتم ٤/ ٦٣ والحديث حسن له شواهد تشهد له.

(٢) رواه ابن أبي حاتم ٤/ ٦٤ وسنده جيد.

المهملة بلدين بالشام بينهما ثلاثة أيام فأعطوه الجزية، وكتب لهم رسول الله كتاباً[1]. وذكر ابن عائذ في مغازيه أن رسول الله ﷺ نزل بتبوك في زمان قد قل ماؤها فيه، فاغترف رسول الله بيده غرفة من ماء فمضمض بها ثم بصقه فيها ففارت عينها حتى امتلأت، فهي كذلك حتى الساعة. قلت: في صحيح مسلم[2] عن معاذ أنه ﷺ قال قبل وصوله إليها: أنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك وأنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها فلا يمسّ من مائها شيئاً حتى آتي. قال فجئنا وقد سبق إليها رجلان والعين تبض بشيء من مائها، فسألهما رسول الله: هل مسستما من مائها شيئاً؟ قالا نعم. وقال لهما ما شاء الله أن يقول. ثم غرف من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع الوشل، ثم غسل رسول الله فيه وجهه ويده ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس، ثم قال رسول الله ﷺ: يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد مليء جناناً.

عين تبوك

وذكر البيهقي في الدلائل[3] والحاكم من حديث عقبة بن عامر قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فاسترقد رسول الله لما كان منها على ليلة، فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رمح، فقال: ألم أقل لك يا بلال أكلأ لنا الفجر؟ فقال: يا رسول الله ذهب بي النوم الذي ذهب بك. فانتقل رسول الله من ذلك المكان غير بعيد ثم صلى، ثم ذهب بقية يومه وليلته.

نومه عن صلاة الفجر

ثم أصبح في تبوك، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملة إبراهيم، وخير السنن سنة محمد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص القرآن، وخير الأمور عوارفها وشر الأمور محدثاتها، وأحسن الهدي هدي الأنبياء، وأشرف الموت قتل الشهداء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير الأعمال ما نفع،

خطبته في تبوك

---

(١) رواه البخاري برقم ٣١٦١ وانظر المغازي ٣/ ١٠٣١ وسيرة ابن هشام ٤/ ١٦٥.

(٢) رواه مسلم برقم ٧٠٦.

(٣) دلائل النبوة ٥/ ٢٤١ قال ابن كثير في البداية والنهاية هذا حديث غريب وفيه نكارة وفي إسناده ضعف ورواه الحاكم ٢/ ٦٧.

وخير الهدى ما اتبع وشر العمى عمى القلب، واليد العليا خير من اليد السفلى، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى، وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة يوم القيامة، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلاَّ دبراً، ومنهم من لا يذكر الله إلاَّ هجراً، ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى. ورأس الحكمة مخافة الله، وخير ما وقر في القلب اليقين، والارتياب من الكفر، والنياحة من عمل الجاهلية. والغلول من حر جهنم، والسكر كي من النار، والشعر من إبليس، والخمر جماع الإثم، وشر المآكل مال اليتيم، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من شقي في بطن أمه، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع، والأمر إلى آخره، وملاك العمل خواتمه، وشر الروايا روايا الكذب، وكل ما هو آت قريب، وسباب المسلم فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه من معصية الله، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يتأل على الله يكذبه، ومن يغفر يغفر له، ومن يعف يعف الله عنه، ومن يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله، ومن يبتغ السمعة يسمع الله به، ومن يتصبر يغفر الله له، ومن يعص الله يعذبه. ثم استغفر ثلاثاً. انتهى[1].

جمع الصلاة في تبوك

ولمسلم[2] عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ جمع بين الصلاتين في غزوة تبوك، فجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء، قال شعبة فقلت لابن عباس: ما حمله على ذلك؟ قال: أراد أن لا يحرج أحداً من أمته. وله[3] عن معاذ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فكان يصلي الظهر والعصر جميعاً، والمغرب والعشاء جميعاً. وأخرجه مالك[4] في الموطأ وزاد: فأخر الصلاتين يوماً، ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعاً ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جميعاً. وفي رواية أبي داود[5] والترمذي عن معاذ أن النبي ﷺ كان في غزوة تبوك إذا ارتحل بعد زيغ

---

(١) سبق تخريجه في الفقرة السابقة والخطبة رواها أحمد في المسند ٣/ ٣٧ وأبو عبيد في كتاب الأموال ٢٥٥ وفي سندها أبو الخطاب المصري مجهول فالخطبة غير ثابتة.

(٢) رواه مسلم برقم ٧٠٦.

(٣) رواه مسلم برقم ٧٠٦/ ٥٣.

(٤) رواه مالك في الموطأ ٧٠٦.

(٥) رواه أبو داود برقم ١٢٢٠ والترمذي برقم ٥٥٣.

الشمس صلى الظهر والعصر جميعاً، لكن أعلّ هذه الرواية جماعة من أئمة الحديث. وذكر البخاري أن بعض الضعفاء أدخلها على قتيبة حكاه الحاكم في علوم الحديث. قال ابن عبد البر: هذا أوضح دليل على من قال لا يجمع إلاّ إذا جدّ به السير. انتهى[1].

بعث خالد إلى أكيدر

ويعث رسول الله خالد بن الوليد في أربعمائة وعشرين فارساً إلى أكيدر بن عبد الملك من كندة، وكان ملكاً عليها وكان نصرانياً بدومة الجندل. قال أبو عبيد: دومة الجندل حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبل طيء، ودومة من قريات من وادي القرى. وذكر أن عليها حصناً حصيناً يقال له مارد وهو حصن أكيدر الملك، فقال خالد: يا رسول الله كيف لي به وسط بلاد كلب وأنمار، وأنا في أناس يسير؟ فقال رسول الله: ستلقاه يصيد الوحش أو قال البقر فتأخذه. فخرج خالد ومن معه فلما بلغ خالد قريباً من حصنه بمنظر العين وكانت ليلة مقمرة صائفة وهو على سطح له في الحصن معه امرأته، فباتت البقر تحك بقرونها باب الحصن، وأشرفت امرأته على باب الحصن فقالت: ما رأيت كالليلة. وفي لفظ: هل رأيت مثل هذا قط؟ قال لا والله. قالت: فمن يترك هذه الليلة؟ قال لا أحد. فنزل فأمر بفرسه فأسرج له وركب معه نفر من أهل بيته ومعه أخوه حسان فخرجوا من حصنهم بمطاردهم، فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله، فاستأمر أكيدر وامتنع حسان فقاتل حتى قتل، وهرب من كان معه ودخل الحصن، وكان على أكيدر قباء مخوص بالذهب فاستلبه خالد وبعث به على رسول الله قبل قدومه به عليه[2]. وفي الصحيح[3] عن أنس قال: رأيت قباء أكيدر حين قُدم به على رسول الله فجعل المسلمون يلمسونه ويتعجبون منه، فقال رسول الله ﷺ: أتعجبون من هذا؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير من هذا. انتهى.

---

(١) انظر زاد المعاد ٣/ ٥٤٣ ـ ٥٤٤.

(٢) انظر البداية والنهاية ٥/ ١٧ وانظر السيرة لابن هشام ٤/ ١٦٦ من رواية ابن إسحاق وروايته موصولة وسندها حسن.

(٣) رواه البخاري برقم ٣٨٠٢ ومسلم برقم ٢٤٦٨.

مصالحة أكيدر

وقال خالد لأكيدر: هل لك على أن أخيرك من القتل حتى أتي بك رسول الله على أن تفتح دومة الجندل؟ قال نعم ذلك لك. فلما صالح خالداً أكيدراً وأكيدر في وثاق ومضاد أخو أكيدر في الحصن، أبى مضاد أن يفتح باب الحصن لما رأى أخاه في الوثاق، فطلب أكيدر من خالد أن يصالحه على شيء حتى يفتح له باب الحصن وينطلق به وبأخيه إلى رسول الله ﷺ فيحكم فيهم بما شاء، فرضي خالد بذلك فصالحه أكيدر على ألفي بعير وثلاثمائة فرس، وأربعمائة درع وأربعمائة رمح، ففعل خالد وخلى سبيله، ففتح له باب الحصن فدخله وحقن دمه ودم أخيه، فانطلق بهما إلى رسول الله ﷺ وهو قد وصل إلى المدينة، فلما قدم بهما إلى رسول الله ﷺ صالحه على الجزية وخلى سبيلهما[1]، وكتب لهما كتاب إمارة. قال ابن الأثير: ومات أكيدر نصرانياً بلا خلاف بين أهل السير، لأنه بعد المصالحة عاد إلى حصنه وبقي فيه فحاصره خالد زمن أبي بكر فقتله مشركاً بنقضه العهد[2].

فصل

إقامته في تبوك

فأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة ولم يجاوزها، وقيل عشرين ليلة يصلي بها ركعتين ركعتين[3] ولم يلق كيداً. وفي مسند أحمد[4] أن هرقل كتب إلى النبي ﷺ: إني مسلم، فقال النبي كذب وهو على نصرانيته. ولأبي عبيد[5] بسند صحيح نحوه ولفظه: قال كذب عدو الله، ليس بمسلم. وفي المواهب[6] اللدنية كتب رسول الله كتاباً من تبوك إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام فقارب الإجابة ولم يجب رواه ابن حبان[7] في صحيحه عن أنس وفي المنتقى[8] شاور رسول الله أصحابه في التقدم والمسير إليهم، فقال عمر: إن كنت أمرت بالمسير فسر، فقال رسول الله: لو

إسلام هرقل

---

(١) انظر سبل الهدى والرشاد ٦/ ٢٢١ ودلائل النبوة ٥/ ٢٥١.
(٢) سيرة ابن هشام ٤/ ١٦٦.
(٣) رواه أبو داود برقم ١٢٣٥ وأحمد ٣/ ٢٩٥.
(٤) انظر المسند ٣/ ٤٤١ وليس فيه ذكر إسلامه.
(٥) انظر الفتح ١/ ٣٠٧.
(٦) ١/ ٦٣٣.
(٧) صحيح ابن حبان برقم ٦٥٥٤، ١٤/ ٤٩٢.
(٨) انظر سبل الهدى والرشاد ٥/ ٤٦١ والمنتقى من تاريخ الإسلام لابن الملا مخطوط.

أمرت ما استشرتكم فيه، فقال عمر: يا رسول الله إن للروم جموعاً كثيرة، وليس بها أحد من أهل الإسلام، وقد دنوت وأفزعهم دنوك، لو رجعت هذه السنة حتى ترى أو يحدث الله لك في ذلك أمراً عظيماً. فانصرف رسول الله إلى المدينة، ولم يلق كيداً.

وادي المشقق

وكان في الطريق ماء يخرج من وشل يروي الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له وادي المشقق فقال رسول الله ﷺ: من سبقنا إلى الماء فلا يسقين منه شيئاً حتى نأتيه، فسبقه إليه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه، فلما أتاه رسول الله وقف عليه فلم ير فيه شيئاً فقال: من سبقنا إلى هذا؟ فقيل: يا رسول الله فلان وفلان. فقال: ألم أنهكم أن تستقوا منه شيئاً حتى آتيه؟ ثم لعنهم ودعا عليهم، ثم نزل ووضع يده تحت الوشل، فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب، ثم نضحه به ومسحه بيده ودعا بما شاء الله أن يدعو، فانخرق من الماء كما يقول من سمعه، أما إن له حساً كحس الصواعق، فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه، فقال رسول الله ﷺ: لئن بقيتم أو بقي منكم لتسمعن بهذا الطريق وقد أخصب ما بينه وما خلفه[1].

محاولة اغتيال لرسول الله

وفي مرجعه من تبوك هم المنافقون بالفتك به فعصمه الله منهم، ذكره البيهقي في الدلائل[2] من حديث ابن إسحاق عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن حذيفة قال: كنت آخذاً بخطام ناقة رسول الله ﷺ أقود به وعمار يسوق الناقة وأنا أسوق وعمار يقوده، حتى إذا كنا بالعقبة فإذا أنا باثني عشر راكباً قد اعترضوه فيها قال فأنبهت رسول الله فصرخ فيهم فولوا مدبرين، فقال رسول الله: هل عرفتم القوم؟ قلنا: يا رسول الله قد كانوا متلثمين، ولكن عرفنا الركاب. قال: هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة. قال: هل تدرون ما أرادوا؟ قلنا لا. قال: أرادوا أن يزحموا رسول الله في العقبة فيقتلوه بها. قلنا يا رسول الله ألا تبعث لعشائرهم حتى يبعث إليك كل قوم برأس صاحبهم؟ قال لا، أكره أن تتحدث العرب أن محمداً قاتل بالقوم حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم. اللَّهمّ ارمهم بالدبيلة. قلنا يا رسول الله وما الدبيلة؟ قال: شهاب من نار يقع على نياط قلب أحدهم فيهلك.

---

(١) انظر المغازي للواقدي ٣/ ٣٩ وسبل الهدى والرشاد ٥/ ٤٦٤.

(٢) دلائل النبوة ٥/ ٢٥٨.

ولأحمد[1] عن أبي الطفيل قال: لما أقبل رسول الله من غزوة تبوك أمر منادياً فنادى: إن رسول الله ﷺ يقوده حذيفة ويسوقه عمار، إذ أقبل رهط متلثمون على الرواحل، فعقبوا عماراً وهو يسوق برسول الله، وأقبل عمار يضرب وجوه الرواحل، فقال النبي ﷺ قد قد، حتى هبط رسول الله، فلما هبط ونزل رجع عمار فقال: يا عمار هل عرفت القوم؟ فقال عرفت الرواحل والقوم متلثمون. قال: وهل تدري ما أرادوا؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: أرادوا أن ينفروا برسول الله ويطرحوه. قال فسارَّ عمار رجلاً من أصحاب النبي فقال نشدتك بالله هل تعلم كم كان أصحاب العقبة؟ قال: أربعة؟. قال إن كنت منهم فقد كانوا خمسة عشر، قال فتعذر لرسول الله منهم ثلاثة وقالوا والله ما سمعنا منادي رسول الله ما علمنا ما أراد القوم. فقال عمار أشهد أن الاثني عشر حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. انتهى. وأعلم رسول الله ﷺ حذيفة وعماراً بأسمائهم وما هموا به وأمرهما أن يكتما عليهم، وكان حذيفة يقال له صاحب السر الذي لا يعلمه غيره. قال الضحاك في قوله تعالى ﴿ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾ الآية: إنها نزلت في أهل العقبة.

موت ذي البجادين

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أن عبد الله بن مسعود يحدث قال: قمت من جوف الليل في غزوة، قال فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر فاتبعتها أنظر إليها فإذا رسول الله وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو البجادين المزني قد مات، وإذا هم قد حفروا له ورسول الله في حفرته وأبو بكر وعمر يدليانه إليه، وهو يقول إدليا لي أخاكما، فدلياه إليه، فلما هيأه لشقه قال: اللَّهمّ إني أمسيت راضياً [عنه فارض عنه قال يقول ابن مسعود يا ليتني كنت صاحب الحفرة][2]، [وأقبل رسول الله ﷺ من تبوك ونزل بذي أوان وبينها][3] وبين المدينة

---

(١) رواه أحمد في المسند ٥/ ٤٥٣ وهو حديث رجاله رجال الصحيح.

(٢) ما بين المعكوفتين سقط وقد استدرك من السيرة، والحديث رواه ابن إسحاق في السيرة ٤/ ١٦٨ وذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة برقم ٤٨٠ أنه أخرجه ابن منده، وهو حديث جيد.

(٣) سقط في الأصل واستدرك من زاد المعاد ٣/ ٥٤٩.

ساعة من نهار، جاءه خبر مسجد الضرار من السماء، وذكر غيره أن بني عمرو بن عوف لما اتخذوا مسجد قباء فبعثوا إلى رسول الله أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه، فحسدتهم إخوتهم بني غنم ـ وكانوا من منافقي الأنصار ـ فقالوا: نبني مسجداً ونرسل إلى رسول الله فيصلي فيه كما صلى في مسجد إخواننا ويصلي فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام. وروى عثمان بن سعيد الدارمي عن ابن عباس في قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا ﴾ هم ناس من الأنصار ابتنوا مسجداً، فقال لهم أبو عامر: ابنوا مسجدكم واستعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآتي بجند من الروم فأخرج محمداً وأصحابه. فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي ﷺ فقالوا: إنا فرغنا من بناء مسجدنا فنحب أن تصلي فيه وتدعو بالبركة، فأنزل الله ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ ـ يعني مسجد قباء ـ ﴿ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ ﴾ إلى قوله ﴿ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ ﴾ يعني قواعده ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ من الشك ﴿ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ ﴾ يعني بالموت. انتهى[1].

قصة مسجد الضرار

قال ابن إسحاق: وقد كان أهل مسجد الضرار، أتوا رسول الله وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا: يا رسول الله إنا بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه. فقال رسول الله: إنا على جناح سفر وحال شغل، ولو قدمنا إن شاء الله أتينا فصلينا لكم فيه. فلما انصرف رسول الله من تبوك ونزل بذي أوان أتاه المنافقون الذين بنوا مسجد الضرار فسألوه إتيان مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم فنزل عليه القرآن وأخبره الله تعالى خبرهم وما هموا به، فدعا رسول الله مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن فقال لهم: انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه. فخرجوا سراعاً حتى أتوا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك: انظروني حتى أخرج إليكم بنار من أهلي. فأخذ سعفاً من النخل فأشعل فيه ناراً، ثم خرجوا

(١) انظر زاد المعاد ٣/ ٥٥٠ وسبل الهدى والرشاد ٥/ ٤٧٠ والسيرة ٤/ ١٧١ .

استقبال الرسول

يشتدون حتى دخلوا المسجد فحرقوه وهدموه وتفرق أهله عنه[١]. ولما دنا رسول الله ﷺ من المدينة خرج الناس لتلقيه وخرج النساء والصبيان والولائد يقلن:

طلـــع البـــدر علينـــا مـــن ثنيـــات الـــوداع
وجـــب الشكـــر علينـــا مـــا دعـــا لله داع

قال في الهدي[٢]: وبعض الناس يهم في هذا ويقول: إنما كان ذلك عند مقدمه من مكة، وهو وهم ظاهر، لأن ثنيات الوداع، إنما هي من ناحية الشام. فلما أشرف على المدينة قال «هذه طابة وهذا جبل أحد يحبنا ونحبه»[٣]. وفي البخاري[٤] لما رجع النبي ﷺ من غزوة تبوك فدنا من المدينة قال: إن في المدينة رجالاً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلاّ كانوا معكم، حبسهم العذر. قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟ قال: وهم بالمدينة.

فصل

صلاته ركعتين في المسجد

ولما دخل المدينة بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين - كما في حديث كعب بن مالك في الصحيحين - ثم جلس للناس، فجاء المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل رسول الله منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله. وتخلف أولئك الرهط الثلاثة من غير شك ولا نفاق: كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية، وأمر رسول الله أصحابه أن لا يكلموا هؤلاء الثلاثة.

حديث الثلاثة الذين خلفوا

وروى البخاري ومسلم وغيرهما[٥] عن كعب بن مالك قال: ما تخلفت عن رسول الله في غزوة غزاها قط، غير أني كنت قد تخلفت في غزوة بدر، وكان غزوة

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ١٧١ - ١٧٢.
(٢) زاد المعاد ٣/ ٥٥١.
(٣) رواه مسلم برقم ١٣٩٢ وسبق تخريجه.
(٤) رواه البخاري برقم ٤٤٢٣.
(٥) رواه البخاري برقم ٤٤١٨ ومسلم برقم ٢٧٦٩ وأبو داود رقم ٣٣٢١ والنسائي ٦/ ١٥٢ مختصراً وأحمد ٣/ ٤٥٦.

بدر لم يعاتب أحد تخلف عنها، وذلك أن رسول الله إنما خرج يريد عير قريش، فجمع الله بينه وبين عدوه على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ العقبة حين تواثقنا على الإسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت غزوة بدر أذكر في الناس منها وكان من خبري حين تخلفت عنه في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه تلك الغزوة، والله ما اجتمعت لي راحلتان قط حتى اجتمعتا في تلك الغزوة، وكان رسول الله قلّ ما يريد غزوة يغزوها إلاّ ورّى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً، واستقبل عدواً كثير فجلا للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبته، وأخبرهم بوجهة الذي يريده، والمسلمون مع رسول الله كثير لا يجمعهم كتاب حافظ ـ يريد الديوان ـ وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، وجعلت أغدو لأتجهز معه فأرجع ولم أقض شيئاً فأقول في نفسي: أنا قادر على ذلك إن أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى شمر بالناس الجد وأصبح رسول الله غادياً والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً، فقلت أتجهز بعد يوم أو يومين ثم ألحق بهم فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت فلم أقض شيئاً، ثم غدوت ورجعت ولم أقض شيئاً، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو. فهممت أن أرتحل فأدركهم، وليتني فعلت ولم أفعل، وجعلت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله فطفت فيهم يحزنني أن لا أرى إلاّ رجلاً مغموصاً عليه بالنفاق، أو رجلاً ممن عذره الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: ما فعل كعب بن مالك؟ فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه ونظره في عطفيه، فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا منه إلاّ خيراً، فسكت رسول الله. فلما بلغني أن رسول الله ﷺ توجه قافلاً حضرني همي وطفقت أتذكر الكذب وأقول: بما أخرج من سخطة رسول الله غداً؟ وأستفتي على ذلك كل ذي رأي من أهلي، فلما قيل لي إن رسول الله قد قفل قادماً زاح عني الباطل وعرفت أني لا أنجو منه إلاّ بالصدق، فأجمعت أن أصدقه. وأصبح رسول الله قادماً إلى المدينة، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاء المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين

رجلاً، فقبل رسول الله علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، حتى جئت فسلمت عليه، فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال: تعال. فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال: ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟ فقلت: بلى إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن أخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً ولكن والله قد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت. فقال رسول الله ﷺ: أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك. وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله بما اعتذر به المخلفون، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله لك، فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم رجلان قالوا مثل ما قلت، وقيل لهما مثل ما قيل لك. فقلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العامري وهلال بن أمية الواقفي. فذكروا لي رجلين صالحين شهدا بدراً فيهما أسوة ـ ولم يذكر ابن إسحاق في روايته قد شهدا بدراً ـ فمضيت حين ذكروهما لي.

ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشبَّ القوم وأجلدهم، وكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف الأسواق فلا يكلمني أحد، وآتي رسول الله فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي، فإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال عليّ ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلي، فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام، فقلت: يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت. فعدت له فنشدته فسكت، فعدت له فنشدته

فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار قال فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إلي كتاباً من ملك غسان، وكنت كاتباً فقرأته فإذا فيه «أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسيك» فقلت لما قرأتها، وهذا أيضاً من البلاء. زاد ابن إسحاق قد بلغ بي ما وقعت فيه أن طمع فيّ رجل من أهل الشرك فتيممت بها التنور فسجرته بها. حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول لرسول الله ﷺ فقال: إن رسول الله يأمرك أن تعتزل امرأتك: فقلت أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال لا بل اعتزلها ولا تقربنها. وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك. فقلت لامرأتي الحقي بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر. قال كعب: فجاءت امرأة هلال بن أمية إلى رسول الله فقالت: يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: لا، ولكن لا يقربنك. قالت: إنه والله ما به حراك إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه، فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله وما يدريني ما يقول رسول الله إذا استأذنته وأنا رجل شاب، فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت خمسين ليلة من حين نهى رسول الله عن كلامنا فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله: قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت ـ زاد ابن إسحاق: وقد كنت ابتنيت خيمة في ظهر سطح فكنت أكون فيها ـ إذ سمعت صوت صارخ على جبل سلع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر. فخررت ساجداً، وعرفت أن جاء الفرج. قال وآذن رسول الله بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل صاحبي مبشرون. وركض رجل إليّ فرساً وسعى ساع من أسلم حتى أوفى على الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس. فلما جاء الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبيّ فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، فانطلقت إلى رسول الله ﷺ،

فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئوني بالتوبة يقولون: نهنئك توبة الله عليك. قال كعب: حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله جالس وحوله الناس، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، ووالله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة. فلما سلمت على رسول الله، قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور: أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك. قال قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: لا بل من عند الله، وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه. فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله. قال رسول الله: أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك. قلت: فإني أمسكت سهمي الذي بخيبر، فقلت يا رسول الله إنما نجاني الله بالصدق وإن من توبتي أن لا أحدث إلاّ صدقاً ما بقيت. فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين ابتلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله أحسن مما ابتلاني، وما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله إلى يومي هذا كذباً، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي - وأنزل الله على رسوله ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ إلى قوله ﴿ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾. وقال كعب: فوالله ما أنعم الله عليّ نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله يومئذ أن لا أكون كذبته، فأهلك كما هلك الذين كذبوا فإن الله تبارك وتعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد، فقال ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ ﴾ الآيتين قال كعب: وكنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ ﴾. وليس الذي ذكر الله من تخلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه. انتهى.

وقوله فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً قال في الهدى[1]. هذا

---

(١) زاد المعاد ٣/ ٥٧٧.

الموضع مما عد من أوهام الزهري، فإنه لا يحفظ عن أحد من أهل المغازي والسير البتة ذكر هذين الرجلين في أهل بدر، لا ابن إسحاق ولا ابن عقبة ولا الواقدي، وكذلك ينبغي أن لا يكونا من أهل بدر، فإن النبي ﷺ لم يهجر حاطباً ولا عاقبه وقد جس عليه، وأين ذنب التخلف عن ذنب الجس؟ قال أبو الفرج بن الجوزي: ولم أزل حريصاً على كشف ذلك وتحقيقه حتى رأيت أبا بكر الأثرم قد ذكر الزهري وفضله وحفظه واتقانه وأنه لا يكاد يحفظ عليه غلط إلا في هذا الموضع وهذا لم يقله أحد غيره والغلط لا يعصم منه إنسان.

هلال وأمية ليسا من أصحاب بدر

فصل
[في أحداث السنة التاسعة]

قالوا: ولما قدم رسول الله ﷺ من تبوك وجد عويمر العجلاني امرأته حبلى فلاعن عليه السلام بينهما كما ثبت ذلك في الصحيحين[1] وغيرهما.

ملاعنة عويمر زوجته

وفيها رجم رسول الله المرأة الغامدية وذلك أنها جاءته فقالت: يا رسول الله إني قد زنيت وأنا أريد أن تطهرني، فقال لها النبي ﷺ: ارجعي. ثم أتته الغد فقالت أيضاً، وبعد الغد أيضاً وقالت: يا رسول الله طهرني، فلعلك تردني كما رددت ماعز بن مالك، فوالله إني لحبلى من الزنا، فقال لها: ارجعي حتى تلدي. فلما ولدت جاءت بالصبي فقال لها ارجعي بالصبي حتى تفطميه فلما فطمته جاءت بالصبي وفي يده كسرة خبز فقالت: يا نبي الله، هذا فطمته. فأمر النبي ﷺ بالصبي فدفع إلى رجل من المسلمين وأمر بها فحفر لها حفرة فجعلت فيها إلى صدرها ثم أمر الناس أن يرجموها، فأتى خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فنضح الدم على وجه خالد بن الوليد فسبها، فسمع النبي ﷺ سبه إياها فقال: مهلاً يا خالد، لا تسبها، فوالذي نفس محمد بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له. فأمر بها فصلى عليها ودفنت[2].

رجم الغامدية

---

(١) رواه البخاري برقم ٥٣٠٨ ومسلم برقم ١٤٩٢.

(٢) رواه مسلم برقم ١٦٩٥.

صلاته على النجاشي

قالوا وفي هذه السنة توفي النجاشي ملك الحبشة في المغرب واسمه أصحمة وهو الذي هاجر إليه المسلمون، فنعاه النبي ﷺ، وخرج إلى المصلى وصفَّ أصحابه خلفه وكبَّر عليه أربع تكبيرات كما ثبت ذلك في الصحيحين[١]، وتقدم ذلك عند ذكر هجرة الحبشة.

وفاة أم كلثوم

وفيها توفيت أم كلثوم بنت رسول الله تحت عثمان بن عفان، فحزن عليها حزناً شديداً فقال ﷺ لو كانت عندي ثالثة لزوجتكها يا عثمان. وجلس عليه الصلاة والسلام على قبرها وعيناه تدمعان وقال: هل منكم أحد لم يقارف الليلة أهله؟ فقال أبو طلحة: أنا يا رسول الله، فقال: انزل، فنزل في قبرها أبو طلحة كما ثبت ذلك في صحيح البخاري[٢].

موت ابن أبيّ

وفيها مات عبد الله بن أبيّ رأس المنافقين، فأتاه النبي ﷺ فشهده وصلى عليه وألبسه قميصه. ولما قام ﷺ ليصلي عليه وثب إليه عمر فقال: يا رسول الله أتصلي على ابن أبي وقد قال كذا يوم كذا وعدد قوله، فتبسم رسول الله وقال أخر عني يا عمر. فلما أكثر عليه قال: إني خيرت فاخترت، ولو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها. فصلى رسول الله ثم انصرف[٣]، فلم يمكث إلاَّ يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ الآيتان قال عمر: فعجبت من جرأتي على رسول الله يومئذ، والله ورسوله أعلم. وعن جابر بن عبد الله قال: أتى رسول الله عبد الله بن أبي عندما أدخل حفرته فأمر به فأخرج فوضع على ركبتيه فنفث فيه من ريقه وألبسه قميصه، وكان كسا عباساً قميصاً لما أتى به يوم بدر ولم يكن عليه ثوب، فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه كساه النبي ﷺ إياه فلذلك ألبسه عليه الصلاة والسلام قميصه، قال ابن عيينة كانت له عند النبي ﷺ يد فأحب أن يكافئه[٤].

---

(١) رواه البخاري برقم ١٣١٨ ومسلم برقم ٩٥١.

(٢) رواه البخاري برقم ١٣٤٢.

(٣) رواه البخاري برقم ١٢٦٩ ومسلم برقم ٢٧٧٤.

(٤) انظر البخاري رقم ٣٠٠٨، ١٢٧٠ ومسلم رقم ٢٧٧٣.

قدوم ملوك حمير

وفي هذه السنة قدم على النبي ﷺ كتاب ملوك حمير مقدمة من تبوك سنة تسع، وهم الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان بن قيل ذي رعين وهمدان ومعافر ورسولهم إليه ﷺ مالك بن مرة الرهاوي. قال الواقدي: بعث زرعة ذو يزن إلى رسول الله مالك بن مرة بإسلام ملوك حمير ومفارقتهم الشرك وأهله، وقد كان رسول الله في مسيره إلى تبوك يقول: إني بشرت بالكنزين فارس والروم، وأمددت بالملوك ملوك حمير يأكلون في الله ويجاهدون في سبيل الله، فلما قدم مالك بن مرة بإسلامهم كتب إليهم:

كتابه لهم

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله النبي، إلى الحارث بن عبد كلال وإلى نعيم بن عبد كلال وإلى النعمان بن قيل ذي رعين ومعاذ وهمدان. أما بعد فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلاَّ هو. أما بعد، فإنه قد وقع بنا رسولكم منقلبنا من أرض الروم فلقينا بالمدينة، فبلغ ما أرسلتم به وخبر ما قلتم وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين وأن الله قد هداكم بهداه إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من المغانم خمس الله وسهم النبي وصفيه وما كتب على المؤمنين من الصدقة (وبين لهم صدقة الزرع والإبل والبقر والغنم. ثم قال): فمن زاد فهو خير له، ومن أدى ذلك وأشهد على إسلامه وظاهر المؤمنين على المشركين فإنه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم. ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يرد عنها وعليه الجزية على كل حالم ذكر أو أنثى حر أو عبد دينار واف من قيمة المعافر أو عوضه ثياباً، فمن أدى ذلك إلى رسول الله فإن له ذمة الله وذمة رسوله، ومن منعه فإنه عدو لله ولرسوله. أما بعد فإن محمداً النبي أرسل إلى زرعة ذي يزن أن إذا أتاكم رسلي فأوصيكم بهم خيراً معاذ بن جبل وعبد الله بن يزيد ومالك بن عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مرة وأصحابهم، وأن جمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخاليفكم فأبلغوها رسلي، وأن أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن إلاَّ راضياً. أما بعد فإن محمداً يشهد أن لا إله إلاَّ الله وأنه عبده ورسوله ثم إن مالك بن مرة الرهاوي قد حدثني أنك قد أسلمت من أول حمير وقتلت المشركين، فابشر بخير، وآمرك بحمير خيراً، ولا تخونوا ولا تخاذلوا فإن رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم. وإن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته، إنما هي زكاة يزكى بها على الفقراء

والمساكين وابن السبيل، وإن مالكاً قد بلغ الخبر وحفظ الغيب وآمركم به خيراً، وإني قد أرسلت إليكم من صالحي أهلي، وأولى دينهم وأولى علمهم، وآمركم بهم خيراً فإنه منظور إليهم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فهذا ما ذكره ابن إسحاق من شأن ملوك حمير وما كتبوا به وما كتب إليهم[1].

وفي هذه السنة في ذي القعدة بعث رسول الله ﷺ أبا بكر على الحج ذكره ابن سعد وغيره بسند صحيح عن مجاهد، ووافقه عكرمة بن خالد، وقال قوم: في ذي الحجة، وبه قال الداودي والماوردي ومحمد بن سعد، ويؤيده أن ابن إسحاق صرح بأن النبي ﷺ أقام بعدما رجع من تبوك رمضان وذا القعدة، ثم بعث أبا بكر على الحج، فيكون حجه في ذي الحجة. والله أعلم[2].

ثم حج رسول الله ﷺ في العام القابل في ذي الحجة وذلك حين قال رسول الله في حجته تلك «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض» وذلك أن العرب كانوا يستعملون النسيء فيؤرخون المحرم إلى صفر ثم كذلك حتى تتدافع الشهور فيستدير التحريم على السنة كلها، روى نحو هذا عن مجاهد. قال ابن كثير في تفسيره[3]: وقول مجاهد فيه نظر. وأيضاً كيف تصح حجة في ذي القعدة وأنى هذا؟ وقد قال الله ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ الآية. وإنما نودي بذلك في حجة أبي بكر، فلو لم يكن في ذي الحجة لما قال الله ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ ولا يلزم من فعلهم النسيء الذي ذكره من دوران السنة عليهم في كل عام شهراً، فإن النسيء حاصل بدون هذا، فإنهم لما كانوا يحلون شهر المحرم عاماً عوضوا صفر وبعده ربيعاً وربيع الآخر والسنة حالها على نظامها وعدتها وأسماء شهورها، ثم في العام القابل يحرمون المحرم ويتركونه على تحريمه وبعده صفر وربيعاً وربيعاً الآخر إلى آخرها، فيحلونه عاماً ليواطئوا عدة ما

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ٢٣١ ـ ٢٣٢ ـ ٢٣٣ وانظر تاريخ الطبري ٣/ ١٢٠ ـ ٢٢ وانظر المصنف لعبد الرزاق ٤/ ١٣٦ والبيهقي في السنن ٤/ ١٣٠.

(٢) انظر الطبقات ٢/ ١٦٨ والبخاري برقم ٤٣٦٣، ٤٦٥٦ والمنتظم لابن الجوزي ٣/ ٣٧٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم وانظر الفتح ٨/ ٨٢.

حرم الله أي في تحريمه أربعة أشهر من السنة، إلاَّ أنهم تارة يقدمون تحريم الشهر الثالث من الثلاثة المتوالية وهو المحرم وتارة ينسوئه إلى صفر أي يؤخرونه. وأما قوله ﷺ «إن الزمان قد استدار كهيئته» إلى آخره، فهو تقدير منه وتثبيت للناس على ما جعله الله لهم في أول الأمر من غير تقديم ولا تأخير ولا نقص ولا نسيء ولا تبديل، كما قال في تحريم مكة «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة» وهكذا قال ههنا «إن الزمان قد استدار» إلخ، أي الأمر شرعاً كما ابتدأ الله ذلك في كتابه يوم خلق السموات والأرض. انتهى كلامه.

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بقية شهر رمضان وشوالاً وذا القعدة، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج من سنة تسع ليقيم للمسلمين حجهم[١]، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم، فخرج أبو بكر ومن معه من المسلمين، قال في المواهب: وكان معه ثلاثمائة رجل من المدينة وعشرون بدنة. قال ابن إسحاق ونزلت براءة في نقض ما بين رسول الله وبين المشركين من العهد الذي كانوا عليه: أن لا يصدوا عن البيت أحداً جاءه ولا يخاف أحد في الشهر الحرام، وكان ذلك عهداً عاماً بينه وبين الناس من أهل الشرك، وكانت بين رسول الله ﷺ وبين قبائل العرب خصائص إلى آجال مسماة، فنزلت فيه وفيمن تخلف من المنافقين عنه في تبوك وفي قول من قال منهم، فكشف الله فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون منهم من سمي لنا ومنهم من لم يسمَّ لنا. قال ابن إسحاق: وكانت براءة تسمى في زمان رسول الله وبعده المبعثرة لما كشفت من سرائر الناس[٢].

نزول سورة براءة

قال[٣] وحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن أبي جعفر محمد بن علي أنه لما نزلت براءة على رسول الله قيل له: يا رسول الله لو بعثت بها إلى أبي بكر، فقال: لا يؤدي عني إلاَّ رجل من أهل بيتي[٤]، فدعا علي بن أبي طالب فقال:

بعث علي رضي الله عنه بسورة براءة

---

(١) وهذا فيه فضيلة أبي بكر رضي الله عنه وإشارة إلى خلافته.

(٢) وتسمى الفاضحة لفضحها المنافقين وبيانها لمكرهم وخداعهم.

(٣) سيرة ابن هشام ٤/ ١٨٩.

(٤) لأن العرب كان من عادتهم ذلك.

اخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى أنه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. ومن كان له عند رسول الله عهد فهو له مدته. فخرج علي على ناقة رسول الله العضباء، حتى أدرك أبا بكر الصديق، فلما رآه أبو بكر قال: أمير أو مأمور؟ قال: بل مأمور. ثم مضيا فأقام أبو بكر للناس الحج[1].

وللنسائي[2] عن جابر قال كنا مع أبي بكر في حجته، فلما كان بالعرج ثوّب بالصبح، فلما استوى للتكبير سمع الرغوة خلف ظهره، فوقف عن التكبير فقال: هذه رغوة ناقة رسول الله الجدعاء، لقد بدا لرسول الله في الحج، فلعله أن يكون رسول الله فنصلي معه، فإذا هو علي عليها، فقال له أبو بكر: أمير أم رسول؟ فقال: لا بل رسول، أرسلني رسول الله ﷺ ببراءة أقرؤها على الناس في موقف الحج. فقدمنا مكة، فلما كان قبل يوم التروية بيوم قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم، حتى إذا فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها، ثم كان يوم النحر فأفضنا، فلما رجع أبو بكر خطب الناس فحدثهم عن إفاضتهم وعن نحرهم وعن مناسكهم، فلما فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها، فلما كان يوم النفر الأول قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم كيف ينفرون وكيف يرمون، يعلمهم مناسكهم، فلما فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها. وفي الصحيحين[3] عن أبي هريرة أن أبا بكر بعثه في الحجة التي أمره عليها رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع في رهط يؤذن في الناس يوم النحر أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. ثم أردف النبي ﷺ بعلي بن أبي طالب وأمره أن يؤذن ببراءة، فأذن معنا في أهل منى ببراءة أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان. قال فنبذ أبو بكر إلى الناس في ذلك العام، فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه

---

(١) انظر المسند ٢/٢٩٩ والترمذي برقم ٣٠٩١ وتفسير ابن كثير ٢/ ٣٣٢ والسيرة لابن كثير ٤/ ٧٠ والخبر ثابت.

(٢) رواه النسائي ٥/ ٢٣٤.

(٣) رواه البخاري برقم ٣٦٩، ٣١٧٧ ومسلم برقم ١٣٤٧.

رسول الله حجة الوداع مشرك، فأنزل الله في العام الذي نبذ فيه أبو بكر إلى المشركين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾ الآية. وفي رواية للبخاري: فكان حميد بن عبد الرحمن يقول يوم النحر يوم الحج الأكبر، من أجل حديث أبي هريرة. وقال الحميدي: حدثنا سفيان حدثني أبو إسحاق الهمداني عن زيد بن يثيع قال: سألنا علياً بأي شيء بعثت في الحج؟ قال «بعثت بأربع: لا يدخل الجنة إلاّ نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يجتمع كافر ومؤمن في المسجد الحرام بعد عامه هذا، ومن كان بينه وبين النبي عهد فعهدته إلى مدته، ومن لم يكن له عهد فأجله إلى أربعة أشهر»[1].

قال في الهدي[2]: واختلف في حجة الصديق هل هي التي أسقطت الفرض، أو المسقطة هي حجة الوداع مع النبي ﷺ على قولين أصحهما الثاني والقولان مبنيان على أصلين: أحدهما هل كانت حجة الصديق في ذي الحجة أو وقعت في ذي القعدة من أجل النسيء الذي كان أهل الجاهلية يؤخرون له الأشهر: والثاني قول مجاهد وغيره، وعلى هذا فلم يؤخر النبي ﷺ الحج بعد فرضه عاماً واحداً، بل بادر إلى الامتثال في العام الذي فرض فيه، وهذا هو الأليق بهديه وحاله، وليس بيد من ادعى تقدم فرض الحج سنة ست أو سبع أو ثمان دليل واحد، وغاية ما احتجوا به قوله تعالى ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ وهي نزلت بالحديبية سنة ست، وهذا ليس فيه ابتداء فرض الحج، إنما فيه الأمر بإتمامه إذ شرع فيه، وآية فرض الحج هي قوله ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ ﴾ الآية وهي نزلت عام الوفود أواخر سنة تسع. انتهى والله أعلم.

فصل
في قدوم وفود العرب وغيرهم على رسول الله ﷺ

وقد كان ابتداء الوفود بعد رجوعه عليه السلام من الجعرانة آخر سنة ثمان وما بعدها. وقال ابن إسحاق[3]: لما افتتح رسول الله مكة، وفرغ من تبوك، وأسلمت

---

(١) رواه أحمد ١/ ٧٩ والترمذي برقم ٨٧١، والحميدي برقم ٤٨ والحديث صحيح.

(٢) زاد المعاد ٣/ ٥٩٥.

(٣) سيرة ابن هشام ٤/ ٢٠٣.

ثقيف وبايعت ضربت إليه وفود العرب من كل وجه، قال ابن هشام: حدثني أبو عبيدة أن ذلك في سنة تسع، وأنها كانت تسمى «سنة الوفود». قال ابن إسحاق: وإنما كانت العرب تربص بالإسلام أمر هذا الحيّ من قريش وأمر رسول الله، وذلك أن قريشاً كانوا إمام الناس وهاديهم وأهل البيت والحرم وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم، وقادة العرب لا ينكرون ذلك، وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله وخلافته، فلما افتتحت مكة ودانت قريش عرفت العرب أنهم لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ، فدخلوا في دين الله كما قال عز وجل ﴿أَفْوَاجًا﴾ فقدم عليه وفد هوازن وهو بالجعرانة كما تقدم، وقدم عليه وفد ثقيف وتقدم ذلك أيضاً. وقدم عليه وفد بني تميم وتقدم ذلك أيضاً، وقدم عليه وفد بني عامر بن صعصعة[1] وفيهم عامر بن الطفيل عدو الله وأربد بن قيس أخو لبيد الشاعر لأمه وخالد بن جعفر وجبار بن أسلم بن مالك، وكان هؤلاء النفر الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم، فأقبل عدو الله عامر وأربد يريدان أن يغدرا برسول الله، فقيل يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك. فقال رسول الله ﷺ: دعوه، إن يرد الله به خيراً يهده. فأقبل حتى قام عليه فاستشرف الناسُ لجمال عامر، وكان من أجمل الناس، فقال: يا محمد ما لي إن أسلمت؟ قال: لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم. فقال: تجعل الأمر لي بعدك؟ قال: ليس ذلك إلي، إنما ذلك إلى الله يجعله حيث يشاء. فقال: فاجعلني على الوبر وأنت على المدر. قال: لا. قال: فماذا تجعل لي؟ قال: أجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها. قال أوَليس ذلك إليَّ اليوم؟ وكان عامر قال لأربد: إذا قدمنا على الرجل فأنا شاغل عنك وجهه فإذا رأيتني أكلمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف، فدار أربد ليضربه فاخترط من سيفه شبراً ثم حبس الله يده فلم يقدر على سله فعصم الله نبيه، فالتفت رسول الله فرأى أربد وما يصنع بسيفه فقال: اللهم اكفنيهما بما شئت. فلما خرجوا من عند رسول الله قال عامر لأربد: أين ما أمرتك به؟ قال: ويحك والله ما هممتَ بالذي أمرتني به إلاَّ وحلتَ بيني وبينه، أفأضربك بالسيف؟ فأرسل الله على

وفد بني عامر

---

(١) انظر دلائل النبوة ٥/٣١٩ والبداية والنهاية ٥/٥٧ ومجمع الزوائد ٧/٤٤ وسبل الهدى والرشاد ٦/ ٣٦١ وسيرة ابن هشام ٤/ ٢١١.

أربد وجمله صاعقة فأحرقته، وكان أربد أخا لبيد لأمه، فبكاه ورثاه، ومما قال:

أخشى على أربَد الحتوف ولا ... أرهب نوء السماك والأسد
ما إن تعرى المنون من أحد ... لا والد مشفق ولا ولد
فجعني الرعد والصواعق بالفارس ... يوم الكريمة النجد
يا عين هلا بكيت أربَد إذ ... قمنا وقام الخصوم في كبد

وقال:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الأجرب
لا ينفعون ولا يرجَّى خيرهم ... ويعاب قائلهم وإن لم يشغب
إن الرزية لا رزية مثلها ... فقدان كل أخ كضوء الكوكب

قال ابن عبد البر: ومما يستجاد قوله في قصيدة يرثي بها أخاه:

أعاذل ما يدريك إلاّ تظننا ... إذا رحل السفار من هو راجع
أتجزع مما أحدث الدهر بالفتى ... وأين كريم لم تصبه القوارع
لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى ... ولا زاجرت الطير ما الله صانع
وما المرء إلاّ كالشهاب وضوؤه ... يعود رماداً بعد إذ هو ساطع
وما البر إلاّ مضمرات من التقى ... وما المال إلاّ معمرات ودائع

قال ابن إسحاق: وأنزل الله عز وجل ﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ ﴾ وفي رواية قال عامر: والله لأربطن بكل نخلة فرساً. فقال رسول الله: يمنعك الله من ذلك وأبناء قيلة. يعني الأوس والخزرج. وفي صحيح البخاري[1]: إن عامراً أتى النبي ﷺ فقال أخيرك بين ثلاث خصال: يكون لك أهل السهل ولي أهل المدر، أو أكون خليفتك من بعدك، أو أغزوك بغطفان بألف أشقر وألف شقراء. فطعن في بيت امرأة فقال: أغدة كغدة البعير في بيت امرأة من بني فلان؟ ايتوني بفرسي، فركب، فمات على ظهر فرسه.

وفد عبد القيس

وقدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ، وهي قبيلة كبيرة ينسبون إلى عبد

---

(1) رواه البخاري برقم ٤٠٩١ وأحمد ٣/ ٢١٠.

القيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. وفي الصحيحين[١] عن ابن عباس أن وفد عبد القيس قدموا، فقال رسول الله: ممن القوم؟ فقالوا: من ربيعة. قال: مرحباً بالوفد غير خزايا ولا ندامى. فقالوا: يا رسول الله إن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، وإنا لا نصل إليك إلاَّ في شهر حرام، فمرنا بأمر فصل نأخذ به من وراءنا وندخل به الجنة. فقال: «آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع: آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس. وأنهاكم عن أربع: الدباء والحنتم والنقير والمزفت. فاحفظوهن وادعوا إليهن من وراءكم» زاد مسلم قالوا: يا رسول الله ما علمك بالنقير؟ قال: بلى، جذع تنقرونه ثم تلقون فيه من التمر ثم تصبون عليه الماء حتى يغلي، فإذا سكن شربتموه، فعسى أن يضرب ابن عمه بالسيف. وفي القوم رجل به ضربة لذلك. قال: وكنت أخبؤها حياء من رسول الله. قالوا: ففيم نشرب يا رسول الله؟ قال: اشربوا في أسقية الأدم التي تلاث على أفواهها. قالوا: يا رسول الله إن أرضنا كثيرة الجرذان لا تبقى بها أسقية الأدم. قال: وإن أكلتها الجرذان (مرتين أو ثلاثاً). ثم قال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس: إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة[٢]. قال في الهدي[٣]: وفي هذه القصة أن الإيمان بالله مجموع هذه الخصال من القول والعمل كما على ذلك أصحاب رسول الله والتابعون وتابعوهم كلهم. ذكره الشافعي في المبسوط. وفيها أنه لم يعدّ الحج من هذه الخصال. وكان قدومهم في سنة تسع، وهذا أحد ما يحتج به على أن الحج لم يكن فرض بعد، وأنه إنما فرض في العاشرة.

وفد بني حنيفة

وقدم على رسول الله ﷺ (وفد بني حنيفة) فيهم مسيلمة الكذاب. قال ابن إسحاق[٤] عن شيخ من أهل اليمامة: إن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله وخلفوا

---

(١) رواه البخاري برقم ٥٣، ٤٣٦٩ ومسلم برقم ١٧.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم ٥٨٤ وأحمد ٤/ ٢٠٥ وهو حسن.

(٣) زاد المعاد ٣/ ٦٠٧.

(٤) سيرة ابن هشام ٤/ ٢٦٨.

مسيلمة في رحالهم، فلما أسلموا ذكروا له مكانه فقالوا: يا رسول الله إنا قد خلفنا صاحباً لنا في رحالنا وركابنا. فأمر له رسول الله بما أمر للقوم وقال: أما أنه ليس بشركم مكاناً، يعني حفظه ضيعة أصحابه. ثم انصرفوا وجاءوه بالذي أعطاه، فلما قدم اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وقال: إني أشركت في الأمر معه، ألم يقل لكم حين ذكرتموني: إنه ليس بشركم مكاناً. ثم جعل يسجع السجعات فيقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن «لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين شغاف وحشا» ووضع عنهم الصلاة، وأحل لهم الخمر والزنا، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله أنه نبي. فأصفقت معه بنو حنيفة على ذلك. وقد كان كتب لرسول الله ﷺ: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أما بعد فإني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأمر ولقريش نصف الأمر، وليس قريش قوماً يعدلون. فقدم عليه رسوله بهذا الكتاب، وكتب إليه رسول الله: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. فكان في آخر سنة عشر. وفي الصحيحين[1] عن ابن عباس قال: لما قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته. وقدمها في بشر كثير من قومه، فأقبل النبي ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد النبي ﷺ قطعة من جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال: إن سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعد أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله وإن أراك الذي رأيتُ فيه ما رأيت، وهذا ثابت بن قيس يجيبك عني. ثم انصرف. قال ابن عباس: فسألت عن قول رسول الله ﷺ: وإن أراك الذي رأيت فيه ما رأيت، فأخبرني أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما، فأوحى إلي في المنام أن أنفخهما، فنفختهما، فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي: أحدهما العنسي صاحب صنعاء، والآخر مسيلمة صاحب اليمامة[2]. وهذا أصح من حديث ابن إسحاق المتقدم.

---

(١) رواه البخاري برقم ٤٣٧٣ ومسلم برقم ٢٢٧٣.

(٢) رواه البخاري برقم ٤٣٧٥ ومسلم برقم ٢٢٧٤.

وفد طيء

وقدم (وفد طيء) على النبي ﷺ وفيهم زيد الخيل وهو سيدهم، فلما انتهوا إليه كلمهم وعرض عليهم الإسلام فأسلموا وحسن إسلامهم، وقال ﷺ : ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلاَّ رأيته دون ما يقال فيه، إلاَّ زيد الخيل فإنه لم يبلغ كل ما فيه، ثم سماه «زيد الخير» وأقطعه فيد وأرضين معه وكتب له بذلك. وخرج من عند رسول الله فقال رسول الله : إن ينج زيد من حمى المدينة فإنه [قال: قد سماها رسول الله ﷺ باسم غير الحمى وغير أم ملدم فلم يثبته][1]. فلما انتهى إلى ماء من مياه نجد يقال له فردة أصابته الحمى فمات. كذا ذكر ابن إسحاق. قال ابن عبد البر: وقيل مات في آخر خلافة عمر. وفي رواية قال ﷺ «يا زيد تقتلك أم ملدم» يعني الحمى، فلما رجع إلى أهله حم ومات. وله ابنان حريث ومكنف أسلما وصحبا رسول الله وشهدا قتال أهل الردة[2].

وفد كنده

وقدم (وفد كندة) سنة عشر. قال ابن إسحاق[3] حدثني ابن شهاب أنهم قدموا في ثمانين أو ستين راكباً من كندة فيهم الأشعث بن قيس، فدخلوا عليه مسجده وقد رجلوا جممهم وتكحلوا عليهم جبات الحبرات مكفوفة بالحرير، فلما دخلوا قال رسول الله ﷺ : أوَلم تسلموا؟ قالوا: بلى. قال: فما هذا الحرير في أعناقكم؟ فشقوه ونزعوه فألقوه. وفي المسند[4] عن الأشعث بن قيس قال: قدمنا على رسول الله ﷺ وفد كندة ولا يرون إلاَّ أني أفضلهم، قلت يا رسول الله ألستم منا؟ قال: لا نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أمنا ولا ننتفي من أبينا. فكان الأشعث يقول: لا أوتي برجل نفى رجلاً من قريش من النضر بن كنانة إلاَّ جلدته الحد. قال في الهدي[5]: وفيه من الفقه أن من كان من ولد النضر فهو من قريش. وفيه جواز إتلاف المال المحرم واستعماله كثياب الحرير على الرجل، وأن ذلك ليس إضاعة

---

(١) ما بين المعكوفتين سقط استدرك من سيرة ابن هشام.

(٢) انظر سبل الهدى والرشاد ٦/ ٣٥٨ والطبقات الكبرى ١/ ٣٢١ وسيرة ابن هشام ٤/ ٢٢٠.

(٣) سيرة ابن هشام ٤/ ٢٢٨ والطبقات ١/ ٣٢٨.

(٤) رواه ابن ماجه برقم ٢٦١٢ وصححه البوصيري، وأحمد ٥/ ٢١١.

(٥) زاد المعاد ٣/ ٦١٨.

وللنبي ﷺ جدة من كندة مذكورة وهي أم كلاب بن مرة وإياها أراد الأشعث. وفيه أن من انتسب إلى غير أبيه فقد انتفى من أبيه، وقفا أمه أي رماها بالفجور. وفيه أن كندة ليسوا من ولد النضر بن كنانة. وفيه أن من أخرج رجلاً من نسبه المعروف جلد حد القذف.

قدوم فروة بن مسيك

قال ابن إسحاق: وقدم فروة بن مسيك المرادى مفارقاً لملوك كندة ومباعداً لها إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله: هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم؟ فقال: من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي يوم الردم ولا يسوؤه ذلك؟ فقال له رسول الله: أما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلاّ خيراً. واستعمله على مراد وزبيد ومذحج كلها. وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة، فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله.

وقد كان بين مراد وهمذان وقعة قبل الإسلام أصابت فيها همذان من مراد ما أرادوا حتى أثخنوهم في يوم كان يقال له يوم الردم، وفي ذلك يقول فروة بن مسيك:

مررت على لفات وهي خوص ... ينازعن الأعنة ينتحينا
فإن نغلب فغلابون قدماً ... وإن نغلب فغير مغلبينا
وما إن طبنا جبن ولكن ... منايانا ودولة آخرينا
كذاك الدهر دولته سجال ... تكر صروفه حيناً فحينا
فينا ما نسر به ونرضى ... ولو لبثت غضارته سنينا
إذا انقلبت به كرات دهر ... وألفيت الألى غبطوا طحينا
فمن يغبط بريب الدهر منهم ... ويجد ريب الزمان له خؤونا
فلو خلد الملوك إذاً خلدنا ... ولو بقي الكرام إذاً بقينا
فأفنى ذلكم سروات قومي ... كما أفنى القرون الأولينا[1]

وقدم عمرو بن معدي كرب على رسول الله ﷺ في أناس من زبيد فأسلم، ثم

---

(١) البداية والنهاية ٥/ ٧١ وسيرة ابن هشام ٤/ ٢٢٤ وتاريخ الطبري ٣/ ٣٤ وسبل الهدى والرشاد ٦/ ٣٩٢.

قدوم عمرو بن معدي كرب

رجع إلى قومه فأقام فيهم وعليهم فروة بن مسيك، فلما توفي رسول الله ﷺ ارتد عمرو بن معدي كرب ثم رجع إلى الإسلام وقتل في قتال العجم زمن عمر رضي الله عنه[1].

قدوم وفد أهل اليمن والأشعريين

وقدم على رسول الله ﷺ الأشعريون وأهل اليمن، روى يزيد بن هارون عن حميد عن أنس أن النبي ﷺ قال: يقدم عليكم قوم هم أرق منكم قلوباً، فقدم الأشعريون فجعلوا يرتجزون:

غـــداً نلقـــي الأحبـــه ... محمـــداً وحـــزبـــه[2]

ولمسلم[3] عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ «جاء أهل اليمن، هم أرق أفئدة وأضعف قلوباً. الإيمان يمان والحكمة يمانية. السكينة في أهل الغنم، والفخر والخيلاء في الفدادين أهل الوبر قبل مطلع الشمس» وفي البخاري[4] عن عمران أن نفراً من بني تميم جاءوا إلى رسول الله فقال «أبشروا يا بني تميم» فقالوا بشرتنا فأعطنا، فتغير وجه النبي ﷺ. وجاءه نفر من أهل اليمن فقال أقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم. قالوا قد قبلنا. ثم قالوا يا رسول الله جئنا لنتفقه في الدين، ونسألك عن أول هذا الأمر، فقال: كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء. وكتب في الذكر كل شيء. انتهى. وليس أراد اجتماع الأشعريين وأهل اليمن في الوفادة، فإن الأشعريين قد قدموا مع أبي موسى سنة سبع في فتح خيبر، وقدوم هؤلاء كان سنة الوفود سنة تسع، ولهذا اجتمعوا مع تميم.

وفد الأزد

وقدم على رسول الله صرد بن عبد الله الأزدي فأسلم وحسن إسلامه في وفد من الأزد، فأمَّره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن، فخرج يسير بأمر رسول الله حتى نزل بجرش وهي يومئذ مدينة مغلقة بها قبائل من قبائل العرب، قال: وقد ضوت إليهم

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٤/ ٢٢٦ وسبل الهدى ٦/ ٣٨٦.

(٢) رواه أحمد ٣/ ١٠٥ والبيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٣٥١ وهو صحيح.

(٣) رواه البخاري برقم ٤٣٨٨ ومسلم برقم ٥٢.

(٤) رواه البخاري برقم ٤٣٨٧ ومسلم برقم ٥١.

خثعم فدخلوا معهم حين سمعوا بمسير المسلمين إليهم فحاصروهم قريباً من شهر وامتنعوا فيها فرجع عنهم قافلاً حتى إذا كان في جبل لهم يقال له سكن ظن أهل جرش أنه إنما ولى عنهم منهزماً فخرجوا في طلبه حتى إذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلاً شديداً، وقد كان أهل جرش بعثوا إلى رسول الله ﷺ رجلين منهم يرتادان وينظران، فبينما هما عند رسول الله ﷺ عشية بعد العصر إذ قال رسول الله: بأي بلاد الله شكر؟ فقام الجرشيان فقالا: يا رسول الله ببلادنا جبل يقال له كسر، وكذلك يسميه أهل جرش. فقال: إنه ليس بكسر ولكنه شكر. قالا: فما شأنه يا رسول الله؟ قال: إن بدن الله لتنحر عنده الآن. قال فجلس الرجلان إلى أبي بكر أو إلى عثمان فقال لهما: ويحكما إن رسول الله لينعي لكما قومكما، فقوما فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما. فقاما إليه فسألاه ذلك فقال: اللهم ارفع عنهم. فخرجا من عند رسول الله راجعين إلى قومهما فوجدا قومهما قد أصيبوا في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر، فخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا، وحمى لهم حمى حول قريتهم. ذكره ابن إسحاق في السيرة[1].

وفد بني الحارث بن كعب

وقدم وفد بني الحارث بن كعب. قال ابن إسحاق: ثم بعث رسول الله خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى سنة عشر إلى بني الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً، فإن استجابوا فاقبل منهم، وإن لم يفعلوا فقاتلهم. فخرج خالد حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون في كل وجه ويدعون إلى الإسلام ويقولون: أيها الناس أسلموا تسلموا. فأسلم الناس ودخلوا فيما دعوا إليه. قال فقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام، فكتب إلى رسول الله بذلك، فكتب إليه رسول الله أن أقبل وتقبّل معك وفدهم. فأقبل وأقبل معه وفدهم، منهم قيس بن الحصين ذي الغصة ويزيد بن عبد المدان ويزيد بن المجمل وعبد الله بن قراد وشداد بن عبد الله، وقال لهم رسول الله ﷺ بم كنتم تغلبون من قاتلتم في الجاهلية؟ قالوا: كنا نجتمع ولا نتفرق، ولا نبدأ أحداً بظلم.

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ٢٣٠ وانظر الطبقات ١/ ٣٣٧.

قال صدقتم. وأمر عليهم قيس بن الحصين فرجعوا إلى قومهم فلم يمكثوا إلاً أربعة أشهر حتى توفي رسول الله ﷺ[1].

وفد همدان

وقدم عليه وفد همذان، منهم مالك بن النمط ومالك بن أيفع وضمام بن مالك وعمرو بن مالك فلقوا رسول الله مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الحبرات والعمائم العدنية على الرواحب المهرية ومالك بن النمط يرتجز بين يدي رسول الله يقول: .

همـــدان خيـــر ســوقـــة وأقيـــال   ليس لهـا فـي العـالميـن أمثـال
محلهـا الهضـب ومنهـا الأبطـال   لهـــا إطـــابـــات بهـــا وأكـــال

ويقول الآخر:

إليــك جــاوزن ســواد الــريــف   فـي هبـوات الصيـف والخـريـف
مخطمات بحبال الليف

وذكروا له كلاماً كثيراً حسناً فصيحاً، فكتب لهم رسول الله كتاباً أقطعهم فيه ما سألوه، وأمر عليهم مالك بن النمط وقال مالك بن النمط شعراً:

ذكرت رسول الله في فحمة الدجى   ونحـن بـأعلـى رحـرحـان وصلـدد
وهـن بنـا خـوص طـلائـح تعتلـى   بـركبـانهـا فـي لاحـب متمـدد
علـى كـل فتـلاء الـذراعيـن جسـرة   تمـر بنـا مـر الهجـف الخفيـدد
حلفت برب الراقصات إلى منى   صوادر بالركبان من هضب قردد
بـأن رسـول الله فينـا مصـدق   رسول أتى من عند ذي العرش مهتد
فما حملت من ناقة فوق رحلها   أبـرَّ وأوفـى ذمـة مـن محمـد
وأعطى إذا ما طالب العرف جاءه   وأمضـى بحـد المشـرفـي المهنـد

وروى البيهقي بسند صحيح[2] عن أبي إسحاق أن النبي ﷺ بعث خالداً إلى

---

(١) انظر البداية والنهاية ٥/ ٩٥ وسيرة ابن هشام ٤/ ٢٣٥ وسبل الهدى ٦/ ٣٢٠.

(٢) رواه البيهقي في السنن ٢/ ٣٦٦ وفي الدلائل ٥/ ٣٦٩ وانظر خبر وفد همدان سيرة ابن هشام ٤/ ٢٣٩.

اليمن يدعوهم إلى الإسلام، قال البراء: فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد، فأقمنا ستة أشهر ندعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوا: ثم إن النبي ﷺ بعث علي بن أبي طالب فأمره أن يقفل خالداً إلاَّ رجلاً كان ممن مع خالد أحب أن يعقب مع علي فليعقب معه، قال البراء: فكنت فيمن عقب مع علي، فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا فصلى بنا علي ثم صفنا صفاً واحداً ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ ، فأسلمت همدان جميعاً، فكتب علي إلى رسول الله بإسلامهم، فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خر ساجداً ثم رفع رأسه وقال: السلام على همدان السلام على همدان. وأصل الحديث في صحيح البخاري[1]. ولأحمد وأبي داود والترمذي[2] عن علي قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله تبعثني إلى قوم أسن مني وأنا حديث السن لا أبصر القضاء، قال فوضع يده في صدري وقال: اللهم ثبت لسانه واهد قلبه. وقال: يا علي إذا جلس إليك الخصمان لا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر. . الحديث. انتهى.

وفد مزينة

وقدم وفد مزينة على رسول الله ﷺ. روى البيهقي[3] عن النعمان بن مقرن، قال: قدمنا على رسول الله ﷺ أربعمائة رجل من مزينة، فلما أردنا أن ننصرف قال: يا عمر زوِّد القوم. فقال: ما عندي إلاَّ شيء من تمر ما أظنه يقع من القوم موقعاً. قال: انطلق فزودهم. قال فانطلق بهم عمر فأدخلهم منزله ثم أصعدهم إلى علية، فلما دخلنا إذا فيه من التمر مثل الجمل الأورق، فأخذ القوم منه حاجتهم. قال النعمان: وكنت في آخر من خرج فنظرت وما أفقد موضع تمرة من مكانها.

وفد نجران

وقدم وفد نجران عليه ﷺ سنة عشر. قال ابن إسحاق[4] وقدم على رسول الله ﷺ وفد نجران بالمدينة، فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير قال: لما قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ دخلوا عليه مسجده، فحانت صلاتهم فقاموا يصلون

---

(١) رواه البخاري برقم ٤٣٤٩.

(٢) رواه أبو داود برقم ٣٥٨٢ وأحمد ٢/ ٧٣ برقم ٦٦٦ طبعة أحمد شاكر وصححه أحمد شاكر.

(٣) رواه البيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٣٦٥ وأحمد في المسند ٥/ ٤٤٥ والحديث حسن.

(٤) السيرة لابن هشام ٢/ ٢١٦.

في مسجده، فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله: دعوهم. فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم. قال وحدثني يزيد بن سفيان عن السلماني عن كرز بن علقمة قال: قدم على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران ستون راكباً منهم أربعة وعشرون رجلاً من أشرافهم، والأربعة والعشرون منهم ثلاثة نفر يؤول إليهم أمرهم: العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون إلاّ عن رأيه وأمره واسمه عبد المسيح، والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم، وكان قد شرف فيهم ودرس كتبهم، وكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وخدموه وبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم، فلما توجهوا إلى رسول الله من نجران جلس أبو حارثة على بغلة له متوجهاً إلى رسول الله، وإلى جنبه أخ يقال له كرز بن علقمة يسايره، إذ عثرت بغلة أبي حارثة، فقال له كرز: تعس الأبعد ـ يريد رسول الله ـ فقال أبو حارثة: بل أنت تعست، فقال: ولم يا أخي؟ قال: والله إنه للنبي الأمي الذي ينتظرونه. فقال له كرز: فما يمنعك وأنت تعلم هذا؟ فقال: ما صنع بنا هؤلاء القوم، شرفونا ومولونا وكرمونا، وقد أبوا إلاّ خلافه، ولو فعلت نزعوا منا كل ما ترى، فأضمر عليها منه أخوه كرز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك.

قال ابن إسحاق[1]: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال: حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال: اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله فتنازعوا عنده، فقالت الأحبار: ما كان ابراهيم إلاّ يهودياً. وقالت النصارى: ما كان إلاّ نصرانياً فتنازعوا وأنزل الله فيهم ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ ﴾ إلى قوله ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ فقال رجل من الأحبار: أتريدنا يا محمد أن نعبدك كما عبد النصارى عيسى بن مريم؟ وقال رجل من النصارى: وذلك تريد يا محمد وإليه تدعونا؟ فقال رسول الله ﷺ: معاذ الله أن أعبد غير الله وآمر بعبادة غيره، ما بذلك بعثني ولا أمرني. فأنزل الله في ذلك من قولهما ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ

(١) السيرة لابن هشام ٢/٢١٧.

وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ إلى قوله ﴿ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾، ثم ذكر ما أخذ عليهم وعلى آبائهم من الميثاق بتصديقه وإقرارهم به على أنفسهم فقال ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ الآية. وحدثني محمد بن سهل بن أبي أمامة قال: لما قدم وفد نجران على رسول الله يسألونه عن عيسى بن مريم نزل فيهم فاتحة آل عمران الثمانين منها. انتهى.

قال ابن إسحاق[1]: وكانوا مختلفين في أمرهم يقولون: هو الله، ويقولون: هو ولد الله، ويقولون: هو ثالث ثلاثة. وكذلك قولهم في النصرانية فهم يحتجون في قولهم هو الله بأنه كان يحيي الموتى ويبرىء الأسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيراً، وذلك كله بأمر الله وليجعله آية للناس، ويحتجون في قولهم إنه ولد الله بأنهم يقولون لم يكن له أب يعلم، وقد تكلم في المهد، شيء لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله، ويحتجون في قولهم إنه ثالث ثلاثة بقول الله: فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا، فيقولون: لو كان واحداً ما قال إلاّ فعلت وقضيت وأمرت وخلقت، ولكنه هو وعيسى ومريم، ففي ذلك من قولهم نزل القرآن. فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله: أسلما. قالا: قد أسلمنا. قال: إنكما لم تسلما فأسلما. قالا: بل قد أسلمنا قبلك. قال: كذبتما يمنعكما من الإسلام دعاؤكما الله ولداً وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير. قالا: فمن أبوه؟ فصمت رسول الله عنهما فلم يجبهما[2] فأنزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم كله صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها فقال ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ فاستفتح السورة في تنزيه نفسه عما قالوا وتوحيده إياها بالخلق والأمر والإلهية، رداً عليهم ما ابتدعوه من الكفر، (الحي) الذي لا يموت وقد مات عيسى وصلب في قولهم، (القيوم) القائم على مكانه من سلطانه في خلقه لا يزول، وقد زال عيسى وصلب في قولهم عن مكانه الذي كان به وذهب عنه إلى غيره إلى قوله ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ أي قد كان عيسى ممن صور في

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) عيون الأثر ١/ ٢٢٠.

الأرحام ـ لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه ـ كما صور غيره من ولد آدم، فكيف يكون إلهاً وقد كان بذلك المنزل؟ ثم قال تنزيهاً لنفسه وتوحيداً لها مما جعلوا معه ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦ ﴾ في انتصاره ممن كفر به إذا شاء، الحكيم في حجته وعذره إلى عباده ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾ حجة للرب وعصمة للعباد ودفع للخصوم والباطل ليس لهن تصريف ولا تأويل ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام ولا يصرفن إلى الباطل ولا يحرفن عن الحق، يقول الله ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ أي ميل عن الهدى ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ﴾ أي لتكون لهم الحجة فيما ابتدعوا وأحدثوا، ولهم على ما قالوا شبهة ﴿ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ ﴾ أي اللبس ﴿ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ ذلك أي على ما ركبوا من الضلالة ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ ﴾ أي الذي أراده ﴿ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ فكيف يختلف وهو قول واحد من رب واحد؟ ثم ردوا تأويل المتشابهة على ما عرفوا من تأويل المحكمة التي لا تأويلِ لأحد فيها إلاّ تأويل واحد، واتفق بقول الكتاب وصدق بعضه بعضاً فنفذت به الحجة وظهر به العذر وزاح الباطل ودمغ به الكفر، يقول الله ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ ﴾ في مثل هـذا ﴿ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧ ﴾، إلى قوله ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ فيما جاءك من الخبر عن عيسى ﴿ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٦٠ ﴾ أي قد جاءك الحق من ربك فلا تمترين فيه، وإن قالوا خلق عيسى من غير ذكر فقد خلقت آدم من تراب بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذكـر، فكان كما كان عيسى لحماً ودماً وشعراً وبشراً، فليس خلق عيسى من غير ذكر بأعجب من هذا ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ أي من بعد ما قصصت عليك من خبره وكيف كان أمره ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٦١ ﴾ قال ابن هشام[1] قال أبو عبيـدة: نبتهل ندعو باللعنة. وقال غيره أي ثم نجتهد في الدعاء، قال ابن إسحاق ﴿ إِنَّ هَٰذَا ﴾ الخبر الذي جئت به عن عيسى ﴿ لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ من أمر الله ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦٢ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٢٤.

بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ فدعاهم إلى النصف، وقطع عنهم الحجة. فلما أتى رسول الله الخبر عن الله عنه والفصل في القضاء بينهم وبينه وأمر بما أمر به من ملاعنتهم إن ردوا ذلك عليه دعاهم إلى ذلك. وروى الحاكم[1] بإسناده أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل نجران: باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب. أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب الإسلام. فلما أتى إلى الأسقف الكتاب فقرأه قطع به وذعر ذعراً شديداً، فبعث به إلى رجل من أهل نجران يقال له شرحبيل بن وداعة وكان من أهل همدان، ولم يكن أحد يدعى إذا نزلت معضلة قبله، لا الأيهم ولا السيد ولا العاقب، فدفع إليه الأسقف كتاب رسول الله فقرأه، فقال الأسقف: يا أبا مريم ما رأيك؟ فقال شرحبيل: قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة، رأيي لو كان من أمر الدنيا أشرت عليك فيه برأي وجهدت لك فيه. فقال الأسقف: تنح فاجلس، ثم دعا الأسقف رجلاً آخر منهم يقال له عبد الله بن شرحبيل وهو من ذي أصبح فقال له مثل قول شرحبيل. فبعث إلى آخر يقال له جبار بن فيض من بني الحارث بن كعب فقال له مثل قول شرحبيل وعبد الله. فلما اجتمع الرأي على تلك المقالة جميعاً أمر الأسقف بالناقوس فضرب به ورفعت المسوح في الصوامع، وكذلك كانوا يفعلون إذا نزل أمر بالنهار، وإذا فزعهم ليلاً ضربوا بالناقوس ورفعت النيران في الصوامع فاجتمع أهل الوادي أعلاه وأسفله، وطول الوادي مسيرة يوم للراكب السريع، وفيه ثلاث وسبعون قرية وعشرون ومائة ألف مقاتل، فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ وسألهم عن الرأي فيه، فاجتمع رأي أهل الوادي منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمداني وعبد الله بن شرحبيل وجبار بن قيس الحارثي فيأتونهم بخبر رسول الله، فذكر مجيئهم لرسول الله ﷺ وسؤالهم له عن عيسى عليه السلام، فأصبح الغد وقد أنزل الله ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾ إلى قوله ﴿ لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى

---

(١) انظر زاد المعاد ٣/ ٦٣١ وضعَّفه ابن القيم رحمه الله وانظر المستدرك للحاكم ٢/ ٦٤٩-٣/ ٢٩٩.

ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ فأبوا أن يقروا بذلك، فلما أصبح رسول الله الغد بعدما أخبرهم الخبر أقبل مشتملاً على الحسن والحسين في خميل له وفاطمة تمشي عند ظهره للمباهلة وله يومئذ عدة نسوة، فقال شرحبيل إن كان هذا الرجل نبياً مرسلاً فلاعناه لا يبقي على وجه الأرض منا شعرة ولا ظفر إلاّ هلك. فقال له صاحباه: فما الرأي؟ فقد وضعتك الأمور على ذراع فهات رأيك. فقال رأيي أن أحكمه، فإني أرى رجلاً لا يحكم شططاً أبداً. فقال له: أنت وذاك. فلقي شرحبيل رسول الله ﷺ فقال: إني رأيت خيراً من ملاعنتك. فقال: وما هو؟ قال شرحبيل: أحكمك، فمهما حكمت فينا فهو جائز. فرجع رسول الله ولم يلاعنهم، حتى إذا كان من الغد أتوه فكتب لهم هذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما كتب محمد النبي رسول الله لنجران، إذا كان عليهم حكمه: في كل ثمرة وفي كل صفراء وبيضاء وسوداء ورقيق فأفضل عليهم وترك ذلك كله على ألفي حلة، في كل رجب ألف حلة، وكل صفر ألف حلة وكل حلة أوقية ما زادت على الخرج أو نقصت عن الأواقي فبحساب، وما قضوا من دروع أو خيل أو ركاب أو عرض أخذ منهم بحساب، وعلى نجران مثواة رسلي ومنعهم من عشرين فدونه، ولا يحبس رسول فوق شهر. وعليهم عارية ثلاثين درعاً وثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً إذا كان كيد باليمن ذو معذرة، وما هلك مما أعاروا رسولي من دروع أو خيل أو ركاب فهو ضمان على رسولي حتى يؤديه إليهم، ولنجران وحِشْيتها جوار الله وذمة النبي على أنفسهم وسكنهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم، وأن لا يغيروا ما كانوا عليه، ولا يغير حتى من حقوقهم ولا ملتهم، ولا يغير سقف من أساقفهم ولا راهب من رهبانيتهم ولا وقه من وقهيته وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، وليس عليهم دية ولا دم جاهلية ولا يخسرون ولا يعشرون ولا يطأ أرضهم جيش، ومن سأل فيهم فيسهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين. ومن أكل ربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة، ولا يؤخذ منهم رجل بظلم آخر، وعلى ما في هذه الصحيفة بجوار الله ذمة محمد رسول الله حتى يأتي الله بأمره ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير مبتلين بظلم[1]. شهد أبو سفيان وغيلان بن

---

(١) انظر دلائل النبوة ٥/ ٣٨٥، والبداية والنهاية ٥/ ١٦ وهو ضعيف.

عمرو ومالك بن عوف والأقرع بن حابس الحنظلي والمغيرة وكتب حتى إذا قبضوا كتابهم وانصرفوا إلى نجران فتلقاهم الأسقف ووجوه نجران على مسيرة ليلة ومع الأسقف أخ له من أمه وهو ابن عمه من النسب يقال له بشر بن معاوية وكنيته أبو علقمة، فدفع الوفد كتاب رسول الله إلى الأسقف، فبينما هو يقرأه وأبو علقمة معه وهما يسيران إذ كبت ببشر ناقته فتعس بشر ـ غير أنه لا يكنى عن رسول الله ـ فقال له الأسقف عند ذلك: قد والله تعّست نبياً مرسلاً. فقال بشر: لا جرم والله لا أحل عنها عقداً حتى آتيه، فضرب وجه ناقته نحو المدينة وثنى الأسقف ناقته عليه فقال له: افهم عني، إنما قلت هذا ليبلغ عني العرب مخافة أن يقولوا إنا أخذنا حقه، أو نجعنا هذا الرجل بما لم تنجع به العرب ونحن أعزهم وأجمعهم داراً. فقال له بشر: لا والله لا أقيلك ما خرج من رأسك، فضرب بشر ناقته وهو مول ظهره للأسقف وهو يقول:

إليـك تغـدو قلقـاً وضينهـا معتـرضـاً فـي بطنهـا جنينهـا
مخـالفـاً ديـن النصـارى دينهـا

حتى أتى النبي ﷺ فأسلم ولم يزل مع رسول الله حتى استشهد أبو علقمة بعد ذلك. ودخل الوفد نجران. وروى البخاري[1] عن حذيفة قال: جاء السيد والعاقب صاحبا نجران إلى رسول الله يريدان أن يلاعناه، فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل فوالله لئن كان نبياً فلاعناه لن نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا. قالا إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا إلاَّ أميناً. فقال: لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين، فاستشرف لها أصحاب رسول الله، فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح، فلما قام قال رسول الله ﷺ: هذا أمين هذه الأمة.

وله أيضاً عن ابن عباس قال أبو جهل: إن رأيت رسول الله يصلي عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه. قال فقال: لو فعل لأخذته الملائكة عياناً، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله لرجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً. انتهى[2].

---

(١) رواه البخاري برقم ٤٣٨٠ ومسلم برقم ٢٤٢٠.

(٢) رواه البخاري برقم ٤٩٥٨ والترمذي برقم ٣٣٤٨.

وفي ذلك من الفقه: مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة، ووقع ذلك لجماعة من العلماء ودعوا إليها سلفاً وخلفاً. ومما عرفت بالتجربة أن من باهل ـ لو كان مبطلاً ـ لا تمضي عليه سنة من يوم المباهلة.

وفي القصة أيضاً أن من عظم مخلوقاً فوق منزلته التي يستحقها بحيث أخرجه عن منزلة العبودية المحضة فقد أشرك وعبد مع الله غيره، وذلك مخالفاً لجميع دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم[1].

وقول ابن إسحاق: إن النبي ﷺ بعث علي بن أبي طالب إلى أهل نجران ليجمع صدقاتهم ويقدم عليه بجزيتهم فقد يظن أنه كلام متناقض لأن الصدقة والجزية لا يجتمعان، وأشكل منه ما ذكره هو وغيره أن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر أو جمادي الأولى سنة عشر إلى بني الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثاً قبل أن يقاتلهم، وقد تقدمت القصة عند ذكر وفد بني الحارث بن كعب، وتقدم في قصة أهل نجران أنهم وفدوا وصالحوه على ألفي حلة. وجواب هذا أن أهل نجران كانوا صنفين نصارى وأميين، فصالح النصارى على ما تقدم، وأما الأميون منهم فبعث إليهم خالداً فأسلموا، وقدم على النبي ﷺ وفدهم، وهم الذين قال لهم رسول الله: بم كنتم تغلبون من قاتلكم... إلخ، فقوله بعث علياً إلى أهل نجران ليأتيه بصدقاتهم وجزيتهم أراد به الطائفتين من أهل نجران صدقات من أسلم منهم وجزية النصارى[2].

وفد دوس

وقدم وفد دوس وكان قدومهم عليه بخيبر.

قدوم فروة بن عمرو

وقدم وفد فروة بن عمرو الجذامي وكان عاملاً للروم. وقال ابن إسحاق: وبعث فروة بن عمرو الجذامي إلى رسول الله ﷺ رسولاً بإسلامه وأهدى إليه بغلة

---

(١) بياض في الأصل قدر خمسة أسطر وهذا الكلام منقول من كلام ابن القيم في زاد المعاد ٣/ ٦٤٢ فليراجع.

(٢) من كلام ابن القيم في زاد المعاد ٣/ ٦٤٥، ٦٤٦. وانظر في خبر الوفد دلائل النبوة ٥/ ٣٨٢ ـ والمغازي للذهبي ـ تاريخ الإسلام ٦٩٥ ـ والإصابة ٣/ ٢٩٢، والطبقات ١/ ٣٥٧. وتاريخ المدينة لابن شبه ٢/ ٥٨٠، والبداية والنهاية ٥/ ١٦.

بيضاء وكان عاملاً للروم على ما يليهم من العرب، وكان منزله معان، فلما بلغ الروم ذلك طلبوه حتى أخذوه فحبسوه ثم صلبوه وقتلوه، وزعم الزهري أنهم لما قدموه ليقتلوه قال:

بلـغ سـراة المسلميـن بـأننـي ... سلم لربي أعظمي ومقامي[1]

وفد بني سعد بن بكر

وقدم وافد بني سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة، ففي صحيح[2] البخاري عن أنس بن مالك أنه قال: بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد إذ دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال: أيكم محمد؟ والنبي ﷺ متكيء بين ظهرانيهم، فقلنا هذا الرجل الأبيض المتكيء. فقال له الرجل: يا ابن عبد المطلب؟ فقال له النبي: قد أجبتك. قال الرجل: إني سائلك ومشدد عليك في المسألة فلا تجد علي في نفسك. فقال: سل عما بدا لك. قال: أسألك بربك ورب من قبلك، آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: اللهم نعم. فقال: نشدتك بالله، آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة. قال: اللهم نعم. قال: نشدتك بالله، آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا وتقسمها على فقرائنا؟ قال النبي ﷺ: اللهم نعم فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر. قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن الوليد عن كريب عن ابن عباس قال: بعث بنو سعد بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله، فذكر نحو ما تقدم، وزاد: قال فإني أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك: آلله أمرك أن نعبده لا نشرك به شيئاً وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون؟ فقال رسول الله ﷺ: اللهم نعم. ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة، الصلاة والزكاة والصيام والحج وفرائض الإسلام كلها، ينشده عند كل فريضة كما ينشده في التي قبلها، حتى إذا فرغ قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله، وسأؤدي هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه لا أزيد ولا أنقص، ثم انصرف راجعاً إلى بعيره - فقال رسول الله ﷺ حين ولى: إن يصدق ذو العقيصتين يدخل الجنة،

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ٢٣٤ والطبقات لابن سعد ١/ ٢٨١.

(٢) رواه البخاري برقم ٦٣ ومسلم برقم ١٢.

وكان ضمام رجلاً جلداً أشقر ذا غديرتين. ثم أتى بعيره فأطلق عقاله ثم خرج، حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه، وكان أول ما تكلم به أن قال بئست اللات والعزّى، فقالوا: مه يا ضمام؟ اتق البرص والجنون والجذام. فقال: ويلكم إنهما ما يضران ولا ينفعان، وإن الله قد بعث رسولاً وقد أنزل عليه كتاباً استنقذكم مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله، وإني جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه. فوالله ما أمسى في ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلاّ مسلماً قال ابن عباس: فما سمعنا بوافد قوم أفضل من ضمام بن ثعلبة[1].

وذكره الحج في هذه القصة يدل على أن قدوم ضمام كان بعد فرض الحج، وهذا بعيد، فالظاهر أن هذه اللفظة مدرجة من كلام بعض الرواة. والله أعلم.

وفد طارق بن عبد الله

وقدم وفد طارق بن عبد الله وقومه، وفي رواية ابن إسحاق قال طارق: ثم دخلنا المدينة فدخلنا المسجد، فإذا هو قائم على المنبر يخطب، فأدركنا من خطبته وهو يقول: «تصدقوا فإن الصدقة خير لكم، اليد العليا خير من اليد السفلى، أمك وأباك، وأختك وأخاك، وأدناك أدناك» إذ أقبل رجل من بني يربوع ـ أو قال من الأنصار ـ فقال: يا رسول الله لنا في هؤلاء دماء في الجاهلية، فقال: إن أماً لا تجني على ولد (ثلاث مرات)[2].

وفد تجيب

وقدم وفد تجيب سنة تسع وهم من السكون ثلاثة عشر رجلاً قد ساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم، فقال رسول الله: ردوها فاقسموها على فقرائكم. فقالوا: يا رسول الله ما قدمنا عليك إلاّ بما فضل عن فقرائنا، فقال أبو بكر: يا رسول الله، ما وفد العرب بمثل ما وفد به هذا الحي من تُجيب. فقال رسول الله ﷺ: إن الهدى بيد الله، فمن أراد به خيراً شرح صدره للإيمان. وسألوا رسول الله فكتب لهم بها، وجعلوا يسألونه عن القرآن والسنن، فازداد رسول الله فيهم

---

(١) رواه أبو داود برقم ٤٨٧ مختصراً وابن ماجه برقم ١٤٠٢ وأحمد في المسند ١/ ٢٦٤ والحاكم في المستدرك ٣/ ٥٤ وهو حديث حسن وهو في صحيح أبي داود برقم ٥٠٤.

(٢) روى النسائي ٥/ ٦١ جزء منه وابن ماجه برقم ٢٦٧٠ والبيهقي في الدلائل ٥/ ٣٨١ والحاكم في المستدرك ٢/ ٦١١ وسنده صحيح.

رغبة. وأمر بلالاً أن يحسن ضيافتهم، فلما أرادوا أن ينصرفوا أمر بلالاً فأجازهم بأرفع ما كان يجيز فيه الوفود. قال: هل بقي منكم أحد؟ قالوا: غلام خلفناه على رحالنا. قال: أرسلوه إلينا. فجاء الغلام فقال: يا رسول الله، إن حاجتي ليست كحاجة أصحابي، إني والله ما حملني من بلادي إلاّ أن تسأل الله أن يغفر لي ويرحمني ويجعل غناي في قلبي. فقال رسول الله: اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه. ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه، فانطلقوا راجعين إلى أهليهم. ووافوا رسول الله في الموسم بمنى سنة عشر فقالوا: نحن بنوا يدي، فقال: ما فعل الغلام الذي أتاني معكم؟ قالوا: يا رسول الله ما رأينا مثله قط، ولا حدثنا بأقنع منه بما رزقه الله، لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت إليها. فقال: الحمد لله إني لأرجو أن يموت جميعاً. فقال رجل منهم: أوليس الرجل يموت جميعاً يا رسول الله؟ فقال رسول الله: تتشعب أهواؤه وهمومه في أودية الدنيا، فلعل أجله أن يدركه في بعض تلك الأودية فلا يبالي الله في أيها هلك. قالوا: فعاش ذلك الرجل فينا على أفضل حال وأزهده في الدنيا وأقنعه بما رزق. فلما توفي رسول الله ورجع من رجع من أهل اليمن عن الإسلام قام في قومه فذكرهم الله والإسلام، فلم يرجع منهم أحد. وجعل أبو بكر الصديق يذكره ويسأل عنه حين بلغه حاله وما قام به، فكتب إلى زياد بن أسد يوصيه به خيراً[١].

وفد سعد بن هذيم

وفد بني فزارة

وقدم وفد بني سعد هذيم من قضاعة في سنة تسع وهم من أهل اليمن[٢]، وقدم وفد بني فزارة سنة تسع، قال أبو الربيع بن سالم[٣] في كتاب الإكتفاء: ولما رجع رسول الله من تبوك قدم عليه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلاً فيهم خارجة بن

---

(١) انظر سبل الهدى والرشاد ٦/ ٢٨٥ والطبقات الكبرى ١/ ٣١٦ وهي من رواية ابن سعد وفيها ضعف.

(٢) انظر خبرهم في الطبقات لابن سعد ١/ ٣٢٣ وسبل الهدى والرشاد٦/ ٣٤٣ وزاد المعاد ٣/ ٦٥٢.

(٣) (سليمان بن موسى الحميري محدث الأندلس المؤرخ وكتابه الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء).

حصن، والحر بن قيس ابن أخي عيينة بن حصن وهو أصغرهم فنزلوا في دار بنت الحارث، وجاءوا رسول الله مقرين بالإسلام وهم مسنتون على ركاب عجاف، فسألهم رسول الله عن بلادهم فقال أحدهم: يا رسول الله أسنتت بلادنا وهلكت مواشينا وجدبت جناننا وغرث عيالنا، فادع لنا ربك يغيثنا، وتشفع لنا إلى ربك وليشفع ربك إليك. فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله، ويلكم إنما شفعت إلى ربي عز وجل، فمن ذا الذي يشفع ربنا إليه، لا إله إلاّ هو العظيم، وسع كرسيه السموات والأرض، فهي تئط من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد. وقال رسول الله ﷺ: إن الله ليضحك من شفقتكم وأزلكم وقرب غياثكم. فقال الأعرابي: يا رسول الله ويضحك ربنا؟ قال نعم. فقال الأعرابي: لن نعدمك من رب يضحك خيراً. فضحك النبي ﷺ من قوله. وصعد المنبر فتكلم بكلمات، وكان لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلاّ رفع الاستسقاء، فرفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه، وكان مما حفظ من دعائه: اللهم اسق عبادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحي بلدك الميت، اللهم اسقنا غيثاً مريحاً مريعاً طبقاً واسعاً عاجلاً غير آجل نافعاً غير ضار. اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق. اللهم أسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء(١).

بني أسد

وقدم وفد بني أسد على رسول الله ﷺ عشرة رهط فيهم وابصة بن معبد وطلحة بن خويلد، ورسول الله جالس في المسجد مع أصحابه فتكلموا، فقال متكلمهم: يا رسول الله إنا شهدنا أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله وجئناك يا رسول الله ولم تبعث إلينا بعثاً، ونحن لمن ورائنا. قال محمد بن كعب القرظي: فأنزل الله على رسوله ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ﴾ الآية. وكان مما سألوا رسول الله عنه يومئذ العيافة والكهانة وضرب الحصى، فنهاهم عن ذلك كله(٢). قالوا: أرأيت خصلة واحدة بقيت؟ قال: وما هي؟ قالوا: الخط.

---

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة ٦/ ١٤٣ وابن سعد في الطبقات ١/ ٢٩٧ وانظر سبل الهدى والرشاد ٦/ ٣٩٤، والبداية والنهاية ٦/ ١٠٥ وزاد المعاد.

(٢) انظر الطبقات لابن سعد ١/ ٢٩٢ وزاد المعاد ٣/ ٦٥٥.

قال: علمه نبي من الأنبياء، فمن صادف مثل علمه علم[1].

وقدم وفد بهراء من اليمن سنة تسع، وكانوا ثلاثة عشر رجلاً ونزلوا على المقداد بن عمرو وأقاموا أياماً وتعلموا الفرائض، ثم ودعوا رسول الله وأمر لهم بالجوائز وانصرفوا إلى بلادهم[2]. وفد بهراء

وقام وفد عذرة في سنة تسع، وكانوا اثني عشر رجلاً، منهم حمزة بن النعمان فقال رسول الله ﷺ: من القوم؟ فقال متكلمهم: ممن لا تنكر، نحن بنو عذرة إخوة قصي لأمه، نحن الذين عضدوا قصياً وأزاحوا من بطن مكة خزاعة وبني بكر، ولنا قرابات وأرحام. فقال رسول الله: مرحباً بكم وأهلاً، ما أعرفني بكم. فأسلموا وبشرهم رسول الله بفتح الشام وهروب هرقل إلى ممتنع من بلاده، ونهاهم عن سؤال الكاهنة وعن الذبائح التي كانوا يذبحونها، وأخبرهم أن ليس عليهم إلاَّ الأضحية. ثم انصرفوا إلى بلادهم وقد أُجيزوا[3]. وفد عذره

وقدم وفد بَـلِيٍّ في ربيع الأول سنة تسع، فنزلوا على رويفع بن ثابت البلوي، فقال رسول الله: الحمد لله الذي هداكم إلى الإسلام، فكل من مات على غير الإسلام فهو في النار. ثم ودعوا رسول الله بعد أن أجازهم. وقال له أبو الضبيب شيخ الوفد: يا رسول الله إني رجل في رغبة من الضيافة، فهل لي في ذلك أجر؟ قال: نعم، وكل معروف صنعته إلى غني أو فقير فهو صدقة. قال: يا رسول الله كم وقت الضيافة؟ قال ثلاثة أيام. ما كان بعد ذلك فصدقة، ولا يحل للضيف أن يقيم عندك حتى يحرجك[4][5]. وفد بلَيٍّ

وقدم وفد ذي مرة، وكانوا ثلاثة عشر، ورئيسهم الحارث بن عوف، فقال رسول الله ﷺ: كيف البلاد؟ فقالوا: والله إنا لمسنتون فادع الله لنا. فقال: اللهم وفد ذي مرة

---

(١) ثبت معناه في صحيح مسلم برقم ٥٣٧ وأحمد ٥/ ٤٤٧.

(٢) انظر خبرهم في الطبقات لابن سعد ١/ ٣٣١ وزاد المعاد ٣/ ٦٥٦.

(٣) انظر الطبقات لابن سعد ١/ ٣٣١ وزاد المعاد ٣/ ٦٥٧ وسبل الهدى والرشاد ٦/ ٣٨٢.

(٤) رواه بمعناه البخاري ومسلم برقم ١٣٥٢ وأبو داود برقم ٣٧٤٨.

(٥) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٣٣١ وسبل الهدى والرشاد ٦/ ٢٨٢ وزاد المعاد ٣/ ٦٥٧.

اسقهم الغيث. ثم أقاموا أياماً ورجعوا بالجائزة، ووجدوا بلادهم قد أمطرت في ذلك اليوم الذي دعا لهم فيه رسول الله ﷺ[1].

وفد خولان

وقدم وفد خولان في شعبان سنة عشر، وكانوا عشرة مسلمين، فقال عليه الصلاة والسلام: ما فعل صنم خولان الذي كانوا يعبدونه؟ قالوا: أبدلنا الله ما جئت به، إلاّ أن عجوزاً وشيخاً كبيراً يتمسكان به، وإن قدمنا عليه هدمناه إن شاء الله. ثم أعلمهم فرائض الدين، وأمرهم بالوفاء بالعهد والأمانة وحسن الجوار وأن لا يظلموا، ثم أجازهم ورجعوا إلى قومهم وهدموا الصنم[2].

وفد محارب

وقدم وفد محارب عام حجة الوداع، وكانوا أفظ العرب وأغلظهم عليه أيام عرضه نفسه على القبائل يدعوهم إلى الله، فجاءه منهم عشرة فأسلموا ثم انصرفوا إلى أهليهم[3].

وفد صُداء

وقدم وفد صُداء في سنة ثمان فأسلموا، وهم خمسة عشر رجلاً، فبايعوه على الإسلام ورجعوا إلى قومهم، ففشا فيهم الإسلام، فوافى رسول الله منهم مائة رجل في حجة الوداع، ذكره الواقدي[4].

وفد غسان

وقدم وفد غسان في شهر رمضان سنة عشر، وكانوا ثلاثة نفر، فأسلموا وأجازهم رسول الله وانصرفوا راجعين وقالوا: لا ندري أيتبعنا قومنا أم لا، وهم يحبون بقاء ملكهم وقرب قيصر، فقدموا على قومهم فلم يستجيبوا لهم، وكتموا إسلامهم حتى مات منهم رجلان على الإسلام، وأدرك الثالث منهم عمر بن الخطاب عام اليرموك فلقي أبا عبيدة فأخبره بإسلامه فكان يكرمه[5].

---

(١) انظر الطبقات لابن سعد ١/ ٢٩٧ وزاد المعاد ٣/ ٦٦١ وسبل الهدى والرشاد ٦/ ٢٠.

(٢) انظر الطبقات لابن سعد ١/ ٣٢٤ وزاد المعاد ٣/ ٦٦٢ وسبل الهدى والرشاد ٦/ ٣٣١.

(٣) انظر الطبقات لابن سعد ١/ ٢٩٩ وزاد المعاد ٣/ ٦٦٤ وسبل الهدى ٦/ ٩.

(٤) الطبقات لابن سعد من رواية الواقدي ١/ ٣٢٦ وزاد المعاد ٣/ ٦٦٥ وسبل الهدى والرشاد ٦/ ٣٤٩ وانظر أبو داود برقم ١٣٦٠ والترمذي برقم ١٩٩ وابن ماجه برقم ٧١٧ ودلائل النبوة ٥/ ٣٣٥.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٣٣٠ وزاد المعاد ٣/ ٦٦٩ وسبل الهدى ٦/ ٣٩١.

وقدم وفد سلامان في شوال سنة عشر كما قال الواقدي، وهم ستة عشر نفراً فأسلموا، وشكوا إليه جدب بلادهم فدعا لهم، ثم ودعوه وأمر لهم بالجوائز، فرجعوا إلى بلادهم فوجدوها قد أمطرت ذلك اليوم الذي دعا لهم فيه تلك الساعة[١]. وفد سلامان

وقدم وفد عبس فقالوا: يا رسول الله قدم علينا قراؤنا فأخبرونا أنه لا إسلام لمن لا هجرة له، ولنا أموال ومواش، فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له بعناها وهاجرنا. فقال عليه السلام: إتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم من أعمالكم شيئاً، وسألهم رسول الله عن خالد بن سنان هل له عقب؟ فأخبروه أنه لا عقب له، كانت له إبنة فانقرضت، وأنشأ رسول الله يحدث أصحابه عن خالد بن سنان فقال: نبي ضيَّعه قومه[٢][٣]. وفد عبس

وقدم وفد غامد[٤] كما قال الواقدي، وكانوا عشرة فأقروا بالإسلام، وكتب لهم كتاباً فيه شرائع الإسلام، وأمر أبيّ بن كعب فعلمهم قرآناً وأجازهم عليه السلام وانصرفوا[٥]. وفد غامد

وقدم وفد الأزد سنة عشر، ذكر أبو نعيم في معرفة الصحابة والحافظ أبو موسى المديني من حديث أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان الداراني قال: حدثني علقمة بن يزيد بن سويد الأزدي قال: حدثني أبي عن جدي سويد بن الحارث قال: وفدت سابع سبعة من قومي على رسول الله ﷺ فلما دخلنا عليه وكلمناه وأعجبه ما رأى من سمتنا وزينا فقال: من أنتم؟ قلنا: مؤمنون. فتبسم رسول الله ﷺ وقال: لكل قول حقيقة؛ فما حقيقة قولكم وإيمانكم؟ قلنا: خمس عشرة خصلة: وفد الأزد

---

(١) الطبقات ١/ ٣٣٢ وزاد المعاد ٣/ ٦٧٠ ودلائل النبوة لأبي نعيم ١٦٠.

(٢) حديث لا يصح ولا يثبت وهو حديث من طريق الكلبي والواقدي.

(٣) انظر الطبقات لابن سعد ١/ ٢٩٥ والبداية والنهاية ٥/ ٨٨ وزاد المعاد ٣/ ٦٧١ وسبل الهدى ٦/ ٣٧٥.

(٤) في الأصل عامر والتصحيح من زاد المعاد.

(٥) الطبقات لابن سعد ١/ ٢٩٥ وزاد المعاد ٣/ ٦٧١.

خمساً أمرنا رسلك أن نؤمن بها، وخمساً أمرتنا أن نعمل بها، وخمساً تخلقنا بها في الجاهلية فنحن عليها إلاَّ أن تكره منها شيئاً. فقال رسول الله ﷺ: ما الخمس التي أمرتكم رسلي أن تؤمنوا بها؟ قالوا: أمرتنا أن نؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت. قال: وما الخمس التي أمرتكم أن تعملوا بها؟ قلنا أمرتنا أن نقول لا إله إلاَّ الله، ونقيم الصلاة، ونؤدي الزكاة، ونصوم رمضان، ونحج البيت من استطاع إليه سبيلاً. قال: وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية؟ قالوا: الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والرضا بمر القضاء، والصدق في مواطن اللقاء، وترك الشماتة بالأعداء، فقال رسول الله ﷺ: حكماء علماء، كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء. ثم قال: وأنا أزيدكم خمساً فتتم لكم عشرون خصلة. إن كنتم كما تقولون فلا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه غداً زائلون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون، وارغبوا في ما عليه تقدمون وفيه تخلدون، فانصرف القوم من عند رسول الله وقد حفظوا وصيته وعملوا بها[(١)][(٢)].

وفد بني المنتفق

وقدم على رسول الله وفد بني المنتفق، روى الإمام عبد الله بن أحمد في مسند أبيه قال: كتب إليَّ ابراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير الزبيري: كتبت إليك هذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتبت به إليك، فحدث به عني. قال: حدثني عبد الرحمن بن المغيرة الحزامي حدثنا عبد الرحمن بن عياش الأنصاري عن دلهم بن الأسود بن عبد الله بن حاطب بن عامر بن المنتفق العقيلي عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر. قال دلهم: وحدثنيه أبي الأسود بن عبد الله بن عاصم بن لقيط، أن لقيط بن عامر خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق، قال لقيط: فخرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله، فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة، فقام في الناس

---

(١) الحديث أورده الحافظ ابن جحر في الإصابة ٢/٩٨ في ترجمة سويد بن الحارث وسنده ضعيف.

(٢) انظر الطبقات لابن سعد ١/ ٣٣٧ وزاد المعاد ٣/ ٦٧٢ وسبل الهدى ٦/ ٣٦٣.

خطيباً فقال: يا أيها الناس، ألا إني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام لتستمعوا اليوم، ألا فهل من امرىء بعثه قومه فقالوا له: اعلم لنا ما يقول رسول الله؟ ألا ثم رجل لعله يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه ضال. ألا وإني مسئول، هل بلغت؟ ألا اسمعوا تعيشوا. ألا اجلسوا. فجلس الناس. وقمت أنا وصاحبي حتى إذا فرغ لنا فؤاده ونظره قلت: يا رسول الله ما عندك من علم الغيب؟ فضحك لعمر الله وعلم أني أبتغي السقط فقال: ضن ربك بمفاتيح خمس من الغيب، لا يعلمها إلاَّ الله ـ وأشار بيده ـ فقلت: ما هن يا رسول الله؟ فقال: علم المنية قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه. وعلم المني متى يكون في الرحم قد علمه ولا تعلمونه. وعلم ما في غد، قد علم ما أنت صانع ولا تعلمه. وعلم يوم الغيث يشرف عليكم أزلين مشفقين فيظل يضحك وقد علم أن خوفكم إلى قريب. قال لقيط فقلت: لن نعدم من رب يضحك خيراً يا رسول الله. قال: وعلم الساعة. قلت: يا رسول الله علمنا مما تعلم الناس وتعلم، فأنا من قبيل لا يصدِّق تصديقنا أحد من مذحج التي تربو علينا وخثعم التي توالينا وعشيرتنا. قال: تلبسون فيها ما لبثتم ثم يتوفى نبيكم ثم تبعث الصائحة، فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها شيئاً إلاَّ مات، والملائكة الذين مع ربك عز وجل، فأصبح ربك عز وجل يطوف في الأرض وخلت البلاد، فأرسل ربك السماء بهضبان عند العرش، فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلاَّ شقت القبر عنه حتى تخلفه عند رأسه فيستوي جالساً، فيقول ربك: مهيم؟ لما كان فيه. فيقول: يا رب أمس اليوم. لعهده بالحياة يحسبه حديثاً بأهله. فقلت: يا رسول الله، فكيف يجمعنا بعدما تمزقنا الرياح والبلى والسباع؟ قال: أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله، الأرض أشرفتَ عليها وهي مدرة بالية. فقلتَ لا تحيى أبداً، ثم أرسل الله عليها السماء فلم تلبث عليك إلاَّ أياماً حتى أشرفت عليها وهي شربة واحدة، ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض، فتخرجون من الأصواء من مصارعكم فتنظرون إليه وينظر إليكم. قال قلت: يا رسول الله كيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه؟ قال: أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله، الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونهما ويريانكم ساعة واحدة ولا تضامون في رؤيتهما. قلت: يا رسول الله فما يفعل بنا ربنا إذا

لقيناه؟ فقال: تعرضون عليه بادية له صفحاتكم لا تخفى عليه خافية، فيأخذ ربك بيده غرفة من ماء فينضح بها قبلكم، فلعمر إلهك ما تخطىء وجه أحد منها قطرة، فأما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة البيضاء، وأما الكافر فتخطمه بمثل الحميم الأسود. ثم ينصرف نبيكم ويتفرق على أثره الصالحون، فيسلكون جسراً من النار يطأ أحدهم الجمرة يقول: حس، يقول ربك عز وجل: أوانه. فتطلعون على حوض نبيكم على أظمأ والله ناهلة قط ما رأيتها، فلعمر إلهك ما يبسط أحدكم يده إلاَّ وقع عليها قدح يطهره من الطوف والبول والأذى، وتخنس الشمس والقمر فلا ترون منهما واحداً. قال قلت: يا رسول الله فيم نبصر؟ قال بمثل بصرك ساعتك هذه، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقت الأرض وواجهت به الجبار. قال قلت: يا رسول الله فيم نجزى من حسناتنا وسيئاتنا؟ قال: الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها، إلاَّ أن يعفو الله. قال قلت: يا رسول الله ما الجنة، ما النار؟ قال: لعمر إلهك إن النار لها سبعة أبواب، ما منها بابان إلاَّ ويسير الراكب بينهما سبعين عاماً، وإن للجنة ثمانية أبواب، ما منها بابان إلاَّ ويسير الراكب بينهما تسعين عاماً. قال. قلت: يا رسول الله فعلام نطلع من الجنة؟ قال: على أنهار من عسل مصفى، وأنهار من خمر ما بها صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وماء غير آسن، وفاكهة لعمر إلهك ما تعلمون وخير من مثله معه، وأزواج مطهرة. قلت: يا رسول الله أوَلنا فيها أزواج، ومنهن مصلحات؟ قال: المصلحات للمصلحين، وفي لفظ الصالحات للصالحين، تلذونهن ويلذذنكم مثل لذاتكم في الدنيا، غير أن لا توالد. قال لقيط فقلت: يا رسول الله أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه؟ [قال: ما لا عين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[1]] قلت: يا رسول الله على ما أبايعك؟ فبسط النبي ﷺ يده وقال: على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وزيال الشرك وأن لا تشرك بالله إلهاً غيره. قال قلت: يا رسول الله وأن لنا ما بين المشرق والمغرب؟ فقبض النبي ﷺ يده وظن أني مشترط مالاً يعطينيه. قال قلت: نحل منها حيث شئنا، وأن لا يجني

---

(١) قال في الأصل وجدت في نسخة أخرى ما صورته: فلم يجبه النبي ﷺ (ق) وهو الصحيح الموجود في المسند.

على امرىء إلاَّ نفسه. فبسط يده وقال: لك ذلك، تحل حيث شئت، ولا يجني عليك إلاَّ نفسك. قال فانصرفنا عنه. ثم قال: ها إن ذين، ها إن ذين (مرتين). من اتقى الناس في الأولى والآخرة. فقال: له كعب بن الخدارية أحد بني بكر بن كلاب: من هم يا رسول الله؟ قال: بنو المنتفق بنو المنتفق، أهل ذلك منهم. قال فانصرفنا. وأقبلت عليه فقلت: يا رسول الله هل لأحد ممن مضى من خير في الجاهلية؟ فقال رجل من عرض قريش: إن أباك المنتفق لفي النار. قال فكأنه وقع حر بين جلد وجهي ولحمه مما قال لأبي على رؤوس الناس، فهممت أن أقول: وأبوك يا رسول الله؟ ثم إذا الأخرى أجمل فقلت: يا رسول الله وأهلك؟ قال: وأهلي لعمر الله. حيث ما أتيت عليه من قبر كافر عامري أو قرشي أو دوسي قل: أرسلني إليك محمد، فأبشر بما يسوؤك، تجر على وجهك وبطنك في النار. قال قلت: يا رسول الله وما فعل بهم ذلك وقد كانوا على عمل لا يحبون إلاَّ إياه، وكانوا يحسبون أنهم مصلحون؟ قال ﷺ: ذلك بأن الله بعث في آخر كل سبع أمم نبياً، فمن يعصى نبيه كان من الضالين، ومن أطاع نبيه كان من المهتدين.

قال ابن القيم رحمه الله: هذا حديث كبير[1] جليل تنادي جلالته وفخامته وعظمته على أنه قد خرج من مشكاة النبوة، لا يعرف إلاَّ من حديث عبد الرحمن المديني، رواه عنه إبراهيم بن حمزة الزبيري، وهما من كبار علماء المدينة ثقتان محتج بهما في الصحيح، احتج بهما إمام أهل الحديث محمد بن إسماعيل البخاري ورواه أئمة السنة في كتبهم وتلقوه بالقبول وقابلوه بالتسليم والانقياد ولم يطعن أحد منهم فيه، ولا أحد رواته قال أبو عبد الله بن منده: وقد رواه بالعراق بمجمع العلماء وأهل الدين جماعة من الأئمة منهم أبو زرعة الرازي وأبو حاتم وأبو عبدالله محمد بن إسماعيل، ولم ينكره أحد، ولم يتكلم في إسناده، بل رووه على سبيل القبول

---

(١) الحديث رواه عبد الله بن الإمام أحمد في المسند ٤/ ٢١١ وذكره ابن كثير في البداية ٥/ ٩١ وقال هذا حديث غريب جداً وألفاظه في بعضها نكارة، وابن خزيمة ١٢٢ قال العلامة الألباني إسناده ضعيف، ورواه ابن أبي عاصم في السنة برقم ٥٢٤، ٨٣٦، وانظر زاد المعاد ٣/ ٦٧٧ في تخريج الحديث وتخريج السنة لابن أبي عاصم للألباني برقم ٥٢٤.

والتسليم، ولا ينكر هذا الحديث إلاّ جاحد أو جاهل أو مخالف للكتاب والسنة. هذا الكلام كلام ابن منده رحمه الله. وقوله «تهضب» أي تمطر و«الأصواء» القبور، و«الشربة» بفتح الراء الحوض الذي يجتمع فيه الماء وبالسكون الحنطة، يريد أن الماء قد كثر فمن حيث شئت شربت، وعلى رواية السكون يكون قد شبه الأرض بخضرتها بالنبات بخضرة الحنطة واستوائها. وقوله «حس» هي كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما يحرقه على غفلة أو يؤلمه، قال الأصمعي: وهي مثل أوه. وقوله «يقول ربك أوانه» قال ابن قتيبة: فيه قولان أن يكون «انه» بمعنى نعم، والآخر أن يكون الخبر محذوفاً كأنه قال أنتم كذلك أو أنه على ما يقول. و«الطوف» الغائط. وفي الحديث: لا يصلي أحدكم وهو يدافع الطوف والبول. و«الجسر» الصراط. وقوله «مهيم» أي ما شأنك وما أمرك وفيم كنت؟ وقوله «أزلين» الأزل بسكون الزاي الشدة والأزل على وزن كتف هو الذي أصابه الأزل واشتد به حتى كاد يقنط. وقوله «فيظل يضحك» هو من صفات أفعاله سبحانه التي لا يشبهه فيها من مخلوقاته كصفات ذاته. وقوله «حتى يخلفه من عند رأسه» هو من أخلف الزرع إذا نبت حصاده، شبه النشأة بعد الموت بإخلاف الزرع بعدما حصد، تلك الخلفة من عند رأسه كما ينبت الزرع. وقوله «يقول يا رب أمس اليوم» استقلالاً لمدة لبثه في الأرض، وكأنه لبث فيها يوماً فقال أمس، أو بعض يوم فقال اليوم، يحسب أنه حديث عهد بأهله وإنما فارقهم أمس أو اليوم. وقوله «على أظمأ والله ناهلة قط» الناهلة العطاش الواردون للماء؛ أي يردونه أظمأ ما هم عليه. وقوله «وتخنس الشمس والقمر» أي يختفيان وينخنسان ولا يريان، الانخناس التواري والاختفاء، وقوله «ما بين البابين مسيرة سبعين عاماً» يحتمل أن يريد به أن يعد ما بين الباب والباب هذا المقدار، ويحتمل أن يريد بالبابين المصراعين، ولا يناقض هذا ما جاء من تقديره بأربعين عاماً لوجهين: أحدهما أنه لم يصرح به راويه بالرفع بل قال ولقد ذكر لنا أن ما بين المصراعين أربعين عاماً، والثاني أن المسافة تختلف باختلاف سرعة السير وبطئه. وقوله «أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه» لا جواب لهذه المسألة، لأنه إن أراد أن أقصى مدة الدنيا وانتهائها فلا يعلمه إلاّ الله، وإن أراد أقصى ما نحن منتهون إليه بعد دخول الجنة والنار فلا تعلم نفس أقصى ما تنتهي إليه من ذلك، وإن كان الانتهاء إلى نعيم أو جحيم، ولهذا لم

يجبه ﷺ وقوله في عقد البيعة «وزيال الشرك» أي مفارقته ومعاداته فلا يجاوره ولا يواليه كما في الحديث الذي في السنن «لا تراءى ناراهما» يعني المسلمين والمشركين. وقوله «حيث ما مررت بقبر كافر فقل: أرسلني إليك محمد» هذا إرسال تقريع وتوبيخ، لا تبليغ أمر ونهي، وفيه دليل على سماع أهل القبور كلام الأحياء وخطابهم لهم، ودليل على أن من مات مشركاً فهو في النار وإن مات قبل البعثة، لأن المشركين كانوا قد غيروا الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام واستبدلوا بها الشرك وارتكبوه، وليس معهم حجة من الله به، وقبحه والوعيد عليه بالنار لم يزل معلوماً من دين الرسل كلهم، وأخبار عقوبات الله لأهله متداولة بين الأمم قرناً بعد قرن، فلله الحجة البالغة على المشركين[١].

وفد النخع

وقدم على رسول الله ﷺ وفد النَّخع، وهم آخر الوفود قدوماً عليه، في نصف المحرم سنة إحدى عشرة في مائتي رجل، فنزلوا دار الأضياف، ثم جاءوا رسول الله مقرين بالإسلام، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل، وكان رسول الله ﷺ قد بعث معاذاً إلى اليمن قبل ذلك هو وأبا موسى الأشعري كل منهما على مخلاف، قالوا: واليمن مخلافان ثم قال: يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تخالفا. وقال لمعاذ «إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوك بذلك فأخبرهم أن الله قد افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن عباس[٢]. والمخلاف بكسر الميم وسكون المعجمة وآخره فاء بلغة أهل اليمن الكورة والإقليم. وروي أنه قال له «يا معاذ، إنك تقدم على قوم أهل كتاب، وإنهم سائلوك عن مفاتيح الجنة، فأخبرهم أن مفاتيح الجنة «لا إله إلاَّ الله» وأنها تخرق كل شيء حتى تنتهي إلى الله ولا تحجب دونه، من جاء بها يوم القيامة مخلصاً رجحت بكل ذنب». فقال معاذ: أرأيت ما سئلت عنه واختصم

بعث معاذ إلى اليمن ومعه أبو موسى الأشعري

---

(١) انظر زاد المعاد ٣/ ٦٧٣ ـ ٦٨٦.

(٢) رواه البخاري برقم ٧٤٠ ومسلم برقم ١٩.

إلي فيه مما ليس في كتاب الله ولم أسمع منك سنة الله؟ «تواضع يرفعك الله، ولا تقضين إلاَّ بعلم، فإن أشكل عليك أمر فسل ولا تستحي، واستشر ثم اجتهد، فإن الله إن علم من قلبك الصدق يوفقك، فإن التبس عليك فقف حتى تتنبه أو تكتب إلي فيه، واحذر الهوى فإنه قائد الأشقياء إلى النار. وعليك بالرفق» وفي رواية أنه قال له لما بعثه إلى اليمن «كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله. قال فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال فبسنة رسول الله. قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو. قال فضرب رسول الله ﷺ على صدره وقال: الحمد لله الذي سدد رسول رسول الله لما يرضي الله» رواه الترمذي وأبو داود والدارمي[١].

وللبخاري[٢] أن أبا موسى قال: يا رسول الله إن أرضنا بها شراب من الشعير المزر وشراب من العسل البتع فقال: كل مسكر حرام. فانطلقنا. فقال معاذ لأبي موسى: كيف تقرأ القرآن؟ قال قائماً وقاعداً وعلى راحلتي، وأتفوقه تفوقاً. قال: أما أنا فأقوم وأنام وأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي. فضرب فسطاطاً فجعلا يتزاوران، فزار معاذ أبا موسى، فإذا رجل موثق، فقال: ما هذا؟ فقال أبو موسى: يهودي أسلم، ثم ارتد. فقال معاذ: لأضربن عنقه. انتهى.

من حديث الوفد

رجعنا إلى حديث الوفد. فقال رجل منهم يقال له زرارة بن عمرو: يا رسول الله إني رأيت في سفري هذا عجباً. قال: وما رأيت؟ قال: رأيت أتاناً تركتها في الحي كأنها ولدت جدياً أسفع أحوى. فقال له رسول الله: هل تركت أمة لك مصرة على حمل؟ قال نعم. قال: فإنها ولدت لك غلاماً وهو ابنك. قال: يا رسول الله ما باله أسفع أحوى؟ قال: ادن مني. فدنا منه، فقال: هل بك من برص تكتمه؟ قال: والذي بعثك بالحق ما علم به أحد ولا اطلع عليه غيرك. قال: يا رسول الله ورأيت النعمان بن المنذر عليه قرطان ودملجان ومسكتان. قال ذلك ملك العرب إلى أحسن زيه وبهجته.

قال: يا رسول الله ورأيت عجوزاً شمطاء خرجت من الأرض، قال: تلك بقية

---

(١) رواه أبو داود برقم ٣٥٩٢ والترمذي برقم ١٣٢٧ والحديث ضعيف.

(٢) رواه البخاري برقم ٤٣٤١، ٦١٢٤ ومسلم برقم ١٧٣٣.

الدنيا. قال: ورأيت ناراً خرجت من الأرض فحالت بيني وبين ابن لي يقال له عمرو وهي تقول: لظى لظى، بصير أعمى، أطعموني أكلكم وأهلكم ومالكم. قال رسول الله ﷺ: تلك فتنة تكون في آخر الزمان. قال: يا رسول الله وما الفتنة؟ قال يقتل الناس إمامهم ويشتجرون اشتجاراً أطباق الرأس ـ وخالف رسول الله بين أصابعه ـ يحسب المسيء فيها أنه محسن، يكون دم المؤمن عند المؤمن أحلى من شرب الماء، إن مات ابنك أدركت الفتنة، وإن مت أدركها ابنك. قال: يا رسول الله ادعُ الله أن لا أدركها. فقال له رسول الله: اللهم لا يدركها. فمات وبقي ابنه، وكان ممن خلع عثمان والله أعلم[1].

فصل

[من أحداث السنة التاسعة والعاشرة]

بعث جرير إلى ذي الخلصة

قالوا وفي هذه السنة ـ سنة تسع ـ بعث جرير بن عبد الله البجلي إلى تخريب ذي الخلصة وقد تقدم ذلك في ذكر أصنام العرب في أول الكتاب[2]. قالوا: وفيها بعث جرير بن عبد الله إلى ذي الكلاع فأسلم وأسلمت امرأته خزيمة بنت أبرهة بن الصباح، واسم ذي الكلاع سميفع، وكان قبل ذلك قد استعلى أمره حتى ادعى الربوبية فأطيع، ووفد ذو الكلاع في خلافة عمر ومعه ثمانية عشر ألف عبد، وأعتق من عبيده أربعة آلاف، قال: يا أمير المؤمنين لي ذنب ما أظن أن الله يغفره. قال: وما هو؟ قال: تواريت يوماً ممن يتعبدني، ثم أشرفت عليهم من مكان عال فسجد لي زهاء مائة ألف إنسان. فقال عمر: التوبة بإخلاص والإنابة بإقلاع يرجى بهما مع رأفة الله الغفران. وفي رواية أعتق ذو الكلاع اثني عشر ألف بيت، وقتل بصفين[3].

وفاة ابراهيم

وفيها في يوم الثلاثاء لعشر خلون من ربيع الأول توفي ابراهيم ابن رسول الله ﷺ وهو ابن ثمانية عشر شهراً، ودفن بالبقيع، ورش قبره وعلم بعلامة.

---

(١) الطبقات لابن سعد ١/ ٣٤٦ وزاد المعاد ٣/ ٦٨٦ وسبل الهدى ٦/ ٤٢٣.

(٢) في الصفحة ٥١ والحديث رواه البخاري برقم ٧١١٦ ومسلم برقم ٢٩٠٦.

(٣) انظر الوفاء لابن الجوزي ٢/ ٤٧١ والمواهب اللدنية ٢/ ١٥٨.

قال الزبير: وهو أول قبر رش، وقيل صلى عليه بالبقيع، وقيل لم يصل عليه[١].

وقال ﷺ «القلب يحزن والعين تدمع، ولا نقول إلاَّ ما يرضي الرب، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[٢]. وفيها انكسفت الشمس يوم موت ابراهيم، فقال الناس: إنما كسفت لموت ابراهيم. فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته» رواه الشيخان[٣]. قيل الغالب الكسوف في الثامن والعشرين فكسف يوم مات إبراهيم في العاشر فلذلك قالوا كسفت لموته[٤].

كسوف الشمس

حديث جبريل

قالوا: وفيها[٥] طلع جبريل على مجلس النبي ﷺ في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد بياض الشعر وطيب الرائحة وحسن الوجه، رآه حضار المجلس لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه أحد، فجاء حتى جلس إلى النبي ﷺ وأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع يديه على فخذيه وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان والقيامة وإماراتها، فأجاب النبي ﷺ عن غير القيامة وقال فيها: ما المسئول عنها بأعلم من السائل. فخرج جبريل من المجلس، فأمر النبي ﷺ حتى طلبوه فما وجدوه، قال ﷺ: أتدرون من السائل؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم. أخرجه مسلم من حديث عمر[٦]، والبخاري من حديث أبي هريرة[٧].

وفيها قدم فيروز الديلمي المدينة فأسلم، وهو الذي قتل الأسود العنسي الكذاب المتنبىء قتله في الحادية عشرة من الهجرة[٨].

---

(١) انظر المواهب ٢/ ٧٠ وسبل الهدى والرشاد ١١/ ٢٢.

(٢) رواه البخاري برقم ١٣٠٣.

(٣) رواه البخاري برقم ١٠٤٣ ومسلم ٩١٥.

(٤) انظر سبل الهدى ١١/ ٢٤.

(٥) انظر السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء لابن حبان ٣٩٣.

(٦) رواه مسلم برقم ٩.

(٧) رواه البخاري برقم ٥٠.

(٨) انظر خبر الأسود وقتله في تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٧ والبداية والنهاية ٦/ ٣٠٠.

بعث الأمراء وعمال الصدقة

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات إلى كل ما وطىء الإسلام، فبعث المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء، فخرج عليه العنسي وهو بها. وبعث زياد بن لبيد أخا بني بياضة الأنصاري إلى حضرموت وعلى صدقاتها. وبعث عدي بن حاتم على كل طيء وصدقاتها وعلى بني أسد. وبعث مالك بن نويرة على صدقات بني حنظلة. وفرق صدقة بني سعد على رجلين منهم، فبعث الزبرقان بن بدر على ناحية، وقيس بن عاصم على ناحية. وبعث العلاء بن الحضرمي على البحرين. وبعث علي بن أبي طالب إلى أهل نجران ليجمع صدقاتهم ويقدم عليه بجزيتهم[1].

حجة الوداع، وتسمى حجة الإسلام وحجة التمام[2]

وقت الخروج

قال ابن إسحاق[3]: فلما دخل على رسول الله ﷺ شهر ذي القعدة تجهز للحج، وأمر الناس بالجهاز له انتهى. وذلك سنة عشر، فأجمع الخروج إلى الحج. وفي البخاري[4] عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ غزا تسعة عشرة غزوة، وأنه حج بعدما هاجر حجة واحدة حجة الوداع ولم يحج بعدها، وأخرج الترمذي[5] عن جابر بن عبد الله: حج رسول الله ثلاث حجج، حجتين قبل أن يهاجر وحجة بعدما هاجر معها عمرة. هذا لفظه وصححه الحاكم[6]. قال ابن حزم[7]: حج رسول الله واعتمر قبل النبوة وبعدها وقبل الهجرة حججاً وعمراً لا يعرف عددها، ولم يحج عليه السلام بعد أن هاجر إلى المدينة إلاَّ حجة واحدة وهي حجة الوداع سنة عشر، واعتمر بعد أن هاجر إلى المدينة أربع عمر: عمرتين مفردتين قصد بهما في ذي القعدة وأتمهما،

عدد عمر الرسول

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٤/ ٢٤٢ وتاريخ الطبري ٣/ ١٤٧.
(٢) انظر سبب التسمية سيرة ابن كثير ٤/ ٢١١ وابن ماجه برقم ٣٠٥٨.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٤٥.
(٤) رواه البخاري برقم ٤٤٠٤ ومسلم برقم ١٢٥٤.
(٥) رواه الترمذي برقم ٨١٥ وابن ماجه برقم ٣١٧٦ والدارقطني ٢/ ٢٧٨.
(٦) رواه الحاكم في المستدرك ١/ ٦٤٢.
(٧) انظر زاد المعاد ٢/ ٩٠.

إحداهما عمرة القضية سنة سبع، والأخرى عمرته من الجعرانة عام ثمان إثر وقعة حنين في ذي القعدة أيضاً، واعتمر عمرة ثالثة قرنها مع حجة الوداع والرابعة عمرته التي صده عنها المشركون سنة ست في ذي القعدة عام الحديبية. فخرج ﷺ من المدينة بعدما صلى الظهر بها أربعاً ثم ترجل وادهن ولبس إزاره ورداءه وخطبهم قبل ذلك خطبة علمهم فيها وجوه الإحرام وواجباته وسننه، يوم السبت لخمس ليال بقين من ذي القعدة، ثبت في الصحيحين[1]. صلينا مع النبي ﷺ الظهر بالمدينة أربعاً، والعصر بذي الحليفة ركعتين. ولمسلم[2] عن جابر: أذّن رسول الله في الناس في العاشرة وأعلم الناس أنه حاج، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يريد أن يأتم برسول الله ويعمل بمثل عمله انتهى. وخرج معه عليه الصلاة والسلام تسعون ألفاً ويقال مائة وأربعة عشر ألفاً ويقال أكثر كما حكاه البيهقي[3]، وكان أول ذي الحجة يوم الخميس[4]، وخروجه من المدينة يوم السبت كما تقدم، ودخوله مكة صبح رابعة ذي الحجة كما ثبت في حديث عائشة، وذلك يوم الأحد، فيكون المكث في الطريق ثمان ليال وهي المسافة الوسطى، وكانت الوقفة يوم الجمعة[5]. وأخرج ﷺ معه نساءه كلهن في الهوادج، وساق معه الهدي هو وأبو بكر وعمر وذوو اليسار من أصحابه، فقلده وأشعره، وبات بذي الحليفة وقال: أتاني الليلة آت من ربي وقال: صل بهذا الوادي المبارك، وقل: عمرة وحجة. رواه البخاري عن عمر[6]، وصلى بها المغرب والعشاء والصبح والظهر، فصلى بها خمس صلوات وطاف على نسائه كلهن تلك الليلة، فلما أراد الإحرام اغتسل غسلاً ثانياً لإحرامه غير غسل الجماع الأول ثم طيبته عائشة بيديها بذريرة وطيب فيه مسك في بدنه ورأسه حتى كان وبيص

عدد الذين خرجوا مع رسول الله

خروج نسائه

تطيبه قبل الإحرام

---

(١) رواه البخاري برقم ١٥٤٦ ومسلم برقم ٦٦٠.
(٢) رواه مسلم برقم ١٢١٨.
(٣) دلائل النبوة ٥/ ٤٣٤، وانظر الإشارة لمغلطاي ٣٤٦ العبر للذهبي ١/ ١٠ والتحفة اللطيفة للسخاوي ١/ ٣٧ وزاد المعاد ٢/ ١٠٢.
(٤) انظر مسلم برقم ١٢١١.
(٥) انظر البخاري برقم ١٥٤٥ ومسلم برقم ١٢٤٠.
(٦) رواه البخاري برقم ١٥٣٤.

المسك يرى في مفارقه ولحيته، ثم استدامه ولم يغسله، ثم لبس إزاره ورداءه ثم صلى الظهر ركعتين، ثم أهل بالحج والعمرة في مصلاه، وقرن بينهما، ولم ينقل أنه صلى للإحرام ركعتين غير فرض الظهر، وكان قارناً بين الحج والعمرة لبضعة وعشرين دليلاً ذكرها في الهدي[1]. ولمسلم عن جابر[2]، ثم ركب القصواء حتى إذا استوت ناقته على البيداء نظرت إلى مد بصري بين يديه من راكب وماش وعن يمينه بمثل ذلك وعن شماله بمثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك ورسول الله بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله وما عمل به من شيء عملنا به، فأهل رسول الله ﷺ بالتوحيد، لبيك لبيك، لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك. وأهل الناس بهذا الذي يهلون به، فلم يرد رسول الله شيئاً منه. ولزم رسول الله تلبيته. قال جابر لسنا نرى إلاَّ الحج، لسنا نعرف العمرة. وفي الصحيحين[3] عن عائشة، خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حجة الوداع، فمنا من أهل بعمرة، ومنا من أهل بحج وعمرة، ومنا من أهل بالحج، وأهل رسول الله بالحج. فأما من أهل بالحج أو جمع بين الحج والعمرة فلم يحلق حتى كان يوم النحر. انتهى. وجمع شيخ الإسلام ابن تيمية[4] بين الأحاديث المختلفة في صفة حجه ﷺ بأن قال: والصواب أن الأحاديث في هذا الباب متفقة ليست بمختلفة إلاَّ اختلافاً يسيراً يقع مثله في غير ذلك، فإن الصحابة ثبت عنهم أنه تمتع، والتمتع عندهم يتناول القران، والذين روي عنهم أنه أفرد روي عنهم أنه تمتع كما في الصحيحين[5] عن عمران أن رسول الله ﷺ جمع بين حج وعمرة، ثم إنه لم ينه عنه حتى مات ولم ينزل فيه قرآن يحرمه وفي رواية عنه تمتع نبي الله وتمتعنا معه، فهذا عمران وهو من أجل السابقين الأولين أخبر أنه تمتع، وأنه جمع بين الحج والعمرة. والقارن عند الصحابة متمتع، ولهذا أوجبوا عليه الهدي، ودخل في قوله تعالى ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ ﴾،

تلبية رسول الله

الجمع بين الأحاديث المختلفة

---

(١) انظر زاد المعاد ٢/ ١٠٧.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) رواه البخاري برقم ١٥٥٦ ومسلم برقم ١٢١١.
(٤) انظر زاد المعاد ٢/ ١١٨.
(٥) رواه البخاري برقم ٤٥١٨ ومسلم برقم ١٢٢٦.

وما ذكره بكر بن عبد الله المزني أنه لبى بالحج وحده فجوابه أن الثقات الذين هم أثبت في ابن عمر ـ مثل: سالم ابنه ونافع ـ رووا عنه أنه قال: تمتع رسول الله بالعمرة إلى الحج. فتغليط بكر أولى من تغليط سالم. ويشبه أن ابن عمر قال له «أفرد الحج» فظن أنه قال لبى بالحج، فإن إفراد الحج كانوا يطلقونه ويريدون به إفراد أعمال الحج، وذلك رد منهم على من قال إنه قرن قراناً طاف فيه طوافين وسعى فيه سعيين، وعلى من يقول إنه حل من إحرامه، فرواية من روى من الصحابة أنه أفرد الحج فهم ثلاثة عائشة وابن عمر وجابر، والثلاثة نقل عنهم التمتع، وحديث عائشة وابن عمر أنه تمتع بالعمرة والحج أصح من حديثهما عنه أنه أفرد الحج، وما صح من ذلك عنهما فمعناه إفراد أعمال الحج أو أن يكون وقع فيه غلط كنظائره، فإن أحاديث التمتع متوافرة رواها أكابر الصحابة كعمر وعلي وعثمان وعمران بن حصين، بل رواها عن النبي ﷺ بضعة عشر من الصحابة والله أعلم. قلت: وهذا الكلام من أحسن ما يجمع لك بين الأحاديث في هذا الباب، وبه يتفق معناه.

تلبيد رأسه عليه السلام

عدنا إلى سياق حجته ﷺ. ولبد[1] رسول الله رأسه بالغِسل[2] ـ وهو بالغين المعجمة على وزن كفل، وهو ما يغسل به الرأس من خطمي ونحوه يلبد به الرأس حتى لا ينتشر ـ وأهلَّ في مصلاه، ثم ركب على ناقته فأهلَّ أيضاً، ثم أهل لما استقلت به على البيداء. قال ابن عباس[3]: وأيم الله لقد أوجب في مصلاه، وأهل حين استقلت به ناقته، وأهل حين علا شرف البيداء. وكان يهل بالحج والعمرة تارة، وبالحج تارة، لأن العمرة جزء منه، فمن ثم قيل قرن، وقيل تمتع، وقيل أفرد. ثم لبى وأمر الصحابة بأمر الله أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية. وكان حجه على رحل، لا في محمل ولا هودج ولا عمارية[4].

---

(١) انظر مسلم برقم ١٢٢٧ ورواية البخاري رقم ١٦٩١.

(٢) رواه أبو داود برقم ١٧٤٨.

(٣) رواه أبو داود برقم ١٧٧٠ وأحمد ٢/ ٢٦٠ والحاكم ١/ ٤٥١ وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) بفتح العين وتشديد الميم وفتحها مركب صغير على هيئة مهد الصبي أو قريب من صورته انظر تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢/ .

ثم إنه ﷺ خير أصحابه عند الإحرام بين الأنساك الثلاثة: القِران، والتمتع الخاص، والإفراد. ثم ندبهم عند دنوهم من مكة إلى فسخ الحج والقران إلى العمرة لمن لم يكن معه هدي، ثم حتم ذلك عليهم عند المروة[١].

التخيير بين الأنساك

وولدت أسماء بنت عميس بذي الحليفة محمد بن أبي بكر، فأمرها رسول الله أن تغتسل وتستثفر بثوب وتحرم وتهل[٢]، ففي هذه ثلاث سنن: غسل المحرم، وأن الحائض تغتسل لإحرامها، وأن الإحرام يصح من الحائض. ثم سار رسول الله ولزم تلبيته والناس يزيدون فيها وينقصون منها وهو يقرهم ولا ينكر عليهم[٣]، فلما كان بالروحاء رأى حمار وحش عقيراً فقال: دعوه فإنه يوشك أن يأتي صاحبه، فجاء صاحبه فقال: يا رسول الله شأنكم بهذا الحمار. فأمر رسول الله أبا بكر أن يقسمه بين الرفاق[٤]. وفي هذا دليل على جواز أكل المحرم من صيد الحلال إذا لم يصده لأجله، وأن الهبة لا تفتقر إلى لفظ وهبت، وجواز قسمة اللحم مع عظامه بالتحري، وأن الصيد يملك بالإثبات، وعلى أكل الحمار الوحش، وعلى التوكل في القسمة، وعلى كون القاسم واحداً[٥].

ولادة اسماء بنت عميس

صيد المحرم

ثم مضى حتى إذا كان بالإثاية بين الرويثة والعرج إذا ظبي حاقف[٦] في ظل فيه نسيم، فأمر رجلاً أن يقف عنده لا يريبه أحد من الناس[٧]. والفرق بين هذا والذي قبله أن الذي صاد الحمار كان حلالاً فلم يمنع من أكله، وهذا لم يعلم أنه حلال فلم يأذن في أكله للمحرم. وفيه دليل على أن قتل المحرم للصيد يجعله بمنزلة الميتة في عدم الحل، إذ لو كان حلالاً لم يضيع ماليته[٨]. ثم سار حتى نزل بالعرج وكانت

---

(١) انظر زاد المعاد ٢/ ١٦٠.
(٢) رواه مسلم برقم ١٢٠٩ من حديث عائشة وفي حديث جابر الطويل السابق تخريجه.
(٣) رواه البخاري برقم ١٥٤٩ ومسلم برقم ١١٨٤ وأبو داود برقم ١٨١٣ وأحمد ٣/ ٣٢٠.
(٤) رواه النسائي ٥/ ١٨٢ وأحمد في المسند ٣/ ٤٥٢ ومالك في الموطأ ١/ ٣٥١.
(٥) انظر زاد المعاد ٢/ ١٦١.
(٦) الحاقف الذي لجأ إلى حقف وهو ما انعطف من الرمل وقيل المنحي رأسه بين رجليه.
(٧) هو جزء من الحديث السابق.
(٨) انظر زاد المعاد ٢/ ١٦٢.

زاملته وزاملة أبي بكر واحدة، وكانت مع غلام لأبي بكر، فجلس رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى جانبة وعائشة إلى جانبه الآخر وأسماء زوجته إلى جانبه وأبو بكر ينتظر الغلام والزاملة إذ طلع الغلام ليس معه البعير، فقال: أين بعيرك؟ فقال: أضللته البارحة. فقال بعير واحد تضله! قال فطفق يضربه ورسول الله يبتسم ويقول: أُنظروا إلى المحرم ما يصنع؟ وما يزيد رسول الله أن يقول ذلك ويبتسم. ومن تراجم أبي داود على هذه القصة «باب المحرم يؤدب»[1].

رد هدية الصعب

ثم مضى رسول الله ﷺ حتى إذا كان بالأبواء أهدى له الصعب بن جثامة عجز حمار وحش، فرده عليه وقال: إنا لم نرده إلاَّ أنا حرم. أخرجاه في الصحيحين[2]. وإذا حمل حديث أبي قتادة على أنه لم يصده لأجله وحديث الصعب على أنه صيد لأجله زال الإشكال، ويشهد له حديث جابر المرفوع[3] «صيد البر حلال ما لم تصيدوه ويصاد لكم» فلما مر بوادي عسفان قال: «يا أبا بكر أي واد هذا؟» قال: وادي عسفان. قال: «لقد مر به هود وصالح على بكرين أحمرين خطمهما الليف، وأزرهم العباء، وأرديتهم النمار يلبون، يحجون البيت العتيق». ذكره الإمام أحمد في مسنده[4].

حيض عائشة

فلما كان بسرف حاضت عائشة، وقد كانت أهلت بعمرة، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي فقال: ما يبكيك؟ لعلك نفست. قالت: نعم. قال هذا شيء كتبه الله على بنات آدم، إفعلي ما يفعل الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت. أخرجاه في الصحيحين[5] وفيهما عن عروة عنها: خرجنا مع رسول الله قالت: أهللنا بعمرة، فقدمت مكة وأنا حائض ولم أطف بالبيت ولا بين الصفا والمروة، فشكوت ذلك إلى رسول الله فقال: أنقضي رأسك وامتشطي وأهلي بالحج ودعي العمرة. قالت:

---

(١) رواه أبو داود برقم ١٨١٨ وابن ماجة برقم ٩٣٣.

(٢) رواه البخاري برقم ١٨٢٥ ومسلم برقم ٢١٩٣.

(٣) رواه أبو داود برقم ١٨٥١ والترمذي برقم ٨٤٩ والنسائي ٥/ ١٨٧.

(٤) في المسند ١/ ٢٣٢ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) رواه البخاري برقم ١٥٥٦ ومسلم برقم ١٢١١.

ففعلت. فلما قضينا الحج أرسلني رسول الله مع أخي عبد الرحمن إلى التنعيم فاعتمرت، فقال: هذه مكان عمرتك فطاف الذين أهلوا بالعمرة بالبيت وبالصفا والمروة ثم رحلوا، ثم طافوا طوافاً آخر بعد أن رجعوا من منى لحجهم. وأما الذين كانوا يجمعون الحج والعمرة فإنما طافوا طوافاً واحداً انتهى[1]. فلما كان بسرف قال لأصحابه: من لم يكن معه هدي فأحبَّ أن يجعلها عمرة فليفعل، ومن كان معه هدي فلا. وهذه رتبة أُخرى فوق رتبة التخيير عند الإحرام[2]، فلما كان بمكة أمر أمراً حتماً من لا هدي معه أن يجعلها عمرة من إحرامه، ومن معه هدي أن يقيم على إحرامه، ولم ينسخ من ذلك شيء البتة، بل سأله سراقة بن مالك عن هذه العمرة التي أمرهم بالفسخ إليها هل هي لعامهم ذلك أم للأبد؟ فقال ﷺ: إن العمرة دخلت في الحج إلى يوم القيامة[3]. وقد روى عنه ﷺ الأمر بفسخ الحج إلى العمرة أربعة عشر من الصحابة رضي الله عنهم وأحاديثهم كلها صحاح وهم عائشة وصفية وعلي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله وأسماء بنت أبي بكر وجابر بن عبد الله وأبو سعيد الخدري والبراء بن عازب وعبد الله بن عمر وأنس بن مالك وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن عباس وسبرة بن معبد وسراقة بن مالك. ففي الصحيحين[4] عن ابن عباس قال: قدم النبي ﷺ وأصحابه صبيحة رابعة مهلين بالحج فأمرهم أن يجعلوها عمرة، فتعاظم ذلك عندهم فقالوا: يا رسول الله أي الحل؟ قال: حل كله. وفي لفظ: وأمر النبي ﷺ أصحابه أن يجعلوا إحرامهم بعمرة إلاَّ من كان معه الهدي. وفي الصحيحين[5] عن جابر: أهل النبي ﷺ وأصحابه وليس مع أحد هدي غير النبي ﷺ وطلحة. وقدم علي من اليمن ومعه هدي. فقال أهللت بما أهل به النبي ﷺ. فأمر النبي أن يجعلوها عمرة ويطوفوا ويقصروا، إلاَّ من كان معه الهدي. قالوا ننطلق إلى منى وذكر أحدنا يقطر؟ فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: لو استقبلت من أمري ما استدبرت

العمرة دخلت في الحج إلى يوم القيامة

الأمر بالحل كله

---

(١) تخريج الحديث السابق.

(٢) رواه مسلم برقم ١٢١١.

(٣) رواه البخاري ١٦٩١ ومسلم برقم ١٢١٣.

(٤) رواه البخاري برقم ١٥٦٤ ومسلم برقم ١٢٤٠.

(٥) رواه البخاري برقم ١٦٥١ ومسلم برقم ١٢٣٩.

ما أهديت، ولولا أن معي الهدي لأحللت. وفي لفظ فقام فقال علمتم أني أتقاكم لله وأصدقكم وأبركم، ولولا هديي لحللت كما تحلون، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي، فحلوا. فحللنا، فسمعنا وأطعنا. ولمسلم[1] عن عائشة: دخل رسول الله ﷺ علي وهو غضبان، فقلت: من أغضبك يا رسول الله أدخله الله النار؟ قال أوما شعرت؟ إني أمرت الناس بأمر فإذا هم يترددون. . الحديث. قال في الهدي[2]: ونحن نشهد الله علينا أنا لو أحرمنا بحج لرأينا فرضاً علينا فسخه إلى عمرة تفادياً من غضب رسول الله واتباعاً لأمره، فوالله ما نسخ هذا في حياته ولا بعده، ولا صح حرف واحد يعارضه، ولا خص به أصحابه دون من بعدهم، بل أجرى الله سبحانه على لسان سراقة أن سأله: هل ذلك مختص بهم؟ فأجابه بأن ذلك كائن لأبد الأبد. فما ندري ما يقدَّم على هذه الأحاديث، وهذا الأمر المؤكد قد غضب رسول الله على من خالفه. ولله در الإمام أحمد إذ يقول لسلمة بن شبيب، قال له: يا أبا عبد الله كل أمرك عندي حسن إلاَّ خلة واحدة. قال: وما هي؟ قال تقول بفسخ الحج إلى العمرة. فقال: يا سلمة كنت أرى لك عقلاً، عندي في ذلك أحد عشر حديثاً صحاحاً عن رسول الله أأتركها لقولك؟ وفي صحيح مسلم[3] عن ابن عباس أن رجلاً قال له: ما هذه الفتيا التي قد فشت بالناس أن من طاف فقد حل؟ فقال: سنة نبيكم ﷺ وإن زعمتم. وصدق ابن عباس: كل من طاف بالبيت ممن لا هدي معه من مفرد وقارن أو متمتع فقد حل إما وجوباً وإما حكماً. هذه هي السنة التي لا راد لها ولا مدفع. وقال عبد الرزاق[4] حدثنا معمر عن قتادة عن أبي الشعثاء عن ابن عباس قال: من جاء مهلاً بالحج فإن الطواف بالبيت يصير إلى عمرة شاء أو أبى. قلت: إن الناس ينكرون ذلك عليك. قال: وهذه سنة نبيهم وإن زعموا. وهذا مذهب أهل بيت رسول الله ومذهب حبر الأمة وبحرها ابن عباس وأصحابه ومذهب إمام أهل السنة

تأكد التمتع

---

(١) رواه مسلم برقم ١٢١١.

(٢) زاد المعاد ٢/ ١٨٢.

(٣) رواه مسلم برقم ١٢٤٤.

(٤) انظر حجة الوداع لابن حزم ٣٦٥.

وأتباعه أحمد بن حنبل وأهل الحديث معه ومذهب أهل الظاهر. وأما قول عروة وغيره: نهى عنها أبو بكر وعمر فقد أجابه ابن عباس فأحسن جوابه، فروى الأعمش عن فضيل بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: تمتع رسول الله، فقال عروة نهى أبو بكر وعمر عن المتعة، فقال ابن عباس: أراهم سيهلكون، أقول رسول الله وتقول قال أبو بكر وعمر؟[1] وفي صحيح مسلم[2] عن ابن أبي مليكة أن عروة بن الزبير قال لرجل من أصحاب رسول الله يأمر الناس بالعمرة في هذا العشر وليس فيها عمرة فقال أو لا تسأل أمك عن ذلك؟ فقال عروة: فإن أبا بكر وعمر لم يفعلا ذلك. قال الرجل: من ههنا هلكتم. ما أرى الله إلاّ سيعذبكم، إني أُحدثكم عن رسول الله وتخبروني بأبي بكر وعمر. قال عروة: إنهما والله كانا أعلم بسنة رسول الله منك. فسكت الرجل. قال أبو محمد بن حزم[3]: نحن نقول لعروة: ابن عباس أعلم بسنة رسول الله منك وبأبي بكر وعمر منك وخير منك وأولى بهم ثلاثتهم منك، لا يشك في ذلك مسلم، مع أنهما قد روى عنهما خلاف ما قال عروة ومن هو خير من عروة وأفضل وأعلم وأوثق[4]. ثم روى من طريق ابن عباس: تمتع رسول الله حتى مات، وأبو بكر حتى مات، وعمر حتى مات، وعثمان كذلك. وأول من نهى عنها معاوية وقد رواه أحمد والترمذي[5] وقال حديث حسن. وقال عبد الله بن عمر لمن سأله عنها فقال له السائل إن أباك نهى عنها قال: أفرسول الله أحق أن يتبع، أو أبي؟ وأجاب الشيخ تقي الدين[6] رحمه الله عن ذلك بأن قال: إن عمر لم ينه عن المتعة البتة، وإنما قال: إن أتم لحجكم وعمرتكم أن تفصلوا بينهما، فاختار لهم عمر أفضل من القران والتمتع الخاص بدون سفرة أُخرى، وقد نص على ذلك الإمام أحمد

اختيار عمر رضي الله عنه

---

(١) رواه أحمد ١/ ٣٣٧ وهو ضعيف.

(٢) ليس في صحيح مسلم وإنما هو من رواية أبو مسلم الكجي صاحب السنن وقد ذكره ابن حزم في حجة الوداع ٣٥٣ في سنده ورجاله السند ثقات.

(٣) حجة الوداع ٣٥٤.

(٤) انظر سياق الأدلة في حجة الوداع لابن حزم ٣٥٤ ـ ٣٥٨.

(٥) رواه الترمذي برقم ٨٢٢ وأحمد في المسند ١/ ٢٩٢ وهو ضعيف.

(٦) انظر زاد المعاد ٢/ ٠٩.

وأبو حنيفة ومالك والشافعي وغيرهم، وهذا هو الإفراد الذي فعله أبو بكر وعمر، وكان عمر يختاره للناس وكذلك علي، وقال عمر وعلي في قوله ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ قال إتمامها أن تحرم بهما من دويرة أهلك، وقال ﷺ لعائشة في عمرتها[١]: أجرك على قدر نصيبك. قال في الهدي[٢]: فهذا الذي اختاره عمر للناس، فظن من غلط منهم أنه نهى عن المتعة. ومن الناس من جعل عنه فيها روايتين، ومنهم من جعل النهي عنه قولاً قديماً رجع عنه كما فعل أبو محمد بن حزم[٣].

نزوله بذي طوى واغتساله

عدنا إلى سياق حجه ﷺ: نهض ﷺ إلى أن نزل بذي طوى، وهي المعروفة اليوم بآبار الزاهر ذكره في الهدي[٤]، فبات بها ليلة الأحد لأربع خلون من ذي الحجة، وصلى بها الصبح ثم اغتسل من يومه[٥] ونهض إلى مكة فدخلها نهاراً من أعلاها من الثنية العليا التي تشرف على الحجون، وكان في العمرة يدخل من أسفلها، وفي الحج دخل من أعلاها وخرج من أسفلها. ثم سار حتى دخل المسجد، وذلك ضحى[٦]، وذكر الطبراني[٧] أنه كان إذا نظر إلى البيت قال: اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة. وروي عنه أنه كان يرفع يديه ويكبر ويقول: اللهم أنت السلام ومنك السلام، حينا ربنا بالسلام. اللهم زد.. إلخ. وهو مرسل، لكن [سمع][٨] هذا سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب يقوله[٩]. فلما دخل المسجد

دخوله مكة

دخوله المسجد الحرام

---

(١) رواه البخاري برقم ١٧٨٧ ومسلم برقم ١٢١١.

(٢) زاد المعاد ٢/ ٢١٠.

(٣) انظر حجة الوداع ٣٧٠.

(٤) زاد المعاد ٢/ ٢٢٣.

(٥) كما في حديث ابن عمر في الصحيح رواه البخاري برقم ٤٨٤ ومسلم برقم ١٢٥٩.

(٦) دخوله ﷺ مكة من أعلاها رواه البخاري برقم ١٥٧٨ ومسلم برقم ١٢٥٨.

(٧) رواه البيهقي في السنن ٥/ ٧٣ وقال منقطع ورواه الشافعي في الأم ٢/ ١٤٤ وقال الهيثمي في المجمع ٣/ ٢٤١ رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه عاصم بن سلمان الكوزي وهو متروك.

(٨) ما بين المعكوفتين ليس في المطبوع والاستدراك من زاد المعاد ٢/ ٢٢٤.

(٩) رواه البيهقي في السنن الكبرى ٥/ ٧٣ وسنده حسن.

عمد إلى البيت ولم يركع تحية المسجد فإن تحية المسجد الحرام الطواف، فلما حاذى الحجر استلمه، ثم أخذ على يمينه وجعل البيت عن يساره، ولم يدعُ عند الباب بدعاء ولا تحت الميزاب ولا عند ظهر الكعبة وأركانها ولا وقَّت للطواف ذكراً معيناً، لا بفعله ولا بتعليمه، بل حفظ عنه بين الركنين: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار[1]، ورمل في طوافه هذه الثلاثة الأشواط الأول يسرع في مشيه ويقارب بين خطاه[2]، واضطبع بردائه فجعله على إحدى كتفيه وأبدى كتفه الأخرى ومنكبه، وكلما حاذى الحجر الأسود أشار إليه واستلمه بمحجنه[3] وقبل المحجن[4]، والمحجن عصا محجنة الرأس. وثبت عنه أنه استلم الركن اليماني[5] ولم يثبت عنه أنه قبله ولا قبل يده عند استلامه، وثبت عنه أنه قبل الحجر الأسود وأنه استلمه بيده ووضع يده عليه ثم قبلها، وثبت أنه استلمه بمحجن فهذه ثلاث صفات ولم يستلم ولم يمس من الأركان إلاّ اليمانين فقط. فلما فرغ من طوافه جاء إلى خلف المقام فقرأ ﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ فصلى ركعتين والمقام بينه وبين البيت، فقرأ فيهما بعد الفاتحة سورتي الإخلاص[6] والكافرون فلما فرغ من صلاته أقبل إلى الحجر فاستلمه، ثم خرج إلى الصفا من الباب الذي يقابله فلما دنا منه قرأ ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ أبدأ بما بدأ الله به، وفي رواية النسائي[7] ابدأوا على الأمر، ثم رقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة ووحد الله وكبره وقال: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلاّ الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده. ثم دعا بين ذلك قال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة يمشي فلما انصبت قدماه في بطن الوادي سعى

طوافه بالبيت

صلاته خلف المقام

سعيه عليه الصلاة والسلام

---

(١) رواه أبو داود برقم ١٨٩٢ وأحمد ٣/ ٤١١.
(٢) رواه مسلم برقم ١٢٦١.
(٣) رواه البخاري برقم ١٦٠٧ ومسلم برقم ١٢٧٢.
(٤) رواه مسلم برقم ١٢٧٥ وابن ماجه برقم ٢٩٤٩.
(٥) رواه البخاري برقم ١٦٠٩ ومسلم برقم ١٢٦٧.
(٦) في الأصل (الآخرة) وهو تصحيف وتصحيحه من نص الحديث وهو جزء من حديث جابر.
(٧) رواه النسائي ٥/ ٢٣٦ ورواه الدارقطني في سننه ٢/ ٢٥٤ وصححه الإمام النووي وابن حزم.

حتى إذا جاوز الوادي وأصعد مشى وذلك اليوم قبل الميلين الأخضرين في أول السعي، هكذا في حديث جابر قال: حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا، فلما أكمل سعيه عند المروة أمر كل من لا هدي معه أن يحل حتماً ولا بد ـ قارناً كان أو مفرداً ـ الحل كله من وطء النساء والطيب والمخيط، وأن يبقوا كذلك إلى يوم التروية، ولم يحل هو من هديه. وهناك دعا للمحلقين بالمغفرة ثلاثاً وللمقصرين مرة[1]، وهناك سأله سراقة بن مالك عقيب أمره لهم بالفسخ والإهلال: هل ذلك لعامهم خاصة أم للأبد[2]. ولم يحل أبو بكر ولا عمر ولا طلحة ولا الزبير من أجل الهدي[3]. وأما نساؤه فأحللن[4] إلا عائشة فإنها لم تحل من أجل تعذر الحل عليها بحيضها. وأمر من أهل باهلال كإهلاله ﷺ أن يقيم على إحرامه إن كان معه هدي. وكان يصلي مدة قيامه إلى يوم التروية بمنزله الذي هو نازل فيه بالمسلمين بظاهر مكة، فأقام أربعة أيام يقصر الصلاة يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء، فلما كان يوم الخميس ضحى توجه بمن معه من المسلمين إلى منى فأحرم بالحج من كان أحل منه من رحالهم، ولم يدخلوا إلى المسجد، بل أحرموا ومكة خلف ظهورهم. وفي حديث جابر: وركب رسول الله ﷺ فصلى بها الظهر والعصر وبات بها ليلة الجمعة حتى طلعت الشمس، وأمر بقبة له من شعر تضرب بنمرة، فسار رسول الله ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية، فأجاز رسول الله حتى أتى عرنة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها، حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فأتى بطن الوادي فخطب الناس وقال: إن دماءكم وأموالكم[5] ـ وفي رواية غيره[6] وأعراضكم ـ حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة. وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن

دعوته للمحلقين

إقامته بظاهر مكة

خروجه إلى منى

خروجه إلى عرفة

خطبة حجة الوداع

---

(١) رواه البخاري برقم ١٧٢٨ ومسلم برقم ١٣٠١.
(٢) رواه البخاري برقم ١٦٩١ ومسلم برقم ١٢١٨.
(٣) رواه مسلم برقم ١٢٣٩ وانظر مسلم برقم ١٢١١.
(٤) رواه البخاري برقم ١٥٦١.
(٥) السياق من حديث جابر.
(٦) حديث أبي بكرة في البخاري برقم ٦٧.

الحارث (كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل)، وربا الجاهلية موضوعة وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله. واتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن ألاَّ يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف. وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكسها إلى الناس: اللهم اشهد اللهم اشهد (ثلاث مرات)[1] ثم أذن ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئاً. قال في الهدي[2]: وذلك يوم الجمعة، فدل على أن المسافر لا يصلي الجمعة، ومعه أهل مكة فصلوا بصلاته قصروا جميعاً بلا ريب ولم يأمرهم بالإتمام وإنما قال ﷺ لأهل مكة «أتموا صلاتكم فإنا قوم سفر»[3] في غزاة الفتح بجوف مكة حيث كانوا في ديارهم مقيمين، ولهذا كان أصح أقوال العلماء أن أهل مكة يقصرون ويجمعون بعرفة كما فعلوا مع النبي ﷺ، وفي هذا أوضح دليل على أن سفر القصر لا يحدد بمسافة معلومة ولا بأيام، ولا تأثير للنسك في قصر الصلاة البتة.

قصره الصلاة بعرفه

وقال جابر: ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف، فجعل بطن ناقته القصــواء إلى الصخرات، وجعل حبل المشاة بين يديه، واستقبل القبلة ولم يزل واقفاً حتى غربت الشمس. قال في الهدي[4]: وأمر الناس أن يرفعوا عن بطن عرنة وأخبر أن عرفة لا تختص بموقفه ذلك بل قال: وقفت هاهنا وعرفة كلها

وقوفه بعرفة

---

(١) سياق حديث جابر وقد وردت الخطبة في حديث أبي بكرة عند البخاري برقم ٦٧ ـ ١٠٥، ١٧٤١ وحديث عمرو بن الأحوص رضي الله عنه عن الترمذي برقم ٢١٥٩، ٣٠٨٧ وابن ماجه برقم ٣٠٥٥ وحديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عند الترمذي برقم ٦١٦ وأحمد في المسند ٥/ ٢٥١ والحاكم في المستدرك ١/ ٩ وحديث ابن عمر رضي الله عنهما عند البخاري برقم ٦٧٨٥ وابن مسعود رضي الله عنه عند ابن ماجه برقم ٥٧.

(٢) زاد المعاد ٢/ ٢٣٤.

(٣) رواه أبو داود برقم ١٢٢٩ وأحمد في المسند ٤/ ٤٣٢.

(٤) زاد المعاد ٢/ ٢٣٥.

موقف[1]، وأرسل إلى الناس أن يكونوا على مشاعرهم ويقفوا بها فإنها من إرث أبيهم إبراهيم[2]. وهناك أقبل ناس من أهل نجد فسألوه عن الحج فقال: الحج يوم عرفة، من أدرك قبل صلاة الصبح فقد أدرك الحج، أيام منى ثلاثة أيام التشريق، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه، ومن تأخر فلا إثم عليه[3]. وكان في دعائه رافعاً يديه إلى صدره كاستطعام المسكين، وأخبر أن خير الدعاء، الدعاء في عرفة[4]، وهناك نزلت عليه ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾[5] وهناك سقط رجل من المسلمين عن راحلته وهو محرم فمات. فأمر رسول الله ﷺ أن يكفن في ثوبيه ولا يمس بطيب وأن يغسل بماء وسدر ولا يغطى رأسه ولا وجهه، وأخبر أن الله يبعثه يوم القيامة يلبي[6]، فلما غربت الشمس واستحكم غروبها بحيث ذهبت الصفرة أفاض من عرفة، وأردف أسامة بن زيد خلفه وأفاض بسكينة وضم إليه بزمام ناقته حتى إن رأسها ليصيب طرف رحله[7]. وفي حديث جابر: ويقول بيده اليمنى أيها الناس عليكم بالسكينة. وكلما أتى حبلاً من الحبال أرخى لها قليلاً حتى تصعد. انتهى.

من مات محرما

افاضته إلى مزدلفة

وأفاض من طريق المأزمين[8] ودخل عرفة من طريق ضب، وهكذا كانت عادته عليه السلام في الأعياد أن يخالف الطريق، ثم جعل يسير العنق، وهو ضرب من السير ليس بالسريع ولا البطيء، فإذا وجد فجوة وهو المتسع نص سيره أي رفعه فوق ذلك[9]. وكان يلبي في مسيره ذلك لا يقطع التلبية، ثم أمر بالأذان فأذن المؤذن

---

(١) رواه مسلم برقم ١٢١٨ وأحمد ٤/ ٨٢.

(٢) رواه أبو داود برقم ٩١٩ والنسائي ٥/ ٢٥٥ وابن ماجه برقم ٣٠١١ وأحمد ٤/ ٣٣٥.

(٣) رواه أبو داود برقم ١٩٤٩ والترمذي برقم ٨٨٩ والنسائي ٥/ ٢٥٦ وابن ماجه برقم ٣٠١٥ وأحمد ٤/ ٣٣٥ وسنده صحيح.

(٤) رواه الترمذي برقم ٣٥٧٩ وسنده حسن.

(٥) رواه البخاري برقم ومسلم برقم ٣٠١٧.

(٦) رواه البخاري برقم ١٨٥١، ومسلم برقم ١٢٠٦.

(٧) رواه البخاري برقم ١٦٦٦ ومسلم برقم ١٢٨٦.

(٨) تثنية مأزم موضع معروف بين عرفة ومزدلفة. وهو في اللغة المضيق بين الجبال.

(٩) رواه البخاري برقم ١٦٦٦ ومسلم برقم ١٢٨٦ وهو جزء من الحديث السابق.

ثم أقام فصلى المغرب قبل حط الرحال وتبريك الجمال، فلما حطوا رحالهم أمر فأقيمت الصلاة ثم صلى العشاء الآخرة بإقامة بلا أذان ولم يصل بينهما بشيء[1]، ثم نام حتى أصبح وأذن تلك الليلة لضعفة أهله أن يتقدموا إلى منى قبل طلوع الفجر وذلك عند غيوب القمر[2]، وأمرهم أن لا يرموا الجمرة حتى تطلع الشمس. حديث صحيح صححه الترمذي[3]. والذي دلت عليه السنة جواز الرمي قبل طلوع الشمس للعذر بمرض أو كبر يشق عليه مزاحمة الناس لأجله، وأما القادر الصحيح فلا يجوز له ذلك، فلما طلع الفجر صلاها في أول الوقت لا قبله قطعاً بأذان وإقامة يوم النحر، وهو يوم العيد وهو يوم الحج الأكبر.

أذنه للضعفة

موقفه بمزدلفة

ثم ركب حتى أتى موقفه عند المشعر الحرام فاستقبل القبلة فأخذ في الدعاء والتضرع والتكبير والتهليل والذكر حتى أسفر جداً، ووقف وأعلم الناس أن مزدلفة كلها موقف ثم سار من مزدلفة مردفاً للفضل بن عباس وهو يلبي في سيره، وكان الفضل رجلاً حسن الشعر أبيض وسيماً، فلما دفع رسول الله مرت ظعن يجرين، فطفق الفضل ينظر إليهن، فوضع ﷺ يده على وجه الفضل، فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر، فحول ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفضل فصرف وجهه من الشق الآخر ينظر[4]. وفي طريقه ذلك أمر ابن عباس أن يلقط له حصى الجمار سبع حصيات[5]، ولم يكسرها من الجبل تلك الليلة كما فعل من لا علم عنده، ولا التقطها بالليل، فالتقط له سبع حصيات من حصى الحذف، فجعل ينفضه في كفه ويقول: أمثال هؤلاء فارموا، وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين.

لقطه حصى الجمار

اسراعه في وادي محسر

فلما أتى بطن محسر حرك ناقته وأسرع السير، وهذا كان عادته في المواضع التي

---

(١) رواه البخاري برقم ١٦٦٨ ومسلم برقم ١٢٨٨.

(٢) رواه البخاري برقم ١٦٧٩ ومسلم برقم ١٢٩١.

(٣) رواه أبو داود برقم ١٩٤٠ والنسائي ٥/ ٢٧٠ وابن ماجه ٣٠٢٥ وفي رواية للترمذي برقم ٨٩٣ والحديث ضعيف.

(٤) رواه البخاري برقم ١٥١٣ ومسلم برقم ١٣٣٤.

(٥) رواه النسائي ٥/ ٢٦٨ وابن ماجه برقم ٣٠٢٩ وأحمد ١/ ٢١٥ وهو حديث صحيح.

نزل بها بأس الله بأعدائه، فإن هناك أصاب أصحاب الفيل ما قص الله عليه، وسمي محسراً لأن الفيل حسر فيه أي أعيا وانقطع عن الذهاب. وقال جابر في حديثه: ثم سلك الطريق التي تخرج على الجمرة، حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات مثل حصى الخذف، يكبر مع كل حصاة منها من بطن الوادي . . .

رمية جمرة العقبة

وكان رميه إياها راكباً بعد طلوع الشمس واحدة [بعد واحدة يكبر مع كل حصاة][1]، وحينئذ قطع التلبية ورمى، وبلال وأسامة معه أحدهما آخذ بخطام ناقته والآخر يظله بثوب من الحر[2]، وفيه دليل على جواز استظلال المحرم بالمحمل ونحوه إن كانت هذه القصة يوم النحر، وإن كانت أيام منى فلا حجة فيها[3].

خطبته بمنى

ثم رجع إلى منى فخطب الناس خطبة بليغة أعلمهم فيها بحرمة يوم النحر وتحريمه وفضله عند الله، وحرمة مكة على جميع البلاد. وأمر بالسمع والطاعة لمن قادهم بكتاب الله، وأمر الناس بأخذ مناسكهم عنه وقال: لعلي لا أحج بعد عامي هذا[4]، وعلمهم مناسكهم، وأنزل المهاجرين والأنصار منازلهم، وأمر الناس أن لا يرجعوا بعده كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض، وأمر بالتبليغ عنه، وأخبر أنه رب مبلغ أوعى من سامع[5]، وقال في خطبته: لا يجني جان إلاَّ على نفسه[6]، وأنزل المهاجرين عن يمين القبلة والأنصار عن يسارها والناس حولهم، وفتح الله له أسماع الناس حتى سمعه أهل منى من منازلهم، وقال في خطبته تلك: اعبدوا ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة ربكم[7]. وودع حينئذ الناس فقالوا «حجة الوداع».

---

(١) ما بين المعكوفتين سقط واستدرك من نص الحديث.

(٢) رواه مسلم برقم ١٢٩٨ والترمذي برقم ١٧٠٦ وأحمد ٦/ ٤٠٢.

(٣) انظر زاد المعاد ٢/ ٢٥١.

(٤) جزء من حديث جابر.

(٥) رواه البخاري برقم ١٧٤١ ومسلم برقم ١٦٧٩.

(٦) رواه الترمذي برقم ٢١٦٠ وابن ماجه برقم ١٠٥٥.

(٧) رواه الترمذي برقم ٦١٦ وأحمد ٥/ ٢٥١ وهو صحيح.

نحر الهدي

ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثاً وستين بدنة بيده، وكان ينحرها قائمة معقولة يدها اليسرى[1]، وكان عدد ما نحر عدد سني عمره، ثم أمسك وأمر علياً أن ينحر ما بقي من المائة، ثم أمر علياً أن يتصدق بجلالها وجلودها ولحومها إلى المساكين، وأمره أن لا يعطي الجزار في جزارتها شيئاً منها وقال: نحن نعطيه من عندنا. وقال: من شاء اقتطع[2]، ونحر ﷺ بمنحره بمنى وأعلمهم أن منى كلها منحر، وأن فجاج مكة طريق ومنحر[3]، وفي هذا دليل على أن النحر لا يختص بمنى بل حيث نحر من فجاج مكة أجزأه، وسئل ﷺ أن يبني له بمنى مظلة من الحر فقال: لا، منى مناخ من سبق[4].

حلاق رأسه ﷺ

فلما أكمل ﷺ نحره استدعى بالحلاق فقال للحلاق ـ وهو معمر بن عبد الله ـ وهو قائم على رأسه بالموسى ونظر في وجهه وقال: يا معمر أمكنك رسول الله من شحمة أذنه وفي يده الموسى. قال معمر: فقلت أما والله يا رسول الله إن ذلك لمن نعمة الله علي. قال أجل. ذكره أحمد[5]. وقال للحلاق: خذ، وأشار إلى جانبه الأيمن. فلما فرغ قسم شعره بين من يليه، ثم أشار إلى الحلاق فحلق جانبه الأيسر قال: ههنا أبو طلحة؟ فدفعه إليه. هكذا وقع في صحيح مسلم[6]. قيل أصاب خالد بن الوليد شعرات من ناصيته فجعلها في قلنسوته فلم يشهد بها قتالاً إلاّ رزق النصر[7].

---

(١) رواه أبو داود برقم ١٧٦٧ وهو حسن.

(٢) رواه البخاري برقم ١٧١٦ ومسلم برقم ١٣١٧.

(٣) جزء من حديث جابر ورواه أبو داود برقم ١٩٣٧.

(٤) رواه أبو داود برقم ٦٦٥ والترمذي برقم ٨٨١ وابن ماجه برقم ٣٠٠٦ وهو حديث صحيح.

(٥) رواه أحمد في المسند ٦/ ٤٠٠.

(٦) رواه مسلم برقم ١٣٠٥ من حديث أنس رضي الله عنه.

(٧) الذي في الصحيح أنه ناوله أبا طلحة ليوزعه بين الناس. وهذا خاص بالرسول ﷺ وأما غيره فلا يتبرك بشيء من أجزائهم ولا بهم وأما إصابة خالد بن الوليد ناصية رسول الله فقد رواها أبو نعيم في دلائل النبوة برقم ٣٦٧ وسعيد بن منصور والحاكم في المستدرك ٣/ ٢٩٩ وقال الذهبي منقطع وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٣٤٩ أخرجه الطبراني وأبو يعلى بنحوه ورجالهما رجال الصحيح وجعفر سمع من جماعة من الصحابة فلا أدري أسمع من خالد أم لا.

قال جابر في حديثه: وأشرك ﷺ علياً في هديه، ثم أمر من كل بدنة ببعضه فجعلت في قدر فطبخت، فأكلا من لحمها وشربا من مرقها. ثم ركب ﷺ فأفاض إلى البيت، وصلى بمكة الظهر، فأتى بنو عبد المطلب يسقون على زمزم، فقال: انزعوا بني عبد المطلب، فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم. فناولوه دلواً فشرب منه.

إفاضته إلى مكة للطواف

وطاف في حجة الوداع على راحلته بالبيت وبالصفا والمروة ليراه الناس وليسألوه[١]. ثم رجع إلى منى. واختلف أين صلى الظهر يومئذ، ففي الصحيحين عن ابن عمر أنه ﷺ أفاض يوم النحر فصلى الظهر بمنى[٢]. وفي مسلم عن جابر أنه صلى الظهر بمكة. وكذلك قالت عائشة[٣]. وطافت أم سلمة في ذلك اليوم على بعيرها وهي شاكية[٤]، وكانت استأذنت رسول الله، وطافت عائشة في ذلك اليوم طوافاً واحداً وسعت سعياً واحداً أجزأها عن حجها وعمرتها[٥]. وطافت صفية ذلك اليوم ثم حاضت فأجزأها طوافها ذلك عن طواف الوداع فلم تودع[٦]، فاستقرت سنته ﷺ في المرأة الطاهر إذا حاضت قبل الطواف أن تقرن وتكتفي بطواف واحد وسعي واحد، وإن حاضت بعد طواف الإفاضة اجتزأت به عن طواف الوداع[٧].

رجوعه إلى منى ورميه الجمار أيام التشريق

ثم رجع ﷺ إلى منى من يومه ذلك فبات بها، فلما أصبح انتظر زوال الشمس فلما زالت مشى من رحله إلى الجمار ولم يركب، فبدأ بالجمرة الأولى التي تلي مسجد الخيف فرماها بسبع حصيات: واحدة بعد واحدة، يقول مع كل حصاة: الله أكبر. ثم تقدم عن الجمرة أمامها حتى أسهل فقام مستقبل القبلة، ثم رفع يديه ودعا دعاءً طويلاً بقدر سورة البقرة، ثم أتى الجمرة الوسطى فرماها كذلك، ثم انحدر ذات

---

(١) رواه مسلم برقم ١٢٧٣.
(٢) رواه مسلم برقم ١٣٠٨ وليس في البخاري.
(٣) رواه أبو داود برقم ١٩٧٣ وانظر الترجيح في زاد المعاد ٢/ ٢٨٠.
(٤) رواه مسلم برقم ١٢٧٦.
(٥) رواه مسلم برقم ١٢١١.
(٦) رواه البخاري برقم ١٧٧١.
(٧) انظر زاد المعاد ٢/ ٢٨٤.

اليسار مما يلي الوادي فوقف مستقبل القبلة رافعاً يديه يدعو قريباً من وقوفه الأول.
ثم أتى الجمرة الثالثة وهي جمرة العقبة فاستبطن الوادي واستعرض الجمرة، فجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه، فرماها بسبع حصيات كذلك[١] ولم يرمها من أعلاها كما يفعل الجهال، ولا جعلها عن يمينه، واستقبل البيت وقت الرمي كما ذكره غير واحد من الفقهاء، فلما أكمل الرمي رجع من فوره ولم يقف عندها، فقيل لضيق المكان في الجبل، وقيل وهو أصح إن دعاءه كان في نفس العبادة قبل الفراغ منها، فلما رمى جمرة العقبة فرغ الرمي، والدعاء في صلب العبادة أفضل منه بعد الفراغ منها، وهذه كانت سنته في دعائه في الصلاة. وذكر الإمام أحمد أنه كان يرمي يوم النحر راكباً وأيام منى ماشياً في ذهابه ورجوعه. فقد تضمنت حجته ﷺ ست وقفات للدعاء الأولى على الصفا، والثانية على المروة والثالثة بعرفة، والرابعة بمزدلفة، والخامسة عند الجمرة الأولى، والسادسة عند الجمرة الثانية[٢].

اذنه للعباس بعدم المبيت

واستأذنه العباس بن عبد المطلب أن يبيت بمكة ليالي منى من أجل السقاية فأذن له[٣]، واستأذنه رعاء الإبل في البيوتة خارج منى عند الإبل فأرخص لهم أن يرموا يوم النحر ثم يجمعوا رمي يومين بعد يوم النحر يرمونه في أحدهما[٤]. قال مالك: ظننت أنه قال في أول يوم منهما ثم يرمون يوم النفر، وقال ابن عيينة في هذا الحديث: رخص للرعاء أن يرموا يوماً ويدعوا يوماً، فيجوز للطائفتين بالسنة ترك المبيت بمنى، وأما الرمي فلا يتركونه، بل لهم أن يؤخروه إلى الليل فيرمون فيه، ولهم أن يجمعوا رمي يومين في يوم، وكذلك من له مال يخاف ضياعه أو مريض يخاف من تخلفه عنه، أو كان مريضاً لا يمكنه البيتوتة سقطت عنه بتنبيه النص على هؤلاء. والله أعلم[٥].

---

(١) رواه البخاري برقم ١٧٥١ من حديث ابن عمر ومسلم من حديث ابن مسعود برقم ١٢٩٦.
(٢) انظر زاد المعاد ٢/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧.
(٣) رواه البخاري برقم ١٦٣٤ ومسلم برقم ١٣١٥.
(٤) رواه أبو داود برقم ١٩٧٥ والترمذي برقم ٩٥٥ والنسائي ٥/ ٢٧٣ وابن ماجه برقم ٣٠٣٧ ومالك ١/ ٤٠٨ وهو حديث صحيح.
(٥) انظر زاد المعاد ٢/ ٢٩٠.

لم يتعجل رسول الله

ولم يتعجل ﷺ في يومين، بل تأخر حتى أكمل رمي أيام التشريق الثلاثة وأفاض يوم الثلاثاء بعد الظهر إلى المحصب ـ وهو الأبطح وهو خيف بني كنانة ـ فوجد أبا رافع قد ضرب قبته هناك، وكان على ثقله[1]، توفيقاً من الله دون أن يأمره ﷺ، فصلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء ورقد رقدة[2]. ثم نهض إلى مكة فطاف طواف الوداع ليلاً سحراً، ولم يرمل في هذا الطواف، ورغبت إليه عائشة أن تعتمر عمرة مفردة فأخبرها أن طوافها بالبيت والصفا والمروة قد أجزأ عن حجتها وعمرتها. فقالت: يا رسول الله يرجع الناس بحجة وعمرة وأرجع أنا بحجة؟ قال: أو ما طفت ليالي قدمنا مكة؟ قالت: لا. قال: فاذهبي مع أخيك إلى التنعيم فأهلي بعمرة، ثم موعدك كذا وكذا، ففرغت من عمرتها ليلاً ثم وافت المحصب مع أخيها فأتيا في جوف الليل، فقال رسول الله ﷺ: فرغتما؟ قالت: نعم. فنادى بالرحيل في أصحابه فارتحل الناس[3]. ثم طاف بالبيت قبل صلاة الصبح، هكذا عند البخاري[4] في حديث القاسم عنها. وفي الصحيحين[5] عن أبي هريرة أن رسول الله قال حين أراد أن ينفر من منى: نحن نازلون إن شاء الله غداً بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على بني هاشم وبني المطلب لا يناكحوهم ولا يكون بينهم شيء حتى يسلموا إليهم رسول الله انتهى، فقصد النبي ﷺ إظهار شعائر الإسلام في المكان الذي أظهروا فيه شعائر الكفر والشرك، وكان ابن عمر يرى نزوله سنة[6]، وذهب ابن عباس[7] وعائشة[8] إلى أنه ليس سنة، وإنما هو منزل نزله رسول الله ﷺ ليكون أسمح لخروجه.

عمرة عائشة من التنعيم

نزوله بالمحصب

---

(١) رواه مسلم برقم ١٣١٣.

(٢) رواه أبو داود برقم ٢٠١٣ وأحمد ٢/ ١٠٠.

(٣) رواه البخاري برقم ١٧٦٢ ومسلم برقم ١٢١١.

(٤) رواه البخاري برقم ١٧٨٨.

(٥) رواه البخاري برقم ١٥٩٠ ومسلم برقم ١٣١٤.

(٦) رواه مسلم برقم ١٣١٠.

(٧) رواه البخاري برقم ١٧٦٦ ومسلم برقم ١٣١٢.

(٨) رواه البخاري برقم ١٧٦٥ ومسلم برقم ١٣١١.

بعث أسامة بن زيد

قال ابن إسحاق[1]: ثم قفل رسول الله ﷺ فأقام بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم وصفراً، وضرب على الناس بعثاً إلى الشام، وأمر عليهم أسامة بن زيد مولاه وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، فتجهز الناس، وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون. انتهى. وهي آخر سرية جهزها النبي ﷺ، وأول شيء جهزه أبو بكر[2].

مرضه ﷺ

فلما كان يوم الأربعاء بدىء برسول الله وجعه، فحمَّ وصدع[3]، فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواء بيده، فخرج بلوائه معقوداً فدفعه إلى بريدة الأسلمي فسكن بالجرف، فتكلم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين! فغضب من ذلك غضباً شديداً، ففي الصحيح عن ابن عمر أن رسول الله بعث بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد، فطعن الناس في إمارته، فقام رسول الله ﷺ فقال: بلغني أنكم قلتم في أسامة وإنه أحب الناس إلي. وفي لفظ: إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه، وأيم الله إنه كان خليقاً لإمارته وإنه كان لمن أحب الناس إلي، وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده[4]. قال ابن إسحاق وانكمش الناس في جهازهم، فخرج أسامة بجيشه حتى نزلوا الجرف، وتتام إليه الناس، وثقل رسول الله، فأقام أسامة والناس معه لينظروا ما الله قاض في رسوله، وعن محمد بن أسامة عن أبيه قال: لما ثقل رسول الله هبطت وهبط الناس معي إلى المدينة، فدخلت على رسول الله وقد صمت فلا يتكلم، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها علي، أعرف أنه يدعو لي[5].

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٤/ ٢٥٣ والسيرة لابن كثير ٤/ ٤٤٠ وخبر الجيش ثابت في البخاري برقم ٣٧٣٠، ٧١٨٧ ومسلم برقم ٢٤٢٦.

(٢) انظر سيرة ابن هشام ٤/ ٢٨٨ وفتح الباري حديث رقم ٤٤٦٩ والمغازي للواقدي ١/ ١٢٠ والطبقات لابن سعد ٢/ ١٨٩.

(٣) وهو قول الواقدي كما في طبقات ابن سعد ٢/ ٢٠٦ وعزاه الحافظ في فتح الباري ٧/ ٧٣٦ إلى الحاكم وانظر الإشارة لمغلطاي ٣٤٩.

(٤) رواه البخاري برقم ٣٧٣٠ ومسلم برقم ٢٤٢٦ وقد سبق الإشارة إليه من رواية إسحاق وسندها حسن ورواه الترمذي برقم ٣٨١٧ وأحمد ٥/ ٢٠١.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٣٠١.

صلاته على شهداء أحد

وفي الصحيحين عن عقبة بن عامر قال: صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد بعد ثلاث سنين صلاته على الميت كالمودع للأحياء والأموات، ثم انصرف إلى المنبر فقال: إني فرطكم، وإني شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف أن تشركوا بعدي، ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها[1].

اخباره باختيار الآخرة

وفي الصحيح عن أبي سعيد الخدري قال: خطب رسول الله ﷺ الناس فقال: إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله. قال فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله عن عبد خُير، فكان رسول الله هو المخير، وكان أبو بكر هو أعلمنا. فقال رسول الله ﷺ: إن من أمن الناس عليَّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام ومودته. لا يبقين في المسجد باب إلاّ سد، إلاّ باب أبي بكر[2].

استغفاره لأهل البقيع

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن عمر عن عبيد بن جبير مولى الحكم بن العاص عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن أبي مويهبة مولى رسول الله قال: بعثني رسول الله من جوف الليل فقال: يا أبا مويهبة، إني قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع، فانطلق معي. فانطلقت معه، فلما وقف بين أظهرهم قال: السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهن لكم ما أصبحتم فيه بما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى. ثم أقبل علي فقال: يا أبا مويهبة إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة. قال فقلت: بأبي أنت وأمي، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة. قال: لا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربي والجنة. ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف فبدأ برسول الله وجعه الذي قبضه الله فيه[3].

قال: وحدثني يعقوب بن عتبة عن محمد بن مسلم الزهري عن عبيد الله بن عبد

---

(١) رواه البخاري برقم ١٣٤٤ ومسلم برقم ٢٢٩٦.

(٢) رواه البخاري برقم ٤٤٣١ ومسلم برقم ١٦٣٧.

(٣) رواه ابن إسحاق كما في السيرة لابن هشام ٤/ ٢٨٩ وسنده حسن.

الله بن عتبة عن عائشة قالت: رجع رسول الله ﷺ من البقيع. فوجدني وأنا أجد صداعاً في رأسي وأنا أقول: وارأساه. فقال: بل أنا والله يا عائشة وارأساه. ثم قال: وما ضرك لو مت قبلي فقمت إليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك. قالت: قلت والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك لقد رجعتَ إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك. قالت: فتبسم رسول الله. وتتام به وجعه وهو يدور على نسائه، حتى استعزَّ به وهو في بيت ميمونة. فدعا نساءه فاستأذنهن أن يمرض في بيتي فأذن له[1]. قالت: فخرج رسول الله يمشي بين رجلين من أهله أحدهما الفضل بن عباس ورجل آخر عاصباً رأسه تخط قدماه حتى دخل بيتي. قال عبيد الله : فحدثت بهذا الحديث عبد الله بن عباس فقال: هل تدري من الرجل الآخر؟ قال قلت لا. قال: علي بن أبي طالب[2].

بداية مرضه

استئذانه نسائه في تمريضه ببيت عائشة

ثم غمر رسول الله واشتد به وجعه، فقال: هريقوا عليَّ سبع قرب من آبار شتى حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم. قالت: وأقعدناه في مخضب لحفصة بنت عمر، ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول: حسبكم حسبكم. انتهى. قلت: وأصل هذا الحديث في صحيح البخاري من طريق الزهري عن عبيد الله عن عائشة. زاد البخاري[3] في هذه الرواية: ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم.

أمره الصديق رضي الله عنه أن يصلي بالناس

وله عن عروة عن عائشة أنها قالت: إن رسول الله قال في مرضه الذي مات فيه: مروا أبا بكر فليصل بالناس. قالت عائشة قلت: إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء، فمر عمر فليصل بالناس قالت عائشة فقلت لحفصة قولي له إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل بالناس، ففعلت حفصة، فقال رسول الله ﷺ : مه، إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس. فقالت حفصة لعائشة: ما كنت لأصيب منك خيراً[4]. وفي رواية

---

(١) رواه ابن إسحاق كما في السيرة لابن هشام ٤/ ٢٩٠ وإسناده صحيح ورواه الحاكم بسند آخر ٣/ ٥٦.

(٢) رواه البخاري برقم ٤٤٤٢ ومسلم برقم ٤١٨.

(٣) رواه البخاري برقم ١٩٨، ٤٤٤٢ ومسلم برقم ٥٢٩.

(٤) رواه البخاري برقم ٦٦٤، ٧١٢.

لمسلم[1]: ثم إن النبي ﷺ وجد من نفسه خفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأومأ إليه النبي ﷺ أن لا تتأخر، وقال لهما: أجلساني إلى جنبه فأجلساه إلى جنب أبي بكر، فكان أبو بكر يصلي وهو قائم بصلاة النبي ﷺ والناس يصلون بصلاة أبي بكر، وكذا في رواية الأسود عن عائشة، وكذا في رواية عروة عنها. وله في رواية أبي موسى في هذه القصة فأتاه الرسول فصلى بالناس في حياة النبي ﷺ. وللبخاري عن عائشة في حديث عبيد الله قالت عائشة: لقد راجعت رسول الله في ذلك، وما حملني على كثرة مراجعته إلاَّ أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه إلاَّ تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل رسول الله عن أبي بكر[2].

قال الزهري: وأخبرنا عبيد الله بن عبد الله أن عائشة وابن عباس قد قالا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال وهو كذلك «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا[3]. وفي رواية أحمد «قاتل الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحرم ذلك على أمته[4]. وفي رواية للبخاري قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً[5].

تحذيره من فعل اليهود

وله عن ابن عباس أن علي بن أبي طالب خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي مات فيه فقال الناس: يا أبا حسن كيف أصبح رسول الله قال: أصبح بحمد الله بارئاً. فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له «أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، وإني والله لأرى رسول الله سوف يتوفى من وجعه هذا. إني لأعرف بني عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول الله فلنسألنه في من هذا الأمر؟ إن كان فينا علمنا

علامة الوفاة برسول الله

---

(١) رواه مسلم برقم ٤١٨.
(٢) رواه البخاري برقم ٦٨٧.
(٣) رواه البخاري برقم ٤٣٥ ومسلم برقم ٥٣١.
(٤) رواه أحمد في المسند ١/ ٢١٨.
(٥) رواه البخاري برقم ٣٤٥٣ ومسلم برقم ٥٣١.

ذلك وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا. فقال علي: إنا لئن سألناها رسول الله فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله[1]. وللبخاري أن رسول الله ﷺ قال لعائشة «ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم»[2] قال ابن إسحاق[3]: فكان المسلمون يرون أن رسول الله مات شهيداً، مع ما أكرمه الله به من النبوة. وقالت عائشة: لددنا رسول الله في مرضه، فجعل يشير إلينا أن لا تلدوني، فقلنا كراهية المريض للدواء. فلما أفاق قال: ألم أنهكم أن تلدوني؟ قلنا كراهية المريض للدواء. فقال: لا يبقى أحد في البيت إلاَّ لد وأنا أنظر، إلاَّ العباس فإنه لم يشهدكم[4]. انتهى. واللد شيء تصنعه العرب دواء يصب في أحد شقي الفم، فأمر بِلَدِهم كلهم اقتصاصاً.

أثر السم

فلما كان يوم الخميس قبل موته بأربع ليال اجتمع عنده ناس من أصحابه فقال عليه السلام ائتوني بكتف ودواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً. وفي الصحيحين عن ابن عباس قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، اشتد برسول الله وجعه فقال: ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً. فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع. فقال بعضهم: إن رسول الله قد غلبه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول قربوا يكتب لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك. وفي رواية فقالوا: ما له أهجر استفهموه. فذهبوا يردون عليه فقال: دعوني. فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه وأوصاهم بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم. وسكت عن الثالثة، أو قال فنسيتها[5] وفي رواية: فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال: قوموا عني. قال عبد الله: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم

دعوته لكتب الكتاب

---

(١) رواه البخاري برقم ٤٤٤٧.

(٢) رواه البخاري برقم ٤٤٢٨ معلقاً وأحمد في المسند ٦/ ١٨ وهو حديث صحيح.

(٣) سيرة ابن هشام ٣/ ٢٨٧.

(٤) رواه البخاري برقم ٤٤٥٨ ومسلم برقم ٢٢١٣.

(٥) رواه البخاري برقم ١١٤، ٣٠٥٣، ٤٤٣١ ومسلم برقم ١٦٣٧.

ذلك الكتاب، لاختلافهم ولغطهم. انتهى. ولا شك أنه لو كان من واجبات الشريعة لم يغيره عليه السلام بكلام عمر ولا غيره. وكان قال لعائشة في تلك المرضة: لقد هممت أن أبعث إلى أبيك وأخيك فأكتب كتاباً وأعهد عهداً لئلا يتمنى متمنٍّ أو يقول قائل «أنا أولى» ويأبى الله والمؤمنون إلاَّ أبا بكر. رواه البخاري[1]. فلم يكن والله أعلم الكتاب الذي أراد أن يكتب إلاَّ في استخلاف أبي بكر، ولقد ظهرت رزية ذلك وكاد الناس أن يهلكوا في الاختلاف في من يلي أمر المسلمين بعده، ولقد هلكت الشيعة في ذلك وتمادى ضلالهم إلى اليوم نعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى. وعن عائشة أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده، فلما اشتكى وجعه الذي مات فيه طفقت أنفث عنه بالمعوذات التي كان ينفس، وأمسح بيد النبي ﷺ عنه لبركتها. رواه البخاري[2]. ولهما عن أنس قال: لما كان يوم الاثنين والناس في صلاة الفجر وأبو بكر يصلي لهم لم يفجأهم إلاَّ رسول الله يكشف ستر حجرة عائشة، فنظر إليهم وهم صفوف في الصلاة، ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن رسول الله يريد أن يخرج إلى الصلاة، وهم الناس أن يفتتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله فأشار إليهم بيده أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر[3]. زاد ابن إسحاق في روايته عن الزهري عن أنس: وانصرف الناس وهم يرون أن رسول الله قد أفاق من وجعه، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسنح[4]. وعن عائشة أنها كانت تقول: إن من نعم الله عليَّ أن رسول الله توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري، وإن الله جمع بين ريقي وريقه، ودخل عليَّ عبد الرحمن وبيده سواك وأنا مسندة رسول الله إلى صدري فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فتناوله فاشتد عليه. وقلت: ألينه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فلينته بأمره فاستن به وهو مستند إلى

كتابه لأبي بكر

عائشة ترقي الرسول

النظرة الأخيرة

السواك آخر عهد الرسول بالدنيا

---

(١) رواه البخاري برقم ٥٦٦٦، ٧٢١٧ ومسلم برقم ٣٢٨٧.

(٢) رواه البخاري برقم ٤٤٣٩ ومسلم برقم ٢١٩٢.

(٣) رواه البخاري برقم ٦٨٠، ٤٤٤٨ ومسلم برقم ٤١٩.

(٤) سيرة ابن هشام ٤/ ٣٠٤ وانظر البخاري برقم ٤٤٥٥.

ساعة الاحتضار

صدري، وبين يديه ركوة أو عليه ـ يشك عمر ـ فيها ماء، فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: لا إله إلاّ الله، إن للموت سكرات[١]. وكان رسول الله ﷺ يقول: إنه لن يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيا أو يخير. فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذ عائشة غشي عليه، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال: اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى. وفي رواية: مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وفي رواية فقلت: إذاً لا يختارنا. وعرفت أنه الحديث الذي يحدثنا به وهو صحيح. قالت: فكان آخر كلمة تكلم بها: اللهم الرفيق الأعلى[٢]. زاد ابن إسحاق قالت عائشة فمن سفهي وحداثة سني أن رسول الله ﷺ قبض في حجري ثم وضعت رأسه على وسادة وقمت ألتدم مع النساء وأضرب وجهي[٣]. وفي رواية للبخاري: فلا أكره شدة الموت لأحد بعد النبي ﷺ[٤]. وعن الأسود قال: ذكر عند عائشة أن النبي ﷺ أوصى إلى علي فقالت: من قاله؟ لقد رأيت النبي ﷺ وإني لمسندته إلى صدري. فدعا بالطست فانخنث فمات وما شعرت، فكيف أوصى إلى علي[٥]؟ وعن طلحة قال: سألت ابن أبي أوفى: أوصى النبي ﷺ؟ فقال: لا. فقلت: كيف كتب على الناس الوصية وأمر بها؟ فقال: أوصى بكتاب الله. رواهن البخاري[٦]. وفي مسند أحمد أن النبي ﷺ جعل يقول وهو يجود بنفسه: الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم[٧]، حتى ما يغيض بها لسانه.

ما خلفه رسول الله

وعن عمرو بن الحارث قال: ما ترك النبي ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة إلاّ بغلته البيضاء التي كان يركبها، وسلاحه وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة.

---

(١) رواه البخاري برقم ٨٩٠، ٤٤٥٠، ٤٤٥١.

(٢) رواه البخاري برقم ٤٤٣٥، ٤٤٣٦ ومسلم برقم ٣٤٤٤.

(٣) سيرة ابن هشام ٤/ ٣٠٦ وقد رواه أحمد في المسند ٦/ ٢٧٤ والطبري في التاريخ ٣/ ١٩٩ والذهبي في تاريخ الإسلام ٥٦٢ جزء السيرة.

(٤) رواه البخاري برقم ٤٤٤٦.

(٥) رواه البخاري برقم ٤٤٥٩.

(٦) رواه البخاري برقم ٤٤٦٠.

(٧) رواه أحمد ١/ ٧٨ وأبو داود برقم ٥١٥٦ وابن ماجه برقم ٢٦٩٨.

وعن عائشة: توفي رسول الله ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير. رواهما البخاري[١].

اخباره فاطمة بموتها بعده

وعن أنس بن مالك قال: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه، فقالت فاطمة: واكرب أباه، فقال لها: ليس على أبيك كرب بعد اليوم. فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب رباً دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه. فلما دفن قالت فاطمة: يا أنس، أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله التراب؟ وعن عائشة قالت: دعا النبي ﷺ فاطمة في شكواه التي قبض فيها فسارَّها فبكت، ثم دعاها فسارَّها فضحكت فسألناها عن ذلك فقالت: سارني أنه يقبض في وجعه الذي توفيّ فيه فبكيت، ثم سارني فأخبرني أني أول أهل بيته يتبعه فضحكت. رواهما البخاري[٢].

التعزية من السماء

ويذكر أنه لما توفي جاءت التعزية يسمعون الصوت والحس ولا يرون الشخص: السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته. كل نفس ذائقة الموت، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة، إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركاً من كل فائت، فبالله ثقوا، وأياه فارجوا، فإن المصاب من حرم الثواب. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وتوفي يوم الاثنين[٣] نصف النهار لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة مثل الوقت الذي دخل فيه المدينة.

وصيته بالأنصار

وللبخاري عن أنس قال: مر أبو بكر والعباس بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقال: ما يبكيكم؟ فقالوا ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا، فدخل على النبي ﷺ فأخبره بذلك، قال فخرج النبي وقد عصب على رأسه حاشية برد قال: فصعد المنبر ـ ولم يصعد بعد ذلك اليوم ـ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم، فأقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم[٤]. وله عن ابن عباس قال: خرج النبي ﷺ وعليه ملحفة

---

(١) رواه البخاري برقم ٤٤٦١، والثاني برقم ٤٤٦٧.

(٢) رواه البخاري برقم ٣٦٢٣، ٣٦٢٥، ٣٧١٥، ٤٤٣٣، ٦٢٨٥.

(٣) انظر البخاري برقم ١٣٨٧ وانظر الإشارة لمغلطاي ٣٥٠ في تحقيق تاريخ ذلك اليوم.

(٤) رواه البخاري برقم ٣٧٩٩.

منعطفاً بها على منكبيه، وعليه عصابة دسماء حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد أيها الناس فإن الناس، يكثرون وتقل الأنصار حتى يكونوا كالملح للطعام، فمن ولي منكم أمراً يضر به أحداً أو ينفعه، فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم[1].

موقف الصحابة لما علموا بوفاته

وله عن عائشة أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح ـ قال اسماعيل يعني بالعالية ـ فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله. قالت وقال عمر: والله ما كان في نفسي إلاَّ ذلك، وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم. فجاء أبو بكر على فرس من منزله بالسنح حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة، فتيمم رسول الله وهو مغشى بثوب حبره، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه وقبله وبكى ثم قال: بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبداً. ثم خرج وعمر يكلم الناس فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، وفي رواية قال: أيها الحالف على رسلك. فأقبل إليه الناس وتركوا عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: أما بعد فمن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. وقال عز وجل ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ وقال ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾ الآية قال فنشج الناس يبكون. قال ابن عباس: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلاَّ يتلوها. قال ابن المسيب قال عمر: والله ما هو إلاَّ أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي، وحتى هويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، وعلمت أن رسول الله قد مات[2]. وعن ابن عباس قال: أنزل على النبي وهو ابن أربعين سنة، فقام بمكة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة عشر سنين، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة. رواه البخاري[3].

---

(١) رواه البخاري برقم ٣٨٠٠.

(٢) رواه البخاري برقم ١٢٤١، وفي رقم ١٢٤٢، ٣٦٦٨، ٣٦٧٠.

(٣) رواه البخاري برقم ٣٥٣٦ ومسلم برقم ٢٣٤٩.

ولما عرفوا أنه مات دهش الناس وطاشت عقولهم، فمنهم من خبل ومنهم من أصمت، ولم يكن أثبت وأحزم من أبي بكر والعباس.

ذكر أمر سقيفة بني ساعدة

وفي البخاري في حديث عائشة قالت: اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلاّ أني قد هيأت كلاماً أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، فتكلم فأبلغ فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء. فقال الحباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر: لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء. وكان قريش أوسط العرب داراً وأعزهم أحساباً، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح، فقال عمر: بل أبايعك، فأنت خيرنا وأحبنا إلى رسول الله. فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة. فقال عمر: بل قتله الله. قال القاسم في حديثه: فما كان من خطبتهما من خطبة إلاّ نفع الله بها، لقد خوف عمر الناس وإن فيهم لنفاقاً، فردهم الله بذلك، ثم لقد بصر أبو بكر الناس الهدى وعرفهم الحق الذي عليهم، فخرجوا يتلون ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ الآية[1].

وقال ابن إسحاق: ولما قبض رسول الله ﷺ انحاز هذا الحي من الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، واعتزل علي بن أبي طالب والزبير وطلحة بن عبيد الله في بيت فاطمة، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبي بكر وانحاز معهم أسيد بن حضير في بني عبد الأشهل. فأتى آت إلى أبي بكر وعمر فقال: إن هذا الحي من الأنصار مع سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة قد انحازوا إليه، فإن كان لكم بأمر الناس من حاجة فأدركوا الناس قبل أن يتفاقم أمرهم ـ ورسول الله في بيته لم يفرغ من أمره قد أغلق دونه الباب أهله ـ قال عمر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار حتى ننظر ما هم عليه. فانطلقا يؤمانهم، فلقيهما رجلان صالحان: عويم بن ساعدة

---

(١) رواه البخاري برقم ٢٤٦٢ من حديث ابن عباس، ومسلم برقم ١٦٩١.

ومعن بن عدي، فذكرا لهما ما تمالأ عليه القوم وقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ قالا نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقالا: فلا عليكم أن لا تقربوهم يا معشر المهاجرين، اقضوا أمركم. قال عمر: والله لنأتيهم. فانطلقا حتى أتياهم في سقيفة بني ساعدة فإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل، فقال عمر: من هذا؟ قالوا: سعد بن عبادة. قال: ما له؟ قالوا: وجع. قال فلما جلسنا تشهد خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا، وقد دفت دافة من قومكم فإذا هم يريدون أن يجتازونا من أصلنا ويغصبونا الأمر. قال عمر: فلما سكت أردت أن أتكلم وقد زورت مقالة قد أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحدّ، فقال أبو بكر: على رسلك يا عمر، فكرهت أن أغضبه، فتكلم. وهو كان أعلم مني وأبلغ، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتني من تزويري إلاَّ قالها في بديهته أو مثلها أو أفضل حتى سكت. قال: أما ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلاَّ لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً. وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم، وأخذ بيدي ويد أبي عبيدة وهو جالس بيننا، ولم أكره مما قال غيرها، وكان والله أن أقدم فتضرب عنقي ـ ولا يقربني ذلك إلى إثم ـ أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر. قال فقال قائل من الأنصار ـ الحباب بن المنذر ـ أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش. قال عمر: فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات حتى تخوفت الاختلاف فقلت: أبسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون والأنصار، ونزونا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم قتلتم سعد بن عبادة. قلت: قتل الله سعد بن عبادة[1].

خطبة الصديق رضي الله عنه

وعن عبد الله بن مسعود قال: كان رجوع الأنصار ـ يوم سقيفة بني ساعدة ـ بكلام قاله عمر قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر أن يصلي بالناس؟ قالوا: اللهم نعم. قال فأيكم تطيب نفسه أن يزيله عن مقامه الذي أقامه فيه رسول الله؟ قالوا: كلنا لا تطيب أنفسنا، نستغفر الله. فلما فرغ أبو بكر من البيعة رجع

---

(١) السيرة لابن هشام ٤/ ٣١١ والقصة ثابتة في الصحيحين وانظر تاريخ الطبري ٣/ ٢٠٣ ـ ٢٠٦.

إلى المسجد فقعد على المنبر فبايعه الناس حتى أمسى[1]، وشغلوا عن دفن جهاز رسول الله، حتى كان آخر الليل ـ ليلة الثلاثاء ـ مع الصبح.

خطبة عمر رضي الله عنه

قال ابن إسحاق حدثني الزهري قال حدثني أنس بن مالك قال: لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهل له ثم قال: أيها الناس، إني قد قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدته في كتاب الله، ولا كانت عهداً عهده إلى رسول الله، وكنت أرى أن رسول الله سيدبر أمرنا ـ يقول يكون آخرنا ـ وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى رسوله، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله وثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه. فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة. ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله ثم قال: أما بعد أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني. الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله. والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلاَّ ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلاَّ عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله. انتهى[2].

تخلف بعض الصحابة عن البيعة

وتخلف عن بيعته علي بن أبي طالب وبنو هاشم والزبير بن العوام وخالد بن سعيد بن العاص وسعد بن عبادة الأنصاري، ثم إن الجميع بايعوا بعد موت فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلاَّ سعد بن عبادة فإنه لم يبايع أحداً إلى أن مات، وكانت بيعتهم بعد ستة أشهر. وذكر موسى بن عقبة أن رجالاً من المهاجرين غضبوا في بيعة أبي بكر، منهم علي والزبير، فدخلا بيت فاطمة معهما السلاح، فجاءهما عمر في عصابة من المهاجرين والأنصار، فيهم أسيد بن حضير وسلمة بن وقش وثابت بن قيس فكلموهما، حتى أخذ أحد القوم سيف الزبير فضرب به الحجر حتى كسره، ثم قام

---

(١) رواه أحمد ١/ ٣٩٦ والحاكم ٣/ ٦٧ وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٢) رواه ابن إسحاق في السيرة ٤/ ٣١٢ وعبد الرزاق في المصنف ٥/ ٤٣٧ وسنده صحيح.

أبو بكر فخطب الناس واعتذر إليهم فقال: والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً قط ولا ليلة، ولا سألتها الله قط سراً ولا علانية، ولكني أشفقت من الفتنة، ومالي في الإمارة من راحة، ولقد قلدت أمراً عظيماً ما لي به طاقة ولا يد إلاَّ بتقوية الله، ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني اليوم. فقبل المهاجرون منه، وقال علي والزبير: ما غضبنا إلاَّ أن أخرنا عن المشورة، وإنا لنرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله، إنه لصاحب الغار وثاني اثنين، وإنا لنعرف له شرفه وخيره، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة وهو حي. وذكر غير ابن عقبة أن أبا بكر قام في الناس بعد مبايعتهم إياه يقيلهم من بيعته ويستقيلهم مما تحمله من أمرهم، كل ذلك يقولون له: والله لا نقيلك ولا نستقيلك[١]. وروي عن الحسن البصري عن علي قال: قدم رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه فصلى عنه بالناس، وإني شاهد غير غائب لصحيح غير مريض، ولو شاء أن يقدمني لقدمني. فرضينا لدنيانا من رضى الله ورسوله لديننا[٢].

سؤال فاطمة ميراثها

وفي الصحيحين[٣] عن عائشة أن فاطمة بنت رسول الله أرسلت إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها من رسول الله مما أفاء الله عليه بالمدينة وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال «لا نورث، ما تركنا صدقة. وإنما يأكل آل محمد في هذا المال» وإني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله. فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئاً. فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها علي بن أبي طالب ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر، فصلى عليها علي. وكان لعلي من الناس وجهة حياة فاطمة، فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن بايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا ولا يأتنا معك

---

(١) تاريخ الإسلام ١٣ والبداية والنهاية ٦/ ٣٠٢.

(٢) انظر سيرة ابن هشام ٤/ ٣١١.

(٣) رواه البخاري برقم ٣٧١١، ٣٠٩٢ ومسلم برقم ١٧٥٩.

مبايعة علي رضي الله عنه

أحد، كراهية محضر عمر بن الخطاب، فقال عمر لأبي بكر: والله لا تدخل عليهم وحدك، فقال أبو بكر: وما عساهم أن يفعلوا بي؟ إني والله لآتينهم. فدخل عليهم أبو بكر فتشهد علي بن أبي طالب ثم قال: إنا يا أبا بكر قد عرفنا فضيلتك وما أعطاك الله، ولم ننفس خيراً ساقه الله إليك، ولكنك استبددت علينا بالأمر وكنا نرى لنا حقاً لقرابتنا من رسول الله. فلم يزل يكلم أبا بكر حتى فاضت عينا أبي بكر. فلما تكلم أبو بكر قال: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي، وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال فإني لم آل فيها عن الحق، ولم أترك أمراً رأيت رسول الله يصنعه فيها إلاَّ صنعته. فقال علي لأبي بكر: موعدك العشية للبيعة، فلما صلى أبو بكر صلاة الظهر رقي على المنبر، وتشهد وذكر شأن علي وتخلفه عن البيعة وعذره الذي اعتذر إليه ثم استغفر. وتشهد علي بن أبي طالب فعظم حق أبي بكر، وأنه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر، ولا إنكاراً للذي فضله الله به، ولكنا كنا نرى لنا في الأمر نصيباً فاستبد علينا به، فوجدنا في أنفسنا. فسر بذلك المسلمون وقالوا أصبت. وكان المسلمون إلى علي قريباً حين راجع الأمر المعروف[1].

ذكر غسله ﷺ وتكفينه ودفنه

ولما فرغ الناس من بيعة أبي بكر وجمعهم الله عليه وصرف عنهم كيد الشيطان أقبلوا على تجهيز نبيهم، قال ابن إسحاق[2] حدثني عبد الله بن أبي بكر وحسين بن عبد الله وغيرهما أن علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وقثم بن العباس وشقران مولى رسول الله وأسامة بن زيد هم الذين ولوا غسله وأن أوس بن خولي ـ وكان بدرياً ـ دخل معهم وحضر غسل رسول الله وأسنده إلى صدره، وكان العباس والفضل وقثم يقلبونه معه وكان أسامة بن زيد وشقران هما اللذان يصبان الماء عليه،

من تولى تغسيله وتكفينه

---

(١) انتهى الحديث.

(٢) سيرة ابن هشام ٤/ ٣١٣ من رواية ابن إسحاق وسندها قابل للتحسين وانظر ابن ماجة برقم ١٤٦٧ ومستدرك الحاكم ١/ ٣٦٢.

وعلي يغسله قد أسنده إلى صدره، وعليه قميصه يدلكه به من ورائه لا يفضي بيده إلى رسول الله، وعلي يقول بأبي أنت وأمي، ما أطيبك حياً وميتاً. ولم ير من رسول الله ما يرى من الميت. حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت: لما أرادوا غسل رسول الله ﷺ اختلفوا فيه فقالوا: والله ما ندري أنجرد رسول الله من ثيابه؟ قالت: فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلاَّ ذقنه في صدره، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو أن غسلوا النبي ﷺ وعليه ثيابه، قالت فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكون والقميص دون أيديهم[1]، فلما فرغ من غسله كفن في ثلاثة أثواب: صحاريين وبرد حبرة أدرج فيه إدراجا[2].

حفر القبر

وحدثني حسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرح كحفر أهل مكة، وكان أبو طلحة زيد بن سهيل هو الذي يحفر لأهل المدينة وكان يلحد، فدعا العباس رجلين فقال لأحدهما: اذهب إلى أبي عبيدة وللآخر اذهب إلى أبي طلحة، اللهم خر لرسول الله، فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة فجاء به فلحد لرسول الله[3]، فلما فرغ من جهاز رسول الله يوم الثلاثاء وضع على سريره في بيته، وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه فقال قائل: ندفنه في مسجده، وقال قائل بل ندفنه مع أصحابه، فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما قبض نبي إلاَّ دفن حيث يقبض، فرفع فراش رسول الله الذي توفي عليه فحفر له تحته[4]، ثم دخل الناس على رسول الله ﷺ أرسالاً حتى إذا فرغوا أدخل النساء حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان، ولم يؤم

---

(١) رواه أبو داود برقم ٣١٤١ وابن ماجه برقم ١٤٦٤ والبيهقي ٣/٣٩٨ والحاكم ٥٩١٣ وصححه وأقره الذهبي فالحديث سنده صحيح.

(٢) رواه البخاري برقم ١٢٦٤، ١٣٨٧ ومسلم برقم ٩٤١.

(٣) انظر مسلم برقم ٩٦٦ وابن ماجه برقم ١٥٥٨.

(٤) رواه الترمذي برقم ١٠١٨ وله شاهد عند ابن ماجه برقم ١٦٢٨ عن ابن عباس رضي الله عنهما فالحديث حسن بشواهده.

الناس على رسول الله أحد[١]. قالت عائشة: ما علمنا بدفن رسول الله حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل من ليلة الأربعاء[٢]، وكان الذين نزلوا في قبره علي بن أبي طالب والفضل وقثم ابنا العباس وشقران مولاه وأوس بن خولى[٣] وجعل تحته ﷺ قطيفة كان يلبسها ويفترشها[٤]. وقال علي: آخر الناس عهداً به قثم بن عباس[٥].

ذكر الردة

حال الناس بعد وفاة الرسول

قال ابن إسحاق: ولما توفي رسول الله عظمت به مصيبة المسلمين، فكانت عائشة فيما بلغني تقول: لما توفي رسول الله ﷺ ارتدت العرب، واشرأبت اليهودية والنصرانية ونجم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم، حتى جمعهم الله على أبي بكر.

موقف سهيل بن عمرو

قال ابن هشام حدثني أبو عبيدة وغيره أن أكثر أهل مكة لما توفي رسول الله هموا بالرجوع عن الإسلام، حتى خافهم عتاب بن أسيد فتوارى، فقام سهيل بن عمرو فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر وفاة رسول الله وقال: إن ذلك لم يزد الإسلام إلاّ قوة، فمن رابنا ضربنا عنقه. فتراجع الناس، وكفوا. وكان هذا هو المقام الذي أراده رسول الله حيث قال لعمر وقد قال له: انزع ثنيتي سهيل يلدغ بلسانه فلا يقوم عليك خطيباً أبداً، فقال رسول الله ﷺ «عسى يقوم مقاماً يسرك»[٦].

وفي معالم التنزيل: لما قبض رسول الله ارتد عامة العرب إلاّ أهل مكة

---

(١) انظر الشمائل للترمذي ٣٧٨ والنسائي ٤٢ وابن ماجه برقم ١٢٣٤ والبيهقي دلائل النبوة ٧/ ٢٥٩. قال البوصيري هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

(٢) انظر الفتح الرباني ٢١/ ٢٥٧ والوفا لابن الجوزي ٢/ ٨٠٦.

(٣) انظر مستدرك الحاكم ١/ ٣٦٢ وسنن البيهقي ٤/ ٥٣ والمنتقى لابن الجارود برقم ٥٤٧ والإحسان بترتيب ابن حبان ٦٥٩٩.

(٤) رواه مسلم برقم ٩٦٧ والترمذي برقم ١٠٤٧، ١٠٤٨.

(٥) رواه أحمد وابن إسحاق في السيرة ٤/ ٣١٦ وسنده حسن.

(٦) سيرة ابن هشام ٤/ ٣١٧.

من ثبت على الإسلام

والمدينة والبحرين من عبد القيس. وممن تمسك بالإسلام ما بين المسجدين أسلم وغفار وجهينة ومزينة وكعب وثقيف، قام فيهم عثمان بن أبي العاص، وأقامت طيء كلها على الإسلام، قام فيهم عدي بن حاتم، وهذيل وأهل السراة وبجيلة وخثعم ومن قارب تهامة من هوازن نضر وجشم وسعد بن بكر وعبد القيس قام فيهم الجارود وعبس وبعض أشجع ودوس وتجيب وهمدان. وارتد عامة بني تميم وأسد وغطفان وطوائف من سليم وأهل اليمامة كلهم وبكر بن وائل وأهل البحرين وأهل دبا وأزد عمان والنمر بن قاسط وكلب ومن أقاربهم من قضاعة وفزارة وبني عامر بن صعصعة، وقيل تربصوا ينتظرون لمن تكون الدائرة[1].

ثبات الصديق لقتال المرتدين

وفي الصحيح[2] عن أبي هريرة قال: لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله، فمن قال لا إله إلاّ الله فقد عصم مني نفسه وماله إلاّ بحقها وحسابه على الله؟ فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال. والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعه. فقال عمر: فما هو إلاّ أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق. قال عمر: والله لرجح إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة جميعاً في قتال أهل الردة. وروى رزين عن عمر قال قلت يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم، فقال لي: أجبار في الجاهلية وخوّار في الإسلام؟ قد انقطع الوحي وتم الدين، أينقص وأنا حي؟ وفي كتاب الواقدي من قول عمر لأبي بكر: إنما شحت العرب على أموالها، وأنت لا تصنع بتفريق العرب عنك شيئاً، فلو تركت للناس صدقة هذه السنة. وذكر يعقوب بن محمد الزهري عن جماعة من شيوخه قال: كان أبو بكر أمير الشاكرين الذين ثبتوا على دينهم، وأمير الصابرين الذين صبروا على جهاد عدوهم وهم أهل الردة، وبرأي أبي بكر أجمعوا على قتالهم، وذلك أن العرب افترقت في درتها فقالت فرقة: لو كان نبياً ما مات، وقال بعضهم: انقضت

---

(١) انظر البداية والنهاية ٦/ ٣٠٥.

(٢) رواه البخاري برقم ٦٩٢٤.

النبوة بموته فلا نطيع أحداً بعده، وفي ذلك يقول قائلهم وهو الحطيئة:

أطعنا رسول الله ما عاش بيننا فيالعباد الله ما لأبي بكر

أيورثها بكراً إذا مات بعده فتلك وبيت الله قاصمةالظهر

انفاذ جيش أسامة

وقال بعضهم نؤمن بالله ونشهد أن محمداً رسول الله ونصلي، ولكن لا نطيعهم في أموالنا. قلت: وفي هؤلاء وقعت الشبهة والمراجعة بين أبي بكر وعمر وغيره حتى ناظرهم أبو بكر فرجعوا إلى قوله، وتبين لهم صوابه في قتالهم انتهى. وجادل أبا بكر أصحابه في جهادهم، وكان من أشدهم عليه عمر وأبو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة، فقالوا: احبس جيش أُسامة يكون عمارة وأماناً بالمدينة، وأرفق بالعرب حتى ينفرج هذا الأمر فإن هذا الأمر شديد غوره، فلو أن طائفة من العرب ارتدت قلنا قاتل بمن معك من ارتد، وقد اتفقت العرب على الارتداد، فهم بين مرتد ومانع صدقة مثل مرتد، وبين واقف ينظر ما تصنع أنت وعدوك، قدم رجلاً وأخر رجلاً. فقال أبو بكر: والذي نفسي بيده لو علمت أن السباع تأكلني بهذه القرية لأنفذت هذا البعث الذي أمر رسول الله بإنفاذه، ولا أحل لواء عقده رسول الله بيده. ثم قال لأسامة إن رأيت أن تخلف معي عمر فافعل. وأمره بالانتهاء إلى ما أمر به رسول الله ﷺ، وشيعه ماشياً وأُسامة راكب لأنه أقسم عليه ألاَّ ينزل. ومضى أسامة فجعل لا يمر بقبيلة يريدون الارتداد إلاَّ قالوا: لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم. فهزموهم ورجعوا سالمين[١].

خروج الصديق لقتال المرتدين

وجد بأبي بكرالجد في قتال أهل الردة، وأراد الله رشده فيهم، وعزم على الخروج بنفسه إليهم، وأمر الناس بالجهاز، وخرج هو في مائة من المهاجرين والأنصار وخالد بن الوليد يحمل اللواء حتى نزل نقعاً يريد أن يتلاحق الناس ويكون أسرع لخروجهم، ووكل بالناس محمد بن مَسْلمة يستحثهم، وأشار عليه عمر وغيره بالرجوع وقالوا: ارجع يا خليفة رسول الله تكن للمسلمين فئة ورداءً فإنك إن تقتل يرتد الناس ويعلوا الباطل الحق، وأبو بكر مظهر المسير بنفسه، وسألهم بمن نبدأ من

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٥.

أهل الردة؟ فاختلفوا عليه، قال أبو بكر: نعمد لهذا الكذاب على الله وعلى رسوله طليحة. ولما ألحوا على أبي بكر بالرجوع وعزم هو عليه استعمل عليهم خالد بن الوليد وقال: يا خالد، عليك بتقوى الله وإيثاره على من سواه والجهاد في سبيله، فقد وليتك على من ترى من أهل بدر من المهاجرين والأنصار. ورجع أبو بكر ومن معه، وسار خالد حتى نزل على طيء في جبليهم سلمى وأجأ، وانضم إليه عديّ بن حاتم ومن كان من المسلمين في تلك القبائل[1].

تعيين خالد بن الوليد قائداً لجيش المسلمين

وسار إلى طليحة وهو على ماء من مياه أسد فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انهزم طليحة وانهزم الناس، ثم لحق بالشام، ثم جاء طليحة بعد ذلك فأسلم وحسن إسلامه وقتل بنهاوند شهيداً، فدخلت القبائل في الإسلام: بنو حنظلة وأسد وفزارة وغطفان وبنو عامر وبنو سليم وغيرهم وبايعوه على الإسلام، وأخذ كل ما ظهر من سلاحهم، واستحلفهم على ما غيبوا منه، فإن حلفوا تركهم، وإن أبوا شدهم أسرى حتى أتوا بما عندهم، فأخذ سلاحاً كثيراً فأعطاه أقواماً يحتاجون إليه في قتال عدوهم، وكتبه عليهم، ثم رده بعد فقدم به على أبي بكر[2].

مقابلة طليحة وقومه

وعن ابن عمر قال: شهدت بزاخة مع خالد، فأظفرنا الله على طليحة، وكنا كلما أنجزنا على قوم سبينا الذراري واقتسمنا الأموال. وعن يزيد بن شريك الفزاري قال: قدمت مع أسد وغطفان على أبي بكر وافداً حين فرغ خالد من بزاخة، وجعلت أسد وغطفان تسلل فاجتمعوا عند أبي بكر، فمنهم من بايع خالد ومنهم من لم يبايعه وجاءوا إلى أبي بكر، فقال: اختاروا بين خصلتين: حرب مجلية أو سلم مخزية. قال خارجة بن حصن: الحرب المجلية قد عرفتها فما السلم المخزية؟ قال: تقرون أن قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار، وأن تردوا علينا ما أخذتم منا ولا نرد مما أخذنا منكم شيئاً، وأن تدوا قتلانا دية كل قتيل مائة بعير أربعون في بطونها أولادها ولا ندي قتلاكم، ونأخذ منكم الحلقة والكراع وتلحقون بأذناب الإبل حتى يرى الله خليفة نبيه والمؤمنين ما شاء فيكم، أو يرى منكم إقبالاً على ما خرجتم منه. فقال خارجة: نعم

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٢٤٨ والبداية والنهاية ٦/٣٠٨.

(٢) انظر تاريخ الإسلام (٢٩) الخلفاء الراشدون.

يا خليفة رسول الله. قال أبو بكر: عليكم عهد الله وميثاقه أن تقوموا بالقرآن آناء الليل وآناء النهار، وتعلموه أولادكم ونساءكم، ولا تمنعوا فرائض الله في أموالكم، قالوا: نعم. قال عمر: يا خليفة رسول الله كل ما قلت كما قلت إلاَّ أن يدوا من قتل منا فإنهم قوم قتلوا في سبيل الله، فتتابع الناس على قول عمر. وقبض أبو بكر كل ما قدر عليه من الحلقة والكراع. فلما توفي أبو بكر رأى عمر أن الإسلام قد ضرب بجرانه فدفعه إلى أهله أو إلى عصبة من مات منهم[1]. وأصله في صحيح البخاري[2] من حديث طارق بن شهاب بنحوه مختصر.

قتال مسيلمة الكذاب

ثم توجه خالد إلى اليمامة لحرب مسيلمة الكذاب[3]، وكان خالد في بضعة عشر ألفاً ومع مسيلمة أربعون ألفاً، فقتل الله مسيلمة وقتل من أصحابه عشرة آلاف، وكانت الهزيمة أولاً على المسلمين حتى دخل أصحاب مسيلمة فسطاط خالد فرعبلوا الفسطاط بالسيف، ثم حمل عليهم المسلمون وقاتلوهم قتالاً شديداً حتى قتل الله محكم بن الطفيل وفتح الله على المسلمين، واشترك في قتل مسيلمة وحشي بن حرب قاتل حمزة ورجل من الأنصار، وكان وحشي يقول: ربك أعلم أينا قتله. وقتل من خيار المسلمين نحو ألف رجل، منهم زيد بن الخطاب وثابت بن قيس وأبو دجانة وعباد بن بشر وسالم مولى أبي حذيفة. ثم صالح مجاعة خالداً على من في الحصون من قومه، بعد أن خدع خالداً وبعث إلى قومه وأمرهم أن يلبسوا النساء السلاح وأن يشرفوهن والذراري على رؤوس الحصون، وقال له: انظروا إلى المقاتلة والسلاح، وكان المسلمون يرون أنه لم يبق من مقاتلتهم أحد، فلما رأوا ذلك ظنوا صدق ما قال، فصالحه خالد على الصفراء والبيضاء والحلقة والكراع ونصف السبي، وكان أبو بكر يتروح الخبر عن اليمامة، وكان رأى في النوم كأنه أتي بتمر من هجر فأكل منه تمرة واحدة وجدها نواة على خلقة التمرة، فلاكها ساعة ثم رمى بها، فتأولها فقال: ليلقين خالد من أهل اليمامة شدة، وليفتحن الله على يديه. فأرسل خالد أبا خيثمة

---

(١) انظر البداية والنهاية ٦/ ٣١٢ وتاريخ الإسلام ٣٢ الخلفاء الراشدون.

(٢) انظر تاريخ الإسلام ٣٢.

(٣) انظر تاريخ الإسلام ٣٨، والبداية والنهاية ٦/ ٣١٦.

بشيراً إلى أبي بكر، فلما رآه قال: ما وراءك يا أبا خثيمة؟ قال: خيراً يا خليفة رسول الله، قد فتح الله علينا اليمامة. فسجد أبو بكر.

مَنْ قتل من الصحابة في اليمامة

وقال زيد بن طلحة: قتل يوم اليمامة من قريش سبعون، ومن الأنصار سبعون، ومن سائر الناس خمسمائة. وفي البخاري[1] عن قتادة قال: ما نعلم حياً من أحياء العرب أكثر شهيداً وأعز يوم القيامة من الأنصار. قال قتادة: حدثنا أنس أنه قتل منهم يوم أحد سبعون، ويوم بئر معونة سبعون، ويوم اليمامة سبعون، وزاد غيره وفي جسر أبي عبيدة سبعون.

ذكر مسير خالد إلى العراق[2]

ولما فرغ خالد من قتال أهل اليمامة وأهل الردة انصرف راجعاً إلى المدينة. وقيل لما دخلت السنة الثانية من خلافة أبي بكر كتب إلى خالد: إذا فرغت من اليمامة فسر إلى العراق، فقد وليتك حرب فارس والحيرة، فسار خالد إلى العراق في بضعة وثلاثين ألفاً، فصالح أهل السواد، ثم أقبل حتى نزل الحيرة وكان عليها قبيصة بن أياس الطائي أميراً لكسرى، فصالح خالداً أيضاً على تسعين ألف درهم كل سنة. فكانت أول جزية وقعت بالعراق. ثم سار خالد إلى الأبلّة وخرج له هرمز في مائة وعشرين ألفاً فالتقى مع خالد واقترنوا في السلاسل، فقيل لهم قيدتم أنفسكم لعدوكم فلا تفعلوا فإن هذا طائر سوء. فأجابوهم: أما أنتم فتحدثوننا أنكم تريدون الهرب، ثم زحف إليهم فاقتتلوا فانهزم أهل فارس، وركب المسلمون أكتافهم إلى الليل، فقتل الله من المشركين سبعين ألفاً، وقتل خالد هرمز، ونفله أبو بكر قلنسوته وكانت تساوي مائة ألف، وسميت هذه الوقعة ذات السلاسل، وكتب خالد إلى كسرى:

كتاب خالد إلى كسرى

بسم الله الرحمن الرحيم. من خالد بن الوليد إلى الملك كسرى والملوك. أما بعد فالحمد لله الذي فرق كلمتكم وكسر شوكتكم، فأسلموا تسلموا، وإلاّ فأدوا الجزية، وإلاّ فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة.

---

(١) رواه البخاري برقم ٤٠٧٨.

(٢) انظر البداية والنهاية ٦/ ٣٣٦، وتاريخ الطبري ٣/ ٣٤٣.

فلما قرأوا كتابه أخذوا يتعجبون، فصالحوا على مائة ألف وتسعين ألفاً في كل سنة.

ثم قصد خالد الروم، وكان أبو بكر كتب إليه بذلك انتهى.

ردة أهل البحرين

وارتدت ربيعة بالبحرين كما تقدم إلاَّ الجارود بن عمرو فإنه ثبت على الإسلام فيمن تبعه من قومه عبد القيس، وعلى البحرين يومئذ العلاء بن الحضرمي، وكان بعثه عليه رسول الله ﷺ، فحاصرهم المشركون بجواثا حصن بالبحرين، وأصاب المسلمين جهد شديد من الجوع حتى كادوا أن يهلكوا، فخرج عبد الله بن حذافة ليلة من الليالي ليتجسس أخبارهم فوجدهم سكارى، فأخبر المسلمين بذلك، فبيتهم العلاء ومن معه من المسلمين فقتل من قتل منهم وأصبح ما أفاء الله على المسلمين من خيولهم عند العلاء في جواثا. ثم سار العلاء إلى المدينة فقاتلهم قتالاً شديداً، وهزمهم الله حتى لحقوا إلى باب المدينة فتحصنوا بها، فضيق عليهم، فطلبوا الصلح والأمان، فصالحوهم على ثلث ما بالمدينة بأيديهم من أموالهم، وما كان من شيء خارج عنها فهو له، فبعث العلاء بمال كثير إلى المدينة. فلما ظهر العلاء على أهل الردة من أهل البحرين بعث أربعة عشر رجلاً من رؤساء عبد القيس وفداً إلى أبي بكر فنزلوا على طلحة والزبير، فدخلوا على أبي بكر وأخبروه بمسارعتهم إلى الإسلام وقيامهم في أهل الردة، ثم دخل القوم على أبي بكر وعنده طلحة والزبير فسألوه أن يعطيهم أرضاً من البحرين وطواحين فأسعف أبو بكر وقال: إني فعلت وأعطيتهم كل ما سألوني وعرفت لهم قدر إسلامهم، وكتب لهم بذلك كتاباً. فلما خرجوا من عنده أقرأوا عمر الكتاب، فلما قرأه تفل فيه، فرجعوا إلى أبي بكر فأخبروه ودخل طلحة والزبير فقالا: والله لا ندري أنت الخليفة أم عمر؟ فقال: وما ذاك؟ فأخبروه، فقال أبو بكر: لئن كان عمر كره من ذلك شيئاً فإني لا أفعله، فبينما هم على ذلك إذ أقبل عمر، فقال له أبو بكر: ما كرهت من هذا الكتاب؟ فقال: كرهت أن تعطي خاصة دون عامة، ولكن اجعل أمر الناس عندك واحداً لا يكون عندك خاصة دون عامة فتأبى أن تفضل أهل السابقة وأهل بدر وتعطي هؤلاء قيمة عشرين ألفاً دون الناس، فقال أبو بكر: وفقك الله وجزاك خيراً. فهذا هو الحق[1].

---

(١) انظر تاريخ الإسلام ٧٣ وتاريخ خليفة ١١٦ وتاريخ الطبري ٣/ ٣٠٤ والبداية والنهاية ٦/ ٣٢١.

نبوة سجاح

وفي أيام أبي بكر رضي الله عنه تنبأت سجاح بنت الحارث بن سويد التميمية واتبعها بنو تميم وأخوالها من تغلب وغيرهم من بني ربيعة وقصدت مسيلمة فأرسل إليها: هل لك أن أتزوجك فيقال نبي تزوج نبية؟ قالت نعم. فأقامت عنده ثلاثاً، ثم انصرفت إلى قومها، ثم أسلمت بعد ذلك وحسن إسلامها[1].

ذكر خبر الأسود العنسي وقتله

وفي مدة مرض رسول الله ﷺ قتل الأسود العنسي، واسمه عبهلة، وكان يشعوذ ويرى الجهال الأعاجيب، ادعى النبوة، وكاتبه أهل نجران، وسار الأسود من نجران إلى صنعاء فملكها، وصفا له الملك باليمن، واجتمع جماعة من المسلمين في قتله واجتمعوا بامرأته وكان الأسود قد قتل أباها فقالت: والله إنه أبغض الناس إليَّ، ولكن الحرس يحيطون بقصره، فانقبوا عليه البيت، فوعدوها على ذلك ونقبوا عليه، فدخل عليه فيروز الديلمي فقتله واحتز رأسه، فخار خوار الثور، فابتدر الحرس الباب، فقالت زوجته: هذا النبي يوحي إليه. فلما طلع الفجر أمروا المؤذن فقال: أشهد أن محمداً رسول الله، وأن عبهلة كذاب. وكتب أصحاب النبي ﷺ إليه بذلك، فورد الخبر من السماء إلى النبي وأعلم أصحابه بقتل الأسود، ووصل الكتاب بقتله في خلافة أبي بكر فكان كما أخبر. وفي الصحيح[2] قال عبيد الله بن عبد الله: سألت ابن عباس عن رؤيا رسول الله فقال ابن عباس: ذكر لي أن النبي ﷺ قال: بينا أنا نائم رأيت أنه وضع في يدي سواران من ذهب فقطعتهما وكرهتهما، فأذن لي فنفختهما فطارا، فأولتهما كذابين يخرجان، قال عبيد الله أحدهما العنسي الذي قتله فيروز، والآخر مسيلمة الكذاب[3].

رؤيا الرسول

موت فاطمة رضي الله عنها

وفي هذه السنة ـ وهي الأولى من خلافة أبي بكر ـ ماتت فاطمة رضي الله عنها، وهي بنت تسع وعشرين سنة[4].

---

(١) انظر البداية والنهاية ٦/ ٣١٣.

(٢) رواه البخاري برقم ٤٣٧٥ ومسلم برقم ٢٢٧٤.

(٣) انظر البداية والنهاية ٦/ ٢٩٨ ـ ٣٠٣.

(٤) تاريخ الإسلام ٤٣ الخلفاء الراشدون.

جمع القرآن

وفيها أمر أبو بكر زيد بن ثابت بجمع القرآن لما رأى كثرة من قتل من القراء يوم اليمامة[1]. كما في البخاري[2] عن زيد بن ثابت قال: أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر جالس عنده، فقال أبو بكر: إن عمر جاءني فقال إن القتل استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى إن استحر بالقراء في المواطن فيذهب كثير، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قال زيد فقال لي أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه. قال زيد: قلت كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال أبو بكر: هو والله خير. فلم يزل أبو بكر يراجعني - وفي رواية فلم يزل عمر يراجعني - حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة أو أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر. زاد ابن شهاب[3] عن أنس أن حذيفة قدم على عثمان - أي في خلافته - وكان يغازي أهل الشام مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القرآن فقال: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة، أن ارسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها إليه، فأمر بنسخها وأرسل إلى كل أفق بمصحف، وأمر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق. انتهى.

عمر يحج بالناس

ولما دخل شهر ذي الحجة أمر أبو بكر عمر على الحج، فخرج بالناس سنة إحدى عشرة فحج بالناس[4]، واشترى في حجته تلك مولاه أسلم.

---

(١) تاريخ الإسلام ٧٩ الخلفاء الراشدون.

(٢) رواه البخاري برقم ٤٩٨٦.

(٣) رواه البخاري برقم ٤٩٨٧.

(٤) انظر تاريخ الطبري ٣/ ٣٤٢ وفيه أن أبا بكر أمَّر عتاب بن أسيد على الموسم وقيل عبد =

ارسال الجيوش إلى الشام

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة فبعث أبو بكر الجنود إلى الشام[1]، بعث عمرو بن العاص إلى فلسطين، وبعث يزيد بن أبي سفيان وأبا عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة رضي الله عنهم إلى الشام، وأمرهم أن يأخذوا طريق الشام من أعلى الشام، وخرج أبو بكر مع يزيد يوصيه، ويزيد راكب وأبو بكر يمشي، فقال له يزيد: إما أن تركب وإما أن أنزل. فقال: ما أنا براكب ولا أنت بنازل، إني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله. ثم مضوا ونزلت الروم بثنية جلق بأعلى فلسطين في سبعين ألفاً عليهم تذارق أخو هرقل، فكتب عمر بن العاص إلى أبي بكر يخبره ويستمده، فكتب أبو بكر إلى خالد وهو بالحيرة يأمره أن يمد أهل الشام بمن معه من أهل القوة، ويستخلف على ضعفة الناس رجلاً منهم، وقال له: إذا التقيتم فأنت أمير الجماعة. فسار خالد بأهل القوة، ورد الضعفاء والنساء إلى المدينة، واستخلف على من أسلم بالعراق من العرب وغيرهم المثنى بن حارثة الشيباني.

ثم سار خالد حتى أغار على غسان بمرج راهط، ثم سار حتى نزل على قناة بصرى وعليها أبو عبيدة وشرحبيل ويزيد، فصالح أهلُ بصرى حين رأوا كثرة العسكر على الجزية وفتحها الله للمسلمين، وكانت أول مدينة فتحت من مدائن الشام[2].

ثم ساروا جميعاً مدداً لعمرو بن العاص إلى فلسطين، فسمع الروم باجتماع المسلمين فانكشفوا إلى أجنادين، فسار المسلمون إليها فاقتتلوا قتالاً شديداً، فهزم الله المشركين، وقتل المسلمون منهم في المعركة ثلاثة آلاف، واتبعوهم يأسرون ويقتلون، فخرج فل الروم إلى إيليا وقيسارية ودمشق، وكانت وقعة أجنادين هذه أول وقعة عظيمة كانت بالشام وكانت في جمادى الأولى قبل وفاة أبي بكر بأربع وعشرين ليلة[3].

= الرحمن بن عوف، وأن سنة (١٢) هي التي قيل أنه حج بالناس عمر وقيل عبد الرحمن بن عوف وقيل إنه حج هو بالناس. انظر تاريخ الطبري ٣/ ٨٦.

(١) انظر تاريخ الطبري ٣/ ٣٨٧ وما بعدها والبداية والنهاية ٧/ ٤.

(٢) تاريخ الإسلام ٨١ وتاريخ خليفة ١١٩ والكامل ٢/ ٤٠٩ وتاريخ الطبري ٣/ ١٧.

(٣) تاريخ الإسلام ٨٢ وتاريخ الطبري ٣/ ٤١٩ والكامل ٢/ ٤١٧.

حصار دمشق

ثم ساروا إلى دمشق فحاصروها، فبينما هم كذلك أتاهم آت فأخبرهم أن هذا جيش قد جاءكم من قبل ملك الروم، فنهض خالد بالناس على تعبئة حتى لقوهم. فهزمهم الله، ورجع الناس قد ظفروا، ويقال لهذه الوقعة «يوم مرج الصُّفر»[1]. ثم رجعوا إلى دمشق فحاصروها وضيقوا عليهم، فكان المسلمون يغيرون، فكلما أصاب رجل منهم شيئاً جاء به يلقيه في القبض، لا يستحل أن يأخذ منه قليلاً ولا كثيراً، فسأل صاحب دمشق بعض عيونه عن أعمالهم وسيرتهم فوصفهم له بهذه الصفة في الأمانة، ووصفهم بالصلاة بالليل وطول القيام، فال: هؤلاء رهبان بالليل أسود بالنهار. لا والله ما لي بهؤلاء طاقة، ومالي في قتالهم خير، فراود المسلمين على الصلح[2].

موت الصديق رضي الله عنه

وفي هذه السنة مات الصديق رضي الله عنه مساء ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة مضت من جمادي الآخرة بين المغرب والعشاء[3]. وفي سبب موته قولان: أحدهما أن اليهود سمته، والثاني أنه اغتسل في يوم بارد فحم، فأمر عمر أن يصلي بالناس. وقيل له في مرضه: ألا ندعو لك الطبيب؟ قال: قد رآني. فقالوا: فما قال لك؟ قال قال: إني فعال لما أريد[4].

عهده بالخلافة لعمر

ولما أيس من الحياة دعا عثمان وأملى عليه كتاب العهد[5] لعمر فقال:

اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً عنها، وأول عهده بالآخرة داخلاً فيها، وحين يؤمن الكافر ويوقن الفاجر، إني استخلفت.

ولما انتهى إلى هذا الموضع غشي عليه، فكتب عثمان «عمر بن الخطاب»، فأمسك حتى أفاق أبو بكر قال: أكتبت شيئاً؟ قال: كتبت عمر بن الخطاب فقال: جزاك الله عن الإسلام وأهله خيراً. ثم رفع أبو بكر يديه وقال: اللّهمّ وليتهم

---

(١) انظر تاريخ الإسلام ٨٤ وتاريخ خليفة ١٢٠ وتهذيب تاريخ دمشق ١/ ١٤٥.

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٤١٨ والبداية والنهاية ٧/ ١٥.

(٣) انظر طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٧ وتاريخ الإسلام ١٢٠.

(٤) تاريخ الطبري ٣/ ٤١٩ وتاريخ الإسلام ١٢٠.

(٥) تاريخ الطبري ٣/ ٤٢٩.

خيرهم، ولم أرد بذلك إلاّ إصلاحهم، وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما أنت أعلم، وقد حضرني من أمرك ما قد حضر، فاجتهدت لهم الرأي، ووليت عليهم خيرهم لهم وأحرصهم على رشدهم، ولم أرد محاباة عمر وأنا خارج من الدنيا إلى الآخرة، فاخلفني فيهم، فهم عبادك ونواصيهم بيدك، أصلح لهم واليهم عمر، واجعله من خلفائك الراشدين، يتبع هدى نبيه نبي الرحمة وهدى الصالحين بعده، وأصلح له أمر رعيته.

وكتب بهذا العهد إلى أمراء الأجناد: إني قد وليت عليكم خيركم ولم آلُ نفسي ولا المسلمين خيراً. ثم دعا عمر رضي الله عنهما فقال: إني مستخلفك على أصحاب رسول الله، يا عمر إن لله حقاً في الليل لا يقبله في النهار، وحقاً في النهار لا يقبله في الليل وإنها لا تقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه غير الحق غدا أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه غير الباطل أن يكون خفيفاً. إنما نزلت آية الرجاء مع آية الشدة وآية الشدة مع آية الرجاء ليكون المؤمن راغباً راهباً، فلا ترغب رغبة فتتمنى على الله فيها ما ليس لك، ولا ترهب فيها رهبة تلقي فيها ما بيدك، إنما ذكر الله أهل النار بأسوأ أعمالهم ورد عليهم ما كان من حسن، فإذا ذكرتهم قلت إني لأخشى أن أكون من هؤلاء، وإنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنه تجاوز لهم عما كان من سيء، فإذا ذكرتهم قلت: أي من أعمالهم أعمل؟ فإن حفظت وصيتي فلا يكن غائب أحب إليك من الموت وهو نازل بك، وإن ضيعت وصيتي فلا يكن غائب أكره إليك من الموت ولست تعجزه.

وبلغ أبا قحافة وهو بمكة موت ابنه، سمع الهائعة فقال: ما هذا؟ فقيل: مات ابنك. فقال: رزء جلّ. قال: فإلى من عهد؟ قالوا: إلى عمر. قال: صاحبه.

موت عتاب بن أسيد

ومات بمكة عتاب بن أسيد يوم مات الصديق، وكانا قد سما جميعا[1].

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٤١٩.

وكان عمر أبي بكر ثلاثاً وستين سنة، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وثمانية أيام، وأوصى أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس[١].

ولما توفي ارتجت المدينة بالبكاء، وصلى عليه في مسجد رسول الله، ونزل في قبره عمر وعثمان وطلحة وابنه عبد الرحمن[٢]. وكان له من الولد ستة؛ ثلاثة بنين: عبد الله وهو أكبرهم وعبد الرحمن وهو شقيق عائشة ومحمد، وثلاث بنات: عائشة وأسماء وهي أكبرهن وأم كلثوم، ماتت وهي في بطن أمها[٣].

وعن عائشة قالت: لما مرض أبو بكر قال انظروا ما زاد في مالي منذ دخلت الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة من بعدي. فلما مات: نظرنا فإذا عبد نوبي كان يحمل صبيانه، وإذا ناضح كان يسقي بستاناً له، فبعثنا بهما إلى عمر، فبكى عمر وقال: رحمة الله على أبي بكر، لقد أتعب من بعده تعباً شديداً. وعنها قالت: ما ترك أبو بكر ديناراً ولا درهماً ضرب الله سكته[٤].

ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

أول خطبة لعمر

بويع له بالخلافة يوم مات أبو بكر، وكان أول كلام تكلم به حين صعد المنبر أن قال: اللهم إني شديد فليّني، وإني ضعيف فقوني، وإني بخيل فسخني. أيها الناس، القوي عندي ضعيف حتى آخذ منه الحق، والضعيف عندي قوي حتى آخذ له الحق[٥].

أوائل عمر

وهو أول خليفة دعي بأمير المؤمنين[٦]، وأول من وضع التاريخ بعام الهجرة: وضعه في السنة السابعة عشرة[٧]، وهو أول من جمع الناس على إمام واحد في قيام

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٤٢٠ وتاريخ الإسلام ١١٩.
(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٤٢٢.
(٣) تاريخ الطبري ٣/ ٤٢٦ وطبقات ابن سعد ٣/ ٢١٠ وتاريخ الإسلام ١٢٠.
(٤) تاريخ الإسلام ١١٩ وطبقات ابن سعد ٣/ ١٩٢ وتاريخ الطبري ٣/ ٤٣٢.
(٥) حلية الأولياء ١/ ٥٣ وطبقات ابن سعد ٣/ ١٩٧.
(٦) البداية والنهاية ٧/ ١٢٩ وتاريخ الإسلام ٢٦٥، الاستيعاب ٢/ ٦٥.
(٧) تاريخ الإسلام ١٦٣ وتاريخ الطبري ٤/ ٣٨.

رمضان[1]، وأول من حمل الدرة لتأديب الناس[2]، وكان نقش خاتمه «كفى بالموت واعظاً يا عمر»[3] وحج بالناس عشر حجج متواليات، وحج بأزواج النبي ﷺ في آخر حجة حجها[4].

الفتوحات في عهد عمر

وكان في أيامه فتوح الأمصار، منها دمشق فتحت صلحاً على يد أبي عبيدة وخالد، وكان عمر قد عزل خالداً واستعمل أبا عبيدة على جميع الناس، وكان قد قدم على أبي عبيدة كتاب عمر بعزل خالد وتوليته، فاستحيا أبو عبيدة أن يقرئه الكتاب، فلما فتحت أظهر أبو عبيدة ذلك[5].

ثم فتح الله الروم وطبرية وقيسارية وفلسطين وعسقلان[6]، وسار عمر بنفسه ففتح بيت المقدس صلحاً، وفتحت أيضاً بعلبك وحمص وحلب وقنسرين وأنطاكية وجلولاء والرقة وحرّان والموصل والجزيرة ونصيبين وآمد والرُّها[7]، وفتحت القادسية[8] والمدائن على يدي سعد بن أبي وقاص، وزال ملك الفرس وانهزم يزدجرد ملك الفرس ولجأ إلى فرغانة والترك. وفتحت أيضاً كورة الأبله على يد عتبة بن غزوان، وفتحت كور الأهواز والجابية على يد أبي موسى[9]، وفتحت نهاوند[10] واصطخر وأصبهان وبلد فارس وتستر وسوس وهمذان والنوبة والبربر[11]، وفتحت أذربيجان[12] وبعض أعمال خراسان، وفتحت مصر على يد

---

(١) تاريخ الإسلام ٢٦٨ وطبقات ابن سعد ٣/ ٣٣٠.

(٢) الاستيعاب ٣/ ١١٤٥.

(٣) البداية والنهاية ٧/ ١٢٧.

(٤) تاريخ الإسلام ٢٦٦ وطبقات ابن سعد ٣/ ٢٨٣.

(٥) انظر تاريخ الإسلام ١٢٤ وتاريخ الطبري ٣/ ٤٣٥.

(٦) تاريخ الإسلام ١٢٣ وتهذيب تاريخ دمشق ١/ ١٤٧.

(٧) تاريخ الإسلام ١٦٢ تاريخ الطبري ٤/ ١٠٢.

(٨) انظر تاريخ الإسلام ١٤٢ وتاريخ خليفة ١٣١ وتاريخ الطبري ٤/ ٨ والبداية والنهاية ٧/ ٦.

(٩) انظر تاريخ الإسلام ١٥٧.

(١٠) تاريخ الطبري ١١٤ والبداية والنهاية ٧/ ١٠٧.

(١١) تاريخ الطبري ١٣٩/ ١٤٦.

(١٢) تاريخ الطبري ٤/ ١٥٣ والبداية والنهاية ٧/ ١١٧.

عمرو بن العاص غرة المحرم سنة عشرين، وفتح عمرو أيضاً الاسكندرية وطرابلس الغرب وما يليها من الساحل[١]. وفي حياة الحيوان: وعدُّوا مما فتح رأس العين والخابور وبيسان واليرموك والري وما بينهما.

وفي أيام عمر مصرت البصرة سنة سبع عشرة، والكوفة ونزلها سعد بن أبي وقاص[٢].

عام الرمادة وطاعون عمواس

وفي سنة ثمان عشرة كان عام الرمادة[٣]، واستسقى عمر بالعباس فسقى[٤]، وفيها كان طاعون عمواس مات فيه خمسون ألفاً منهم أبو عبيدة ومعاذ وغيرهم من الصحابة[٥].

قدوم عمر للجابيه

وعن طارق بن شهاب قال: لما قدم عمر الشام لقيه الجنود وعليه عمامة وقد خلع خفيه وهو يخوض الماء آخذاً بزمام راحلته، وخفاه تحت إبطه. فقالوا له: يا أمير المؤمنين الآن تلقاك الأمراء وبطارقة الشام وأنت هكذا؟ فقال: إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما طلبنا العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله[٦].

زهد عمر

وعن معاوية أنه قال: أما أبو بكر فإنه لم يرد الدنيا ولم ترده، وأما عمر فأرادته ولم يردها، وأما عثمان فأصاب منها، وأما نحن فتمرغنا فيها ظهراً لبطن[٧].

قيل: كان في خدي عمر خطان أسودان من البكاء[٨].

وكثر المال في دولته إلى الغاية حتى عمل بيت المال، ووضع الديوان، وفضل أهل السابقة على غيرهم، ورتب لرعيته ما يكفيهم، وفرض للأجناد[٩].

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ١٠٤ والبداية والنهاية ٧/ ٩٥.
(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٤٠
(٣) تاريخ الطبري ٤/ ٩٦.
(٤) تاريخ الطبري ٤/ ٩٩.
(٥) تاريخ الطبري ٤/ ٦٠ والبداية والنهاية ٧/ ٧٤.
(٦) تاريخ الطبري ٣/ ٦٠٧ والبداية والنهاية ٧/ ٥٢.
(٧) تاريخ الإسلام ٢٦٧ وتاريخ الخلفاء ١٢٠.
(٨) مناقب عمر لابن الجوزي ١٦٨، تاريخ الإسلام ٢٧٠ وحلية الأولياء ١/ ٥١.
(٩) تاريخ الإسلام ٢٦٦/ ٢٧٢ وتاريخ الخلفاء ١٣٠ وطبقات ابن سعد ٣/ ٣٠٠.

ولما استخلفه أبو بكر كره بعضهم إمارته، وقال له طلحة: تولي علينا فظاً غليظاً، ما تقول لربك إذا لقيته؟ فقال أبو بكر: ساندوني. فأجلسوه، فقال: أبالله تخوفوني؟ أقول: استخلفت عليهم خير أهلك. وحلفت بالله ما تركت أحداً أشد حباً له من عمر، وستعلمون إذا قارفتموها وتنافستموها[1].

وقال ابن مسعود: أفرس الناس ثلاثة: صاحب مصر حين قال ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾، وابنة شعيب حين قالت ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾، وأبو بكر حين استخلف عمر.

ذكر مقتل عمر رضي الله عنه

كان رضي الله عليه ملازماً للحج في سني خلافته، وكان من سيرته أن يأخذ عماله بموافاته كل سنة في موسم الحج ليحجزهم بذلك عن الرعية ويحجز عنهم الظلم ويتعرف أحوالهم عن قرب، وليكون للرعية وقت معلوم ينهون إليه شكاويهم.

تمني عمر الشهادة آخر عمره

وقال سعيد بن المسيب: لما صدر عمر من منى أناخ بالأبطح، ثم كوم كومة بطحاء، ثم طرح عليها رداءه واستلقى، ثم مد يديه إلى السماء ثم قال: اللهم كبر سني، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط. ثم قدم المدينة فخطب الناس، فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل[2]. روي أن عمر لما انصرف من حجته التي لم يحج بعدها أتى ضجنان[3] ووقف فقال: الحمد لله ولا إله إلاَّ الله، يعطي من يشاء ما يشاء. لقد كنت بهذا الوادي أرعى إبلاً للخطاب، وكان فظاً غليظاً يتعبني إذا عملت ويضربني إذا قصرت. وقد أصبحت وليس بيني وبين الله أحد أخشاه. ثم تمثل بهذه الأبيات:

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته يبقى الإله ويودي المال والولد

---

(١) تاريخ الإسلام ٢٦٥ والاستيعاب ٢/ ٢٦٥.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ٣/ ٩٢ وانظر طبقات ابن سعد ٣/ ٣٣٤ وحلية الأولياء ١/ ٥٤ وأسد الغابة ٤/ ٧٣ وتاريخ الخلفاء ١٣٣.

(٣) جبل بينه وبين مكة خمس وعشرون ميلاً.

لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه ... والخلدَ قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح له ... والجن والإنس فيما بينها ترد
أين الملوك التي كانت لعزتها ... من كل أوب إليها وافد يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب ... لا بد من ورده يوماً كما وردوا[١]

وعن حفصة بنت عمر وأسلم مولاه عن عمر أنه قال: اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك. قالت حفصة فقلت: أنى يكون هذا؟ قال: يأتيني به الله إذا شاء. رواه البخاري[٢].

رؤيا عمر

وفي الصحيحين[٣] ولفظه لمسلم عن معدان بن طلحة أن عمر بن الخطاب خطب يوم الجمعة فذكر نبي الله، وذكر أبا بكر، ثم قال: إني رأيت كأن ديكاً نقرني ثلاث نقرات، وإني لا أراه إلاَّ لحضور أجلي، وإن أقواماً يأمرونني أن أستخلف عليكم، وإن الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته ولا الذي بعث به رسوله ﷺ. فإن عجل بي أمر فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض. وإني قد علمت أن أقواماً يطعنون في هذا الأمر أنا ضربتهم بيدي هذه على الإسلام، فإن فعلوا ذلك فأولئك أعداء الله الكفرة الضلال. ثم إني لا أدع بعد شيئاً أهم عندي من الكلالة[٤] وما راجعت رسول الله ﷺ ما راجعته في الكلالة، وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ فيها حتى طعن بإصبعه في صدري وقال: يا عمر: ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر النساء، وإن أعش أقض فيها بقضية يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأه. ثم قال: اللّهمّ إني أشهدك على أمراء الأمصار، وإني إنما بعثتهم عليهم ليعدلوا، وليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم، ويقسموا فيئهم، ويرفعوا إلي ما أشكل عليهم من أمرهم. ثم إنكم أيها الناس تأكلون شجرتين لا أراهما إلاَّ خبيثتين

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ٣/ ١١٥٧.
(٢) رواه البخاري باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء معلقاً. وانظر حلية الأولياء ١/ ٥٣.
(٣) رواه مسلم برقم ٥٦٧ وأحمد ١/ ١٥.
(٤) الكلالة: أن يموت الميت وليس له وارث من والد أو ولد (ق).

البصل والثوم، فلقد رأيت رسول الله ﷺ إذا وجد ريحهما من الرجل في المسجد أمر به فأخرج إلى البقيع، فمن أكلهما فليمتهما طبخاً. فما كانت إلاَّ الجمعة الأخرى حتى طعن عمر. انتهى. وروي أن عمر خرج يوماً يطوف بالسوق، فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، وكان نصرانياً أو مجوسياً، فقال: يا أمير المؤمنين إن المغيرة أثقل على غلتي، فكلمه يخفف عني. قال: فما صناعتك؟ قال: نجار حداد نقاش. قال: ما أرى خراجك كثيراً. قال: بلغني أنك تقول لو أردت أن أعمل رحى تطحن بالريح لفعلت. قال: نعم. قال فاعمل لي رحى. فقال: لئن سلمت لأعملن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب. ثم انصرف عنه فقال عمر: لقد توعدني العلج آنفاً[1]. وفي حديث عمرو بن ميمون في البخاري[2]: فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة، وكان إذا مر بين الصفين قام بينهما فإذا رأى خللاً قال استووا، حتى إذا لم ير فيهم خللاً تقدم فكبر، قال وربما قرأ سورة يوسف أو النحل ونحو ذلك في الركعة الأولى، حتى يجتمع الناس، فما هو إلاَّ أن كبر فسمعته يقول: قتلني ـ أو أكلني ـ الكلب حين طعنه، فطار العلج بسكين ذات طرفين، لا يمر على أحد يميناً أو شمالاً إلاَّ طعن ثلاثة عشر رجلاً، فمات منهم تسعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنساً، فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه، فتناول عمر عبد الرحمن بن عوف فقدمه، فأما من كان يلي عمر فقد رأى الذي رأيت، وأما نواحي المسجد فإنهم ما يدرون ما الأمر، غير أنهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون: سبحان الله سبحان الله، فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس انظر من قتلني، فجال ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة بن شعبة. فقال: الصنع؟ قال: قاتله الله: لقد كنت أمرت به معروفاً. ثم قال: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل مسلم، قد كنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة.

أبو لؤلؤة يستشفع بعمر

مقتل عمر رضي الله عنه

ثم احتمل إلي بيته فانطلقنا معه، قال فكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فأتى بنبيذ فشرب منه فخرج من جوفه، ثم أتى بلبن فشرب منه فخرج من جوفه،

---

(١) تاريخ الإسلام ٢٧٧، وطبقات ابن سعد ٣/ ٣٤٥ تاريخ الخلفاء ١٣٣.

(٢) رواه البخاري برقم ٣٧٠٠.

اللحظات الأخيرة من حياة الفاروق رضي الله عنه

فعرفوا أنه ميت. وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله، قد كان لك من صحبة رسول الله وقدم في الإسلام، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة. فقال: وددت أن ذلك كفافاً لا علي ولا لي. فلما أدبر الرجل إذا إزاره يمس الأرض فقال: يا ابن أخي ارفع ثوبك، فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك. يا عبد الله انظر ما عليَّ من الدين؟ فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوه فقال: إن وفى به مال آل عمر فأده من أموالهم، وإلاَّ فسل في بني عدي بن كعب، فإن لم تف به أموالهم فسل في قريش، ولا تعدهم إلى غيرهم، وأدّ عني هذا المال. انطلق إلى أم المؤمنين عائشة فقل: يقرأ عليك عمر السلام. ولا تقل أمير المؤمنين فإني لست اليوم للمؤمنين بأمير، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه. قال: فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام. ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه. فقالت: كنت أريده لنفسي، ولأوثرنه اليوم على نفسي. فلما أقبل قيل: هذا عبد الله قد جاء. قال ارفعوني: فأسنده رجل إليه فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين، أذنت. قال: الحمد لله، ما كان شيء أهم من ذلك إليَّ، فإذا أنا قضيت فاحملوني، ثم سلم وقال: يستأذن عمر، فإن أذنت فادخلوني، وإن ردتني فردوني إلى مقابر المسلمين. فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف. قال: ما أرى أحداً أحق بهذا

وصيته لأهل الشورى

الأمر من هؤلاء النفر الذي توفي رسول الله وهوعنهم راض، فسمى علياً وعثمان وطلحة والزبير وسعداً وعبد الرحمن بن عوف، وقال ـ يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء ـ كهيئة التعزية له ـ فإن أصابت الإمارة سعداً فذاك، وإلاَّ فليستعن به أيكم ما أمر، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة. وقال: أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً فإنهم ردء الإسلام وجباة المال وغيظ العدو، وأن لا يؤخذ منهم إلاَّ فضلتهم عن رضا منهم، وأوصيه بالأعراب خيراً، فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام، وأن يأخذ من حواشي أموالهم ويرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة نبيه ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا إلاَّ طاقتهم[1].

---

(١) انتهى حديث عمرو بن ميمون في البخاري.

قال سعد بن أبي وقاص: طعن عمر يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة. انتهى[1]. ودفن يوم الأحد صبيحة هلال المحرم، ونزل في قبره عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، وكان عمره يوم توفي ثلاثاً وستين، وصلى عليه صهيب الرومي، فكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال[2]، وكان له من الولد ثلاثة عشر: تسعة بنين، وأربع بنات[3].

خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه

قال أبو عمر[4]: بويع لعثمان رضي الله عنه يوم السبت غرة المحرم سنة أربع وعشرين بعد دفن عمر بثلاثة أيام باجتماع الناس. وفي البخاري[5] في حديث المسور: إن الرهط الذين ولاهم عمر اجتمعوا فتشاوروا فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن، فلما صلى الناس الصبح اجتمع أولئك الرهط عند المنبر، فأرسل عبد الرحمن إلى من كان خارجاً من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد وكانوا قد وافوا تلك الحجة مع عمر، فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن وقال: أما بعد يا علي فإني نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعل لي على نفسك سبيلاً، فأخذ بيد عثمان وقال: أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده. فبايعه عبد الرحمن وبايعه الناس والمهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون، وهو أقرب العشرة إلى رسول الله ﷺ بعد علي نسباً، وفضائله كثيرة، وافتتح في خلافته الاسكندرية[6]، ثم نيسابور ثم طبرستان[7] وسجستان وكرمان ثم الأساورة

بيعة عثمان

الفتوحات في عهد عثمان

---

(١) انظر الاستيعاب ٣/ ١١٥٢.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٤/ ١٩٣.

(٣) تاريخ الطبري ٤/ ١٩٨، ١٩٩.

(٤) الاستيعاب ٣/ ١٠٤٤.

(٥) رواه البخاري في التاريخ الصغير ١/ ٥٠ والذي في الصحيح جزء من حديث عمرو بن ميمون السابق وانظر في ذلك تاريخ الإسلام ٣٠٣.

(٦) تاريخ الطبري ٤/ ٢٥٠ وتاريخ اليعقوبي ٢/ ١٦٤ والبداية والنهاية ٧/ ١٤٣.

(٧) تاريخ الطبري ٤/ ٢٦٩ والبداية والنهاية ٧/ ١٤٦.

في البحر ثم إفريقية[١] ثم حصون قبرص[٢] ثم ساحل الأردن ثم مرو. وفي أيامه قتل يزد جرد ملك فارس في مرو[٣]، وغزا معاوية القسطنطينية[٤]، وفتحت أرمينية[٥]، وفي أيامه ركب معاوية نائب الشام بالجيوش فافتتح قبرص، وسار نائبه على مصر عبد الله بن أبي سرح بالجيوش إلى إفريقية والتقى هو والعدو فنصر الله المسلمين وكانت وقعة عظيمة هائلة بحيث طلع سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار من الغنيمة[٦]، وامتد ملك المسلمين حتى بلغ المحيط، وافتتح عبد الله بن عامر بن كريز عامله على البصرة من أرض فارس مدينة جور وغيرها[٧]، وافتتح المسلمون في أشهر معدودة نحواً من عشرين مدينة. ثم خرج ابن كريز من نيسابور محرماً بالحج من بقعته شكراً لله لما فتح الله عليه من هذه المدائن الكبار، واستناب على خراسان الأحنف بن قيس، وسار حتى دخل مكة وطاف وسعى وحل، ثم أتى وافداً على أمير المؤمنين عثمان بالمدينة[٨]، وقدم ابن كريز إلى البصرة فاستقر بها، ونوابه على خراسان وسجستان والجبال، وكثر المال والخراج على عثمان، وأتاه الخراج من النواحي، واتخذ الخزائن العظيمة بالمدينة، وكان يقسم بين الناس فيأمر للرجل بمائة ألف درهم. واتسعت الدنيا وكثرت الأموال حتى كانت الفرس تشتري بمائة ألف[٩]، وكان البستان يباع بالمدينة بأربع مائة ألف، وكانت المدينة كثيرة الأموال والخيرات والناس، ويجبى إليها خراج الممالك، وهي دار الأمان وقبة الإسلام، فبطر الناس بكثرة الأموال والنعم، وفتحوا أقاليم الدنيا واطمأنوا وتفرغوا، فأخذوا ينقمون على

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٢٥٣ وتاريخ الإسلام ٣١٩.
(٢) تاريخ الإسلام ٣١٧ وتاريخ الطبري ٤/ ٢٥٩ و٢٩٢ والبداية والنهاية ٧/ ١٤٩.
(٣) تاريخ الطبري ٣/ ٢٩٣.
(٤) تاريخ الطبري ٤/ ٣٠٤ وتاريخ الإسلام ٣٧١ والبداية والنهاية ٧/ ١٥١.
(٥) تاريخ الطبري ٤/ ٢٤٧.
(٦) تاريخ الإسلام ٣١٩ وتاريخ اليعقوبي ٢/ ١٦٥ والبداية والنهاية ٧/ ١٤٣.
(٧) تاريخ الإسلام ٣٢٩ وتاريخ خليفة ١٦٣.
(٨) تاريخ الإسلام ٣٣١.
(٩) تاريخ الإسلام ٣٣١.

خليفتهم لكونه يعطي المال أقاربه ويوليهم الولايات الجليلة، فتكلموا فيه وكان قد صار له أموال عظيمة وله ألف مملوك، فآل الأمر إلى أن قالوا: هذا لا يصلح للخلافة، وهموا بعزله وجرت أمور طويلة نسأل الله العافية[١]. وروى الإمام أحمد في مسنده[٢] حدثنا معاوية بن عمر حدثنا زيد عن عاصم عن شقيق قال: لقي عبد الرحمن بن عوف الوليد بن عقبة فقال الوليد: أراك قد جفوت أمير المؤمنين عثمان؟ فقال له عبد الرحمن: أبلغه أني لم أفر يوم عينين[٣]، قال عاصم يقول: يوم أحد، ولم أتخلف يوم بدر، ولم أترك سنَّة عمر. قال فانطلق الوليد فخبر بذلك عثمان، قال فقال: أما قوله إني لم أفر يوم عينين، فكيف يعيرني بذلك وقد عفا الله عنه فقال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ وأما قوله إني تخلفت يوم بدر فإني كنت أمرِّض رقية بنت رسول الله، وقد ضرب لي رسول الله ﷺ بسهم، ومن ضرب له رسول الله بسهم فقد شهد. وأما قوله إني لم أترك سنَّة عمر فإني لا أطيقها ولا هو، فأتاه فحدثه بذلك. انتهى.

بداية الفتنة

حصار المنحرفون

ثم اجتمع المنحرفون عن عثمان وحاصروه في داره بالمدينة، وعلى الكوفيين الأشتر النخعي، وعلى المصريين ابن عديس وعمرو بن الحمق، وعلى البصريين حُكيم بن جبلة، فسير إليهم عثمان رضي الله عنه المغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص ليدعوهم إلى كتاب الله وسنَّة نبيه، فردوهما أقبح رد ولم يسمعوا كلامهما، فبعث إليهم علياً فضمن لهم ما يعدهم به عثمان، وكتبوا على عثمان كتاباً بإزاحة علتهم والسير فيهم بكتاب الله وسنَّة نبيه، وأخذوا عليه عهداً بذلك ثم نقضوا العهد بعد ذلك[٤]. ذكر ابن الجوزي في شرح الصحيحين أنهم هجموا على المدينة وكان عثمان يخرج فيصلي بالناس وهم يصلون خلفه شهراً، ثم خرج من آخر جمعة خرج

---

(١) انظر تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٧٣ وتاريخ الإسلام ٤٢٩ والبداية والنهاية ٧/ ١٦١.

(٢) تاريخ الإسلام ٤٣٢ وقد أخرج البخاري من حديث ابن عمر أن السائل عن ذلك رجل من أهل مصر وليس عبد الرحمن انظر برقم ٣٦٩٨ وأما هذه الرواية فقد أخرجها أحمد في المسند ١/ ٦٨.

(٣) عينان اسم الجبل الذي أقام عليه الرماة يوم أحد، فسمي به يوم أحد.

(٤) انظر البداية والنهاية ٧/ ١٦٢ وتاريخ الإسلام ٤٣٨.

منعهم لعثمان من الصلاة

فيها فحصبوه حتى وقع على المنبر ولم يقدر أن يصلي بهم، فصلى بالناس يومئذ أبو أمامة بن سهل بن حنيف، ثم حصروه ومنعوه الصلاة في المسجد[١]، وكان يصلي بهم ابن عديس تارة وكنانة بن بشر أخرى وهما من الخوارج على عثمان. وفي مسند أحمد أن عثمان قال يوم الدار حين حصر: إن النبي ﷺ عهد إليَّ عهداً فأنا صابر عليه، فكانوا يرونه ذلك اليوم[٢]. وروى عبد الله بن أحمد في زيادة المسند أن عثمان رضي الله عنه أعتق عشرين مملوكاً، ودعا بسراويل فشدها عليه ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ البارحة في المنام ورأيت أبا بكر وعمر رحمة الله عليهما وأنهم قالوا: اصبر فإنك تفطر عندنا القابلة. ثم دعا بمصحف فنشر بين يديه فقتل وهو بين يديه[٣]. انتهى. ويذكر أن الدم نضح على هذه الآية ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ قال وإنها في المصحف ما حكت[٤].

رؤيا عثمان لرسول الله

وفي حديث أبي سعيد عند أبي حاتم: فأخذت نائلة بنت الفرافصة حليها فوضعته في حجرها ـ وذلك قبل أن يقتل ـ وتفاجت عليه، فقال بعضهم: قاتلها الله ما أعظم عجيزتها. فعلم أن أعداء الله لم يريدوا إلاَّ الدنيا[٥]. انتهى. وأرسل علي ابنيه الحسن والحسين ومواليه بالسلاح إلى بابه لنصرته، وأمرهم أن يمنعوا عنه، وبعث الزبير ابنه عبد الله، وبعث طلحة ابنه محمداً، وأكثر أبناء الصحابة أرسلهم آباؤهم اقتداء بمن ذكرنا، فصدوهم عن الدار، فرمى من وصفنا بالسهام، واشتبك القوم وجرح الحسن وشج قنبر وجرح محمد بن طلحة. وكان معه في الدار جماعة يريدون الدفع عنه، منهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن سلام وعبد الله بن الزبير والحسن وأبو هريرة ومحمد بن حاطب والمغيرة بن الأخنس، ويومئذ قتل المغيرة قبل عثمان[٦]، وفي

دفاع الصحابة عن عثمان

---

(١) انظر تاريخ الإسلام ٤٤٠/ ٤٤٤ وتاريخ الطبري ٤/ ٣٥٣/ ٣٦٦.

(٢) رواه أحمد ١/ ٥٧ والترمذي برقم ٣٧١١ ورواه ابن عاصم في كتاب السنة قال الألباني إسناده صحيح ٢/ ٥٦١.

(٣) فضائل الصحابة ١/ ٤٩٦ وإسناده حسن.

(٤) تاريخ الإسلام ٤٥٧ وتاريخ خليفة ١٧٥.

(٥) تاريخ الطبري ٤/ ٣٨٤.

(٦) الاستيعاب ٣/ ١٠٤٦.

الاستيعاب: روى سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: إني لمحصور مع عثمان في الدار قال فرُمي رجل منا، فقلت: يا أمير المؤمنين الآن طاب الضرب، قتلوا منا رجلاً. فقال عثمان: عزمت عليك يا أبا هريرة لما رميت نفسك، فإنما يراد نفسي، وسأقي المؤمنين بنفسي. قال أبو هريرة: فرميت بسيفي فلا أدري أين هو الساعة[1].

وحج بالناس تلك السنة عبد الله بن عباس ـ وعثمان محصور ـ بأمر عثمان[2] وخرجت عائشة للحج هاربة[3].

مقتل عثمان

وعن ابن شهاب قلت لسعيد بن المسيب: هل أنت مخبري كيف قتل عثمان؟ وما كان شأن الناس وشأنه؟ ولم خذله أصحاب محمد ﷺ؟ قال: قتل عثمان مظلوماً، ومن قتله كان ظالماً، ومن خذله كان معذوراً. قلت: وكيف كان ذلك؟ فذكر السبب في ذلك إلى أن قال: فتسوَّروا من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان وما يعلم أحد ممن كان معه، لأن من كان معه كان فوق البيت، ولم يكن معه إلاَّ امرأته وقتلوه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا. وصرخت امرأته فلم يسمع صراخها من الجلبة فصعدت إلى الناس فقالت: إن أمير المؤمنين قتل، فدخل عليه الحسن والحسين ومن كان معهما فوجدوه مذبوحاً، فانكبوا عليه يبكون، ودخل الناس فوجدوا عثمان مقتولاً، فبلغ علياً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولاً، فاسترجعوا وقال علي لابنه كيف قتل أمير المؤمنين وأنتم على الباب؟ ورفع يده يلطم الحسن، وضرب صدر الحسين، وشتم محمد بن طلحة، وشتم عبد الله بن الزبير.

وخرج علي فأتى منزله وجاء الناس كلهم إلى علي ليبايعوه، فقال لهم: ليس هذا إليكم، إنما هو إلى أهل بدر، فمن رضي به أهل بدر فهو الخليفة. فلم يبق أحد من أهل بدر إلاَّ قال: ما نرى أحق بها منك. وقتل عثمان رضي الله عنه شهيداً في ذي

---

(١) الاستيعاب ٣/ ١٠٤٦ وطبقات ابن سعد ٣/ ٧٠ وسنده حسن.

(٢) تاريخ الإسلام ٤٢٩ وطبقات ابن سعد ٣/ ٦٤.

(٣) انظر فتح الباري ١٣/ ٣٨.

الحجة[1]. قال الواقدي يوم الجمعة لثمان أو سبع خلت من ذي الحجة يوم التروية سنة خمس وثلاثين. قال ابن إسحاق: قتل عثمان على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً من مقتل عمر بن الخطاب. انتهى[2]. وهي أول مصائب الإسلام وخرومه، لأن المسلمين استضيموا في قتله جهرة، وبقتله فتح باب الفتنة إلى يوم القيامة. قال حسان بن ثابت:

حسان يرثي عثمان

من سره الموت صرفاً لا مزاج له ... فليأت مأسدة في دار عثمانا
ضحوا بأشمط عنوان السجود به ... يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا
صبراً فداء لكم أمي وما ولدت ... قد ينفع الصبر في المكروه أحيانا
لتسمعن وشيكاً في ديارهم ... الله أكبر يا ثارات عثمانا

وقال حسان أيضاً، وقيل هي لكعب، وقيل هي للوليد بن عقبة:

فكف يديه ثم أغلق بابه ... وأيقن أن الله ليس بغافل
وقال لأهل الدار لا تقتلوهم ... عفا الله عن ذنب امرىء لم يقاتل
وكيف رأيت الله ألقى عليهم ... العداوة والبغضاء بعد التواصل
وكيف رأيت الخير أدبر بعده ... عن الناس إدبار السحاب الحوامل[3]

وعن سعيد بن زيد قال: لو أن رجلاً انقض لما فُعل بعثمان كان حقيقاً أن ينقض. وقال ابن عباس: لو اجتمع الناس على قتل عثمان لرموا بالحجارة كما رمي قوم لوط. قال ابن إسحاق: قتل وهو ابن ثمانين سنة. وقال قتادة: ابن ست وثمانين[4]، ودفن ليلاً بموضع يقال له حش كوكب، وكوكب: رجل من الأنصار، والحش البستان[5]. وتفرقت الكلمة بعد قتله، وماج الناس واقتتلوا للأخذ بثأره حتى قتل من المسلمين تسعون ألفاً. وفضائله وسبقه إلى الإسلام معروف. رضي الله عنه.

---

(١) تاريخ الإسلام ٤٥٩ ـ ٤٦٠ وتاريخ الخلفاء ١٥٧ ـ ١٦١ والرياض النضرة ٢/ ١٢٥.

(٢) والراجح أنه في اليوم الثاني عشر من ذي الحجة أوسط أيام التشريق كما في المسند.

(٣) تاريخ الإسلام ٤٦٢.

(٤) والراجح أنه ابن اثنين وثمانين سنة كما في الاستيعاب وتاريخ الإسلام ٨١.

(٥) البداية والنهاية ٧/ ١٩٠.

ذكر خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

بيعه علي رضي الله عنه

روى أحمد في المناقب عن محمد بن الحنفية قال: كنت مع أبي حين قتل عثمان، فقام فدخل منزله، فأتاه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا له: إن هذا الرجل قد قتل، ولا بد للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحداً أحق بهذا الأمر ولا أقدم سابقة ولا أقرب من رسول الله منك. قال: لا تفعلوا، فإن أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً. قالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك. قال: ففي المسجد، فإن بيعتي لا تكون خفية، ولا تكون إلاّ عن رضى المسلمين. فدخل المهاجرون والأنصار فبايعوه، ثم بايع الناس[1]. وقيل أول من بايعه طلحة وكانت يده شلاء فقيل: يد شلاء وأمر لا يتم. وقال الزهري: أرسل إلى طلحة والزبير فدعاهما إلى البيعة، فتلكأ طلحة، فقال الأشتر وسلَّ سيفه: والله لتبايعن أو لأضربن به بين عينيك. فبايعه، وبايعه الزبير[2]. وذهب قوم إلى الشام فلم يبايعوه، ولم يبايعه قدامة بن مظعون وعبد الله بن سلام والمغيرة بن شعبة. وقال محمد بن حبيب الهاشمي: لم يبايعه سعد وابن عمر وصهيب وزيد بن ثابت ومحمد بن مسلمة وسلمة بن سلامة بن وقش وأسامة بن زيد[3].

موقف أهل الأمصار من مقتل عثمان

وطارت الأخبار بقتل الشهيد عثمان، فحزن عليه المسلمون، ولا سيما أهل دمشق، وأتى البريد بثوبه بالدم فنصب على منبر دمشق، ونعاه معاوية إلى أهلها فبكوا، وتعاقدوا على الطلب بدمه وكانوا ستين ألفاً. وآلى رجال منهم لا يأتون النساء ولا يغتسلون من جنابة إلاّ من احتلام حتى يقتلوا قتلته ومن عرض دونهم[4]. وتخلف عن بيعة علي معاوية في أهل الشام وأظهروا له الخلاف ونسبوه إلى الإعانة على قتل عثمان والرضى بها، وقد برأه الله من ذلك[5] واجتمع ناس إلى علي فقالوا

---

(١) فضائل الصحابة ٢/ ٥٧٣ وسنده صحيح.

(٢) هذه الرواية فيها ضعف بل الصحيح أنهم بايعوه عن اختيار وطواعية وانظر فتح الباري ١٣/ ٣٨، والعواصم من القواصم لابن العربي ١٤٨.

(٣) البداية والنهاية ٧/ ٢١٤ وتاريخ الطبري ٤/ ٤٣١.

(٤) تاريخ الطبري ٣/ ٤٤٤.

(٥) ورد ذلك في تاريخ الطبري والصحيح أن معاوية وأهل الشام إنما طالبوا بدم عثمان ولم يتهموا=

موقف علي رضي الله عنه من قتلة عثمان

إن هؤلاء القوم قد اشتركوا في قتل هذا الرجل وأحلوا بأنفسهم، فقال لهم: يا إخوتاه إني لست أجهل ما تعلمون، ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم، وها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا، فهل ترون موضعاً للقدرة على شيء مما تريدون؟ قالوا: لا والله[1]. وقال طلحة لعلي: دعني آتي البصرة ولا يفجأك إلاّ وأنا في خيل، وقال الزبير: دعني آتي الكوفة ولا يفجأك إلاّ وأنا في خيل. فقال: حتى أنظر في ذلك[2]. ودخل عليه المغيرة بن شعبة فقال له: إن لك حق الطاعة والنصيحة. أقرر معاوية على عمله وابن عامر والعمال على أعمالهم حتى إذا أتتك طاعتهم وبيعة الجنود استبدلت أو تركت. قال: حتى أنظر. وخرج من عنده ثم أتاه من الغد فقال: إني أشرت عليك أمس، وإن الرأي أن تعاجلهم فتعرف السامع من غيره. فتلقاه ابن عباس ـ وقد أتى من الحج ـ وهو خارج من عند علي، فدخل على علي، فلما انتهى إليه قال: رأيت المغيرة خرج من عندك. قال: جاءني أمس بكذا واليوم بكذا. فقال: أما أمس فقد نصحك، وأما اليوم فقد غشك. قال فما الرأي؟ قال كان الرأي قبل اليوم أن تخرج حين قتل الرجل أو قبله فتأتي مكة فتدخل دارك وتغلق بابك، فكانت العرب محايلة ومضطربة في أثرك لا تجد غيرك، فأما اليوم فإن بني أُمية يستحثون الطلب وأن يلزموك شقة من هذا الأمر. وفي رواية وإني أخشى أن ينتقض عليك الشام، مع أني لا آمن طلحة ولا الزبير أن يخرجا عليك. وإني أُشير عليك أن تقر معاوية، فإن بايع لك فعلي أن أقتلعه من منزلته متى شئت، فقال علي: والله لا أُعطيه إلاّ السيف. ثم تمثل:

وما ميتة إن متها غير عاجز ... بعار إذا ما غالت النفسِ غولها

= علياً به، ومعاوية يرى أنه ولي الدم، وانظر فتح الباري ١٣/ ٩٢ وكتاب استشهاد عثمان ووقعة الجمل ١٥٩.

(١) انظر كلام شيخ الإسلام في منهاج السنة ٤/ ٤٠٧ وابن العربي في العواصم ١٥٠ وابن حزم في الفصل ٤/ ٢٤٣.

(٢) ورد ذلك في تاريخ الطبري ولا يصح لأن قصد طلحة والزبير الإصلاح وليست الإثارة، انظر كتاب استشهاد عثمان ١٥٠.

فقلت: يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع، ولست صاحب رأي، فقال: إذا عصيتك فأطعني. قال ابن عباس: أيسر ما لك عندي الطاعة[1].

أم المؤمنين تدعو للإصلاح

وكانت عائشة مقيمة بمكة تريد عمرة المحرم، فلما قضت عمرتها وخرجت إلى المدينة سمعت بما جرى، فانصرفت راجعة إلى مكة، فأتاها عبد الله بن عامر والي مكة من قبل عثمان فقال: يا أم المؤمنين ما ردك؟ قالت: ردني أن عثمان قتل مظلوماً وإن هذا الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر، وإنهم بادروا بالعدوان، وسفكوا الدم الحرام، وأخذوا المال الحرام، وإن هذا حدث عظيم وأمر منكر، فاطلبوا دم عثمان. فكان أول من أجابها عبد الله بن عامر، وذلك أول ما تكلمت به بنو أمية بالحجاز ورفعوا رءوسهم[2]. ثم إن طلحة والزبير رضي الله عنهما ندما وعظم عليهما قتله، فخرجا هاربين إلى مكة من غير أمر علي[3]، فاجتمعا بعائشة ومن معها من بني أمية، وجمعوا جمعاً عظيماً، واتفقا رأيهم على المضي إلى البصرة وقالوا: معاوية بالشام قد كفانا أمرها[4]. وكان عبد الله بن عمر قد قدم مكة فدعوه إلى المسير معهم فامتنع، وأرادت حفصة المسير معهم فردها أخوها عبد الله[5]، وأحب أهل المدينة أن يعلموا ما رأي علي في قتال أهل القبلة وقد بلغهم أن الحسن دخل عليه ودعاه إلى القعود وترك الناس[6]. فدسوا زياد بن حنظلة التميمي فدخل فجلس إليه ساعة ثم قال: يا زياد تسير؟ قال: لأي شيء؟ قال: لغزو الشام. فقال زياد: الأناة والرفق أمثل، وقال:

طلحة والزبير يدعوان للإصلاح

ومن لا يصانع في أمور كثيرة ... يضرّس بأنياب ويوطأ بمنسم

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٤/ ٤٣٨.

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٤٤٩.

(٣) والصحيح أنهما استأذنا علي بالعمرة كما في الطبري ٤/ ٤٤٤.

(٤) وقصدهم الإصلاح.

(٥) تاريخ الطبري ٤/ ٤٥١ والكامل ٣/ ١٠٠.

(٦) تاريخ الإسلام ٤٨٧ وسير أعلام النبلاء ٣/ ٢٦١ وكتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد ٢/ ٥٨٩.

فتمثل علي:

متى تجمع القلب الذكي وصارما وأنفا حميا تجتنبك المظالم

فخرج زياد على الناس فقالوا: ما وراءك؟ قال: السيف يا قوم. فلما بلغه خبر الزبير وطلحة وأم المؤمنين وأنهم يريدون البصرة لمشاهدة الناس والإصلاح بينهم فتعبأ للخروج نحوهم، واشتد على أهل المدينة الأمر وتثاقلوا، فسار علي نحوهم في أربعة آلاف من أهل المدينة فيهم أربعمائة ممن بايع تحت الشجرة فالتقى هو وطلحة والزبير ومن معهما عند البصرة فجرت وقعة الجمل المشهورة بلا علم ولا قصد[1] والتحم القتال من الغوغاء وخرج الأمر عن علي وطلحة والزبير، وقتل من الفريقين نحو عشرين ألفاً[2]، وقتل طلحة[3] وانهزم الزبير فلحقه عمرو بن جرموز بوادي السباع فقتله[4]، وكانت عائشة راكبة الجمل وهي في هودج وقد صار كالقنفذ من النشاب، وتمت الهزيمة على أصحاب عائشة. ولما كثرت القتلى عند الجمل وقطع على خطامه أيد كثيرة قال علي: أعقروا الجمل، فعقر فسقط. فبقيت عائشة في هودجها إلى الليل، وأدخلها أخوها محمد إلى البصرة[5] ثم أمر علي عائشة بالرجوع إلى المدينة وأن تقر في بيتها، فسارت وشيعها الناس، وجهزها علي بما احتاجت إليه[6]، وكانت بعد ذلك إذا ذكرت مسيرها هذا بكت حتى تبل دموعها خمارها

وقعة الجمل

رجوع أم المؤمنين إلى المدينة

---

(١) لأن الفريقين باتا على صلح وسلام، فاندس قتلة عثمان في المعسكرين وأنشبوا الحرب بينهما فجأة في الصباح، فكل معسكر ظن أن الغدر جاء من المعسكر الآخر (ق) وانظر العواصم ١٥٦/١٥٩.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ١٨٦، والراجح أن العدد قليل انظر كتاب استشهاد عثمان وموقعة الجمل ٢١٥.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط ١٨٥.

(٤) تاريخ الطبري ٤/ ٥٣٥ ورواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة ٢/ ٧٣٧ وإسناده حسن.

(٥) المصنف لابن أبي شيبه ٧/ ٥٤٥.

(٦) امتثالاً لقوله ﷺ لعلي رضي الله عنه أنه سيكون بينك وبين عائشة أمر فقال أنا يا رسول الله قال نعم قال أنا قال: نعم قال: فأنا أشقاهم يا رسول الله قال: لا ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها، رواه أحمد في المسند ٦/ ٩٣.

وتقول: يا ليتني كنت نسياً منسياً، ولوددت أني مت قبل ذلك بعشرين سنة[١].

واستعمل علي على البصرة عبد الله بن عباس[٢]، وسار علي إلى الكوفة فنزلها، واستحكم له الأمر بالعراق ومصر واليمن والحرمين وفارس وخراسان، ولم يبق خارجاً عنه إلاَّ الشام، وأرسل علي جرير بن عبد الله إلى معاوية[٣] يطلب منه البيعة ويدخل فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار، فماطله معاوية وامتنع من مبايعته، فسار علي إلى الشام في سبعين ألفاً من أهل العراق، وسار إليه معاوية وعمرو بن العاص في أهل الشام في ستين ألفاً وقيل في مائة وعشرين ألفاً فالتقوا بصفين بناحية الفرات، ودخلت سنة سبع وثلاثين والجيشان بصفين، ومضى المحرم ولم يكن بينهم قتال[٤]، وأرسل علي إلى معاوية رسلاً يدعونه إلى الله وإلى الطاعة فأتوه فقالوا له[٥]: إن الدنيا عنك زائلة، وإنك راجع إلى الآخرة، وإن الله جازيك بما قدمت يداك، وإنا ننشدك الله أن لا تفرق جماعة هذه الأمة أو تسفك دماء بنيها. فقال للمتكلم: هلا أوصيت بذلك صاحبك؟ فقال: إن صاحبي ليس مثلك، إن صاحبي أحق البرية كلها بهذا الأمر بالفضل والدين والسابقة في الإسلام والقرابة من رسول الله. فقال له معاوية: ونُطل دم عثمان؟ لا والله، لا أفعل ذلك أبداً[٦]. فلما دخل شهر صفر تنابذوا، وبات علي يسبيء الكتائب ويقول: لا تقاتلوهم إلاَّ أن يبدءوكم، فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم لا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم. فاقتتلوا أياماً، وكانت بينهم وقعات كثيرة قيل كانت تسعين وقعة، وقتل من الفريقين أكثر من سبعين ألفاً[٧]، وقتل من جند علي عمار بن ياسر

وقعة صفين

ارسال الرسل لمعاوية

---

(١) وقال ذلك علي رضي الله عنه لابنه الحسن ليت أباك مات من عشرين سنة، رواه عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة ٢/ ٥٨٩.

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٥٤٣.

(٣) تاريخ الطبري ٤/ ٥٦١ تاريخ الإسلام ٥٣٨ والكامل ٣/ ١٦١.

(٤) تاريخ الإسلام ٥٣٨.

(٥) أبو عمارة بشير بن عمرو.

(٦) تاريخ الطبري ٤/ ٥٧٣.

(٧) تاريخ الإسلام ٥٤٥.

مقتل عمار رضي الله عنه

من السابقين الأولين البدريين وكان من نجباء الصحابة. قال أبو عمر[1] في ترجمته تواترت الآثار عن النبي ﷺ أنه قال لعمار تقتلك الفئة الباغية[2]، ولما قتل عمار أمسك عمرو بن العاص عن القتال وتابعه على ذلك خلق كثير، فقال له معاوية: لم لا تقاتل؟ قال: قتلنا هذا الرجل وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتله الفئة الباغية، فدل على أنا نحن البغاة. فقال له معاوية: اسكت. فوالله ما تزال تدحض في بولك، أنحن قتلناه؟ إنما قتله علي وأصحابه وجاءوا به حتى ألقوه بيننا، وإنما دفعنا عن أنفسنا فقتل[3]. فبلغ ذلك علياً فقال: إن كنت أنا قتلته فالنبي ﷺ قتل حمزة حين أرسله إلى قتال الكفار. ولما قتل عمار حمل علي في اثني عشر ألفاً، فلم يبق لأهل الشام صف إلاّ انتقض[4].

تخلف بعض الصحابة عن الفتنة

وتخلف جماعة من سادات الصحابة عن القتال في الفتنة، منهم سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبو اليسر وزيد بن ثابت ومحمد بن مسلمة وابن عمر وأسامة بن زيد وصهيب الرومي وأبو موسى الأشعري ورأوا السلامة في العزلة وقالوا: إذا كان غزو الكفار قاتلنا[5].

الدعوة إلى التحاكم

ولما سئم الفريقان تداعوا إلى الخصومة، ورفع أهل الشام المصاحف على رؤوس الرماح وقالوا: ندعوكم إلى كتاب الله، فرضي الفريقان[6]، فحكم علي وأهل الكوفة أبا موسى، وحكم معاوية عمرو بن العاص[7]، ورجع علي ومن معه إلى العراق، ومعاوية ومن معه إلى الشام. ثم اجتمع الحكمان بدومة الجندل واتفقا على أن يخلعاهما معاً ويختار المسلمون خليفة يرضون به، وقد عينوا يومئذ عبد الله بن

---

(١) الاستيعاب ٣/ ١١٤٠.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) الكامل لابن الأثير ٣/ ١٨٩ والبداية والنهاية ٧/ ٢٥٥.
(٤) تاريخ الطبري ٥/ ٤١.
(٥) انظر الكامل ٣/ ٨٢.
(٦) تاريخ الطبري ٥/ ٤٨ والبداية والنهاية ٧/ ٢٥٨.
(٧) البداية والنهاية ٧/ ٢٦٢.

عمر بن الخطاب. ثم اجتمعا بالناس فبدأ أبو موسى فخلع علياً ثم قام عمرو وقال: قد خلعت علياً كما خلعه وأثبت خلافة معاوية[١] فرضي أهل الشام بذلك ورجعوا فبايعوا معاوية[٢]. ولما جرى التحكيم غضب خلق أزيد من عشرة آلاف من جيش علي وقالوا: لا حكم إلاّ الله، وكفروه بذلك واعتزلوه، وهم الخوارج، وشقوا عصا المسلمين ونصبوا راية الخلاف وسفكوا الدماء، وقطعوا السبيل[٣]، فبعث علي عبد الله بن عباس، قال ابن عباس: فدخلت عليهم فلم أر قط قوماً أشد منهم اجتهاداً، جباههم قرحة من السجود، وأيديهم كأنها ثفن الإبل، وعليهم قمص مرحضة مشمرين مسهمة وجوههم من السهر، فسلمت عليهم فقالوا مرحباً يا ابن العباس ما جاء بك؟ قلت: أتيتكم من عند المهاجرين والأنصار من عند صهر رسول الله وعليهم أنزل القرآن وهم أعلم بتأويله منكم، فقالت طائفة منهم: لا تخاصموا قريشاً فإن الله عز وجل يقول ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾. فقال اثنان أو ثلاثة لنكلمنه فقلت: هاتوا ما نقمتم، فقالوا: ثلاثاً إحداهن أنه حكم الرجال في أمر الله وقد قال الله ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾، وأنه قاتل ولم يسب ولم يغنم فإن كانوا مؤمنين ما حل لنا قتالهم وسبيهم، وإن كانوا كفاراً حل لنا قتالهم وسبيهم. ومحا نفسه من إمرة المؤمنين فإن لم يكن أمير المؤمنين فإنه لأمير الكافرين. فقلت: أما قولكم حكم الرجال في دين الله فأنا أقرأ عليكم في كتاب الله ما ينقض قولكم، إن الله صير من حكمه إلى الرجال في ربع درهم ثمن أرنب، وتلا قوله ﴿ لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ وفي المرأة وزوجها فقال ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ﴾ فنشدتكم الله هل تعلمون حكم الرجال في إصلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل أم حكمهم في ثمن أرنب وبضع امرأة؟ قالوا بل هذه. قلت خرجت من هذه؟ قالوا نعم. قلت: وأما قاتل ولم يغنم

خروج الخوارج

ابن عباس يناظر الخوارج

---

(١) الحكمان تركا أمر الإمامة لكبار الصحابة، ولم يقل عمرو إلاّ ما قاله أبو موسى. والصحيح في أمر التحكيم ما رواه الدارقطني وخليفة بن خياط من شيوخ البخاري، وانظره في العواصم من القواصم ص ١٧٩ ـ ١٨٢ (ق).

(٢) انظر البداية والنهاية ٧/ ٢٦٧.

(٣) الكامل ٣/ ٢٠٢ تاريخ الطبري ٥/ ٦٤.

ما ورد في أمر الخوارج

فتسبون أمكم عائشة؟ فوالله إن قلتم ليست أمنا لقد خرجتم من الإسلام، وإن قلتم لنسبينها ونستحل منها ما نستحل من غيرها فقد خرجتم من الإسلام، أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم. قلت وأن قولكم محا نفسه عن إمرة المؤمنين فإن النبي ﷺ يوم الحديبية كاتب سهيل بن عمرو، فقال: يا علي اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقالوا: ما نعلم أنك رسول الله، ولو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، فقال امح يا علي واكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله. فوالله لرسول الله خير من علي. فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم، فخرج علي بمن معه عليهم ورام رجعتهم فأبوا إلاَّ القتال، فقاتلهم بالنهروان فقتلهم، ولم ينج منهم إلاَّ القليل(١).

وتواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بوصفهم وذمهم والتحريض على قتالهم، ففي الصحيحين عن سويد بن غفلة قال قال علي رضي الله عنه: إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فوالله لئن أخر من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول «سيخرج قوم في آخر الزمان حداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأين ما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة»(٢) وفيهما عن أبي سعيد الخدري سمعت رسول الله ﷺ يقول «يخرج في هذه الأمة ـ ولم يقل منها ـ قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم يقرأون القرآن لا يجاوز حلوقهم أو حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فينظر الرامي سهمه فيتمارى إلى نصله وإلى رصافه فيتمارى في فوقه هل علق بها من الدم شيء»(٣) وفي رواية لهما عنه «آيتهم رجل إحدى يديه أو إحدى ثدييه مثل ثدي المرأة أو قال مثل البضعة تدردر يخرجون على خير فرقة من الناس»(٤) قال أبو سعيد لسمعت هذا من رسول الله ﷺ،

(١) انظر المناظرة في تاريخ الطبري ٥/ ٦٤ والكامل ٣/ ٢٠٢ وتاريخ الإسلام ٥٨٧.
(٢) رواه البخاري برقم ٦٩٣٠.
(٣) رواه البخاري برقم ٦٩٣١.
(٤) رواه البخاري برقم ٦٩٣٣.

وأشهد أن علي بن أبي طالب قتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى به حتى نظرت إليه على نعت النبي ﷺ الذي نعته. ولمسلم عن علي رضي الله عنه: لو يعلم الجيش الذين يقاتلونهم ماذا قضي لهم على لسان نبيهم لاتكلوا عن العمل[1]. انتهى.

خروج الغلاة في علي رضي الله عنه

وفي أيامه أيضاً خرجت المغالية وادعوا في علي الإلهية، قال الحافظ[2] ابن حجر: وروينا من طريق عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعلي إن هنا قوماً على باب المسجد يزعمون أنك ربهم، فدعاهم فقال لهم: ويلكم إنما أنا مثلكم آكل الطعام كما تأكلون وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني وإن عصيته خشيت أن يعذبني، فاتقوا الله وارجعوا. فأبوا. فلما كان الغد غدوا عليه فجاءه قنبر فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام، قال: أدخلهم. فقالوا كذلك، فلما كان اليوم الثالث قال: لئن قلتم ذلك لأقتلنكم بأخبث القتلة فأبوا إلاَّ ذلك، فقال: يا قنبر ائتي بفعلة معهم مرورهم فخدَّ لهم أخدوداً بين المسجد والقصر وقال لهم: احفروا فأبعدوا في الأرض، وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأخدود وقال: إني طارحكم فيها أو ترجعوا. فأبوا أن يرجعوا. فقذف بهم فيها حتى احترقوا وقال:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أوقدت ناري ودعوت قنبراً

وإسناده حسن. وفي الصحيح[3] أن ابن عباس لما بلغه تحريقهم قال: لو كنت أنا لم أحرقهم لقول النبي ﷺ «لا تعذبوا بعذاب الله» ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ «من بدل دينه فاقتلوه» فبلغ علياً قول ابن عباس فقال: صدق ابن عباس.

ذكر مقتل علي رضي الله عنه

ذكر الزبير بن بكار[4] وغيره: اجتمع ثلاثة نفر بمكة من بقايا الخوارج،

---

(1) رواه مسلم برقم ١٠٦٦، ١٥٦.

(2) فتح الباري ١٢/ ٢٨٢.

(3) رواه البخاري برقم ٣٠١٧ ـ ٢٩٢٢.

(4) انظر تاريخ الطبري ٥/ ١٤٣ وتاريخ الإسلام ٦٠٧ والكامل ٣/ ٢٥٥.

اجتماع النفر الثلاثة

عبد الرحمن بن ملجم المرادي والبرك بن عبد الله التميمي وعمرو بن بكر التميمي، فاجتمعوا بمكة وتعاقدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة ويريحوا العباد منهم، فقال ابن ملجم: أنا لكم بعلي، وقال برك: أنا لكم بمعاوية، وقال عمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص. فاتعدوا بينهم ليلة سبع عشرة من رمضان سنة أربعين، ثم توجه كل رجل منهم إلى المصر الذي يريد، فقدم عبد الرحمن بن ملجم الكوفة عازماً على قتل علي، واشترى سيفاً لذلك بألف، وسقاه السم. وروى أبو عمر[1] أن عبد الرحمن جاء إلى علي يستحمله فحمله، ثم قال: إن هذا قاتلي. قيل فما يمنعك منه؟ قال: إنه لم يقتلني بعد. ولعبد الرزاق عن عبيدة قال: كان علي إذا رأى ابن ملجم قال:

أريـد حيـاتـه ويـريـد قتلـي عـذيرك مـن خليلـك مـن مراد

رؤيا علي رضي الله عنه

وكان علي كثيراً ما يقول: ما يمنع أشقاها[2]؟ أو ما ينتظر أشقاها أن يخضب هذه من دم هذه؟ ويقول: والله لتخضبن هذه من دم هذا ـ ويشير إلى لحيته ورأسه ـ خضاب دم لا خضاب عطر ولا عبير. وروى أبو عبد الرحمن السلمي[3] عن الحسن أنه سمع أباه في ذلك السحر الذي ضرب فيه يقول: يا بني رأيت النبي ﷺ الليلة في نومي فقلت: يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من اللأواء واللدد. فقال: ادع الله عليهم. فقلت: اللهم أبدلني خيراً منهم وأبدلهم بي من هو شر مني. ثم انتبه وجاءه

مقتل علي رضي الله عنه

مؤذنه للصلاة فخرج، فاعتور الرجلان ابن ملجم وشبيب بن بجرَة الأشجعي فأما شبيب فوقعت ضربته في النطاق وأما ابن ملجم فضربه في رأسه، وذلك في صبيحة يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة من رمضان، وفي رواية فلما ضربه ابن ملجم قال: الحكم لله يا علي لا لك ولا لأصحابك. قال علي: فزت ورب الكعبة، لا يفوتنكم

---

(١) الاستيعاب ٣/ ١١٢٦.

(٢) روى النسائي من حديث عمار بن ياسر عن النبي ﷺ أنه قال لعلي رضي الله عنه أشقى الناس الذي عقر الناقة والذي يضربك على هذا ووضع يده على رأسه حتى يخضب هذه يعني لحيته، رواه النسائي في السنن الكبرى برقم ٧٥٣٨ وروي من وجوه أخرى عند أحمد صححها أحمد شاكر.

(٣) الاستيعاب ٣/ ١١٢٧.

الكلب، فشد الناس عليه من كل جانب فأخذوه، فلما أخذ قال علي: احبسوه، فإن مت فاقتلوه ولا تمثلوا به، وإن لم أمت فالأمر إلي في العفو أو القصاص[1]. وقبر أول ليلة من العشر الأواخر من رمضان. واختلف في موضع قبره فقيل دفن في قصر الإمارة بالكوفة، وقيل دفن في رحبة الكوفة، وقيل دفن في نجف الحسين موضع بطريق الحيرة، واختلف في سنه يوم مات: فقيل سبع وخمسون وقيل ثلاث وستون قاله أبو نعيم وغيره[2].

ولما بلغ عائشة مقتل علي قالت: لتصنع العرب ما شاءت، فليس أحد ينهاها.

وكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر وستة أيام. وقيل أربعة عشر يوماً[3].

مدة خلافته

وكان رضي الله عنه يسير في الفيء بسيرة أبي بكر الصديق، وإذا ورد عليه مال لم يبق منه مالاً إلاَّ قسمه، ولا يترك في بيت المال إلاَّ ما يعجز عن قسمه في يومه ذلك، ويقول: يا دنيا غري غيري. ولم يستأثر من الفيء بشيء ولا يخص قريباً ولا يخص بالولايات إلاَّ أهل الديانات والأمانات. وإذا بلغته عن أحدهم خيانة كتب إليه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ ﴿ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ ﴾ إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتى نبعث إليك من يتسلمه منك. ثم يرفع طرفه في السماء ثم يقول: اللهم إنك تعلم أني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك[4]. قال أبو عمر: وثبت عن الحسن بن علي من وجوه أنه قال: لم يترك أبي إلاَّ ثمانمائة درهم فضلت من عطائه كان يعدها لخادم يشتريها لأهله. وأما تقشفه في لباسه ومطعمه فأشهر من أن يذكر، وأما فضله وسابقته وجهاده الكفار مع رسول الله ﷺ فأشهر من ذلك[5]. قال

سيرة علي رضي الله عنه

زهده في الدنيا

---

(١) انظر الكامل ٣/ ٢٥٦ وتاريخ الطبري ٥/ ١٤٤.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٥/ ١٥١/ ١٥٢ وانظر ترجمته في حلية الأولياء ١/ ٦١ والاستيعاب ٣/ ٢٢١.

(٣) انظر تاريخ الطبري ٥/ ١٥٢ والكامل ٣/ ٢٦١ والاستيعاب ٣/ ١١٢٣.

(٤) الاستيعاب من كلام أبي إسحاق السبيعي ٣/ ١١١١.

(٥) الاستيعاب ٣/ ١١١٢.

أحمد بن حنبل وإسماعيل بن إسحاق القاضي، لم يرو في فضائل أحد من الصحابة ما روي في فضائل علي بن أبي طالب[١].

وصيته رضي الله عنه

وقيل له ألا تستخلف؟ فقال: لا. أترككم كما ترككم رسول الله ﷺ. وقال بعضهم: إن نحن فقدناك ولا نفقدك بايع الناس الحسن، فقال: ما آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر. ثم دعا الحسن والحسين فقال أوصيكما بتقوى الله وحده ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تأسفا على شيء منها، قولا الحق وارحما اليتيم وأعينا الضعيف وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً ولا تأخذكما في الله لومة لائم. ثم نظر إلى ابن الحنفية فقال: هل سمعت ما أوصيت به أخويك؟ قال: نعم. قال أوصيك بتوقير أخويك، ولا تقطعن أمراً دونهما. ثم قال: أوصيكما به فإنه أخوكما وابن أبيكما، فاعرفا حقه وأكرماه[٢].

التفضيل بين عثمان وعلي رضي الله عنه

قال أبو عمر بن عبد البر[٣]: وقف جماعة من أئمة أهل السنة في علي وعثمان فلم يفضلوا واحداً منهما على صاحبه، منهم مالك ويحيى بن سعيد القطان. وأهل السنة اليوم على تقديم أبي بكر في الفضل على عمر وتقديم عمر على عثمان وتقديم عثمان على علي رضي الله عنهم وفي الصحيح[٤] عن ابن الحنفية قلت لأبي من خير الناس بعد رسول الله؟ قال أبو بكر. قلت ثم من قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول ثم عثمان فقلت ثم أنت؟ قال إنما أنا رجل من المسلمين. وتواتر عنه أنه قال وهو على المنبر في خلافته: ألا أُخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر. ألا أُخبركم بخير

---

(١) انظر فتح الباري ٧/٨٩ قال الحافظ رحمه الله قال أحمد وإسماعيل القاضي والنسائي وأبو علي النيسابوري لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء في علي وكان السبب في ذلك أنه تأخر ووقع الإختلاف في زمانه، وخروج من خرج عليه فكان سبباً لإنتشار مناقبه رداً على من خالفه فاحتاج أهل السنة إلى بث فضائله فكثر الناقل لذلك لكثرة من يخالف. . .) انتهى ملخصاً.

(٢) تاريخ الطبري ٥/١٤٧.

(٣) الاستيعاب ٣/١١١٧.

(٤) رواه البخاري برقم ٣٦٧١.

هذه الأمة بعد أبي بكر عمر[1]. وفي مسند أحمد عنه قال سبق رسول الله، وصلى أبو بكر، وثلث عمر، ثم خبطتنا فتنة يعفو الله فيها عمن يشاء[2]. وقد كان بنو أُمية ينالون منه وينقصونه فما زاده ذلك إلاّ سمواً ورفعة ومحبة عند العلماء. قال عمر بن عبد الله بن الزبير: إن بني مروان شتموه ستين سنة فلم يزده الله بذلك إلاّ رفعة، وإن الدين بنى شيئاً فهدمته الدنيا، ولم تبن الدنيا شيئاً إلاّ عادت على ما بنت فهدمته انتهى. وهؤلاء الأربعة هم الخلفاء الذين أوصى رسول الله ﷺ باتباع سنتهم كما في حديث العرباض بن سارية أنه ﷺ قال: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»[3] وفي السنن، وصحيح ابن حبان عن سفينة، عن رسول الله ﷺ قال: الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً. قال: أمسك[4] قال بعضهم خلافة أبي بكر سنتان وخلافة عمر عشر وخلافة عثمان إثنا عشر وخلافة علي ست. قال علي بن الجعد قلت لحماد: أسفينة القائل أمسك؟ قال نعم. أخرجه أبو حاتم. وهذا مغاير لما ذكره أهل التاريخ في خلافة علي وأنها أربع سنين وثمانية أشهر، قال الطبري: الصحيح في ولاية الأربعة أنها تسع وعشرون سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام: أبو بكر سنتان وثلاثة أشهر وعشرة أيام وعمر عشر سنين وستة أشهر وخمسة أيام وعثمان اثنتا عشرة سنة إلاّ اثني عشر يوماً وعلي أربع سنين وثمانية أشهر انتهى، فأما أن يكون أطلق الحديث على ذلك الثلاثين لقربه منها أو تكون ولاية الحسن بن علي محسوبة منها وهي تكملتها[5].

الخلافة ثلاثون

وهؤلاء الخلفاء الأربعة هم أفضل أصحاب رسول الله ﷺ، وبعدهم بقية

أفضل الصحابة

---

(١) رواه البخاري وأحمد ١/ ١٠٦ وابن ماجه برقم ٣١.

(٢) رواه أحمد ١/ ١٢٤.

(٣) رواه أبو داود برقم ٤٦٠٧ وابن ماجه برقم ٤٢ وأحمد ٤/ ١٢٧ وهو حديث صحيح.

(٤) رواه الترمذي ٣/ ٣٤١ وأبو داود ٢/ ٥١٥ وأحمد ٥/ ٢٢٠.

(٥) انظر كلام ابن العربي في أحكام القرآن ٤/ ١٧٢٠ وشرح مسلم ١٢/ ٢٠١ وشرح الطحاوية ٥٤٥.

العشرة أبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير رضي الله عنهم أجمعين. وأما مراتبهم على الإجمال فالمهاجرون أفضل من الأنصار، وأما على التفصيل فسباق الأنصار أفضل من متأخري المهاجرين[١].

مراتب الصحابة

وقد رتب أهل التواريخ الصحابة على طبقات: الطبقة الأولى أول الناس إسلاماً كخديجة وعلي وزيد وأبي بكر ومن تلاهم ولم يتأخر إلى دار الأرقم. الطبقة الثانية أصحاب دار الأرقم وفيها أسلم عمر. والطبقة الثالثة المهاجرون إلى الحبشة. والطبقة الرابعة أصحاب العقبة الأولى وهم سباق الأنصار. والطبقة الخامسة أصحاب العقبة الثانية[٢]. والطبقة السادسة أصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين[٣]. والطبقة السابعة أهل بدر الكبرى. والثامنة الذين هاجروا بين بدر والحديبية. والطبقة التاسعة أهل بيعة الرضوان[٤]. الحادية عشرة الذين هاجروا بعد الحديبية وقبل الفتح. الثانية عشرة الذين أسلموا يوم الفتح. وبعده الثالثة عشرة صبيان أدركوا النبي ﷺ ورأوه[٥].

تعريف الصحابي

وكان سعيد لا يعد الصحابى إلاّ من أقام مع رسول الله ﷺ سنة وغزا معه[٦]. وقال بعضهم كل من أدركه الحلم وأسلم ورأى النبي ﷺ فهو صحابي ولو أنه لم يصحب النبي ﷺ إلاّ ساعة واحدة، وهذا هو الأكثر والله أعلم[٧]. وذكر عن أبي زرعة أنه قال: مات النبي ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً كلهم رآه أو روى

عدد الصحابة

---

(١) جامع الأصول ١/ ١١٩ التتمة.

(٢) من العلماء من عدّهم مع الطبقة الرابعة.

(٣) من العلماء من لم يعدّهم من الطبقات وعدّ السادسة المهاجرون الذين وصلوا إلى النبي ﷺ بعد هجرته وهو بقباء قبل أن يبنى المسجد وينتقل إلى المدينة.

(٤) في المطبوع ذكر في الهامش لم يذكر العاشرة وفي المراجع التي رجع إليها المؤلف تكون الحادية عشر هي العاشرة والثانية عشرة هي الحادية عشرة والثالثة عشرة هي الثانية عشرة.

(٥) انظر في ذلك جامع الأصول (التتمة) ١/ ١١٩ ـ ١٢٠ ومعرفة علوم الحديث للحاكم ٢٢ ـ ٢٤ وأحكام القرآن لابن العربي ٢/ ١٠٠٢ والباعث الحثيث ١٨٣ وفتح المغيث ٣/ ١٢٤.

(٦) انظر فتح الباري ٧/ ٤.

(٧) ذكره ابن الأثير في أسد الغابة عن الواقدي ١/ ١٩.

عنه[1]، ذكره غير واحد منهم القطان في مراتب الصحابة وابن الأثير في جامع الأصول[2] والله أعلم.

ذكر خلافة الحسن بن علي رضي الله عنه

بيعة الحسن بن علي

لما مات علي بايع الناس الحسن، قال أبو عمر[3]: بايع الحسن أكثر من أربعين ألفاً كلهم قد بايع أباه قبله على الموت، وكانوا أطوع للحسن وأحب فيهم من أبيه. ثم سار إلى معاوية، وسار معاوية بجيش الشام لصده، ولما تقارب الجمعان علم الحسن أن لن تغلب إحدى الفئتين حتى يذهب أكثرهما، ورأى أن الصالح في جمع الكلمة وترك القتال، فكتب إلى معاوية يراسله أنه يصير الأمر إليه، واشترط عليه أن لا يطلب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان في أيام أبيه وأن يكون ولي العهد من بعده وأن يمكنه من بيت المال ليأخذ منه حاجته، ففرح معاوية وأجاب إلى ذلك وبعث إليه برقّ فقال: أكتب ما شئت فيه فألتزمه، والتزم معاوية كل ما كتب واشترط، وخلع الحسن نفسه وسلم الأمر إلى معاوية. فلما اصطلحا دخل معاوية الكوفة وسمي ذلك العام عام الجماعة، ووقع مصداق ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ بقوله في الحسن «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[4] وغضب من فعله ذلك شيعته، وقال له بعضهم: السلام عليك يا مذل المؤمنين، فقال: لا تقل ذلك، فإني لم أذل المؤمنين وكرهت أن أقتلكم في طلب الملك. وعنه أنه قال: كانت جماجم العرب بيدي يحاربون من حاربت ويسالمون من سالمت، وتركتها ابتغاء وجه الله وحقن دماء المسلمين[5].

الصلح بين الحسن بن علي ومعاوية رضي الله عنهم

خطبة الحسن بن علي

وعن الشعبي قال: لما جرى الصلح بين الحسن ومعاوية قال له معاوية: قم فاخطب بالناس واذكر ما كنت فيه. فقام الحسن فخطب فقال: الحمد لله الذي هدى

---

(١) انظر مقدمة ابن الصلاح ١٤٨ وفتح المغيث ١٣/ ١٢١.

(٢) جامع الأصول التتمة ١/ ١٢٠.

(٣) الاستيعاب ١/ ٣٨٥.

(٤) رواه البخاري برقم ٣٧٤٦.

(٥) البداية والنهاية ٨/ ١٨ وتاريخ الطبري ٥/ ١٦٥.

بنا أولكم، وحقن بنا دماء آخركم. ألا إن أكيس الكيس التقى، وأعجز العجز الفجور، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إما أن يكون كان أحق به مني أو يكون حقي تركته لله وإصلاح أمة محمد ﷺ وحقن دمائهم. ثم التفت إلى معاوية فقال: وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين. ثم نزل. قال عمرو بن العاص: ما أردت إلاَّ هذا[١].

ثم سار الحسن إلى المدينة بأهله وحشمه فأقام بها حتى مات رضي الله عنه[٢].

موت الحسن بالمدينة

وقد أحببت أن أقتصر على هؤلاء الذين تقدم ذكرهم، فإن فيهم كفاية إن شاء الله.

الأحاديث النبوية

ولنختم كتابنا هذا بشيء من ألفاظ الرسول ﷺ الوجيزة القليلة اللفظ الكثيرة المعاني الجامعة للأحكام والحكم، وقد جمع العلماء من ذلك كثيراً، فمن ذلك قوله ﷺ:

إنما الأعمال بالنيات[٣]، وقوله: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد[٤]، المرء مع من أحب[٥]، أسلم تسلم[٦]، الحرب خدعة[٧]، ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب[٨]، أي داء أدوى من البخل[٩]، الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة[١٠]، الأرواح جنود مجندة فما تعارف

---

(١) البداية والنهاية ١٧٨ وتاريخ الطبري ٥/ ١٦٣.
(٢) سنة ٤٩ هـ وانظر البداية والنهاية ٨/ ٣١.
(٣) رواه البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
(٤) رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها.
(٥) رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه.
(٦) جزء من حديث هرقل وهو في البخاري.
(٧) رواه البخاري وقد سبق تخريجه.
(٨) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.
(٩) رواه البخاري في الأدب المفرد والبزار والطبراني.
(١٠) رواه البخاري ومسلم عن عروة البارقي.

منها ائتلف وما تناكر منها اختلف[١]، إن من البيان سحراً، إن من الشعر حكمة[٢]، نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ[٣]، من غشنا فليس منا[٤]، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت[٥]، لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث[٦]، من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه[٧]، اليد العليا خير من اليد السفلى[٨]، ترك الشر صدقة[٩]، الحياء خير كله[١٠]، إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلاَّ غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة[١١]. الغنى غنى النفس[١٢]، أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل[١٣]، تنكح المرأة لجمالها ومالها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك[١٤]، كل مسكر حرام[١٥]، ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر[١٦]، الولد للفراش

---

(١) رواه البخاري عن عائشة ومسلم عن أبي هريرة ورواه أحمد وأبو داود.

(٢) رواه البخاري وأبو داود والترمذي وأحمد بلفظ (أن من البيان لسحراً ورواه البخاري ومسلم (أن الشعر حكمة) وروى أحمد وأبو داود (أن من البيان سحراً وأن من الشعر حكماً).

(٣) رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) من غش فليس منا رواه مسلم عن أبي هريرة (ومن غشنا فليس منا)، رواه ابن ماجه عن أبي الحمراء.

(٥) رواه البخاري ومسلم عن أبي شريح وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٦) رواه البخاري ومسلم عن أبي أيوب رضي الله عنه.

(٧) رواه مسلم ولفظه من بطأ وغيره من أبطأ.

(٨) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

(٩) جاء بلفظ الإمساك عن الشر وهو في البخاري.

(١٠) رواه مسلم عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

(١١) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٢) رواه البخاري ومسلم.

(١٣) رواه البخاري ومسلم عن عائشة بلفظ (أحب الأعمال أدومها وإن قل).

(١٤) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٥) رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه.

(١٦) رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وللعاهر الحجر[١]، المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. المهاجر من هجر ما نهى الله عنه[٢]، كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل[٣]، كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط[٤]، اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب[٥]، أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً[٦]، اعملوا فكل ميسر لما خلق له[٧]، ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلاً عزا، وما تواضع أحد لله إلاً رفعه الله[٨]، من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة[٩]، العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه[١٠]، مطل الغني ظلم، وإذا اتبع أحدكم على مليء فليتبع[١١]، ابدأ بمن تعول[١٢]، كل معروف صدقة[١٣]، الكلمة الطيبة صدقة[١٤]، الدنيا حلوة خضرة[١٥]، إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم[١٦]، كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته[١٧].

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري وأبو داود والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) زواه البخاري والترمذي وأحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) رواه البخاري ومسلم وأحمد عن ابن الجارود رضي الله عنه.

(٥) رواه البخاري ومسلم عن معاذ رضي الله عنه.

(٦) رواه البخاري.

(٧) رواه البخاري ومسلم عن علي رضي الله عنه.

(٨) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٩) رواه البخاري عن سهل بن معاذ رضي الله عنه.

(١٠) رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(١١) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٢) رواه البخاري عن حكيم بن حزام رضي الله عنه.

(١٣) رواه البخاري عن جابر ومسلم عن حذيفة رضي الله عنهما.

(١٤) رواه البخاري ومسلم وأحمد عن أبي هريرة.

(١٥) رواه الطبراني عن ابن عمرو رضي الله عنهما وهو حديث صحيح انظر الصحيحة ١٥٩٢.

(١٦) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

(١٧) رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وكل ما ذكرنا مما تقدم في الصحيحين أو أحدهما. ومما ذكر في غيرهم قوله ﷺ للأنصار: أنكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع[١]، وقوله: عِدة المؤمن كالأخذ باليد[٢]، بورك لأمتي في بكورها[٣]، لا تزال أمتي بخير ما لم يتخذوا الأمانة مغنماً والزكاة مغرماً[٤]، أحثوا التراب في وجوه المداحين[٥]، رأس الحكمة معرفة الله[٦]، يا خيل الله اركبي وأبشري بالجنة[٧]، الآن حمي الوطيس[٨]، لا ينتطح فيها عنزان[٩]، لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين[١٠]، لا يجني على المرء إلاّ يده[١١]. ليس الخبر كالمعاينة[١٢]، ساقي القوم آخرهم شرباً[١٣]، المجالس بالأمانة[١٤]، لو بغى جبل على جبل لدك الباغي منهما[١٥]، قيدوا العلم بالكتابة[١٦]، خير المال عين

---

(١) لم أجد من أسنده وذكره القرطبي في تفسيره وابن الجوزي في صفة الصفوة.

(٢) رواه الديلمي في مسند الفردوس عن علي رضي الله عنه وهو ضعيف انظر ضعيف الجامع ٣٦٨٩.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه وهو حديث صحيح انظر صحيح الجامع ٢٨٤١ ورواه أحمد بزيادة اللهم بارك لأمتي. . .) وأصحاب السنن.

(٤) رواه الترمذي عن علي رضي الله عنه.

(٥) رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه وهو حديث صحيح انظر الصحيحة ٩١٢.

(٦) الوارد (رأس الحكمة مخافة الله) رواه الحكيم الترمذي وهو ضعيف انظر الضعيفة ٢٠٦٠.

(٧) رواه أبو داود والحاكم عن سمرة بن جندب رضي الله عنه.

(٨) رواه مسلم وأحمد عن العباس رضي الله عنه.

(٩) رواه ابن عدي عن ابن عباس وهو ضعيف.

(١٠) رواه البخاري ومسلم وأحمد عن ابن هريرة رضي الله عنه.

(١١) رواه البخاري في التاريخ الكبير بمعناه ورواه أحمد والترمذي بلفظ (لا يجني عليك إلا نفسك) من حديث عمر بن الأحوص.

(١٢) رواه الطبراني في الأوسط عن أنس رضي الله عنه، انظر صحيح الجامع ٥٣٧٣.

(١٣) رواه الترمذي وابن ماجه عن أبي قتادة رضي الله عنه انظر صحيح الجامع ٣٥٨٩.

(١٤) رواه أحمد وأبو داود وهو حسن انظر صحيح الجامع ٦٦٧٨.

(١٥) رواه البيهقي في الشعب وابن حبان وهو ضعيف مرفوعاً وصح موقوفاً من كلام ابن عباس رضي الله عنهما.

(١٦) رواه الطبراني والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما انظر الصحيحة ٢٠٢٦ بلفظ (قيدوا العلم بالكتاب).

ساهرة لعين نائمة[١]، خير المال سكة مأبورة، أو مهر مأمورة[٢]، المسلم مرآة المسلم[٣]، رحم الله من قال خيراً فغنم أو سكت فسلم[٤]، السعيد من وعظ بغيره[٥]، عفو الملوك بقاء الملك[٦]، ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء[٧]، المكر والخدعة في النار[٨]، ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا[٩]، المستشار مؤتمن[١٠]. الدال على الخير كفاعله[١١]، الندم توبة[١٢]، لا يشكر الله من لا يشكر الناس[١٣]، حبك الشيء يعمي ويصم[١٤]، السفر قطعة من العذاب[١٥]، المسلمون عند شروطهم إلاّ شرطاً أحل حراماً أو حرم حلالاً[١٦]،

---

(١) لم أجد من أسنده وذكره ابن الجوزي في صفة الصفة وذكره في البيان والتبيين.

(٢) رواه أحمد والبغوي في شرح السنة وهو مرسل.

(٣) لفظ الحديث (المؤمن مرآة المؤمن) رواه الطبراني في الأوسط والضياء في المختارة عن أنس رضي الله عنه انظر الصحيحة ٩٢٦.

(٤) لفظه (رحم الله عبداً قال خيراً فغنم. . .) رواه أبو الشيخ عن أبي أمامة رضي الله عنه وهو حسن انظر الصحيحة ٨٥٥.

(٥) رواه مسلم.

(٦) رواه الرافعي عن علي رضي الله عنه وهو ضعيف انظر ضعيف الجامع ٣٧١٧.

(٧) رواه الطبراني والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه انظر الصحيحة ٩٢٥.

(٨) رواه البيهقي في شعب الإيمان بلفظ المكر والخديعة في النار عن قيس بن سعد رضي الله عنه انظر الصحيحة ١٠٥٧.

(٩) رواه أحمد والترمذي والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما وهو صحيح انظر صحيح الترغيب (٩٨).

(١٠) رواه أصحاب السنن عن أبي هريرة انظر الصحيحة ١٦٤١.

(١١) رواه البزار عن ابن مسعود والطبراني عن سهل بن سعد انظر الصحيحة ١٦٦٠.

(١٢) رواه أحمد والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه انظر صحيح الجامع ٦٨٠٢.

(١٣) رواه أحمد والترمذي عن أبي سعيد بلفظ (من لم يشكر الناس لم يشكر الله) انظر الصحيحة ٤١٧.

(١٤) رواه أحمد وأبو داود عن أبي الدرداء وهو ضعيف انظر الضعيفة ١٨٦٨.

(١٥) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٦) رواه أبو داود والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه انظر إرواء الغليل ١٣٠٣.

الرجل أحق بصدر مجلسه وصدر دابته[١]، الناس معادن كمعادن الذهب والفضة[٢]، تمام التحية المصافحة[٣]، من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه[٤]، جبلت القلوب على حب من أحسن إليها[٥]، التائب من الذنب كمن لا ذنب له[٦]، الشاهد يرى ما لا يرى الغائب[٧]، أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه[٨]، ليس بمؤمن من خاف جاره بوائقه[٩]، اتقوا النار ولو بشق تمرة[١٠]، لا خير لك بصحبة من لا يرى لك ما يرى لنفسه[١١]، الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر[١٢] الدعاء سلاح المؤمن[١٣]، خير الأمور أوساطها[١٤]، إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه[١٥]، اشفعوا تؤجروا

---

(١) رواه الترمذي وأبو داود وهو حسن انظر الصحيحة ٩٢٧.

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه الحاكم في الكنى عن أبي أمامة بلفظ (تمام التحية الأخذ باليد والمصافحة باليمنى) وهو ضعيف انظر ضعيف الجامع ٢٤٧٩.

(٤) رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه وهو صحيح.

(٥) رواه البيهقي في شعب الإيمان وابن عدي عن ابن مسعود وهو موضوع انظر الضعيفة (٦٠٠).

(٦) رواه البيهقي في شعب الإيمان وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو ضعيف انظر الضعيفة (٦١٦).

(٧) رواه أحمد عن علي رضي الله عنه انظر الصحيحة ١٩٠٤.

(٨) رواه ابن ماجه وأبو يعلى والطبراني في الأوسط وحسنه الألباني في صحيح الجامع ١٠٥٥.

(٩) لفظه (ليس المؤمن الذي لا يأمن جاره بوائقه) رواه الطبراني في الكبير وهو صحيح انظر صحيح الجامع ٥٣٨١ وعند البخاري (والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن الذي لا يأمن جاره بوائقه).

(١٠) رواه البخاري ومسلم أحمد.

(١١) ورد بلفظ (لا خير في صحبة من لا يرى لك مثل الذي ترى له) حديث موضوع انظر المقاصد الحسنة ٤٦٥.

(١٢) رواه مسلم وأحمد والترمذي وابن ماجه.

(١٣) رواه أبو يعلى والحاكم وحكم عليه الألباني بالوضع انظر ضعيف الجامع ٣٠٠١ والضعيفة ١٧٩.

(١٤) معناه صحيح لكنه بهذا اللفظ لا يصح انظر المقاصد ٢٠٥ وكشف الخطأ ١/ ٣٩.

(١٥) رواه ابن ماجه والبزار وابن خزيمة وغيرهم وهو حديث حسن انظر صحيح الجامع ٢٦٩.

وتحمدوا[1]. ما هلك امرؤ عن مشورة[2]، ما عال من اقتصد[3]، ما قل وكفى خير مما كثر وألهى[4]، شر الندامة يوم القيامة[5]، شبر المعذرة عند الموت[6]، أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم[7]، إياكم وخضراء الدمن، قيل يا رسول الله من؟ قال المرأة الحسناء في المنبت السوء[8]، البلاء موكل بالمنطق[9]، اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع[10]، لا يدخل الجنة نمام[11]، لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له[12]، استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود[13]، إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم[14]، زر غباً تزدد حباً[15]، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني[16]، أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك[17]، الدين

---

(١) لفظ البخاري ومسلم (اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء).

(٢) جاء معناه صحيحاً وهو بهذا اللفظ رواه ابن أبي شيبة في المصنف والقضاعي في مسند الشهاب وهو مرسل.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط وحكم عليه الألباني بالوضع انظر الضعيفة ٦١١.

(٤) رواه أبو يعلى والضياء في المختارة وصححه الألباني انظر الصحيحة ٩٤٥.

(٥) رواه ابن أبي شيبة وهنّاد في الزهد من كلام ابن مسعود رضي الله عنه.

(٦) رواه هنّاد في الزهد من كلام ابن مسعود رضي الله عنه.

(٧) رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود وهو صحيح انظر الصحيحة ٦٣٨.

(٨) حديث ضعيف مرفوعاً انظر المقاصد ١٣٥ والضعيفة ١٤ وصح عن عمر موقوفاً.

(٩) رواه القضاعي عن حذيفة رضي الله عنه وهو ضعيف انظر الضعيفة ٣٣٨٢.

(١٠) رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه وهو ضعيف.

(١١) رواه البخاري ومسلم عن حذيفة رضي الله عنه بلفظ (لا يدخل الجنة قتات) وهو النمام.

(١٢) رواه أحمد وابن حبان عن أنس رضي الله عنه وهو صحيح انظر صحيح الجامع ٧١٧٩.

(١٣) رواه الطبراني والبيهقي في شعب الإيمان وهو صحيح انظر الصحيحة ١٤٥٣.

(١٤) رواه البزار والحاكم عن أبي هريرة انظر الضعيفة ٦٣٤.

(١٥) رواه البزار والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه انظر صحيح الجامع ٣٥٦٨.

(١٦) رواه أحمد والترمذي عن شداد بن أوس رضي الله عنه وهو ضعيف انظر ضعيف الجامع ٤٣٠٥.

(١٧) رواه أبو داود والترمذي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه انظر الصحيحة ٤٢٤.

النصيحة[١]، صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفىء غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر[٢] لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك[٣]، اليوم الرهان وغداً السباق والغاية الجنة والهالك من دخل النار[٤]، ما ملأ ابن آدم شراً من بطن[٥]، أفلح من هُدي إلى الإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به[٦]، كل الصيد في جوف الفرا[٧]، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك[٨]، قل الحق ولو كان مراً[٩]، أحب للمسلمين ما تحب لنفسك[١٠]. اتق الله حيث ما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن[١١]. ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد بما في أيدي الناس يحبك الناس[١٢]، الصدق يهدي إلى البر، والكذب يهدي إلى الفجور[١٣]، كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر أو أجذم[١٤]، البخيل من ذكرت عنده ولم يصل

---

(١) جزء من حديث تميم رواه مسلم.

(٢) رواه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة وهو حسن انظر صحيح الجامع ٣٧٩٧.

(٣) رواه الترمذي عن واثلة رضي الله عنه وهو ضعيف انظر ضعيف الجامع ٦٢٤٥.

(٤) رواه الطبراني والخطيب البغدادي في التاريخ عن ابن عباس رضي الله عنهما وفي سنده من يضع الحديث.

(٥) رواه أحمد والترمذي عن المقدام بن معد يكرب بلفظ (ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه) انظر الصحيحة ٢٢٦٥.

(٦) رواه الحاكم والطبراني عن فضالة بن عبيد انظر الصحيحة ١٥٠٦.

(٧) رواه أبو عبيد في الأمثال والرامهرمزي في أمثال الحديث.

(٨) رواه الترمذي وأحمد عن الحسن رضي الله عنه وهو صحيح انظر صحيح الجامع ٣٣٧٨.

(٩) رواه أحمد عن أبي ذر وهو صحيح.

(١٠) رواه الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان عن يزيد بن أسيد بلفظ (أحب للناس ما تحب لنفسك) انظر الصحيحة ٧٢.

(١١) رواه أبو داود والترمذي وأحمد عن أبي ذر رضي الله عنه وهو حسن انظر صحيح الجامع ٩٧.

(١٢) رواه ابن ماجه والحاكم والطبراني عن سهل بن سعد انظر الصحيحة ٩٤٤.

(١٣) رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(١٤) رواه ابن ماجه وهو ضعيف انظر ضعيف الجامع ٤٢١٧.

عليّ[١]، الأعمال بخواتيمها[٢].

وهذه الأحاديث منها ما هو في الصحاح أيضاً، ومنها ما هو في السنن والمساند وهو في مرتبة الصحة ومنها ما هو في مرتبة الحسن، ومنها ما هو ضعيف رفعه إلى النبي ﷺ وهو صحيح أو حسن أو موقوف على الصحابي. والله أعلم.

في آخر المخطوطة التي اعتمدنا عليها في الطبع ما نصه:

وقد وقع الفراغ من هذا الكتاب الجليل القدر، المحتوي على سيرة سيد البشر محمد ﷺ وشيء من أحواله وأعماله وأخلاقه ومغازيه وقتاله وسيرة خلفائه الراشدين المهديين ﷺ ورضي عنهم أجمعين وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى بقية أصحابه أجمعين، على يد أفقر العباد إلى رحمة ربه مبارك بن عبد الله بن مبارك غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، بتاريخ سبع عشر ليلة مضت من أحد شهور سنة ثلاث عشرة بعد المائتين والألف من مهاجره ﷺ[٣].

تمت بحمد الله وعونه

---

(١) رواه الترمذي والنسائي وأحمد والحاكم وهو صحيح انظر صحيح الجامع ٢٨٧٨.

(٢) رواه البخاري وأبو عوانة عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٣) تم الفراغ من التعليق على هذا المختصر في الخامس عشر من شهر ذي الحجة من عام ألف وأربعمائة وتسعة عشر للهجرة الساعة السادسة وخمس عشرة دقيقة مساءً في مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية.

الفهرست